كتاب تلبيس إبليس

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

دراسة وتحقيق

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

أ.د. علي بن عمر السحيباني
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة - جامعة القصيم

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابُ

تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ

لِلإِمَامِ أَبِي الفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧ هـ)

ⓒ مدار الوطن للنشر، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي

تلبيس إبليس./ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي؛ أحمد عثمان المزيد ـ الرياض، ١٤٣٦هـ

٩٢٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢ ـ ٣٣ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت ٥٩٧ هـ ٢ ـ البدع في الإسلام ٣ ـ الإسلام والمجتمع

أ. المزيد، أحمد عثمان (محقق) ب ـ العنوان

ديوي: ٢١٢،٣ ١٤٣٦/٨٩٥٨

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٩٥٨

ردمك: ٢ ـ ٣٣ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

أصل هذا الكتاب رسالتان علميتان تقدم بهما المحققان إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لنيل درجة الدكتوراه، وقد منحت الرسالتان الدرجة العلمية مع مرتبة الشرف الأولى.

مدار الوطن للنشر

المقر الجديد
المملكة العربية السعودية
الرياض ـ الروضة ـ مخرج ١١
شارع ابي سعيد الخدري متفرع
من شارع خالد بن الوليد
هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ (٣ خطوط)
٠١١٤٧٩٢٠٤٢
فاكس: ٠١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع الملز ـ مخرج ١٥ ـ مقابل جامع الراجحي
هاتف: ٠١١٤٤٥٤١٢٤ ـ جوال: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
مندوب الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦
مندوب الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
مندوب الجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
مندوب الشرقية والدمام: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
مندوب الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مسؤول التوزيع الخيري: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
لطلبات الجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

www.madaralwatan.com • pop@madaralwatan.com • madaralwatan@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن من أكبر أسباب هلاك ابن آدم ومحادته لربه وخالقه تسلط عدو الله إبليس عليه، ومكره الذي توعد به هذا المخلوق، كما قال الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وقد كان من دأب العلماء والوعاظ التحذير من مكائد إبليس وصنوف غروره، وكان أول ما ألف بهذا الشمول كتاب «تلبيس إبليس» للإمام ابن الجوزي رحمه الله المتوفى ٥٩٧ هـ، ولما اعترى طبعاته المختلفة من نقص وتحريف حرصنا على تحقيقه ودراسته في أطروحتنا للدكتوراه.

وهذه الطبعة في أصلها أطروحتان لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة:

الأطروحة الأولى: أ.د. **أحمد بن عثمان المزيد**، وتبدأ من أول الكتاب إلى «فصل في ذكر أحاديث تبين خطأهم في أفعالهم» من الباب العاشر (ص٥٢٧).

والأطروحة الثانية: أ.د. **علي بن عمر السحيباني**، تبدأ من «ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الرقص والسماع والوجد» من الباب العاشر، إلى الباب الثالث عشر نهاية الكتاب.

وأما قسم الدراسة فقد اختير من أطروحة أ.د. أحمد المزيد، ويشتمل على ثلاثة فصول مختصرة: ترجمة المؤلف، عقيدته، التعريف بالكتاب. ويجدر التنبيه إلى أن الفصل الثاني (عقيدة المؤلف) أوردناه كما هو في الأصل دون اختصار؛ نظرًا لأهميته.

كما اختصرَتْ هذه الطبعةُ كثيرًا من حواشي الأطروحتين، **إلا التعليقات العقدية فأبقيناها كما هي في أصلها**، فأوجزنا في التخريج والتوثيق والاستشهاد غاية الإيجاز، وحذفنا جلّ التراجم وفروق النسخ والتعليقات غير العقدية.

وقد طُبعت أطروحة أ.د. أحمد بن عثمان المزيد من قبل كاملة في ثلاثة مجلدات، والأطروحتان متوافرتان على الشبكة العنكبوتية لمن أراد الوقوف على الحواشي وقسم الدراسة كاملا.

المقدمة

وفيها ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف

الفصل الثاني: عقيدته

المبحث الأوّل: منهجه العام في العقيدة

المبحث الثاني: عقيدته في التوحيد

المبحث الثالث: عقيدته في الإيمان

المبحث الرابع: موقفه من الفِرق

الفصل الثالث: التعريف بالكتاب

المبحث الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

المبحث الثاني: مصادر المؤلف ومنهجه في الكتاب

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية

المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية

الفصل الأول: ترجمة المؤلف

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادي - بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وفتحها - بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي. ولد ابن الجوزي بدرب حبيب في بغداد[١]، واختلف في تاريخ ولادته. فقيل: سنة ثمان وخمسمائة، وقيل: سنة تسع وخمسمائة، وقيل: سنة عشر وخمسمائة، أو قبلها.

نشأ ابن الجوزي رحمه الله يتيمًا في بيت عريق، وأسرة كريمة، وتوفي والده وله من العمر ثلاث سنوات[٢]، وكان والده موسرًا فخلَّف له مالًا يستعين به في حياته.

وكفلته بعد ذلك أمه، ثم قامت عمته بتربيته، وحملته إلى خاله أبي الفضل محمد بن ناصر الذي حمله إلى الشيوخ فأسمعه المسند وغيره من الكتب الكبار.

وكان حريصًا على انتقاء الشيوخ الكبار والإفادة منهم، ولم يرحل ابن الجوزي رحمه الله في طلب العلم، بل اكتفى بما حصل عليه من علماء ومشايخ بغداد ومن وفد عليها، ولا يخفى أن بغداد آنذاك كانت عاصمة العلم والعلماء، ونقطة التقائهم وتنقلهم بين البلدان، بالإضافة إلى ما وقع له من كتب كثيرة سمعها من مشايخه الكبار بالأسانيد المتصلة.

تعرّض ابن الجوزي رحمه الله في آخر حياته لمحنة عظيمة أوردها معظم من ترجم له، وذلك أنه وُشي به إلى الخليفة الناصر بأمر اختلف في حقيقته، فشفعت له أم الخليفة الناصر لدين الله لدى الخليفة، فأطلق سراحه، وعاد إلى بغداد.

---

(١) مرآة الزمان (٨/ ٤٨١)، الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٠).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٠).

ولم تطل حياة ابن الجوزي بعد خروجه من سجنه بواسط ورجوعه إلى بغداد، فقد توفي ليلة الجمعة بعد المغرب، في الثاني عشر من شهر رمضان المبارك، سنة سبع وتسعين وخمسمائة (٥٩٧هـ)، بالجانب الغربي من مدينة السلام، بدار له قريبة من قبر معروف الكرخي، وله من العمر سبع وثمانون سنة تقريبًا.

قال ابن خلكان: «كان علاّمة عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، وصنّف في فنون عديدة»[١].

وقال الذهبي: «الواعظ المتفنن، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلم، من التفسير والحديث والفقه والوعظ والأخبار والتاريخ وغير ذلك... وعظ من صغره، وفاق فيه الأقران، ونظم الشعر المليح، وكتب بخطه ما لا يوصف، ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه»[٢].

وقال ابن رجب الحنبلي: «الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبو الفرج، المعروف بابن الجوزي، شيخ وقته، وإمام عصره»[٣].

من مؤلفاته: أحكام النساء، أخبار الظراف والمتماجنين، الأذكياء، البر والصلة، بستان الواعظين ورياض السامعين، تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ذم الهوى، زاد المسير في علم التفسير، صيد الخاطر، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، غريب الحديث، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، كتاب الحمقى والمغفلين، كتاب الضعفاء والمتروكين، كتاب القصاص والمذكرين، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، نزهة الأديب.

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠).

(٢) العبر للذهبي (٣/ ١١٨-١١٩).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٩).

الفصل الثاني: عقيدته

المبحث الأول: منهجه العام في العقيدة

لما كان موضوع عقيدة الحافظ ابن الجوزي رحمه الله من الموضوعات الشائكة؛ نظرًا لمكانته العلمية من جهة، ونظرًا لما صدر عنه من مخالفة لمنهج السلف في تقرير بعض المسائل العقدية - فإنه يتحتم عليَّ الرجوع إلى أقوال الرجل المثبتة في كتبه التي تعتبر هي المصادر الأصلية لهذه الدراسة؛ ليكون الكلام على عقيدته بالعدل والإنصاف.

خلاصة في عقيدة ابن الجوزي عمومًا:

وبعد اطّلاعي على عدد كبير من مؤلفات الشيخ رحمه الله المطبوعة والمتيسر من مخطوطاته في العقيدة، فإني خلصتُ إلى نتيجة وقناعة أن الشيخ رحمه الله موافق لأهل السنة عمومًا، عدا في مسألتين هما: مسألة الصفات الإلهية، ومسألة التبرك بالقبور؛ فإنه جانب الصواب فيهما، بل هو في المسألة الأولى مضطرب لم يثبت على رأي واحد، فهو تارة يقول بالإثبات، وتارة يقول بالتفويض، وأخرى بالتأويل، وقد بينتُ هذا بصورة تفصيلية في موضعه.

انتساب ابن الجوزي:

إن ما وقع فيه ابن الجوزي رحمه الله من أخطاء عقدية هي - في نظري - زلة عالم، لا يتّبع عليها، ولا يُقتدى به فيها، غير أن هذه الأخطاء لم تصدر عنه من واقع انتساب إلى مذهب بدعي أو فرقة ضالة، بل ابتلي بذلك بسبب تقليده لبعض العلماء كابن عقيل وغيره، زيادة على أن الخطأ من سمات البشر، والعصمة للأنبياء؛ لذلك لا ندّعي العصمة لابن الجوزي رحمه الله، وما وقع منه من خطأ كان سببه الغلوّ الذي كان من بعضهم في الإثبات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقع الاعتداء في

النفي والإثبات في الحنابلة مما دبَّ إليهم من غيرهم من الذين اعتدوا حدود الله بزيادة في النفي والإثبات»[١].

وهذه بعض الملامح العامة لمنهج الإمام ابن الجوزي في التلقي والاستدلال على العقيدة، وبعد ذلك يكون الحكم للأغلب، ويُحمل الخطأ على القصور البشري وتأثير الشيوخ على التلاميذ سلبًا وإيجابًا، والله يعفو عن الجمع بمنّه وكرمه.

١- حثّه على لزوم السنة واجتناب البدعة.

٢- ذمُّه للكلام وأهله[٢].

٣- تعظيمه للنقل.

٤- الإيمان بكل ما نُخبر به عن الصادق المصدوق.

٥- التسليم وترك التأويل[٣].

والخلاصة هي ما فصَّل فيه الحكم بالحق والعدل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ قال: «إن أبا الفرج - يعني ابن الجوزي - نفسه متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات؛ بل له كلام في الإثبات نظمًا ونثرًا ما أثبت به كثيرًا من الصفات التي أنكرها في هذا المصنَّف[٤]. فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس، يثبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٠).

(٢) قد يقول قائل: إن ابن الجوزي رحمه الله قد خاض في بعض الكلام. والجواب عن هذا أنّه كان يرى استعمال ذلك الأسلوب من العالم العارف بمزالق الكلام يسوغ ويجوز للحاجة، من باب الردّ على أهل الاصطلاح باصطلاحهم، ولم يجعله منهجًا مطّردًا، وطريقة متبعة. انظر: أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية للدكتورة آمنة نصير (ص٥٥، ٥٦).

(٣) غير أن الشيخ ابن الجوزي رحمه الله خرم هذه القاعدة، واستعمل التأويل في توجيه جملة من نصوص الصفات. وهذا المسلك خطأ من الشيخ رحمه الله؛ ولهذا ردّ عليه كثير من العلماء في عصره وبعده.

(٤) يعني كتاب «دفع شبه التشبيه».

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ١٦٩).

المبحث الثاني: عقيدته في التوحيد

المطلب الأول: توحيد الربوبية

اهتم ابن الجوزي رحمه الله بهذا القسم من التوحيد، وساق لإثباته أنواعًا عديدة من الأدلة، إما تقريرًا له أو ردًّا على شبه الملحدين، من دهرية وطبائعيين.

وكان سلاحه في ذلك الجهاد العظيم آيات القرآن العظيم التي عوّل عليها متأمِّلًا فمفسِّرًا، كما كان يحثُّ دائمًا على استعمال نعمة العقل للتدبّر والتفكر والاستدلال على وجود الباري تعالى، وأنّه تعالى المتفرّد بالخلق والتدبير، وفي مقابل ذلك ينفي أن يكون الحسُّ أداةً صالحة للتعرّف على وجود الله تعالى، حتى قال في ذلك: «وإنما تخبّط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحسّ»[1].

وقد تضمّن تقريره لتوحيد الربوبية وردّه لشبهة الدهرية والطبائعيين جملة من الأدلة، أطلق عليها المتكلّمون مصطلحات معيَّنة، لكنَّ ابن الجوزي خالفهم في ذلك منهجًا وتطبيقًا:

فمن حيث المنهج نجد أن الإمام ابن الجوزي رحمه الله جعل المجادلة والردّ وسيلة لتقرير العقيدة الصحيحة التي تليق بمقام الربّ جلّ وعلا، واستعمل لذلك الآيات الباهرة من الكتاب المتلو، ومن الكون المنظور، أما المتكلمون فقد كان أكثر همّهم الجدل والمراء، وإبطال أدلة الخصم وإن كانت صحيحة!

أما من حيث التطبيق فلم يُطلق عليها تلك الأسماء؛ وقد تضمن منهجه الأدلة التالية:

---

(١) انظر (ص ١٦٦).

أولًا: إثباته لحقيقة دور العقل السليم:

وهو الاستدلال على وجود الحق تبارك وتعالى، لا أن يكون وسيلة للضلال والانحراف؛ فقال عن فضيلة العقل من جهة الاستنباط: «إنما تتبين فضيلة الشيء بثمرته وفائدته، وقد عرفت ثمرة العقل وفائدته، فإنه هو الذي دلّ على الإله، وأمر بطاعته وامتثال أمره، وثبت معجزات الرسل وأمر بطاعتهم، وتأمّل العواقب فاعتبرها فراقبها وعمل بمقتضى مصالحها، وقاوم الهوى.. وحثّ على الفضائل ونهى عن الرذائل»[1].

وقال عن الدهرية ناعيًا: «وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه، وهل يشك ذو عقل في وجود صانع؟!»[2].

ثانيًا: الخَلْق دليل على الخالق: «أو دليل الخلق والاختراع»:

وقد ملأ تفسيره بالرّدود على الطبائعيين ومن على شاكلتهم ممن يشكّ في الخالق جلّ وعلا أو يجحده: فعند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] قال: «قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله: انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السماوات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته، ونفاذ قدرته، كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكل هذا يقتضي خالقًا مدبّرًا»[3].

---

(١) ذم الهوى (ص١٧).

(٢) انظر (ص ١٦٥).

(٣) زاد المسير (٤/ ٦٨). وانظر كذلك في هذا الموضوع: زاد المسير (١/ ١٦٨)، (٤/ ٦٨)، (٨/ ٣٣)؛ اللطائف (ص١٤٢ – ١٤٣)؛ تنبيه النائم الغمر (ص٨٣)؛ أحكام النساء (ص١٣٠)؛ المنتظم (١/ ١١٨ – ١١٩)، صيد الخاطر (ص٤٦٧).

ومما ذكره في كتابه التلبيس قوله: «فإن الإنسان لو مرّ بقاع ليس فيه بنيان، ثم عاد فرأى حائطًا مبنيًّا علم أن لابدّ له من بانٍ بناه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدلّ على صانع؟!»[1].

ثالثًا: تدبير الأمر دليل على ربوبية الخالق: «أو دليل العناية»:

فالباري جلّ وعلا لم يترك خلقه سُدًى، بل ربّاهم ورعاهم من أضعف مخلوق إلى أعظم، إمّا بالتنشئة والخلق، وإمًّا بالرزق والهداية.

وللتنبيه على هذا الدليل قال ابن الجوزي: «من تأمّل تحديد الأسنان لتقطع، وتعريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلّب الممضوغ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ثم يُنفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء... والعقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي: أفي الله شك؟!»[2].

وقال أيضًا: «لما تلمّحت تدبير الصانع في سَوْق رزقي بتسخير السحاب وإنزال المطر برفق، والبذر دفين تحت الأرض كالموتى قد عفن ينتظر نفخة من صور الحياة، فإذا أصابته اهتز خضرًا، وإذا انقطع عنه الماء مديد الطلب يستعطي، وأمال رأسه خاضعًا ولبس حلل التغير، فهو محتاج إلى ما أنا محتاج إليه، من حرارة الشمس، وبرودة الماء، ولطف النسيم»[3].

رابعًا: دليل النفس:

وقد استدلّ ابن الجوزي رحمه الله بهذا الدليل ليثبت به أمرين:

(١) انظر (ص ١٦٥).
(٢) انظر (ص ١٦٦).
(٣) صيد الخاطر (ص١٢٧).

الأول: وقد مرَّ معنا في دليل الخلق والعناية، وقد ذكر هذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: ٢١]، فقال: «آياتٌ إذ كنتم نُطفًا، ثم عظامًا، ثم علقًا، ثم مُضغًا...»(١)، ولا داعي للتفصيل في هذا دفعًا للتكرار.

الثاني: ومضمون هذا الدليل أن النفس مقطوع بوجودها، رغم أن الحس لم يثبت ذلك فضلًا عن أن يحيط بها علمًا؛ فإذا صحّ هذا في النفس وهي مخلوقة أفلا يكون الخالق ﷻ أولى ألّا تدركه الحواس! وهذا من أعظم الأدلة التي حاجّ بها ابن الجوزي عقول الملحدين المعاندين.

وهذه بعض أقواله الجامعة في ذلك: «لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل، ولم يمتنع أحدٌ من إثبات وجودهما»(٢).

وقال أيضًا: «من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه هذه النفس الناطقة المميزة المحركة للبدن على مقتضى إرادتها، فقد دبّرت مصالحها، وترقت إلى معرفة الأفلاك، واكتسبت ما أمكن تحصيله من العلوم.. فلم يحجبها سترٌ وإن تكاثف، ولا يُعرف مع هذا ماهيتها، ولا كيفيتها، ولا جوهرها، ولا محلها.. وهذا كله يوجب عليها أن لها مدبِّرًا وخالقًا، وكفى بذلك دليلًا عليه! إذ لو كانت وُجدت بها لما خفيت أحوالها عليها، فسبحانه سبحانه!»(٣).

خامسًا: دليل حلول الحوادث:

استدل ابن الجوزي رحمه الله للمرة الوحيدة - فيما وقفتُ عليه - بهذا الدليل الكلامي على وجود الخالق تعالى، وقد علَّقتُ على هذا في موطنه، وبيّنتُ حقيقة

---

(١) زاد المسير (٨/ ٣٣).

(٢) انظر (ص ١٦٦).

(٣) صيد الخاطر (ص٣٤٠- ٣٤١).

هذا الدليل وما يترتّب عليه عند أهل الكلام[١]، غير أن ابن الجوزي قد خالف المتكلمين - كما قدّمتُ سابقًا- في الاستدلال به، فلم يتماد في ذكر لوازمه الباطلة: من نفي الصفات عن المولى تعالى ذكره، ومن نفي قدرته تعالى على الفعل.. في تفاصيل خطيرة، بل اختصره فقال: «ومن الأدلة القطيعة على وجوده: أن العالم حادث، بدليل أنّه لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث، ولابدّ لحدوث هذا الحادث من سبب وهو الخالق سبحانه»[٢].

وهذه طريقة ابن عقيل فيما ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية[٣].

المطلب الثاني: توحيد الألوهية:

لا شكَّ أن اعتناء الإمام ابن الجوزي بعلوم الكتاب والسُّنة والتصنيف فيها قد ترك أثرًا قويًّا لديه من حيث الاعتقاد والتمسك بمقتضى تلك العلوم، فوجدته موافقًا للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح فيما وقفتُ عليه من موضوعات هذا التوحيد، عدا كلامه في موضوع التبرك كما سيأتي.

وسأورد بعض ما وقفتُ عليه من كلامه وتحريراته في ذلك الخصوص:

أولًا: استحقاق الربّ جلّ وعلا للعبادة وحده، دون سواه؛ لكونه خالقًا:

فالذي يَخلق هو الذي يُعبد، قال ابن الجوزي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]: «أي: لم نخلق ذلك عبثًا، إنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا؛ ليعتبر الناس بخلقه، فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه...»[٤].

(١) انظر (ص ١٦٧).
(٢) انظر (ص ١٦٧).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ١٦٠).
(٤) زاد المسير (٥/ ٣٤٣).

ثانيًا: استحقاق الربّ جل وعلا للعبادة وحده، دون سواه؛ لكونه رازقًا:

قال رحمه الله في تفسير قول الله جلّ وعلا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]: «إنما أُمر أن يسأل الكفار عن هذا احتجاجًا عليهم بأن الذي يرزق هو المستحق للعبادة، وهم لا يثبتون رازقًا سواه؛ ولهذا قيل له: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ لأنهم لا يجيبون بغير هذا»[(١)].

ثالثًا: عدم جواز اتخاذ معبود غير الله:

قال في معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤]: «المعنى: هذا القرآن وهذه الكتب التي أُنزلت قبله، فانظروا هل في واحدٍ منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه؟! فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمرُ به»[(٢)].

كما تكلم الإمام ابن الجوزي رحمه الله في بعض التفاصيل المتعلقة بتوحيد العبادة، ومن ذلك:

١ - النهي عن تعظيم القبور، والصلاة عندها:

ففتنة القبور من أعظم ما كاد به إبليسُ بني آدم؛ إذ سوّل لهم الغلوّ في القبور بدعاء الموتى، والطواف حول قبورهم، فهوَوْا في دركات الشرك؛ ولهذا لَعن رسول الله ﷺ وهو في نزعات الموت - بأبي هو وأمّي! - اليهود والنصارى[(٣)]؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، والغاية من ذلك هي: التحذير من صنيعهم.

---

(١) زاد المسير (٦/ ٤٥٤).

(٢) زاد المسير (٥/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة (١/ ٥٣٢) برقم (٤٣٥ - ٤٣٦)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٧٧) برقم (٥٣١) من حديث عائشة وابن عباس.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وأمّا نهيُه عن اتخاذ القبور مساجد فلئلا تُعظَّم؛ لأن الصلاة عند الشيء تعظيم له، وقد أغرب أهل زماننا بالصلوات عند قبر معروف[١] وغيره؛ وذلك لغلبة الجهل وملكة العادات»[٢].

وقال رحمه الله: «أصل عبادة الأوثان والأصنام من تعظيم قبور الأولياء والصالحين؛ ولهذا نهى الشارع ﷺ عن تعظيم القبور والصلاة عندها والعكوف عليها؛ فإن ذلك هو الذي أوقع الأمم الماضية في الشرك الأكبر.

ولهذا نجد أيضًا في هذا الزمان أقوامًا من الضُّلال الذين استحوذ عليهم الشيطان يتضرعون عند القبور، وعند سماع ذكر مشايخهم ويخشعون عندها، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد ولا في السَّحَر، ومنهم من يسجد للقبر، فهذا هو الشرك بالله نعوذ بالله!»[٣].

٢- منع الحلف بغير الله:

علّل ابن الجوزي رحمه الله النهي عن الحلف بغير الله لما فيه من تعظيم لذلك الشيء المحلوف به، فقال في معرض تعليقه على قول النبي ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»[٤]: «كان من عادة العرب أن يحلفوا بآبائهم. والحلف بالشيء تعظيم له، فنهى رسول الله عن تعظيم غير الله بالقسم به»[٥].

٣- النهي عن سبّ الدهر:

بيَّن ابن الجوزي رحمه الله أن العرب كانوا إذا أصابتهم مصيبة يسبّون الدهر، وينسبون ذلك إليه، ويرونه الفاعلَ لتلك الأشياء، ولا يرونها من قضاء الله عز وجل.

---

(١) أي: الكرخي.
(٢) كشف المشكل (٢٠/ ٥٠). انظر المصدر نفسه (٣/ ٣٣٤).
(٣) تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر لابن الجوزي (مخطوط) (ق٤).
(٤) البخاري (١١/ ٥٣٠ رقم ٦٦٤٧)، ومسلم (٣/ ١٢٦٦ رقم ١٦٤٦).
(٥) كشف المشكل (١/ ٥١).

وقال في معنى حديث: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»[(١)]، أي: هو الذي يصيبكم بهذه المصائب، فإذا سببتم فاعلها فكأنكم قصدتم الخالق»[(٢)].

٤- النهي عن قول: مُطرنا بنوء كذا:

نقل أقوال العلماء في الأنواء وهي النجوم، وأن العرب كانت تنسب كل غيث يكون بعد طلوع نجم وسقوط آخر إلى ذلك النجم الساقط، فيقولون: مُطرنا بنوء كذا. ولا شك أن هذا شرك عظيم بربّ العالمين.

ثم بيَّن الضابط الصحيح في ذلك فقال: «ومن لم يكن اعتقاده أن الكوكب يفعل لم يضرّه هذا القول. وقد أجاز العلماء أن يُقال: مُطرنا في نوء كذا، ولا يقال: بنوء كذا»[(٣)].

٥- النهي عن التطيّر:

عرّف التطيّر بقوله: «الطيرة: من التطيّر، وهو التشاؤم بالشيء تراه أو تسمعه وتتوهّم وقوع المكروه به»[(٤)].

وعلّل نفي النبي ﷺ للعَدْوى بقوله: «**لا عدوى**» بأنه إنّما أراد إضافة الأشياء إلى القدر؛ لئلا يقف الإنسان مع السبب وينسى المسبِّب، والله تعالى قد يعمل الأسباب وقد يبطلها؛ فأراد النبي ﷺ إضافة الواقعات من الضرر والنفع إلى الله ﷻ[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٧٦٢ رقم ٢٢٤٦).

(٢) كشف المشكل (٣/ ٣٤٦ - ٣٤٧). وانظر في هذا الموضوع: صيد الخاطر (ص٥٠٣ - ٥٠٤).

(٣) كشف المشكل (٢/ ٢٦٢).

(٤) كشف المشكل (٢/ ٤٧٢). وانظر: (١/ ٤٨٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢/ ٤٧١ - ٤٧٢)؛ (٢/ ٢٦٨)؛ (٤/ ٣٧٦ - ٣٧٧).

أخطاء الشيخ في هذا النوع من التوحيد:

مرَّ فيما سبق نهي ابن الجوزي رحمه الله عن تعظيم القبور والصلاة عندها، وتحذيره من ذلك، إلا أنه أخطأ في بعض كتبه عندما ذكر شيئًا من التبرك غير المشروع، كالتبرك بقبور الصالحين، من ذلك:

١- ما نقله عن جعفر الخلدي دون أن يعلّق على ذلك النقل ويبيّن بطلانه، أنه قال: «كان بي جرب عظيم فتمسحت بتراب قبر الحسين، فغفوت فانتبهت وليس عليّ منه شيء. وزرت قبر الحسين فغفوت عند القبر غفوة، فرأيت كأن القبر قد شُقّ وخرج منه إنسان، فقلت: إلى أين يا ابن رسول الله؟ فقال: من يد هؤلاء»[١].

ومثل هذا الفعل إن كان عن اعتقاد البركة في تراب القبر فهو حرام ووسيلة إلى الشرك الأكبر، وإن كان عن اعتقاد أن الميت هو الذي يشفي فذلك شرك في الربوبية، ودعاؤه والاستغاثة به شرك في العبادة.

٢- قال في ترجمة أحمد القزويني: «كان من الأولياء المحدثين... وقبره ظاهر يتبرك به في الطريق إلى معروف الكرخي»[٢].

٣- ما أورده من قصص ومنامات في فضل قبور بعض الصالحين[٣].

وما أورده ابن الجوزي رحمه الله في التبرك بقبور الصالحين كله داخل في التبرك الممنوع الذي لا يجوز؛ لعدم وجود ما يدلّ على مشروعيته من الكتاب والسنة،

---

(١) المنتظم (٥/ ٣٤٦-٣٤٧).

(٢) المنتظم (١٧/ ١٥٦).

(٣) انظر: مناقب بغداد لابن الجوزي (ص٢٩)؛ مناقب الإمام أحمد (ص١٩٤)؛ بحر الدموع (ص٣٩)، المنتظم (٥/ ٣٤٦)، (١١/ ٢١١).

ولا فعَلَه أو أرشد إلى فعله أحد من الصحابة وتابعيهم بإحسان، أو أئمة الدين المتبوعين.

بل الوارد هو النهي الشديد عن ذلك، ومن ذلك قول النبي: «... **إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «لو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحًا لفعل ذلك المهاجرون والأنصار، وسنّوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه، ولا دعا به، ولا دعا عنده، ولا استشفى به، ولا استسقى به، ولا استنصر به. ومن المعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم على نقله بل على نقل ما دونه»(٢).

المطلب الثالث: عقيدته في صفات الله تعالى:

تردد موقف الإمام ابن الجوزي رحمه الله في مسألة صفات الربّ تعالى بين النفي والإثبات، فتارة يثبت الصفات على طريقة السَّلف، وتارة أخرى يجنح إلى التفويض، وتارة يميل إلى التأويل كما هو بارز في كتابه «دفع شبه التشبيه» الذي أوَّل فيه كثيرًا من نصوص الكتاب والسنة الواردة في صفات الله عز وجل.

وكان اضطرابه واختلاف أقواله في هذا الموضوع ناتجًا عن بعض القواعد المجانبة للصواب، والتي بنى عليها اعتقاده في الصفات الإلهية.

---

(١) أخرجه مسلم في المساجد (١/ ٣٧٧ رقم ٥٣٢).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣١٩). وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٨١).

ومن هذه القواعد ما يلي[١]:

١- تسميته لأخبار الصفات إضافات، وقرَّر أن «ليس كل مضاف صفة»[٢]، ثم حكم بأنه «قد ابتدع من سمى المضاف صفة»[٣].

ولا شكَّ في كون ابن الجوزي تأثر في هذا المصطلح بشيخه ابن عقيل؛ إذ هو الذي أُثر عنه استعمال هذا المصطلح اتّباعًا منه للمعتزلة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية، وينكر على من يسمّيها صفات، ويقول: إنما هي إضافات موافقة للمعتزلة، كما فعله في كتابه «ذم التشبيه وإثبات التنزيه» وغيره من كتبه، واتبعه على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «كف التشبيه بكف التنزيه»، وفي كتابه «منهاج الوصول»»[٤].

٢- أن آيات الصفات من المتشابه، فلا ظاهر لها يجب أن تحمل عليه، وقد استقر في ذهنه أن الظاهر هو المألوف عند الخلق فقال: «فهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال»[٥].

وهذا الرأي باطل؛ إذ مؤداه إلى القول بعدم الاستفادة من الكتاب والسنة شيئًا من العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من قال عن جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، وعن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين والجماعة:

(١) انظر: دفع شبهة التشبيه (ص١٠٤ - ١٠٧).
(٢) المصدر نفسه (ص١٠٤).
(٣) المصدر نفسه (ص١٠٤).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦٠).
(٥) دفع شبهة التشبيه (ص١٠٤).

إنهم كانوا لا يعرفون شيئًا من معاني هذه الآيات، بل استأثر الله بعلم معناها، كما استأثر بعلم وقت الساعة، وإنما كانوا يقرؤون ألفاظًا لا يفهمون لها معنى، كما يقرأ الإنسان كلامًا لا يفهم منه شيئًا؛ فقد كذب على القوم، والنقول المتواترة عنهم تدلّ على نقيض هذا، وأنهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن»[(١)].

وقال الشيخ الشنقيطي – صاحب أضواء البيان –: «آيات الصفات لا يطلق عليها اسم المتشابه...؛ لأن معناها معلوم في اللغة العربية وليس متشابهًا، ولكن كيفية اتصافه جلّ وعلا بها ليست معلومة للخلق، وإذا فسرنا المتشابه بأنه هو ما استأثر الله بعلمه دون خلقه، كانت كيفية الاتصاف داخلة فيه، لا نفس الصفة»[(٢)].

٣- استعمال التأويل؛ ظنًّا منه أنه أُثر عن الإمام أحمد.

٤- شبهة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم، وقد تأثر في هذا الجانب بما حدث من بعض مثبتة الصفات من غلوّ.

وهذه أيضًا شبهة باطلة ناتجة عن عدم تنزيه الله تعالى واعتقاد صفاته تجسيمًا وتشبيهًا بصفات المخلوقين.

لأن الله تعالى يُوصف بما وَصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ وصفًا حقيقيًّا تفصيليًّا، يليق بجلاله وعظمته، مع الاعتقاد الجازم بأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وهذا الاعتقاد لا يجاوز ما جاء في القرآن والسنة[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٢٥).

(٢) مذكرة في أصول الفقه (ص٦٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦)، ومنهج القرطبي في أصول الدين (وهي رسالتي للماجستير مطبوعة على الآلة) (١/ ١٢٧ – ٢٣٢).

هذه أهم القواعد التي - في رأيي - بنى عليها الإمام ابن الجوزي رحمه الله أقواله وآراءه في باب «صفات الله تعالى».

لكنه - كما أسلفت - لم يثبت على رأي واحدٍ، فقد كان أحيانًا يخفّف من التأويل إلى القول بالتفويض[١]؛ اعتقادًا منه أن ذلك الموقف هو الذي يقتضيه النصّ؛ أو هروبًا من التعطيل الذي كان لا يرتضيه، ويهاجم أصحاب ذلك المذهب الرديّ وعلى رأسهم الجهمية.

والخلاصة: أن ابن الجوزي رحمه الله لم يتمحّص ولم يثبت على قولٍ واحد، كما أن له كلامًا في تقرير عقيدة التوحيد في الأسماء والصفات موافقًا لما أُثر عن السَّلف، وهذا لا يمكن أن نتجاهله، أو نطّرحه بسبب ما ورد عنه من الأقوال المخالفة لذلك.

وأشدّد على أن سلوك الإمام ابن الجوزي رحمه الله هذا الاتجاه - أي: مسلك التأويل - ليس من مبدأ انتساب إلى فرقة مبتدعة، ولا استنادًا إلى حججهم العقلية والكلامية المستمدة من غير مناهج المسلمين؛ بل إنه أُتي من عدم كونه - في هذا الباب- على درجة كبيرة من التحقيق والنظر في كلام الطوائف المناوئة للسنة في باب «توحيد الأسماء والصفات» على وجه الخصوص.

ولهذا نجد له كلامًا في إثبات بعض الصفات يكون غاية في الصحة والصواب، بل قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن لابن الجوزي «من الكلام في الإثبات نظْمًا ونثرًا ما أثبت به كثيرًا من الصفات»[٢].

ولأهمية هذه المسألة ودحضًا لشبهات من يصف الشيخ رحمه الله بالتجهم، أو بمعاداة مذهب السَّلف والأئمة الأعلام، أرى لزامًا عليَّ أن أذكر جُمَلًا من كلام الشيخ رحمه الله في الإثبات والتنزيه وافق فيها منهجَ السَّلف:

---

(١) انظر: (ص ٢٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٦٩).

أولًا: بعض عباراته الجامعة:

- في تفسيره لمعنى «العرش» وعرضه لمختلف الآراء في معناه قال: «وإجماع السَّلف منعقد على ألّا يزيدوا على قراءة الآية، وقد شذّ قوم فقالوا: العرش بمعنى الـمُلك، وهو عدول عن الحقيقة إلى التجوّز مع مخالفة الأثر، ألم يسمعوا قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أفتراه كان الـمُلك على الماء؟!»[١].

«إذا أثبتنا ذاتًا قديمة خارجة عما يُعرف فليُعلم أن الصفات تابعة لتلك الذات، فلا يجوز لنا أن نقيس شيئًا منها على ما نفعله ونفهمه، بل نؤمن به ونسلّمه»[٢].

وكلام الشيخ رحمه الله هنا منسجم تمامًا مع قاعدة: «القول في الصفات كالقول في الذات»[٣].

- وقال عند حديثه عن صفة «الإصبع» لله تعالى: «ومذهب علماء السّلف السكوت عن مثل هذا الحديث، وأن يُمرّ على ما جاء من غير تشبيه ولا تأويل»[٤].
تأويل»[٤].

- وقال: «وأخبار الصفات تُمرّ كما جاءت»[٥].

- وقال: «فإن قيل: عبت طريق المقلدين في الأصول وطريقة المتكلمين، فما الطريق السليم من تلبيس إبليس؟ فالجواب: أنه ما كان عليه رسول الله ﷺ

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢١٣).

(٢) صيد الخاطر (ص٤٢٤).

(٣) التدمرية لابن تيمية (ص٤٣).

(٤) كشف المشكل (١/ ٢٧٠).

(٥) كتاب القصّاص (ص٣٦٧).

وأصحابه وتابعوهم بإحسان، من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار، من غير تنقير ولا بحث عما ليس في قوى البشر إدراكه»(١).

- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]: «تأكيد ﴿كلّم﴾ بالمصدر يدلّ على أنه سمع كلام الله حقيقة». ثم ذكر من طريق ثعلب قوله: «لولا أن الله تعالى أكّد الفعل بالمصدر لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمتُ لك فلانًا، بمعنى: كتبت إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولا، فلما قال: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ لم يكن إلا كلامًا مسموعًا من الله»(٢).

- ومما نظمه في صفات الله تعالى على طريقة السلف، قصديته الدالية في السنة. ومما جاء فيها:

قوله:

صفاتُه كذاتِه قديمةٌ ** سبحانه من ملك جواد

وقوله:

وهو على العرش كذا أخبرنا ** وكرر القول على العباد

نزوله إلى السماء ثابت في ** الليل فاهجر لذة الرقاد

وقوله:

كلامه صوت وحرف وبه ** نادى الكليم جلّ من منادي

وقوله:

---

(١) انظر: (ص ٢٧١).

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٥٦).

واتبع مقال السلف الذين ما ** زادوا ولا قالوا برأي بادي[١]

وقال عن صفة «الحياء»: «صفات الحق ﷻ لا يُطَّلع لها على ماهية، وإنَّما تمر كما جاءت»[٢].

ثانيًا: بعض تحريراته ومناقشاته:

١- ناقش ابن الجوزي رحمه الله وردّ على من فسَّر الاستواء بأنه الاستيلاء، فقال: «وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى، ويحتج بقول الشاعر:

حتى استوى بشرٌ على العراق ** من غير سيف ودمٍ مُهراق[٣]

وبقول الشاعر:

هما استويا بفضلهما جميعا ** على عرش الملوك بغير زور

وهذا مُنكر عند اللغويين، قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال: استولى فلان على كذا، إذا كان بعيدًا منه غير متمكّن منه ثمَّ تمكَّن منه؛ والله ﷻ لم يزل مُستوليًا على الأشياء، والبيتان لا يُعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحَّا فلا حجة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستوليًا، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة!»[٤].

---

(١) الدالية في السنة لابن الجوزي (مخطوط) (ق١/ أ،ب، ق٢/ أ).

(٢) زاد المسير (١/ ٥٤).

(٣) انظر: لسان العرب (سوى) (١٤/ ٤١٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٨٥)، وهذا البيت لم ينسب لقائل معين، بل قال فيه شيخ الإسلام: «لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة». مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦). وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٨٨).

(٤) زاد المسير (٣/ ٢١٣). وانظر: مختصر الصواعق (ص٣٨٨).

٢- كما أجاد رحمه الله في تحرير مسألة رؤية الله عز وجل يوم القيامة بالأبصار، ومما قاله بهذا الخصوص:

- «رؤية الله عز وجل حقٌّ لا شكَّ فيه. والأحاديث فيها صحاح»(١).

- وفي تفسير قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: «تعلّق بها نفاة الرؤية وقالوا: ﴿لَن﴾ لنفي الأبد، وذلك غلط؛ لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنّيه في النار بقوله: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية؛ لأن موسى مع علمه بالله تعالى سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك؛ لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة، وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: (لا أُرى)، ألا ترى أن نوحًا لما قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]. ومما يدلّ على جواز الرؤية أنه علّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدلّ على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علّقه بمستحيل، فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]»(٢).

٣- وفي مناقشته للمعتزلة في تفسيرهم لصفة «اليد» في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بأنها القدرة، قال: «وقول المعتزلة: إن المرد باليد القدرة، باطل؛ لأنّه يؤدي إلى أن تكون للحق سبحانه قدرتان، فإنه قال بيديه.

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٤٢٢ – ٤٢٣). وانظر: (٣/ ٩٨ – ٩٩) من المصدر نفسه.

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٥٦).

وأجمع المسلمون قاطبة أنه لا يجوز أن تكون لله قدرتان... وكذلك لا يجوز أن يُقال: إن الحق تعالى خلقه بنعمتين؛ لأن النعمة مخلوقة...»[١].

ولعلّ في هذا القدر كفاية للدلالة على المقصود من هذا المبحث.

المبحث الثالث: عقيدته في الإيمان

للإمام ابن الجوزي رحمه الله إشارات إلى مسائل تتعلق بمباحث الإيمان، سأذكر ما وقفتُ عليه من ذلك:

المطلب الأول: مسائل في الإيمان:

١ - تعريف الإيمان لغة واصطلاحًا، ودخول الأعمال في مسمّى الإيمان:

قال في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]: «الإيمان في اللغة: التصديق. والشرع أقرّه على ذلك، وزاد فيه القول والعمل»[٢].

وبعد نقله لقول ابن قتيبة وابن خزيمة في معنى «الإيمان» في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] وأن المراد به: «شرائع الإيمان ومعالمه، وهي كلها إيمان؛ وقد سمّى الصلاة إيمانًا بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣][٣] قال: «والقول ما اختاره ابن قتيبة وابن خزيمة»[٤].

٢ - زيادة الإيمان ونقصانه:

قال في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]: «لأنهم إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها زادتهم إيمانًا»[٥].

---

(١) مجالس ابن الجوزي (مخطوط) ق١/ ب).
(٢) زاد المسير (١/ ٢٤).
(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٩٨).
(٤) انظر: (١/ ١٥٥ - ١٥٦) من المصدر نفسه.
(٥) زاد المسير (٣/ ٥١٨ - ٥١٩).

٣- من أهل الكبائر من يدخل النار لكن لا يخلد فيها:

فقد عاب على المرجئة قولهم بأن من أقرّ بالشهادتين وأتى بجميع المعاصي لم يدخل النار أصلًا، وعقّب على قولهم بقوله: «وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحّدين من النار»(١). وفي هذا ردّ على المرجئة والوعيدية من الخوارج والمعتزلة.

المطلب الثاني: مسائل في الإيمان بالرسل:

١- دلائل النبوة:

قال ابن الجوزي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]: «أي في خبر يوسف وإخوته... ﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: عظة، ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين: أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده، فإن من فعل ذلك به قادرٌ على إعزاز محمد ﷺ وتعلية كلمته. والثاني: أنّ من تفكّر علم أن محمدًا ﷺ مع كونه أميًّا، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قِبل نفسه، فاستدلّ بذلك على صحة نبوته»(٢).

وقال أيضًا: «لما خصّهم - أي: الإنس والجنّ - بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٨٨] فلم يكن في وسعهم، عجّزهم، فكأنه يقول: قد أوضحت لكم بما سبق من الآيات ما يدلّ على نبوتي، ومن ذلك: التحدّي بمثل هذا القرآن...»(٣).

وتكلّم ابن الجوزي عن بعض أوجه الإعجاز في القرآن العظيم، وأنّه من أعظم الأدلة على صدق النبي ﷺ، وصحة نبوته، فقال: «ما تضمن من أخبار الأمم السَّالفة

---

(١) انظر (ص ٢٥٥). وانظر: كشف المشكل (٣/ ٤٥٣).
(٢) زاد المسير (٤/ ٢٩٧).
(٣) زاد المسير (٥/ ٨٨).

وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب، مع كون الآتي بها أميًّا لا يكتب ولا يقرأ ولا عُلم بمجالسة الأحبار ولا الكهّان، ومَن كان مِن العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأحبار لم يدرك ما أخبر به القرآن.. إخباره عن الغيوب المستقبلة الدالة على صدقه قطعًا لوقوعها على ما أخبر.. أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض»[١].

٢- التفضيل بين الأنبياء:

قد فضَّل الله تعالى بعض الأنبياء والرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ولهذا التفاضل أوجهٌ، قال ابن الجوزي: «وكذلك فضل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم، فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليمًا، وجعل عيسى روحًا، وأعطى سليمان ملكًا جسيمًا، ورفع محمدًا ﷺ فوق السماوات، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[٢].

وبيَّن في توجيه النبي الوارد في تفضيل بعض الأنبياء على بعض، كما جاء في قول الرسول ﷺ: «**لا يقولنّ أحدكم إني خيرٌ من يونس بن متّى**»[٣]؛ أنَّه خوف الانتقاص من قدر المفضول، ثم قال: «والمعنى: قولوا ما قيل لكم ولا تخيّروا برأيكم، وليس المراد ألا تعتقدوا تفضيل قوم على قوم، فقد قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]»[٤].

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى (١/ ٢٦٩ - ٢٧٠). وانظر: كلامًا رائعًا للمصنِّف في صيد الخاطر (ص٥١٧ - ٥١٨).
(٢) زاد المسير (٥/ ٤٨)، وانظر: مباحث المفاضلة في العقيدة، د. الشظيفي (ص١٢٠ - ١٣١).
(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٥٠ رقم ٣٤١٢).
(٤) كشف المشكل (٣/ ٤٦٦ - ٤٦٧).

٣- موت الخضر:

يرى ابن الجوزي رحمه الله أن الخضر العبد الصالح ميّت، وأنه «قد زعم قوم أن الخضر حيٌّ إلى الآن، واحتجوا بأحاديث لا تثبت، وحكايات عن أقوام – سليمي الصدور – ويقول أحدهم: لقيت الخضر»[١].

ثم سرد جملة من تلك الأحاديث وقال: «وكل هذه الأحاديث لا تثبت»[٢]، وعن تلك الحكايات قال معلقًا: «وربما ظهر الشيطان لشخص فكلمه، وربما قال بعض المتّهمين لبعض: أنا الخضر. وأعجب الأشياء أن يصدّق القائل أنا الخضر، وليس لنا فيه علامة نعرفه بها»[٣].

ومما نقله من كلام الحسين بن المنادي في مسألة حياة الخضر، قوله: «أين كان الخضر عند تبشير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالخلافة! وهذه الأخبار واهية الصدور والإعجاز لا تخلوا في حالها من أحد أمرين: أن تكون أُدخلت من حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالًا، وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على وجه التعجّب، فنسبت إليهم على وجه التحقيق.

وقال: والتخليد لا يكون لبشر لقول الله عز وجل لنبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ونقل قول إبراهيم الحربي وقد سُئل عن تعمير الخضر، فأنكر ذلك، وقال: هو متقادم الموت.

---

(١) المنتظم (١/ ٣٦١).
(٢) المنتظم (١/ ٣٦٣).
(٣) المنتظم (١/ ٣٦٣).

قال: وروجع غيره في تعميره، وأن طائفة من أهل زماننا يرونه ويروون عنه، فقال: من أحال على غائب حيّ أو مفقود ميت لم يُنْتَصف منه، وما ألقى ذكر هذا بين الناس إلا الشيطان...»[١].

ولابن الجوزي رحمه الله كتاب حول الخضر، سمّاه: «عجالة المنتظم بشرح حال الخضر»، قال عنه: «ذكرتُ فيه هذه الأحاديث والحكايات ونظائرها وبيّنتُ خطأها»[٢].

المطلب الثالث: مسائل في الإيمان باليوم الآخر:

١- عذاب القبر: دليله وحكم الإيمان به:

عند تعليق ابن الجوزي رحمه الله على حديث أبي أيوب الأنصاري أنه: «خرج رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس، فسمع صوتًا فقال: **يهود تعذّب في قبورها**»[٣] قال: «قد دلّ هذا الحديث على عذاب القبر، واعلم أن الإيمان بعذاب القبر واجب؛ للأحاديث الواردة فيه»[٤].

وقال أيضًا: «قد أشكل على الناس أمر النفس وماهيتها، مع إجماعهم على وجودها... ثم أشكل عليهم مصيرها بعد الموت، ومذهب أهل الحق أن لها وجودًا بعد موتها، وأنها تنعم وتعذب»[٥].

٢- أشراط الساعة:

---

(١) المنتظم (١/ ٣٦٣ - ٣٦٤).
(٢) المنتظم (١/ ٣٦٣).
(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٤١ رقم ١٣٧٥)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩ رقم ٢٨٦٩).
(٤) كشف المشكل (٢/ ٨٤).
(٥) صيد الخاطر (ص٧٤). وانظر: من المصدر نفسه (ص٧٥).

خروج الدابّة: قال عنها: «هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، وهي دابّةٌ تخرج في آخر الزمان، تكلم الإنس، وتنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فيسودّ وجهه، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه، فيعرف المؤمن من الكافر[١]، وإنما تخرج هذه الدابّة لعقوبة الكفّار وفضيحتهم؛ فإنهم رأوا من الآيات ما يشفي ويكفي فلم ينتفعوا بما رأوا، فخرجوا بالإعراض عن فهم الدليل عن حيّز الآدمية إلى حيّز الحيوان البهيم، فأُخرجت لعقوبتهم دابّة»[٢].

٣- طلوع الشمس من مغربها:

وقال عن هذه الآية العظيمة: «طلوع الشمس من مغربها آية تعم الكلّ، وتدلّ على الصانع المقلّب للأشياء، وقد سبق الوعد بذلك في القرآن، فإذا اضطرّهم ذلك إلى التصديق لم يُقبلْ إيمانُ من يؤمن حينئذ. ولقد زعم الملحدون وأهل النجوم أن ذلك لا يكون، فَيُبيّن كذبهم، ويظهر القدرة على ما طلبه الخليل من نمرود بقوله: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]»[٣].

المطلب الرابع: مسائل في الإيمان بالقدر:

١- الإيمان بالقدر:

بوَّب ابن الجوزي في كتابه «الحدائق في علم الحديث والزهديات»[٤] بابًا ترجمه بقوله: «باب الإيمان بالقدر»، وسرد تحته الأحاديث الدالة على ذلك.

٢- الفرق بين الإرادة والمحبة:

---

(١) ذكر المصنّف هذا بناءً على ما رواه الطبري في تفسيره من حديث ابن عمر موقوفًا (٢٠/ ١٥).
(٢) كشف المشكل (٣/ ٤٧٦). وقد فصّل القول فيها في تفسيره (٦/ ١٩٠ - ١٩٣).
(٣) كشف المشكل (٣/ ٤٧٦).
(٤) (٣/ ٥٤٩).

قال في التفسير: «الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يتناول المرّ ويريد ربط الجرح ولا يحب شيئًا من ذلك، وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة بطل ادعاؤهم التساوي بينهما، وهذا جواب معتمد»[١].

٣- خلق أفعال العباد:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥ - ٩٦] بعد أن نقل كلام الطبري في معنى ﴿ما﴾: «وفي هذه الآية دليلٌ على أن أفعال العباد مخلوقة لله»[٢].

٤- الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

قال في التفسير: «قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] أي: إذا لزمتهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه لحال بيننا وبينه... فقال لهم: لِـمَ تقولون عن مخالفيكم إنهم ضالّون؟! وإنما هم على المشيئة أيضًا، فلا حجة لهم؛ لأنهم تعلّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلّل بالمشيئة بعد ورود الأمر»[٣].

---

(١) زاد المسير (١/ ٢٢٢). وانظر: (٧/ ١٦٤).
(٢) زاد المسير (٧/ ٧٠).
(٣) زاد المسير (٣/ ١٤٥). وانظر: (ص ٢١١).

المبحث الرابع: موقفه من الفرق

اهتم الإمام ابن الجوزي رحمه الله بآراء الفرق المخالفة للإسلام، سواء المنتسبة إليه أو الخارجة عنه بالكلية. فاطلع على آرائها وناقشها، وردّ عليها وفندها. وقد ظهر هذا جليًّا هنا في كتاب «تلبيس إبليس»، وسأركز في عرضها على ما تناوله ابن الجوزي بالردّ والمناقشة؛ لنطلع على جانب من جهود الشيخ رحمه الله في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ودحض الشبهات التي أثيرت حولها، سواء من قِبل النحل الكافرة، أو الفِرق المبتدعة.

المطلب الأول: الملل والنحل الخارجة عن الإسلام:

١ - السوفسطائية[١]:

عرض لآرائهم وردّ عليها بأقوال العلماء، وكان في مناقشته متهكمًا بهم؛ لمخالفتهم أدنى قضايا العقول السليمة.

٢ - الدهرية[٢]:

عرّف مقالتهم المادية الصرفة، وعابهم في تركهم استعمال العقل في معرفة الخالق، ثم عرض لأدلة الخلق المنصوبة الدالة على وجود الخالق المدبّر ردًّا عليهم ودحضًا لآرائهم.

٣ - الطبائعيون[٣]:

وهم القائلون بأن الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون بما فيه، وذلك باجتماع الطبائع الأربع... وبهذا الدليل الذي زعموه أبطل ابن الجوزي نظريتهم

---

(١) انظر: (ص ١٥٩).

(٢) انظر: (ص ١٦٥).

(٣) انظر: (ص ١٦٨)، وزاد المسير (٤/ ٣٠٣).

المتهافتة بكون امتزاج الطبائع واجتماعها دليلًا على أنها مقهورة، كما استدل على عجز الطبيعة عن الخلق، بكون هذا الأخير في منتهى الدقة التي لا تصدر إلا عن حكيم خبير، وهم قد سلّموا بأن الطبيعة ليست حية ولا عالمة ولا قادرة.

٤- الثنوية[١]:

ذكر مختلف آرائهم الناتجة عن شبهة أن الشيئين المتضادين لا يمكن أن يصدرا من أصل واحد، فقالوا بالأصلَيْنِ! وقد ردّ عليهم بدليل التمانع الذي يستحيل معه وجود إلهين.

٥- الفلاسفة وتابعوهم[٢]:

فبيَّن آفتهم وهي: الاعتماد على العقول، ودعوى الاستغناء عن الأنبياء، ثم فَصَّل القول في مختلف آرائهم، ودخل معهم في مناقشات، وردّ على أكثر ما أورده من مقالاتهم، وأعرض عن بعضها لتهافتها في نفسها.

وممن ردّ عليهم ابن الجوزي في هذا الباب: أتباع الفلاسفة ممن انتسب إلى الإسلام لكن رفض شرعه، وأهمل الصلاة، ولابس المحظورات، حتى صار اليهود والنصارى أعذر منهم؛ لأنهم متمسكون بشرائع دلت عليها معجزات، وصار المبتدعة في الدين أعذر منهم؛ لأنهم يدّعون النظر في الأدلّة، أما أولئك المتفلسفة فلا مستند لكفرهم إلا اغترارهم بحكمة الفلاسفة، وختم كلامه بذكر ما آل إليه حال أولئك المتفلسفة من تحيّر وتخبط وشكّ.

---

(١) انظر: (ص ١٧٠).

(٢) انظر: (ص ١٧٤).

٦- البراهمة[١]:

ركَّز على ذكر شبهاتهم في إنكار النبوات، فعرضها شبهة شبهة، وردّ عليها جميعًا بالمنقول والمعقول.

٧- اليهود والنصارى[٢]:

عدد بعض فرقهم مع ذكر آراء كلٍّ منها، وكان - على عادته - يناقشهم ويردّ عليهم، وتكلّم في خصائص الأنبياء ودلائل نبوتهم بما يهدم مزاعم اليهود والنصارى وافتراءهم على الأنبياء.

المطلب الثاني: الفرق المنتسبة للإسلام وليست منه:

١- الباطنية[٣]:

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن هذه الطائفة الخبيثة بإسهاب كبير، وبيَّن بعض أسرارها، وكشف حقيقة مذهبهم، وأنهم قومٌ تستّروا بالإسلام ومالوا إلى الرّفض، كما بيَّن إلحادهم، وأن محصول قولهم هو: تعطيل الباري تعالى، وإبطال النبوات والعبادات، وإنكار البعث.

وقد ذكر مختلف أسمائهم وألقابهم التي تلقبوا بها حتى يكشف أمرهم ويهتك أستارهم، كما فضح أساليبهم في الدعوة إلى مذهبهم.

٢- الملحدون والزنادقة[٤]:

وقد ركَّز في هذا على ابن الراوندي وتطوله على كتاب الله تعالى، وردّ عليه وسفّه رأيه بكلامه وكلام شيخه ابن عقيل.

---

(١) انظر: (ص ٢١١).

(٢) انظر: (ص ٢٢٣، ٢٢٨).

(٣) انظر: (ص ٣٠١)؛ والمنتظم (١٢/ وما بعدها)؛ والوفا بأحوال المصطفى (١/ ٣٥٠).

(٤) انظر: (ص ٢٧٣ - ٢٨٧)، والمنتظم (٨/ ٢٩)، (١٣/ ١٠٨ وما بعدها)، (١٦/ ٢٣ وما بعدها).

كما تصدّى لزندقة أبي العلاء المعرّي وفضحه، وبيَّن زندقته وكفره بالبعث وتنقّصه من الأنبياء.

المطلب الثالث: الفِرق الإسلامية:

١- الخوارج[١]:

فقد كانوا من أكثر الفرق التي اهتم ابن الجوزي رحمه الله ببيان فساد منهجهم في الاستدلال والاعتقاد، كما أكثر من ذكر أخبارهم، وبيَّن أصل ضلالهم وهو: ردّهم للسنة وارتضاؤهم برأيهم. كما فعل ذو الخويصرة، ثم أشار رحمه الله إلى المنهج الصحيح بقوله: «لو أن هذا الرجل - أي: ذا الخويصرة - وُفّق لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ»[٢].

٢- الرافضة[٣]:

يرى ابن الجوزي رحمه الله أن مذهب الرافضة يقوم على الطعن في أصل الدين والنبوة، وأثبت ذلك من كلام شيخه ابن عقيل[٤]، وقال عنهم: «والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بسب الصحابة، ويسرّون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة»[٥].

وكان رحمه الله في ترجمته لبعضهم يقول عنه: «كان رافضيًّا رديء المذهب»[٦].

---

(١) انظر: (ص ٢٧٣)، والمنتظم (٥/ ١٢٣)، (٦/ ١٦٦، ١٩٣).

(٢) كشف المشكل (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: (ص ٢٨٧).

(٤) انظر: (ص ٢٩٤).

(٥) المنتظم (١٥/ ١٩٥).

(٦) المنتظم (١٥/ ٨٦).

ومن كلامه الدال على بغضهم ما عبّر به في مواضع من كتابه «المنتظم»، ومنها:

- يذكر أن في سنة (٥٦٧هـ) تُرك الدعاء للعبيديين، فقال: «وانكمد الروافض»[١].

- كما يذكر ما حدث معه سنة (٥٧١هـ) فقال: «وكان الرفض في هذه الأيام قد كثر، فكتب صاحب المخزن إلى أمير المؤمنين: إن لم تقوِّ يدي ابن الجوزي لم تطق على دفع البدع. فكتب أمير المؤمنين بتقوية يدي، فأخبرت الناس بذلك على المنبر وقلت: إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد بلغه كثرة الرفض، وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فأخبروني حتى أنقض داره وأخلّده في الحبس، وإن كان من الوعاظ حدرته المشان[٢]؛ فانكفّ الناس»[٣].

- وذكر من حوادث سنة (٥٧٤هـ) ما جرى لرجل رافضي من قطع لسانه بعدما عُرف بسبّ الصحابة، ثم قتله، فقال ابن الجوزي معقبًا: «ثم روّع جماعة من الروافض، فجعلوا يحرقون كتبًا عندهم من غير أن يطلع عليها مخافة؛ أن يُنمّ عليهم، وخمدت جمرتهم بمرّة، وصاروا أذل من اليهود»[٤].

٣- المعتزلة:

- ذكر من فضائل الخليفة القادر بالله أنه عمل كتابًا طويلًا يتضمّن الوعظ وتفضيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة، وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي ﷺ والصحابة... والطعن على من يقول بخلق القرآن وتفسيقه[٥].

(١) المنتظم (١٠/ ٢٣٧).
(٢) يقال مشنه بالسوط مشنًا أي ضربه به. وحدر الجلد ورم وغلظ من الضرب. فيكون المعنى: أضربه بالسوط حتى يتورّم جلده. انظر: القاموس المحيط (حدر)، والمعجم الوسيط (ص٨٧٢).
(٣) المنتظم (١٠/ ٢٥٩).
(٤) المنتظم (١٨/ ٢٥١).
(٥) انظر: المنتظم (١٥/ ١٩٦ - ١٩٩).

- وذكر في حوادث سنة (٤٠٨هـ) أن القادر بالله استتاب المعتزلة فقال: «في سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة الحنفية، فأظهروا الرجوع، وتبرأوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام»(١).

- وقال عن أبي الهذيل العلّاف شيخ المعتزلة: «كان فاسقًا في باب الدين»(٢).

٤- الأشاعرة:

بعد تتبعي لتراجم بعض الأشاعرة في كتاب «المنتظم» تبيّن لي أن ابن الجوزي لا يرتضي هذا المذهب بل يعيبه، ويراه مما يشين مُعتقِدَه.

- ففي ترجمة أبي الحسن الأشعري قال: «تشاغل بالكلام، وكان على مذهب المعتزلة زمانًا طويلًا، ثم عنَّ له مخالفتهم وأظهر مقالة خبطت عقائد الناس، وأوجبت الفتن المتصلة... ثم تبع قومٌ من السلاطين مذهبه فتعصبوا له، وكثر أتباعه حتى تركت الشافعية معتقد الشافعي ﷺ، ودانوا بقول الأشعري»(٣).

- وفي ترجمة الباقلاني ذكر سماعه للحديث وبعض شيوخه، ثم قال: «إلا أنه كان متكلمًا على مذهب الأشعري»(٤).

- وقال عن أبي نعيم الأصبهاني والخطيب البغدادي: «كان يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة، وما يليق هذا بأصحاب الحديث؛ لأن الحديث جاء في ذم الكلام»(٥).

---

(١) المنتظم (١٥/ ١٢٥).
(٢) المنتظم (١١/ ٢٣٤).
(٣) درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم (ص٤٥ - ٤٦). وانظر: صيد الخاطر (ص٣٠٢).
(٤) المنتظم (١٥/ ٩٦).
(٥) المنتظم (١٦/ ١٣٤).

- وقال: «غير أن الخطيب يبهرج بعصبية باردة في ذم أصحابنا، وإذا ذكر المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم فخمّ أمرهم، وذكر من فضائلهم ما يقارب الاستحالة»[(١)].

- وقال عن القشيري: «اختلف إلى أبي بكر بن فورك فأخذ عنه الكلام، وصار رأسًا في الأشاعرة»[(٢)].

- وفي ترجمة محمد بن أحمد السمناني قال: «... وكان عالـمًا فاضلًا سخيًّا، لكنه كان يعتقد في الأصول مذهب الأشعري»[(٣)].

٥- الصوفية:

لا شكَّ أن ابن الجوزي رحمه الله يُعدّ من أقدم وأشهر نُقّاد مذهب التصوف، وكتابه «تلبيس إبليس» خير شاهد على ذلك؛ إذ خصّص أكثر من نصف الكتاب لنقد هذا المذهب المبتدع، كما لم تخل بعض كتبه الأخرى من ذكر لذلك المذهب.

وقد سار في نقد هذه الطائفة على النحو التالي:

- ذكر نسبة الصوفية.

- التركيز على الفرق بين الزهد الشرعي وبين التصوف وغلوه.

- ذكر ما آل إليه التصوف من العقائد المنحرفة الإلحادية، كالقول بالحلول والاتحاد.

- نقد مسالك الصوفية في ترك كثير من الواجبات والمباحات تزهّدًا، فتركوا العلم ونفّروا عنه، وتركوا الجماعات في المساجد، إذ استبدلوا المساجد بالأربطة التي كانت مرتعًا للبطالة والكسل، كما تركوا النكاح، ولبسوا المرقعات...

- نقد انحرافهم في عقيدة التوكل؛ إذ فهموها على أنها ترك الأسباب بالكلية.

---

(١) درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم (ص٤٥ - ٤٦). وانظر: صيد الخاطر (ص٣٠٢).
(٢) المنتظم (١٦/ ١٤٨).
(٣) المنتظم (١٥/ ٣٣٨).

وغير هذا كثير، ويكفي في معرفة موقف ابن الجوزي رحمه الله من التصوف: أنه تصدى لهذا المذهب وهو في أوج قوّته وانتشاره في بغداد خاصة.

كما انتقد أشهر المؤلفين المتصوفة وأهم مؤلفاتهم[١]؛ ومنها: اللمع للطوسي، والرسالة للقشيري، وقوت القلوب للمكي، وإحياء علوم الدين للغزالي، والحلية لأبي نُعيم، والصفوة للمقدسي.

وختامًا لعلّي أكون بهذا العرض قد قدّمت صورة واضحة لمعتقد الإمام ابن الجوزي رحمه الله الذي حرص فيه على الالتزام بنصوص الكتاب والسنة، وما وقع فيه من خطأ كما في باب صفات الله تعالى ومسألة التبرك بالقبور، فقد بينتُ خطأه والأسباب التي أوقعته في ذلك، كما نقلت بعض أقوال أهل العلم في الردّ عليه.

وفي أمثال ابن الجوزي رحمه الله يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «من يعلم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلّة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتّبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين»[٢].

ويقول الإمام الذهبي رحمه الله: «إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعُلم تحرّيه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه؛ يغفر زلـله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[٣].

---

(١) انظر: (ص ٤١٦).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٢٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٩).

الفصل الثالث: التعريف بالكتاب

المبحث الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

المطلب الأول: اسم الكتاب

والذي يظهر من خلال تتبع من ذكر في كتابنا هذا، ومن خلال النسخ المعتمدة في التحقيق أن اسمه هو «تلبيس إبليس»[(١)]؛ لأمور، منها:

١- أن المؤلف نفسه صرّح بما ذكرناه من اسمه في مقدمته للكتاب.

٢- أن هذا الاسم - وهو «تلبيس إبليس» - جاء مثبتًا على طرة النسخ التي اعتمدتها في التحقيق[(٢)].

٣- أن غالب من ترجم لابن الجوزي رحمه الله اتفقوا على هذه التسمية، وفيهم من هو أعرف الناس بالمصنف ومؤلفاته، كسبطه أبي المظفر في مرآة الزمان[(٣)]، وتلميذه ابن الدبيثي[(٤)]، وغيرهما.

المطلب الثاني: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف

لا يتطرق أدنى شك أن هذا الكتاب «تلبيس إبليس» من تأليف الحافظ أبي الفرج بن الجوزي، ويدل على ذلك عدة أمور، منها:

١- ذكر ابن الجوزي عددًا من مؤلفاته في كتابه «تلبيس إبليس»، مثل: «المنتظم»، و«كتاب القصاص والمذكرين»، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«ذم

---

(١) جاء بعض نسخ الكتاب المختصرة تسميته بـ«كشف تلبيس إبليس»، أو «الناموس في تلبيس إبليس»، أو «كشف الناموس»، ولم أجد لهذه التسميات ذكرًا في كتب ابن الجوزي، ولا من ترجم له من المتقدمين.

(٢) سيأتي الكلام عليها عند وصف النسخ المعتمدة في التحقيق.

(٣) (٨/ ٤٨٤).

(٤) كما في المختصر المحتاج إليه للذهبي (٢/ ٢٠٧).

الهوى»، و«لقط المنافع»، و«أخبار النساء».

٢- النقول منه والعزو إليه مع تسميته ونسبته له، وسيأتي تفصيلها في مبحث «قيمة الكتاب العلمية» من هذه الدراسة.

٣- أن أسانيده التي روى بها جملة من الكتب في التلبيس، كمسند أحمد والزهد له، والصحيحين، والسنن، والحلية، وغيرها، هي نفسها أسانيده التي ذكرها في مقدمة كتابه الحدائق، وكذا في مشيخته، وهذا ابتداء من شيوخه إلى أصحاب تلك الكتب.

٤- منهجه في الكتب، وأسلوبه فيه يدل على أنه من تأليفه.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب

يدور موضوع هذا الكتاب حول تلبيس إبليس - لعنه الله! - على الخلق وغرورهم به، على مختلف أنواع طبقاتهم.

والتلبيس كما فسره المؤلف في كتابه هذا هو: إظهار الباطل في صورة الحق.

وأما الغرور فهو نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحًا، والرديء جيدًا، وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك.

فرأى ابن الجوزي رحمه الله كما بيّن في مقدمة كتابه حيث قال: «فرأيت أن أحذر من مكايده، وأدل على مصايده؛ فإن في تعريف الشر تحذيرًا من الوقوع فيه».

المبحث الثاني
مصادر المؤلف ومنهجه في الكتاب

اهتم الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب اهتمامًا بالغًا بالرجوع إلى المصادر الأصلية التي يرويها بسنده في الغالب، والتي يكون بعضها من مصادر الطائفة التي تناولها بالمناقشة والرد في التلبيس، مما يضفي عليه صفة الأصالة والأمانة العلمية.

المطلب الأول: مصادر المؤلف في الكتاب:

لما كان ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الحفاظ المشاهير فقد جاء كتابه التلبيس في الغالب بنصوص مسندة بسلسلة من الرواة، وعلى الرغم من صعوبة الوقوف على أسماء الكتب التي روى من طريقها، وما يكتنف بعضها من غموض؛ إذ قليلًا ما كان يذكر المصدر الذي روى عنه؛ فإنني - ولله الحمد - استطعت من خلال المقارنة بين النصوص التي أوردها وبين مواطن ورودها، ومن خلال البحث في تراجم رجال الإسناد، أن أعرف أغلب مصادر الكتاب الرئيسة التي اعتمدها ابن الجوزي.

وأما بالنسبة للمصادر غير المسندة فمنها ما صرّح المؤلف بأسمائها، ومنها ما صرّح بأسماء مؤلفيها، ومنها مصادر تبيّنَتْ بعد التحقيق.

وقد قسمت مصادر المؤلف إلى قسمين: مسندة وغير مسندة.

أ- المصادر التي رواها بإسناده إلى مؤلفيها:

وإليك الآن أكثر هذه المصادر ورودًا:

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ).

٢- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، (ت ٤٣٠هـ).

٣- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣هـ).

٤- مكائد الشيطان، لابن أبي الدنيا القرشي، (ت ٢٨١).

٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لهبة الله بن الحسن اللالكائي، (ت ٤١٧هـ).

٦- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ).

٧- كتاب الزهد، للإمام أحمد، (ت ٢٤١هـ).

٨- كتاب الأصنام، لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، (ت ٢٠٤هـ).

٩- مصارع العشاق، لجعفر بن أحمد السراج، (ت ٥٠٠هـ).

١٠- طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السُّلمي، (ت ٤١٢هـ).

١١- الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن القشيري، (ت ٤٦٥هـ).

١٢- النور من كلمات أبي طيفور، لأبي الفضل محمد بن علي السهلكي، (ت ٤٧٦هـ).

١٣- سنن الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي.

١٤- المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي، (ت ٢٧٧هـ).

١٥- أنساب قريش، للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ).

على أن هناك عددًا ليس بالقليل من النصوص المسندة لم أهتد إلى أسماء الكتب التي وردت فيها، فلعلها مما سمعه من شيوخه بإسناده ولا يلزم أن تكون في كتاب، وقد وقفت عليها من طرق أخرى، وبعضها لم أقف عليه أصلًا، وعددها قليل.

ب- المصادر التي نقل منها المؤلف بغير إسناد، وصرح بأسمائها:

وإليك أكثرها ورودًا:

١- كتاب المقالات، لأبي القاسم البلخي، (ت ٣١٩هـ).

٢- كتاب الآراء والديانات، لأبي محمد النوبختي، (ت بعد ٣٠٠هـ).

٣- إحياء علوم الدين، للغزالي.

٤- المفصح بالأحوال، له أيضًا.

٥- صفوة التصوف، للمقدسي.

٦- اللمع، لأبي نصر الطوسي السراج.

٧- الصحيحان.

٨- الرسالة القشيرية، للقشيري.

ج- مصادر صرح بأسماء مؤلفيها فقط:

وهناك كتب أخرى نقل منها ابن الجوزي كثيرًا، لكنه لم يصرح بأسمائها، وإنما ذكر أسماء أصحابها فقط، **وإليك بعضها**:

١- فضائح الباطنية للغزالي.

٢- المعتمد لأبي يعلى.

٣- إصلاح غلط المحدثين للخطابي.

٤- تهذيب الآثار للطبري.

وأخرى لم أستطع الجزم بأسمائها لعدم وقوفي على تلك النصوص.

د- مصادر أغفل أسمائها وأسماء مؤلفيها:

إن ابن الجوزي رحمه الله لم يلتزم في بعض الحالات بذكر اسم المصدر الذي استقى منه مادته العلمية ولا اسم مؤلفه؛ فنجده يُغفل اسم المؤلف وعنوان الكتاب الذي اعتمده في النقل، ومن ذلك:

١- بيان وآثار وعلامات الاثنتين وسبعين فرقة، للبلخي.

٢- الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، للعراقي، عاش في القرن السادس.

٣- الملل والنحل، للشهرستاني.

٤- تهافت الفلاسفة، للغزالي.

٥- مروج الذهب، للمسعودي.

المطلب الثاني: منهجه في الكتاب

سار ابن الجوزي رحمه الله في هذا الكتاب على نسقٍ واحد، ومنهج مطرد، وهو عرض المخالفة التي سوّلها إبليس لكل مخالف للحق، سواء كانت تلك المخالفة كفرًا وإلحادًا أم بدعةً وانحرافًا؛ ثم الكرّ عليها بالرد والنقض.

وكان سلاحه في هذا المضمار ما امتاز به من قوة الحافظة واستحضار نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف، وغزارة المصادر التي اطلع عليها وكثرتها، إضافة إلى ما أوتي من قوة في الحِجاج العقلي.

فنجده طويل النَّفس في الاستشهاد بالنصوص، حريصًا على سوقها بأسانيده الخاصة، مستقصيًا في عرض الآراء التي خالفت بها كلُّ طائفة الكتابَ والسنةَ، وذكر الشبهات التي عرضت لها، ثم نراه مستجمعًا كل قوته العلمية والعقلية في رد تلك المخالفات ودحض الشبهات.

فمن أهم السمات التي ميزت ذلك المنهج إجمالًا:

١-بيانه الغرض من كتابه في مقدمته.

٢- تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول.

٣- توضيح معاني المصطلحات.

٤- إرشاد القارئ إلى مواضع بسط بعض المباحث.

٥- الأمانة العلمية في توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها.

٦- الوقوف عند المسائل المهمة مع الاختيار والترجيح.

٧- الاستشهاد بالنصوص.

٨- الشمول والاستيعاب.

٩- طول النفس والصبر.

١٠- الرد على الفرق المنحرفة.

١١- الاختصار.

١٢- طريقته في إيراد النصوص.

١٣- الصناعة الحديثية في الكتاب.

المبحث الثالث

قيمة الكتاب العلمية

من الكتب التي صنّفها ابن الجوزي رحمه الله وانتفع بها خلق لا يحصون من الناس كتاب «تلبيس إبليس»؛ وهذا راجع لما للكتاب من قيمة علمية، الأمر الذي سأحاول في هذا المبحث أن أجلي بعض عناصره، ثم أختمه بالحديث عن بعض السلبيات في الكتاب لا تنقص من قيمته العلمية، بل تؤكد حقيقة أن الكمال لله وحده، وأن النقص من سمات البشر التي لا تفتأ تنفك عنهم.

فمما يبرز قيمة هذا الكتاب العلمية العناصر التالية:

١- مؤلف الكتاب عَلَم مشهور من علماء المسلمين، ذو اطلاع واسع على كثير من العلوم.

٢- اهتمام المصنف رحمه الله برواية أغلب أحاديث الكتاب وآثاره بأسانيده الخاصة.

٣- موضوع الكتاب من الموضوعات التي لم تتناول بالتفصيل الذي تناوله به المصنف رحمه الله؛ حيث إنه أتى على أغلب صور التلبيس التي يكيد بها إبليس بني آدم، حتى أضلهم عن سواء السبيل، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠].

٤- في كتاب التلبيس هتك للنحل الخارجة عن الإسلام، والفرق المنتسبة إليه وليست منه، والفرق المبتدعة ورد عليها، وقد أطال المؤلف النفس في الرد على الصوفية؛ لذلك فإن أهمية كتاب «تلبيس إبليس» تكمن في كونه من أقدم وأقوى المصادر التي أُفردت للتصدي للتيار الصوفي، ونقد رجالاته وكتبه ومناهجه، وهو في قوته وحظوة رجاله في عصر ابن الجوزي رحمه الله.

٥- كثرة المصادر التي رجع إليها المصنف رحمه الله وأصالتها، خاصة إذا عرفنا أن بعضها مفقود، ككتاب «أخبار الحلاج» لابن باكويه، وكتاب «سنن الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي؛ ولا يخفى ما للتنصيص على هذه المصادر من فوائد علمية خاصة وقد فُقدت الآن، منها: حفظ بعض نصوص تلك الكتب، ومنها: توثيق نسبة تلك الكتب إلى مؤلفيها.

٦- كون كتاب «التلبيس» من موارد بعض الأئمة والعلماء، وكونه موضوعًا من أعمال بعض العلماء.

المآخذ على الكتاب:

رغم ما لكتاب «تلبيس إبليس» من مزايا، فإنه لم يخلُ -مع ذلك- من مآخذ ونقائص، من ذلك:

١- وقوع مؤلفه في أخطاء عقدية، حيث خالف في تقريرها منهج السلف، وقد علّقت على ذلك في مواضعه من التحقيق، وهذا مأخذ كبير على المؤلف والكتاب.

٢- شدة المصنف على أهل العلم من مختلف الفنون، وبخاصة أهل الحديث منهم، وأهل الفقه.

٣- عدم تحقيقه لبعض ما ينقل عن المصادر، ويبرز ذلك في سرده للفرق الثنتين والسبعين، حيث لم يدقق في الآراء التي نسبها لكل فرقة، وهو في ذلك مقلد للمصدر الذي نقل منه.

وعلى كل حال فهذه المآخذ لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية، فالكتاب -كما قال ابن بدران- نافع، ولا يستغني عنه طالب الحق.

المبحث الرابع

وصف النسخ الخطية

المطلب الأول: وصف النسخ الخطية:

بعد البحث والتنقيب حصلت على أكثر من ست وعشرين نسخة لكتاب «تلبيس إبليس»، اخترت منها أربع نسخ لتكون هي المعتمدة في التحقيق، وهي:

١- نسخة الخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف، وإليها الإشارة بـ(الأصل أو «م»).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بالخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، وهي نسخة كاملة ختمت بخاتم الخزانة، وفي وسط الخاتم كتب رقم النسخة وهو (٢٣٢)، وفي أول النسخة وآخرها ختم آخر باسم (مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت) بجنب الختم الأول وبداخله رقم (٨٧٠)، ولعل مخطوطات هذه الأخيرة نقلت إلى مكتبة جامع القرويين[١]، كما نقلت مخطوطات كثيرة من جامع القرويين بفاس إلى الخزانة العامة بالرباط.

وفي أول سطر من ظهر الغلاف اسم مالك النسخة وهو «أحمد بن محمد بن ناصر»[٢].

كما أن هذه النسخة عليها تملكات أخرى على ظهر الغلاف، الأول باسم «أحمد نجل ناصر الودعي» والثاني باسم «الشيخ أبو العباس أحمد نجل ناصر النبراسي»، ولعل ملك هذه النسخة انتقل من المالك الأصلي وهو «أحمد بن محمد بن ناصر» إلى هؤلاء.

---

(١) انظر: قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامع القرويين بفاس (رقم ١٢٣).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، المتوفى سنة ١١٢٩هـ، صاحب الزاوية الناصرية ومكتبتها، التي تول رئاستها بعد أبيه (أبي عبد الله محمد بن ناصر)، وكان من علماء عصره البارزين. انظر: دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت، للأستاذ محمد المنوني (ص٢٣، ٢٩).

وعلى ظهر الغلاف أيضًا كُتبت ترجمة مختصرة لابن الجوزي منقولة من البداية والنهاية لابن كثير كما نص كاتبها، واسمه «محمد بن موسى بن محمد بن ناصر».

تاريخ نسخها واسم الناسخ:

جاء في آخر النسخة ما نصه: «وكان الفراغ من نسخه في أول يوم من شهر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وستمائة، على يد العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن سعيد بن أحمد الناسخ». أي بعد وفاة المؤلف بست عشرة سنة.

عدد أوراقها ومسطرتها:

وعدد أوراقها (٢٢٨ ورقة) كما جاء مكتوبًا على ظهر الورقة الأولى من صورة الميكروفيلم، في كل ورقة صفحتان، ومقياس الصفحة كما يبدو من القياس (السانتيمتري) الموضوع على وجه الغلاف (٢١ × ١٣).

عدد الأسطر في كل صفحة (٢٣) سطرًا، وقد تنقص أو تزيد قليلًا إذا تخللتها عناوين الفصول والأبواب.

وعدد الكلمات في كل سطر لا تزيد عن (١٥) كلمة غالبًا.

نوع الخط:

كتبت هذه النسخة بخط مغربي جميل ومقروء بوضوح، تكتب فيه الفاء مثلًا بنقطة واحدة من الأسفل، والقاف بنقطة واحدة من الأعلى، ولم تضبط الأحرف فيها بالشكل، كما يظهر من خلال تصفح النسخة أن ناسخها متقن متحرز عن تشويه الكتاب، كما مُيّزت عناوين الأبواب والفصول بخط كبير واضح.

وقد اعتنى الناسخ بكتابة الكلمة الأولى من وجه الصفحة الثانية بآخر الصفحة الأولى تنبيهًا على التصفيح، وهذا واضح في كل ورقة.

ملحوظات عامة على نسخة الأصل:

١- يوجد في نسخة الأصل سقط مقداره صفحة، ويقع في وسط الورقة (٢أ)، علمًا بأن هذا السقط وقع في الورقة التي كتبت بخط آخر مغاير للخط المغربي.

٢- جاءت بعض الورقات في نسخة الأصل بخط مغاير للخط المغربي الذي كتبت به النسخة، وهي (ق١، ق٢، ق٣أ، ق٨٧ب، ق٨٨أ، ق١٢١ب، ق١٢٢أ).

ويظهر أن هذه النسخة قد أثرت الرطوبة على بعض أوراقها من الأسفل، فقام بعض النساخ بكتابة تلك المواطن بخط مغاير[١].

٣- هذه النسخة مقابلة على نسخة أخرى، يدل على ذلك وجود دوائر في آخر السطر أو الفقرات ووسطها وبداخلها نقطة، وهي علامة على المقابلة.

٤- تكرار انتقال بصر ناسخ الأصل[٢].

٥- عدم التنبيه على الضرب أحيانًا[٣]، مع الإشارة إلى أن طريقة كاتب النسخة في الضرب نظيفة، لم تتشوه النسخة بها.

٦- يوجد بهذه النسخة إشارات لحق، غير أن بعضها لا يظهر لوجود بعض التآكل في النسخة، كما يوجد بها إلحاقات أخرى بخط مغاير.

٧- ابتداءً من (ق١٠٢) كتبت عناوين صغيرة في الهوامش.

٨- وقعت في هذه النسخة بعض التحريفات والتصحيفات في الألفاظ وأسماء الرواة، وقد بذلت جهدي لتصحيحها إما من النسخ الأخرى حيث تأتي سليمة من ذلك، أو من كتب التراجم والرواة، وغيرها.

---

(١) انظر مثلًا: (ق٤، ق٥، ق٦، ق٧٧، ق٧٩، ق٨٠).

(٢) انظر مثلًا: (ق٨٠، ق١١٩أ، ق١٢٢ب).

(٣) انظر مثلًا: (ق٤٦أ، ق٥١، ق٦٠أ).

٩- جاءت الأوراق الأولى (من ق١ - ق٧) من المخطوط غير مرتبة، فقمت بترتيبها وترقيمها وفق الترتيب الجديد الذي هي عليه الآن.

أسباب اختيار هذه النسخة أصلًا:

اتخذت هذه النسخة أصلًا مقدمًا على غيرها من النسخ الأخرى للأسباب التالية:

١- أنها أقدم النسخ من حيث التاريخ، فهي نسخة عتيقة جدًا، كتبت سنة (٦١٣هـ) كما ذكر ذلك ناسخها في آخر المخطوط، أي بعد وفاة ابن الجوزي رحمه الله بـ(١٦) سنة.

٢- أنها أكمل النسخ، خاصة وأنها قد انفردت بجملة من الأسانيد ليست في بقية النسخ، فالنسخة الأحمدية مثلًا (أ) جاءت أوراقها الأولى مأكولة الجوانب، واضطربت كثيرًا في باب الأصنام تقديمًا وتأخيرًا كما سيأتي في وصفها، أما النسخة التركية (ت) فقد اختُصرت منها جملة من الأسانيد، والنسخة التركية الثانية (ك) لا يوجد منها إلا الجزء الثاني.

هذان هما السببان القويان لاتخاذها أصلًا ومقابلة النسخ الأخرى عليها.

٢- نسخة المكتبة الأحمدية بحلب، وإليها الإشارة بـ(أ):

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بالمكتبة الأحمدية بمدينة حلب، وقد صورتها من مكتبة الأسد بدمشق، حيث نقلت أغلب مخطوطات المكتبات العامة بسورية إليها، كالمكتبة الأحمدية والظاهرية وغيرهما.

وهي نسخة كاملة تقع في (٢٤٦ ورقة) تحت رقم (١٤١١٧)، وتتكون من جزئين:

الجزء الأول: من أول الكتاب إلى نهاية فصل «الصوفية والجوع»، وينتهي عند الورقة (ق١١٩).

الجزء الثاني: يبدأ من قول المؤلف: «ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد» عند الورقة (ق١٢٠) إلى نهاية الكتاب.

وقد كُتب على ورقة الغلاف اسم الكتاب، وهو «تلبيس إبليس»، وعلى الورقة نفسها ختم دائري كُتب في وسطه: «من الكتب التي أوقفها السيد أحمد أفندي ظهر زاده على مدرسة الأحمدية... سنة ١١٣٥»، كما كُتب على الورقة الأولى من المخطوط (وقف المدرسة الأحمدية بمدينة حلب المحمية).

كما يوجد في آخر ورقة من المخطوط أسماء مَن نظر في هذا الكتاب وطالعه، مما يدل على أن هذه النسخة تعاقب على قراءتها والنظر فيها أكثر من واحد، ودونك أسماء هؤلاء متسلسلة:

الأول: حسن بن علي بن موسى بن شريك.

الثاني: أحمد بن الحاج عمر بن المرحوم الحاج موسى النجار.

الثالث: الحاج عبد الله.

تاريخ نسخها واسم ناسخها:

جاء في آخر النسخة ما نصه: «وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة - نفع الله تعالى بها مالكها ومن كتبها وقابلها ونظر فيها وغفر لهم ولسائر المسلمين، آمين يا رب العالمين! - في بكرة نهار الأحد ثاني عشرين شهر ربيع الأول المشرف من شهور سنة تسع وتسعين وسبعمائة...».

فتاريخ نسخها إذًا هو سنة (٧٩٩هـ).

مسطرتها:

مقاس الصفحة فيها (٢٣ × ١٤سم)، وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٥ سطرًا)، وعدد الكلمات في السطر لا تزيد على (١٢ كلمة) غالبًا.

نوع الخط:

كتبت بخط نسخي واضح ومقروء، وجاءت هذه النسخة غفلًا من التشكيل كسابقتها، كما أهمل ناسخها التنقيط في بعض الكلمات غير أن أغلب الحروف في النسخة منقوط، ويضع الناسخ أحيانًا فوق الكلمات غير المقروءة حرف «ط».

اللحق:

وهو قليل في هذه النسخة، ويكتب بعد الانتهاء منه رمز «صح» في الغالب.

البياض:

وقع في هذه النسخة بياض في أسفلها من جانبي المخطوط في الأوراق الأولى منه، وعددها (١١ ورقة)، والظاهر أنه من عمل الأرضة أو الرطوبة التي أتت على جوانبه.

التصفيح والتعقيب:

لا تختلف النسخة الأحمدية عن الأصل في هذا الجانب، حيث يكتب فيها الكلمة الأولى من الوجه الثاني في آخر الوجه الأول دلالة على تعقيب الصفحات.

المقابلات:

يوجد بهذه النسخة دوائر منقوطة في وسطها نقطة، مما يدل على أنها مقابلة مع نسخة أخرى.

بعض الملحوظات على هذه النسخة:

١- الاضطراب الشديد في باب الأصنام من هذه النسخة، حيث وقع فيه تقديم وتأخير(١).

٢- وقع اضطراب أيضًا في اسم شيخ ابن الجوزي، وهو حمد بن أحمد الحداد راوي الحلية عن أبي نعيم، فمرة يكتبه حمد بن أحمد، ومرة أحمد بن أحمد.

٣- نسخة مكتبة متحف طوبقبي التامة، وإليها الإشارة بـ(ت).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بمكتبة متحف طوبقبي بإستانبول (تركيا) تحت رقم (٥٠٦٧)، وتقع في مجلد واحد عدد أوراقه (١٨٢ ورقة)، وهي نسخة كاملة.

وأصل هذه النسخة فيما يظهر من المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، بدليل وجود ختم المكتبة على غلاف المخطوط وبداخله، وقد كتب في وسطه: «وقف كتبخانة مدرسة المحمودية في المدينة المنورة»، كما يوجد على غلاف المخطوط أيضًا ختم آخر كتب في وسطه «وقف محمد أمين أفندي ابن شيخ الإسلام ولي الدين أفندي ابن الحاج مصطفى أغا الحاج حسين أغا»، وهو اسم المكتبة التي انتقلت إليها هذه النسخة، ثم ألحقت هذه المكتبة - كغيرها - بمتحف طوبقبي.

وفي أعلى غلاف المخطوط يوجد بعض التملكات:

الأول: على يمين الورقة ونصه: «من كتب أبي بكر رستم الشرواني».

والثاني: في وسط الورقة ونصه: «في كتب المدين ولي الدين عفي عنه».

والثالث: على يسار الورقة ونصه: «ابن محمد الحنبلي».

---

(١) انظر: (ق٣٠، ٣١، ٣٢).

تاريخ نسخها واسم ناسخها ومكان النسخ:

جاء في آخر النسخة ما نصه: «وافق الفراغ من تعليقه يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثماني وعشرين وسبعمائة هجرية، على يد العبد الفقير إلى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجي رحمة ربه يوسف بن حسين بن أبي القاسم الفراهاني غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، بمدينة السلام بغداد حماها الله تعالى...».

فتاريخ نسخها إذًا هو سنة (٧٢٨هـ)، وهي أقدم من الأحمدية السابقة الذكر، غير أني أخرتها عنها لاختصار ناسخها لجملة من أسانيد الأحاديث والآثار.

ومسطرة هذه النسخة (١٨ × ١٢)، وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٣ سطرًا)، وعدد الكلمات لا تزيد على (١٢ كلمة) غالبًا.

وكتبت هذه النسخة بخط واضح ومقروء، واعتنى ناسخها بالشكل في كثير من الكلمات بخلاف النسخ الأخرى، ويكتب أحيانًا (بلغ مقابلة) كما في (ق١٢أ).

بعض الملحوظات على هذه النسخة:

١- اختصار ناسخها لجملة من أسانيد الكتاب.

٢- فيها سقط قدره (٦) ورقات، وهي: (١٠ب، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦)، وقد يكون هذا السقط أيضًا بقدر سطر كما في الورقة (٢٨ ب) مثلًا، وقد يشير الناسخ إلى السقط أحيانًا كما في (ق ١٢أ).

٣- انفردت هذه النسخة بزيادات كالدعاء في آخر الكلام والتعوذ ونحوهما، كما يزيد صاحبها كلمات على الهامش من باب التوضيح، كالإشارة إلى باب جديد أو شرح غريب ونحوه، ويظهر أن صاحبها له علم وعناية بالكتب.

٤- قدم فصل «التلبيس على الدهرية» على فصل «التلبيس على السوفسطائية» كما في الورقة (١٥ أ).

٤- نسخة مكتبة متحف طوبقبي الناقصة، وإليها الإشارة بـ(ك):

وهي مصورة عن نسخة موجودة بمكتبة متحف طوبقبي، وهذه النسخة ناقصة، يوجد منها الجزء الثاني فقط، وعدد أوراقه (١٤٢ ورقة)، ويبدأ من قول المصنف: «ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث...» وينتهي عند فصل «الصوفية والجوع»، ورقمها بمكتبة طوبقبي (٥٠٦٨).

ولا يوجد على هذه النسخة سماعات أو تملكات، ولم يكتب فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وسبب ذلك أنها جزء من المخطوط.

وكتبت هذه النسخة بخط جيد ومقروء، وهي نسخة نظيفة، خالية من الضرب والكشط والمحو، ولا يوجد بها بياض.

ومسطرتها هي (١٥ × ١٠)، وعدد الأسطر في كل صفحة (١٥ سطرًا)، وعدد الكلمات في كل سطر (٨ كلمات) غالبًا.

ويوجد بها دوائر منقوطة في وسطها، مما يدل على أنها مقابلة مع نسخة أخرى.

ولا يوجد بها تصفيح كما هو في بقية النسخ، كما لا يوجد بها لحق إلا في مواضع نادرة جدًا، لكن اعتنى صاحبها بالشكل أكثر من بقية النسخ الأخرى.

أما بالنسبة للسقط في هذه النسخة فهو قليل، ففي الورقة (١١٩ أ) سقط بقدر (٥) صفحات من المطبوع، وفي الورقة (١٤١ أ) سقط بقدر (٥) صفحات من المطبوع.

المطلب الثاني: طبعات الكتاب:

طُبع كتاب «تلبيس إبليس» عدة طبعات:

١- وكانت أول طبعة له في الهند سنة ١٣٢٣هـ، وقد طبع آنذاك على الحجر.

٢- ثم طبع بالمطبعة المنيرية، لصاحبها محمد منير الدمشقي رحمه الله سنة ١٣٤٠هـ، وسنة ١٣٤٧هـ، وقد ذكر في تلك الطبعة أنه اعتمد على نسختين خطيتين، الأولى منهما كان نسخها سنة ١١٣٥هـ، والثانية سنة ١٠٩٤هـ.

٣- ثم طبعه طبعة ثالثة سنة ١٣٦٨هـ وذكر فيها أنه حصل على نسخة خطية ثالثة، لم يذكر تاريخ نسخها، وهذه الطبعة هي التي اعتمدها جميع من طبع الكتاب بعد ذلك؛ عدا طبعة محمد علي أبي العباس[1]، فقد اعتمد في طبعته على نسختين خطيتين مختصرتين للكتاب من دار الكتب المصرية.

٤- وأما الطبعة التي حققها د. السيد الجميلي[2]، فقد ذكر أنه اعتمد على نسختين خطيتين للكتاب، الأولى برقم (٣٢٥١/ تصوف)، من دار الكتب المصرية، والثانية برقم (٤٠٦/ مباحث إسلامية طلعت).

وفي الواقع وبعد المقارنة، تبين لي أنه لم يرجع إلى هاتين النسختين، بل لعله لم يقف عليهما أصلًا، وذلك أن هاتين النسختين المشار إليهما محذوفتا الأسانيد في حين أن طبعته جاءت متضمنة للأسانيد! والخلاصة هي أن طبعته نسخة عن الطبعة المنيرية.

وهذا الكلام نفسه يقال عن صاحب طبعة دار الكتب العلمية، حيث وضع في بداية الكتاب صورة من نسخة آيا صوفيا (برقم ١٧٢٩)، وهي نسخة مختصرة الأسانيد أيضًا، وطبعته جاءت مسندة، مما يجعلنا نشك في رجوعه إلى تلك النسخة الخطية التي أشار إليها.

ويبقى الفضل - بعد الله تعالى - في السبق إلى نشر هذا الكتاب إلى الأستاذ محمد منير الدمشقي، غير أنه وقع في طبعته ما يقع في الكتب المنشورة عن نسخ متأخرة، أو غير متقنة، بسبب السقط والتحريف التي يصاحبها.

---

(١) نشرتها مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

(٢) نشرتها دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤١٢هـ.

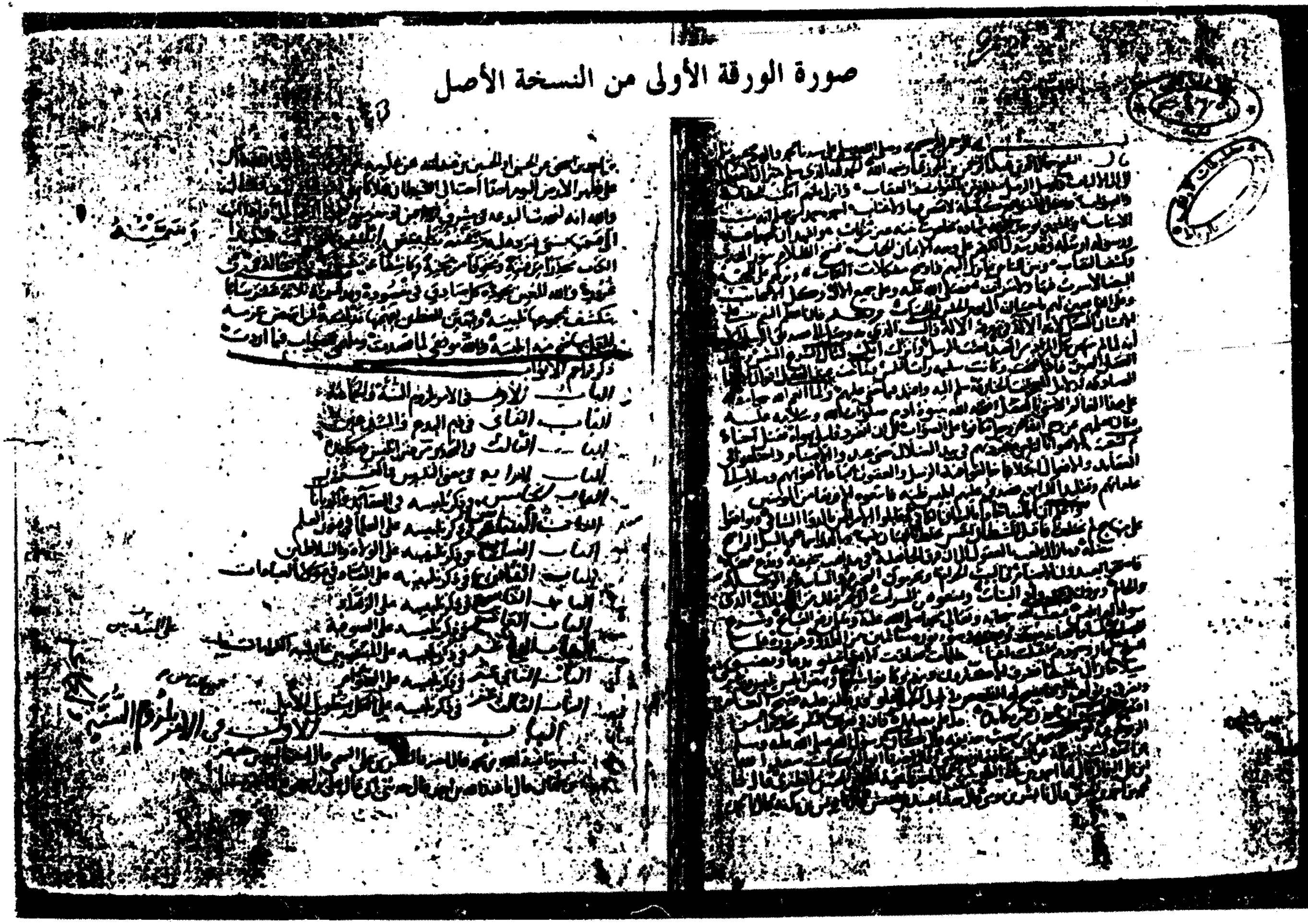
وبمقارنة سريعة لهذه الطبعة مع النسخة المغربية التي اعتمدتها كأصل، والنسخة الأحمدية التي رمزت لها بحرف (أ)، وجدت أن الطبعة المنيرية قد سقط منها أسانيد كثيرة، كما وقع فيها سقط وتحريف في غير الأسانيد، أما الأخطاء المطبعية فهي كثيرة.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن أحد المحققين وهو يحيى بن خالد بن توفيق قام بتخريج أحاديث الكتاب المرفوعة، وسماه «النفيس في تخريج أحاديث تلبيس إبليس»[1]، إلا أنه لم يخرج الآثار الواردة في الكتاب، وهي أكثر من الأحاديث المرفوعة، وكذا فإنه لم يستوعب تخريج الأحاديث حيث فاته بعضها، أو أنه لم يقف على تخريجها، أو هي موجودة في بعض الكتب الستة أو مسند الإمام أحمد ولم يعزُ إليها... إلى غير ذلك من الملحوظات التي لا تخل بالجهد الذي قام به لخدمة هذا الكتاب النفيس.

---

(١) نشرته مكتبة التربية الإسلامية للتحقيق والتراث، الجيزة، مصر، ط١، ١٤١٤هـ.

نماذج من المخطوطات

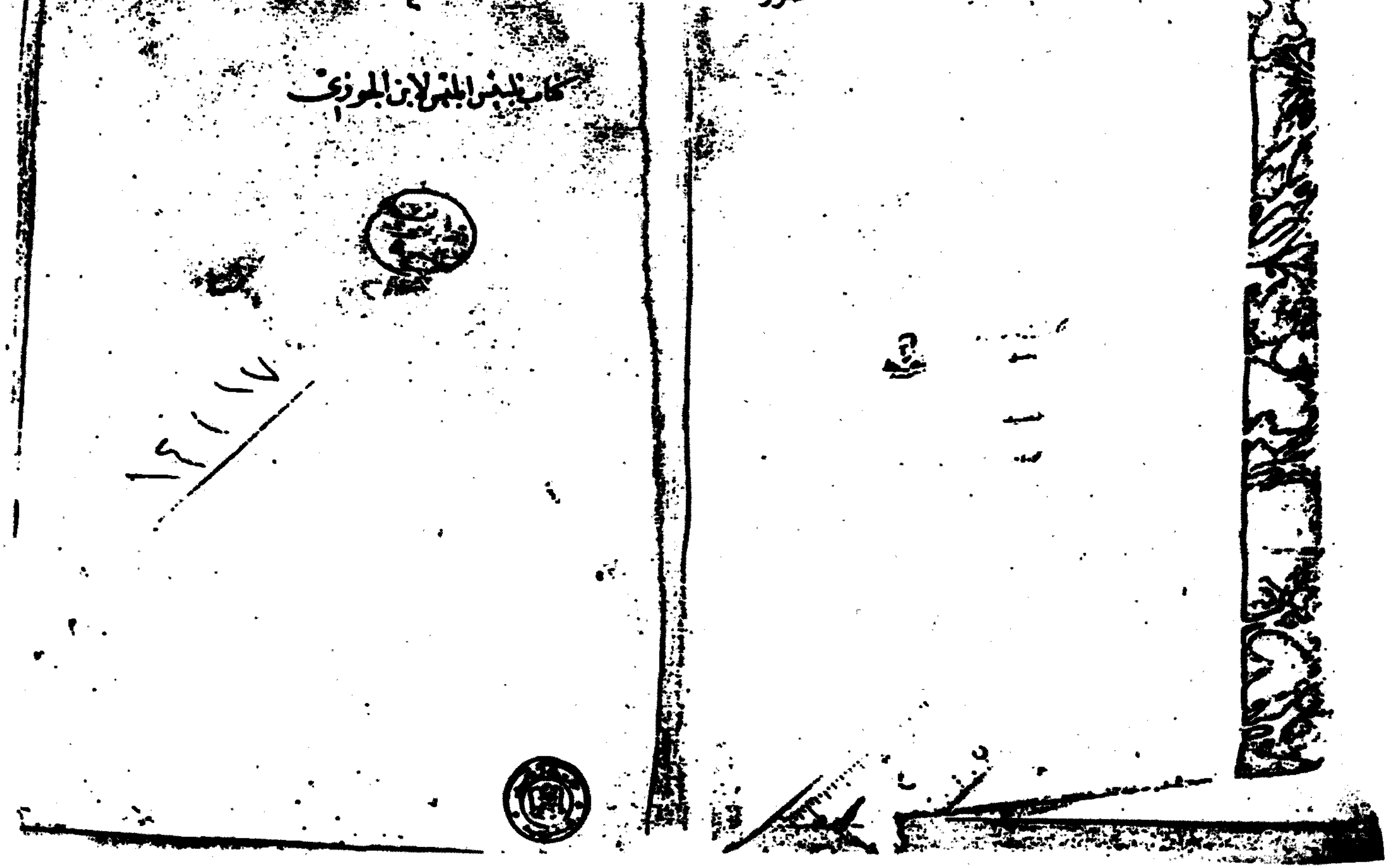


صورة الورقة الأولى من النسخة الأصل

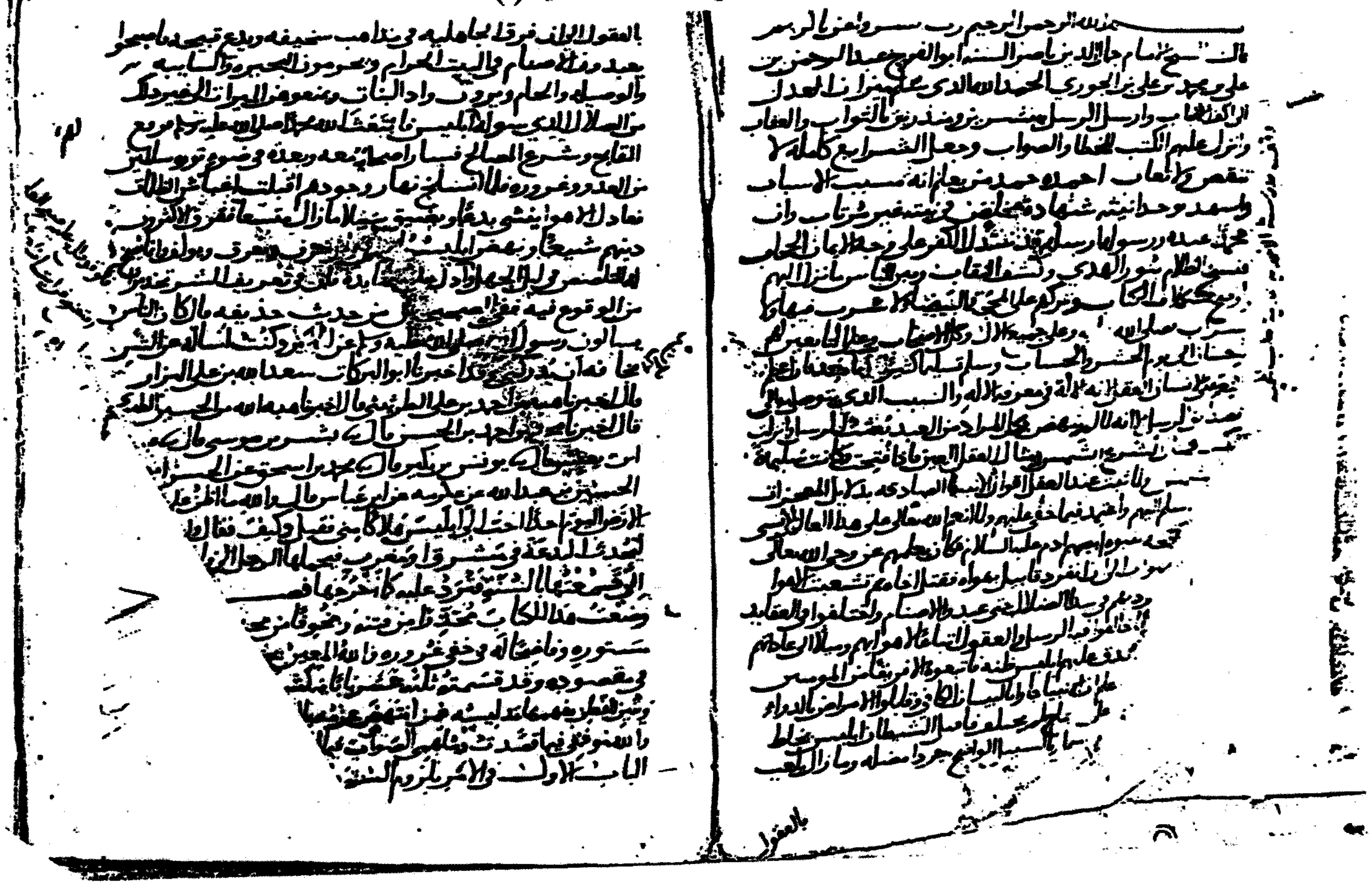
صورة من الورقة الأخيرة من النسخة الأصل



صورة غلاف النسخة الأحمدية (أ)



صورة الورقة الأولى من النسخة الأحمدية (أ)



صورة الورقة الأخيرة من النسخة الأحمدية (أ)

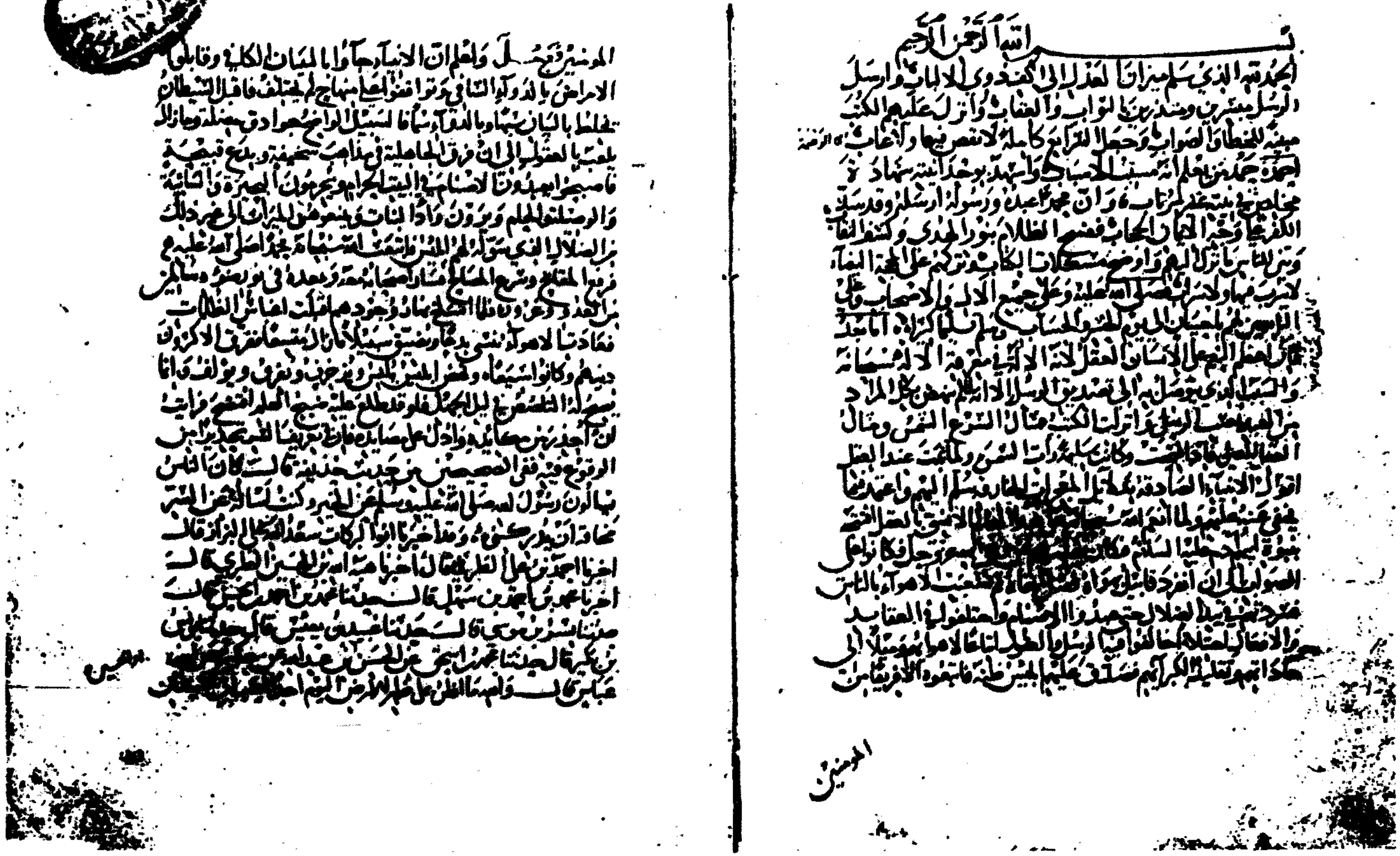


صورة غلاف النسخة التركية التامة (ت)



182 Page

صورة الورقة الأولى من النسخة التركية التامة (ت)

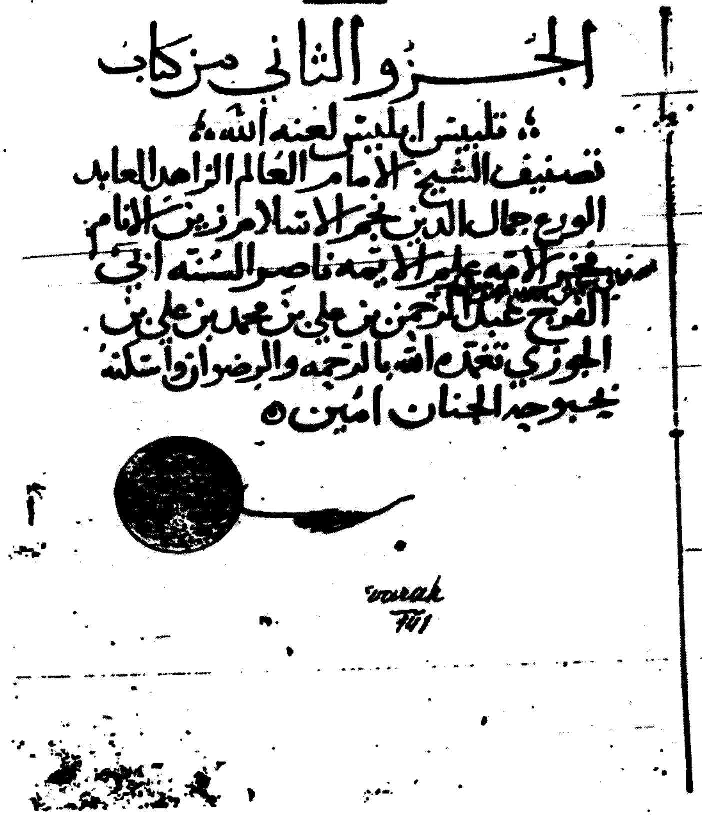


صورة من الورقة الأخيرة من النسخة التركية الناقصة (ك)

امرأة قد طعنت في السن فسئلت عن
حالها فقالت كنت في حال الشباب اجد من
نفسي احوالا اظنها قوة الحال فلما كبرت
زالت عني فعلمت ان ذلك كان قوة الشباب
فتوهمتها احوالا قال فسمعت ابا علي
الدقاق يقول ما سمع احد هذه الحكايه
من الشيوخ الا رق لهذه العجوز وقال
انها كانت منصفه ○ فان قيل كيف
تمنعون من التقلل وقد رويتم ان عمر
كان ياكل كل يوم احد عشره لقمه وان
ابن الزبير كان يبقى اسبوعا لا ياكل
وان ابرهيم التيمي بقي شهرين قلنا
قد يجري للانسان من هذا الفن في
بعض الاوقات غير انه لا يدوم ولا يقصد
الترقي اليه وقد كان في السلف من

ثمارها قال يا اخواني ارموا الدنيا بحجارتها فاني
بذلك السكر فالقي فيها ثم اقبل ابو مرحوم على
اخوانه فقال يا اخواني كيف اصبحت الدنيا قالوا
مشرق لونها مبيضه شمسها وقد اجري فيها انهارها
وقد غرس فيها اشجارها وقد تدلى لنا ثمارها
فقال يا اخواني ما لنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها
قال فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس
قال ابو الفضل احمد بن سلمه ذكرته لابي حاتم
الرازي فقال امله علي فامليته عليه فقال هذا
شان الصوفيه قال المصنف قلت وقد رايت منهم
من اذا حضر دعوه بالغ في الاكل ثم احتاش من
الطعام فربما لاكميته من غير اذن صاحب
الدار وذلك حرام بالاجماع ولقد رايت شيخا
منهم قد اخذ شيئا من الطعام ليحمله معه فوثب
صاحب الدار فاخذ منه ○ اخر الجزو الثاني

صورة من غلاف النسخة التركية الناقصة (ك)



الجزو الثاني من كتاب

تلبيس ابليس لعنه الله

تصنيف الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع جمال الدين فخر الاسلام زين الانام فخر الامة علم الائمة ناصر السنة ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه بحبوحة الجنان امين

142 Page

varak 141

صورة من الورقة الأولى من النسخة التركية الناقصة (ك)

بسم الله الرحمن الرحيم
ومن تلبيس ابليس على أصحاب الحديث
قال المصنف قدح بعضهم في بعض
طلبًا للتشفي ويخرجون ذلك مخرج
الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء
هذه الامة للذب عن الشرع والله اعلم
بالمقاصد ودليل خبث مقصد هؤلاء
سكوتهم عمن يحابونه وما كان القدماء
هكذا فقد كان علي بن المديني يحدث
عن ابيه وكان ضعيفًا ثم يقول وفي
حديث الشيخ ما فيه ◎ اخبرنا ابو بكر
ابن حبيب العامري قال اخبرنا ابو سعد
ابن ابي صادق قال انا ابو عبد الله بن
باكويه قال نا بكران بن احمد الجيلي
قال سمعت يوسف بن الحسين يقول

فلان ابتلي بكذا وامتحن بكذا نعوذ
بالله من الخذلان فتصنع ابدا الرحمه
والشفقه على اخيه ثم تتصنع بالدعاء عند
اخوانه وتقول انما ابديت لهم ذلك لتكثر
دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبه تعريضًا
وتصريحًا فاتق الغيبه فقد نطق القران
بكراهتها فقال تعالى ايحب احدكم ان
ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اخبار
كثيره ◎ ذكر تلبيس ابليس على علماء المحدثين
روايه الحديث الموضوع من غير ان يبينوا
انه موضوع وهذه خيانه منهم على الشرع
ومقصودهم تنفيق احاديثهم وكثره
رواياتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من روى عني حديثا يرى انه كذب فهو احد

صورة من الورقة الأخيرة من النسخة التركية الناقصة (ك)

امرأة قد طعنت في السن فسئلت عن
حالها فقالت كنت في حال الشباب اجد من
نفسي احوالا اظنها قوة الحال فلما كبرت
زالت عني فعلمت ان ذلك كان قوة الشباب
فتوهمتها احوالا قال فسمعت ابا علي
الدقاق يقول ما سمع احد هذه الحكاية
من الشيوخ الا رق لهذه العجوز وقال
انها كانت منصفة ٥ فان قيل كيف
تمنعون من التقلل وقد رويتم ان عمر
كان ياكل كل يوم احد عشر لقمة وان
ابن الزبير كان يبقى اسبوعا لا ياكل
وان ابرهيم التيمي بقي شهرين قلنا
قد يجري للانسان من هذا الفن في
بعض الاوقات غير انه لا يدوم ولا يقصد
الترقي اليه وقد كان في السلف من

ثمارها قال يا اخواني ارموا الدنيا بحجارتها فاني
بذلك السكر فالقي فيها ثم اقبل ابو مرحوم على
اخوانه فقال يا اخواني كيف اصبحت الدنيا قالوا
مشرق لونها مبيضة سمنها وقد اجري فيها انهارها
وقد غرس فيها اشجارها وقد تدلى لنا ثمارها
فقال يا اخواني ما لنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها
قال فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالحسن
قال ابو الفضل احمد بن سلمة ذكرته لابي حاتم
الرازي فقال املها علي فامليته عليه فقال هذا
شان الصوفية قال المصنف قلت وقد رايت منهم
من اذا حضر دعوة بالغ في الاكل ثم احتاز من
الطعام فربما لا كميته من غير اذن صاحب
الدار وذلك حرام بالاجماع ولقد رايت شيخا
منهم قد اخذ شيئا من الطعام ليحمله معه فوثب
صاحب الدار فاخذ منه ٥ اخر الجزء الثاني

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

قال الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله:

الحمد لله الذي سلم ميزان العدل إلى أكف ذوي الألباب، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب. وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب، وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب.

أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب، وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص في نيته غير مرتاب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله، وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب، فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب، وبيّن للناس ما نُزِّل إليهم، وأوضح مشكلات الكتاب، وتركهم على المحجة البيضاء، لا سرب[١] فيها ولا سراب.

فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب، **وبعد**:

فإن أعظم النعم على الإنسان العقل[٢]؛ لأنه الآلة في معرفة الإله، والسبب

(١) سرب: هو الحفير تحت الأرض. انظر: اللسان (سرب)، والقاموس المحيط (سرب).

(٢) أفضل نعم الله التي أنشأها للإنسان وجعلها في خلقه هي العقل، وأعظم النعم على الإنسان الإيمان، ووجه تفضيل العقل هو في كونه الأداة في التفكير والتدبر والاعتبار، وهو مناط التكليف، وقد أولاه ديننا الحنيف مكانة خاصة، إذ جعله من الضروريات الخمس التي جاء لحفظها، ومن مظاهر هذا الحفظ: ذم التقليد ومحاربة الخرافة والدجل، ومنها تحريم المسكرات بجميع أنواعها. غير أن هذا العقل محدود المجال، كما يشير المصنف بعدُ في باب العقائد والسمعيات، إذ لا يستقل بمعرفتها بعيدًا عن الشرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة [العقلية] في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب). درء التعارض (١/ ٢٩).

الذي به وصل إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بُعثت الرسلُ، وأُنزلت الكتبُ، فمثال الشرع: الشمس، ومثال العقل: العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس.

ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة[١]، سلم إليهم، واعتمد فيما خفي عليهم.

ولما أنعم الله سبحانه على هذا العالم الإنسي بالعقل، افتتحه الله بنبوة آدم صلوات الله وسلامه عليه، فكان يعلمهم عن وحي الله ﷻ، فكانوا على الصواب إلى أن انفرد قابيل[٢] بهواه فقتل أخاه، ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم في بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام، واختلفوا في العقائد والأفعال اختلافًا خالفوا فيه الرسل والعقول؛ اتباعًا لأهوائهم وميلًا إلى عاداتهم، وتقليدًا لكبرائهم، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، إلا فريقًا من المؤمنين.

فصل

واعلم أن الأنبياء جاؤوا بالبيان الكافي، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج لم يختلف، فأقبل الشيطان إبليس يخلط بالبيان شبهًا، وبالدواء

---

(١) صدق الأنبياء لا يتوقف على المعجزة وحدها، بل إن إثبات صدق الأنبياء في دعوى النبوة بالمعجزة وحدها هو مسلك أهل الكلام. والذي عليه **أهل السنة** أن المعجزة دليل صحيح على النبوة، كما أن مما يثبت به صدق النبي في دعواه: نوع ما يأتي به من الخبر والأمر مما تحار فيه العقول ولا تحيله، وصفاته وأحواله التي اشتهر بها قبل ادعاء النبوة، كالصدق والأمانة، ومنها عاقبة النبي وأتباعه ومكذبيه، من نصر النبي وأتباعه، وإهلاك المكذبين. انظر ما ذكره شيخ الإسلام في شرح العقيدة الأصفهانية (٤٧١-٥٠٢)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٣١٩) وما بعدها، والنبوات.

(٢) هذه التسمية المقصود بها ابن آدم الأول، وإنما هي من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد بها نص في القرآن، ولا جاءت في سنة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا ألا نجزم بها ولا نرجحها، وإنما هي قول قيل. قاله الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله. انظر: عمدة التفسير (٤/ ١٢٣) بتصرف يسير.

سمًّا وبالسبيل الواضح جردًا[1] مضلة.

وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام، ويحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ويرون وأْد البنات ويمنعونهن الميراث، إلى غير ذلك من الضلال الذي سوَّله لهم إبليس، فبعث الله ﷻ محمدًا ﷺ، فرفع المقابح، وشرع المصالح، فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره سالمين من العدو وغروره.

فلما انسلخ نهار وجودهم أقبلت أغباش الظلمات، فعادت الأهواء تنشئ بدعًا، وتضيِّق سبيلًا ما زال متسعًا، ففرَّق الأكثرون دينهم وكانوا شيعًا، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف، وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل، فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح.

فرأيت أن أحذِّر من مكايده، وأدل على مصايده، فإن في تعريف الشر تحذيرًا من الوقوع فيه، ففي الصحيحين من حديث حذيفة قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني»[2].

وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن عليّ البزاز، قال: أنا أحمد بن عليّ الطُرَيْثيثي، قال: أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري، قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال: نا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: نا بشر بن موسى، قال: حدثنا عبيد بن يعيش، قال: نا يونس بن بكير، قال: نا محمد بن إسحاق، عن الحسن أو الحسين بن

---

(١) جردًا: أي فضاء لا نبت فيه. انظر: القاموس المحيط (جرد)، واللسان (جرد).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٦١٥، ٦١٦، رقم: ٣٦٠٦، ٣٦٠٧)، و(١٣/ ٣٥، رقم: ٧٠٨٤)، ومسلم (٣/ ١٤٧٥ رقم: ١٨٤٧)، وأبو داود (٤/ ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧ رقم: ٤٢٤٤، ٤٢٤٥، ٤٢٤٦)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٠٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٣).

عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني». فقيل: وكيف؟ فقال: «والله إنه ليُحْدِث البدعة في مشرقٍ أو مغربٍ، فيحملها الرجل إليَّ، فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسنة، فترد عليه كما أخرجها[١]».

فصل

وسميته بـ«تلبيس إبليس»، وقد وضعت هذا الكتاب محذرًا من فتنه، ومخوفًا من محنه، وكاشفًا عن مستوره، وفاضحًا له في خفي غروره، والله المعين بجوده كل صادق في مقصوده!

وقد قسمته ثلاثة عشر بابًا، ينكشف بمجموعها تلبيسه، ويتبين للفطن بفهمها تدليسه، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليسه، والله موفقي فيما قصدتُ، وملهمي للصواب فيما أردتُ.

ذكر تراجم الأبواب

الباب الأول: في الأمر بلزوم السنة والجماعة.

الباب الثاني: في ذم البدع والمبتدعين.

الباب الثالث: في التحذير من فتن إبليس ومكايده.

الباب الرابع: في معنى التلبيس والغرور.

الباب الخامس: في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٥ رقم ١٢)، عن محمد بن أحمد بن سهل به بلفظه.

الباب السادس: في ذكر تلبيسه على العلماء في فنون العلم.

الباب السابع: في ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين.

الباب الثامن: في ذكر تلبيسه على العباد في فنون العبادات.

الباب التاسع: في ذكر تلبيسه على الزهاد.

الباب العاشر: في ذكر تلبيسه على الصوفية.

الباب الحادي عشر: في ذكر تلبيسه على المتديّنين بما يشبه الكرامات.

الباب الثاني عشر: في ذكر تلبيسه على العوام.

الباب الثالث عشر: في ذكر تلبيسه على جميع الناس بتطويل الأمل.

الباب الأول
في الأمر بلزوم السنة والجماعة

• أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: ثنا علي بن إسحاق، قال أخبرنا عبد الله - يعني ابن المبارك -، قال: أخبرنا محمد بن سوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «**من أراد منكم بُحْبُوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**»(١).

• قال أحمد: وحدثنا جرير، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرة، قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال: إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا فقال: «**من أحب منكم أن ينال بُحْبُوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**»(٢). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٣).

• وأخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، ويحيى بن علي المدير قالا: أخبرنا أبو محمد الصَّرِيفِيني، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان، قال: حدثنا أبو محمد بن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٨) وأخرجه البخاري في تاريخه الكبير تعليقًا (١/ ١٠٢)، والترمذي (٤/ ٤٠٤ رقم ٢١٦٥)، والحاكم (١/ ١١٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٧١٧ رقم ٤٣١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٦)، وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٩١ رقم ٢٣٦٣)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٨٧ رقم ٩٢١٩) و (٥/ ٣٨٧ رقم ٩٢٢٠-٩٢٢١). وهذا الحديث اختلف فيه على عبد الملك بن عمير. قال الدارقطني في العلل (٢/ ١٢٥) بعد أن أورد هذه الطرق: (ويشبه أن يكون هذا الاضطراب في الإسناد عن عبد الملك بن عمير، لكثرة اختلاف الثقات عنه في الإسناد).

(٣) الحديث من هذا الطريق ليس عند الترمذي، وحكمه هذا إنما هو منصبٌّ على الطريق المتقدم قبل هذا، وقد جاء على الصواب في كتاب الحدائق للمؤلف (١/ ٥٣٩).

صاعد، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: نا أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد بُحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**»(١).

• أخبرنا عبد الأول بن عيسى، قال: أخبرنا الفُضَيل بن يحيى، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز، قال: أخبرنا أبو عبيد، قال: حدثنا النضر بن إسماعيل، عن محمد بن سوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن [عمر](٢) عن النبي ﷺ قال: «**من سرّه أن يسكن بُحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**»(٣).

• أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، قال: حدثنا ابن صاعد، قال: ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا أبو معاوية، عن يزيد بن مردانبه، عن زياد بن عِلاقَة، عن عَرْفَجَة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يد الله(٤) على الجماعة، والشيطان مع من يُخالف الجماعة**»(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٨٧، ٨٩٨)، والآجري في الشريعة (ص ٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٦ رقم ١٥٥).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ، والمثبت من غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ٣١٩).

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (١/ ٣١٩)، عن النضر بن إسماعيل به بلفظه. وتقدم تخريجه من هذا الطريق عند الحديث (ص٨٤) فانظره هناك.

(٤) هذا نص في إثبات صفة اليد لله ﷻ، ومن النصوص في ذلك ما رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه، وبوّبه بقوله: (باب قول الله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾)، عن أنس في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «**يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده...**» رقم (٧٤١٠)، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة... وقال: وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**» رقم (٧٤١١).

(٥) أخرجه النسائي (٧/ ٩٢-٩٣)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٤٥ رقم ٣٦٨)، و(١٧/ ١٤٤ رقم ٣٦٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢١)، وقال: رجاله ثقات.

• أخبرنا محمد بن عمر الأرموي، والحسين بن علي المقرئ، قالا: أخبرنا عبد الصمد بن المأمون، قال: أخبرنا علي بن عمر الدارقطني، قال: ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البُهلول، قال: حدثني أبي، قال: ثنا محمد بن يعلى، قال: ثنا سليمان العامري، عن الشيباني، عن زياد بن عِلاقَة، عن أسامة بن شريك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يد الله على الجماعة، فإذا شذ الشاذ**[1] **منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاذ من الغنم**»[2].

• أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: ثنا أسود بن عامر، قال: ثنا أبو بكر، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: خط رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيمًا**»، قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السُّبُل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][3].

• وبالإسناد قال أحمد: وحدثنا روح، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل، أن نبي الله ﷺ قال: «**إن الشيطان ذئب**

---

(١) في كتب التخريج: «الشاة».

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٩ رقم ١٤٤)، بإسناد ضعيف لضعف محمد ابن يعلى السلمي. ورواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٨١) مختصرًا، والطبراني في الكبير (١/ ١٨٦ رقم ٤٨٩)، بإسناده ضعيف جدا، فيه ابن أبي المساور، وهو متروك كما في التقريب (ص٣٣٢)، لكن متنه صحيح له شواهد عدة منها حديث معاذ الآتي قريبا، وحديث عمر عند الترمذي (٤/ ٤٠٤ رقم: ٢١٦٥)، وتقدم تخريجه مستوفى (ص ٨٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٦٥) و(١/ ٤٣٥)، وأخرجه النسائي في الكبرى(٦/ ٣٤٣ رقم ١١١٤٧)، و(رقم ١١١٧٥)، والحاكم (٢/ ٣١٨)،وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٥)، وقال: رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه ضعف.

الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب! وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد»(١).

• وبه قال حدثنا [أحمد](٢)، قال: حدثنا أبو اليمان، قال: حدثنا ابن عياش، عن البُختري بن عبيد بن سلمان عن أبيه، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: «**اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة؛ فإن الله ﷻ لن يجمع أمتي إلا على هدى**»(٣).

• أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، قال: أخبرنا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر الغُورَجِي، قالا: أخبرنا الجراحي، قال: أبنا المحبوبي، قال: أبنا الترمذي، قال: حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٤). قال

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٢-٢٣٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٦٤ رقم ٣٤٥ ورقم ٣٤٤)، قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢٢): رجال أحمد ثقات، إلا أن العلاء بن زياد قيل إنه لم يسمع من معاذ. ونص المزي في تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٩٧) على أن رواية العلاء بن زياد عن معاذ مرسلة، لكن يشهد له حديث عمر المتقدم برقم (ص ٨٤)، وحديث أسامة بن شريك المتقدم (ص ٨٤)، وغيرهما.

(٢) في جميع النسخ (أحمد)، وسقطت من المسند المطبوع، والصواب إثباتها كما في أطراف المسند لابن حجر (٦/ ١٨٠ رقم ٨٠٦٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٤٥)، قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢١): رواه أحمد وفيه البُختري بن عبيد، وهو ضعيف. والجملة الأخيرة منه وهي قوله: «**فإن الله ﷻ لم يجمع أمتي إلى على هدى**»: صحيحة كما ذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة له (٤/ ٢٨٠ رقم ١٧٩٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢ رقم ٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨-١٢٩)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٦٢)، ولأصل الحديث شاهد عن أبي سعيد الخدري عند البخاري (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣٢٠)، ومسلم ←

الترمذي: هذا حديث غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه[١].

• وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان، أنه قام فقال: **«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»**[٢].

• أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الطُرَيْثيثي، قال: أخبرنا هبة الله بن الحسن الحافظ، قال: أبنا محمد بن الحسين الفارسي، قال: أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق، قال: أنا العلاء بن سالم، قال: أنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش عن مالك بن الحارث، عن عُمارة عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٣].

• أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: أنا بشر بن موسى، قال: أنا محمد بن سعيد، قال: أنا ابن المبارك، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أُبَيّ بن كعب، قال: «عليكم بالسبيل والسنة! فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وإن اقتصادًا في سبيل الله وسنة خيرٌ من اجتهاد في

(٤/ ٢٠٥٤ رقم ٢٦٦٩)، وأخرجه البخاري أيضا من حديث أبي هريرة (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣١٩)، وأما ذكر الافتراق فثابت من طرق عديدة، يأتي بعضها (ص ١١١).

(١) في «أ» (حديث غير مفسر، ولا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه)، وفي «ت» (هذا حديث حسن غريب، لا يُعرف إلّا من هذا الوجه)، وما في الأصل موافق لما في سنن الترمذي المطبوع، سوى أنه قال: (مفسّر غريب).

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٥ رقم ٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ١٢٨)، وصحح إسناده الحاكم وسكت عنه الذهبي، وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٣٠) بعد ذكر حديث الترمذي عن عبد الله بن عمرو، قال: (ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس، وعوف بن مالك، وأسانيدها جياد).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٨ رقم ١١٤)، وأخرجه أحمد في الزهد (ص ١٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣)، وقال الحاكم: حديث مسند صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي. وقال البيهقي: (هذا موقوف، وروي عن الحسن عن النبي مرسلا، بزيادة ألفاظ).

خلاف سبيل وسنة»[١].

• أخبرنا سعد الله بن علي، قال: أخبرنا الطُرَيْثيثي، قال: أخبرنا هبة الله بن الحسن قال: أنا عبد الواحد بن عبد العزيز، قال: أنا محمد بن أحمد الشرقي، قال: أنا [عمر][٢] بن أيوب بن إسماعيل، قال أنا إسحاق بن إبراهيم المروزي، قال: أنا أبو إسحاق الأقرع، قال: سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة»[٣].

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أنا حمد بن أحمد، قال: أنا أبو نعيم الأصبهاني، قال: أنا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: أنا بشر بن موسى، قال: أنا الحميدي، قال: أنا سفيان بن عيينة، قال: سمعت عاصمًا الأحول يحدث عن أبي العالية، قال: «عليكم بالأمر الأول[٤] الذي كانوا عليه قبل أن تفترقوا». قال

---

(١) رواه المؤلف في كتاب الحدائق (١/ ٥٤٢) بهذا الإسناد مطولا. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٢)، من طريق ابن المبارك عن الربيع بن أنس عن أبي داود عن أُبَيّ بن كعب به بنحوه مطولا. وأبو داود هذا لعله داود السراج ذكره المزي في تهذيب الكمال (٨/ ٤٧١)، وقال: قيل: أبو داود، وهو وهم، وقال: روى عن أبي سعيد الخدري. وذكره الحافظ في التقريب (ص ٢٠٠) وقال مقبول. وقد بحثت في شيوخ الربيع بن أنس، وفي الرواة عن أُبَيّ بن كعب، فلم أجد فيهم راويًا ذكر بهذا الاسم، فالله أعلم.

(٢) في جميع النسخ: (عثمان)، وهو تحريف، والتصويب من مصادر التخريج، وكتب الرجال.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٤-٥٥ رقم ١١)، ورواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٤٣ رقم ٢١٤)، وإسناد ابن بطة معضل.

(٤) **المقصود بالأمر الأول**: ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ والتابعون ومن اقتدى بهم، من الاعتقاد والعمل، والاجتماع والائتلاف، فقد (كان أمر الأمة مجتمعًا، والقلوب متآلفة والأئمة عادلة، والسلطان قاهرًا، والحق ظاهرًا) كما يقول الإمام ابن بطة في الإبانة (١/ ١٦٥). وقال ابن بطة -أيضًا- بعد أن سرد أحاديث الافتراق ووجوب الاجتماع: (وإنما ذكرتُ هذه الأحاديث، في هذا الموضع من الكتاب، ليعلم العقلاء من المؤمنين وذوو الآراء من المميزين أن أخبار الرسول ﷺ قد صحت في أهل زماننا، فليستدلوا بصحتها على وحشة ما عليه أهل عصرنا، فيستعملوا الحذر من موافقتهم ومتابعتهم، ويلزموا اللجاء ⇐

عاصم: فحدثت به الحسن، فقال: «قد نصحك - والله - وصدقك»[١].

● أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: نا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: نا بشر بن موسى، قال: نا معاوية بن عمرو، قال: نا أبو إسحاق الفزاري، قال: قال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[٢].

● أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: نا محمد بن عبد الله بن سلم، قال: نا محمد بن منصور الهروي، قال: نا عبد الله بن عروة، قال: سمعت يوسف بن موسى القطان، يحدث أن الأوزاعي قال: رأيت رب العزة في المنام[٣]، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى

والافتقار إلى الله ﷻ في الاعتصام بحبله، والتمسك بدينه، والمجانبة والمباعدة ممن حاد الله في أمره وشرد شرود النادّ المغتلم) ا.هـ. الإبانة لابن بطة (١/ ١٦٩)، والناد: هو البعير إذا شرد ونفر. والمغتلم: الهائج. انظر: القاموس المحيط (١٤١١)، وتاج العروس (غلم).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٨)، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٣٦٧ رقم ٢٠٧٥٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٦ رقم ١٧).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٣)،وأخرجه الآجري في الشريعة (ص ١٤٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥٤-١٥٥ رقم ٣١٥).

(٣) قال القاضي عياض رحمه الله: (لم يختلف العلماء في جواز رؤية الله تعالى في المنام) فتح الباري (١٢/ ٣٨٧). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (قد يرى المؤمن ربه في المنام، في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يُشبه إيمانه. ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق). مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠). وقال أيضًا: (فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام؛ فإن سائر ما يُرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلًا، ولكن لابد أن تكون الصورة التي رآه فيه مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه). نقض تأسيس الجهمية (١/ ٧٣). وأصل هذه المسألة ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: لما احتبس ﷺ عن صحابته في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه: «... فنعست في

عن المنكر، قلت: بفضلك يا رب، وقلت: يا رب أمتني على الإسلام، فقال: وعلى السنة[١].

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أنا حمد[٢]، قال: أنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: نا إبراهيم بن عبد الله، قال: نا محمد بن إسحاق، قال: سمعت أبا همام السَّكُوني يقول: حدثني أبي، قال: سمعت سفيان يقول: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة[٣].

• أخبرنا محمد قال: أخبرنا حمد، قال: أنا أبو نعيم، قال: نا محمد بن علي، قال: نا عمرو بن عبدويه، قال: نا أحمد بن إسحاق، قال: نا عبد الرحمن بن عفان، قال: نا يوسف بن أسباط، قال: قال سفيان: يا يوسف، إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، فقد قلَّ أهل السنة والجماعة[٤]!

• أخبرنا سعد الله بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن علي الطُرَيْثيثي، قال: أنا هبة الله بن الحسن الطبري، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن العباس، قال: أنا البغوي، قال: نا محمد بن زياد البلدي، قال: نا أبو أسامة، عن حماد بن زيد، قال: قال أيوب: «إني لأُخْبَرَ بموت الرجل من أهل السنة، فكأني أفقد بعض أعضائي»[٥]!

صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة... » الحديث. رواه الترمذي (٣٢٣٥) وقال: حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٣)، انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣٧)، الرؤية للدارقطني (ص٣٠٨) وما بعدها.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٢-١٤٣).

(٢) زاد في «أ»: في هذا الموضع: (بن أحمد).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٢). وأخرجه الهروي في ذم الكلام (ص ١٢٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٤)، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٤ رقم ٥٠).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٥-٦٠ رقم ٢٩)، ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل (١/ ٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩)، والبيهقي في الزهد الكبير (ص ٢١٢ رقم ٥٣٥).

• وبه قال الطبري: وأخبرنا الحسين بن أحمد بن إبراهيم، قال: نا عبيد الله بن سعيد البُرُوجِرْدي، قال: نا عبد الله بن محمد بن وهب، قال: نا إسماعيل بن أبي خالد، قال: نا أيوب بن سويد، عن عبد الله بن شوذب، عن أيوب، قال: «إن من سعادة الحدث والأعجمي، أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة»[١].

• قال الطبري: وأخبرنا أحمد بن محمد بن حسنون، قال: نا جعفر بن محمد بن نصير، قال: نا أحمد بن محمد بن مسروق، قال: نا محمد بن هارون أبو نشيط، قال: نا أبو عمير بن النحاس، قال: نا ضمرة، عن ابن شوذب، قال: «إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يُؤاخي صاحب سنة يحمله عليها»[٢].

• قال الطبري: وأخبرنا عيسى بن علي، قال: نا البغوي، قال: نا محمد بن هارون، قال: نا سعيد بن شبيب، قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: «كان أبي قدريا[٣]، وأخوالي روافض[٤]، فأنقذني الله بسفيان»[١]!

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٠ رقم ٣٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٠ رقم ٣١)، ورواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٢٠٥ رقم ٤٣).

(٣) **قدريًا**: نسبة إلى القدرية، وقد سُموا قدرية لنفيهم قضاء الله وقدره، وقولهم بأن أفعال العباد مخلوقة لهم دونه، وأن الله تعالى يريد منهم ما لا يكون، ويكون منهم ما لا يريد. وأول من نطق بتلك المقالة في الإسلام رجل نصراني من أهل البصرة، يُقال له «سوسن»، فأخذ عنه معبد الجهني تلك المقالة، ثم أخذها غيلان الدمشقي عن معبد. انظر: الحور العين للحميري (ص٢٠٤)، التنبيه والرد للملطي (ص١٦٥ وما بعدها)، القدرية، د. ناصر العقل (ص١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٨)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩).

(٤) **روافض**: الروافض أو الرافضة من فرق الشيعة، وأشهر ما قيل في سبب تسميتهم «رافضة» أن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك، فرفضوه.. ولم يبق معه إلا مائتا فارس، لمقالته في الشيخين فقال لهم زيد: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. وقيل: سُمُّوا «رافضة» لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، وهناك أقوال أخرى في سبب تسميتهم. ومن **جملة عقائدهم**:

↩

● قال الطبري: وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص، قال: نا عبد الله بن عدي، قال: حدثني أحمد بن العباس الهاشمي، قال: نا محمد بن عبد الأعلى، قال: سمعت معتمر بن سليمان، يقول: «دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لي: ما لك؟ قلت: مات صديق لي، قال: مات على السنة؟ قلت: نعم، قال: لا تحزن عليه»(٢)(٣).

● قال الطبري: وأخبرنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا محمد بن الحسين، قال: نا أحمد بن زهير، قال: نا يعقوب بن كعب، قال: نا عبدة، قال: نا ابن المبارك، عن سفيان الثوري، قال: «استوصوا بأهل السنة خيرًا؛ فإنهم غرباء»(٤).

● أخبرنا أبو منصور بن خيرون، قال: أنا إسماعيل بن أبي الفضل الإسماعيلي، قال: أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي، قال: أخبرنا عبد الله بن عدي الحافظ، قال: نا أبو عوانة، قال: نا جعفر بن عبد الواحد، قال: قال لنا ابن أبي بكر بن عياش: قال أبو بكر بن عياش(٥): «السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان»(٦).

- إجماعهم على أن النبي ﷺ نصَّ على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه.
- أن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ.
- أن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٨٩)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٧٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٨١)، الغنية للجيلاني (١/ ٧٦).

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٠ رقم ٣٢).

(٢) أي: تفاؤلًا بحسن عاقبته، لاستقامته على السنة في حياته.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٧ رقم ٦١) ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٤ رقم ٤٩).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النّسخ، والمثبت من الكامل لابن عدي (٤/ ٢٩)، وأصول اللالكائي (١/ ٦٥ – ٦٦).

(٦) رواه عبد الله بن عدي في الكامل في ترجمة أبي بكر بن عياش (٤/ ٢٩) وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٥-٦٦ رقم ٥٤).

• سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي المقرئ، يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء يقول: سمعت أبا عبد الله[1] الإسكندراني، يقول: سمعت أبا منصور محمد بن محمد الأزدي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول: سمعت أحمد بن منصور الشيرازي، يقول: سمعت الحسين بن محمد الطبري، يقول: سمعت محمد بن المغيرة يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سمعت الشافعي، يقول: «إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ»[2].

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمْد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرني جعفر الخلدي في كتابه، قال: سمعت الجنيد يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسل، واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه[3].

• أخبرنا عمر بن ظفر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن جهضم، قال: نا محمد بن جابان، قال: سمعت حامد بن إبراهيم يقول: قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله ﷻ مسدودة على خلق الله ﷻ، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسنته، كما قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١][4].

---

(١) زاد في «أ» و«ت» في هذا الموضع: (محمد بن عبد الله).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١٠٩)،والبيهقي في المدخل إلى السنن (ص ٣١٩ رقم ٦٨٩)، وأخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص ٤٦ رقم ٩٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٥٧) وذكره القشيري في رسالته (ص ٧٩).

(٤)تقدم تخريجه في الأثر قبل هذا بنحوه.

الباب الثاني
في ذم البدع[١] والمبتدعين

• أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني، قال: أنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، قال: أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: أخبرني أبي، قال: نا يزيد عن إبراهيم بن سعد، قال: أخبرني أبي، ح وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي، وأبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، قالا: أخبرنا المطهر بن عبد الواحد، قال: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن المرزبان، قال: أنا محمد بن إبراهيم الحزوري، قال: نا لُوَيْن، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[٢].

• أخبرنا موهوب بن أحمد قال: أخبرنا علي بن أحمد بن البسري، قال: نا محمد بن عبد الرحمن المخلص، قال: نا عبد الله بن محمد البغوي، قال: نا أحمد بن إبراهيم الموصلي، وإسحاق بن إبراهيم المروزي، قالا: نا إبراهيم بن سعد، عن أبيه عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما**

---

(١) البدع: جمع بدعة، وأصل معناها في اللغة: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٠٩)، اللسان (بدع) الكليات (ص٢٢٦).
أما في الاصطلاح، فقد عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب). وعرّفها الإمام الشاطبي بقوله: (طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه). مجموع الفتاوى: (٤/ ١٠٧ - ١٠٨)، الاعتصام: (١/ ٥٠).
وانظر دراسةً موسعةً عن البدعة وأحكامها في: «حقيقة البدعة وأحكامها»، لسعيد بن ناصر الغامدي.

(٢) رواه لُوَيْن في جزئه (ص ٨٣ رقم ٧١). وأخرجه البخاري (٥/ ٣٠١ رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣ رقم ١٧١٨)، وأبو داود (٥/ ١٢ رقم ٤٦٠٦)، وابن ماجه (١/ ٧ رقم ١٤)، وأحمد (٦/ ٢٤٠).

ليس منه فهو رد»[1].

• قال البغوي: ونا عبد الأعلى بن حماد، قال: نا عبد العزيز، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن سعد بن إبراهيم، عن القاسم، عن عائشة ﵂، أن النبي ﷺ قال: «**من فعل أمرًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]. أخرجاه في الصحيحين[3].

• أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا هشيم، عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**».انفرد بإخراجه البخاري[4].

• أنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: نا الوليد بن مسلم، قال: نا ثور بن يزيد، قال: نا خالد بن معدان، قال: حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر، قالا: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه:﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾[التوبة: ٩٢]، فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين، وعائدين، ومقتبسين، فقال عرباض: «صلَّى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال

---

(١) انظر ما قبله.

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ٢٢٧). ولم أجده بهذا اللفظ عند غير الدارقطني، وقد تقدم تخريجه بلفظ آخر قريبا.

(٣) هو في الصحيحين بغير هذا اللفظ، وتقدم تخريجه قريبا.

(٤) الحديث ليس عند البخاري بهذا اللفظ من هذا الطريق، كما أشار المصنف، وإنما هو عنده بهذا اللفظ من طريق أنس بن مالك (٩/ ١٢٩ رقم ٥٠٦٣)، وكذا عند مسلم (٢/ ١٠٢٠ رقم ١٤٠١)، فالعزو إليه بهذا اللفظ من هذا الطريق وهم، لكن هذه الزيادة ثبتت من طريق سند البخاري عند اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٧ رقم ١٤٠)، ولفظ حديث الباب من طريق عبد الله بن عمرو: أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٥٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٧ رقم ١٣٩).

قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**(١).قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢).

• أخبرنا ابن الحصين، قال: أنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر ابن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا عبد الله بن الوليد، قال: نا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا فرطكم(٣) على الحوض، وليختلجن(٤) رجال دوني، فأقول: يا ربي أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**(٥).أخرجاه في الصحيحين.

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: نا أحمد بن إسحاق قال: نا عبد الله بن سليمان، قال: نا محمد بن يحيى، قال: نا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن عبد الله بن محيريز، قال: «يذهب الدين سُنَّةً سُنَّةً كما يذهب الجبل قوة قوة»(٦).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)،وأخرجه أبو داود (٥/ ١٣ رقم ٤٦٠٧وروواه الترمذي (٥/ ٤٣ رقم ٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/ ١٥ رقم ٤٢)، والحاكم (١/ ٩٥)، قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ١٤٤).

(٣) فَرَطُكم: الفَرط: المتقدم في طلب الماء. الغريب لأبي عبيد: (١/ ٤٥)، الفائق للزمخشري: (٣/ ٩٧).

(٤) أي: يُجتذبون ويُقتطعون. النهاية (خلج).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٥٥)،وأخرجه البخاري (١١/ ٥٦٦ رقم ٦٥٧٦)، و(١٣/ ٣ رقم ٧٠٤٩)، ومسلم (٤/ ١٧٩٦ رقم ٢٢٩٧)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٤).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٤٤) ورواه الدارمي في مقدمة سننه (١/ ٥٨ رقم ٩٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٣ رقم ١٢٧).

• أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنا عمر بن عبيد الله البقال: قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: نا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: نا حنبل، قال: حدثني أبو عبد الله- يعني: أحمد بن حنبل-، قال: نا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: كان ابن طاووس جالسا وعنده ابنه[1]، فجاء رجل من المعتزلة[2] فتكلم في شيء، فأدخل ابن طاووس أصبعيه في أذنيه، وقال: يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئا، فإن هذا القلب ضعيف، ثم قال: أي بني اسدد! فما زال يقول اسدد حتى قام الآخر[3][4].

---

(١) ابنه: هو طاووس بن عبد الله بن طاووس بن كيسان، ذكره البخاري في تاريخه الكبير: (٤/ ٣٦٥)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٢) **المعتزلة**: سميت المعتزلة بسبب الخلاف بين الحسن البصري وواصل بن عطاء، وقول هذا الأخير بالمنزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن من مجلسه، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة. فقيل له ولأتباعه: «معتزلة».
قال البغدادي: (لاعتزالهم قول الأمة، وادعائهم أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر)، وقد افترقت فيما بينها عشرين فرقة، تجتمع كلها على نفي صفات الله تعالى، ونفي رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة، والقول بخلق القرآن، ونفي القدر، وأن العباد يخلقون أفعالهم، وأن مرتكب الكبيرة من المسلمين في منزلة بين المنزلتين. انظر:
- الفرق بين الفِرق (٢٠-٢١، ١١٤-١١٥).
- التبصير في الدين للإسفراييني (٦٣-٦٥).
- اعتقادات فِرق المشركين والمسلمين للرازي (٢٧-٢٩).
- البرهان للسكسكي (٤٩-٥١).
- المقالات للبلخي (ضمن كتاب فضل الاعتزال) (١١٥)، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٢٥ رقم ٢٠٠٩٩)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٤٦ رقم ٤٠٠) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٥ رقم ٢٤٨) بنحوه.

(٤) ما أورده المصنف رحمه الله في هذا الأثر وفي الآثار القادمة في هذا الباب، فيه بيان لموقف السّلف وأئمتها من أهل البدع، وأنه لا يجوز مجالستهم، ولا السماع لكلامهم، وذلك لما يترتب على تلك المجالسة والمخالطة من مفاسد عظيمة على الدين، ومنها:
- ما يرد على المجالس لهم من شُبَهٍ لا يستطيع دفعها، فيضل بسببها عن سبيل الله والسنة، فتكون تلك المجالسة فتنة له في دينه.

• قال حنبل: ونا محمد بن داود، قال: حدثنا عيسى، عن محل الضبي، قال: كان رجل[١] معنا يختلف إلى إبراهيم، قال: فبلغ إبراهيم أنه قد دخل في الإرجاء[٢]، فقال له إبراهيم: إذا قمت من عندنا فلا تعد[٣].

• قال حنبل: ونا محمد بن داود الحداني، قال: قلت لسفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم في القدر[٤]-يعني إبراهيم بن أبي يحيى-، فقال: سفيان: عَرِّفوا الناس أمره، وسلوا ربكم العافية[٥]!

- أن مجالسة أهل البدع ومخالطتهم تؤدي إلى محبتهم والولاء لهم، وفي ذلك مشاقة للشرع الذي أمر ببغضهم وعداوتهم.

- ما تجرّ إليه مجالسة أهل البدع من سوء الظن بذلك المجالس، وإن كان صالحًا في نفسه.

انظر: موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع، للدكتور إبراهيم الرحيلي (٢/ ٥٥٠-٥٥٣)، هجر المبتدع للدكتور بكر أبو زيد (ص٣٤) وما بعدها.

(١) في ضعفاء العقيلي (٤/ ٧٨)، والنهي عن البدع لابن وضّاح (ص١٠٤ رقم ١٣٧)، أن ذلك الرجل هو: محمد بن السائب الكلبي.

(٢) **الإرجاء**: من أرجأ الأمر، إذا أخره، فالإرجاء التأخير، ومنه سُمي الذين يرون أن الإيمان قول بلا عمل «المرجئة»، كأنهم قدّموا القول وأرجؤوا العمل أي أخروه. اللسان (رجأ)، الفرق بين الفرق: (ص٢٠٢)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٣) أخرجه ابن وضاح في النهي عن البدع (ص ١٠٤ رقم ١٣٧)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٧٨) من طريق المغيرة عن إبراهيم بمعناه.

(٤) **القدر**: قال صاحب «مقاييس اللغة»: (القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته). ويطلق كذلك على الحكم والقضاء، وهو ما يقدّره الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور. والقدر في الاصطلاح الشرعي: تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك ومشيئته. وخلقه لها ووقوعها على حسب ما قدّرها. مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٦٥)، اللسان (قدر)، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للمحمود (ص٣٠).

والمقصود في النص أن الرَّجل كان يخوض في القدر، مما يؤدي به إلى التكذيب به. فإن (من وحّد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحَّد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده). التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢١٣).

(٥) رواه الإمام أحمد كما في العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٢٩٠ رقم ٢٢٩١) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٦٣).

• قال حنبل: ونا سعدويه، قال: ثنا صالح المري، قال: دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه، فقال ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن نقوم[١].

• أخبرنا المحمدان: ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: نا أبو بكر بن راشد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: نا سعيد بن عامر، عن سلام ابن أبي مطيع، قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب: أكلمك بكلمة؟ قال: لا، ولا نصف كلمة[٢]!

• قال ابن راشد: وحدثنا أبو سعيد الأشج، قال: نا يحيى بن يمان، عن مخلد بن حسين، عن هشام بن حسان، عن أيوب السختياني، قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله ﷻ بعدًا[٣].

• أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز، قال: أخبرنا الطُرَيْثيثي، قال: أخبرنا هبة الله بن الحسن، قال: أنا عيسى بن علي، قال: أخبرنا البغوي، قال: نا أبو سعيد الأشج، قال: نا يحيى بن اليمان، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها[١][٤].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٨١ رقم ٤٠١)، وابن سعد في طبقاته (٧/ ١٩٧)، والآجري في الشريعة (ص ٥٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٧٣ رقم ٤٨٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٣ رقم ٢٤٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٩)، وأخرجه الدارمي في سننه (١/ ٨١ رقم ٤٠٢)، والآجري في الشريعة (ص ٥٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٤٧-٤٧٢ رقم ٤٠٢-٤٨٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٣ رقم ٢٨٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٩)، ورواه ابن وضاح في النهي عن البدع (ص ٦٢ رقم ٧٠)، ورواه الهروي في ذم الكلام (ص ١٢٤).

(٤) والسبب في عدم توبة المبتدع أنه يرجو بعمله، أو قوله، أو اعتقاده المحدث التقرب إلى الله تعالى، فلا ينفك ملازمًا لهذا العمل ومقيمًا عليه. ولما كان أهل البدع أضر على الأمة من أهل المعاصي أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، ونهى عن قتال الولاة الظلمة. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٤).

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: نا سليمان بن أحمد، قال: نا الحسن بن علي المعمري، قال: نا محمود بن غيلان، قال: نا مؤمل بن إسماعيل، قال: مات عبد العزيز بن أبي رواد وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس، وجاء الثوري، فقال الناس: جاء الثوري، جاء الثوري! فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه، فجاوز الجنازة ولم يصل عليه؛ لأنه كان يُرمى بالإرجاء[٢].

• أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد السمرقندي،قال: أنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنا أحمد بن روح النهرواني، قال: أخبرنا طلحة بن أحمد الصوفي، قال: نا محمد بن أحمد بن أبي مهزول، قال: سمعت أحمد بن عبد الله، يقول: سمعت شعيب بن حرب يقول: سمعت الثوري يقول: من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع، ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروةً عروةً[٣].

• أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: أبنا سليمان بن أحمد، قال: نا عبد الله بن محمد، قال: أنا سعيد الكريزي، [ثنا سعيد بن عامر][٤]، قال: مرض سليمان التيمي، فبكى في مرضه بكاء شديدًا، فقيل له: ما يبكيك؟ أتجزع من الموت؟ قال: لا، ولكن مررت على قدري

---

(١) أخرجه البغوي في مسند علي بن الجعد (٢/ ٧٤٨ رقم ١٨٨٥)، ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٢ رقم ٢٣٨).وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٩)، وذكر القصة الذهبي في السير (٧/ ١٨٦).

(٣) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٣٨).وأخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٦١ رقم ٤٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٣-٣٤).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل و«ت»، ومحله في «أ»: بياض، والمثبت من كتاب الحدائق لابن الجوزي (١/ ٥٤٥)، والحلية لأبي نعيم (٣/ ٣٢).

فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه[١].

• أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ويحيى بن علي قالا: أخبرنا أبو محمد الصَّرِيفِيني، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبدان، قال: نا محمد بن حسين البيع قال: حدثني أبي، قال: نا محمد بن بكر، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه[٢].

• أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: نا سليمان بن الأحمد، قال: نا محمد بن النضر، قال: نا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفُضَيل بن عياض يقول: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه[٣].

• أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال: نا محمد بن علي، قال: نا أبو يعلى، قال: نا عبد الصمد، قال: سمعت الفُضَيل يقول: إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر، ولا يرتفع لصاحب البدعة إلى الله ﷻ عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام[٤].

• وسمعت رجلا قال للفضيل: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها، فقال: له الفُضَيل: من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع

---

(١) رواه ابن الجوزي في كتاب الحدائق (١/ ٥٤٥-٥٤٦) بهذا الإسناد. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣)،ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٧ رقم ٢٦١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣)، ورواه الهروي في ذم الكلام (ص ٢٢٠). ورواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٦٠ رقم ٤٤٠)،ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٧ رقم ٢٦٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣-١٠٤)،وروى شطره الأول: ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٧٥ رقم ٤٩٣)،وأما قوله: (ولا يرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل) فأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٩ رقم ٢٧٢).

صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله ﷻ من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له»[١][٢].

قال المصنف: قلت: وقد روي بعض هذا الكلام مرفوعًا:

○ فأنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أنبأنا أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحاكم، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن دينار، قال: نا محمد بن سهل القهستاني، قال: نا سعيد بن بلال الشامي، قال: نا الحسن بن يحيى الخشني، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام**»[٣].

● أخبرنا محمد بن أبو منصور، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المُزَكي، قال: أنا محمد بن المسيب، قال: حدثنا عبد الله بن خُبَيْق، قال: نا يوسف عن محمد بن نضر الحارثي، قال: «من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة، نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه»[٤].

---

(١) تقدم سنده في الأثر قبل هذا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣).وقوله: «من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة» أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٦٠ رقم ٤٣٩) والبيهقي في الشعب (٧/ ٦٤ رقم ٩٤٨٢).

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٣٥-٢٣٦)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٧١)، قال ابن الجوزي: وأما حديث عائشة ففيه الخشني، قال ابن عدي: هذا حديث باطل موضوع، الخشني يروي عن الثقات ما لا أصل له.وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٥٢) وقد توبع أي الخشني على هذا الحديث تابعه الليث بن سعد، كما أخرجه ابن عساكر في تاريخه. وروي من غير طريق عائشة: انظر السلسلة الضعيفة للألباني (٤/ ٣٤٠ رقم ١٨٦٢).

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٥٩-٤٦٠ رقم ٤٣٤، ٤٤٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٥-١٣٦ رقم ٢٥٢)،والهروي في ذم الكلام (ص ٢٢٠).

• أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله الفاتني[١] يقول: سمعت علي بن عيسى يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال صاحبنا يعني الليث بن سعد: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قَبِلْتُه، فقال الشافعي: «أما إنه قصر، لو رأيته يمشي على الهواء ما قَبِلْتُه[٢]»[٣].

• أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا طاهر بن أحمد قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا الحسن بن عمرو، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: «جاء موت هذا الذي يقال له المريسي[٤]، وأنا في السوق، فلولا أنه كان موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود، الحمد لله الذي أماته هكذا قولوا»[٥].

• حدثت عن أبي بكر الخلال، عن المروذي، عن محمد بن سهل البخاري قال: كنا عند الفريابي فجعل يذكر أهل البدع، فقال له رجل: لو حدثتنا كان أعجب إلينا،

---

(١) في «أ»: (العباسي)، وفي «ت»: (القابني)، وفي الحلية (٩/ ١١٦): (القاري)، وفي موضع آخر من الحلية (٧/ ٢٨٩): (القايني) ولعلّها أصوب، نسبة إلى قاين، وهي بلدة بين نيسابور وأصبهان كما في الأنساب (١٠/ ٣٧).

(٢) أخرجه شطره الأول أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦).ورواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ١٨٤)،وابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٣٤ رقم ٦٦٢).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله (كان السَّلف [يعدّون] كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ويذمونهم بذلك، ويأمرون بألا يُغتر بهم، ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام والحجاج، أو العبادة والأحوال، مثل المكاشفات وخرق العادات). الاستقامة: (١/ ٢٥٤).

(٤) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي، أبو عبد الرحمن البغدادي، زعيم فرقة (المريسية) من المرجئة، فقيه معتزلي متكلم، جمع بين ضلالات عدة وبدع مختلفة، رُمي بالزندقة، توفي سنة ٢١٨هـ.
الفرق بين الفرق: ص (٢٠٤)، تاريخ بغداد: (٧/ ٥٦)، لسان الميزان: (٢/ ٢٩).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٦٦-٦٧).

فغضب وقال: «كلامي في أهل البدع، أحب إلي من عبادة ستين سنة»[(١)].

فصل

فإن قال قائل: قد مدحت السنة وذممت البدعة، فما السنة وما البدعة؟ فإنا نرى كل مبتدع في زعمنا يزعم أنه من أهل السنة[(٢)]؟

فالجواب: أن السنة في اللغة الطريق، ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة[(٣)]؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه.

والبدعة: عبارة عن فعل لم يكن فابتدع، والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة؛ إذ توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان[(٤)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) كما هو شائع عن الأشاعرة والماتريدية فإنهم يدّعون أنهم هم أهل السنة والجماعة على الإطلاق، كما ادّعت المعتزلة والزيدية أنها الفرقة الناجية، زاعمين أنه ورد في بعض روايات حديث الافتراق بزيادة: «أبرُّها وأتقاها المعتزلة». انظر: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٢/ ٣)، وتبيين كذب المفتري (ص١٩)، البحر الزخار (١/ ٤٣)، طبقات المعتزلة لابن المرتضى (ص٢).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في **التعريف بأهل السنة**: (المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوائب، هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصِّدِّيقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدُّجى، أولو المناقب المأثورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة). شرح العقيدة الواسطية للفياض (ص٤٩٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٥)، والفِصل لابن حزم (٢/ ٢٧١).

(٤) كما ورد عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا. فالشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان). الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤-٦٥).

فإن ابتُدع شيءٌ لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطي عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه، وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزًا؛ حفظًا للأصل وهو الاتباع[(١)]:

○ وقد قال زيد بن ثابت لأبي بكر وعمر حين قالا له: اجمع القرآن: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله[(٢)]؟!

○ فأخبرنا محمد بن علي بن أبي عمر، قال: أخبرنا علي بن الحسين بن أيوب، قال: أنا أبو علي بن شاذان، قال: أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان، قال: أخبرنا أحمد بن محمد البِرْتي، قال: نا أبو حذيفة، قال: نا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبي سلمة، أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول: لبيك ذا المعارج. فقال: ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله[(٣)]!

---

(١) وهذا النوع من البدع هو ما كان من باب البدع الإضافية لا الحقيقية، إذ البدعة الإضافية هي التي لها نوع تعلق بالدليل الشرعي. ونقل ابن الجوزي لجوازها باعتبار بعض الأوجه:
- أنها تُسمى بدعة من جهة اللغة.
- أنها مندرجة تحت أصل دلّ عليه الكتاب أو السنة.
ومن أمثلة البدع الإضافية ملازمة الخشن من الثياب أو الطعام مع القدرة على غيره من الطيبات لمجرد التشديد على النفس، بقصد التقرب إلى الله ﷻ، ومنها من يجد للطهارة ماءين ساخنًا وباردًا فيتحرّى البارد الشاق استعماله ويترك الآخر. وعليه فتنفير السلف من هذا النوع من البدع هو بسبب اختلاط العمل من هذا القبيل ببعض المبتدعات وإن كان في أصله مشروعًا؛ ولكونه يتخذ دينًا يُتقرب به إلى الله. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٨٥، ٥٩٣-٥٩٤)، ومجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٠٥)، والاعتصام للشاطبي (١/ ٣٦٧ وما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ١٠ رقم ٤٩٨٦)، والترمذي (٥/ ٢٦٤ رقم ٣١٠٣)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٥/ ٩ رقم ٨٠٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٧٢)، والبزار في البحر الزخار (٤/ ٧٧ رقم ١٢٤٤)، والدارقطني في العلل (٤/ ٣٨٧)، قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٢٦): (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد الله بن أبي سلمة لم يسمع من سعد بن أبي وقاص، والله أعلم)، وانظر الدارقطني في العلل (٤/ ٣٨٦).

○ أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: نا أحمد بن إبراهيم الدورقي، عن محمد بن فضيل قال: نا عطاء بن السائب، عن أبي البُختري، قال: أخبر رجل[١] عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول: كبروا الله كذا، سبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا.

قال عبد الله: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم. فأتاهم فجلس، فلما سمع ما يقولون قام وكان رجلًا حديدًا[٢] فقال: أنا عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلمًا، ولقد فَضَلتم أصحاب محمد ﷺ علما. فقال: عمرو بن عتبة: أستغفر الله! فقال: عليكم بالطريق فالزموه، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لتضلن ضلالًا بعيدًا[٣].

○ أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، عن أبي محمد الجوهري، عن أبي عمر ابن حَيُّوَيْه، قال: حدثنا ابن معروف، قال: نا الحسين بن الفهم، قال: نا محمد بن سعد، قال: نا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: نا ابن عون، قال: كنا عند إبراهيم النخعي فجاء رجل فقال: يا أبا عمران ادع الله أن يشفيني! فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى

(١) جاء هذا الرّجل مسمّى في بعض الطرق عند الطبراني في الكبير (٩/ ١٢٥)، وأبي نعيم في الحلية (٤/ ١٨١)، وهو المسيب بن نجبة.

(٢) حديدًا: أي في اللسن والفهم والغضب. اللسان، والقاموس المحيط (حدد).

(٣) أخرجه عبد الله في زوائده على الزهد (ص ٤٢٨) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨٠-٣٨١). ورواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٢٢١ رقم ٥٤٠٩)، و الطبراني في الكبير (٩/ ١٢٥ رقم ٨٦٢٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٦) وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وفي بعض طرق الطبراني الصحيحة المختصرة... ثم ذكر لفظ الحديث.

عرفنا كراهية ذلك في وجهه[١]، وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها، وذكر ما أحدث الناس فكرهه، وقال فيه[٢].

○ أخبرنا المحمدان: ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن زبان يقول: سمعت ذا النون يقول وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس، فقال: أنا لا أتكلم في شيء من هذا؛ فإن هذا محدث، سلوني عن شيء من الصلاة أو الحديث. قال: ورأى ذو النون عليَّ خفًّا أحمر، فقال: انزع هذا يا بني فإنه شهرة، ما لبسه رسول الله، إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين[٣][٤].

فصل

قد بيَّنا أن القوم كانوا يحترزون من كل بدعة، وإن لم يكن بها بأس؛ لئلا يحدثوا ما لم يكن، وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة، ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (من قال لغيره من الناس: ادعُ لي أو لنا، وقصدُه أن ينتفع ذلك المأمور بالدعاء، وينتفع هو أيضًا بأمره، ويفعل ذلك المأمور به كما يأمره بسائر فعل الخير؛ فهو مقتدٍ بالنبي ﷺ مؤتم به، ليس هذا من السؤال المرجوح. وأما إن لم يكن مقصده إلا طلب حاجته، لم يقصد نفع ذلك والإحسان إليه، فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤتمين به في ذلك، بل هذا هو من السؤال المرجوح الذي تركهُ إلى الرغبة إلى الله وسؤاله أفضل من الرغبة إلى المخلوق وسؤاله). قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٧١).

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٦/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ١٠٨ رقم ١٥٥)، والترمذي (٥/ ١١٤ رقم ٢٨٢٠)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٦ رقم ٣٦٢٠). قال الترمذي: هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث دلهم، وقد رواه محمد بن ربيعة عن دلهم، انتهى. ودلهم بن صالح ضعيف كما في التقريب (ص ٢٠١) لكن له متابعة تقويه: انظر:أبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي ﷺ (ص ١٤٢ رقم ٣٧٨).
ساذجين: مفردها ساذج، وهو الخالص غير المشوب وغير المنقوش. وهي كلمة فارسية أصلها (ساده). المعجم الوسيط (١/ ٤٢٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٦٣).

بأسا، كما روي أن الناس كانوا يصلون في رمضان وُحدانًا، وكان الرجل يصلي فيصلي بصلاته الجماعة، فجمعهم عمر على أُبَيّ بن كعب، فلما خرج فرآهم قال: نعمت البدعة هذه[(١)]!

وكذلك قال الحسن: «القصص بدعة ونعمت البدعة! كم من أخ يستفاد ودعوة مستجابة»[(٢)].

قال المصنف: قلت: إنما جمعهم عمر على أبي؛ لأن صلاة الجماعة مشروعة، وإنما قال الحسن في القصص: نعمت البدعة؛ لأن الوعظ مشروع، ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم[(٣)]. فأما إذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة، وإن كانت مضادة فهي أعظم!

فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون، وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئًا لم يكن قبلُ، لا مستند له، ولهذا استتروا ببدعتهم ولم يكتم أهل السنة مذهبهم، فكلمتهم ظاهرة، ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم:

---

(١) أخرجه البخاري دون بقية الكتب الستة (٤/ ٢٥٠ رقم ٢٠١٠)، ومالك في الموطأ (١/ ١١٤ رقم ٣) بنحوه مطولا.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في كتاب القصّاص والمذكرين (ص١٧٢ رقم ١١)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٩ تحقيق شعيب الأرنؤوط).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالنبي ﷺ قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى، وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا: «**إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن تفرض عليكم**...» فعلّل ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض، فعلم بذلك أن المقتضي للخروج قائم، وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم. فلما كان في عهد عمر رضي الله عنه جمعهم على قارئ واحدٍ، وأسرج المسجد، فصارت هذه الهيئة -وهي اجتماعهم في المسجد وعلى إمام واحد مع الإسراج- عملًا لم يكونوا يعملونه من قبل؛ فسمي بدعة، لأنه في اللغة يسمى بذلك، ولم يكن بدعة شرعية؛ لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض. وخوف الافتراض زال بموته ﷺ فانتفى المعارض). اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٩٤-٥٩٥).

○ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: نا يعلى بن عبيد، قال: نا إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**». أخرجاه في الصحيحين[١].

○ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا ابن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا يونس، قال: نا حماد -يعني ابن زيد-، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**». انفرد بإخراجه مسلم[٢].

○ وقد رَوَى هذا المعنى عن النبي ﷺ معاوية[٣] وجابر بن عبد الله[٤] وقرة[٥].

أخبرنا الكروخي، قال: أخبرنا الغُورَجِي والأزدي قالا: أخبرنا الجراحي، قال: حدثنا المحبوبي، قال: نا الترمذي، قال: قال محمد بن إسماعيل، قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث[٦].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٤٤) و(٤/ ٢٤٨، ٢٥٢)، وأخرجه البخاري (٦/ ٦٣٢ رقم ٣٦٤٠)،و (١٣/ ٢٩٣ رقم ٧٣١١) و(١٣/ ٤٤٢ رقم ٧٤٥٩)، ومسلم (٣/ ١٥٢٣ رقم ١٩٢١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٩،٢٧٨)،ورواه مسلم في (٣/ ١٥٢٣ رقم ١٩٢٠) مختصرا، وأبو داود (٤/ ٤٥٠ رقم ٤٢٥٢) مطولا، والترمذي (٤/ ٤٣٨ رقم ٢٢٢٩) بنحوه، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٤ رقم ٣٩٥٢) مطولا.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٩٣ رقم ٧٣١٢)، ومسلم (٣/ ١٥٢٤ رقم ١٩٢٤)، وأحمد (٤/ ١٠١).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٤ رقم ١٩٢٣)، وأحمد (٣/ ٣٤٥، ٣٨٤).

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤)، والطيالسي (ص١٤٥ رقم ١٠٧٦)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٧ رقم ٥٥).

(٦) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٣٨)، وأخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص ٢٧ رقم ٥٠) وذكره ابن عدي في الكامل (١/ ١٢١).

فصل في بيان انقسام أهل البدع

أخبرنا عبد الملك الكروخي، قال: أنا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر الغُورَجِي، قالا: أخبرنا الجراحي، قال: نا المحبوبي، قال: نا الترمذي، قال: حدثنا الحسين بن حريث، قال: نا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**» قال الترمذي: هذا حديث صحيح[(١)(٢)].

وقد ذكرنا هذا الحديث في الباب الذي قبله[(٣)] وفيه:«**كلهم في النار إلا ملة واحدة**». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٤)].

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: نا حسن قال: نا ابن لهيعة، قال: نا خالد بن [يزيد][(٥)]، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة، وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، تهلك إحدى وسبعون ويخلص**

---

(١) في سنن الترمذي المطبوع (٥/ ٢٦ رقم ٢٦٤٠ تحقيق أحمد شاكر): حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥ رقم ٢٦٤٠) وقال: حديث حسن صحيح. والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)وقال: صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي.ورواه أبو داود (٥/ ٤ رقم ٤٥٩٦) وابن ماجه (٢/ ١٣٢١ رقم ٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢).

(٣) انظر: (ص ٨٤).

(٤) تقدم (ص ٨٧). من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٥) في الأصل: (زيد)، وفي «أ» مطموس بعضه، وفي «ت» سقط في هذا الموضع، والتصويب من كتب الرّجال.

فرقة. قالوا: يا رسول الله، من تلك الفرقة؟ قال: **الجماعة**»[١].

فإن قيل: هل هذه الفرق معروفة؟

فالجواب: أنَّا نعرف الافتراق وأصول الفرق، وأن كل طائفة من الفرق انقسمت إلى فرق وإن لم نُحِط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها، وقد ظهر لنا من أصول الفرق: الحرورية[٢]، والقدرية[٣]، والجهمية[٤]،والمرجئة[٥]، والرافضة[١]، والجبرية[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٥)، وإسناده ضعيف لحال ابن لهيعة، ولإرساله؛ لأن رواية سعيد بن أبي هلال عن أنس مرسلة كما في ترجمته، لكن له عن أنس طرق يعضد بعضها بعضًا: انظر: ابن ماجه (٢/ ١٣٢٢ رقم ٣٩٩٣) بنحوه، و أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٥٢ رقم ٤١٢٠)، وأحمد في المسند (٣/ ١٢٠).والحديث حسنه الشيخ الألباني من طريق أنس لتعدد رواياته كما في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٥٨-٣٥٩ رقم ٢٠٤).وللحديث شواهد تقدم بعضها (ص ٨٧، ١١١).

(٢) **الحرورية**: من ألقاب الخوارج، وسبب تلقيبهم بهذا اللقب أنهم لما خرجوا على علي ﷺ في أول أمرهم نزلوا مكانًا يقال لها: «حروراء»، قرية بظاهر الكوفة، ومن ذلك قول عائشة ﷺ للمرأة التي سألت: كيف تقضي الحائض الصوم دون الصلاة؟ فقالت: (أحرورية أنت؟). أحمد في المسند (٦/ ٩٧).
ومن ألقابهم كذلك «الشُّراة» لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة، ومنها «المحكمة» لإنكارهم الحكمين وقولهم: «لا حكم إلا لله»، ومنها «المارقة» للحديث: «... **يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» وهم لا يرضون بهذا اللقب، وينكرون أن يكونوا مارقة من الدين.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٦-٢٠٧)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٠)، الحور العين للحميري (٢٠٠-٢٠١)، المنتظم لابن الجوزي (٥/ ١٣٦-١٣٧).

(٣) القدرية: سبق التعريف بهم (ص٩٢).

(٤) **الجهمية**: هم أتباع جهم بن صفوان، رجل من ترمذ. الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، لا اختيار للناس فيما يجري عليهم ولا استطاعة لهم بحال، وزعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، وزعم أن الله تعالى حادث ولا يوصف بشيء من الصفات. وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، التنبيه والرد على أهل الأهواء، للملطي (ص١١٠-١١٣)، الفرق بين الفرق (ص٢١١)، التبصير في الدين (ص١٠٧-١٠٨).

(٥) **المرجئة**: من الإرجاء، وهو التأخير، وسموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن الإيمان. فالإيمان عندهم هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، وأن ما سوى الإقرار من أعمال القلب والجوارح، فليس بإيمان.

والجبرية[٢]. وقد قال بعض أهل العلم[٣]: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة[٤]:

وهم الغلاة في إثبات الوعد والرجاء، ونفي الوعيد والخوف عن المؤمنين، وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢١٣-٢١٤)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٠٢)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص٩٧)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩-٣٥٠).

(١) الرافضة: سبق التعريف بهم (ص ٩٢)، وسيأتي ذكر تلبيس إبليس على الرافضة (ص ٢٨٨).

(٢) الجبرية: سموا بهذا الاسم نسبة إلى الجبر، وهو القول بأن العبد مجبر أي مكره على أفعاله، لا اختيار له ولا مشيئة، وهذا يقتضي نفي الفعل حقيقة عن العبد. وإضافته إلى الرب تعالى. فالإنسان عندهم مضطر ومجبور على فعله.

وهم أصناف، جبرية خالصة وهم الذين لا يثبتون الفعل ولا القدرة على الفعل للعبد أصلًا، فهو كالريشة المعلقة في الهواء. وجبرية متوسطة يثبتون للعبد قدرة ولكنها غير مؤثرة. فالجبرية هم الغلاة في نفي الاستطاعة والاختيار، وأشهر فرقهم: الجهمية.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٣٣٨-٣٣٩)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢١١)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص١٠٧-١٠٨)، الملل والنحل (١/ ٨٥)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩).

(٣) أكاد أجزم أن كل ما أورده ابن الجوزي هنا في التعريف بالفرق، قد نقله عن البَلْخِي من كتابه «بيان وآثار وعلامات الاثنتين وسبعين فرقة»، وهو مخطوط وعندي منه نسخة.

(٤) إن مسألة تحديد الفرق الثنتين والسبعين، مسألة -كما قال الإمام الطرطوشي- طاشت فيها أحلام الخلق، فكثير من العلماء ممن تقدم وتأخر عينوها.

فمنهم من عدّ أصولها عشرًا: الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية والضرارية والحسينية والبكرية والعامة وأصحاب الحديث والكلابية. وهذا صنيع أبي الحسن الأشعري في مقالاته (١/ ٦٥).

ومنهم من جعلها ستًا -كابن الجوزي هنا- وهي: الحرورية، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية.

ومنهم من جعلها خمسًا -كابن حزم- وهي: أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج. الفصل (٢/ ٢٦٥).

ومنهم من جعلها أربعًا: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، وهو صنيع البغدادي في «الفرق»، والإسفراييني في «التبصير»، والسكسكي في «البرهان»، والإمام الطرطوشي في «الحوادث والبدع». وانظر: الإبانة لابن بطة (١/ ٣٦٦) وما بعدها. إلا أن الاختلاف في أصول الابتداع ليس بأشد من

ﷺ

- **انقسمت الحرورية اثنتي عشرة فرقة:**

١- **فأولهم الأزرقية**[١]: قالوا: لا نعلم أحدًا مؤمنًا. وكَفَّروا أهلَ القبلة إلا من دان بقولهم.

٢- **والإباضية**[٢]: قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق.

تحديد الفرق المتفرعة عن تلك الأصول حتى الوصول بها إلى اثنتين وسبعين. فالأمر على هذه الحال لا يخلو من تكلّف، وقول بغير علم؛ إذ إن الزمان باق، والتكليف قائم، والخطرات متوقعة، وهل قرن أو عصر يخلو إلا وتحدث فيه البدع. فالبدع قد نشأت إلى الآن ولا تزال تكثر. انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٣٣).

فالحاصل أن الفرق الثنتين والسبعين لا يمكن تعيينها بأعيانها أو الجزم بأن هذه الفرقة أو تلك من الثنتين والسبعين إلا بدليل، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أما تعيين هذه الفِرق، فقد صنّف الناس فيهم مصنفات. وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل. فإن الله حرّم القول بلا علم عمومًا، وحرّم القول عليه بلا علم خصوصًا... وأيضًا فكثير من الناس يخبر عن هذه الفِرق بحكم الظن والهوى). مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٦).

(١) الذي عند البَلْخِي في تعريفه (**الأزرقية**): أن رأيهم هو أن (بقية الناس - ما عدا من عاصر الوحي - مسلمون وليسوا بمؤمنين). فلعلّ المصنف رحمه الله تصرّف في النقل. انظر (ق ٥/ ب) من كتاب البَلْخِي.
ثم إن اسمهم المشتهر هو «الأزارقة»، وهم فرقة من فرق الخوارج، أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي، وهم أشد فِرق الخوارج شوكة وأكثرهم عددًا.
أهم معتقداتهم:
- أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون.
- أن من لم يهاجر إليهم من موافقيهم مشركون.
- امتحان من جاء قاصدًا معسكرهم، بقتل أسير من مخالفيهم.
- استباحة قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم.
- الحكم بالشرك والخلود في النار على أطفال مخالفيهم.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٦٨-١٦٩)، الفرق بين الفِرق للبغدادي (ص٨٣)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص٤٩-٥٠)، الملل والنحل (١/ ١٣٧-١٤١).

(٢) **الإباضية**: هم أتباع عبد الله بن إباض، وهم أربع فرق: الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها. وتجتمع فرق الإباضية على القول بأن مخالفيهم من هذه الأمة كفار، لا مشركين ولا مؤمنين، وأجازوا شهادتهم، وحرّموا دماءهم في السر واستحلوها في العلانية، وقالوا بصحة مناكحتهم ←

٣- والثعلبية[١]: قالوا: إن الله ﷻ لم يقض ولم يقدِّر.

٤- والحازمية[٢]: قالوا: لا ندري ما الإيمان! والخلق كلهم معذورون.

٥- والخلفية[٣]: زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى كَفَر.

والتوارث منهم، ويحرّمون بعض غنائمهم، ويستحلون بعضًا.. وأن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كُفْرَ نعمة، وهو في الآخر مخلد في النار.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٨٤-١٨٥)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٠٣-١٠٤)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص٥٨)، التنبيه والرد للملطي (ص٦٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٥٦-١٥٧)، الموجز لأبي عمّار الكافي (٢/ ٩٤-١٠٥)، مشارق أنوار العقول للسالمي (٢/ ٣٠٤-٣١٨)، الإباضية ليحيى معمر (٢/ ٩١-٩٦).

أما التعريف الذي نقله ابن الجوزي رحمه الله فإني لم أجد - بعد البحث - من وافقه عليه، اللهم إلا البَلْخِي في كتابه آنف الذكر، وابن الجوزي نفسه وافق كتّاب المقالات في عرض آراء الإباضية في كتابه «كيد الشيطان لنفسه مثل كيده آدم مع شرح الفرق المضلة» (ق٢٢/ أ).

(١) **الثعلبية**: هم أتباع ثعلبة بن مشكان، وهم فرع عن فرقة العجاردة التي تنتسب إلى عبد الكريم بن عجرد، وسبب افتراقهم اختلافهم في أمر الأطفال المخالفين، فاختار ابن عجرد البراءة منهم، واختار ثعلبة موالاتهم. فكان الثعالبة يقولون - بالإضافة إلى أقوال الخوارج الأخرى - بولاية الأطفال إلى أن يتبين منهم إنكار الحق، وقد تفرقت هذه الفرقة إلى فرق شتى.

انظر: الفرق بين الفِرق (ص١٠٠-١٠١)، المِلل والنحل للبغدادي (ص٧٣)، اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٦١)، الخِطط للمقريزي (٢/ ٣٥٥).

وما جاء هنا في التلبيس، فإني لم أجده - بعد البحث - إلا في كتاب البَلْخِي. وقارن مع كلامه في «كيد الشيطان» (٢٣/ أ) فإنه وافق جمهور كتاب المقالات.

(٢) **الحازمية**: ويقال لها: «الخازمية» بالخاء المعجمة، وهم فرقة من «العجاردة» كانوا من مثبتة القدر، وأشهر أقوالهم قولهم بالموافاة: وهو أن الله تعالى يتولى العباد على ما هم صائرون إليه.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٧٩)، الفَرق بين الفِرق للبغدادي (٩٤-٩٥)، اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٦٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٥١-١٥٢)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٥).

وما نقله هنا ابن الجوزي من رأي الخازمية ملخص لما قاله البَلْخِي في كتابه (ق ٦/ أ).

(٣) **الخلفية**: أصحاب رجل يُقال له: «خَلَف» وهم من فِرق العجاردة. وهم على قول الأزارقة بأن أطفال مخالفيهم في النار، كما أنهم لا يرون القتال إلا مع رجل منهم، وهم من مثبتة القدر، إذ هو منشأ خلاف زعيمهم «خلف» مع فرقة الميمونية التي كان منها، والتي هي قدرية في باب القدر.

=

٦- **والكوزية**[(١)]: قالوا: ليس لأحد أن يمس أحدا؛ لأنه لا يعرف الطاهر من النجس، ولا أن يؤاكله حتى يغتسل ويتوب.

٧- **والكنزية**[(٢)] قالوا: لا يسع أحدا أن يعطي ماله أحدًا؛ لأنه لا يعرف ربما لم يكن مستحقًّا، بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق.

٨- **والشمراخية**[(٣)]: قالوا: لا بأس بمس النساء الأجانب؛ لأنهن رياحين.

٩- **والأخنسية**[(٤)]: قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٧٧)، والفرق بين الفِرق (ص٩٦)، والتبصير في الدين (ص٥٥-٥٦)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٥٠).

وعن نقل ابن الجوزي رحمه الله انظر كتاب البَلْخِي (ق٦/ ب)، وكتاب الفِرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة للعراقي (ص١٨)، غير أنه سمى هذه الفرقة «الخليفية».

(١) **الكوزية**: قال العراقي في الفِرق المفترقة: (هم طائفة لا يجوّزون البول والغائط على الأرض؛ بعلة أنها مسجد، فإذا عرضت لهم حاجة إلى ذلك قصدوا الكيزان والأنهار، ولهذا سُمّوا كوزية)، كما أنهم يرون أنه إذا مسَّ إنسانٌ ثوبَ أحدهم أو موضعًا من بدنه، فإنهم يرون غسل موضع المس واجبًا.

الفرق المفترقة للعراقي (ص١٨)، وانظر: كتاب البَلْخِي (ق٧/ أ).

(٢) **الكنزية**: انظر: الفرق المفترقة (ص١٩)، وكتاب البَلْخِي (ق٧/ ب).

ولم أجد - بعد البحث - من ذكر هذه الفرقة ضمن فرق الخوارج غيرهما، بل إن ابن الجوزي نفسه لم يذكر هذه الفرقة ضمن فرق الخوارج في كتابه «كيد الشيطان». انظر (ق٢٣/ ب).

(٣) **الشمراخية**: قال الأشعري: (صاحب الشمراخية وهو عبد الله بن شمراخ، كان يقول: إن دماء قومه حرام في السر، حلال في العلانية. وإن قتل الأبوين حرام في دار التقية ودار الهجرة، وإن كانا مخالفين). مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٨).

وما نقله ابن الجوزي هنا، انظره في: كتاب البَلْخِي (ق٦/ ب)، الفِرق المفترقة للعراقي (ص٢٠)، والملاحظ أن البغدادي ذكرها في جملة فِرق الخوارج، غير أنه لما فصّل مقالة كل فرقة لم يذكرها. انظر: الفرق بين الفرق (ص٧٢)، وقارن مع كتابه الملل والنحل (ص٥٧).

(٤) **الأخنسية**: أتباع رجل يُعرف بالأخنس، وهم من «الثعالبة». ومذهبهم التوقف عن جميع من في دار التقية من منتحلي الإسلام وأهل القبلة، إلا من تبيّنوا أمره. ويرون الدعوة قبل قتال أهل البغي من أهل القبلة، كما يرون تحريم الاغتيال والقتل في السر.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٠)، الفَرق بين الفِرق (ص١٠١)، التبصير في الدين (ص٥٧)، الملل
ﷺ

١٠- **والحكمية**[(١)]: قالوا: من حَاكَمَ إلى مخلوق فهو كافر.

١١- **والمعتزلة من الحرورية**[(٢)]: قالوا: اشتبه علينا أمر علي ومعاوية، فنحن نتبرأ من الفريقين.

١٢- **والميمونية**[(٣)]: قالوا: لا إمام إلا برضا أهل محبتنا.

- **وانقسمت القدرية اثنتي عشرة فرقة:**

١- **الأحمدية**[(٤)]: وهي التي زعمت أن في شرط العدل من الله أن يملك عباده

والنحل (١/ ١٥٣).

وما ذكره ابن الجوزي فهو عند البَلْخِي في كتابه (ق٨/ أ)، والفِرق المفترقة (٢١)، غير أنه نفى وصول ثواب الأعمال فقط للميت دون الشر.

(١) **الحكمية**: كذا ورد اسم هذه الفرقة في النسخة الأصل والخطط (٢/ ٣٥٤)، والمشهور الذي في كتب الفِرق والمقالات «المحكمة»، وهو من ألقاب الخوارج. وسمّوا بذلك لأنهم رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية. وأوّل من قال: (لا حكم إلا لله) رجل منهم يقال له: عروة بن حدير. وقد بنوا على هذا الشعار تكفير علي ومعاوية والحكمين، وجميع من رضي بالتحكيم.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧)، والفَرق بين الفِرق (ص٧٤)، والتبصير في الدين (ص٤٥)، والملل والنحل للبغدادي (ص٥٨)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٣-١٣٧).

وما ذكره ابن الجوزي انظره عند العراقي في الفرق (٢٣).

(٢) **المعتزلة من الحرورية**: لم أجد - بعد البحث - فرقة من فِرق الخوارج تُلقب بهذا اللقب. وإنما ذكر البَلْخِي رأيها كما ورد هنا في التلبيس، غير أنه سمَّاها «الواقفية». انظر (ق٩/ أ). ولعل ابن الجوزي رحمه الله يقصد أنهم اعتزلوا الفريقين، فأراد بالمعتزلة المعنى اللغوي لا الاصطلاحي.

(٣) **الميمونية**: هم أتباع رجل يقال له «ميمون»، وكان من العجاردة. وقد خالفوهم واشتهروا بالقول بالقدر على مذهب المعتزلة، وكانوا يرون وجوب قتال السلطان، ومن شناعاتهم: القول بإباحة نكاح بنات البنات، وبنات البنين، كما يُحكى عنهم إنكارهم كون سورة «يوسف» من القرآن. وقد ذكر هذه الفرقة البغدادي في كتابه «الفَرق» تحت باب «ذكر الميمونية من الخوارج، وبيان خروجهم عن الإسلام».

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٧)، الفرق بين الفِرق للبغدادي (ص٩٦)، (ص٢٨٠-٢٨١)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٩).

وما ذكره ابن الجوزي من رأي الميمونية، منقول من كتاب البَلْخِي (ق٨/ ب).

(٤) **الأحمدية**: لم أجد - بعد البحث - من ذكر هذه الفرقة ضمن فرق القدرية، اللهم إلا البَلْخِي الذي اعتمده

أمورهم، ويحول بينهم وبين معاصيهم.

٢- **والثنوية**(١): وهي التي زعمت أن الخير من الله، والشر من إبليس.

٣- **والمعتزلة**(٢): وهم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية.

٤- **والكيسانية**(٣): وهم الذين قالوا: لا ندري هذه الأفعال من الله أم من العباد، ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أم يعاقبون!

٥- **والشيطانية**(٤): قالوا: إن الله لم يخلق الشيطان.

ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ فقد ذكر رأيها ولكن تحت اسم «المفوضية» (ق١٣/ ب)، وهذا خطأ من البَلْخِي، لأن «المفوضة» من غلاة الروافض، وسيأتي الحديث عنهم عند ذكر تلبيس إبليس عند الروافض (ص ٢٨٨)، كما ذكرها المقريزي في الخطط (٢/ ٣٤٨)، وصديق حسن خان في خبيئة الأكوان (ص٢٢) ضمن فرق المعتزلة، لكن دون أن ينسبا لها رأيًا خاصًا.

(١) **الثنوية**: لعلّ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تجوّز في إطلاق هذا اللقب؛ لأن الثنوية نحلة مجوسية مشهورة، وليست من فِرق هذه الأمة، وسيأتي التعريف بها عند ذكر المؤلف تلبيس إبليس على الثنوية(ص ١٧٠). كما أن قولها هو: أن الخير من النور والشر من الظلمة. والمعتزلة كلها من عدا عبّاد بن سليمان يقولون: إن الله يخلق الشر.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣١٢)، والفَرق بين الفِرق (ص١٦١)، والفصل لابن حزم (٥/ ٦٣).

(٢) **المعتزلة**: سبق التعريف بهم (ص ٩٨).

(٣) **الكيسانية**: لم يشتهر عن الكيسانية القول بالقدر، وهم من فِرق الرافضة، ويُنسبون إلى المختار بن أبي عبيد، وكان يقال له: كيسان. وهي فِرق كثيرة، يجمعها أمران:

- القول بإمامة محمد بن الحنفية.
- القول بجواز البداء على الله تعالى.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٩١)، الفَرق بين الفِرق (ص٣٨-٣٩)، الفصل لابن حزم (٥/ ٤٠-٤١)، التبصير في الدين (ص٣٠-٣١)، الملل والنحل (١/ ٧٠).

وما ورد هنا فهو ملخص لما ذكره البَلْخِي في كتابه (ق١٤/ ب).

(٤) **الشيطانية**: انظر كتاب البَلْخِي (ق١٥/ أ) فإنه ذكر هذه الفرقة ورأيها المثبت هنا في التلبيس، ولم أجد من ذكر هذا فيما اطلعتُ عليه من كتب المقالات. أما فرقة الشيطانية من الرافضة فإنها تُنسب إلى محمد بن النعمان الرافضي الملقب بـ«شيطان الطاق»، وقد اشتهر بإنكار علم الله تعالى قبل تقديره الأشياء.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١١-١١٢)، الفرق بين الفِرق (ص٧٠)، التبصير في الدين (ص٤٠- ⇐

٦- **والشريكية**(١): قالوا: إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر.

٧- **والوهمية**(٢) قالوا: ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات، ولا للحسنة والسيئة ذات.

٨- **والريوندية**(٣): قالوا: كل كتاب نزل من الله تعالى فالعمل به حق، ناسخًا كان أو منسوخًا.

٩- **والمنبرية**(٤): زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته.

١٠- **والناكثية**(٥): زعموا أن من نكث بيعة رسول الله فلا إثم عليه.

---

٤١)، رسالة في كيد الشيطان (ق١٢/ ب).

(١) **الشريكية**: الذي في كتاب البَلْخِي أن الله تعالى خلق جميع الأشياء غير الإيمان والكفر (ق١٥/ أ). والذي ذكره العراقي في «الفرق المفترقة» (ص٥٤) هو نفي أن يكون الله تعالى خالقًا للشر. وعلل تسميتهم بالشريكية بأنهم يثبتون لإبليس الشركة في الإيجاد والتخليق. انظر (ص٥٥).
أما عن خلق الله تعالى للكفر، فقد أجمعت المعتزلة على أن الله تعالى لم يخلق الكفر والمعاصي، ولا شيئًا من أفعال غيره. ولهذا أمكن تسميتهم بالمجوسية - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - الذين كذّبوا بقدر الله وآمنوا بأمره ونهيه، ومقصودهم إنكار عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٨)، التدمرية (ص٢٠٧-٢٠٨).

(٢) **الوهمية**: لم أجد من ذكر هذه الفرقة في كُتاب المقالات في المصادر التي بين يدي، اللهم إلا البَلْخِي في كتابه (ق١٦/ أ)، وذكر رأيها هذا الذي لخصه ابن الجوزي هنا، كما ذكرها المقريزي وصديق حسن خان في تعدادهما لأسامي المعتزلة، ولم يذكر لها رأيًا معينًا.
انظر: الخطط (٢/ ٣٤٨)، وخبيئة الأكوان (ص٢٢).

(٣) **الراوندية**: نسبة إلى أبي الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي. كان من أئمة المعتزلة ثم فارقهم وهاجم مذهبهم، وصار ملحدًا زنديقًا، وأشهر أقوالهم قولهم بإمامة العباس بن عبد المطلب، وقد لقّبهم النُّوبَخْتي بـ: «الشيعة العباسية».
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٩٦)، فرق الشيعة للنوبختي (ص٤٦)، المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (ص٢٢٣)، اعتقاد الرازي (ص٩٥).
ولم أجد من نسب إليهم هذا القول الذي ذكره ابن الجوزي، إلا البَلْخِي (ق١٦/ ب).

(٤) **المنبرية**: لم أجد من ذكر هذه الفرقة ممن كتب في المقالات، عدا البَلْخِي (ق١٧/ أ)، ورأيهم هذا ظاهر الفساد والبطلان بالكتاب والسنة والإجماع.

(٥) **الناكثية**: نقل ابن الجوزي لرأي هذه الفرقة ليس دقيقًا، بل خطأ ظاهر؛ لأن الذي عند البَلْخِي

١١ - **والقاسطية**[1]: فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها.

١٢ - **والنظامية**[2]: تبعوا إبراهيم ابن النظام[3] في قوله: من زعم أن الله شيء فهو كافر.

• وانقسمت الجهمية اثنتي عشرة فرقة:

١ - **المعطلة**[4]: زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق، وأن من ادَّعى

(ق١٧/ ب) والعراقي في «الفرق المفترقة» (ص٥٨-٥٩) باعتبارهما المتفردين بذكر هذه الفرقة، لم يُقيدا البيعة ببيعة رسول الله ﷺ، بل عبّروا عنها بمطلق العهد أو البيعة، ومهما كان من رأي هذه الفرقة، فإنه لا يخفى فساده وبطلانه، كيف والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾. وقد ذكرها المقريزي في تعداده أسماء المعتزلة، لكن باسم «الناكتية» بالتاء، وكذا صديق حسن خان.

- انظر: الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٨)، خبيئة الأكوان (ص٢٢).

(١) **القاسطية**: ذكرها البَلْخِي (١٨/ أ)، والعراقي (٥١).

(٢) **النظامية**: هي فرقة من فرق المعتزلة، تنسب إلى إبراهيم بن سيار النّظّام. وقد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزلة فضلًا عن علماء أهل السنة؛ وذلك لشناعة معتقداته وآرائه، ومنها:

- قوله بأن الله ﷻ لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم.

- وأنه تعالى لا يقدر أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة، ولا أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة.

- وأنه تعالى لا يقدر أن يخرج أحدًا من أهل الجنة عنها، ولا أن يلقي في النار من ليس من أهل النار..

وغير هذا من الكفر الصراح، كإنكار معجزات نبينا محمد ﷺ، والطعن في الصحابة الكرام ﭫ.

انظر: الفَرق بين الفِرق للبغدادي (ص١٣١-١٥٠)، الملل والنحل له (ص٩١-١٠٢)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص٧١-٧٣).

وما نسبه ابن الجوزي هنا للنظامية نقلًا عن البَلْخِي (ق١٨/ ب) والعراقي (ص٥٩) إنما هو قول جهم بن صفوان، لأن الشيء عنده هو المخلوق.

قال الأشعري: وقال المسلمون كلهم: إن البارئ شيء لا كالأشياء.

مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥٩)، وانظر (٢/ ٢٠٢).

(٣) هو إبراهيم بن سيّار بن هاني النَّظَّام، أبو إسحاق البصري، الضُّبَعي، من رؤوس المعتزلة، متهم بالزندقة، وكان شاعرًا أديبًا بليغًا، وله كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة ذكرها ابن النديم. تكلّم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ. قال الذهبي: وقد كفّره جماعة. مات في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر: الفهرست لابن النديم (ص٢١١)، الملل النحل (١/ ٤٢، ٦٧)، لسان الميزان (١/ ٦٧)، السير (١٠/ ٥٤١).

(٤) **المعطلة**: مشتقة من التعطيل، ويدور على نفي صفات الباري تعالى بالكلية، وأشهر من عطّل الخالق تعالى ﮋ

أن الله يُرى فهو كافر.

٢- **والمرِّيسية**(١): قالوا: أكثر صفات الله مخلوقة.

٣- **والملتزقة**(٢): جعلوا الباري سبحانه في كل مكان.

٤- **والواردية**(٣): قالوا: لا يدخل النار من عرف ربه، ومن دخلها لم يخرج منها أبدًا.

٥- **والزنادقة**(٤): قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربًّا؛ لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس، وما لا يدرك فليس بإله، وما لا يدرك لا يثبت.

الجهمية أتباع الجهم بن صفوان.

وما ذكره ابن الجوزي رحمه الله انظره في كتاب البَلْخِي (٢٤ق/ أ)، ولو أنه ذكر فرقة الجهمية ضمن فرق المعطلة لكان أولى!

(١) **المريسية**: هم أتباع بشر بن غياث المريسي، وتعدُّ من فِرق المرجئة لأنها تقول: الإيمان هو التصديق، كما أن الكفر هو الجحد فقط، وزعم بشر أن السجود للصنم ليس بكفر، ولكنه دلالة على الكفر. كما أن بشرًا هذا وافق المعتزلة والجهمية في القول بخلق القرآن ونفي الصفات.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٢)، الفَرق بين الفِرق (ص٢٠٤-٢٠٥)، الغنية (ص٩١)، البرهان (ص٣٦)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين لليافعي (ص١٣٧)، وانظر ما نقله ابن الجوزي هنا عند البَلْخِي (ق٢٤/ أ) والعراقي (٩٠).

(٢) **الملتزقة**: لم يذكر هذه الفرقة سوى البَلْخِي (ق٢٤/ ب)، والمقريزي في الخطط (٢/ ٣٤٨) وقد جعلها من فِرق المعتزلة، وهذا الرأي هو مذهب الحلولية.

(٣) **الواردية**: انظر مقولتها عند البَلْخِي (ق٢٥/ أ)، والعراقي في الفِرق المفترقة (ص٩٠)، والمقريزي في الخطط (٢/ ٣٤٨) وقد جعلها من فرق المعتزلة. ولا يخفى بعدُ هذه المقالة عن الصواب، إذ هي مزيج من مقولة الإرجاء والتجهم، التي تجعل الإيمان هو المعرفة فقط، ومقولة الوعيدية الذين يرون خلود أهل النار في النار ولو كانوا من الموحِّدين.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣-٢١٤)، و(٢/ ١٦٧).

(٤) **الزنادقة**: نسبة إلى زنديق بالكسر، وهي كلمة معرّبة أصلها: «زن دين» أو «زنده كرد» وجمعها: زنادقة أو زناديق. ومن معاني الزنديق أنه: الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان.

انظر: المعرّب من كلام الأعجمي للجواليقي (ص١٦٦-١٦٧)، ترتيب القاموس (٢/ ٤٤٧)، المعجم الوسيط (١/ ٤٠٣).

وهذا الرأي الذي نقله ابن الجوزي هنا، انظره عند: البَلْخِي (٢٥/ أ، ب)، والعراقي في الفِرق (٩٥).

٦- **الحرقية**(١): زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة، ثم يبقى محترقًا أبدًا لا يجد حرَّ النار.

٧- **والمخلوقية**(٢): زعموا أن القرآن مخلوق.

٨- **والفانية**(٣): زعمت أن الجنة والنار يفنيان، ومنهم من قال: لم تخلقا.

٩- **والعيرية**(٤): جحدوا الرسل، وقالوا: إنما هم حكماء.

١٠- **والواقفة**(٥): قالوا: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق.

---

(١) **الحرقية**: انظر عن هذه الفرقة ورأيها: كتاب البَلْخِي (ق ٢٦/أ)، والفِرق للعراقي (٩٢)، ونسبها المقريزي إلى المعتزلة (٢/ ٣٤٨).
والأدلة في إبطال هذا الزعم كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[النساء: ٥٦]، وقوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾[البقرة: ١٦٢، آل عمران: ٨٨]، وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[النبأ: ٣٠]، مما يدل على دوام عذابهم وتألمهم من حرِّ جهنم.

(٢) **المخلوقية**: انظر: كتاب البَلْخِي (ق ٢٦/ أ)، الفِرق للعراقي (ص٨٨)، وذكرها المطهر المقدسي في البدء والتاريخ (٥/ ١٤٩)، لكنه ذكر عنها أنها تقول: إن الإيمان مخلوق. والقول بخلق القرآن هو قول جهم بن صفوان، وعامة المعتزلة.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٦٧-٢٦٩، ٣٣٨)، التبصير (ص٦٤)، الغنية (ص٩٤).

(٣) **الفانية**: انظر: كتاب البَلْخِي (ق٢٦/ ب)، الفرق للعراقي (ص٩٤)، وذكرها المقريزي في الخِطط (٢/ ٣٤٨) باسم «المفنية». والقول بفناء الجنة والنار، وأنهما لم يُخلقا بعدُ، هو قول جهم بن صفوان.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، (٢/ ١٦٧-١٦٨)، البرهان للسكسكي (ص٣٥)، الغنية (ص٩٤).

(٤) **العيرية**: هكذا وردت هذه الكلمة في المخطوط، ولم أهتد إلى هذه الفرقة، فالله أعلم.

(٥) **الواقفة**: انظر: البَلْخِي (ق ٢٧/ أ)، الفِرق للعراقي (٨٩). وعدهم المقريزي من فِرق المعتزلة في كتابه الخطط (٢/ ٣٤٨).
الوقف في القرآن:
المراد بهذه المسألة السكوت عن القول بأن القرآن مخلوق، أو غير مخلوق، والاكتفاء بالقول: إنه كلام الله، ولقد سُئل الإمام أحمد: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم يسكت؟ فقال: ولِمَ يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟! الشريعة للآجري (٢/ ٢٣٢).
قال الإمام الآجري معلقًا على هذا الكلام: (معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلف
⟵

١١- **والقبرية**[١]: ينكرون عذاب القبر والشفاعة.

١٢- **واللفظية**[٢]: قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق.

- وانقسمت المرجئة اثنتي عشرة فرقة:

١- **التاركية**[٣]: قالوا: ليس لله على خلقه فريضة سوى الإيمان به، فمن آمن به فليفعل ما شاء.

أهل الإيمان أن القرآن كلام الله ﷻ، فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله: إن القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق بلا شك ولا توقفٍ فيه، فمن لم يقل: غير مخلوق، سُمي واقفيًا شاكًا في دينه). الشريعة (٢/ ٢٣٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٢).

(١) **القبرية**: انظر: البَلْخِي (ق٢٧/ ب)، الفِرق للعراقي (ص٩٠)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٨). وأشهر من نفى عذاب القبر الخوارج، وبعض المعتزلة.
انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١١٦)، الفصل لابن حزم (٤/ ١١٧). وللرد على منكري عذاب القبر، انظر: الروح لابن القيم (١/ ٣٠٧-٣٣٩).

(٢) **اللفظية**: انظر: البَلْخِي (ق ٢٨/ أ)، الفِرق للعراقي (ص٨٩). غير أنهما ذكرا من مقالة هذه الفرقة أنها تقول بأن اللفظ والملفوظ واحد، ولا يخفى الفرق بين ما ذكره ابن الجوزي وبين حقيقة مقالة هذه الفرقة، ووافق السكسكي ابن الجوزي في هذه العبارة البرهان (ص٤٤) غير أنه زاد عليه من تفاصيل مقالتهم غير هذا، وذكر الأشعري في مقالاته (٢/ ٢٧١) أن قومًا أجروا «اللفظية» مجرى من قال بخلق القرآن.

اللفظ بالقرآن:

مصطلح «اللفظ بالقرآن» من المصطلحات المجملة، بحيث يستفصل ممن أطلق هذا اللفظ، فإذا أراد به معنى صحيحًا بأن يقصد باللفظ حركة اللسان وصوت الإنسان، فإن هذا لا شك مخلوق وهو معنى صحيح، غير أنه من الأفضل ترك هذه المصطلحات المحدثة، وعلى هذا المعنى يحمل بعض كلام أئمة السلف في هذه المسألة. وإن أراد باللفظ نفس الملفوظ الذي هو كلام الله، فلا شك أن هذا محض تجهم، وقد اندرج تحت هذا طائفتان ضالتان في هذا الباب، وهما: الجهمية، والكلابية. انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥٩-٣٦٦، ٣٧٣-٣٧٥، ٣٩٢-٣٩٥).

(٣) **التاركية**: انظر: البَلْخِي (ق ٢٨/ أ، ب). ولم أجد من ذكر هذه الفرقة غيره، سوى العراقي في الفِرق (ص٧٨) غير أنه ذكر من مقالتها مقالة «الراجية» الآتية.

٢- **والسائبية**[١]: قالوا: إن الله تعالى سيَّب خلقه ليعملوا ما شاؤوا.

٣- **والراجية**[٢]: قالوا: لا نسمي الطائع طائعا ولا العاصي عاصيا؛ لأنا لا ندري ما له عند الله.

٤- **والشاكية**[٣]: قالوا: الطاعات ليست من الإيمان.

٥- **والبيهسية**[٤]: قالوا: الإيمان العلم، ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر.

٦- **والعملية**[٥]: قالوا: الإيمان عمل.

٧- **والمنقوصية**[٦]: قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

---

(١) **السائبية**: لم أجد من ذكر هذه الفرقة في كتب المقالات التي بين يدي، غير العراقي في فِرقه (٨١)، وحكى من مذهبهم نفس ما أورده ابن الجوزي هنا، كما ذكر البَلْخِي (٢٨/ أ) الفرقة باسم «السالبية»، وحكى من مقالتهم مقولة التاركية نفسها التي ذكرها ابن الجوزي هنا.

(٢) **الراجية**: انظر: البَلْخِي (ق ٢٩/ أ). وسماها العراقي في فِرقه (ص٧٨) «التاركية» و«الشاكية»، وهذا الرأي يشبه القول بالموافاة عند بعض فِرق الخوارج، كالعجاردة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٩).

(٣) **الشاكية**: الذي في كتاب البَلْخِي (ث ٢٩/ ب) أنهم قالوا: (لا يجوز لأحدٍ أن يقول: أنا مؤمن حقًا؛ لأن ذلك لا يظهر إلا يوم القيامة). وذكرها العراقي في الفِرق (٧٨)، ونسب إليها مقالة «الراجية».
وذكرها المقريزي في خططه (٢/ ٣٤٩) ضمن فرق المشبهة، ولم يذكر لها رأيًا معينًا.

(٤) **البيهسية**: انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩١)، المعارف لابن قتيبة (ص٦٢٢)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٤)، البرهان للسكسكي (ص٢٣)، كتاب البَلْخِي (ق٢٩/ ب). غير أنه وقع تحريف في عبارته فقال: «الإيمان عمل». اعتقادات الرازي (ص٥٦)، الغُنية للجيلاني (١/ ٨٦)، الحور العين (ص١٧٦).

(٥) **العملية**: انظر: البَلْخِي (ق٣٠/ أ)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩)، لكنه لم يذكر لها رأيًا.

(٦) **المنقوصية**: الذي عند البَلْخِي (ق٣٠/ ب) أن الإيمان يقبل الزيادة والنقصان، وهذا موافق لمعتقد أهل السنة، فتسميته لهم بالمنقوصية فيه نبز واضح. قال أبو حاتم: (علامة المرجئة تسميتهم أهل السنة نقصانية). شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٣)، ولم أجد من ذكر هذه الفرقة سوى البَلْخِي.
كما أن ما ورد هنا عند ابن الجوزي فيه إشكال من حيث التسمية، إذ كيف تُسمى هذه الفرقة بـ«المنقوصية» ⇐

٨- والمستثنية[1]: نفوا الاستثناء في الإيمان.

٩- والمشبهة[2]: يقولون: بصر كبصري، ويد كيدي.

١٠- والحشوية[3]: جعلوا حكم الأحاديث كلها واحدًا، فعندهم أن تارك النفل كتارك الفرض.

وهي ترى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. فالذي أراه أن نقله ليس دقيقًا، أو أنه تصرف فيه لاعتقاده أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الخطأ في اعتقاد خلاف ذلك. ثم إن ما أورده من رأي هو مذهب المرجئة الخالصة القائلين بأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأنه خصلة واحدة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٤).

(١) المستثنية: الذي عند البَلْخِي (ق ٣١/ أ) أنهم يقولون بوجوب الاستثناء في الإيمان، أما الذين نفوا الاستثناء في الإيمان وحرّموه فهم الجهمية والمرجئة، واتهموا من استثنى في إيمانه بالشك. أما الحق فهو في عدم إيجاب الاستثناء في الإيمان وعدم تحريمه، بل جوازه هو محل اتفاق عند جمهور السلف، فالذي عليه أهل السنة أن الاستثناء يكون خوفًا من تزكية النفس، واحتياطًا للعمل، وتركه يكون نسبة إلى أصل الإيمان.
انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٢٩-٤٤٧، ٧/ ٥٠٥)، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للبدر (ص٤٦٣-٤٦٥).

(٢) المشبهة: ذكر البغدادي في الفرق بأن المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخر شبهوا صفاته بصفات غيره، وكلا الصنفين افترقوا على أصناف شتَّى، وأول ظهور التشبيه صدر عن أصناف من الروافض الغُلاة، وأشهرهم هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي، وأقوالهم من أشنع ما قيل في حق الباري تعالى.
انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٢٥-٢٣٠)، مقالات الإسلاميين (في ذكر المجسمة) (١/ ٢٨١-٢٨٣)، التبصير في الدين (ص١١٩-١٢١)، الغنية للجيلاني (ص٩٣)، رسالة في كيد الشيطان لابن الجوزي (ق ٢١/ أ)، تلبيس الجهمية (١/ ١٠٩).

(٣) الحشوية: انظر: البَلْخِي (ق٣٢/ أ) بأوسع مما هنا وأوضح، وعند العراقي في الفِرق المفترقة (ص٨٤) أنهم نفاة القياس، والزينة للرازي (ص٢٦٧). وهذا اللقب قد أطلقه المبتدعة ورموا به أهل السنة والجماعة الذين يثبتون الأسماء والصفات لله تعالى كما نطقت بذلك النصوص. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما لفظ الحشوية، فليس فيه ما يدل على شخص معين، ولا مقالة معينة. فلا يُدرى من هم هؤلاء، وقد قيل: إن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد، فقال: كان عبد الله بن عمر حشويًا. وكان هذا اللفظ في اصطلاح من قاله، يريد به العامة الذين هم حشو، كما تقول الرافضة عن مذهب أهل السنة مذهب الجمهور).
منهاج السنة (٢/ ٥٢٠-٥٢١)، وانظر: تلبيس الجهمية (١/ ١٠٦).

١١- **والظاهرية**(١): الذين نفوا القياس.

١٢- **والبدعية**(٢): أول من ابتدع الأحداث في هذه الأمة.

• وانقسمت الرافضة اثنتي عشرة فرقة:

١- **العلوية**(٣): قالوا: إن الرسالة كانت إلى علي، وإن جبريل أخطأ.

٢- **والأمرية**(٤): قالوا: إن عليًّا شريك محمد في أمره.

---

(١) **الظاهرية**: انظر: البَلْخِي (ق ٣٢/ ب) وقد سمّاهم «الأثرية»، وقال: (يقولون: إن القياس والرأي والاجتهاد في جميع الحوادث باطل. ولا يجوز العمل إلا بالقرآن والأخبار. ويقال لهم أيضًا: الظاهرية). وهذا الكلام لا ينطبق على أهل الحديث. وعن موضوع «نفي القياس» انظر: النبذة في أصول الفقه لابن حزم (ص١٢٠)، الإحكام له كذلك (٨/ ٤٨٧). وانظر في موضوع القياس: منهاج السنة (٣/ ٤٠٠-٤٠٥)، عند كلام الرافضي على قول أهل السنة بالقياس والرأي، ورد شيخ الإسلام عليه.

(٢) **البدعية**: قال الأشعري في مقالاته (١/ ٢٠٦): (وحكى حاكٍ أن البدعية تقول مثل مقالة الأزارقة، غير أنها تزعم أن الصلاة ركعتان بالغداة، وركعتان بالعشي).
انظر: الملل للشهرستاني (١/ ١٣٤)، الغنية للجيلاني (١/ ٨٦)، الحور العين للحميري (ص١٧٨)، البدء والتاريخ للمطهر المقدسي (٥/ ١٣٥)، كلهم عدُّوا هذه الفرقة من الخوارج، وعدّها المقريزي في خططه (٢/ ٣٤٩) من المشبهة، والذي حكاه البَلْخِي (ق ٣٢/ ب) عنهم ينصب على الخوارج كذلك، فلعل ابن الجوزي هنا حكى ما فهمه من كلام البَلْخِي الذي مداره على الخروج على الأئمة. وعلل في مفاتيح العلوم (٤٦) تسميتهم بالبدعية: بأنهم أبدعوا القطع بالشهادة على أنفسهم أنهم من أهل الجنة. وقد أشار شيخ الإسلام أن بدعة الخوارج أول ما ابتدع في الإسلام. انظر: منهاج السنة (١/ ٣٠٨-٣٠٩)، (٦/ ٢٣١).

(٣) **العلوية**: هذا اللقب يطلق -على الصحيح- على شيعة علي رضي الله عنه الأوائل الذين كانوا في زمن خلافته.
أما الرأي الذي نقله ابن الجوزي فإنه ينطبق على فرقة «الغرابية» من الرافضة، وسُمُّوا غرابية بسبب مقولتهم بأن عليًّا كان أشبه بالنبي ﷺ من الغراب بالغراب، فغلط جبريل حين بُعث بالرسالة لذلك الشبه القائم، فأعطاها محمدًا ﷺ بدل علي. وعدهم الملطي في التنبيه من فرق السبئية الغالية.
انظر: الحور العين لنشوان الحميري (ص١٥٥)، التنبيه والرد للملطي (ص٣٤)، الأنساب للسمعاني (١٠/ ٢٢-٢٣)، رسالة في كيد الشيطان (ق ١٢/ أ)، مختصر التحفة الاثنا عشرية (٤، ١٥).

(٤) **الأمرية**: انظر: البَلْخِي (ق٩/ ب، ١٠/ أ)، وعدهم الملطي في التنبيه (ص٣٤) من فرق السبئية الغالية، وسماهم العراقي في الفِرق المفترقة (ص٣٣): «الشريكية»، وقال: (ويقال لهذه الطائفة: «الأمرية»). وسماهم الدهلوي في مختصر التحفة (ص١٤) «الإمامية».

٣- **والشيعية**[١]: قالوا: إن عليًّا ﵁ وصيُّ رسولِ الله ووليه من بعده، وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره.

٤- **والإسحاقية**[٢]: قالوا: النبوة متصلة إلى يوم القيامة، وكل من يعلم عِلْمَ أهل البيت فهو نبي.

٥- **والناووسية**[٣]: قالوا: علي أفضل الأمة، فمن فضَّل غيرَه عليه كفر.

٦- **والإمامية**[٤]: قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين، وإن

انظر: الخطط (٢/ ٣٥٤)، معجم الفرق الإسلامية شريف الأمين (ص٤٤، ١٤٦).

(١) **الشيعية**: هذه الفرقة سماها البَلْخِي في كتابه (ق ١٠/ أ) «العهدية» وحكى رأيها هذا الذي ذكره ابن الجوزي هنا. أما «الشيعية» فقد ذكر لها رأيًا آخر تمامًا. وانظر: الفصل (٢/ ٢٧٠)، الملل (١/ ١٤٧)، ذكر مذاهب الفرق لليافعي (ص٧١). وأما مسألة النص على علي بخلافة النبي ﷺ، فهو أمر أجمعت عليه الرافضة الإمامية، كما حكاه عنهم الأشعري في مقالاته (١/ ٨٩)، ولذلك سُمُّوا «إمامية». وبنوا على ذلك القول بتكفير من بايع غير علي بعد وفاة رسول الله ﷺ.

انظر: البرهان للسكسكي (ص٦٥)، اعتقادات الرازي (ص٨٥)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥١)، الأنساب للسمعاني (١/ ٣٤٤)، البدء والتاريخ (٥/ ١٢٦-١٢٧)، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٨٦).

(٢) **الإسحاقية**: جاء ذكر هذه الفرقة عند العراقي في الفِرق المفترقة (ص٣٤) على نحو ما ذكره ابن الجوزي. وعزا البَلْخِي في كتابه (ق ١٠/ ب، ١١/ أ) هذا الرأي إلى الإسماعيلية. وفِرق الرافضة التي تشترك في القول باتصال النبوة وعدم انقطاعها هي: الإسحاقية، والمفضلية، والمنصورية.

انظر: مختصر التحفة الاثنا عشرية (ص١١، ١٣، ١٦). الملل والنحل (١/ ١٨٨-١٨٩)، الخطط (٢/ ٢٥٤)، الكشف والبيان لأبي سعيد القلهاني (ص٢٩٢).

(٣) **الناووسية**: انظر: البَلْخِي (ق١١/ أ) فقد ساق رأيها كما عند ابن الجوزي هنا، ولم أجد من وافقه على ذلك فيما اطلعتُ عليه من كتب الفِرق والمقالات. والناووسية نسبة إلى رجل يقال له: «عجلان بن ناوس» من أهل البصرة. وأشهر أقوالهم أن الإمامة تنتهي بالنص على جعفر بن محمد الصادق، وأنه حيّ لم يمت، ولا يموت حتى يظهر أمره، وأنه القائم المهدي.

انظر: فرق الشيعة للنوبختي (ص٦٧)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٠)، الفرق بين الفِرق (ص٦١)، التبصير في الدين (ص٣٧)، الملل والنحل (١/ ١٩٥)، اعتقادات فرق المسلمين للرازي (٨٠).

(٤) **الإمامية**: انظر هذا التعريف بنصه عند البَلْخِي (ق١١/ ب) والعراقي في الفِرق (ص٣٤)، وهذا اللقب تدخل تحته فرق كثيرة، ويجمعهم القول بإمامه علي بن أبي طالب ﵁ وأولاده من بعده، وقد عدّ ←

الإمام يعلمه جبريل، فإذا مات بدل مكانه مثله.

٧- **والزيدية**[١]: قالوا ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات، فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم.

٨- **والعباسية**[٢]: زعموا أن العباس[١] كان أولى بالخلافة من غيره.

الأشعريُ في مقالاته (١/ ٨٨) أن الإمامية أربع وعشرون فرقة، وعدّها البغدادي في الفرق (ص٥٣) خمس عشرةَ فرقة، وكذا الإسفراييني في التبصير (ص٣٥)، بل قد أوصلهم بعضهم إلى ٧٣ فرقة كما حكاه الرازي في اعتقاده (ص٨٥)، ويبدو أن أكثر هذه الفرق اندثر، ولم يبق له وجود، أو هو داخل في الموجود من الشيعة اليوم، قال العاملي - وهو من مجتهدي الشيعة المعاصرين - (ت ١٣٧١هـ): (والموجود اليوم من فِرق الشيعة هم: الإمامية الاثنا عشرية، وهم الأكثر عددًا. والزيدية، والإسماعيلية). أعيان الشيعة (١/ ٢٢). ومسألة عدم خلو الزمان من إمام هي من أهم أصول الرافضة العقدية، إن لم تكن هي أهمها، ومن ذلك ما بوّبه الكُليني في الكافي، بقوله: (باب الإمامة عهد من الله ﷻ معهود من واحد إلى واحد)، و(باب ما نصَّ الله ﷻ ورسوله على الأئمة واحدًا فواحد).

انظر: أصول الكافي (١/ ٢٢٧)، (١/ ٢٨٦)، أصول مذهب الإمامية الاثني عشرية (١/ ١٠٠-١٠٦).

(١) **الزيدية**: هذا النص عند البَلْخِي (ق١١/ ب) وكتب على الهامش: (ليس هذا مذهب الزيدية، بل يجيزون الصلاة خلف من ظاهره العدالة من سائر الناس...). والذي عند العراقي في الفِرق المفترقة (ص٣٥) أنهم لا يجيزون الجمعة والعيدين إلا خلف أولاد علي. وسُمُّوا زيدية لقولهم بإمامة زيد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقد جعلها الأشعري في مقالاته (١/ ١٤٠) ست فرق، وجعلها البغدادي في الفرق (ص٢٢): ثلاث فِرق، وجعلهم الملطي في التنبيه (ص٤٥-٤٨) أربع فرق. وقد تراوحت مقالاتهم بين الغلو، وبين الاعتدال في حق الصحابة وخلافة الشيخين، كفرقة السليمانية والبترية منهم.

انظر: المعارف لابن قتيبة (ص٦٢٣)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٣-١٤٤)، الكشف والبيان (٢٧٨)، الأنساب للسمعاني (٦/ ٣٦٥)، رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي (ص١٩٢) الزيدية. د. أحمد صبحي.

(٢) **العباسية**: انظر: كتاب البَلْخِي (ق١٢/ أ)، وذكر أنهم يرون بأن العباس ورث الخلافة والأمر والنهي، وأنه لا يرث مع العم أبو بكر وعمر وغيرهما. والذين اشتهروا بالقول بإمامة العباس هم «الراوندية» وقد سبق الحديث عنهم، وقد سماهم النُّوبَخْتي: «الشيعة العباسية». كما ذكر الخوارزمي أنهم صنفان: الخلالية، والراوندية. انظر: فرق الشيعة للنوبختي (ص٤٦-٤٧)، مفاتيح العلوم (ص٤٩)، الحور العين للحميري (ص٢٦٠)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥١)، مروج الذهب للمسعودي (٣/ ٢٥٢)، الزينة للرازي (ص٢٩٨-٣٠٠).

٩- **والمتناسخة**[٢]: قالوا: الأرواح تتناسخ، فمن كان محسنا خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه، ومن كان مسيئًا دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه.

١٠- **والرجعية**[٣]: زعموا أن عليًّا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم.

١١- **واللاعنة**[٤]: يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم.

---

(١) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، عم رسول الله ﷺ، صحابي مشهور، مات سنة ٣٢هـ. الإصابة (٥/ ٣٢٨)، التقريب (ص٢٩٣).

(٢) **المتناسخة**: انظر: البَلْخِي (ق١٢/ أ)، الفِرق للعراقي (ص٣٨)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٤). ونسب البغدادي القول بالتناسخ -فيما نسبه- إلى فرق البيانية والجناحية والخطابية والراوندية من الروافض الحلولية. الفرق بين الفرق (ص٢٧٢).

وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧٣-١٧٥)، التنبيه والرد للملطي (ص٣٢-٣٥)، فرق الشيعة للنوبختي (ص٣٩-٤١).

(٣) **الرجعية**: عند البَلْخِي (ق١٢/ ب) سمّاها «الراجعية» ونقل نحوًا من رأيها هنا. وانظر: الخطط (٢/ ٣٥٤). والرجعة من أصول المذهب الشيعي الاعتقادية، بل تكاد تكون محل إجماع جميع فِرق الشيعة. وهذه بعض النقول عن أئمتهم وعلمائهم:

- قال ابن بابويه: (واعتقادنا في الرجعة أنها حق). الاعتقادات (ص٩٠).
- وقال المفيد: (واتفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات). أوائل المقالات (ص٥١).
- وقال كثير من شيوخ الشيعة كالطبرسي والحر العاملي بأن الرجعة محل (إجماع الشيعة الإمامية، وأنها من ضروريات مذهبهم). مجمع البيان للطبرسي (٥/ ٢٥٢)، الإيقاظ من الهجعة للحر العاملي (٣٣)، عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩١١).

(٤) **اللاعنة**: جاءت هذه الفرقة عند البَلْخِي (ق ١٣/ أ)، وعند العراقي في الفِرق (٣٩) باسم «اللاعنية»، وقد ذكرها المقريزي في الخطط (٢/ ٣٥٤) باسم «اللاعنة» كما في الأصل، ولم ينسب لها رأيًا معينًا. والمأثور عن الشيعة ليس فقط لعن هؤلاء الصحابة المذكورين هنا، بل ثبت عنهم تكفير جميع الصحابة - ما عدا نفر قليل - ورميهم بأشنع التهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فُضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سُئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وسُئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى. وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ. أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم!). منهاج السنة (١/ ٢٧).

١٢- **والمتربصة**[١]: تشبهوا بزي النساك، ونصبوا في كل عصر رجلا ينسبون إليه الأمر، يزعمون أنه مهدي هذه الأمة، فإذا مات نصبوا آخر.

• ثم انقسمت الجبرية اثنتي عشرة فرقة، فمنهم:

١- **المضطرية**[٢]: قالوا: لا فعل للآدمي، بل الله يفعل الكل.

٢- **والأفعالية**[٣]: قالوا: لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها، وإنما نحن كالبهائم تقاد بالحبل.

٣- **والمفروغية**[٤]: قالت: كل الأشياء قد خلقت، والآن لا يخلق شيء.

٤- **والنجارية**[٥]: زعمت أن الله تعالى يعذب الناس على فعله، لا على فعلهم.

---

(١) **المتربصة**: انظر: البَلْخِي (ق١٣/ ب)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٤)، خبيئة الأكوان (ص٣٦)، وعقيدة المهدي المنتظر تشترك فيها عامة فِرق الشيعة، على اختلاف بينها في تحديد الإمام الذي قُدرت له العودة، كما أنها تختلف في تحديد الأئمة وأعيانهم، والتي يُعتبر الإمام الغائب واحدًا منهم.
انظر في عرض هذه العقيدة والرد عليها: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣-٩٠٧) للدكتور ناصر القفاري، الشيعة والتشيع فرق وتاريخ لإحسان ظهير (٣٥٩-٣٨١).

(٢) **المضطرية**: انظر: البَلْخِي (ق١٨/)، العراقي في الفِرق (٦٣). وهذا الرأي الذي نقله ابن الجوزي هنا هو رأي جهم بن صفوان، إذ هو الذي يقول بأنه لا فعل لأحدٍ في الحقيقة إلا لله وحده. ومحصل قوله هو الإجبار والاضطرار إلى الأعمال، ونفي الاستطاعات كلها.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفرق بين الفِرق (٢١١)، التبصير في الدين (ص١٠٧)، الملل والنحل (١/ ٨٦).

(٣) **الأفعالية**: عند البَلْخِي جاءت هذه الفرقة باسم «الإيغالية» (ق١٩/ أ)، وملخص رأيها هو قريب مما أورده ابن الجوزي هنا، غير أنه قيّد الأفعال بأنها مجازية. وذكرها العراقي (ص٦٣) باسم «العجزية» ونسب إليها قريبًا من هذا الرأي، وعليه فتكون هذه الفرقة والتي قبلها على رأي واحدٍ، وهو رأي جهم بن صفوان.

(٤) **المفروغية**: انظر: البَلْخِي (ق٢٠/ أ)، الفرق المفترقة للعراقي (ص٦٤-٦٥).

(٥) **النجارية**: هذا الرأي الذي نسبه ابن الجوزي هنا لهذه الفرقة هو بمعناه عند البَلْخِي (ق٢٠/ ب)، ولم أجد من وافقه عليه من كُتّاب المقالات، اللهم إلا العراقي (٦١) لما عرّف الجبرية قال: (ويقال لهم المرجئة والنجارية) ونسب لهم ذلك الرأي، لكنه لما فصّل الكلام عن فرق الجبرية ذكر «النجارية» ﷺ

٥- **والمنانية**[١]: قالوا: عليك بما يخطر بقلبك؛ فافعل ما توسمت منه الخير.

٦- **والكسلية**[٢]: قالوا: لا يكسب العبد ثوابًا ولا عقابًا.

٧- **والسابقية**[٣]: قالوا: من شاء فليعمل، ومن شاء لم يعمل، فإن السعيد لا تضره ذنوبه، والشقي لا ينفعه برّه.

٨- **والحبية**[٤]: قالوا: من شرب كأس محبة الله تعالى سقطت عنه عبادة الأركان.

(ص٦٦) استقلالًا، ولم ينسب لها هذا الرأي، بل نقل بعض ما أورده البغدادي في الفرق (ص٢٠٨) من أنهم يقولون: إن الجسم أعراض مجتمعة. وقد عدّهم الشهرستاني في الملل (١/ ١٨٨)، والرازي في اعتقاداته (١٠٤)، والمقدسي في البدء والتاريخ (٥/ ١٤٦) من الجبرية. وسماهم الأشعري في مقالاته (١/ ٣٤٠) «الحسينية» نسبة إلى الحسين بن محمد النجار، وعليه يكون من سمّاهم «النجارية» باعتبار نسبة الحسين بن محمد هذا، كما أن الأشعري جعلهم فرقة مستقلة بذاتها ولم ينسبها إلى فرقة معينة.

(١) **المنانية**: انظر: البَلْخِي (ق٢١/ أ)، الفِرق للعراقي (ص٦٦)، وسماها «المنائية»، وأطلق في البدء والتاريخ (١/ ١٤٦، ٣/ ١٢٢، ٤/ ٢٤..) المنانية على «المانوية» أتباع ماني من المجوس، وانظر: الفصل لابن حزم (٣/ ١٣٨، ١٨٩، ١٩٩..). والرأي المنسوب لهذه الفرقة يُعدُّ من أساسيات المذهب الصُّوفي الذي يعتمد على مثل هذه المصادر في التلقي: كالهواجس، والمنامات، والخواطر، والهواتف...

انظر في هذا: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم صادق، والرسالة القشيرية (ص٤٣)، اصطلاحات الصوفية للقاشاني (ص٢٩)، معجم مصطلحات الصوفية للحفني (ص٩٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ومن ظن أنه يستغني عمّا جاء به الرسول بما يُلقى في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفرًا... فما يُلقى في القلوب لا عبرة به، ولا التفات إليه إن لم يُعرض على ما جاء به الرسول، ويشهد له بالموافقة، وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان). إغاثة اللهفان (١/ ١٩٣).

وانظر: مدارج السالكين (٣/ ١٢٣)، البرهان للسكسكي (ص١٠٢-١٠٣).

(٢) **الكسلية**: انظر: البَلْخِي (ق٢١/ ب)، الفِرق للعراقي (ص٧٣). وتسميتهم بالكسلية له وجه: إذ إنه من المعلوم من دين الإسلام أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الاجتهاد والجدّ والحرص على العمل الصالح. انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص٥١-٥٤).

(٣) **السابقية**: انظر: البَلْخِي (ق٢٢/ أ)، الفِرق للعراقي (ص٦٨). والرأي الذي نُسب إلى هذه الفرقة هو رأي «الكسلية» قبلها، وانظر التعليق على رأي تلك الفرقة.

(٤) **الحبية**: انظر: البَلْخِي (ق٢٢/ب)، الفرق للعراقي (ص٦٩)، أصول الدين للبزدوي (ص٢٥٣، ٢٥٥). وذكر هذه الفرقة الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص٢٠) وجعلها من أصناف المشبهة، وحكى من مذهبها أنهم يقولون: (إنهم لا يعبدون الله خوفًا ولا طعمًا، وأنهم يعبدونه حبًا). وهذا الذي حكاه

ﻪ

٩- **والخوفية**[(١)]: قالوا: من أحب الله لم يسعه أن يخافه؛ لأن الحبيب لا يخاف حبيبه.

١٠- **والفكرية**[(٢)]: قالوا: من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة.

الخوارزمي ينطبق على مذهب المتصوفة وقاعدتهم في الحب.
وأشهر من تكلم بهذا:
- رابعة العدوية: انظر: ذكر النسوة المتعبدات للسلمي (ص٢٧-٣١)، السير (٨/ ٢٤١)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (١/ ٢٠٢).
- وأبو يزيد البسطامي: انظر: طبقات الصوفية للسلمي (٧٠، ٧٢).
- ومعروف الكرخي: انظر: قوت القلوب للمكي (٢/ ٥٦).
وانظر: البرهان للسكسكي (ص١٠٣-١٠٤)، التعرف للكلاباذي (ص٧٩-٨١).
وعن نظرية سقوط التكاليف عند الصوفية انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٤)، الفصل (٥/ ٥٠، ٩٧)، التنبيه والرد للملطي (ص١٠٨-١٠٩)، اعتقادات الرازي (ص١١٧).

(١) **الخوفية**: انظر: البَلْخِي (ق٢٢/ ب)،، الفرق للعراقي (ص٦٩)، الخطط (٢/ ٣٤٩)، خبيئة الأكوان (ص٢٥). وهذا المذهب لا يبعد عن مذهب الحُبية المتقدم، ومما ورد عن أشياخ الصوفية في هذا المجال قول الواسطي: (الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد)، وقوله: (إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف). الرسالة القشيرية (ص٦٠-٦١).
وانظر: قوت القلوب للمكي (٢/ ٦٧) وما بعدها.

(٢) **الفكرية**: عند البَلْخِي (ق٢٣/ ب) أن قولهم هو: أن الفكرة أزيد من العبادة ولهم من الرأي كذلك ما نُسب إلى «الحسبية» - الفرقة التالية - من القول بالشراكة في الأموال. وهذا بتمامه ما حكاه عنهم العراقي في الفرق (ص٧٠)، كما وافق ابن الجوزي في مسألة سقوط الأعمال. ولذلك يكون ما ذكره العراقي أوسع وأشمل مما ذكره البَلْخِي وابن الجوزي، وانظر: الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩)، خبيئة الأكوان لصديق خان (ص٢٥)، كما أن هذا الرأي الذي نقله ابن الجوزي هنا لا يبعد عن مذهب المتصوفة في مسألة سقوط الأعمال، وقد نسبه بلفظه ابن حزم في الفصل (٥/ ٥٠) إلى الصوفية، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن هؤلاء - أي الصوفية - من يحتج بقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩]، ويقول: معناه اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة؛ فإذا حصل ذلك سقطت العبادات...) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١٧). والظاهر من مقصودهم بالعلم، ليس هو علم الكتاب والسنة. إنما هو اصطلاح خاص بهم ينصب على علوم الأحوال التي تواضعوا عليها.
انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشاني (ص١٧١-١٧٢)، (ص٢١١)، البرهان للسكسكي (١٠٢)، التعرف للكلاباذي (٩٧-١٠٢)، معجم مصطلحات الصوفية للحفني (١٨٧-١٨٩).
واندراج هذه الفِرق الأربع: المنانية، والحبية، والخوفية، والفكرية، تحت مذهب الجبرية له وجاهته من
=

١١- **والحسبية**[1]: قالوا: الدنيا بين العباد سواء، لا تفاضل بينهم مما ورثهم أبوهم آدم.

١٢- **والمعية**[2]: قالوا: منا الفعل، ولنا الاستطاعة.

حيث كون آرائهم صوفية بحتة. إذ إن كثيرًا من الصوفية جبرية في الأفعال والقدر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (يوجد في المتكلمين والمتصوفة طوائف يغلب عليها الجبرُ، حتى يكفروا حينئذ بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب، إما قولًا وإما حالًا).

مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٤٦-٢٤٧)، وانظر: (١٤/ ٣٥٤)، (٨/ ٢٣٠).

(١) **الحسبية**: انظر: البَلْخِي (ق٢٣/ أ)، والعراقي في الفِرق (ص٧١)، فقد سمياها: «الحسبية»، كما أثبته في الأصل، وذكرا عنها الرأي نفسه الذي أورده هنا ابن الجوزي، كما أن رأيهم هذا موافق لما ذُكر عن الفكرية في الأموال، وأصل القول باستواء العباد في الأموال واشتراكهم فيها هو ما ذهب إليه مَزْدَك - زعيم المَزْدَكية - من إباحة النساء والأموال، وجعل الناس شركاء فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٤-٢٩٥)، والتنبيه والرد للملطي (ص١٠٧).

(٢) **المعية**: لم أجد ذكرًا لهذه الفرقة إلا عند المطهر المقدسي في البدء والتاريخ (٥/ ١٤٥)، وجعلها من فِرق «الكرامية» ولم ينسب لها رأيًا خاصًا بها.

الباب الثالث
في التحذير من فتن إبليس ومكايده

اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، وأُعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشيطان محرضًا له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وقد بذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم.

وقد أمر الله ﷻ بالحذر منه فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٦٩]، وقال: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[البقرة: ٢٦٨]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: ٦٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة: ٩١]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[القصص: ١٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦]، وقال: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣] وفي القرآن من هذا كثير.

فصل

وينبغي أن يُعْلَمَ أن إبليس شغله التلبيس أول ما التبس الأمر عليه، فأعرض عن النص الصريح على السجود[1]، وأخذ يفاضل بين الأصول فقال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن

(١) قال المصنف في التفسير (٣/ ١٧٤): (قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حين قاس مع وجود النص).
وانظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ١٠٠٢-١٠٠٨) فقد بيّن فيه فساد الدليل العقلي الذي عارض به إبليس أمر ربه، ثم أبطله رحمه الله من أحد عشر وجهًا.

طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢]، ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم[(١)]، فقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[الإسراء: ٦٢]، والمعنى أخبرني لِـمَ كرَّمته عليّ؟! غرر هذا الاعتراض أن الذي فعلت ليس بحكمة، ثم أتبع ذلك بالكبر فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[الأعراف: ١٢]، ثم امتنع من السجود، فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب.

فمتى سوَّل للإنسان أمرا فينبغي أن يحذر منه أشد الحذر، وليقل له حين أمره إياه بالسوء: إنما تريد بما تأمرني به نصحي ببلوغ شهوتي، وكيف يصح صواب النصح للغير لمن لم ينصح نفسه؟! ثم كيف أثق بنصيحة عدو، فانصرف فما لقولك منفذ. فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس؛ لأنه يحث على هواها؛ فليستحضر العقل إلى بيت التفكير في عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمة فينهزم عسكر الهوى.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا أبو عمر بن مهدي، قال: نا الحسين بن إسماعيل، قال: نا زكريا بن يحيى، قال: نا شبابة بن سوار، قال: حدثني المغيرة، عن مطر عن مطرف بن الشخير، عن عياض بن حمار، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إن الله ﷻ أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: إن كل مال نحلته عبدي فهو له حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»[(٢)].

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (وقال أيضًا: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ يقول للرب جراءة وكفرًا، والرب يحلم وينظر). تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥)، وأحمد في المسند (٤/ ١٦٢، ١٦٣)،وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٢٠ رقم ٢٠٠٨٨).

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا يحيى بن سعيد، قال: نا هشام، قال: حدثنا قتادة، عن مطرف، عن عياض بن حمار، أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «**إن ربي ﷻ أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كل ما نحلت عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، ثم إن الله ﷻ نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عجميهم وعربيهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**»(١).

أخبرنا ابن الحصين، قال أنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا أبو معاوية، قال: نا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئًا. قال: ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. فيدنيه أو قال: فيلتزمه ويقول: نعم أنت!**»(٢).

وبه قال أحمد: ونا أبو نعيم، قال: نا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش(٣) بينهم**»، انفرد بإخراج هذا الحديث والذي قبله مسلم، وفي لفظ حديثه: «**قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»(٤)(١).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٦٢)، وتقدم تخريجه في الحديث الذي قبله.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٤-٣١٥)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٧ رقم ٢٨١٣).

(٣) التحريش: الحمل على الفتن والحروب. النهاية (حرش).

(٤) معنى هذا الحديث: أن الشيطان يئس من اجتماع أهل الجزيرة على الإشراك بالله تعالى، أو أن الأمة كلها
ﷻ

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: نا ابن صفوان، قال: نا أبو بكر القرشي قال: حدثني الحسين بن السكن، قال: نا المعلى بن أسد، قال: نا عدي بن أبي عُمارة، قال: نا زياد النميري، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان واضع خطمه**(٢)**على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي الله التقم قلبه**»(٣).

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أنا الحسن بن علي التميمي، قال: نا أبو بكر بن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: نا أبي، قال: نا عبد الرحمن، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود قال: إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى على حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا(٤).

تجتمع على الشرك. وهذا مما اختصت به جزيرة العرب عن غيرها من بقاع الأرض الأخرى؛ كما أن من خصائصها كذلك أنها وقف على أهل الإسلام، فهي حرام على المشركين واليهود والنصارى، ومن خصائصها كذلك أن الإسلام حين يُضطهد في دياره وخارجها، فإنه ينحاز إلى هذه الجزيرة ويأوي إليها... انظر: خصائص جزيرة العرب للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد (ص٢٩-٣٧)، دحض شبهات على التوحيد للشيخ البابطين (ص٢٩-٣٠).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٤،٣٦٦)، ورواه مسلم (٤/ ٢١٦٦ رقم ٢٨١٢)، والترمذي (٤/ ٢٩١ رقم ١٩٣٧).

(٢) خطمه: مقدم أنفه وفمه. اللسان (خطم)، معجم متن اللغة (٢/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٤٣ رقم ٢٢)، ورواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٧٩ رقم ٤٣٠١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٢): رواه أبو يعلى، وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٩٦).

قال عبد الله: وحدثني علي بن مسلم، قال: نا سيار، قال: نا حيان الجريري، قال: نا سويد الحناط، عن قتادة قال: إن لإبليس شيطانا يقال له: قبقب، يجمه[١] أربعين سنة، فإذا دخل الغلام في هذا الطريق قال له: دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وافتنه[٢].

قال سيار: ونا جعفر، قال: نا ثابت البناني، قال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء، فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم. قال: فهل لي فيها من شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة، وثقلناك عن الذكر. قال: هل غير ذلك؟ قال: لا. قال: لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدًا. قال إبليس: ولله علي أن لا أنصح مسلمًا أبدًا[٣].

قال عبد الله بن أحمد: ونا أبي، قال: حدثنا وكيع، قال: نا الأعمش، عن خيثمة، عن الحارث بن قيس، قال: إذا أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك ترائي. فزدها طولًا[٤].

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: أنا أبو علي بن صفوان، قال: أنا أبو بكر بن عبيد، قال: نا عبد الرحمن بن يونس، قال: نا سفيان بن عيينة، قال: سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر، سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي ﷺ، قال: «**كان راهب في بني إسرائيل،**

---

(١) يجمه: يريحه. المعجم الوسيط (١/ ١٣٧).

(٢) أخرجه المؤلف في ذم الهوى (ص ١٤٥).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٩٦) والبيهقي في الشعب (٥/ ٤١ رقم ٥٧٠٠).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٤٣٠)، ورواه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٣/ ١٥٨)

فأخذ الشيطان جارية فخنقها، وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأُتي بها الراهب فأبى أن يقبلها، فما زالوا به حتى قبلها، فكانت عنده، فأتاه الشيطان فقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها، فإن أتوك فقل: ماتت، فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم، فألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه، فقال: ماتت. فأخذوه فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي أخذتها، وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها، وأنا الذي أوقعتك في هذا فأطعني تنج، اسجد لي سجدتين، فسجد له سجدتين، فهو الذي قال الله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الحشر: ١٦](١).

قال المصنف: وقد روي لنا هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه، فأخبرنا محمد بن أبي منصور الحافظ، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن خيرون، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: أنا أبو علي عيسى بن محمد الطوماري، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء، قال: أنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، قال: ذكر وهب بن منبه أن عابدًا كان في بني إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، فكانت بكرا ليست لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها، قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم، فأبى ذلك عليهم، وتعوذ بالله منهم ومن أختهم، قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٨٠ رقم ٦١)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٧٢ رقم ٥٤٤٩) بنحوه، والحاكم في المستدرك، قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

قال: فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانًا ينزل إليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام، قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارًا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلم يزل به حتى مشى بطعامها حتى وضعه على باب بيتها ولا تكلمها[١].

قال: فلبث بذلك زمانًا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وقال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك! قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها، قال: فلبث بذلك زمانا.

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، وقال له: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع إليها من فوق صومعته.

قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها، فلم يزل به حتى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدثها وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، قال: فلبثا زمانا يتحدثان.

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك: فجلست قريبا من باب بيتها كان آنس لها، فلم يزل به حتى دخل، قال: فلبثا بذلك زمانا.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «ولم يكلمها».

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له: لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها، فلبثا بذلك حينا.

ثم جاءه إبليس، فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، قال: فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهاره كله فإذا أمسى صعد في صومعته.

قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها، فلم يزل به إبليس يحسنها في عينيه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها، فولدت له غلامًا.

فجاء إبليس فقال له: أرأيت إن جاء إخوة هذه الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها. ففعل.

فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صَنَعْتَ بها وقتلْتَ ابنها؟ خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، قال: فلم يزل به حتى ذبحها فألقاها في الحفيرة مع ابنها، وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، حتى قفل إخوتها من الغزو، فجاؤوه فسألوه عن أختهم، فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها، وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم، وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أيامًا ثم انصرفوا إلى أهاليهم.

فلما جنهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد وبموتها وترحمه عليها

وكيف أراهم موضع قبرها، فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلامًا فذبحه وذبحها معه فرقًا[1] منكم، وألقاها في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا فادخلوا البيت فإنكم ستجدونهما هنالك جميعا كما أخبركم. قال: وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك.

فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم: لقد رأيت عجبا فأخبر بعضهم بعضا بما رأى، فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا، قال أصغرهم: لا أمضي حتى آتي هذا المكان فأنظر فيه، قال: فانطلقوا جميعا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفرة كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما.

فاستعدوا عليه ملكهم، فأُنزل من صومعته وقدموه ليصلب، فلما أوثق على الخشبة أتاه الشيطان، فقال له: قد علمت أني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها، فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك مما أنت فيه. قال: فكفر العابد بالله، فلما كفر خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه، قال: ففيه نزلت هذه الآية: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ إلى قوله: ﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الحشر: ١٦-١٧][2].

(١) فرقًا: خوفًا. القاموس المحيط (فرق).

(٢) أخرجه المؤلف في ذم الهوى (ص ١٣١-١٣٤) بهذا الإسناد والمتن، وانظر ما قبله.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: أنا أبو بكر الآجري، قال: نا عبد الله بن محمد العَطَشِي، قال: نا إبراهيم بن الجنيد، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: نا بشر بن محمد بن أبان، قال: حدثني الحسن بن عبيد الله بن مسلم القرشي، عن وهب: أن راهبا تخلى في صومعته في زمن المسيح فأراده إبليس فلم يقدر عليه، ثم أتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه، وأتاه متشبها بالمسيح، فناداه: أيها الراهب أَشْرِفْ عليَّ أكلمْك. قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمري. فقال: أَشْرِفْ عليَّ فأنا المسيح! فقال: إن كنت المسيح فما لي إليك حاجة، أليس قد أمرتنا بالعبادة، ووعدتنا القيامة؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك، فانطلق اللعين عنه وتركه[١].

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: أنا أبو علي البرذعي، قال: نا أبو بكر بن عبيد القرشي، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشي، قال: نا جعفر بن سليمان، قال: نا عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، قال: نا سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما ركب نوح في السفينة رأى فيها شيخًا لم يعرفه، فقال له نوح: ما أدخلك؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك، فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك. قال نوح: اخرج يا عدو الله، فقال إبليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك بالثنتين، فأُوحي إلى نوح أنه لا حاجة بك إلى الثلاث، مرْهُ يحدثك بالثنتين، قال: بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان: الحسد، وبالحسد لعنت وجعلت شيطانًا رجيمًا؛ والحرص، أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٤) عن أبي بكر الآجري به بلفظه.

قال: ولقي إبليس موسى، فقال: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما، وأنا من خلق الله أذنبت وأنا أريد أن أتوب، فاشفع لي إلى ربي ﷻ أن يتوب علي، فدعا موسى ربه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك، فلقي موسى إبليس فقال: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيًّا أسجد له مَيْتًا! ثم قال إبليس: يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت إلى ربك، فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن: اذكرني حين تغضب فإن وحيي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأُذَكِّره ولده وزوجته وأهله حتى يولي، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها(١).

قال القرشي: ونا أبو حفص الصفار، قال: نا جعفر بن سليمان، قال: نا شعبة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: ما بعث الله نبيا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء(٢).

قال القرشي: وحدثني القاسم بن هاشم، عن إبراهيم بن الأشعث، عن فضيل بن عياض، قال: حدثني بعض أشياخنا، أن إبليس جاء إلى موسى وهو يناجي ربه ﷻ، فقال له الملك: ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربه؟! قال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة(٣).

قال القرشي: ونا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني، قال: نا فرج بن فضالة، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: بينما موسى جالس في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٦٥ رقم ٤٤).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٦٢ رقم ٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٦٦).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٧٢ رقم ٤٨).وانقلب في المطبوع (القاسم بن هاشم) إلى: (هاشم بن قاسم).

وعليه برنس له يتلون فيه ألوانًا، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه، ثم أتاه فقال له: السلام عليك يا موسى. فقال له: من أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: أنت فلا حياك الله، ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك بمنزلتك من الله ومكانك منه. قال: فماذا الذي رأيت عليك؟ قال: به أخطف قلوب بني آدم. قال: فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأحذرك ثلاثا: لا تخل بامرأة لا تحل لك، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها، ولا تعاهد الله عهدًا إلا وفيت به، فإنه ما عاهد اللهَ أحدٌ عهدًا إلا كنت صاحبه دون أصحابي، حتى أحول بينه وبين الوفاء به.ولا تُخْرِجَنَّ صدقة إلا أمضيتها، فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها، ثم ولَّى وهو يقول: يا ويله! ثلاثا، علم موسى ما يحذر به بني آدم(١).

قال القرشي: وحدثني محمد بن إدريس، قال: نا أحمد بن يونس، قال: نا حسن بن صالح، قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي(٢).

قال القرشي: نا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثني هشام بن يوسف، قال: أخبرنا عقيل بن معقل بن أخي وهب بن منبه، قال: سمعت وهبا يقول: قال راهب للشيطان وبدا له: أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحدة، إن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٧١ رقم ٤٧).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٥٩ رقم ٣٧).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٥٩ رقم ٣٨.

قال القرشي: ونا سعيد بن سليمان الواسطي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: لما بُعث النبي ﷺ جعل إبليس يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فيجيئوا بصحفهم ليس فيها شيء، فقال: ما لكم ما تصيبون منهم شيئا؟ فقالوا: ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء، قال: رويدا بهم! عسى أن تفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم[١].

قال القرشي: وأخبرنا أحمد بن جميل المروزي: قال: أخبرنا عبد الله - يعني ابن المبارك -، قال: أنا سفيان عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن أبي موسى الأشعري، قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل مسلما ألبسته التاج. قال: فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته. قال: يوشك أن يتزوج. ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى عق. قال: يوشك أن يبر. قال: ويقول القائل: لم أزل بفلان حتى زنى. فيقول: أنت! قال: ويقول: لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت، أنت![٢]

قال القرشي: وسمعت سعيد بن سليمان، يحدث عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: كانت شجرة تُعْبَدُ من دون الله فجاء إليها رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضبا لله فلقيه الشيطان في صورة إنسان، فقال: ما تريد؟

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٦٠ رقم ٣٩)، وذكره الغزالي في الإحياء (٣/ ٣٢-٣٣)، وقال العراقي في تخريجه: أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان مرسلا.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٥٥ رقم ٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٠)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٩) وعزاه للطبراني في الكبير، وقال: فيه عطاء بن السائد اختلط، وبقية رجاله ثقات. قال الألباني في الصحيحة (٣/ ٢٧٥): هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري، وعطاء بن السائب وإن كان قد اختلط فإنما روى عنه سفيان - وهو الثوري - قبل الاختلاط.

قال: أريد أقطع هذه الشجرة التي تُعْبَدُ من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال: لأقطعنها! فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادك. قال: فمن لي بذلك؟ قال: أنا لك. فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وساده، ثم أصبح بعد فلم يجد شيئا، فقام غضبا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته، وقال: ما تريد؟ قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تُعْبَدُ من دون الله. قال: كذبت مالك إلى ذلك من سبيل. فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، قال: تدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضبا لله فلم يكن لي عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك[١].

قال القرشي: ونا بشر بن الوليد الكندي، قال: نا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد قال: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره، ثم سماهم، فذكر: ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزلنبور: فأما ثبر فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية[٢]. وأما الأعور فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويزينه. وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت رجلا أعرف وجهه وما أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا. وأما داسم وهو

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٧٩ رقم ٦٠).

(٢) وهذه الأعمال كلها من أعمال الجاهلية التي نُهي عنها المسلمون. فالثبور هو الويل والهلاك، وذلك بأن يدعو الإنسان – إذا أصابته مصيبة – بالويل والهلاك. قال ابن الأثير: هو الهلاك، وفي الحديث: «**أعوذ بك من دعوة الثبور**». النهاية (ثبر). وانظر: غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٦٥)، والمفردات للراغب (١٧٢).

ففي البخاري (١٢٩٤) عن ابن مسعود، وفي مسلم (١٠٤) عن أبي موسى: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود، أو شقَّ الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية**».

الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم. وأما زلنبور فهو صاحب السوق الذي يَرْكُزُ رايتَهُ في السوق[١].

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: نا إبراهيم بن عبد الله قال: نا محمد بن إسحاق، قال:نا إسماعيل بن أبي الحارث، قال: نا سنيد بن داود قال: نا مخلد بن الحسين، قال: ما ندب الله تعالى العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلو فيه، وإما تقصير عنه[٢].

وبالإسناد قال محمد بن إسحاق، وحدثنا قتيبة بن سعيد، قال: نا ابن لهيعة، عن أبي قبيل قال: سمعت حياة[٣] بن شراحيل يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن إبليس موثق في الأرض السفلى، فإذا تحرك كان كل شر في الأرض بين اثنين فصاعدًا من تحركه[٤].

قال المصنف: قلت: وفتن الشيطان ومكايده كثيرة، وسيأتي في غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع إن شاء الله، ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة، فإن من يدعو إلى ما يحث عليه الطبع فهو كمداد لسفينة منحدرة فيا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان • ص ٥٤-٥٥ رقم ٣٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٦).

(٣) كذا في الأصل و«ت»، وفي «أ» والحلية (حيوة)، وفي مكائد الشيطان لابن أبي الدنيا (حيوة بن شريح من بني سريع)، وفي الحلية: سمعت حيوة بن [شريح عن] شراحيل، يقول: سمعت عبد الله... إلخ. وحيوة بن شريح هو التجيبي المصري، يروي عن شراحيل بن يزيد المعافري. وحيوة وشراحيل من شيوخ ابن لهيعة، وروايتهما عن عبد الله بن عمرو مرسلة فلا يصح فيه صيغة السماع. وأبو قابيل يروي عن عبد الله بن عمرو مباشرة، فلعلّ حيوة وشراحيل أُقحما في السند، والله أعلم.

(٤)أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٨-٢٨٩)، ورواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٤٦ رقم ٢٦).

سرعة انحدارها! ولما ركب الهوى في هاروت وماروت لم يستمسكا[١]، فإذا رأت الملائكة مؤمنا قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته:

فأخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: نا أبو بكر بن حمدان، قال: نا عبد الله بن أحمد قال: حدثني سريج قال: نا عنبسة بن عبد الواحد، عن مالك بن مغول، عن عبد العزيز بن رفيع قال: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة: سبحان الذي نجى هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا[٢]!

ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطانا

أخبرنا ابن الحصين الشيباني، قال أخبرنا أبو علي بن المذهب قال: أنا أبو بكر بن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: نا هارون، قال: نا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني أبو صخر عن ابن قُسَيْط، أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا قالت: فغرت عليه. قالت: فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «**مالك يا عائشة أغرت**»؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أفأخذك شيطانك**»؟ قلت: يا

---

(١) هذا بناء على الحديث الطويل الذي يُروى في ذلك. وملخصه أن الله تعالى أهبط اثنين من ملائكته إلى الأرض، هما هاروت وماروت، وابتلاهما بامرأة من أحسن البشر، فافتتنا بها، وعصيا الله فيها. وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٣٤)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٥٣-٥٤)، وقد رجّح ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٢-١٤٣)، وتاريخه (١/ ٣٣) أن الحديث من قصص كعب الأحبار الإسرائيلية، وقال عن طريق عبد الرزاق السابق: هذا أصح وأثبت. وأن من رفعه فقد أخطأ ووهم، وأن الذين رووه من قصص كعب الأحبار أحفظ وأوثق ممن رووه مرفوعًا. وقال الألباني في ضعيفته (١/ ٢٠٤): باطل مرفوعًا.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد (ص ٢١٠). وتحرف فيه (سريج) إلى (شريح)، و(عنبسة بن عبد الواحد) إلى (عيينة عن عبد الواحد)..

رسول الله أو معي شيطان؟! قال: «**نعم**»! قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «**نعم**». قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «**نعم، ولكن ربي ﷻ أعانني عليه حتى أسلم**»[(١)]. انفرد بإخراجه مسلم، ويجيء في لفظ آخر: «**أعانني عليه فأسلم**».

قال أبو سليمان الخطابي: عامة الرواة يقولون: «**فأسلمَ**» على مذهب الفعل الماضي، يريدون أن الشيطان قد أسلم، إلا سفيان بن عيينة فإنه يقول: «**فأسلمُ**» أي أسلم من شره. وكان يقول: الشيطان لا يُسلِم[(٢)].

قال المصنف: قلت أنا: وقول ابن عيينة حسن، وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان، إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة[(٣)]:

وهو ما أخبرنا به ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أنا أبو بكر بن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: نا أبي، قال: نا يحيى، عن سفيان، قال: حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياي، ولكن الله ﷻ أعانني عليه ولا يأمرني إلا بحق**»[(٤)].

قال عبد الله: وحدثني أبي، قال: نا زياد بن عبد الله البكائي، قال: نا منصور عن سالم، عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد إلا وقد وكل به**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١١٥)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٨ رقم ٢٨١٥)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٨-٢٢٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. وأقره الذهبي.

(٢) إصلاح غلط المحدثين للخطابي (ص٥٨-٥٩).

(٣) انظر التعليقة الآتية إيراد المؤلف لحديث «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكل به قرينه من الجن... الحديث**».

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٥) و(١/ ٣٩٧، ٤٠١)، ورواه مسلم (٤/ ٢١٦٨ رقم ٢٨١٤)، وأحمد والدارمي (٢/ ٢١٠ رقم ٢٧٣٠)، وليس عند الدارمي قوله: «**فلا يأمرني إلا بخير**».

قرينه من الجن» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير**»[١]. انفرد بإخراجه مسلم، وسالم هو: ابن أبي الجعد، واسم أبي الجعد: رافع، وظاهره إسلام الشيطان، ويحتمل القول الآخر[٢].

بيان أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: أني أبي، قال: نا عبد الرزاق، قال: نا معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن صفية بنت حيي، قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلًا، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي يقلبني وكان منزلها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «**على رِسْلِكُما إنها صفية بنت حيي**». فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**» أو قال: «**شيئًا**»[٣]. أخرجاه في الصحيحين.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٦٠).

(٢) مدار هذه المسألة على لفظه «فأسلم» من الحديث، قال الإمام النووي: (فأسلم: بضم الميم وفتحها، روايتان مشهورتان. فمن رفع قال: معناه: أسلمُ أنا من شره وفتنته. ومن فتح قال: إن القرين أسلمَ من الإسلام، وصار مؤمنًا). شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٥٧). وقد اختار ابن خزيمة، والقاضي عياض، والنووي رواية الفتح، ورأوا أن القرين أسلم وصار مؤمنًا. واختار غيرهم، كسفيان بن عيينة، والخطابي رواية الرفع، وأنه السلامة من جهة النبي ﷺ. واختار الإمام أحمد التوقف.
انظر: شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٥٨)، الشفا للقاضي عياض (٢/ ٧٣٦)، دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٠١)، السنة للخلال (ص١٩٠-١٩١).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمراد في أصح القولين: استسلم وانقاد لي، ومن قال: حتى أسلم أنا، فقد حرّف معناه. ومن قال: الشيطان صار مؤمنًا، فقد حرّف لفظه). منهاج السنة (٨/ ٢٧١)، وانظر: مصائب الإنسان من مصايد الشيطان لابن مفلح (ص١١٣).

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٣٣٧)، وأخرجه البخاري (٤/ ٢٧٨ رقم ٢٠٣٥)، و(رقم ٢٠٣٨)، و(رقم ٢٠٣٩)، ←

قال أبو سليمان الخطابي: وفي هذا الحديث من العلم استحباب أن يتحرّز الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون، ويخطر بالقلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب.

قال[1]: ويحكى في هذا عن الشافعي أنه قال: خاف النبي ﷺ أن يقع في قلوبهما شيء من أمره فيكفرا، وإنما قال هذا شفقة عليهما لا على نفسه.

ذكر التعوذ من الشيطان

قد أمر الله ﷻ بالتعوذ من الشيطان عند التلاوة فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]، وعند السحر فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: ١]، إلى آخر السورة: فإذا أمر بالتحرز من شره في هذين الأمرين فكيف في غيرهما!

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: نا أبي، قال: نا سيار قال: نا جعفر، قال: نا أبو التياح، قال: قلت لعبد الرحمن بن خنبش: أدركت النبي ﷺ؟ قال: نعم. قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال: إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله من الأودية والشعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله فهبط إليه جبريل، فقال: **يا محمد قل ما أقول**. قال: قل:

و(٦/ ٢١٠ رقم ٣١٠١)، و(٦/ ٣٣٦ رقم ٣٢٨١)، و(١٠/ ٥٩٨ رقم ٦٢١٩)، و(١٣/ ١٥٨ رقم ٧١٧١)، ومسلم (٤/ ١٧١٢ رقم ٢١٧٥)، وأبو داود (٢/ ٨٣٤ رقم ٢٤٧٠)، وابن ماجه (١/ ٥٦٦ رقم ١٧٧٩).

(١) أي الخطابي، وقد نقل كلام الشافعي هذا في كتابه معالم السنن (٣/ ٣٤٢) وفي أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (٢/ ٩٨٩)، ولم أجد تعليق الخطابي مع طول البحث. وكلام الشافعي في معنى هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٩٢)، والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٣٠٩-٣١٠).

أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن. قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تبارك وتعالى[1].

أنبانا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أنا ابن صفوان، قال: نا أبو بكر القرشي، قال: حدثني أبو سلمة المخزومي، قال: نا ابن أبي فديك، عن الضحاك بن عثمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسله، فإن ذلك يذهب عنه**»[2].

قال القرشي: ونا هناد بن السري، قال: نا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود، قال: قال: رسول الله ﷺ: «**إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله، فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان**» ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[البقرة: ٢٦٨] الآية[3]. **وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود.**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤١٩)،وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٢٣٧ رقم ٦٨٤٤)،قال المنذري في الترغيب (٢/ ٤٥٧): رواه أحمد وأبو يعلى، ولكل منهما إسناد جيد يحتج به، وقد رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلا، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود بنحوه. والسيوطي في جمع الجوامع (٢/ ٥٥٧) وقال: وهو صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٥٧) وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٤٩ رقم ٢٨)، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار (١/ ٣٤ رقم ٥٠).وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٨): (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله ثقات).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٤ رقم ٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧/ ١٣٩). قال

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا عبد الرزاق، قال: أنا سفيان، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ، يعوذ الحسن والحسين فيقول: «**أعيذكما بكلمة الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ثم يقول: هكذا كان أبي إبراهيم عليه السلام يعوذ إسماعيل وإسحاق**»[(١)]، أخرجاه في الصحيحين.

قال أبو بكر بن الأنباري: الهامة: واحد الهوام، ويقال: هي كل نسمة تهم بسوء، واللامة: الملمة. وإنما قال: «**لامة**»: ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان[(٢)].

أنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أنبأنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال: نا محمد بن خلف، قال: نا عبد الله بن محمد، قال: نا فضيل بن عبد الوهاب، قال: نا جعفر بن

الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث أبي الأحوص لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث أبي الأحوص. وإسناده ضعيف لاختلاط عطاء بن السائب كما في التقريب لابن حجر (ص ٣٩١)، ولتأخر وفاة أبي الأحوص، فيكون سمع منه بعد الاختلاط، وبهذه العلة ضعفه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٨٤). ورواه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٣، ٥٧٤ رقم ٦١٧١، ٦١٧٢، ٦١٧٣، ٦١٧٤) موقوفا على ابن مسعود.

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٠٧) و(١/ ٢٣٦)، ولم أجده عند مسلم كما ذكر المؤلف، وانظر تحفة الأشراف (٤/ ٤٥٠ رقم ٥٦٢٧)، وأخرجه البخاري (٦/ ٤٠٨ رقم ٣٣٧١)، وأبو داود (٥/ ١٠٤ رقم ٤٧٣٧)، والترمذي (٤/ ٣٩٦ رقم ٢٠٦٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٥٥٣-٥٥٤ رقم ١٠٠٦، ١٠٠٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٦٤ رقم ٣٥٢٥).

(٢) انظر: النهاية لابن الأثير (لمم)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٤٣٦). وغريب الحديث للحربي (١/ ٣١٩).

سليمان، عن ثابت، قال: قال مطرف: نظرت فإذا ابن آدم ملقى بين يدي الله ﷻ وبين إبليس، فإن شاء أن يعصمه عصمه، وإن تركه ذهب به إبليس[١].

وقد حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطأ؟ قال: أجاهده! قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده! قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده! قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك[٢].

قال المصنف: قلت: واعلم أن مثل إبليس مع المتقي والمخلط كمثل رجل جالس ليس بين يديه طعام، فمر به كلب فقال له: اخسأ! فذهب. فمر بآخر بين يديه طعام ولحم، فكلما خسأه لم يبرح.

فالأول: مثل المتقي يمر به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر.

والثاني: مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص ٤٥ رقم ٢٥). وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٠٠ رقم ٢٩٨). ورواه أحمد في الزهد (ص ٢٩٦).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٧/ ٣٤٨) بلفظه.

الباب الرابع
في معنى التلبيس والغرور

التلبيس: إظهار الباطل في صورة الحق[١].

والغرور: نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحًا والرديء جيدًا[٢].

وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك، وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه، ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار فطنهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم.

واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثلم[٣]، وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض[٤] من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس أو التسور من بعض الثلم.

فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو ما يفتر.

قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة[٥].

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (ص٧٩)، والكليات لأبي البقاء (ص٨٠٠)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص٢٠٣)، والمصباح المنير للفيومي (لبس).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٧٦)، والنهاية لابن الأثير (٣/٣٥٦)، الكليات لأبي البقاء (ص٦٧٢)، المصباح المنير (غرر).

(٣) ثلم: جمع ثلمة، والثلمة خلل في الحائط وفرجة. اللسان (ثلم).

(٤) ربض: مأوى، من ربض الغنم: أي مأواها الذي تأوي إليه. اللسان، القاموس المحيط (ربض).

(٥) رواه عبد الله في زوائده على الزهد (ص٣٢٦).

وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأقل ما تفعل الشياطين في الربض إكثار الدخان لتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرآة.

وللعدو حملات، فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به، وربما خرج الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه[1] في الشر، قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لي: قد كنت ألقى الناس فأُعَلِّمُهم، فصرت ألقى الناس فأتعلم منهم.

وربما هجم الشيطان على الذكي الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره، وأقوى القيد الذي يوثق به الأسرى الجهلُ، وأوسطه في القوة الهوى، وأضعفه الغفلة وما دام درع الإيمان على المؤمن فإن نبل العدو لا يقع في مقتل.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: نا أبو محمد بن حيان، قال: نا أحمد بن محمد بن يعقوب، قال: نا محمد بن يوسف الجوهري، قال: نا أبو غسان النهدي، قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين بابًا من الخير يريد به بابا من الشر[2].

أنبأنا علي بن عبيد الله، قال: أخبرنا محمد بن محمد النديم، قال: أنا عمي عبد الواحد بن أحمد، قال: حدثني أبي أحمد بن الحسين المعدل، قال: حدثنا أبو جعفر

(١) في «أ»: كلمة غير مقروءة.
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٣١).

محمد بن صالح، قال: حدثنا جبارة بن المغلس الحماني، قال: حدثنا حماد بن شعيب، عن الأعمش، قال: حدثنا رجل كان يكلم الجن، قالوا: ليس علينا أشد ممن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء، فإنا نلعب بهم لعبًا[١].

(١) لم أقف عليه.

الباب الخامس

في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات

ذكر تلبيسه على السوفسطائية[(١)]

هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له «سوفسطا»، زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها، وأن ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده.

وقد رد العلماء عليهم بأن قالوا: لمقالتكم هذه حقيقة أم لا؟ فإن قلتم: لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطلان، فكيف يجوز أن تدعوا إلى ما لا حقيقة له؟ فكأنكم تقرون بهذا القول: أنه لا يحل قبول قولكم؛ وإن قلتم لها حقيقة، فقد تركتم مذهبكم[(٢)].

---

(١) **السوفسطائية**: يدور معنى السفسطة على ثلاث أفكار: نفي الحقائق، أو الشك فيها، أو نسبيتها: أي من شخص إلى شخص أو حسب الاعتقاد فيها، بناء على النزعة الفردية الفلسفية التي قام عليها هذا المذهب.

وقد رُد أصل هذه الكلمة إلى أنه لفظ يوناني مركب من «سوفيا» وهي: الحكمة، ومن «أسطس»: وهو المموه، فمعنى الكلمة: الحكمة المموهة. ولذلك قال الجرجاني في تعريف «السفسطة» بأنها: (قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته).أما نسبتها إلى رجل يقال له «سوفسطا» فقد عزاها ابن تيمية إلى أهل الكلام. كما أنه قد شكك في كونها لقبًا لجماعة من الجماعات، بل هي اصطلاح يدل على الجهل والمغالطة.

انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٤٣)، والأصول والفروع له (١٥٢)، والتعريفات للجرجاني (ص١٣١-١٣٢)، ومفاتيح العلوم للخوارزمي (١٧٦)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢/ ٦٦٥-٦٦٦)، إحصاء العلوم للفارابي (ص٣٩-٤١)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٢-٣٢٤)، مجموع الفتاوى (١٩/ ١٣٥)، الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٦٤٩)، الصفدية لابن تيمية (١/ ٩٧-٩٨)، الموسوعة الفلسفة لبدوي (١/ ٥٨٨-٥٩٢).

(٢) انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٤٤)، والأصول الفروع له أيضًا (ص١٥٣)، وأصول الدين للبغدادي (ص٣١٩).

وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النُّوبَخْتي في كتاب «الآراء والديانات»(١) وقال: رأيت كثيرًا من المتكلمين قد غلطوا في أمر هؤلاء غلطًا بينًا؛ لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم، وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا لمشاهدة، فكيف تكلم من يقول: لا أدري أتكلمني أم لا؟ فكيف تناظر من يزعم أنه لا يدري أموجود هو أم معدوم؟ وكيف تخاطب من يدعي أن المخاطبة بمنزلة السكوت في الإبانة، وأن الصحيح بمنزلة الفاسد؟ قال: ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة(٢) ويعترف بأمر، فيجعل ما يقر به سببًا إلى الصحيح مما يجحده، فأما من لم يقر بذلك فمجادلته مطروحة(٣).

---

(١) ذكر ابن النديم في الفهرست (ص٢٢٠) أن النُّوبَخْتي ألّف كتاب «الآراء والديانات» ولم يُتمه. وذكره المسعودي في مروج الذهب (١/ ٧٩) قال: قد رأيت أبا القاسم البَلْخِي ذكر في كتاب «عيون المسائل والجوابات»، وكذلك الحسن بن موسى النُّوبَخْتي في كتابه المترجم بكتاب «الآراء والديانات» مذاهب الهند وآرائهم...). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وفي كتاب «الآراء والديانات» لأبي محمد الحسن بن موسى النُّوبَخْتي، فصل جيد من ذلك، فإنه بعد أن ذكر طريقة أرسطو في المنطق قال: وقد اعترض قوم...). مجموع الفتاوى (٩/ ٢٣١)، وانظر: الرد على المنطقيين (ص٣٣١، ٣٣٧). وذكر النجاشي في رجال الشيعة (١/ ١٨٠) أنه كتاب كبير حسن، يحتوي على علوم كثيرة. وقال: (قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبد الله...)، والكتاب الآن في حكم المفقود. والله أعلم.

(٢) **الضرورة**: عند المنطقيين عبارة عن استحالة انفكاك المحمول – وهو أحد طرفي القضية – عن الموضوع الذي هو الطرف الأول في القضية. والقضية عبارة عن: الموضوع والمحمول والنسبة بينهما، مثالها: قولنا: الثلج ماءٌ متجمد: فهذا الكلام قضية، وهي جملة اسمية الموضوع فيها هو الثلج، وهو مبتدأ، والمحمول فيها «ماء متجمد» وهو خبر، والنسبة بينهما قد دلت عليها حركة الإعراب وهي الرفع في الخبر.
ومنها: تسمية العلم الضروري وهو الذي يقابل الاستدلالي، إذ يحصل بدون فكر ونظر في دليل، وقد يُسمى البديهي وهو ما يكفي تصوّر طرفيه – موضوعه ومحموله – في حصول تصديقه.
انظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٥٠)، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص ٤٧٢)، الكليات لأبي البقاء (ص٥٧٦)، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢/ ٨٧٧)، الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص٨٩)، ضوابط المعرفة للميداني (ص٢٠ – ٢١).

(٣) لأن مبناها على المكابرة من طرف السوفسطائي والمكابرة وظيفة مردودة غير مسموعة، فهي غير مقبولة، كما لا يخفى. انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة للميداني (ص٤٥٤).

قال المصنف: قلت: وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال: إن أقوامًا قالوا: كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المُحَس، ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب، وهؤلاء لا يقولون بالمحسات فبمَ يكلمون؟ قال: وهذا كلام ضيق العطن[1]، ولا ينبغي أن يُوْءَسَ من معالجة هؤلاء، فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس، فلا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم، فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج[2]، وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولدا أحول ولا يزال يرى القمر بصورة قمرين، حتى إنه لم يشك أن في السماء قمرين، فقال له أبوه: إنما القمر واحد، وإنما السوء[3] في عينك، غط عينك الحولاء وانظر، فلما فعل قال: أرى قمرا واحدا لأنني غطيت إحدى عيني فغاب أحدهما، فجاء من هذا القول شبهة ثانية، فقال له أبوه: إن كان ذلك كما ذكرت فغط الصحيحة ففعل فرأى قمرين، فعلم صحة ما قاله أبوه.

أنبأنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا الحسن بن أحمد بن البناء، قال: نا ابن وردان، قال: أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني، قال: حدثني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثني يموت بن المزرع، قال: حدثني محمد بن عيسى النظام قال: مات ابنٌ لصالح بن عبد القدوس فمضى إليه أبو الهذيل[4] ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له

---

(١) قال أبو بكر بن الأنباري في قولهم: فلان ضيق العطن: (معناه: قليل العطاء، ضيق النفس. فكنى بالعطن عن ذلك). الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٩٣).

(٢) كالآفات في الحواس مثلًا، كما سيذكره في القصة الآتية. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثيرًا ما يشتبه ذلك وتتعارض الدلالتان عند من يُكنّ السفسطة والإلحاد لشُبه قامت به، فتكون الآفة من إدراكه لا من المدرك، كالأحول الذي يرى الواحد اثنين، والممرور الذي يجد الحلو مُرًا...). درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠).

(٣) في «أ»: (السر).

(٤) هو محمد بن الهذيل البصري، أبو الهذيل العلاف. رأس المعتزلة، وكان أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد ﻟ

فرآه محترقا، فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهًا إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال له صالح: يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ «كتاب الشكوك»، فقال له أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك[١]؟ قال: هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان، فقال له النظام[٢]: فشُكَّ أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت وإن كان قد مات؛ وشُكَّ أيضا في أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه[٣].

وحكى[٤] أبو القاسم البَلْخِي[٥] أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتى مرة فناظره، فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع إليه فقال: سرقت دابتي. قال: ويحك! لعلك لم تأت راكبًا، قال: بلى. فقال: فكِّر. قال: هذا أمر أتيقنه. فجعل يقول له: تذكر. فقال: ويحك! ما هذا موضع تذكر، أنا

الطويل تلميذ واصل بن عطاء. وله تصانيف، وهو الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، وأنكر الصفات، حتى العلم والقدرة، وقال: هما الله. وقال: إن لقدرة الخالق نهاية. قال الذهبي: انقلع في سنة ٢٢٧هـ، وقيل: بقي إلى سنة ٢٣٥هـ. طبقات المعتزلة لعبد الجبار (ص٢٥٤)، تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦)، لسان الميزان (٥/ ٤١٣)، السير (١٠/ ٥٤٢).

(١) ذكره ابن النديم في ترجمة أبي الهذيل، وقد أورد هذه القصة (ص٢٠٩-٢١٠)، كما ذكره ابن المرتضى في طبقات المعتزلة (ص٤٧) في ترجمة أبي الهذيل.

(٢) في «طبقات المعتزلة» و«الفهرست»: (أبو الهذيل).

(٣) ذكر هذه القصة ابن النديم في فهرسته (ص ٢٠٩-٢١٠) وابن المرتضى في طبقات المعتزلة (ص ٤٧) إلا أنهما جعلا القول الأخير لأبي الهذيل لا للنظام.

(٤) انظر: المنية والأمل لابن المرتضى (ص٩٤)، ونسب أبو عمار الإباضي في الموجز (١/ ٢٨١-٢٨٣) هذه الحكاية لأبي عيسى الورّاق المعتزلي (٢٤٧هـ).

(٥) هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، أبو القاسم البَلْخِي الخراساني. أحد أئمة الاعتزال، من نظراء أبي علي الجبائي، وإليه تنسب طائفة (الكعبية) من المعتزلة. من أشهر مصنفاته «المقالات»، و«التفسير»، و«تأييد مقالة أبي الهذيل». مات سنة ٣١٩هـ. طبقات المعتزلة لعبد الجبار (ص٢٩٧)، تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٤)، السير (١٤/ ٣١٣)، لسان الميزان (١/ ٧٦).

لا أشك أني جئت راكبا. قال: فكيف تدعي أنه لا حقيقة لشيء، وأن حال اليقظان كحال النائم؟ فوجم السوفسطائي ورجع عن مذهبه(١).

فصل

قال أبو محمد النُّوبَخْتي: وقد زعمت فرقة من المتجاهلين(٢) أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة في نفسها، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها، فإن العسل يجده صاحب المرة الصفراء مرًّا، ويجده غيره حلوا، قالوا: وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه، محدث عند من اعتقد حدثه، واللون جسم(٣) عند من اعتقده جسما، عرض(٤) عند من اعتقده عرضًا، قالوا: فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد.

---

(١) ومما يذكر كذلك في هذا الموضوع قصة القاضي الباقلاني مع جماعة من السوفسطائيين: إذ لما نزلوا ودخلوا عليه أمر القاضي بأخذ مطايا القوم من أيدي خدمهم، وبدّلها بقردة، فلما فرغوا من الكلام مع القاضي، خرجوا فوجدوا قردةً بدلًا من مطاياهم، فضجوا في طلب المطايا، فقال لهم: ما هي إلا مطاياكم، وإنما تخيل إليكم أنها قردة وأنتم لا تثبتون حقيقة، فأفحموا بالحجة، وعلموا أن ذلك لقطع ما بأيديهم. انظر: عيون المناظرات للسكوني (ص٢٤٩).

(٢) هذا كلام صنف من أصناف السوفسطائية الثلاثة، وهم القائلون بأن الحقائق هي على حسب ما يعتقده كل إنسان، من نفي أو إثبات، أو وجود أو عدم. وقد سمّاهم شيخ الإسلام ابن تيمية: «السوفسطائية المتجاهلة اللا أدرية»، وذكر أن من القائلين بهذا الرأي ابن عربي زعيم أهل الوحدة، إذ يرى أن كل من اعتقد في الله عقيدة فهو مصيب. انظر: الصفدية (١/ ٩٧-٩٨)، الفصل لابن حزم (١/ ٤٣)، والأصول والفروع له أيضًا (ص١٥٢)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٦٤٩)، والموسوعة الفلسفية لبدوي (١/ ٥٨٨-٥٩٢).

(٣) جسم: هو القابل للأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق عند المعتزلة، وعند الأشاعرة هو المركب المؤلف من الجوهر.
انظر: تعريفات الجرجاني (جسم)، الشامل للجويني (ص٤٠٢)، مقالات الأشعري (٢/ ٥-٦).

(٤) عرض: هو عند المعتزلة: ما يعرض في الوجود ولا يجب لبثه. وعند الأشاعرة: هو المعنى القائم بالجوهر كالألوان والطعوم والروائح. انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٢٣٠)، المواقف للإيجي (ص٩٦)، الشامل للجويني (١٦٧).

قال: وهؤلاء من جنس السوفسطائية، فيقال لهم: أقولكم صحيح؟ فسيقولون: هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا.

قلنا: دعواكم صحة قولكم مردودة، وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم، ومن شهد على قوله بالبطلان فقد كفى خصمه تبين فساد مذهبه. ومما يقال لهم: أتثبتون للمشاهدة حقيقة؟ فإن قالوا: لا، لحقوا بالأولين، وإن قالوا: حقيقتها على حسب الاعتقاد، فقد نفوا عنها الحقيقة في نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين[١].

فصل

قال النُّوبَخْتي: ومن هؤلاء[٢] من قال: إن العالم في ذوب وسيلان، قالوا: ولا يمكن الإنسان أن يتفكر في الشيء الواحد مرتين لتغير الأشياء دائما، فيقال لهم: كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم، وربما كان أحدكم الذي يجيبه الآن غير الذي كلمنا.

---

(١) انظر في الرد على هذا الصنف من السوفسطائيين: الفصل لابن حزم (١/ ٤٣-٤٥)، الأصول والفروع له (ص١٥٣-١٥٤)، مجموع الفتاوى (١٩/ ١٣٥-١٥١).

(٢) وقد يسمون «السيالية»؛ لقولهم بسيلان العالم، وأن الإنسان وسائر الأجسام يتجدد في كل زمن فردًا، وأنه ليس هو الذي كان موجودًا قبل هذا الزمان الذي هو فيه، ولا هو الذي يكون موجودًا في الزمان الذي يليه من بعده، بل غيره، ومن المناظرات التي تروى مع هؤلاء، أن سنيًا ناظر سياليًا يعتقد هذا الاعتقاد الفاسد؛ فأخذ السني نعله وضرب وجه السيالي ضربة شديدة. فقال السيالي: ما هذا؟ قال: لا تنكره، فإن الذي ضربته قد انعدم، وأنت آخر غيره، وهذا هو مذهبك. فانقطع السيالي بإنكاره. عيون المناظرات (ص٢١٩).

ذكر تلبيسه على الدهرية[1]

قد أوهم إبليس خلقا كثيرا أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه[2]، وهل يشك ذو عقل في وجود صانع؟! فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطا مبنيا علم أنه لابد له من بانٍ بناه.

فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية، العجيبة، والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدل على صانع!

وما أحسن ما قال بعض العرب[3]: إن البعرة تدل على البعير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على اللطيف الخبير!

ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلا، وشفت غليلا، فإن في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب: ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتعريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب المضوغ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء، وهذه الأصابع التي قد هيئت فيها

---

(١) **الدهرية**: قوم قالوا بأن العالم قديم لم يزل، وأنه لا خالق له ولا مدبر، كما أسندت فعل الحوادث له، وقد حكى القرآن الكريم قولهم هذا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[الجاثية: ٢٤]، كما قالوا بإبطال الشرائع والعبادات، وأنكروا الثواب والعقاب.
انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٤٧)، الأصول والفروع له (ص١٥٤)، التبصير في الدين (ص١٤٩)، البرهان (ص٨٨)، مفاتيح العلوم (ص٥٥)، الحور العين للحميري (ص١٤٣).

(٢) إن القول بأن الموجود هو ما يمكن إحساسه في الدنيا، لا يقوله عاقل؛ فإنه ما من عاقل إلا ويعلم إما بخبر غيره، وإما بنظره وقياسه ما لم يعلم بحسِّه. انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٣٠-١٣٢)، الصفدية (١/ ١٤٧).

(٣) هذا من قول بعض الأعراب حين سُئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ ذكره الرازي في مفاتيح الغيب (٢/ ٩١)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٦١-٦٢).

العقد لتنطوي وتنفتح، فيمكن العمل، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي إذا ضمت[(١)]، وأخفى ما في البدن ما به قوامه، وهو النفس[(٢)] التي إذا ذهبت فسد، والعقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٣]!

وإنما تخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس، ومن الناس من جحده لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود، ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل، ولم يمتنع أحد من إثبات وجودها، وهل الغاية إلا إثبات الخالق جملة، وكيف يقال: كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية[(٣)]!

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٥-٢٢٨)، ففيه عرض لعجائب الخلق!

(٢) **النفس**: انظر في تعريفها: التعريفات للجرجاني (ص٢٥٢)، الكليات لأبي البقاء (ص٨٩٧)، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص٧٠٥)، كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٣٩٦ وما بعدها).
وقال ابن القيم رحمه الله: (قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف، واضطربت أقوالهم فيها، وكثر فيها خطؤهم، وهدى اللهُ أتباعَ الرسول أهل سنته لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه...) وقد ساق أغلب ما قاله الناس في تعريف النفس، ثم خلص إلى أن القول الصواب هو أن النفس: (جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك، حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم). الروح (٢/ ٥٧٣، ٥٧٩).

(٣) المولى تبارك وتعالى لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، كما أنه تعالى لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه، فإن الله تعالى لا مثل له، بل له المثل الأعلى. فلا يُسأل عنه بكيف هو أو ما هو، ولسنا بحاجة - في هذا المجال - أن نصفه بالسلوب التي توجب مخالفة الله تعالى للموجودات غيره، كما فعل المصنف رحمه الله هنا، بل يكفي في الرد على من رام إدراك كنه المولى تبارك وتعالى ضرب الروح له مثلًا، وسؤاله عن كنهها وحقيقتها.
والمقصود - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية-: (أن الروح إذا كانت موجودة، حية، عالمة، قادرة، سميعة، بصيرة، تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها. لأنهم لم يشاهدوا لها نظيرًا، والشيء إنما تُدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره. فإذا
⇙

ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث، ولابد لحدوث هذا الحادث من سبب، وهو الخالق سبحانه(١).

كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يُشاهد من المخلوقات، فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته، وأهل العقول هم أعجز عن أن يحدوه أو يكيفوه منهم أن يحدوا الروح أو يكيفوها). التدمرية (ص٥٦)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٨٤).

أما عن كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نفي الكيفية والماهية عن الله ﷻ، فأقول -وبالله التوفيق-: الكيف بالنسبة لله تعالى وصفاته غير معلوم، وإن كان ثابتًا في نفس الأمر، فلا يحاط به سبحانه علمًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠]، ولهذا ورد عن غير واحد من السلف حين يُسأل عن صفة من صفات الله، أنه كان يقول: الكيف مجهول. أما بالنسبة للماهية - التي هي نسبة إلى «ما هو»- فإن المأثور عن أئمة السلف والخلف هو إثباتها إثبات وجود لا إثبات كيفية؛ ولهذا كانوا ينفون العلم بماهية الله تعالى وكيفيته بقولهم: لا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال.

وماهية الله تعالى هي حقيقته، وهي وجوده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإذا كان المخلوق المعين وجوده الذي في الخارج هو نفس ذاته وحقيقته وماهيته التي في الخارج، ليس في الخارج شيئان، فالخالق أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر). درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩٣). وانظر: جامع الرسائل (١/ ١٧٣)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢١-١٣٢٢)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٧٤).

(١) هذا هو دليل حدوث الأجسام الذي استدل به أهل الكلام على إثبات الصانع، وقد بنوا على هذا الدليل لوازم فاسدة، كنفي صفات الله، ونفي قدرته على الفعل، والقول بأنه فعل بعد أن كان الفعل ممتنعًا عليه... إلخ من اللوازم الفاسدة.

والأصل في إثبات الصانع هو طريقة القرآن، وهي إثبات الخالق تعالى بنفس آياته التي يستلزم العلم بها العلم به، وهذا هو الدليل الصحيح؛ إذ كل ملزوم يستدل به على لازمه، فكل ما كان مستلزمًا لغيره أمكن الاستدلال به عليه. كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الطور: ٣٥]، والعلم بهذا علم ضروري لا يحتاج إلى دليل، كما أنه مشهود بالحس، وإنما يعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس وبالضرورة.

انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٩)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢١٩)، شرح الأصفهانية (ص٢٢٦-٣٤٢)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٤١)، الصفدية (١/ ٢٧٤)، والتمهيد للباقلاني (ص٤١)، والإنصاف له (ص٤٥)، أصول الدين للبغدادي (ص٥٤)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٩١).

وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا: لابد للصنعة من صانع، فيقولون: إنما تعلقتم في هذا بالشاهد وإليه نقاضيكم فنقول: كما أنه لابد للصنعة من صانع ولابد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس. قالوا: فدليلكم الذي تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم؟

والجواب: أنه لا حاجة بنا إلى مادة، بل نقول: إن الصانع اخترع الأشياء اختراعًا، فإنا نعلم أن الصورة والأشكال المتحادة[(١)] في الجسم كصورة الدولاب، ليس لها مادة وقد اخترعها، ولابد لها من مصور، فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت لا من شيء ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لا من صانع[(٢)].

ذكر تلبيسه على الطبائعيين[(٣)]

---

(١) في «أ»: (المتجددة).

(٢) قد جرت لأئمة الإسلام مناظرات كثيرة للدهرية، وكان الظهور فيها دائمًا لأهل الإسلام؛ لقوة أدلتهم التي اقتبسوها من كتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ... انظر جملة من ذلك في كتاب: عيون المناظرات للسكوني (ص٢١٤، ٢٢٠)، والفصل لابن حزم (١/ ٥٠ وما بعدها)، والداعي إلى الإسلام لابن الأنباري (٢٠٠-٢٢٠).

(٣) **الطبائعيون**: ويسمون كذلك «أصحاب الطبائع»، وهم القائلون بقدم العناصر الأربعة: الأرض (أو الطين، أو التراب)، والماء، والنار، والهواء. وأنها أصل كل موجود، كما قالوا بقدم طبائع هذه العناصر، وهي: الحرارة، والبرودة، واليبوسة، والرطوبة. ومذهبهم هذا مبني على إنكار الخالق تعالى، وأن يكون هو خالق هذا العالم ومُدبره، ويستبعدون كل مؤثر يجاوز حدود الطبيعة ويفارقها.

ومِمن ورث هذا المذهب في الوقت الحاضر «الشيوعيون» الذين يقولون بأنه لا وجود إلا للطبيعة، أي: للحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض على النحو الذي نشاهده في عالم الحس والتجربة.

انظر: أصول الدين للبغدادي (ص٣٢٠)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٥٧-٥٦١)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص١٥٠)، التمهيد للباقلاني (ص٥٦)، الشامل للجويني (ص٢٢٧)، الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري (ص٢٣٧-٢٣٨)، مفيد العلوم للقزويني (ص٩٠-٩١)، المعجم الفلسفي لجميل صليبا (ص٢/ ١٧).

لما رأى إبليس قلة موافقيه على جحد الصانع؛ لكون العقول[1] شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع، حَسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة، وقال: ما من شيء يخلو من اجتماع الطبائع الأربعة فيه؛ فدل على أنها الفاعلة.

وجواب هذا أن نقول: اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها، ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها، وذلك يخالف طبيعتها، فدل على أنها مقهورة.

وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة، ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم، فكيف يفعل من ليس بعالم عالما، ومن ليس بقادر قادرًا[2]!

فإن قالوا: فلو كان الفاعل حكيما لم يقع في بنائه خلل، ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة، فعلم أنه بالطبع.

قلنا: ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع، فأما الخلل[3] المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع أو للعقوبة، أو في طيه منافع لا نعلمها، ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع في

---

(١) والفطر، وهذا مضمون ميثاق الفطرة الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾[الأعراف: ١٧٢].

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني (ص٥٧-٥٨)، (ص٦٠-٦١)، الشامل للجويني (ص٢٣٩-٢٤٢)، الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري (ص٢٣٩-٢٥٠)، مفيد العلوم للقزويني (ص٩١).

(٣) عبر المصنف رحمه الله بقوله: «الخلل» تنزلًا مع الخصم، وإلا فإن هذا اللفظ لا يجوز إطلاقه على أفعال الله تعالى التي كلها خير وحكمة، ثم إن المصنف رحمه الله استدرك فبيّن الحكمة من ذلك الخلق أو التقدير، بكونه للابتلاء والردع والعقوبة، أو أن في طيه منافع ومصالح لا نعلمها، وعليه فتكون هذه الأفعال من الله تعالى كلها حكيمة، وفيها العدل والخير، وليست من الخلل في شيء. والحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة والإحسان. انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص٤٢٦-٤٣٠)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ١٢٧، ١٣٩).

نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرمة[1] والخلالة[2] وتُنْشف البرة وتُيْبسها،ولو فعلتْ طبعًا لأيبستْ الكلَّ أو رطبتْهُ، فلم يبقَ إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يُبْس هذه للادخار، ونضج هذه للتناول، والعجب أن التي أوصلت إليها اليبس في أَكِنَّة لا تلقي جرمها والتي رطبتها تلقي جرمها، ثم إنها تُبَيِّض ورد الخشخاش وتُحَمِّر الشقائق وتُحَمِّض الرمان، وتُحَلي العنب، والماء واحد، وقد أشار ﷻ إلى هذا بقوله سبحانه: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[الرعد: ٤].

ذكر تلبيسه على الثنوية

وهم قوم قالوا: صانع العالم اثنان: ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة؛ وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويَيْن حساسَيْن دراكَيْن، سميعَيْن بصيرَيْن، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير:

- **فجوهر النور** فاضل حسن، صاف، نقي طيب الريح، حسن المنظر، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة، منها الخير واللذة والسرور والصلاح، وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر.
- **وجوهر الظلمة** على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسها نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة، منها الشر والفساد، كذلك حكاه أبو محمد النُّوبَخْتي عنهم[3]، قال: وزعم بعضهم[1] أن النور لم يزل فوق الظلمة.

---

(١) الحصرمة: أول العنب ما دام أخضر. اللسان، القاموس المحيط (حصرم).

(٢) الخلالة: ما يقع من التخلل. مختار الصحاح، اللسان (خلل).

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٠-٢٩١)، اعتقادات الرازي (ص١٣٨)، أصول الدين للبغدادي (ص٥٣)، التمهيد للباقلاني (ص٧٨)، الشامل للجويني (ص٢٢٧)، تبصير الأدلة للنسفي (١/ ٩٩)، الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري (٢٢١-٢٣١)، إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٥٤-٣٥٥).

ويظهر لي - بعد المقابلة - أنه اقتبس هذا من كلام ابن الجوزي هنا في «تلبيس إبليس»، الخطط ←

الظلمة.

وقال بعضهم: بل كل واحد إلى جانب الآخر[٢]. وقال أكثرهم[٣]: النور لم يزل مرتفعا في ناحية الشمال، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه.

قال النُّوبَخْتي: وزعموا أن كل واحد منهما أجناس خمسة، أربعة منها أبدان وخامس هو الروح.

- **وأبدان النور الأربعة:** النار والنور، والريح، والماء، وروحه الشبح ولم يزل يتحرك في هذه الأبدان.
- **وأبدان الظلمة أربعة:** الحريق، والظلمة، والسموم، والضباب، وروحها الدخان.

وسموا أبدان النور الملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت[٤].

وبعضهم يقول: الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة، وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه، والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها[٥]، وذُكِرَ لهم

للمقريزي (٢/ ٣٤٤)، والثنوية يندرج تحتها أربع فِرق رئيسية هي: المانوية (أصحاب ماني بن فاتك)، والمَزْدَكية (أصحاب مَزْدَك)، والديصانية (أصحاب ديصان)، والمرقيونية (أصحاب مرقيون). وكلها متفقة على القول بالأصلين القديمين: النور والظلمة. والتفصيل الذي حكاه ابن الجوزي هنا نقلًا عن النُّوبَخْتي، وقد عزاه الشهرستاني في الملل - نقلًا عن أبي عيسى الوراق - إلى المانوية.

(١) أي من المانوية. الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٢٩١)، والنسفي في تبصير الأدلة (١/ ١٠٠).

(٢) هذا قول ماني، فيما نص عليه ابن النديم في الفهرست (ص٤٠٠)، وأبهم القائل - كما هنا - عند الشهرستاني في الملل (١/ ٢٩١).

(٣) أي: أكثر المانوية، على ما حكاه الشهرستاني في الملل (١/ ٢٩١).

(٤) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩١)، تبصير الأدلة للنسفي (١/ ٩٩)، الفهرست لابن النديم (ص٤٠٠)، كلهم جعلوا هذا القول من مذهب المانوية.

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٢)، الفهرست لابن النديم (ص٤٠٠)، الشامل للجويني ﴿

مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة، ومذاهب سخيفة، فمنها أنه فَرَضَ عليهم ماني[(١)] ألا يدخروا إلا قوت يوم[(٢)].

وقال بعضهم: على الإنسان صوم سبع العمر، وترك الكذب والبخل والسحر، وعبادة الأوثان والزنا والسرقة، وأن لا يؤذي ذا روح[(٣)]، في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة.

وذكر يحيى بن بشر النهاوندي[(٤)] أن قوما منهم يقال لهم الديصانية[(٥)] زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة، وكانت تحاكي جسم الباري الذي هو النور زمانا، فتأذى بها، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتها عنه، فتوحل فيها واختلط بها، فتركب بينهما هذا العالم النوري والظلمي، فما كان من جهة الصلاح فمن النور، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة. وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم، ويزعمون أنهم

(ص٢٢٨)، الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري (ص٢٢٣).

(١) **هو ماني بن فاتك** الحكيم - ويقال: ابن فتق بابك -، وهو الذي ظهر في أيام سابور بن أردشير ملك الفرس. أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وهو صاحب القول بالنور والظلمة. قتله بهرام بن هرمز بن سابور.
الفهرست لابن النديم (ص٣٩٨-٣٩٩)، الملل والنحل للشهرستاني (ص٢٩٠).

(٢) في الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٣): أن ماني فرض على أصحابه العشر في الأموال كلها.

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٣)، والفهرست لابن النديم (ص٤٠٥)، غير أنهما ذكرا في الصوم أن ماني فرض على أصحابه صوم سبعة أيام من كل شهر.

(٤) لم أقف على ترجمته مع طول البحث والتقصي، ولعله عاش في القرن الرابع أو ما قبله بقليل، يدل على ذلك قول المؤلف (ص ١٧٩): هذا الذي ذكره يحيى بن بشر نقلته من نسخته بالنظامية وقد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة.

(٥) **الديصانية**: هي - كما ذكرت سابقًا - فرقة من فِرق الثنوية، وهي تنسب إلى رجل يُقال له ديصان. قال بقول الثنوية، غير أنهم خالفوهم في القول بحياة النور، وبموت الظلمة، كما قالوا بأن النور كله جنس واحد. وكذلك الظلمة.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٦)، اعتقادات الرازي (ص١٤٠)، تبصير الأدلة للنسفي (١/ ١٠٠)، الفهرست لابن النديم (ص٤١١-٤١٢).

يخلصون بذلك النور من الظلمة[1]، في مذاهب سخيفة!

والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شرًا واختلافًا، فقالوا: لا يكون من أصل واحد شيئان متضادان، كما لا يكون من النار التسخين والتبريد.

وقد رد العلماء[2] عليهم في قولهم: إن الصانع اثنان، فقالوا: لو كانا اثنين لم يخل أن يكونا: قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما قادر والآخر عاجز:

- لا يجوز أن يكونا عاجزين؛ لأن العجز يمنع ثبوت الإلهية.
- ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزًا.
- فبقي أن يقال: هما قادران.

فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر فيها تسكينه، ومن المحال وجود ما يريدانه، فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر[3].

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٧)، الفهرست لابن النديم (ص٤١٢).

(٢) كالأشعري، والبغدادي، والجويني، والباقلاني، وأبي يعلى، والشهرستاني، وعبد الجبار المعتزلي..

(٣) انظر: اللمع للأشعري (ص٢٠)، أصول الدين للبغدادي (ص٧٥، ٨٥)، التمهيد للباقلاني (ص٤٦)، (ص١٥١-١٥٢)، الإنصاف له أيضًا (ص٤٩-٥٠)، الإرشاد للجويني (ص٣٥)، المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (ص٤١)، نهاية الإقدام للشهرستاني (ص٩٠-٩١)، المغني لعبد الجبار الهمذاني (٤/ ٢٤١-٢٤٥، ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٠١)، الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري (ص٢٢٣-٢٢٦)، الباقلاني وآراؤه الكلامية (ص٤١٢-٤٢٤).
وهذا هو دليل التمانع الذي سلكه المتكلمون لإثبات وحدانية الله تعالى، ظانين أن قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] يدل عليه، أي: يدل على نفي الشركة في الربوبية، وهو أنه ليس للعالم خالقان، لظنهم بأن الإله هو بمعنى الرب، وإنما الآية دلت على ما هو أكمل وأعظم من ذلك؛ لأن القرآن يبين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، والمقصود الأعظم هو توحيد الألوهية وهو مستلزم لتوحيد الربوبية. ولولا أن المتكلمين ظنوا أن هذه الآية تدل على دليلهم أصالة، لم يرد عليهم اعتراض، بل ولا وجه للاعتراض على دليل التمانع من حيث كونه دليلًا عقليًا محضًا، كما صنع كل من الآمدي في غاية المرام، وفي أبكار الأفكار، وابن رشد في الكشف عن مناهج الأدلة، بل هو من هذه الناحية صحيح كما قرره فحول النُّظار - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -، ولذلك ناقش ابن رشد في نقده لهذا الدليل

وردوا عليهم في قولهم: إن النور يفعل الخير، والظلمة تفعل الشر: فإنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة، وهذا خير قد صدر من شر!

ولا ينبغي مد النفس في الكلام مع هؤلاء فإن مذاهبهم خرافات!

ذكر تلبيس إبليس
على الفلاسفة[(١)] وتابعيهم

إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم، وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء[(٢)]، فمنهم من قال

وأورد عليه عدة طعون.

انظر: غاية المرام للآمدي (١٥٢-١٥٥)، الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد (ص٧٣-٧٧)، درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤٨-٣٧٨)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٠٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٠-٤١)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/ ١٠٢١-١٠٢٨).

(١) **الفلاسفة**: جمع فيلسوف، نسبة إلى الفلسفة، وهي عبارة يونانية مركبة من كلمتين: «فيلا» أي محب، و«سوفيا» أي الحكمة، فالفيلسوف هو محب الحكمة. أهم ما اشتهروا به من آراء: القول بقدم العامل، إنكار النبوات. إنكار حشر الأجساد. والفلاسفة -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - طوائف متفرقون لا يجمعهم قول ولا مذهب، بل هم مختلفون أكثر من اختلاف فرق اليهود والنصارى والمجوس.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٦٩)/ مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص١٥٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٤٥)، درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٩٩)، منهاج السنة (١/ ٣٥٧)، المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا (٢/ ١٦٠).

(٢) لأنهم يعتقدون أن الأنبياء إنما جاؤوا بعمليات بها قام قانون العدل، الذي لا تقوم مصلحة العالم إلا به، أما الأمور العلمية، فإن الفلاسفة يدعون بأن الأنبياء لم يذكروا حقائق الأمور في معرفة الله والمعاد، وإنما أخبروا الجمهور بما يتخيلونه في ذلك لينتفعوا به في إقامة مصلحة دنياهم، ولذلك فإن الفلاسفة يجوّزون للرجل أن يتمسك بأي ناموس - أي شريعة - كان، ولا يوجبون اتباع نبي بعينه - لا محمد ولا غيره - إلا من جهة ارتباط مصلحة دنياهم بذلك. كما أن النبي عندهم هو من جنس غيره من الأذكياء والزهاد، لكنه قد يكون أفضل، والنبوة عندهم جزء من الفلسفة.

انظر: الرد على المنطقيين (ص٤٤١-٤٤٢)، (ص٥١٣)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٤٢)، (٦/ ٢٤٢).

بقول الدهرية وأنه لا صانع للعالم(١)، حكاه النُّوبَخْتي وغيره عنهم.

وحكى يحيى بن بشر النهاوندي أن أرسطاطاليس(٢) وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك، وأن في كل كوكب عوالم كما في هذه الأرض وأنهارًا وأشجارًا(٣)، وأنكروا الصانع، وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم(٤)، ثم قال بقدم العالم(٥)، وأنه لم يزل موجودا مع الله تعالى ومعلولًا(٦) له ومساوقًا غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة، والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان(٧).

---

(١) انظر: الصدفية (١/ ٢٣٦-٢٣٧)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص٣٩)، وقد سماهم: «دهرية الفلاسفة».

(٢) أرسطاطاليس: يقال: أرسطو بن نيقوماخس، من الفلاسفة الأقدمين المعروفين بالمشائين، ويعرف بالمعلم الأول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (يسميه أتباعه من الصابئين الفلاسفة المبتدعين المعلم الأول؛ لأنه وضع التعاليم التي يتعلمونها من المنطق والطبيعة وما بعد الطبيعة). من كتبه: السياسة المدنية، السوفسطائية. مات سنة ٣٢٢ ق. م.
طبقات الأطباء (ص٨٦)، مجموع الفتاوى (٩/ ٢٦٥)، دائرة المعارف للبستاني (٣/ ٧٥).

(٣) لم أجد - بعد البحث - من ذكر هذا الرأي لأرسطاطاليس.

(٤) **العلة القديمة**: العلة هي ما يتوقف وجود الشيء عليه. والقديمة في اصطلاح الفلاسفة هي الأزلية الموجبة بنفسها.
انظر: تعريفات الجرجاني (ص١٦٧)، مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص١٥٦)، درء التعارض (٤/ ٥٣)، معجم المصطلحات العلمية العربية، د. الداية (ص١٥٧).

(٥) لأن العلة التي أثبتوها هي علة غائية، وليست علة فاعلية؛ وعليه فيكون حقيقة قولهم أن العالم واجب الوجود، ولهذا انتهوا إلى القول بقدم العالم، وهذا مذهب أرسطو ومتبعيه.
انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (ص٤٨)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٧٧)، لباب العقول للمكلاتي (ص٦١-٦٢)، الصفدية لابن تيمية (١/ ١٠)، درء التعارض (١/ ٣٩٧،١٢٦)، (٢/ ١٦٧)، (٣/ ٣٦٨)، (٨/ ١٠٧)، الرد على المنطقيين (ص٢٦٩)، (ص٤٦٠)، من أفلاطون إلى ابن سينا، د. جميل صليبا (ص٥٤-٥٥).

(٦) **معلولًا**: المعلول هو كل ذات وجوده بالفعل من وجود غيره، ووجود ذلك الغير ليس من وجوده. الحدود لابن سينا (ص٦٥)، معيار العلم للغزالي (ص٢٨٣)، وانظر: معجم المصطلحات، د. الداية (ص١٦٥).

(٧) مذهب الفلاسفة هذا ذكره بنصه الغزالي في «تهافت الفلاسفة» (ص٤٨).

فيقال لهم: لمَ أنكرتم أن يكون العالم حادثا بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه؟

فإن قالوا: فهذا يوجب أن يكون بين وجود الباري وبين المخلوقات زمان.

قلنا: الزمان مخلوق، وليس قبل الزمان زمان، ثم يقال لهم: هل كان الحق قادرا على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع؟

فإن قالوا: لا يمكن.

فهو تعجيز، ولأن ما لا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن، والواجب يستغني عن علة.

وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا: الله ﷻ صانع العالم، وهذا تَجَوُّزٌ عندهم لا حقيقة؛ لأن الفاعل مريد لما يفعله، وعندهم أن العالم ظهر ضروريًّا لا أن الله فعله، ومن مذاهبهم أن العالم باق أبدًا كما لا بداية لوجوده ولا نهاية[1]، قالوا: لأنه معلول علة قديمة، فكان المعلول مع العلة[2].

ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديمًا ولا معلولًا[3]، وقد قال جالينوس: لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في هذه المدة الطويلة[4]، فيقال له: قد يَفْسُد الشيء بغتة لا بالذبول، ثم من أين له أنها لا تذبل؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعون مرة أو نحو ذلك، فلو نقص منها مقدار جبال لم يبن ذلك

---

(١) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (ص٨١)، بغية المرتاد (ص٣٠٧)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر: تهافت الفلاسفة (ص٨١)، تهافت التهافت لابن رشد (١/ ٢١٤).

(٣) ولهذا كان قول ابن سينا بأن ممكن الوجود يوصف بالقدم من أشنع المقالات التي خالف بها سلفه من الفلاسفة، ولم يسبقه إليها أحد منهم. انظر: درء التعارض (٣/ ٢٤٧).

(٤) قول جالينوس انظره بلفظه في تهافت الفلاسفة للغزالي (ص٨٢)، تهافت التهافت لابن رشد (١/ ٢٥٥).

للحس، ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد، وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر، والقادر لا يتغير في نفسه، ولا تحدث له صفة، وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة[(١)].

فصل

وقد حكى أبو محمد الحسن بن موسى النُّوبَخْتي في كتاب (الآراء والديانات) أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعلة[(٢)]، والعنصر[(٣)]، والصورة[(٤)]. قال: والله ﷻ هو العقل، والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد،

---

(١) انظر هذا الرد في تهافت الفلاسفة للغزالي (ص٨٣-٨٤).
الواجب في صفات الأفعال التي تقوم بالله تعالى كالكلام والاستواء والنزول والخلق... تعليقها بمشيئة الله تعالى. فالله تعالى إذا شاء خلق، وإذا شاء لم يخلق، وإذا شاء أفنى، وإذا شاء لم يُفن. ولا يزال المولى جل وعلا ولم يزل مريدًا، فما أراده الله تعالى كان، وما لم يُرده لم يكن. أما كون المراد المفعول كائنًا بإرادة قديمة أو حادثة، فهذا مما تنازع الناس فيه. وخلاصته ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (بتقدير أن يكون الباري لم يزل مريدًا لأن يفعل شيئًا بعد شيء، يكون كل ما سواه حادثًا كائنًا بعد أن لم يكن، وتكون الإرادة قديمة، بمعنى أن نوعها قديم، وإن كان كل من المحدثات مرادًا بإرادة حادثة). درء تعارض العقل والنقل (٩/ ١٢٩).
انظر: درء التعارض (٩/ ١٨٥، ٢٣٨)، منهاج السنة (١/ ٢٩٩)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٣٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٤٤)، (٢/ ١٦٧-١٦٨)، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص٩١-٩٢)، أصول الدين للبغدادي (ص٧٢).

(٢) **علة فاعلة**: هي ما يكون به الشيء. وهي غير داخلة في ماهيته، فيكون مؤثرًا في المعلول موجدًا له، كالنجار للسرير.
انظر: معيار العلم للغزالي (ص٢٤٧)، تعريفات الجرجاني (ص١٦٨)، التوقيف للمناوي (ص٥٢٣).

(٣) **العنصر**: عرفه الكندي بأنه «طينة كل طينة»، وبهذا يكون هو المحل الذي باستحالته يقبل الصور. كما قال الغزالي.
رسائل الكندي الفلسفية (ص١٦٦)، معيار العلم للغزالي (ص٢٨٨)، وانظر: الحدود لابن سينا (ص٥٦).

(٤) **الصورة**: هي هيئة الشيء، وشكله الذي يتصور به، وبها يتم الجسم.
انظر: مفاتيح العلوم (ص٥٨)، معيار العلم (ص٢٨٦)، تعريفات الجرجاني (ص١٤٧)، الحدود لابن سينا (ص٥٤). وانظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٠٣).

والصورة جوهر[١] لا جسم.

وقال آخر منهم: الله هو العلة الفاعلة[٢]، والعنصر المنفعل، وقال آخر منهم: العقل رتب الأشياء هذا الترتيب[٣]، وقال آخر: بل الطبيعة[٤] فعلته[٥].

وحكى يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي[٦] أن قوما من الفلاسفة قالوا: لما شاهدنا العالم مجتمعا ومفرقا ومتحركا وساكنا علمنا أنه مُحْدَثٌ ولابد له من محدِث، ثم رأينا أن الإنسان يقع في الماء ولا يحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر ولا يغيثه، أو في النار، فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم.

قال: واختلف هؤلاء في عدم هذا الصانع على ثلاث فرق:

- **فرقة** زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه، فخشي أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد، فأهلك نفسه وخلا منه العالم، فبقيت الأحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق.

---

(١) **جوهر**: جوهر الشيء هو ماهيته التي ليست في موضوع أو محل. وهذا اصطلاح الفلاسفة، وهو مقابل للعرض.
انظر: معيار العلم (ص٢٩١)، تعريفات الجرجاني (ص٩٢)، التوقيف للمناوي (ص٢٥٨)، الحدود لابن سينا (ص٥٨).

(٢) انظر: الصفدية (١/ ٨).

(٣) انظر: بغية المرتاد (ص٢٤١، ٢٧٥).

(٤) **الطبيعة**: تطلق على الصورة النوعية للبسائط، وقد يقصد بها العنصر الذي هو المادة. انظر: معيار العلم (ص٢٨٩)، الكليات لأبي البقاء (ص٥٨٥)، الحدود لابن سينا (ص٥٨).

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٨٣، ٤٨٧)، الصفدية لابن تيمية (١/ ٩)، وانظر: مذهب الطبائعيين في هذا الكتاب (ص ١٦٨).

(٦) لم أجد - بعد البحث - من ذكر قول النهاوندي هذا.

○ **وقالت الفرقة الثانية**: بل ظهر في ذات الباري تولول، فلم يزل يجتذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور في ذلك التولول وهو العالم، وساء نور الباري وكان الباقي منه سِنَّوْر[١]. وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كما كان، وبضعفه عن مخلوقيه أهمل أمرهم فشاع الجور.

○ **وقالت الفرقة الثالثة**: بل الباري لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه؛ فكل قوة في العالم فهي من جوهريته.

قال المصنف: هذا الذي ذكره يحيى بن بشر نقلته من نسخته بالنظامية[٢]، وقد كُتِبَتْ منذ مائتين وعشرين سنة، ولولا أنه قد قيل ونقل، وفي ذكره بيان ما قد فعل إبليس في تلبيسه، لكان الأولى الإضراب عن ذكره؛ تعظيما لله ﷻ أن يذكر بمثل هذا، ولكن قد بينَّا وجه الفائدة في ذكره.

فصل

وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئًا، وإنما يعلم نفسه[٣]، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه، فقد زادوا مرتبة المخلوق على رتبة الخالق، وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه! فانظر إلى ما زينه إبليس لهؤلاء الحمقى مع

---

(١) **السنور**: الهر. والأنثى: سنورة. والجمع: سنانير. الإفصاح في فقه اللغة (ص٣٩٠).

(٢) **النظامية**: مدرسة ببغداد، بناها نظام الملك، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي سنة ٤٥٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٩٤)، تاريخ ابن خلدون (٥/ ١٣).

(٣) ذكر الغزالي في «تهافت الفلاسفة» (ص١٦٤): أن هذا الرأي محلّ اتفاق بين جميع الفلاسفة. وانظر: المحلل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٤٦، ٤٨١)، نهاية الإقدام له (ص٢١٥ وما بعدها)، لباب العقول للمكلاتي (ص٢٣٣-٢٣٤)، المعتبر لأبي البركات (٣/ ٦٩-٧٦)، المباحث المشرقية للرازي (٢/ ٤٩١ وما بعدها)، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة لابن البطليوسي (١٠٧-١١٧)، الصفدية لابن تيمية (١/ ٧)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص٧٣)، درء التعارض (٩/ ٣٨٩)، الوجود الإلهي لسانتلانا (ص٩٠).

ادعائهم كمال العقل!

وقد خالفهم أبو علي بن سينا[١] في هذا، فقال: بل يعلم نفسه، ويعلم الأشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات[٢]. وتلقت هذا المذهب منهم المعتزلة، وكأنهم استكثروا المعلومات!

فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينفي عن الله سبحانه الجهل والنقص، ونؤمن بقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[الملك: ١٤]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[الأنعام: ٥٩].

وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته[٣]؛ فرارًا من أن يثبتوا قديمين.

وجوابهم أن يقال: إنما هو قديم واحد موصوف بصفات[٤].

---

(١) قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (وابن سينا تكلم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم.. وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد، وأحسن ما يظهرون دين الرفض، وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض). مجموع الفتاوى(٩/ ١٣٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأرسطو ينكر علم الرب بشيء من الحوادث مطلقًا، ولكن ابن سينا وأمثاله زعموا أنه إنما يعلم الكليات، والجزئيات يعلمها على وجه كلي). درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٨٩).

وانظر: النجاة لابن سينا (ص٢٨٣-٢٨٦)، (ص٤٥٤)، الإشارات والتنبيهات له أيضًا (٣/ ٢٩٥-٢٩٩)، تهافت الفلاسفة للغزالي (ص١٦٤)، المعتبر لأبي البركات (٣/ ٨٢)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٤٦، ٥٢٤-٥٢٦)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص٧٣)، الرد على المنطقيين (ص٤٧٤)، من أفلاطون إلى ابن سينا: د. جميل صليبيا (ص٨٨-٨٩).

(٣) قال أبو الهذيل العلاف: إن علم الباري سبحانه هو هو. قال الأشعري: وهذا أخذه أبو الهذيل عن أرسطاطاليس. مقالات الإسلاميين (٢/ ١٧٨)، وانظر: (٢/ ١٧٨-١٨٠، ١٨٥-١٨٦)، درء التعارض (٩/ ٢٠٤).

(٤) لأن صفة الرب اللازمة له إذا كانت قديمة بِقدمه لم يلزم أن تكون إلهًا مثله، فليس يجب أن تكون صفة ←

فصل

وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد، وردَّ الأرواح إلى الأبدان، ووجود جنة ونار جسمانيين، وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس لتفهيم[1] الثواب والعقاب الروحانيين، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديًّا، إما في لذة لا توصف وهي الأنفس الكاملة، أو ألم لا يوصف وهو النفوس المتلوثة، وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس، وقد ينمحي عن بعضها الألم ويزول[2].

فيقال لهم: نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت، ولذلك سمي عودها إعادة، ولا أن لها نعيمًا وشقاء، ولكن ما المانع من حشر الأجساد؟ ولِمَ ننكر اللذات والآلام الجسمانية في الجنة والنار وقد جاء الشرع بذلك؟! فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين والشقاوتين: الروحانية، والجسمانية[3]، وأما إقامتكم الحقائق في مقام الأمثال فتَحَكُّمٌ بلا دليل.

فإن قالوا: فالأبدان تنحك[4] وتؤكل وتستحيل[1].

الإله إلهًا، ولا صفة الإنسان إنسانًا، ولا صفة النبي نبيًّا، ولا صفة الحيوان حيوانًا.. فالصفة لا تقوم بنفسها ولا تستقل بذاتها، ولكن المراد أنها قديمة واجبة بقدم الموصوف ووجوبه، إذا عُني بالواجب ما لا فاعل له، وعُني بالقديم ما لا أول له، وهذا حق لا محذور فيه. انتهى ملخصًا من منهاج السنة (٢/ ١٣٠-١٣١).

(١) في «أ»: (لنفيهم)، وفي «ت»: (ليفهم).

(٢) انظر هذا النقل في تهافت الفلاسفة للغزالي (ص٢٣٥)، وانظر مذهب الفلاسفة في البعث والجزاء: الأضحوية في أمر المعاد لابن سينا (ص١٠٢-١٠٣)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٦٠-٤٦١)، الصفدية لابن تيمية (١/ ٧، ٢٣٧)، بغية المرتاد لابن تيمية (ص٣١٦)، (ص٣١٨-٣٢٠)، الرد على المنطقيين (ص٤٤١-٤٤٢)، درء التعارض (٦/ ٢٤٢).

(٣) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (ص٢٣٥)، فيصل التفرقة له أيضًا (ص١٤١ وما بعدها)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٢٣)، الرد على المنطقيين (ص٤٥٨)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١١١).

(٤) كذا في الأصل، وفي «أ» و«ت»: (تنحل) ولعله الصواب.

قلنا: القدرة لا يقف بين يديها شيء، على أن الإنسان إنسان بنفسه، فلو صنع له بدن من تراب غير التراب الذي خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر وبالهزال والسمن.

فإن قالوا: لم يكن البدن بدنًا حتى يرقى من حالة إلى حالة، إلى أن صار لحما وعرقا.

قلنا: قدرة الله سبحانه لا تقف على المفهوم المشاهد، ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجساد تنبت في القبور قبل البعث(٢):

فأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا عمر بن محمد بن الزيات، قال: نا قاسم بن زكريا المطرز، قال: نا أبو كريب، قال: نا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**». قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال: «**ثم ينزل الله تعالى ماء من السماء؛ فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب**(٣)**، ومنه يُرَكَّبُ الخلق يوم القيامة**». أخرجه البخاري ومسلم(٤).

---

(١) انظر: تهافت الفلاسفة (ص٢٣٥)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٦٠-٤٦١).

(٢) وهو الحديث الآتي.

(٣) **عجب الذنب**: العظم الذي في أسفل الصُّلب عند العجز. النهاية لابن الأثير (عجب).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٥٥١ رقم ٤٨١٤)، و(٨/ ٦٨٩ رقم ٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٥ رقم ٤٢٦٦)، ورواه أبو داود (٥/ ١٠٨ رقم ٤٧٤٣)، والنسائي(٤/ ١١١، ١١٢)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٣٩).

فصل

وقد لبَّس إبليس على أقوام من أهل ملتنا[١]، فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنهم، فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة؛ لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما يُنقل من حكمة سقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس، وهؤلاء قد كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أمورًا خفية، إلا أنه لما تكلموا في الإلهيات خلطوا[٢]، ولذلك اختلفوا فيها، ولم يختلفوا في الحسابيات والهندسيات، وقد ذكرنا[٣] جنس تخليطهم في معتقداتهم.

وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك تلك العلوم إلا جملةً، والرجوع فيها إلى الشرائع[٤]، وقد حكي لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس[٥] وحِيَلًا، فصدقوا ما حكي لهم عنهم فرفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحظورات واستهانوا بحدود

---

(١) كان من أكابرهم في الملة – كما يقول ابن خلدون – أبو نـصر الفارابي، وأبو علي ابن سينا بالمشرق، والقاضي أبو الوليد بن رشد والوزير أبو بكر بن الصائغ بالأندلس... إلى آخرين. مقدمة ابن خلدون (٣/ ١١٢٤). وقد ذكرهم بتفصيل أكثر الشهرستاني في الملل والنحل (٢/ ٤٨٧-٤٩٠). وانظر: الرد على المنطقيين (ص١٤١ وما بعدها)، والصفدية (١/ ٢٣٧).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولا ريب أن كلام أرسطو في الإلهيات كلام قليل، وفيه خطأ كثير، بخلاف كلامه في الطبيعيات فإنه كثير، وصوابه فيه كثير). درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ١٤٣).

(٣) انظر: (ص١٧٤).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٧-٣٠) ففيه تفصيل لأنواع العلم والمعرفة، وما يستقل فيه العقل، وما لابد فيه من الشرع.

(٥) **نواميس**: هي عند الفلاسفة: السنن التي تضعها الحكماء للعامة؛ لوجه من المصلحة. وعند الفقهاء وغيرهم من الإسلاميين: هي الشرائع التي شرعها الله تعالى.
انظر: مفاتيح العلوم (ص١٦١)، التعريفات (ص٢٤٩)، التوقيف للمناوي (ص٦٨٩).

الشرع وخلعوا ربقة الإسلام[1]، فاليهود والنصارى أعذر منهم؛ لكون أولئك متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات، والمبتدعة في الدين أعذر[2] منهم؛ لأنهم يدعون النظر في الأدلة، وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء، أتراهم ما علموا أن الأنبياء حكماء وزيادة[3]!

وما قد حكي لهؤلاء عن الفلاسفة من جحد الصانع محال؛ فإن أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها، وشذَّ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت فهومهم بمرة.

وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير[4]، ولا

---

(١) كما هو حال القرامطة الباطنية الملاحدة، وغلاة المتصوفة الضُّلال كالسهروردي المقتول، وابن سبعين وابن عربي وغيرهم من الزنادقة. انظر: منهاج السنة (٨/ ٢٣) وما بعدها.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الفلسفة كلها لا يصير صاحبها في درجة اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل، فضلًا عن درجتهم قبل ذلك، فضلًا عن درجة المؤمنين أهل القرآن...).
الرد على المنطقيين (ص٥١٣)، وانظر: بغية المرتاد (ص٣٦٧-٣٦٨)، (ص٣٨٤)، درء التعارض (٩/ ٢١١)، منهاج السنة (١/ ٣٢١).

(٣) فالنبي عند أولئك المتفلسفة يُشبه المجتهد المتبوع عند المتكلمين، ولهذا يقول من يقرنهم بالأنبياء كأصحاب «رسائل إخوان الصفا» وأمثالهم: (اتفقت الأنبياء والحكماء)، أو يقول: (الأنبياء والفلاسفة). وادّعوا أن ما عندهم من الحكمة الخُلقية والمنزلية والمدنية تشبه ما جاء به النبي من الشريعة العملية، وهذا من أعظم البهتان! انتهى ملخصًا من الرد على المنطقيين (ص٤٤٤-٤٤٦)، وانظر: منهاج السنة (٨/ ٢٣-٢٥).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر حيرة الرازي، والجويني، وأبي الحسين البصري في مسألة الجوهر الفرد: (وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة بل وبالتصوف، الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارى. كما أنشد الشهرستاني في أول كتابه لما قال: «قد أشار إلي من إشارته غنم، وطاعته حتم، أن أجمع من مشكلات الأصول ما أشكل على ذوي العقول، ولعله استسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، لعمري:

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها ** وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائر ** على ذقن أو قارعًا سنَّ نادم»

درء التعارض (١/ ١٥٨-١٥٩)، نهاية الإقدام للشهرستاني (ص٣).

هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الإسلام، بل فيهم من يصوم ويصلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات، ويتكلم في إنكار بعث الأجساد، ولا يكاد يرى منهم أحد إلا وقد ضربه الفقر فأضرَّ به فهو عامة زمانه في تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر، حتى قال لي بعضهم(١): أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك! وكان يقول أشعارًا كثيرة(٢)، فمنها: قوله في صفة الدنيا(٣):

أَتَرَاهــا صَــنْعَةً مــن صــانعْ ** أَمْ تُرَاهــا رميــةً مــن غــير رامْ

ثم قال شيخ الإسلام: (وأنشد أبو عبد الله الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال ** وأكثر سعي العالمين ضلال

وقال: لقد تأملتُ الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.. ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي). درء التعارض (١/ ١٦٠).

وقال شيخ الإسلام: (وكان ابن أبي الحديد البغدادي من فضلاء الشيعة المعتزلة المتفلسفة، وله أشعار في هذا الباب، كقوله:

فيك يا أغلوطة الفكر ** حار أمري وانقضى عمري)

درء التعارض (١/ ١٦١)، فوات الوفيات (١/ ٢٥٩-٢٦٠).

ثم قال شيخ الإسلام: (وابن رشد الحفيد يقول في كتابه الذي صنفه ردًا على أبي حامد في كتابه المسمى «تهافت الفلاسفة» فسمّاه «تهافت التهافت»: ومن الذي قاله لا يعتد به.. وأبو الحسن الآمدي في عامة كتبه هو واقف في المسائل الكبار يزين حجج الطوائف، ويبقى حائرًا واقفًا. والخونجي المصنف في أسرار المنطق الذي سمّى كتابه «كشف الأسرار» يقول لما حضره الموت: أموت ولم أعرف شيئًا إلا أن الممكن يفتقر إلى الممتنع، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت ولم أعرف شيئًا. حكاه عنه التلمساني وذكر أنه سمعه منه وقت الموت... ولهذا تجد أبا حامد - مع فرط ذكائه - ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف). درء التعارض (١/ ١٦٢-١٦٥)، مع تعليقات المحقق د. رشاد سالم، وانظر: الرد على المنطقيين (ص١١٤)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص٧١).

(١) هو صدقة بن الحسين الحداد، كما ذكره المصنف في المنتظم (١٨/ ٣٤٣)، وقال عنه: (كان يخبط الاعتقاد، تارة يرمز إلى إنكار بعث الأجسام ويميل إلى مذهب الفلاسفة، وتارة يعترض على القضاء والقدر).

(٢) زاد في «ت» في هذا الموضع: (في هذا المعنى).

(٣) أورد له المصنف هذه الأبيات في المنتظم (١٨/ ٢٤٤).

ومنها:

وَا حيرتا من وجودٍ ما تقدمه ** منَّا اختيارٌ ولا علم فيقتبسُ
كنايةُ في عَناء ما يخلصنا ** منه ذكاء ولا لين ولا شَرَسُ
ونحن في ظلمات ما لها قمرٌ ** يُضِيءُ وَلَا شمسٌ ولا قبسُ
مُدَلَّهين حَيارَى قد تَكَنَّفَنا ** جهلٌ تجهَّمنا في وجهه عَبَسُ
فالفعلُ فيه بلا ريبٍ كلا عَمَلٍ ** والقولُ فيه كلامٌ كُلُّهُ هَوَسُ[(١)]

فصل

ولما كانت الفلاسفة قريبا من زمان شريعتنا والرهبنة[(٢)] كذلك، مدَّ بعض أهل[(٣)] ملتنا يده إلى التمسك بهذه، وبعضهم[(٤)] يده إلى التمسك بهذه، فترى كثيرًا من الحمقى إذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا، وإذا نظروا في باب التزهد ترهبنوا، فنسأل الله ثباتا على ملتنا، وسلامة من عدونا!

ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل[(٥)]

وهم قوم[(٦)] يقولون: إن لكل روحاني من الروحانيات العلوية هيكلًا، أعني:

---

(١) ذكر ابن الجوزي هذه الأبيات في المنتظم (١٨/ ٢٤٤)، ونسبها لصدقة بن الحسين الحداد.

(٢) **الرهبنة**: هي في دين النصارى: الرياضة والانقطاع عن الخلق؛ بقصد التعبّد بأسلوب الغلوّ.
انظر: مفردات القرآن (ص٣٦٧)، التعريفات للجرجاني (ص١٢١)، التوقيف للمناوي (ص٣٥٣)، الكليات لأبي البقاء (ص٤٧٨).

(٣) كأهل الكلام المذموم، الذي يسببه تسلط الفلاسفة الملحدون عليهم.

(٤) كما عليه أهل التصوف. انظر: الوجود الإلهي لسانتلانا (ص٧٠-٧١).

(٥) يُلاحظ هنا أن المصنف بوب لأصحاب الهياكل، بيد أنه في الباب ذكر أصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص، وعليه فلو أضافهم في الترجمة لكان أنسب، كما هو صنيع الشهرستاني في الملل والنحل (٢/ ٣٥٨).

(٦) هم أصحاب الهياكل المعظمون للكواكب والنجوم، تقربًا إلى الروحانيات، لاعتقادهم بأن الهياكل هي ☜

جرما من الأجرام السماوية هو هيكله، ونسبته إلى الروحاني المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا، فيكون هو مدبر هوالمتصرف فيه[(١)]، فمن جملة الهياكل العلوية: السيارات[(٢)] والثوابت[(٣)]، قالوا: ولا سبيل لها إلى الروحاني بعينه، فتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان[(٤)] وقال آخرون[(٥)]: لكل هيكل سماوي شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره، فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتًا.

أبدان الروحانيات، ثم يتقربون بهذه الروحانيات - في زعمهم - إلى الربّ تعالى، فاتخذوهم وسطاء، فهم من جملة فِرق الصابئة المشركين. ونُسبوا إلى الهياكل بناءً على اعتقادهم بأنه لابد للمتوسط أن يُرى فيتوجه إليه، ويُتقرب به، والروحانيات لا تُرى؛ ففزعوا إلى الهياكل التي هي الكواكب السبعة، وتقربوا إليها بكل أنواع العبادات والقربات.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٥٨-٣٥٩)، الفصل لابن حزم (١/ ٨٨)، مروج الذهب للمسعودي (١/ ٢٢٢)، الفهرست لابن النديم (ص٣٨٨)، إغاثة اللهفان (٢/ ٣٦٠-٣٦٢)، اعتقادات الرازي (ص١٤٣)، البدء والتاريخ للمقدسي (٤/ ٢٣)، رسالة في الرد على الرافضة للمقدسي (ص١٤٠).

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٥٩).

(٢) **السيارات**: هي الكواكب السيارة، وهي زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص٢٣٥).

(٣) **الثوابت**: هي سائر النجوم عدا السيارة، وسميت ثابتة: إما لثبات أوضاعها على نظام واحد، وإما لبطء سيرها نسبة إلى سير السبعة السيارة. انظر: مفاتيح العلوم (ص٢٣٥).

(٤) ولهذا سموا - كما أسلفت - أصحاب الهياكل. وانظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٥٩)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٦٠).

(٥) وهم أصحاب الأشخاص، الذين لما رأوا أن الكواكب لها طلوع وأفول، وظهور بالليل، وخفاء بالنهار، قالوا: فلابد لنا من صور وأشخاص موجودة منصوبة نصب أعيننا نعكف عليها، ونتوسل بها إلى الهياكل؛ فصوروا للكواكب صورًا وعملوا لها تماثيل وعكفوا عليها بالعبادة، تقربًا إلى الهياكل، فالروحانيات، فالرب - تعالى -. فأصحاب الهياكل عُبّاد كواكب، وأصحاب الأشخاص عُباد أوثان.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٦٠-٣٦١)، الفِصل لابن حزم (١/ ٨٨)، إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣١٩، ٣٦٠)، الفهرست لابن النديم (ص٣٩٠ وما بعدها)، اعتقادات الرازي (ص١٤٣)، رسالة في الرد على الرافضة (ص١٤٠).

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قومًا قالوا: الكواكب السبعة - وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر - هي المدبرات لهذا العالم[١]، وهن يصدرن عن أمر الملأ الأعلى، ونصبوا لها الأصنام على صورتها[٢]، وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان:

○ **فجعلوا لزحل صنمًا عظيمًا من الآنك أعمى**، يُقَرَّب إليه بثَوْر مسن يؤتى به إلى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة، فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشي على ذلك الدرابزين من الحديد، فتغوص يداه ورجلاه هنالك، ثم توقد تحته النار حتى يحترق، ويقول المقرِّبون له: مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذي لا يفعل خيرا، قربنا لك ما يشبهك؛ فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة!

○ **ويقربون للمشتري صبيًّا طفلًا**: وذلك أنهم يشترون جارية فتطأها السدنة للأصنام السبعة، فتحمل وتترك حتى تضع، ويأتون بها والصبي على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمِسَال[٣] والإبر، وهو يبكي على يد أمه، ويقولون له: أيها الرب الخير الذي لا يعرف الشر، قد قرَّبنا لك من لم يعرف الشر يجانسك في الطبيعة، فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة!

○ **ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش أبيض الرأس من الشقرة**: يأتون به فيدخلونه في حوض عظيم، ويشدون قيوده إلى أوتاد في قعر الحوض، ويملؤون الحوض زيتًا حتى يبقى الرجل فيه قائما إلى حلقه، ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية

(١) عزا الباقلاني في التمهيد (ص٦٦) هذا المذهب للمنجمين، وعزاه القزويني في مفيد العلوم (ص٩٢)، وابن الأنباري في الداعي إلى الإسلام (ص٢٥٢) إلى بطليموس الفيلسوف.

(٢) هذا مذهب أصحاب الأشخاص الذي تقدم الحديث عنه.

(٣) **المِسَال**: جمع مسلة، وهي الإبرة العظيمة أو مخيط ضخم. القاموس المحيط (سلل)، اللسان (سلل).

للعصب والمعفنة للحم، حتى إذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه، فملخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه، وأتوا به إلى صنمهم الذي هو على صورة المريخ، فقالوا: أيها الإله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا إليك ما يشبهك؛ لتقبل قرباننا وتكفينا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة!

ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام، ويكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر.

○ **ويقربون للشمس تلك المرأة التي قتلوا ولدها للمشتري**: ويطوفون بصورة الشمس ويقولون: مسبحة ومهللة أنت أيتها الآلهة النورانية، قربنا لك ما يشبهك، فتقبلي قرباننا وارزقينا من خيرك، وأعيذينا من شرك!

○ **ويقربون للزهرة عجوزا شمطاء ماجنة**: يقدمونها بين يديها وينادون حولها: أيتها الآلهة الماجنة، آتيناك قربانا ببياض كبياضك، ومجانة كمجانتك وظرف كظرفك؛ فتقبليها، ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق فيحثون رمادها في وجه الصنم.

○ **ويقربون لعطارد شابًا أسمر حاسبًا كاتبًا متأدبًا** يأتون به بحيلة، وكذا يفعلون بالكل يخدعونهم ويبنجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الألسنة، فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولون: أيها الرب الظريف،أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا؛ فتقبل منا، ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله، ويضرم في كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها، ويحثون رماده في وجهه.

○ **ويقربون للقمر رجلا آدم كبير الوجه**: ويقولون: يا بريد الآلهة وخفيف الأجرام العلوية.

ذكر تلبيس إبليس على عباد الأصنام

كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والإعراض عن مقتضى العقل، ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس خلقًا كثيرًا إلى عبادة الصور، وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بمرة:

○ **فمنهم**: من حسَّن له أنها الآلهة وحدها.

○ **ومنهم**: من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه إلى هذا؛ فزين له أن عبادة هذه تقرب على الخالق، فقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣].

ذكر بداية تلبيسه على عباد الأصنام

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، قال: أنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة، قال: أنبأنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري، قال: نا أبو علي الحسن بن عليل العنزي، قال: نا أبو الحسن علي بن الصباح بن الفرات، قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، قال: أخبرني أبي، قال: أول ما عُبِدت الأصنام أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند، ويقال للجبل (بوذ)، وهو أخصب جبل في الأرض[1].

قال هشام: فأخبرني أبي، عن أبي صالح عن ابن عباس قال: فكان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل: يا

---

(١) أخرجه هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الأصنام (ص ٥٠) عن أبيه بلفظه،وأخرج ابن سعد في طبقاته (١/ ٤٠)، ومن طريقه ابن جرير في تاريخه (١/ ١٢١-١٢٢).

قال ابن جرير بعد أن أورد جملة من جملة من الأخبار في موضع هبوط آدم من الأرض: وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك، غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند، فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل.

بني قابيل،إن لبني شيث دوارًا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء، فنحت لهم صنمًا، فكان أول من عملها[١].

قال هشام: وأخبرني أبي، قال: كان ود، وسواع، ويغوث، ويعوق ونسر[٢] قومًا صالحين، فماتوا في شهر، فجزع عليهم ذوو أقاربهم، فقال رجل من بني قابيل: يا قوم، هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا! قالوا: نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول، وعملت على عهد يزد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول[٣].

ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا: ما عظَّم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله؛ فعبدوهم.

وعظم أمرهم واشتد كفرهم، فبعث الله تعالى إليهم إدريس عليه السلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكانا عليًّا.

ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: حتى أَدْرَكَ نُوحٌ، فبعثه الله نبيًّا وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة، فدعاهم إلى الله عز وجل في نبوته عشرين ومائة سنة، فعصوه وكذبوه، فأمره الله أن يصنع الفلك، ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة، وغرق من غرق، ومكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين

(١) أخرجه ابن الجوزي في التبصرة (١/ ٣٥) بالإسناد السابق، وأخرجه هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الأصنام (ص ٥١)،وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٣٤-٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٦٦٧)، وانظر إن شئت: أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٦٢)، أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٣١)، سيرة ابن هشام (١/ ١٢٣)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٩٧-٢٩٨)، فتح الباري (٨/ ٦٦٨).

(٣) كتاب الأصنام للكلبي (ص٥١- ٥٢).

سنة، فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة، فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض، حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نضب الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها[(١)].

قال الكلبي: وكان عمرو بن لُحَي كاهنا - وكان يكنى أبا ثمامة - له رئي من الجن، فقال له: عجِّل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت ضفَّ جدة، تجد فيها أصنامًا معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب!

فأتى نهر جدة فاستثارها، ثم حملها حتى ورد بها تهامة، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، فأجابه عوف بن غذرة بن زيد اللات فدفع إليه ودًّا فحمله، فكان بوادي القرى بدومة الجندل، وسمى ابنه عبد ود، فهو أول من سمي به، وجعل عوف ابنه عامرًا سادنا له، فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام[(٢)].

قال الكلبي[(٣)]: فحدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودًّا، قال: وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول: اسقه إلهك. فأشربه، قال: ثم رأيت خالد بن الوليد بعدُ كسره فجعله جذاذًا، وكان رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه، فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر، فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره،

---

(١) أخرجه هشام الكلبي في كتاب الأصنام (ص٥٢-٥٣)، ومن طريقه ابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ٤٠-٤١)، وابن جرير في تاريخه (١/ ١٧٤) بنحوه.

(٢) كتاب الأصنام لهشام الكلبي: (ص ٥٤ – ٥٥)، وعنه نقله الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ١٦١)، وياقوت في معجم البلدان (٥/ ٤٢٣ تحقيق الجندي)، وابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٢٩٩)، وانظر: فتح الباري (٦/ ٥٤٩).

(٣) كتاب الأصنام (ص٥٥) وانظر هذا النصّ عند ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٤٢٣ تحقيق الجندي)، وابن القيّم في إغاثة اللهفان (٢/ ٢٩٩- ٣٠٠).

وقتل يومئذ رجلا من بني عبد ود يقال له قطن بن شريح، فأقبلت أمه وهو مقتول وهي تقول:

أَلَا تِلْكَ المودةُ لا تدومُ ** ولا يبقى على الدَّهر النعيمُ
ولا يبقى على الحَدَثانِ عُفْرٌ ** له أَمٌّ بشاهقةٍ رؤومُ

ثم قالت:

يَا جامعًا جامِعَ الأحشاءِ والكَبِدِ ** يَا ليتَ أُمَّك لم تُولَدْ ولم تَلِدِ

ثم أكبت عليه فشهقت فماتت[1].

قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كأني أنظر إليه. قال: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد ذبر - أي: نقش - عليه حلتان، متزر بحلة مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوسًا، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة فيها نبل[2]. يعني: جعبته[3].

قال[4]: وأجابت عمرو بن لُحَي مضر بن نزار؛ فدفع إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر سواعًا، فكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة، فعبده من يليه من مضر، فقال رجل من العرب:

---

(١) ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي (٣/ ٤١).

(٢) انظر: اللسان (وفض).

(٣) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص٥٦) وانظر النصّ في معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٤٢٣ تحقيق الجندي)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٠).

(٤) كتاب الأصنام (ص٥٧) وعن هشام الكلبي نقله ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٤٢٣ تحقيق الجندي)، وابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٠) وانظر: طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٦)، وسبل الهدى والرّشاد للصالحي الشامي (٦/ ٣٠٣). وفيها ذكروا أن الذي هدمها هو عمرو بن العاص ﷺ، وذلك سنة ٨ في شهر رمضان المبارك.

تَــرَاهُمْ حَــوْلَ قِبْلَــتِهِمْ عُكُوفًــا ** كَــمَا عَكَفَــتْ هُــذَيْلُ عــلى سُــواع
تَظَــلُّ جَنَابُـــهُ صَرْعـــى لَديـــهِ ** عتـــايرُ مِــنْ ذخـــائرِ كـــلِّ راع

فأجابته مذحج؛ فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها، وأجابته همدان؛ فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يعوق، وكان بقرية يقال لها حيوان(١)، تعبده همدان ومن والاها من اليمن(٢).

وأجابته حمير؛ فدفع إلى رجل من ذي رعين يقال له معدي كرب نسرا، فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بَلْخَع، تعبده حمير ومن والاها، فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس.

فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي ﷺ فأمرهم بهدمها(٣).

قال هشام، وحدثنا الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: **«رفعت لي النار فرأيت عمرو بن لُحَي قصيرًا أحمر أزرق يجر قصبه في النار، قلت: مَنْ هذا؟ قيل: هذا عمرو بن لُحَي أول من بحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وسيب السائبة، وحمى الحام، وغير دين إسماعيل، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان»**(٤).

---

(١) في «ت» وكتاب الأصنام للكلبي (ص ٥٧): (خيوان).

(٢) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص٥٧)، ونقل هذا النصّ عنه: ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٤٢٣ – ٥٠٢ تحقيق الجندي)، وابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٠). وانظر المحبّر لابن حبيب (ص١١٧).

(٣) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص٥٧ – ٥٨)، وعنه نقله ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٠). وانظر: المحبّر لابن حبيب (ص١١٧)، سيرة ابن هشام (١/ ١٢٥).

(٤) أخرجه هشام الكلبي في كتاب الأصنام (ص ٥٨) عن أبيه، وإسناده ضعيف جدا؛ فيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبوه، وهما متروكان.ورواه الطبراني في الكبير (١٠/ ٣٢٨ رقم ١٠٨٠٩)، قال الهيثمي في المجمع (١/ ١١٦): وفيه صالح مولى التوأمة وضعف بسبب اختلاطه، وابن أبي ذئب سمع منه قبل الاختلاط.
وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٦/ ٥٤٧ رقم ٣٥٢١) و(٨/ ٢٨٣ رقم ٤٦٢٣)، ومسلم (٤/ ٢١٩١-٢١٩٢ رقم ٢٨٥٦) وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٥-٣٦٦)،وحسن إسناده الألباني في صحيحته (٤/ ٢٤٣ رقم ١٦٧٧)وقال: إسناده لا باس به في الشواهد.

قال هشام[1]: وحدثنا أبي وغيره أن إسماعيل عليه السلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد فكثروا حتى ملؤوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش.

فكان الذي حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم؛ تعظيمًا للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة؛ تيمنًا منهم بها وصبابة بالحرم وحبًّا له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، يحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل.

ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها: من تعظيم البيت والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة والمزدلفة، وإهداء البدن، والإهلال بالحج والعمرة. وكانت نزار تقول إذا ما أهلت: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شرك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك)[2].

---

(١) كتاب الأصنام (ص٦)، ونقل هذا النصّ بتمامه ابن القيّم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٢ - ٣٠٣). وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٢٢)، أخبار مكّة للفاكهي (٥/ ١٥٤)، أخبار مكة للأزرقي (١/ ١١٦)، البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٧٤).

(٢) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص٦ - ٧)، وعنه نقلهُ ابن القيّم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٣). وانظر: المحبّر لمحمد بن حبيب (ص٣١١) سيرة ابن هشام (١/ ١٢٢)، الروض الأنف للسهيلي (١/ ١٠٢)، البداية والنهاية (١/ ١٧٤ - ١٧٥).

قال السهيلي: وكانت التلبية من عهد إبراهيم: (لبيك، لا شريك لك، لبيك)، حتى كان عمرو بن لُحَي، فبينما هو يلبي تمثّل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكًا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ قل: تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا. فقالها عمرو، فدانت بها العرب. ا.هـ.

وكان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو أبو خزاعة، وكانت أم عمرو بن لُحَي فهيرة بنت عامر بن الحارث، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لُحَي نازعه في الولاية وقاتل جرهم بني إسماعيل، فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت من بعدهم.

ثم إنه مرض مرضًا شديدًا فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حِمَّة إن أتيتها برئت. فأتاها فاستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة، واتخذت العرب الأصنام[(١)].

فكان أقدمها مناة وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقُدَيْد بين مكة والمدينة فكانت العرب جميعا تعظمه وكانت الأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له، ولم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس والخزرج[(٢)].

قال هشام: ونا رجل من قريش، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: كانت الأوس والخزرج ومَن يأخذ مأخذهم من عرب

---

(١) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص٨)، وعنه نقله ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٣ – ٣٠٤). وانظر: أخبار مكة للأزرقي (١/ ١١٦)، أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٥٤)، الأوائل للعسكري (ص٣٩)، محاسن الوسائل في معرفة الأوائل (ص١٦٣). وانظر أيضًا التعليق على الأثر (ص ١٩٠).

(٢) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص١٣)، وعنه نقله ابن القيّم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٤). وانظر في خبر مناة وما كان من عبادتها: سيرة ابن هشام (١/ ١٢٩)، أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٦٣)، أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٢٤)، فتح الباري (٣/ ٥٠٠).

أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك، وكانت مناة لهذيل وخزاعة، فبعث رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح.

ثم اتخذوا اللات، واللات بالطائف وهي أحدث من مناة، وكانت صخرة مربعة وكان سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات، اتخذها ظالم بن أسعد، وكانت بواد من نخلة الشامية فوق ذات عرق، وبنوا عليها بيتا، وكانوا يسمعون منه الصوت.

قال هشام: وحدثني أبي، عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سَمُرَات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله مكة بعث خالد بن الوليد فقال: «**ائت بطن نخلة، فإنك تجد ثلاث سُمَرَات: فاعضد الأولى**»، فأتاها فعضدها، فلما جاء إليه قال: «**هل رأيت شيئا**»؟ قال: لا، قال: «**فاعضد الثانية**»، فأتاها فعضدها، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «**هل رأيت شيئا**»؟ قال: لا، قال: «**فاعضد الثالثة**»، فأتاها فإذا بحبشية نافشة شعرها واضعة يدها على عاتقها تصرف بأنيابها، وخلفها دُبَيَّة السلمي وكان سادنها، فقال خالد:

كُفْرانَكِ لا سُبْحَانَكْ ** إِنِّي رَأيتُ اللهَ قَدْ أَهانَكْ[1]

(١) زاد في كتاب الأصنام – في بعض نسخه كما أشار المحقق – في أوّل البيت (يا عُزُّ).

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُمَمَة ثم عضد الشجرة وقتل دُبَيَّة السادن، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «**تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب**»(١).

قال هشام(٢): وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وأعظمها عندهم هبل، وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى،أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكان في جوف الكعبة، وكان قدامه سبعة أقداح، مكتوب في أحدها: صريح، والآخر: ملصق، فإذا شكوا في مولود أهدوا له هدية، ثم ضربوا بالقداح: فإن خرج صريح ألحقوه، وإن كان ملصقًا دفعوه.

وكانوا إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده، وهو الذي قال له أبو سفيان يوم أحد: اعل هبل! أي: علا دينك، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أعلى وأجل**»(٣).

وكان لهم إساف ونائلة.

---

(١) أخرجه هشام الكلبي في كتاب الأصنام (ص ٢٥-٢٦)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٧٩): أخرجه الطبراني عن أبي الطفيل، وفيه يحيى بن المنذر، وهو ضعيف.قلت: لم أقف عليه في المطبوع من معجم الطبراني الكبير، وتابعه أبو كريب محمد بن العلاء عند أبي يعلى في مسنده(٢/ ١٩٦-١٩٧ رقم ٩٠٢)، وقد صحح محقق مسند أبي يعلى سنده. وانظر في خبر سرية خالد بن الوليد إلى العزى المصادر التالية:مغازي الواقدي (٣/ ٨٧٣)، طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٥).

(٢) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص ٢٧ – ٢٨) وعنه نقله ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥/ ٤٤٩ – ٤٥٠)، وابن القيّم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٧) وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٢٢)، أخبار مكة للأزرقي (١/ ١١٧ – ١١٨).

(٣) (كتاب الأصنام ص٢٨). والحديث أخرجه البخاري (٦/ ١٦٢ رقم ٣٠٣٩)، و(٧/ ٣٤٩ رقم ٤٠٤٣)، وأحمد (٤/ ٢٩٣)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٧ – ٤٨)، والبغوي في شرح السنة (١١/ ٦٢ رقم ٢٧٠٥) من حديث البراء بن عازب مطولًا.

قال هشام: فحدث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أن إسافا ونائلة: رجل من جرهم يقال له: إساف بن يعلى، ونائلة بنت زيد من جرهم، وكان يتعشَّقُها في أرض اليمن، فأقبلوا حجاجًا، فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت، ففجر بها في البيت فمسخا، فأصبحوا فوجدوهما مسخين، فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما، فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب[١].

قال هشام: لما مسخا حجرين وضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عُبدا معها، وكان أحدهما بلصق الكعبة، والآخر في موضع زمزم، فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة إلى الآخر، فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما[٢].

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة[٣] بيضاء منقوشة، عليها كهيئة التاج، وكانت بتبالة بين مكة واليمن، على مسيرة سبع ليال من مكة، وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة[٤]، فقال رسول الله ﷺ لجرير: «**ألا تكفيني ذا الخلصة؟**» فوجهه إليه، فسار إليه بأحمس، فقاتلته خثعم وباهلة، فظفر بهم وهدم بنيان ذي الخلصة وأضرم فيه النار[٥]، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة[٦].

---

(١) أخرجه هشام الكلبي في كتاب الأصنام (ص ٩)، وذكر الواحدي في أسباب النزول (ص ٤٧) نحوه عن ابن عباس. وأخرج الأزرقي في أخبار مكة (١/ ١٢٠) نحوه مطولا من قول عمرة بنت عبد الرحمن. وأخرج الفاكهي بإسناد صحيح كما في فتح الباري (٣/ ٥٠٠) عن الشعبي.

(٢) كتاب الأصنام (ص٢٩) وانظر: أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٦٣) أخبار مكة للأزرقي: (١/ ١١٩ – ١٢٠)، فتح الباري (٣/ ٥٠٠).

(٣) المروة: حجارة بيض براقة، تكون فيها النار، وتقدح منها النار. اللسان والقاموس المحيط: (مرا).

(٤) كتاب الأصنام (ص٣٤ – ٣٥)، وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٢٦)، الروض الأنف (١/ ١٠٧).

(٥) أخرجه البخاري في مواضع، منها (٦/ ١٥٤ رقم ٣٠٢٠)، ومسلم (٤/ ١٩٢٥ رقم ٢٤٧٦)، وأبو داود (٣/ ٢١٥ رقم ٢٧٧٢)، وأحمد (٤/ ٣٦٠).

(٦) كتاب الأصنام (ص٣٦). وقال محمد بن حبيب في المحبر (ص٣١٧): وهو اليوم بيت قصَّار فيها أخبرت.

وكان لدوس صنم يقال له: ذو الكفين، فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو فحرقه[١]. وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الشرى[٢]، وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارق الشام يقال له الأقيصر[٣].

وكان لمزينة صنم يقال له نُهْم، وبه كانت تسمي: عبد نُهْم[٤]، وكان لعنزة صنم يقال له سُعَير[٥]، وكان لطيء صنم يقال له [الفَلْس][٦][٧]، وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به، وفيهم من اتخذ بيتًا، ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجرًا مما استحسن ثم طاف به وسموها الأنصاب[٨].

وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا، وجعل ثلاثا أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك.

ولما ظهر رسول الله على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن بسية قوسه[٩] في عيونها ووجوهها ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل إن**

---

(١) كتاب الأصنام (ص٣٧) وعنه نقله ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٨)، وانظر: سيرة ابن هشام: (١/ ١٢٦)، المحبّر لابن حبيب: (ص: ٣١٨)، الروض الأنف (١/ ١٠٤).
(٢) كتاب الأصنام (ص٣٧، ٣٨، ٣٩).
(٣) انظر المرجع السابق.
(٤) انظر المرجع السابق.
(٥) كتاب الأصنام لهشام الكلبي (ص٤١) وانظر: معجم البلدان (٣/ ٢٥١ تحقيق الجندي).
(٦) في جميع النسخ: (القلس)، وهو تصحيف، والتصويب من كتاب الأصنام.
(٧) كتاب الأصنام (ص٥٩)، وذكر هشام الكلبي (ص١٥) أن عليّ بن أبي طالب هو الذي هدمه، وانظر: المحبّر (ص٣١٦)، الروض الأنف (١/ ١٠٧)، معجم البلدان (٤/ ٣٠٩).
(٨) كتاب الأصنام (ص٣٣)، وعنه نقله ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٩) إلى قوله: «... إذا دخل منزله أن يتمسح به».
(٩) **سية القوس**: طرف قابها، وقيل: رأسها، وقيل: ما اعوج من رأسها. اللسان (سيا).

إن الباطل كان زهوقًا»، ثم أمر بها فكفئت على وجوهها، ثم أخرجت من المسجد فحرقت[١].

وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: في زمان يزد عبدت الأصنام ورجع من رجع عن الإسلام[٢].

أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أنا عمر بن عبيد الله، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: نا حنبل، قال: نا حسن بن الربيع، قال: حدثنا مهدي بن ميمون، قال: سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: لما بعث النبي ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب، لحقنا بالنار، قال: وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه نلقى ذاك ونأخذه، فإذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه، ثم طفنا به[٣].

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: نا أبو حامد بن جبلة، قال: نا أبو العباس السراج، قال: نا أحمد بن الحسن بن خراش، قال: نا مسلم بن إبراهيم، قال: نا عُمارة المعولي، قال: سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانًا ثم نلقيه[٤].

---

(١) كتاب الأصنام (ص٣١). والحديث أخرجه البخاري في مواضع: منها: (٨/ ١٥ رقم ٤٢٨٧)، ومسلم (٣/ ١٤٠٨ رقم ١٧٨١)، والترمذي (٥/ ٢٨٣ رقم ٣١٣٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٨٢ رقم ١١٢٩٧)، وأحمد (١/ ٣٧٧، ٣٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٠١). وليس عندهم ذكر إحراقها.

(٢) لم أقف عليه في كتاب الأصنام للكلبي، ومن طريقه أخرجه ابن سعد في طبقاته (١/ ٣٩)، وابن جرير الطبري في تاريخه (١/ ١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٩٠ رقم ٤٣٧٦-٤٣٧٧)،انفرد بإخراجه البخاري كما في تحفة الأشراف (٩/ ٢٠٧).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠٦).

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الوراق، قال: نا أحمد بن إبراهيم، قال: نا يوسف بن يعقوب النيسابوري، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا الحجاج بن أبي زينب، قال: سمعت أبا عثمان النهدي يقول: كنا في الجاهلية نعبد حجرا فسمعنا مناديا ينادي: يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا ربا، قال: فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب، إذا نحن بمناد ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه، قال: فجئنا فإذا حجر فنحرنا عليه الجُزُر[١].

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني الحجاج بن صفوان، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن [عبسة][٢] قال: كنت امرأ ممن يعبد الحجارة، فينزل الحي ليس معهم آلهة فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار: فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلها يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره[٣].

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الحسن العتيقي، قال: أخبرنا عثمان بن عمرو بن المنتاب، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفامي، قال: حدثني أبو الفضل محمد بن أبي هارون الوراق، قال: نا الحسن بن عبد العزيز الجروي، عن شيخ من ساكني مكة، قال: سئل سفيان بن

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٤)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٩٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٥٩ رقم ١٥٧٦١).

(٢) في الأصل: (عنبسة)، وفي «أ» (عتيبة)، وهو تحريف، والتصويب من كتب الرجال.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢١٧).

عيينة: كيف عبدت العربُ الحجارةَ والأصنامَ؟ فقال: أصلُ عبادتهم الحجارة أنهم قالوا: البيت حجر، فحيثما نصبنا حجرًا فهو بمنزلة البيت[1].

وقال أبو معشر: كان كثير من أهل الهند يعتقدون الربوبية، ويقرون بأن لله تعالى ملائكة، إلا أنهم يعتقدونه كأحسن الصور، وأن الملائكة أجسام حسان، وأنه وملائكته محتجبون بالسماء، فاتخذوا أصنامًا على صورة الله عندهم وعلى صورة الملائكة، فعبدوها وقربوا لها؛ لموضع المشابهة على زعمهم، وقيل لبعضهم: إن الكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق؛ فعظموها وقربوا لها، ثم عملوا الأصنام[2].

وبنى جماعة من القدماء بيوتًا كانت للأصنام[3]، فمنها:

- بيت على رأس جبل بأصبهان، كانت فيه أصنام أخرجها سبتاسب لما تمجّس وجعله بيت نار.
- والبيت الثاني والثالث في أرض الهند.
- والرابع بمدينة بلخ، بناه منوشهر، فلما ظهر الإسلام خربه أهل بلخ.
- والخامس بيت بصنعاء، بناه الضحاك على اسم الزهرة، فخربه عثمان بن عفان.
- والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة، فخربه المعتصم.

وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي: أن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهمن[4]، ووضع لهم أصناما، وجعل أعظم بيوتهم بيتًا بملتان، وهي مدينة من

---

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٠٠)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥٨).
(٢) انظر: (ص ٢٠٦).
(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨١) وقد سمي البيوت التي أبهمها ابن الجوزي هنا، ومروج الذهب للمسعودي (٢/ ٢٣٨-٢٤١)، والفهرست لابن النديم (٤٢١-٤٢٣).
(٤) انظر (ص ٢١١).

مدائن السند، وجعل فيه صنمهم الأعظم الذي هو لصورة الهيولى الأكبر[(١)]، وهذه المدينة فتحت في أيام الحجاج، وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم: إن تركتموه ولم تقلعوه جمعنا لكم ثلث ما يجتمع له ما مال، فأمر عبد الملك بن مروان بتركه، فالهند تحج إليه من ألفي فرسخ، ولابد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا، ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه، فيلقيه في صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم، فإذا ذهبوا قسم ذلك المال: فثلثه للمسلمين، وثلثه لعمارة المدينة وحصونها، وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه[(٢)].

قال المصنف: قلت: انظر كيف تلاعب الشيطان بهم، وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه، وما أحسن ما عاب الحق ﷻ أصنامهم فقال: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، فكانت الإشارة إلى العباد، أي أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون، والأصنام عاجزة عن ذلك وهي جماد وهم حيوان، فكيف عبد التام الناقص؟!

قال المصنف: ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع ولا يصنع، ويجمع وليس بمجموع، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها[(٣)]، وإنما ينبغي للإنسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه، وما خيل إليهم من أن الأصنام تشفع فخيال، ليس فيه شبهة يتعلق بها[(٤)].

---

(١) **الهيولى الأكبر**: هو هنا يعني: الفلك الأعلى وما يحويه من الأفلاك والكواكب، ويعبر عنه بطينة العالم. انظر: مفاتيح العلوم (ص١٥٨)، التعريفات للجرجاني (ص٢٥٩)، التوقيف للمناوي (ص٧٤٥)، الكليات لأبي البقاء (ص٩٦٥).

(٢) لم أجد هذه القصة في شيء من كتب التواريخ وفتوح البلدان - سوى نقل ابن القيم لها في إغاثة اللهفان (٢/ ٣١٥-٣١٦) عن النهاوندي هذا - بالرغم من ذكرهم لفتح بلاد السند أيام الحجاج، وهي غريبة جدًا، وأنكر ما فيها أمر خليفة المسلمين آنذاك - وهو عبد الملك بن مروان - بترك ذلك الصنم؛ لأنه عمل مخالف للهدف الأساسي من الفتوحات، وهو إقامة التوحيد ونشره، وهدم مظاهر الشرك والكفر وعلى رأسها الأصنام التي تعبد من دون الله، فضلًا عن أخذ الأموال التي تجبى لتلك الأصنام والرضى بها.

(٣) زاد في «ت» في هذا الموضع: (فنسأل الله العافية ودوامها مما ابتلى هؤلاء).

(٤) سماهم الشهرستاني في الملل (٢/ ٦١٣): «الأكنواطرية» أي: عباد النار.

ذكر تلبيس إبليس على عابدي النار

قد لبس إبليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقال: هي الجوهر الذي لا يستغني العالم عنه[١]، ومن هاهنا زيّن عبادة الشمس[٢].

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبري[٣]: أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس، فقال له: إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها، فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها.

قال الجاحظ: وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس، فادعى أن الوحي نزل عليه على جبل سيلان، فدعا أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد بتضاعف البرد، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى أهل الجبال فقط[٤]، وشرع لأصحابه التوضؤ بالأبوال، وغشيان الأمهات، وتعظيم النيران[٥]، مع أمور سمجة[٦]، قال: ومن قول زرادشت: كان الله وحده، فلما طالت وحدته فكر فتولد

---

(١) سماهم الشهرستاني في الملل (٢/ ٦١٣): «الأكنواطرية» أي: عباد النار.

(٢) وهؤلاء يمثلون ملة هندية تُسمى: «الدينيكيتية» أي: عباد الشمس، وقد اتخذوا للشمس صنمًا بيده جوهر على لون النار، وله بيت خاص قد بنوه باسمه.
انظر: الفهرست لابن النديم (ص٤٢٤)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٦٠٩-٦١٠).

(٣) تاريخ الأمم والملوك (١/ ١٦٥). ولم يُسند الطبري هذا القول إلى أحد؟! وهو مخالف لما رُوي عن ابن عباس أنه قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٧٥)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٤١ رقم ٢١٩٠)، والحاكم (٢/ ٤٤٢). قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٣٢١-٣٢٢) وقال: رواه البزار، وفيه عبد الصمد بن النعمان وثّقه ابن معين، وقال غيره: ليس بالقوي.

(٤) كتاب الحيوان للجاحظ (٥/ ٦٧).

(٥) انظر: مبحث «المجوس» (ص ٢٣٦).

(٦) المصدر نفسه (٥/ ٣٢٤ – ٣٢٥).

من فكره إبليس، فلما مثل بين يديه أراد قتله فامتنع منه، فلما رأى امتناعه وادعه إلى مدة.

قال المصنف: وقد بنى عابدو النار لها بيوتا كثيرة، وأول من رُسم لها بيتا أفريدون، فاتخذ لها بيتا بطوس وآخر ببخارى، واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان، واتخذ لها بيتا أبو قباذ[١] بناحية بخارى، وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها[٢]، وكان زرادشت قد وضع نارا زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم، وذلك أنه بنى بيتا وجعل في وسطه مرآة، ولف القربان في حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس في كبد السماء قابلت كوة قد جعلها في ذلك البيت، فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة، فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار، فقال: لا تطفئوا هذه النار.

فصل

وقد لبس إبليس لأقوام عبادة القمر[٣] ولآخرين عبادة النجوم[٤]، قال ابن قتيبة: كان قوم في الجاهلية عبدوا الشعرى العبور[٥] وفُتِنوا بها، وكان أبو كبشة[٦]

---

(١) النص عند الشهرستاني (١/ ٣٠٠) هكذا: ولهم بيت نار آخر في نواحي بخارى يدعى قباذان وفي المعارف بقباذ والظاهر أنه موضع.

(٢) في شأن هذه البيوت انظر: مروج الذهب للمسعودي (٢/ ٢٥٢ - ٢٥٩)، والفهرست لابن النديم (ص ٤٢١ - ٤٢٣)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨١).

(٣) وهم ملة «الجندريهكنية» أي: عبّاد القمر. ولهم تعبّدات للقمر الذي اتخذوا له صنمًا: من السجود، والطواف، والصيام، وغير ذلك.

انظر: الفهرست لابن النديم (ص٤٢٤)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٦١٠).

(٤) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨٦).

(٥) **الشعرى العبور**: كوكب نيّر يقال له: المِرزم، يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر. اللسان (شعر).

(٦) قال ابن حبيب في المحبر (ص١٢٩): كانت قريش تنسب النبي ﷺ إلى ابن أبي كبشة، فيقولون: (قال ابن أبي كبشة)، و(فعل ابن أبي كبشة).. وذكر ثلاثة من أجداد النبي ﷺ ممن يكنى أبا كبشة، ثم قال: وكان الحارث وهو غبشان بن عمرو بن بؤي بن ملكان يكنى أبا كبشة، وكان يعبد الشعرى.

الذي كان المشركون ينسبون إليه رسول الله أول من عبدها، وقال: قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا نجم غيرها فعبدها، وخالف قريشا، فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا: هذا ابن أبي كبشة أي شبهه ومثله في الخلاف، كما قال بنو إسرائيل لمريم: يا أخت هارون أي يا شبه هارون في الصلاح، وهما شعرتان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هي الغميصاء[١]، وهي تقابلها وبينهما المجرة[٢]، والغميصاء من الذراع المبسوطة في نجم الأسد[٣] وتلك في الجوزاء[٤].

وزين إبليس لآخرين عبادة الملائكة قالوا: هي بنات الله، تعالى عن ذلك، وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر، وكان السامري من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا، وجاء في التفسير أن فرعون كان يعبد تيسا[٥]، وليس في هؤلاء من أعمل فكره ولا من استعمل عقله في تدبير ما يفعل.

ذكر تلبيسه على الجاهلية

قال المصنف: قد ذكرنا كيف لبس عليهم في عبادة الأصنام[٦]، ومن أقبح تلبيسه تلبيسه عليهم في ذلك تقليد الآباء من غير نظر في دليل كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ

---

(١) **الغميصاء**: من منازل القمر، وهي الشعرى الثانية أخت الشعرى العبور. اللسان (غمص).

(٢) **المجرة**: هي المجموعة الكبرى للنجوم والسدم بين الأرض والمجرات الخارجية. الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٦٤٨).

(٣) **نجم جبهة الأسد**: أربعة أنجم ينزلها القمر. المعجم الوسيط (ص١٠٦).

(٤) كتاب الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة (ص٤٦).

(٥) قال المصنّف في تفسيره (٣/ ٢٤٤) عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]: قال (قال الحسن: كان – أي: فرعون – يعبد تيسًا في السّر). وذكر الإمام الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٨ – ٣٩) عن الحسن وغيره، أن فرعون كان يعبد البقر. وعزا السمعاني في تفسيره (٢/ ٢٠٦) هذا القول إلى سليمان التيمي.

(٦) انظر: (ص٢٠٧) من هذا البحث.

اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، المعنى: أتتبعونهم أيضا!

وقد لبس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث[١]، وهؤلاء الذي قال الله فيهم: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[الجاثية: ٢٤]، وعلى آخرين منهم فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث[٢]، وعلى آخرين منهم فزعموا أن الملائكة بنات الله[٣]، وأمال آخرين منهم منهم إلى مذهب اليهود[٤]، وآخرين إلى مذهب المجوس[٥]، وكان هذا في بني تميم، تميم، منهم زُرَارَة بن [عدس][٦] التميمي وابنه حاجب.

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبد المطلب بن هاشم، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وعامر بن الظرب، وكان عبد المطلب قد رأى ظالما لم تصبه عقوبة فقال: تالله إن وراء هذه الدار لدارًا يجزي فيها المحسن والمسيء، ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل:

تؤخر فتوضع في كتاب فيدخر ** ليوم الحساب أو تعجل فتنقم[٧]

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨٢)، وقد أدرجهم تحت «معطلة العرب».

(٢) انظر: مروج الذهب للمسعودي (٢/ ١٢٦)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨٣).

(٣) انظر: مروج الذهب للمسعودي (٢/ ١٢٦)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨٦).

(٤) قال ابن قُتيبة: (كانت اليهودية في «حمير»، و«بني كنانة» و«بني الحارث بن كعب»، و«كندة». المعارف (ص٦٢١). وانظر: مروج الذهب للمسعودي (٢/ ١٢٦)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨٦)، بلوغ الأرب للألوسي (١/ ٣٤٤).

(٥) انظر: المعارف لابن قتيبة (ص٦٢١)، بلوغ الأرب للألوسي (١/ ٣٤٤).

(٦) في الأصل و«أ»: (حدس) بالحاء المهملة، وهو تحريف، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٧) البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى. انظر ديوانه (ص١٠٥).

ثم أسلم[١].

ومنهم زيد الفوارس بن حصن[٢]، ومنهم القلمس بن أمية الكناني كان يخطب بفناء الكعبة، وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يخطبها ويوصيها، فقال يوما: يا معشر العرب أطيعوني ترشدوا! قالوا: وما ذاك؟ قال إنكم تفردتم بآلهة شتى، إني لأعلم ما الله بكل هذا راض، وأن الله رب هذه الآلهة، وأنه ليحب أن يُعبَد وحده، فتفرقت عنه العرب ذلك العام ولم يسمعوا مواعظه، وكان فيهم قوم يقولون: من مات فربطت على قبره راحلة وتركت حتى تموت حشر عليها، ومن لم يُفْعَل به ذلك حشر ماشيًا[٣]، وممن قاله عمر بن زيد الكلبي.

وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك، وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس وزيد.

وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة، **فمنها**: النسيء، وهو تحريم الشهر الحلال وتحليل الشهر الحرام، وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم عليه السلام بتحريم الأشهر الأربعة، فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخّروا تحريمه إلى صفر، ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تدافع السنة، وكانوا إذا حجوا قالوا:

---

(١) المشهور عن زهير بن أبي سُلمى أنه شاعر جاهلي، ولم يذكر من ترجم له أنه أسلم، بل ذكر الحافظ في الإصابة (٨/ ٢٩٢) عن أبي أحمد العسكري أنه قال: كان موت زهير قبل المبعث. ولعلّ المصنّف رحمه الله تجوّز في إطلاق الإسلام على زهير؛ لما عُرف عنه من إقرار بالله وباليوم الآخر.

(٢) كذا بجميع النسخ، وفي خزانة الأدب: (حصين).

(٣) ذكر ذلك ابن حبيب في المحبر (ص٣٢٣ - ٣٢٤) في السنن التي كانت الجاهلية سنتها، فقال: وكان الرجل إذا مات عمدوا إلى راحلته التي ركبها، فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يدها.. فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، ليركبها إذا خرج من قبره. وكانوا يقولون: إن لم يفعل هذا حشر يوم القيامة على رجله.

لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك[(١)].

ومنها: توريث الذكر دون الأنثى، **ومنها**: أن أحدهم كان إذا مات وَرِثَ نكاح زوجته أقربُ الناس منه.

ومنها: البَحِيرة، وهي الناقة تلد خمسة أبطن، فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء.والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها فلا يركبون لها ظهرا ولا يحلبون لها لبنا. والوصيلة: الشاة تلد سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلا تذبح، وتكون منافعها للرجال دون النساء، فإن ماتت اشترك فيها الرجال والنساء.والحام: الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن، فيقولون قد حمي ظهره، فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه، ثم يقولون: إن الله أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[المائدة: ١٠٣].

ثم إن الله ﷻ رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه بقولهم: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[الأنعام: ١٣٩]، فقال: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[الأنعام: ١٤٣].

المعنى: إن كان حرم الذكرين فكل الذكور حرام، وإن كان حرم الأنثيين فكل الإناث حرام، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والإناث فيكون كل جنين حراما، وزين لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه.

---

(١) أخرج البزار في مسنده كما في كشف الأستار للهيثمي (٢/ ١٥ رقم ١٠٩٥)، عن أنس قال: كان الناس بعد إسماعيل على الإسلام، فكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام، حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك. قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٢٣): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال السيوطي في مسالك الحنفا في والدي المصطفى (ص٤٢): سنده صحيح. وانظر هامش (ص ١٩٥).

ومن جملة ما لبس عليهم إبليس أنهم قالوا: لو شاء الله ما أشركنا. أي: لو لم يرض شركنا حال بيننا وبينه، فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته، فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر(١)، ومذاهبهم السخيفة التي ابتدعوها كثيرة لا يصلح تضييع الزمان بذكرها، ولا هي مما يحتاج إلى تكلف ردها!

ذكر تلبيس إبليس على جاحدي النبوات

قال المصنف: قد لبس إبليس على البراهمة(٢) والهند وغيرهم، فزين لهم جحد النبوات(٣)؛ ليسد طريق ما يصل من الإله!

---

(١) هذه هي مسألة الاحتجاج بالقدر التي سوّلها إبليس لذوي النفوس المريضة، الذين انحرفوا عن منهج الله، وقصّروا في حق الله تعالى عليهم، فظنوا أن في القدر مجالًا للاحتجاج به على كفرهم وفسادهم وتقصيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ليس لأحدٍ أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولًا لأمكن كل أحدٍ أن يفعل ما يخطر له، من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر. ونفس المحتج بالقدر إذا اعتُدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده. فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في [بدائه] العقول).مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩)، وفيه:«بداية». ولعل الصواب ما أثبت. وانظر: القضاء والقدر، للدكتور المحمود (٢٧١-٢٩٠).

(٢) اختلف بعض كُتاب المقالات في نسبة البراهمة: فبعضهم نسبهم إلى «برهمي»، أو «برهمن» أو «براهم» على أساس أنه ملك من كبار ملوكهم، أو أنه رجل منهم، وزعم بعضهم أنه آدم عليه السلام وأنه رسول الله إلى الهند.وبعضهم قال بأنهم ينتسبون لإله اسمه: «براهما»، وقد خطّأ الشهرستاني من يظن أن نسبتهم إنما هي لإبراهيم النبي عليه السلام. و«براهما» عند بعض المعاصرين - أمثال د. شلبي- هو القوة العظيمة السحرية الكامنة، التي تطلب كثيرًا من العبادات، و«البراهمة» هو علم على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي.

انظر: الفصل لابن حزم (١/ ١٣٧)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٦٠٢)، مروج الذهب للمسعودي (١/ ٧٦، ٧٨، ٧٩)، إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣١٥)، التمهيد لقواعد التوحيد للامشي (ص٤٥)، مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي (٤/ ٤٣)، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. حماية (٢٢٥).

(٣) إنكار النبوات مما اشتهر به مذهب البراهمة - خاصة -، وهذا مما تكاد تجمع عليه المصادر، ولهم في ذلك

وقد اختلف الهند:

- فمنهم دهرية[(١)].
- ومنهم ثنوية[(٢)].
- ومنهم على مذهب البراهمة[(٣)].
- ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط[(٤)].

وقد حكى أبو محمد النُّوبَخْتي في كتاب (الآراء والديانات) أن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار، وزعموا أن رسولهم ملَكٌ أتاهم في صورة البشر من غير كتاب، له أربعة أيدٍ واثنا عشر رأسا، من ذلك: رأس إنسان، ورأس أسد، ورأس فرس، ورأس فيل، ورأس خنزير، وغير ذلك من رؤوس الحيوان، وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار، ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر، وأباح لهم الزنا، وأمرهم أن يعبدوا البقر[(٥)]، ومن

شبهات دعتهم إلى إنكار النبوات، سيأتي ذكر المصنف لها. انظر: الفصل لابن حزم (١/ ١٣٧)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٦٠٢)، نهاية الإقدام له أيضًا (ص٤١٧)، المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (ص١٥٣، ٢٦٧)، التمهيد للباقلاني (ص١٢٦)، أصول الدين للبغدادي (ص١٥٤، ٣٢٣)، غاية المرام في علم الكلام للآمدي (٣١٨)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ٦٤).

(١) لما يُحكى عنهم من إنكار ما سوى هذا الموجود المحسوس في الدنيا، حتى أنكروا الملائكة والجن، بل وجحدوا رب العالمين سبحانه، فهؤلاء هم الكفار الدهرية المعطلة المحضة. درء التعارض (٥/ ١٣١) بتصرف.

(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل (٢/ ٦٠١): (والقوم الذين اعتقدوا نبوة إبراهيم عليه السلام من أهل الهند، فهم الثنوية، منهم القائلون بالنور والظلمة على رأي أصحاب الاثنين).

(٣) أي: إنكار النبوات.

(٤) انظر: التمهيد للباقلاني (ص١٢٧) (ص١٥٥)، المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (ص١٥٣)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٦٠١)، وقد ذكر من أثبت نبوة إبراهيم فقط. غاية المراد للآمدي (ص٣١٨) (ص٣٣٩)، مفيد العلوم للقزويني (ص ٩٦- ٩٧).

(٥) انظر نحو هذا النقل في البدء والتاريخ للمطهر المقدسي (٤/ ١٢-١٣)، وقد ذكر اسم رسولهم المزعوم بأنه «ناشد»، وسمى هذه الفرقة من البراهمة «الناشدية».

ارتدّ منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه، ثم يذهب فيسجد للبقر، في هَذَيَانَاتٍ يضيع الزمان بذكرها!

وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات:

الشبهة الأولى[(١)]: استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفي عن بعض، فقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[المؤمنون: ٣٣]، والمعنى: فكيف اطلع على ما خفي عنكم؟!

وجواب هذه الشبهة: أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص يخص بخصائص يعلو بها جنسه، فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحي، إذ ليس كل أحد يصلح لذلك، وقد علم الكل أن الله سبحانه ركَّب الأمزجة متفاوتةً وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدني، فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء هاهنا وللبقاء في الدار الآخرة، لم يبعد أن يخص أشخاصا من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحا لمن يفسد في العالم بسوء الأخلاق والأفعال، ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يُخَص أقوام بالحكمة؛ ليُسكِّنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة، فكيف ينكرون إمداد الباري سبحانه بعض الناس برسائل وقضايا يصلح بها العالم، ويطب أخلاقهم، ويقيم بها سياستهم! وقد أشار ﷻ إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾[يونس: ٢].

الشبهة الثانية[(٢)]: قالوا: هلا أرسل ملكا! فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك

---

(١) انظر هذه الشبهة في التمهيد للباقلاني (ص١٢٧)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٦٠٢)، ونهاية الإقدام له أيضًا (ص٣٧٧)، وغاية المرام للآمدي (ص٣٢٠).

(٢) مصداق هذه الشبهة التي تمسك بها الجاحدون قوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]. كما قد ردّ على شبهتهم هذه ☜

فيهم أبعد، والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع ذلك شكًا.

وجواب هذا من ثلاثة أوجه:

○ **أحدها**: أن في قوى الملائكة قلب الجبال والصخور، فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم؛ لأن المعجزة ما خرقت العادات، وهذه عادة الملائكة، وإنما المعجزة الظاهرة على يدي بشر ضعيف تكون دليلًا.

○ **والثاني**: أن الجنس إلى الجنس أميل، فصلح أن يرسل إليهم من جنسهم؛ لئلا ينفروا، وليعقلوا عنه، ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه.

○ **والثالث**: أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك، وإنما الله تعالى يقوي الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[الأنعام: ٩]، أي: لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه، ثم قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام: ٩]، أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا، فلا يدرون أملك هو أم آدمي!

الشبهة الثالثة[1]: قالوا: نرى ما يدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة، فلم يبق لنا دليل نفرق بين الصحيح والفاسد.

بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]. انظر الوجه الثاني من جواب المصنّف رحمه الله عن هذه الشُّبهة.

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص١٢٢)، غاية المرام للآمدي (ص٣٢٢)، محصل الأفكار للرازي (ص٢٠٢)، التمهيد لقواعد التوحيد للامشي (ص٨٨، ٨٩)، شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٩، ١٤ – ١٥).

والجواب أن نقول: إن الله تعالى بيَّن الحجج ثم بثَّ الشُّبَه وكلف العقول الفرق، فلا يقدر ساحر أن يحيي ميتا، ولا أن يخرج من عصا حية، وأما الكاهن فقد يصيب وقد يخطئ بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه(١).

الشبهة الرابعة(٢): قالوا: لا يخلوا أن تجيء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاؤوا بما يخالفه لم يقبل، وإن جاؤوا بما يوافقه فالعقل يغني.

---

(١) بين معجزات الأنبياء وخوارق الكهّان والسَّحرة من الفروق الجوهرية ومن التباين، ما بين الحق والباطل، والنور والظلمة؛ مما يجعلها لا تلتبس على سويٍّ.
ومن أهم الفروق التي ذكرها العلماء:
١- أن ما يُخبر به الأنبياء صدق لا كذب فيه، وما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهّان لابد فيه من الكذب.
٢- أن الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل، ولا يفعلون إلا العدل، ويؤيدهم الملائكة، أما مخالفوهم فإنهم يأمرون بالظلم والإثم والعدوان، وتؤيدهم الشياطين.
٣- أن السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، وليست خارقة لعادتهم، أما آيات الأنبياء فهي خارقة لعادات الإنس والجن جميعًا.
٤- أن ما يأتي به السحرة والكهان لا يخرج عن كونه مقدورًا للإنس والجن، أما آيات الأنبياء فلا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن.
٥- أن ما يأتي به السَّحرة والكُهان وكل مخالف للرسل تمكن معارضته بمثله وأقوى منه لمن عرف مثل هذه الأبواب، وأما آيات الأنبياء فلا يمكن لأحد أن يعارضها، لا بمثلها ولا بأقوى منها.
٦- أن خوارق السَّحرة والكُهان تنال بالتعلم والسَّعي، أما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك بتة، بل الله تبارك وتعالى يفعلها آيةً لهم وعلامة.
والحاصل: أن الأنبياء والسَّحرة والكُهان جنسان متعاديان ومتباينان كتعادي الملائكة والشياطين وتباينهم.. فالتسوية بينهم من أعظم الفِرى وأشدها!
انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢١٤ - ٢١٦) ودلائل النبوة لقوام السنة (١/ ١٠٦ - ١٠٩) بتحقيق مساعد الحميد.

(٢) هذه أهم شبهة عند عامة من ينكرون النبوات براهمة وغيرهم. انظر: التمهيد للباقلاني (ص١٤٤ - ١٤٥)، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص١٢٢)، الأربعون للرازي (ص٢/ ٧٥)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٦٠٢)، ونهاية الإقدام له (ص٣٧٨)، غاية المرام للآمدي (ص٣٢٠)، الصحائف الإلهية للسمرقندي (٤١٩ - ٤٢٠).

والجواب أن نقول: قد ثبت أن كثيرًا من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجوا[١] إلى متمم كالحكماء والسلاطين، فكيف بأمور الإلهية والآخرة[٢]!

الشبهة الخامسة[٣]: قالوا: قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل، وكيف يجوز أن تكون صحيحة؟! من ذلك إيلام الحيوان.

والجواب: أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض.

وبيان ذلك: أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه، وأنه لا خلل فيها ولا نقص، فأوجبت عليه هذه المعرفة بالتسليم[٤] لما خفي عنه، ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن يحكم على الأصل بالبطلان.

ثم قد ظهرت حكمة ذلك؛ فإنا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد، ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق؛ بما أوتي من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية، وحاجة هذا الناطق إلى بقائه مهمة ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شيء، فلا يستطرف تناول القوي الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته، وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم، فلو لم يذبح كثر وضاق به المرعى، ومات فتأذى الحيوان الكريم بجيفته، فلم يكن لإيجاده فائدة.

---

(١) في جميع النسخ: (يحتاجون). والمثبت هو الصواب.

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (إنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم... فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير...)، زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٦٩).

(٣) انظر: التمهيد للباقلاني (ص١٣٧)، والإرشاد للجويني (ص٢٥٩)، وأصول الدين للبغدادي (ص١٥٥)، غاية المرام للآمدي (ص٣٢٢)، شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٨).

(٤) في «أ»: التسليم.

فأما ألم الذبح فإنه يسير[(١)]، وقد قيل: لا يوجد أصلا؛ لأن الحساس للألم أغشية الدماغ، لأن فيه الأعصاب الحساسة، ولذلك إذا أصابتها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بألم، فإذا قطعت الأوداج سريعا لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس، ولهذا قال عليه السلام: «**إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته**»[(٢)].

الشبهة السادسة[(٣)]: قالوا: ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب.

---

(١) مسألة إيلام الحيوان غير المكلف وغيرها من الظواهر التي يستبشعها الناس بادي الرأي، تتعلق بموضوع هو من أشرف موضوعات قضاء الله وقدره وأمره، ألا وهو موضوع «الحكمة والتعليل»، وهذا ملخص لما حرّره الإمام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في بيان ما استشكل من الحكمة في إيلام الحيوانات غير المكلفة:

فذكر أن المثبتين لحقائق أسماء الرب وصفاته وحكمته التي هي وصفُه ولأجلها تسمّى بالحكيم، وعنها صدر خلقه وأمره، أنهم أعلمُ الفِرق بهذا الشأن، ومسلكهم فيه أصح المسالك؛ لأنهم جمعوا بين إثبات القدرة والمشيئة العامة والحكمة الشاملة التي هي غاية الفعل.

ثم بيّن بأن الآلام والمشاق: إما هي إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإما لدفع ألم هو أصعب منها، كما أن معظم آلام أهل الأرض أو كلها ناشئة عن لذات الدنيا ومتولدة عنها.

ثم قال: (فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم، إذ هي أسباب النعم، وما ينال الحيوانات غير المكلفة منها فمغمور جدًا بالنسبة إلى مصالحها ومنافعها، كما ينالها من حر الصيف وبرد الشتاء، وحبس المطر والثلج، وألم الحمل والولادة، والسعي في طلب أقواتها وغير ذلك، ولكن لذاتها أضعاف أضعاف آلامها، وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام.

فسنة الله في خلقه وأمره هي التي أوجبها كمال علمه وحكمته وعزته، ولو اجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقترحوا أحسن منها لعجزوا عن ذلك..). شفاء العليل (ص٤٨٦-٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٤٨ رقم ١٩٥٥)، وأبو داود (٣/ ٢٤٤ رقم ٢٨١٥)، والترمذي (٤/ ١٦ رقم ١٤٠٩)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (٧/ ٢٢٧)، وابن ماجه (٢/ ١٠٥٨ رقم ٣١٧٠)، وأحمد (٤/ ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥).

(٣) مقصودهم من هذه الشبهة: إنكار المعجزات التي جاء بها الأنبياء، بالطعن في صدقهم، ورميهم باستعمال الحيل واستغلال خواص الحجارة والخشب واستعمال السحر. وقارن في هذه الشبهة مع نهاية الإقدام للشهرستاني (ص٤١٩-٤٢٠)، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص١٢٣).

والجواب: أن هذا كلام ينبغي أن يُسْتَحْيَا من إيراده فإنه لم يبق شيء من العقاقير إلا وقد وضحت خواصها وبان سرها، فلو ظفر واحد منهم بشيء وأظهر خاصيته لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص، وقالوا: هذا ليس منك إنما هذه خاصية في هذا.

ثم إن المعجزات ليست نوعا واحدا، بل هي بين صخرة خرجت منها ناقة، وعصا انقلبت حية، وحجر تفجر عيونا، وهذا القرآن الذي له منذ نزل دُوَيْن(١) الستمائة سنة، فالأسماع تدركه، والأفكار تتدبره والتحدي به على الدوام، ولم يقدر أحد على مداناة سورة منه، فأين هذا والخاصية والسحر والشعبذة؟

قال أبو الوفاء علي بن عقيل رحمه الله: ضنيت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها كابن الريوندي ومن شاكله كأبي العلاء، ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهةً ولا أثرا، بل الجوامع تتدفق زحاما والأذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي ﷺ والإقرار بما جاء به، وإنفاق الأموال والأنفس في الحج مع ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد، فجعل بعضهم يَنْدَسُّ في أهل النقل فيضع المفاسد على الأسانيد ويضع السِيَر والأخبار، وبعضهم يروي ما يقارب المعجزات من ذكر خواص في أحجار وخوارق للعادات في بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة(٢) والمنجمين(٣)، ويبالغ في تقرير ذلك حتى قالوا إن سطيحا قال في الخبء الذي خبئ

---

(١) في «أ»: دون.

(٢) قال الإمام الخطابي: (الكهنة قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباعٌ نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم [كذا في الفتح، ولعلها وساعدتهم] بكل ما تصل قدرتهم إليه. وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصًا عند العرب لانقطاع النبوة فيهم). فتح الباري (١٠/ ٢١٧).

(٣) المنجمون: هم المشتغلون بالتنجيم، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بمعنى أن ☜

له: حبة بر، في إحليل مُهْرٍ، والأسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه.

وهاهنا اليوم مُعزِّمون[1] يكلمون الجني الذي في باطن المجنون فيكلمهم بما كان ويكون، وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال لقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة: وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هذا؟! وليس قول الكاهن: حبة بر في إحليل مهر، وقد أخفيت هذا الإخفاء بأكثر من قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران: ٤٩].

وهل بقي لهذا وقع في القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم؟! وهل ترك تلمح هذا إلا الغبي!

والله ما قصدوا بذلك إلا قصدا ظاهرا ولمحوا لمحًا جليًا فقالوا: تعالوا نكثر الجولات على البلاد والأشخاص والنجوم والخواص ولا يخلوا مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه، فيصدق بها الكل، ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقا للعادات.

ثم دس قوم من الصوفية أن فلانا أهوى بإنائه إلى دجلة فامتلأ ذهبا فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين، وبطريق العادات في حق المنجمين، وبطريق الخواص في حق الطبائعيين، وبطريق الكهانة في حق المعزمين والعرافين[2]،

المنجم يربط ما يقع في الأرض بالنجوم: بحركاتها، وطلوعها، وغروبها، واقترانها، وتفرقها.
انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٢٩-٢٣٠)، مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، مقدمة ابن خلدون (٣/ ١١٤٩)، فتح المجيد (ص٢٥٥).

(١) الذين يستعملون العزائم - أي الرُّقى الشيطانية - على الجن والأرواح. قال الراغب الأصفهاني: (العزيمة: تعويذ كأنه تصور أنك قد عقدت بها على الشيطان أن يمضي إرادته فيك. والجمع عزائم). المفردات للراغب (ص٥٦٥)، وانظر: اللسان وتاج العروس (عزم).

(٢) **العرّاف**: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. كذا نقله صاحب فتح المجيد عن البغوي. ونقل عن شيخ الإسلام قوله: بأن العرّاف اسم للكاهن والمنجم ⇐

فأي حكم بقي لقول عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران: ٤٩]! وأي خرق بقي للعادات! وهل العادات إلا استمرار الوجود، وكثرة الحصول، فإذا نبههم العاقل المتدين على ما في هذا من الفساد قال الصوفي: أتنكر كرامات الأولياء(١)؟!

وقال أهل الخواص: أتنكر المغناطيس الذي يجذب الحديد؟ والنعامة تبلع النار(٢)؟ فسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان فَوَيْلٌ للمحق معهم.

هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يعقدون ولا يحلون إلا بقولهم، فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلي كلمتها حتى إن كل الطوائف تحت قهرها؛ إقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات، وقمعا لأهل المحال(٣).

فصل

ومن الهند البراهمة قوم قد حسَّن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم، فيحفر للإنسان منهم أخدود، ويجتمع الناس، فيجيء مضمخا بالخلوق(٤) والطيب،

والرّمال – أي الذي يستدل بأشكال الرمل على أحوال المسألة حين السؤال – ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. فتح المجيد (ص٢٣٨)، ترتيب القاموس المحيط (٣/ ٧١).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الخارق – كشفًا كان أو تأثيرًا – إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينًا وشرعًا، إما واجب وإما مستحب. وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرًا، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه – نهي تحريم أو نهي تنزيه – كان سببًا للعذاب أو البغض). مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٩).

ولا شك أن القصة التي أوردها المصنف عن الصوفية، يُشعر منها أنها نوع من الدجل والقول الباطل، فهيهات أن تكون كرامة دالة على دين صاحبها واستقامته!

(٢) انظر: كتاب الحيوان للجاحظ (١/ ١٤٧)، حياة الحيوان للدميري (٢/ ٣٦٣).

(٣) **أهل المحال**: أهل الكيد، والحيل، والجدال، والعداوة. القاموس المحيط (محل).

(٤) **مضمخًا بالخلوق**: ملطخ بالزعفران. معجم متن اللغة (ضمخ) و(خلق).

وتضرب المعازف والطبول والصنوج، ويقولون: طوبى لهذه النفس التي تعلق إلى الجنة! ويقول هو: ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثوابي الجنة! ثم يلقي نفسه في الأخدود فيحترق، فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرؤوا منه حتى يعود.

ومنهم من يُحمى له الصخر، فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يَثْقُب جوفه ويَخْرُج مِعَاه فيموت، ومنهم من يقف قريبا من النار إلى أن يسيل وَدَكُه[١] فيسقط.

ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعا ويلقيها إلى النار، والناس يُزَكُّونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت.

ومنهم من يقف في أخثاء[٢] البقر إلى ساقه، ويشعل فيه النار فيحترق.

ومنهم من يعبد الماء[٣] ويقول: هو حياة كل شيء فيسجد له، ومنهم من يحفر له أخدود قريبا من الماء، فيقع في الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت، فإن مات بينهما حزن أهله وقالوا: حُرِمَ الجنة، وإن مات في أحدهما شهدوا له بالجنة.

ومنهم من تزهق نفسه بالجوع والعطش، فيسقط أولًا عن المشي، ثم عن الجلوس، ثم ينقطع كلامه، ثم تبطل حواسه، ثم تبطل حركته، ثم يخمد؟.

ومنهم من يهيم في الأرض حتى يموت، ومنهم من يُغْرِق نفسه في النهر.

ومنهم من لا يأتي النساء ولا يواري إلا العورة.

ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبَعَجَ بطنه وأخرج مِعَاه بيده.

---

(١) **وَدَكُه**: دَسَمُ لحمه. مختار الصحاح، واللسان (ودك).

(٢) **أخثاء البقر**: جمع خثي، والخثي: هو ما يرمى من بطن البقر. اللسان، والقاموس المحيط (خثا).

(٣) وهم الجهلكية، أي: عبّاد الماء. قاله الشهرستاني في الملل والنحل (٢/ ٦١٢) وحكى بعض طقوسهم في الماء.

ومنهم من يأخذ الصخور فَرَضَّ[1] بها جسده حتى يموت، والناس يقولون: طوبى لك!

وعندهم نهران فيخرج أقوام من عُبَّادهم يوم عيدهم، وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين، ثم يلقون أحد النصفين في نهر، والنصف الآخر في نهر، ويزعمون أنهما يجريان إلى الجنة!

ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه بنيته، فإذا أصحر جلس وجُمِعَ له سباع الطير من كل جهة، فيتجرد من ثوبه ثم يمتد والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله، فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة وأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها.. في أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النُّوبَخْتي[2] يضيع الزمان في كتابتها.

والعجب أن الهند تؤخذ عنهم الحكمة[3]، ولهم دقائق الأعمال، فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقاد!

قال: **وفيهم** من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة، وأن مكث أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألفا وستمائة وعشرون سنة، وكل

---

(١) في «أ» و«ت»: فيرض

(٢) انظر: تفاصيل هذا الفصل في البدء والتاريخ للمطهر المقدسي (٤/ ١٦-١٨).

(٣) لما تحدث شيخ الإسلام عن حركة الترجمة للكتب اليونانية في حدود المائة الثانية، بيّن ما حصل من جراء ذلك من الفساد والاضطراب، ثم قال بعد ذلك:

(حتى صار ما مدح من الكتاب والسنة من مسمى الحكمة، يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة أو نحوها من الأمم كالهند وغيرهم، ولم يعلموا أن اسم «الحكمة» مثل اسم «العلم» و«العقل» و«المعرفة» و«الدين» و«الحق» و«الباطل» و«الخير» و«الصدق» و«المحبة» ونحو ذلك من الأسماء التي اتفق بنو آدم على استحسان مسمياتها ومدحها، وإنما تنازعوا في تحقيق مناطها وتغيير مسمياتها، فإن كل أمة من أهل الكتب وغير أهل الكتب تسمى بهذه الأسماء ما هو عندها كذلك من القول والعمل، وإن كانت في كثير من ذلك أو أكثر إن تتبع إلا الظن وما تهوى الأنفس). بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٣).

مرتبة أضعاف أضعاف ما دونها، وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة، منها ست عشرة مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه، وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه.

ذكر تلبيس إبليس على اليهود

قد لبس عليهم في أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك:

- **فمن ذلك:** تشبيههم الخالق بالخلق[1].

ولو كان يشبههم لجاز عليه ما يجوز عليهم!

وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور على كرسي من نور، على رأسه تاج من نور، وله أعضاء كما للآدميين.

---

(١) قال الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٢٥٢): (ومسائلهم - أي: اليهود - تدور على: جواز النسخ ومنعه، وعلى التشبيه ونفيه، والقول بالقدر والجبر، وتجويز الرجعة واستحالتها).
وأصلهم في التشبيه هو ما وجدوه في التوراة المحرفة التي تصف الإله بألفاظ وأوصاف لا تليق. كما نقل الإمام ابن حزم في الفصل (١/ ٢٥٣) عن السفر الخامس من أسفار اليهود: (اعلموا أن السيد إلهكم الذي هو نار أكول). والنص الذي في التوراة الحالية قريب من هذا إذ جاء فيها: (لأن إلهكم، إله غيور، نارٌ آكلة) (سفر التثنية، الإصحاح الرابع، الفقرة ٢٤). ومما نقل كذلك: (هذا إلهي أمجده، وإله أبي أعظمه، السيد قاتل كالرجل القادر). والنص في التوراة الحالية: (الرب سيد الحروب) (سفر الخروج، الإصحاح ١٥، الفقر ١).ومن ذلك: أن الله تعالى قدم على إبراهيم في صورة رجل مع ملكين، وجلسوا يستريحون من التعب وغسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا. (سفر التكوين، الإصحاح ١٨).ومن ذلك ذكرهم لمصارعة الرب ليعقوب (سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، الفقرة ٢٤-٣٢).ومنه نسبة التعب والاستراحة للرب تعالى ومما جاء في ذلك: أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، استراح في اليوم السابع. (سفر التكوين، الإصحاح ٢).
وانظر: الأجوبة الفاخرة للقرافي (ص٣٧٦-٣٧٧)، والأسفار المقدسة، د. علي وافي (ص٢٨-٣٠)، وإفحام اليهود للسموأل المغربي (ص١٢٨-١٣٥)، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي الزغبي (ص٦٣٧) وما بعدها.

● **ومن ذلك:** قولهم: عزير ابن الله.

ولو فهموا أن حقيقة البنوة لا تكون إلا بالتبعيض، والخالق ليس بذي أبعاض؛ لأنه ليس بمؤلف[١] لم يثبتوا بنوة، ثم إن الولد في معنى الوالد، وقد كان عزير لا يقوم يقوم إلا بالطعام، والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها، والذي دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه[٢]، فتكلموا بذلك على ظنونهم الفاسدة.

ويدل على أن القوم كانوا في بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة في فَرْقِ البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فلما زجرهم موسى عن ذلك بقي في نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم العجل، والذي حملهم على هذا شيئان:

○ **أحدهما:** جهلهم بالخالق.

○ **والثاني:** أنهم أرادوا ما يسكن إليه الحس؛ لغلبة الحس عليهم وبُعْد العقل عنهم، ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترؤوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) الألفاظ التي استعملها المصنف رحمه الله من اصطلاحات علم الكلام التي أغنانا الله تعالى عنها بألفاظ الكتاب والسنة الواضحة والدالة على المقصود أتم دلالة وأبينها.قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل: فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل). التدمرية (ص٨).

(٢) هذا بناء على أن المقصود هو عزير في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩].
انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٥٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٢)، الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٦- ٢٩)، وقد أورد فيه قصة قراءة عزير للتوراة كما أشار إلى ذلك المصنف رحمه الله.

• **ومن تلبيسه عليهم:** أنهم قالوا: لا يجوز نسخ الشرائع[(١)]، وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات، وذوات المحارم[(٢)]، والعمل في يوم السبت، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى، قالوا: إذا أمر الله بشيء كان حكمه، ولا يجوز تغييره.

قلنا: قد يكون التغيير في بعض الأوقات حكمة: فإن تقلب الآدمي من صحة إلى مرض إلى موت كله حكمة، وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم يوم الأحد، وهذا من جنس ما أنكرتم! وقد أمر الله إبراهيم بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك.

• ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وهي الأيام التي عبدنا فيها العجل، وفضائحهم كثيرة..

ثم حملهم إبليس على العناد المحض؛ فجحدوا ما في كتابهم من صفة نبينا محمد ﷺ وغيَّروا ذلك[(٣)]، وقد أمروا أن يؤمنوا به، ورضوا بعذاب الآخرة، فعلماؤهم

---

(١) اتفق رأي أغلب اليهود على أنه لا يجوز النسخ في الشرائع. وقد ذكر أصحاب كتب المقالات، وأئمة علم الكلام أن اليهود منقسمون في هذه المسألة على النحو التالي:
- قسم من اليهود أبطلوا النسخ، ولم يجعلوه ممكنًا، وهذا القول عند الجويني في الإرشاد (٢٨٣): هو قول معظم اليهود، وعند الرازي في الاعتقادات (ص١٢٧)، وابن الأنباري في الداعي (ص٣١٧): هو قول اليهود قاطبة، وعند الآمدي في غاية المرام (ص٣٤١): هو قول بعض اليهود.
- وقسم آخر أجازوه عقلًا، لكن إما أنهم منعوه واقعًا، أو توقيفًا استنادًا إلى التوراة، وهذا مذهب «الشمعنية» من اليهود، كما حكاه الباقلاني في التمهيد (ص١٨٧)، وذكر عن «العنانية» من اليهود أنها منعت جواز النسخ عقلًا ونقلًا.
وعمدة اليهود في منع جواز النسخ شبهة أن النسخ في الأوامر بداء والله تعالى لا يجوز عليه البداء.
كما جعلوا هذا المذهب ترسًا لهم في جحد النبوات بعد موسى عليه السلام، وبخاصة نبوة نبينا محمد ﷺ.
انظر: الفصل لابن حزم (١/ ١٧٩-١٨٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٥١)، التمهيد للباقلاني (ص١٨٧)، إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٤٤٠)، إفحام اليهود للسموأل (ص٨٦-١٠٧).
(٢) انظر هذا الردّ في «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» للإمام القرافي (٢٠١).
(٣) من ذلك ما جاء في التوراة: «أقيم لبني إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ما آمرهم، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه». هكذا أورد

عاندوا وجهالهم قلدوا.

ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا، ودانوا بما يريدون، فأين أثر العبودية ممن يترك الأمر ويعمل بالهوى! غير أنهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه[1]، حتى قالوا: هو آدر[2]. واتهموه بقتل هارون[3]، واتهموا داود بزوجة أوريا[4].

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أخبرنا الحسن بن على الجوهري، قال: أنا أبو عمر ابن حَيُّوَيْه، قال: أنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا علي بن محمد عن علي بن مجاهد، عن محمد بن

النص الإمام ابن القيم في هداية الحيارى ٣١٦، وهو في النص الحالي للتوراة قريب من هذا جدًّا. سفر التثنية، الإصحاح ١٨، الفقرات ١٨- ١٩. وانظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص٢١٩)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ٣٠)، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل لأحمد حجازي السقا، مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص٢١٩- ٢٣١)، واليهود في السنّة المطهرة د. عبد الله الشقاري (١/ ١٦٦ – ١٧٩).

(١) أخرج البخاري من حديث أبي هريرة (٦/ ٤٣٦ برقم ٣٤٠٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلًا حييًا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء؛ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة، وإما آفة.

(٢) آدر: هو الذي يُصيبه انفتاق أو انتفاخ في إحدى الخصيتين. وهو عيب بالفحولية. اللسان، ومعجم متن اللغة (أدر).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٣٤ – ٥٣٥): أخرج أحمد بن منيع والطبري وابن أبي حاتم بإسناد قوي عن ابن عباس، عن علي قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون. فقال بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، كان ألينَ لنا منك وأشد حُبًّا. فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمرت به على مجالس بني إسرائيل، فعلموا بموته. وإسناد أحمد بن منيع ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٥٧ رقم ٣٤٧١) وقال: هذا إسناد صحيح.

(٤) تورد التوراة المحرفة قصة طويلة تدور حول هذه الفرية العظيمة، التي افتراها يهود – أخزاهم الله – على نبي الله داود عليه السلام، يتورع القلم عن إيرادها. انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي (ص٢٦٠-٢٦٢)، التحريف في التوراة، د. محمد الخولي (ص١١٧)، وانظر في التوراة الحالية: (سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١، الفقرة ٢-٥).

إسحاق، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع، عن أبي هريرة قال: «أتى رسول الله ﷺ بيت المِدْرَاس[1] فقال: «أخرجوا إلي أعلمكم»، فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام: «أتعلم أني رسول الله؟»، قال: اللهم نعم! وإن القوم ليعرفون ما أعرف وإن نعتك وصفتك لمبيَّن في التوراة ولكنهم حسدوك. قال: «فما يمنعك أنت؟»، قال: أكره خلاف قومي، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم)[2].

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا يعقوب، قال: نا أبي، عن ابن إسحاق، قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن وقش، قال: كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يومًا من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنًّا، عليَّ بردة مضطجعًا فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال: ذلك القوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان! ترى هذا كائنًا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به يود أحدهم أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غدا، قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه

(١) **بيت المِدْرَاس**: قال ابن حجر في الفتح (١٢/ ٣١٨): بكسر الميم وآخره مهملة، مفعال من الدرس، والمراد به كبير اليهود، ونسب البيت إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم، أي: قراءتها.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٨) سورة الأعراف الآية ١٥٧، وعزاه لابن سعد فقط. وإسناده ضعيف جدا، فيه علي بن مجاهد متروك كما في ترجمته.

البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلي وأنا أحدثهم سنًّا فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيًّا وحسدًا، فقلنا: ويلك يا فلان! ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به[1].

ذكر تلبيسه على النصارى

تلبيسه عليهم كثير:

• فمن ذلك أنه أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر[2]، فقالت اليعقوبية[3] (أصحاب يعقوب)، والملكية[4] (أهل دين الملك)، والنسطورية[5] (أصحاب

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٦٧).ورواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٠-٢٧١)،والحاكم في المستدرك (٣/ ٤١٧-٤١٨)، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٣٠): ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع.

(٢) انظر: الملل والنحل للبغدادي (ص١٤٩)، والتمهيد للباقلاني (ص٩٣)، والشامل للجويني (ص٥٧١)، والداعي لابن الأنباري (ص٣٦٠).

(٣) **اليعقوبية**: هم أتباع يعقوب البرادعي أو البردعاني، ويدور مذهبهم على أن المسيح طبيعة واحدة تركبت من طبيعتين: طبيعة الناسوت، وطبيعة اللاهوت. فالمسيح عندهم إله كله، وإنسان كله، مواطنهم هي: مصر، والنوبة، والحبشة، والعراق. انظر: الفصل لابن حزم (١/ ١١١)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٧٠-٢٧١)، مروج الذهب للمسعودي (١/ ٣٢٥)، واعتقادات الرازي (ص١٣٢)، والبرهان للسكسكي (ص٩٢)، وهداية الحيارى لابن القيم (ص٥٣٤).

(٤) **الملكية**: ويقال لها كذلك: الملكانية، والملكائية. سميت كذلك نسبة - كما ذكر المصنف - إلى ملوك النصارى؛ لأنهم كانوا جميعًا على مذهبها، هم وأهل ممالكهم، عدا الحبشة والنوبة، وقد شنّع ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ على من زعم أن نسبتهم تعود إلى رجل منهم يُدعى «ملكايا» أو «ملكا»، وممن قال بهذا: الشهرستاني في ملله. من مذهبهم: أن الكلمة - التي هي الابن الأزلي - اتحدت بجسد المسيح بن مريم؛ فأثبتوا له طبيعتين ومشيئتين. وزعموا أن الذي قُتل وصُلب هو الإنسان، أما اللاهوت فلم يمت ولم يألم ولم يُدفن.
انظر: الفصل لابن حزم (١/ ١١٠-١١١)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٦٦-٢٦٨)، واعتقادات الرازي (ص١٣١)، وهداية الحيارى لابن القيم (٥٣٤-٥٣٥).

(٥) **النسطورية**: هم أصحاب نسطور الذي كان أسقفًا للقسطنطينية، ونادى بانفصال الطبيعتين اللاهوتية
ﷻ

نسيطورس): إن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة، فهو واحد في الجوهرية، ثلاثة في الأقنومية[١]، وأحد الأقانيم عندهم: الأب، والآخر: ابن، والآخر: روح القدس[٢]، فبعضهم يقول: الأقانيم خواص، وبعضهم يقول: صفات، وبعضهم يقول: أشخاص[٣].

والناسوتية. وقد حضر مجمع «أفسس» الأول عام ٤٣١م، وبسبب مذهبه وآرائه المخالفة لعقيدة عامة النصارى، طرده المجمع وحرمه. فالنسطورية تذهب إلى أن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله. ومن أوهام الشهرستاني في هذا الموضوع: نسبته «النسطورية» إلى «نسطور الحكيم» الذي عاش زمن المأمون، بيد أن هذه الفرقة ظهرت في القرن الخامس الميلادي، أي: قبل ظهور الإسلام.

انظر: الفصل لابن حزم (١/ ١١١)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٦٨-٢٧٠)، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية للقرافي (ص٤٣-٤٤)، وهداية الحيارى لابن القيم (ص٥٣٦)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص١٣٥-١٣٦)، ومقارنة الأديان (المسيحية) د. شلبي (٢/ ١٩٢-١٩٣)، ومنهج الشهرستاني في كتابه الملل للسحيباني (ص٥٤٦).

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٦٣).

والأقنومية: مصدر أقنوم، والأقنوم كلمة يونانية الأصل تدل على شخصية متميزة، فالأقنوم هو الشخص المتميز. انظر: دراسات في الأديان، د. الخلف (ص١٧٧)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص٥٢).

(٢) **الأب**: يراد به عند النصارى الذات الإلهية المجردة عن الابن والروح القدس، وهو بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن، مع أن الابن عندهم أزلي الوجود. **والابن**: يراد به كلمة الله المتجسدة، وهو المسيح عليه السلام.

والروح القدس: هو مساوٍ عندهم للأب والابن في الذات والجوهر والطبع. وهو في كلامهم روح الله الذي يتولى تأييد أتباع المسيح وتطهيرهم.

انظر: دراسات في الأديان، د. الخلف (ص١٨١-١٨٦)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص٦٠)، وقاموس الكتاب المقدس (ص٤١٤)، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث (ص٢٣٥).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (٤/ ٨٣): (قال أبو الحسن ابن الزاغوني ومن معه: واختلف النصارى في الأقانيم، فقال قوم منهم: هي جواهر. وقال قوم: هي خواص. وقال قوم: هي صفات. وقال قوم: هي أشخاص).

وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله جوهرًا لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والألوان[١]!

● ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله، قال أبو محمد النُّوبَخْتي: زعمت الملكية واليعقوبية أن الذي ولدت مريم هو الإله، وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح ابن الله، وقال بعضهم: المسيح جوهران: أحدهما: قديم،والآخر: محدث.

ومع قولهم هذا في المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام، ولا يختلفون في أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه، ويقولون: إنما فعل هذا بالناسوت.[٢] فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت[٣]!

● ثم لبس عليهم أمر نبينا ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره في الإنجيل[٤]، ومن

---

(١) **الألفاظ نوعان:**

- **ألفاظ** وردت بها الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة واتفق على إثباتها السلف، فهذه يجب على كل مؤمن أن يؤمن بها.

- **ألفاظ** لم ترد بها النصوص الشرعية، مما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا، فهذه ليست على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ منها أو نفيه حتى يعرف مراده: فإن أراد حقًّا قُبل، وإن أراد باطلًا رُد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويُفسر المعنى.ومن هذا القبيل لفظ: الجوهر، والجهة، والحيز، والجسم، والعرض.. ولهذا كانت طريقة ابن الجوزي هنا هي نفس طريقة المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، في الرد على النصارى في قولهم بالجوهر.

انظر: التدمرية لابن تيمية (ص٦٥-٦٦)، ودرء التعارض له (١/ ٢٢٢-٢٢٣)، والتمهيد للباقلاني (ص٩٣)، والشامل للجويني (ص٥٧١)، والداعي لابن الأنباري (ص٣٦٠).

(٢) **الناسوت**: لفظة مشتقة من الناس، كالرحموت من الرحمة. انظر: مفاتيح العلوم (ص٥٢).

(٣) **اللاهوت**: لفظة مشتقة من اسم الله تعالى، كالرحموت من الرحمة. انظر مفاتيح العلوم (ص٥٢).

(٤) البشارة بالنبي محمد بن عبد الله ﷺ على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام ثابتة بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

الكتابيين من يقول عن نبينا ﷺ إنه نبي إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة[١]، وهذا تلبيس من إبليس استغفلهم فيه؛ لأنه متى ثبت أنه نبي، فالنبي لا يكذب، وقد قال: «**بعثت إلى الناس كافة**»[٢]، وقد كتب إلى قيصر[٣] وكسرى[٤] وسائر ملوك الأعاجم[٥].

• ومن تلبيس إبليس على اليهود والنصارى أنهم قالوا: لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا، فمنا الأنبياء والأولياء، فأخبرنا الله ﷻ عنهم بذلك: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾[المائدة: ١٨]، أي: منا ابنه عزير وعيسى.

وكشف هذا التلبيس: أن كل شخص مطالب بحق الله عليه، ولا يدفعه عنه ذو قرابته، ولو تعدت المحبة لشخص إلى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض، وقد

وورد في الإنجيل (يوحنا ١٤/ ١٠ – ١٣) أن المسيح قال للحواريين: «أنا أذهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد لي وأنتم تشهدون، لأنكم معي من قبل الناس. وكل شيء أعدّه الله لكم يخبركم به». والبارقليط في لغتهم – كما قال ابن القيم – من ألفاظ الحمد، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد، ونحو ذلك.

انظر: هداية الحيارى لابن القيم (ص٣٢٣ – ٣٤١)، والأجوبة الفاخرة للقرافي (٤٢٣ – ٤٣٣)، والجواب الصحيح (٥/ ٢٨٤ وما بعدها)، وبين الإسلام والنصرانية لأبي عبيدة الخزرجي (ص٢١٤ – ٢٣٠)، وأدلة الوحدانية في الردّ على النصرانية للقرافي (ص١٠٩ – ١١٢). والكتاب المقدس: إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤/ ١٦، ٢٦)، الفرق للبغدادي (١٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٥٨ – ٢٥٩).

(١) وهم العيسوية من اليهود.
انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٢-١٣)، وأصول الدين له (ص٣٢٦)، والفصل لابن حزم (١/ ١٧٩)، اعتقادات الرازي (ص١٢٨-١٢٩)، والتمهيد للباقلاني (ص٢١٨)، والداعي لابن الأنباري (ص٣١٩)، وغاية المرام للآمدي (ص٣٤١، ٣٥٠، ٣٥٩).
وقيل: هم فرقة الموشكانية من اليهود.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٥ رقم ٣٣٥)، (١/ ٥٣٣ رقم ٤٣٨)، ومسلم (١/ ٣٧٠-٣٧١ رقم ٥٢١)، والنسائي (١/ ٢١١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ١٠٩ رقم ٢٩٤٠)، ومسلم (٣/ ١٣٩٣ رقم ١٧٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ١٠٨ رقم ٢٩٣٩).

(٥) ينظر: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون.

قال نبينا ﷺ لابنته فاطمة: «**لا أغني عنك من الله شيئًا**»[١]، وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة، ثم إن محبة الله تعالى للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضًا[٢]، إذ لو كانت كذلك كان الأمر يحتمل.

ذكر تلبيسه على الصابئين

أصل هذه الكلمة- أعني: الصابئين - من قولهم: صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء، وصبأت النجوم: إذا ظهرت، وصبأ نابه: إذا خرج، والصابئون: الخارجون من دين إلى دين[٣]، وللعلماء في مذهبهم عشرة أقوال[٤]:

أحدها: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، رواه سالم عن سعيد بن جبير، وليث عن مجاهد[٥].

والثاني: أنهم بين اليهود والمجوس، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع، منها (٥/ ٣٨٢ رقم ٢٧٥٣)، ومسلم (١/ ١٩٢ رقم ٢٠٦)، والترمذي (٥/ ٣١٦ رقم ٣١٨٥)، وقال: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، والنسائي (٦/ ٢٤٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٣).

(٢) محبة الله تعالى للعبد هي من صفاته الاختيارية، وهي محبة عظيمة جدًا، والذي عليه سلف الأمة وأئمة السنة هو إقرار المحبة على ما هي عليه، من غير تمثيل ولا تعطيل، خلافًا للجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام الذين يؤولون هذه الصفة العظيمة، وكون الله تعالى محبًا لعبده بأن معناها الإحسان إليه، فتكون هذه الصفة من الأفعال، كما أوّلوا محبة العبد لربه بأنها إرادة العبادة له، وإرادة التقرب إليه، فلا يثبتون بأن الله تعالى يحب عبده ولا أن العبد يحبه ربه جل وعلا.
انظر: جامع الرسائل (قاعدة في المحبة) لابن تيمية (٢/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٣) انظر: لسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس (صبأ).

(٤) ذكر المؤلف في تفسيره زاد المسير (١/ ٩١) دون هذا العدد فقال: وفي الصابئين سبعة أقوال. وقد بيّن ابن القيم سبب اختلاف العلماء في مذهبهم بقوله: (وقد اختلف الناس فيهم اختلافًا كثيرًا بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم). إغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٢).

(٦) تفسير مجاهد (١/ ٧٧). ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٧)، والطبري (٢/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم ←

والثالث: أنهم بين اليهود والنصارى، رواه القاسم بن أبي بزة عن مجاهد[(١)].

والرابع: أنهم صنف من النصارى ألين قولًا منهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس[(٢)].

والخامس: أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم، رواه القاسم أيضا عن مجاهد[(٣)].

والسادس: أنهم كالمجوس قاله الحسن[(٤)].

والسابع: أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية[(٥)].

والثامن: أنهم قوم يصلون للقبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور[(٦)]، قاله قتادة ومقاتل.

(١/ ١٢٨) من طريق ليث وابن أبي نجيح عن مجاهد به، وزادوا: ليس لهم دين. وانظر هذا القول في تفسير الثوري (ص٤٦)، والبغوي (١/ ١٠٢)، وابن الجوزي (١/ ٩٢)، وابن كثير (١/ ١٠٨).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٤٦)، من طريق سفيان عن الحجاج بن أرطأة، عن القاسم بن أبي بزة به، وذكره البغوي في تفسيره (١/ ١٠٢) وعزاه للكلبي، وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٢) إلى سعيد بن جبير، وكذا رواه ابن أبي حاتم (١/ ١٢٧)، وذكره في الدر المنثور السيوطي (١/ ١٨٣) من قول سعيد وعزاه لابن أبي حاتم وعبد بن حميد.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٢).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (١/ ١٨٢) عن مجاهد وعزاه لابن المنذر في تفسيره.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٢٨) من طريق مطرف عن الحكم عن رجل من البصرة عن الحسن به، وذكره ابن كثير (١/ ١٠٨) معلقا عن الحسن، وهو في زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٩٢)، وزادوا نسبته للحكم بن عتيبة أيضًا.

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم أيضًا (١/ ١٢٧)، كلاهما من طريق الربيع عن أبي العالية به. وانظر: ابن كثير (١/ ١٠٨)، وزاد المسير (١/ ٩٢)، والدر المنثور (١/ ١٨٣).

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩) عن معمر، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٤٧) من طريق سعيد كلاهما عن قتادة به. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦) وعزاه بالإضافة إلى من ذكرنا إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم جميعهم عن قتادة. وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٠٨)، وزاد المسير (١/ ٩٢).

والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب[١]، قاله السدي.

والعاشر: أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله[٢]، قاله ابن زيد، هذه أقوال المفسرين[٣].

فأما المتكلمون فقالوا: مذاهب الصابئين تختلف:

○ فمنهم من يقول إن هناك هيولى كان لم يزل، ولم يزل يصنع الصانع العالم من ذلك الهيولى[٤].

○ وقال أكثرهم: العالم محدث وسمّوا الكواكب ملائكة، وسماها قوم منهم آلهة، وعبدوها[٥] وبنوا لها بيوت عبادات[٦]، وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها، وهو بيت زحل.

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٤٧) من طريق سفيان عن السدي به. وذكره السيوطي في الدر (١/ ١٨٣) وعزاه إلى وكيع. وأشار إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ١٠٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٤٧) من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد به. وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٢).

(٣) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما الصابئون الحنفاء، فهم في الصابئين بمنزلة من كان متبعًا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء ممن حمدهم الله وأثنى عليهم). الرد على المنطقيين (ص٤٥٤-٤٥٥).

وقال ابن القيم: (المقصود أن الصابئة فرق: فصابئة حنفاء، وصابئة مشركون، وصابئة فلاسفة، وصابئة يأخذون بمحاسن أهل الملل والنحل من غير تقيد بملة ولا نحلة). إغاثة اللهفان (٢/ ٣٦٢).

(٤) انظر: التبصير في الدين للإسفراييني (ص١٤٩ - ١٥٠)، والفهرست لابن النديم (ص٣٨٩) وقد ذكر أن قولهم في الهيولى هو نفس قول أرسطاطاليس. والبدء والتاريخ للمقدسي (١/ ١٤٣)، وجامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١٠٦).

(٥) انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٨٨ - ٨٩)، والبدء والتاريخ للمقدسي (١/ ١٧١).

(٦) انظر: مروج الذهب للمسعودي (٢/ ٢٤٧ - ٢٤٩).

○ وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله إلا بالنفي دون الإثبات، فيقال: ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز[(١)]، قالوا: لئلا يقع تشبيه.

ولهم تعبدات في شرائع، منها:

- أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات في كل يوم، أولها: ثمان ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة، وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس، والثانية: خمس ركعات، والثالثة: كذلك.

- وعليهم صيام شهر: أوله لثمان ليال تمضي من آذار، وسبعة أيام أولها لتسع بقين من كانون الأول، وسبعة أيام أولها لثمان ليال يمضين من شباط، ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح، وحرموا لحم الجزور في خرافات يضيع الزمان بذكرها[(٢)].

- وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء، وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرض وإلى الظلمة[(٣)].

○ وبعضهم يقول: هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب في التناسخ[(٤)].

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص٣٢٤)، والفرق المفترقة للعراقي (ص٩٩).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد بيان منهج أتباع الرسل وأئمة السلف في أسماء الله تعالى وصفاته: (وأما المخالفون لهم من المشركين والصابئة، ومن اتبعهم من الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ونحوهم، فطريقتهم نفيٌ مفصل وإثبات مجمل: ينفون صفات الكمال، ويثبتون ما لا يوجد إلا في الخيال، فيقولون: ليس بكذا، ولا كذا، فمنهم من يقول: ليس له صفة ثبوتية، بل إما سلبية، وإما إضافية، وإما مركبة منهما، كما يقوله من يقوله من الصابئة والفلاسفة). منهاج السنة (٢/ ١٨٧).

(٢) انظر في هذه الشرائع والعبادات: الفهرست لابن النديم (ص٣٨٨)، وهو أوسع مصدر – فيما أعلم – في ذكر عبادات الصابئة وأعيادهم وطقوسهم. وأصول الدين للبغدادي (ص٣٢٤)، والفصل لابن حزم (١/ ٨٨)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣١٩ – ٣٢٠).

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٦٦-٣٦٧)، ونسب إليهم ابن النديم في الفهرست (ص٣٨٨) القول بأن الثواب والعقاب عندهم إنما يقع على الأرواح.

ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف ردها إذ هي دعاوى بلا دليل!

وقد حسن إبليس لقوم من الصابئين أنهم رأوا الكمال يحصل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات، واشتغلوا بالتنجيم والتبخير، وقالوا: لابد من متوسط بين الله وبين خلقه من تعريف المعارف والإرشاد للمصالح، إلا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانيا لا جسمانيا، قالوا: فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا؛ فيكون ذلك وسيلة لنا إليه[١]، وهؤلاء ينكرون بعث الأجساد[٢].

ذكر تلبيس إبليس على المجوس[٣]

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي: كان أول ملوك المجوس كومرث[٤] فجاءهم بدينهم، ثم تتابع المدعون للنبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت، وكانوا يقولون إن الله شخص روحاني ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال: لا

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم (ص٣٨٨).

(٣) **المجوس**: هم عبدة النار، وهم القائلون بالأصلين: النور، والظلمة. كما ذهبوا إلى أن النور أزلي، والظلمة محدثة، ويسمون النور «يزدان»، وهو خالق الخير بزعمهم، ويسمون الظلمة «أهرمن» أي: خالق الشر - بزعمهم-.ثم اختلفوا اختلافًا شديدًا في هذين الأصلين من حيث: الطبيعةُ، والمكان، والامتزاج، والخلاص، والقدم، والحدوث.. أشهر فِرق المجوس: الكيومرثية، الزروانية، الزرداشتية. ويقوم مذهبهم على الإباحية المطلقة، حتى استحلوا نكاح الأمهات والأخوات والبنات.
انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٨٦)، والملل والنحل (١/ ٢٧٨-٢٨٤)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص١٥٠)، والبرهان للسكسكي (ص٩٠-٩١)، الفِرق المفترقة للعراقي (ص٩٩)، مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص٥٦)، والبدء والتاريخ للمقدسي (١/ ٨٨).

(٤) **كومرث**: أو كيومرث، المقدّم الأول عند المجوس. تقول الكيومرثية إن كيومرث هو آدم عليه السلام، ومعناه: «الحيّ الناطق». الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٧٨) مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص٥٦)، دائرة المعارف لفريد وجدي (٨/ ٤٤٨).

يتهيأ لغيري أن يبدع مثل هذه التي ابتدعتها! فتولد من فكرته هذه ظلمة؛ إذ كان فيها جحود لقدرة غيره، فقامت الظلمة تغالبه[١].

وكان مما سنَّهُ زرادشت: عبادة النار، والصلاة إلى الشمس[٢] يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل وتحيي النبات[٣] والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها.

وكانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض؛ تعظيما لها، ويقولون منها نشوء الحيوانات ولا نقذرها، وكانوا لا يغتسلون بالماء؛ تعظيما له[٤]، وقالوا لأن به حياة كل كل شيء، إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه، ولا يبزقون فيه.

ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها، وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به[٥]، وإذا كان عتيقا كان أكثر بركةً، ويستحلون فروج الأمهات[٦]، قالوا: الابن أحرى بتسكين شهوة أمه، وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة، فإن لم يكن ابن، اكتُرِي رجلٌ من مال الميت، ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألف، وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت دينارا إلى الهربذ[٧] فيحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبَّابته.

---

(١) انظر: التنبيه والإشراف للمسعودي (ص٩٣)، والفصل لابن حزم (١/ ٨٦)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٨٠)، والبدء والتاريخ للمقدسي (٤/ ٢٦)، واعتقادات الرازي (ص١٣٦)، والتمهيد للباقلاني (ص٨٧)، والداعي لابن الأنباري (ص٢٧٣).

(٢) انظر: البدء والتاريخ للمقدسي (٤/ ٢٧)، وأصول الدين للبغدادي (ص٣٢٦ - ٣٢٧)، والبرهان للسكسكي (ص٩١)، والبدء والتاريخ للمقدسي (٤/ ٢٦ - ٢٧).

(٣) انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٨٧)، والبدء والتاريخ للمقدسي (٤/ ٢٧)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٥٧).

(٤) انظر: البدء والتاريخ للمقدسي (٤/ ٢٨).

(٥) انظر: البرهان للسكسكي (ص٩١)، والحور العين (ص٢٣٩).

(٦) انظر: البرهان للسكسكي (ص٩١)، ومصادر التعريف بالمجوس التي سبق ذكرها.

(٧) **الهربذ**: هو خادم النار. وقيل: هو عابد النار. انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص١٢٢)، ومعجم المصطلحات العلمية العربية د. الداية (ص٦٦).

وأظهر هذا الأمر مَزْدَك في أيام قُبَاذ، وأباح النساء لكل من شاء[١]، ونكح نساء قُبَاذ لتقتدي به العامة؛ فيفعلوا بالنساء مثله، فلما بلغ إلى أم أنوشروان قال لقُبَاذ: أخرجها إلي، فإنك إن منعتني شهوتي لم يتم إيمانك، فهَمَّ بإخراجها فجعل أنوشروان يبكي بين يدي مَزْدَك ويقبل رجله بين يدي أبيه قُبَاذ ويسأله أن يهب له أمه، فقال قُبَاذ لمَزْدَك: ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغي أن يرد عن شهوته؟ قال: بلى. قال: فلم ترد أنوشروان عن شهوته؟! قال: قد وهبتها له[٢]. ثم أطلق للناس أكل الميتة، فلما ولى أنوشروان أفنى المَزْدَكية[٣][٤].

قال: ومن أقوال المجوس: إن الأرض لا نهاية لها من أسفلها، وإن السماء خلقت من جلود الشياطين، والرعد إنما هو خرخرة العفاريت المحبوسة في الأفلاك، المأسورة في جرب حرث، والجبال من عظامهم، والبحور من أبوالهم ومائهم.

ونبع للمجوس رجل في زمان انتقال دولة بني أمية إلى بني العباس، فاستغوى خلقا، وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس[٥].

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٥)، اعتقادات الرازي (ص١٤١ – ١٤٢)، الفهرست لابن النديم (ص٤١٦).

(٢) انظر ملخصًا لهذه القصة عند الرازي في الاعتقادات (ص١٤١ – ١٤٢).

(٣) خبر قضاء أنو شروان على «المَزْدَكية» انظره عند المسعودي في مروج الذهب (١/ ٢٦٣)، واليعقوبي في تاريخه (١/ ١٦٤)، وابن النديم في الفهرست (ص٤١٦)، والشهرستاني في الملل (١/ ٢٩٤)، والرازي في الاعتقادات (ص١٤٢).

(٤) انظر: المعارف لابن قتيبة (ص٦٦٣)، تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٨٩، ٩٩)، الكامل في التاريخ (١/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٥) ظهر في صدر الدولة العباسية رجل يقال له بهافريد من قرية يقال لها «روى من إبرشهر»، مجوسي، يصلي الصلوات الخمس بلا سجود، متياسر عن القبلة، وتكهن ودعا المجوس إلى مذهبه، فاستجاب له خلق كثير، فوجَّه إليه أبو مسلم الخراساني شبيب بن داح وعبد الله بن سعيد فقتلاه. الفهرست لابن النديم (ص٤١٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٨٤).

وقد ذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها، وأنهم أحدثوا دينًا فرُفِعَتْ كُتُبُهُم[١].

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم أنهم رأوا في الأفعال خيرًا وشرًّا، فسوَّل لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر، فأثبتوا إلهين، وقالوا: أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير، والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر، على نحو ما ذكرنا عن الثنوية[٢].

وقد سبق ذكر شبههم وجوابها، وقال بعضهم: الباري قديم، ولا يكون منه إلا الخير، والشيطان محدث ولا يكون منه إلا الشر.

فيقال لهم: إذا أقررتم بأن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر.

وزعم بعضهم أن الخالق الذي هو النور تفكر فكرة رديئة، فقال: أخاف أن يحدث في ملكي من يضادني، وكانت فكرة رديئة فحدث منها إبليس، فرضي إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك.

وحكى النُّوبَخْتي أن بعضهم قال: إن الخالق شك في شيء فكان الشيطان من ذلك الشك[٣]، قال: وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان، بينهما فضاء، وكانت الدنيا سليمة من آفة، والشيطان بمعزل عنها، فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده، فهرب الرب - عزَّ وجلَّ عن قولهم - بملائكته، فاتبعه إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل إليه ولا الرب يدفعه، ثم صالحه على أن

(١) انظر: البرهان للسكسكي (ص٩١). أما مسألة هل كان للمجوس كتاب منزل أم لا؟ فانظرها في: أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ٢، ٩٩)، (٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥)، وقد ضعّف أحاديث إثبات الكتاب للمجوس. ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢/ ١٨٧، ١٩٠).

(٢) انظر: (ص ١٧٠).

(٣) انظر: التمهيد للباقلاني (ص٨٧، ٨٩).

يكون إبليس وجنوده بالدنيا سبعة آلاف سنة، ورأى الرب أن الصلاح في احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضي الشرط، فالناس في البلايا إلى انقضائه ثم يعودون إلى النعيم، وشَرَطَ إبليس عليه أن يمكِّنه من أشياء رديئة يوقعها في هذا العالم، وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما إلى العدل، قالا: من نكث قتلناه بسيفه. في هذيانات كثيرة يضيع الوقت بذكرها فتنكبناها لذلك، ولولا ذكر[1] ما انتهى تلبيس إبليس إليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط.

والعجب أنهم يجعلون الخالق خيرًا ثم يزعمون أنه حدثت له فكرة رديئة، فعلى قولهم يجوز أن يحدث من فكرة إبليس ملك! ثم يقال لهم: أيجوز أن يفي الشيطان بما ضمن؟ فإن قالوا: لا. قيل لهم: فلا يليق بالحكمة استيفاؤه. وإن قالوا: نعم. فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير[2].

وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه؟!وكيف يجوز القتل على الإله؟! وهذه خرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها معنى.

ذكر تلبيسه على المنجمين وأصحاب الفلك

قال أبو محمد النُّوبَخْتي: ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له[3]. قال: وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا: زحل وحده قديم[4]. وزعم قوم أن الفلك

(١) لو قال: ولولا القصد إلى ذكر.. لكان أظهر في فهم المراد.

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني (ص٩٠ – ٩٢)، نهاية الإقدام للشهرستاني (ص٦٦).

(٣) انظر: أصول الدين للبغدادي (٣٢٠- ٣٢١)، التمهيد للباقلاني (٦٦ – ٦٧)، المعتمد لأبي يعلى (٥٧)، غاية المرام للآمدي (٢٠٦)، الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري (٢٥٢).

(٤) عزا القزويني في مفيد العلوم (٥٢)، هذا القولَ إلى بطليموس؛ وعلّل البغدادي في أصول الدين (٣٢١) هذا القول بأنهم زعموا أن زحلًا هو أعلى الكواكب السبعة.

طبيعة خامسة[١]، ليست فيه حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة، وليس بخفيف ولا ثقيل، وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر ناري، وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه. وقال بعضهم: الكواكب من جسم يشابه الحجارة. وقال بعضهم: هي من غيم يطفأ كل يوم وتستنير بالليل، مثل الفحم يشتعل وينطفئ. وقال بعضهم: جسم القمر مركب من نار وهواء.

وقال آخرون: الفلك من الماء والريح والنار، وأنه بمنزلة الكرة، وأنه يتحرك حركتين: من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق. قالوا: وزحل يدور الفلك في نحو من ثلاثين سنة، والمشتري في نحو من اثنتي عشرة سنة، والمريخ في نحو سنتين، والشمس والزهرة وعطارد في سنة، والقمر في ثلاثين يومًا[٢].

وقال بعضهم: أفلاك الكواكب سبعة: فالذي يلينا فلك القمر، ثم فلك عطارد، ثم فلك الزهرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشتري، ثم فلك زحل، ثم فلك الكواكب الثابتة[٣].

واختلفوا في مقادير أجرام الكواكب، فقال أكثر الفلاسفة: أعظمها جرمًا الشمس، وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الأرض[٤]، والكواكب الثابتة

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (٣٢٠).

(٢) تستغرق دورة زحل حول الشمس ٢٩.٥ سنة، والمشتري ١١.٨٦ سنة، والمريخ ٦٨٧ يوما، وعطارد ٨٧.٩٧ يوما، والزهرة ٢٢٥ يوما، والقمر ٢٧ يوما. وتتحرك الشمس حول مركز مجرة التبانة في مدار بسرعة ٨٠٠ ألف كم/ الساعة، مستغرقة قرابة ٢٥٠ مليون سنة لتكمل دورة واحدة.
انظر: المدخل إلى الفلك والتقويم (٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٩)، الأطلس الفلكي (٤٦)، استكشافات ومقدمة في علم الفلك (٢٢٨)، المحيط الكوني وأسراره (٦٨)، المنظومة الشمسية (١٣٤).

(٣) ترتيب الكواكب من حيث قربها من الشمس على النحو الآتي: عطارد، ثم الزهرة، ثم الأرض، ثم المريخ، ثم المشتري، ثم زحل، ثم أورانوس، ثم نبتون، ثم بلوتو. انظر: علم الفلك د. عبد السَّلام غيث (ص٨٣).

(٤) كتلة الشمس أكبر من كتلة الأرض بثلاثمائة ألف مرة. انظر استكشافات ومقدمة في علم الفلك (٢٤٠)، والمحيط الكوني (ص٥٥).

مقدار كل واحد منها نحو من أربع وتسعين مرة مثل الأرض[(١)]، والمشتري نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الأرض[(٢)]، والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض[(٣)]، قالوا: ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف ألف فرسخ وستمائة ألف فرسخ وأربعة وستون فرسخا.

وقال بعضهم: الفلك حي، والسماء حيوان، وفي كل كوكب نفس[(٤)].

قال قدماء الفلاسفة[(٥)]: والنجوم تفعل الخير والشر، وتعطي وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحس، وتؤثر في النفوس والأبدان، وإنها حية فعالة[(٦)].

ذكر تلبيسه على جاحدي البعث

قد لبَّس إبليس على خلق كثير فجحدوا البعث، واستهولوا الإعادة بعد البلاء، وأقام لهم شبهتين:

---

(١) كتلة أورانوس أكبر من كتلة الأرض بنحو خمسة عشر ضعفًا، أما نبتون فهو أكبر من كتلة الأرض قرابة سبع عشر مرة، وكتلة بلوتو أقل بـ٣.٣٣٣.٣ مرة من كتلة الأرض.
انظر: استكشافات ومقدمة في علم الفلك (ص ٣٧٠، ٣٧٥)، والمحيط الكوني وأسراره (ص١١٨).

(٢) كتلة المشتري أكبر ثلاثمائة مرة من كتلة الأرض. انظر: استكشافات ومقدمة في علم الفلك (ص٣٥١).

(٣)كتلة المريخ تقارب عُشر (١/ ١٠) كتلة الأرض. انظر: استكشافات ومقدمة في علم الفلك (ص٣٢٤).

(٤) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي ١٧٣، تهافت التهافت لابن رشد ٢/ ٧٣٠.

(٥) انظر التمهيد للباقلاني ٦٩، الفِصل لابن حزم (٥/ ١٤٨ - ١٤٩).

(٦) هذا هو التنجيم الذي تقدَّم تعريفه (ص ٢١٨)، وفاعلُوه ومعتقدُوه - كما قال ابن حزم في الفِصل (٥/ ١٤٨) - كُفار مشركون حلالٌ دماؤهم وأموالهم بإجماع الأمة، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ: «**قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر: فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مُطرنا بنوءٍ كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب..**». رواه البخاري، في كتاب التوحيد (١٣/ ٤٦٦ برقم ٧٥٠٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كفر من قال مُطرنا بالنوء (١/ ٨٣ برقم ١٢٥).
وانظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، مقدمة ابن خلدون (٣/ ١١٤٩)، فتح المجيد (٢٥٥)، التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام لعبد المجيد المشعبي (ص٢٥٥) وما بعدها.

إحداهما: أنه أراهم ضعف المادة.

والثانية: اختلاط الأجزاء المتفرقة في أعماق الأرض، قالوا: وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ إعادته؟!

وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى في الأولى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[المؤمنون: ٣٥، ٣٦]، وقال في الثانية: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[السجدة: ١٠].

وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم(١):

يخبرنـــا الرســـول بـــأنْ ســـنحيا ** وكيـــف حيـــاة أصـــداء وهـــام

وقال آخر(٢):

حيـــاةٌ ثـــم مـــوتٌ ثـــم نـــشرٌ ** حـــديثُ خُرافـــةَ يـــا أُمَّ عمـــرِو

والجواب عن شبهتهم الأولى: أن ضعف المادة في الثانية وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة(٣).

ثم إن أصل الآدميين - وهو آدم - من تراب، على أن الله سبحانه لم يخلق شيئًا مستحسنًا إلا من مادة سخيفة، فإنه أخرج هذا الآدمي من نطفة، والطاووس من

---

(١) ورد هذا البيت في فتح الباري (٧/ ٣٠٣)، وقائله رجلٌ من كلب، وذكر ابن حجر بأن اسمه: أبو بكر شدّاد بن الأسود.

(٢) يُنسب هذا البيت لديك الجنّ الحمصي، واسمه: عبد السَّلام رغبان. انظر: ديوانه (ص ٧٩).

(٣) قال الحافظ ابن كثير: (أَوَ لم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماءٍ مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، أي: من نطفة من أخلاطٍ متفرقة. فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادرٍ على إعادته بعد موته!). التفسير (٣/ ٥٨٩).

البيضة المذرة، والطاقة الخضراء من الحبة العفنة[١].

فالنظر ينبغي أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته، لا إلى ضعف المواد، وبالنظر إلى قدرته **يحصل جواب الشبهة الثانية**.

ثم قد أرانا كالأنموذج في جمع المتمزق: فإن سحالة[٢] الذهب المتفرقة في التراب الكثير إذا ألقي عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده، فكيف بالقدرة الإلهية التي من تأثيرها خلق شيء لا من شيء!

على أنا لو قدرنا أن هذا التراب غير ما استحالت إليه الأبدان لم يضر؛ لأن الآدمي بنفسه لا ببدنه، فإنه ينحل ويسمن ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو.

ومن أعجب الأدلة على البعث: أن الله تعالى قد أظهر على أيدي أنبيائه ما هو أعظم من البعث، وهو قلب العصا حيوانًا[٣]، وإخراج ناقة من صخرة[٤]، وأظهر حقيقة البعث على يد عيسى عليه السلام[٥]، وقد زدنا هذا شرحًا في الرد على الفلاسفة[٦].

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه، ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا في البعث، فقال قائلهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾

---

(١) لعلّ المصنّف يقصد العالم الأرضي، وإلّا فالملائكة لا شكّ في حسنها وقد خلقت من نور.

(٢) **سُحالة**: السُّحالةُ ما سقط من الذهب والفِضة ونحوِهما إذا بُرِدا. مختار الصحاح، اللسان (سحل).

(٣) يُشير المؤلف رحمه الله إلى عصا نبي الله موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧].

(٤) هي ناقةُ نبيِّ الله صالح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣].

(٥) كما قال الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

(٦) انظر: (ص ١٨١).

[الكهف: ٣٦]، وقال العاص بن وائل: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، وإنما قالوا هذا لموضع شكهم، ولبَّس عليهم إبليس في ذلك، فقالوا: إن كان بعث فنحن على خير؛ لأن من أنعم علينا في الدنيا بالمال لا يمنعناه في الآخرة.

وهذا غلط منهم؛ لأنه يجوز أن يكون الإعطاء استدراجًا أو عقوبة(١)، والإنسان قد يحمي ولده ويطلق في الشهوات عبده.

ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ

وقد لبَّس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ(٢)، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيِّرة فاستراحت، وأرواح أهل الشر تدخل في أبدان شريرة فتحمل المشاق، وهذا المذهب(٣) ظهر في زمن فرعون موسى.

---

(١) كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وكقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥- ٥٦].

(٢) **التناسخ**: هو عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تخلل زمان بين التعلُّقين، وهو انتقال على التأبيد بناء على القول بقدم العالم وإنكار المعاد. وهو عند القائلين بالتناسخ ثلاثة أقسام:
١- إذا تعلق روح الإنسان ببدن إنسان، يُسمَّى نسخًا.
٢- إذا تعلق روح الإنسان ببدن حيوان، يُسمَّى مسخًا.
٣- إذا تعلق روح الإنسان ببدن نباتي، يُسمَّى فسخًا.
انظر: التعريفات للجرجاني (٨١)، الكليات لأبي البقاء (٣٠٥)، التوقيف للمناوي (٢٠٨)، مفردات القرآن للراغب (٨٠٢)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٥)، الحور العين للحميري (١٤٦).

(٣) قال الرازي في كتاب الزينة (٣٠٨): (أصناف الغُلاة كلهم متفقون على القول بالتناسخ على اختلاف مقالاتهم ومع تباينهم في المذاهب والأديان، من اليهود والنصارى، والمجوس، والمسلمين. وكذلك قوم من الثنوية، ومن الفلاسفة). وفصّل البغدادي في القائلين بالتناسخ فيمن ينتسب إلى الإسلام، بأنهم من جملة القدرية، كالخابطية التي تنتسب إلى أحمد بن خابط من المنتسبين إلى النظّام، وهو صاحب ضلالات في التوحيد والقدر. ومن جملة الرافضة: الغالية، كالبيانية، والجناحية، والخطّابية، فإنها كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم.
انظر: الفرق بين الفرق (٢٧٠-٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٧)، التبصير في الدين للإسفراييني (١٣٦-١٣٨).

وذكر أبو القاسم البَلْخِي: أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم، استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أولا لمعنى أكثر من أنها مملوكة، فصحَّ عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال(١).

وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي أن الهند(٢) يقولون: الطبائع أربع: هيولى مركبة، ونفس، وعقل، وهيولى مرسلة.

فالمركبة هي الرب الأصغر، والنفس هي الهيولى الأصغر، والعقل الرب الأكبر، والهيولى هو أيضا أكبر.

وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركب، فإن كانت محسنة صافية قبلها في طبعه، فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس، ثم يصفي ذلك الروح بمجاورة النفس، حتى تصير إلى الرب الأكبر، فيخلصه إلى الهيولى الأكبر.

فإن كان محسنا تام الإحسان أقام عنده في العالم البسيط، وإن كان محسنا غير تام أعاده إلى الرب الأكبر، ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر، ثم يعيده الهيولى

---

(١) جاء في كتاب «منو سمرتي» أو «شرع منو» - وهو كتاب يشرح أحكام الديانة الهندوكية وعباداتها شرحًا تامًا - في الباب الثاني عشر، المتعلق بالتناسخ، ما يلي:
- الفقرة ٩: يغدو المرءُ، جزاء أعماله السيئة، التي ارتكبها بجسمه، في خلقته الثانية، جمادًا. والتي ارتكبها بلسانه طيرًا أو حيوانًا، وينحط إلى الفِرق السافلة نتيجة ارتكابه أعمالًا سيئة بعقله.
- الفقرة ٧٤: إن الحمقى الذين يكرّرون ارتكاب الآثام يقاسون أنواع العذاب في خلق متعددة.
- الفقرة ٧٧: ويخلقون في أرحام محتقرة تسبب لهم التعاسة الدائمة، والتأثر بالقرّ والحرّ، ويصابون بأنواع المخاوف. شرع منو: (ص٤٠٧، ٤١٥)، ترجمة د. إحسان حقّي. وقارن مع تحقيق ما للهند (٤٥-٤٦).
ويجعلون ما يُصيبهم من بلايا ومحن في الدنيا أنه (جزاء ما كسبناه في الدار الأولى قبل هذه الأبدان). تحقيق ما للهند للبيروني (٤١).

(٢) قال البيروني: (التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعدّ من جملتها). تحقيق ما للهند (٣٨).

الأصغر إلى الرب الأصغر، فيخرجه ممازجًا لشعاع الشمس حتى تقلبه حشيشة يأكلها الإنسان، فيتحول إنسانًا ويولد ثانية في العالم، وهكذا يكون حاله في كل موتة يموتها.

وأما المسيئون فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم، فتصير الروح في بهيمة، ثم تنسخ من بهيمة في أخرى عند موت تلك البهيمة، فلا يزال منسوخًا مترددًا في العالم، ويعود كل ألف سنة إلى صورة الإنس، وإن أحسن في صورة الإنس لحق بالمحسنين[١].

قال المصنف: قلت: انظر إلى هذه الترتيبات التي زينها لهم إبليس على ما عَنَّ له لا تستند إلى شيء!

أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزاز، قال أنبأنا علي بن المحسن، عن أبيه، قال: حدثني أبو الحسن علي بن نظيف المتكلم، قال: كان يحضر معنا ببغداد شيخ للإمامية يُعرف بأبي بكر بن الفلاس، فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع، ثم صار يقول بمذهب أهل التناسخ، قال: فوجدته بين يديه سنور سوداء وهو يمسحها ويحك بين عينيها، ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك، وهو يبكي بكاء شديدًا فقلت له: لم تبكي؟ فقال: ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها، هذه أمي لا شكَّ، وإنما تبكي من رؤيتها إليَّ حسرة، قال: وأخذ يخاطبها

(١) أسهب البيروني في «تحقيق ما للهند» في ذكر مذاهب الهند في عقيدة التناسخ، نقلًا عن كتَّابهم ومتقدميهم، ومما جاء في كتاب «سانك» الذي نقل عنه في ثواب المحسنين وعقاب المسيئين أن: (من استحق الاعتلاء والثواب فإنه يصير كأحد الملائكة، مخالطًا للمجامع الروحانية، غير محجوب عن التصرف في السموات والكون، مع أهلها أو كأحد أجناس الروحانيين الثمانية. وأما من استحق السُّفول بالأوزار والآثام، فإنه يصير حيوانًا أو نباتًا، ويتردد إلى أن يستحق ثوابًا فينجو من الشدة، أو يعقل ذاته فيخلي مركبه ويتخلص). تحقيق ما للهند (٤٨-٤٩). وانظر: البوذية للدكتور عبد الله نومسوك (ص٢٢١-٢٣٢).

خطاب مَنْ عنده أنها تفهم عنه، وجعلت السنور تصيح قليلًا قليلًا، فقلت له: فهي تفهم عنك ما تخاطبها به؟ فقال: نعم. فقلت: أفتفهم أنت عنها صياحها؟ قال: لا. قلت: فأنت إذا المنسوخ وهي الإنسان[١].

ذكر تلبيس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات

دخل إبليس على هذه الأمة في عقائدها من طريقين:

أحدهما: التقليد للآباء والأسلاف[٢].

والثاني: الخوض فيما لا يدرك غوره أو يعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه، فأوقع أصحاب هذا القسم في فنون من التخبيط.

• **فأما الطريق الأول:** فإن إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه، والصواب قد يخفى والتقليد سليم، وقد ضل في هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس، فإن اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم، وكذلك أهل الجاهلية، واعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم، لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد؛ لئلا يوقع في ضلال.

---

(١) أخرجه القاضي أبو علي التنوخي في نشوار المحاضرة (٨/ ٧٠-٧١).

(٢) وهذا كان أعظم أصلٍ بني عليه دين الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٤]. قال العلّامة الألوسي: (أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد، لا يحكّمون لهم رأيًا، ولا يشغلون فكرًا، فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصرٍ كان). وقال: (لو كانت لهم أعينٌ يبصرون بها، وآذان يسمعون بها لعرفوا الحق بدليله، وانقادوا لليقين من غير تعليله، وهكذا أخلافهم وورّاثهم، قد تشابهت قلوبهم). المسائل التي خالف فيها رسول الله الجاهلية (٦٢، ٦٥). وانظر الكتاب نفسه (تحقيق السعيد) (١/ ١٥٨ - ١٧٧، ١٩٠ - ١٩١).

وقد ذم الله سبحانه الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم، فقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾[الزخرف: ٢٢-٢٤]، المعنى: أتتبعونهم؟! وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[الصافات: ٦٩-٧٠].

واعلم أن المقلد على غير ثقة مما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلم!

واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر لما قال، وهذا عين الضلال؛ لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل، كما قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ للحارث بن حوط وقد قال له: أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل[١]؟ فقال: يا حارث إنه ملبوس عليك؛ إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله[٢].

وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلًا[٣]، ولهذا أخذ أحمد بقول زيد في الجدّ وترك قول أبي بكر الصديق[٤]، فإن قال قائل: فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون؟

---

(١) أي: في خروجهما على علي رضي الله عنه، ومطالبتهما بدم عثمان رضي الله عنه.

(٢) أورد هذا الخبر اليعقوبي في تاريخه (٢/ ٢١٠)، والجاحظ في البيان والتبيين (٣/ ٢١١)، والمؤلف في صيد الخاطر (ص٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٢)، طبقات الحنابلة (١/ ٢١٦)، صيد الخاطر (ص٨٧)، وإعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠-٢٠١)

(٤) وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرى أن الجدّ يسقط جميع الإخوة والأخوات من جميع الجهات، كما يسقطهم الأب. أما زيد بن ثابت رضي الله عنه فإنه يورّث الإخوة والأخوات ولا يحجبهم بالجدّ.
ونصيب الجدّ هو الأحظّ من الشيئين: إما المقاسمة، وإما ثلث جميع المال. وهذا هو مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، وعليه عامة أهل العلم. انظر: المغني لابن قدامة (٩/ ٦٦ - ٦٩).

فالجواب: إن دليل الاعتقاد ظاهر(١) على ما أشرنا إليه في ذكر الدهرية، ومثل ذلك لا يخفى على عاقل، وأما الفروعيات فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على

---

(١) لا شك أن التقليد مذموم ومعيب، غير أنّه لابدّ من تفصيل حكمه نظرًا لاختلاف الأحوال، والأشخاص، والمصنّف رحمه الله في هذه المسألة يجنح إلى رأي جمهور الأشاعرة، وقد اختلف الأشاعرة في حكم إيمان المقلّد، على نحو ما سأبيّنه:
من اعتقد أركان الدين تقليدًا من غير معرفة بأدلّتها، وفيه حالتان:
الحالة الأولى: أن يعتقد جواز ورود الشُّبهة على إيمانه فتفسده، فهذا كافر.
الحالة الثانية: أن لا يعتقد جواز ذلك. ففيه خلاف:
أ- أنه مؤمن، وإن كان عاصيًا بترك النظر والاستدلال، وإن مات على ذلك فهو تحت المشيئة.
ب- القول الآخر: أنه بذلك الاعتقاد خرج من الكفر، غير أنه لا يستحق اسم المؤمن حتى يعرف بعض أدلة حدوث العالم، وتوحيد صانعه، وصحة النبوة.
وهذا القول الثاني هو مذهب جمهور الأشاعرة، وخالفهم الغزالي إذا صحّح إيمان المقلّد. انظر أصول الدين للبغدادي (ص٢٥٤ - ٢٥٥)، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٨)، الأربعين في أصول الدين له (ص٢٠).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أما المسائل الأصولية فكثير من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم، من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد، حتى على العامة والنساء، حتى يوجبه في المسائل التي تنازع فيها فضلاء الأمّة، قالوا: لأن العلم بها واجب، ولا يحصل العلم إلا بالنظر الخاص. وأمّا جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك، فإن ما وجب علمه إنما يجب على من يقدر على تحصيل العلم، وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق، فكيف يُكلَّفُ العلمَ بها! وأيضًا فالعلم قد يحصل بلا نظر خاص، بل بطرق أخرى من اضطرار، وكشف، وتقليد من يعلم أنّه مصيب، وغير ذلك). مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٢). وانظر: مجموعة الرسائل المنيرية (٣/ ٢٠٢ - ٢٠٤).
وقال الإمام ابن الصَّلاح في معرِض كلامه عن حديث ضمام بن ثعلبة الذي رواه البخاري في كتاب العلم، باب القراءة والعرض على المحدث (١/ ١٤٨ رقم ٦٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإيمان (١/ ٤١ رقم ١٢) عن أنس، وفيه قال ضمام: يا محمد: أتانا رسولك فزعم لنا أنّك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: «**صدق**»، ثم قال ﷺ في آخر الحديث: «**لئن صدق ليدخلن الجنة**». قال ابن الصلاح: (وفي هذا الحديث دلالة على صحة ما ذهب إليه أئمة العلماء في أن العوام المقلِّدين مؤمنون، وأنه يُكتفى منهم بمجرد اعتقادهم الحق جزمًا من غير شكّ وتزلزل، خلافًا لمن أنكر ذلك من المعتزلة). صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ١٤٢.
قلتُ: وخلافًا كذلك للأشاعرة. انظر: الإنصاف للباقلاني (ص٣٣)، وأصول الدين للبغدادي (ص٢٥٤ - ٢٥٥)، ومحصل أفكار المتقدمين للرازي (ص٦١).

العامي عرفانها، وقرب أمر الخطأ فيها؛ كان أصلح ما يفعله العامي التقليد فيها لمن قد سبر ونظر، إلا أن اجتهاد العامي في اختيار مَن يقلده[١].

فصل

• **وأما الطريق الثاني:** فإن إبليس كما تمكَّن من الأغبياء فورَّطهم في التقليد وساقهم سوق البهائم، رأى خلقًا فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكُّنه منهم:

○ فمنهم من قبَّح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر، ثم استغوى كلًّا من هؤلاء بفن:

- **فمنهم** من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز، فساقهم إلى مذهب الفلاسفة، ولم يزل بهؤلاء حتى خرجوا عن الإسلام، وقد سبق ذكرهم في الرد على الفلاسفة[٢].

- **ومنهم** من حسَّن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه، فيقال لهؤلاء: أبالحواس علمتم صحة قولكم؟ فإن قالوا: نعم، كابروا؛ لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا، إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف، وإن قالوا: بغير الحواس؛ نقضوا قولهم.

- **ومنهم** من نفره إبليس عن التقليد وحسَّن له الخوض في علوم الكلام، والنظر في أوضاع الفلاسفة؛ ليخرج - بزعمه - عن غمار العوام.

---

(١) أي: تقليد من يعلم أنه مصيب، كما ورد في كلام شيخ الإسلام السابق.

وقال الإمام ابن عبد البرّ: (إن العامة لابدّ لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبيّن موقع الحجة، ولا تصل - لعدم الفهم - إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة. ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]. جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٨٩). وانظر: مجمع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٢ - ٢٠٤).

(٢) انظر: (ص ١٧٤).

وقد تنوعت أحوال المتكلمين، وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وببعضهم إلى الإلحاد!

ولم يسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزًا، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلًا ثم يرد الصحيح عليلًا، فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه(١)، حتى قال الشافعي: لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك، خير له من أن ينظر في الكلام(٢). قال: وإذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له(٣). وقال: وحكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام(٤)!

(١) يؤيد ذلك ما ورد عن الخطابي في كتابه «الغنية عن الكلام وأهله» قال: (اعلم أن الأئمة الماضين، والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجزًا عنه، ولا انقطاعًا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وكان في زمانهم هذه الشبه والآراء، وهذه النحل والأهواء، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها، وحذروه من سوء مغبتها، وقد كانوا على بينة من أمرهم، وعلى بصيرة من دينهم، لما هداهم الله به من توفيقهم، وشرح به صدورهم من نور معرفته). بيان تأسيس الجهمية (١/ ٢٥٣). وانظر: درء التعارض (٧/ ٢٨٦ – ٢٨٧)، صون المنطق للسيوطي (١/ ١٣٩ – ١٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص١٨٢)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٣٤ رقم ٦٦١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٦ رقم ٣٠٠).

(٣) رواه ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤١ رقم ١٧٩٣) من طريق يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي به بلفظه. وأخرجه الهروي في ذمّ الكلام (ص٢٥٣) من طريق يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي بلفظ: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى والشيء غير المشيء، فاشهد عليه بالزندقة.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦)، وأبو الفضل المقرئ في ذمّ الكلام (ص٩٨)، والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٦٢)، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص٧٨)، وابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤١ رقم ١٧٩٤)، والهروي في ذمّ الكلام (ص٢٥٢) من طرق عن الشافعي به بلفظه.

وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب كلام أبدًا، علماءُ الكلام زنادقةٌ[١].

قال المصنف: قلت: وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة إلى أنهم قالوا: إن الله تعالى يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها[٢]. وقال جهم بن صفوان: عِلْم الله وقدرته وحياته محدثة[٣]. وحكى أبو محمد النُّوبَخْتي عن جهم أنه قال: إن الله ﷻ ليس بشيء[٤].

وقال أبو علي الجبائي وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين: المعدوم شيء وذات ونفس وجوهر وبياض وحمرة وصفرة، وإن الباري لا يقدر على جعل الذات ذاتًا ولا العرض عرضًا ولا الجوهر جوهرًا، وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود[٥].

وحكى القاضي أبو يعلى في كتاب المقتبس قال: قال العلاف المعتزلي[٦]: لنعيم

---

(١) ذكره ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢)، وأخرج ابن السمعاني في كتابه «الانتصار لأهل الحديث» كما في صون المنطق (ص١٥٠) شطره الأخير فقط. وأخرجه ابن بطّة في الإبانة (٢/ ٥٣٨ رقم ٦٧٤)، ورواه ابن بطة أيضًا (٢/ ٥٣٩ رقم ٦٧٥).

(٢) لم أجد – بعد البحث – من نسب هذا الرأي إلى المعتزلة، بل هو مشهور عن ابن سينا، كما مرّ معنا. انظر: (ص ١٨٠).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/ ١٨٤)، أصول الدين للبغدادي (٩٥)، الفرق بين الفِرق له (٢١١)، الفِصل لابن حزم (٢/ ٢٩٣)، التبصير للإسفراييني (١٠٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٧ – ٩٨)، البرهان للسكسكي (٣٤ – ٣٥).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٠٢)، الفرق بين الفِرق (٢١١)، الحور العين (١٤٨)، البرهان للسكسكي (٣٤)، التنبيه والرد للملطي (١١٠).

(٥) هذه النص بتمامه عند أبي يعلى في «المعتمد في أصول الدين» (ص١٢٩). وانظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٨٠)، الفِصل لابن حزم (٥/ ٦٩ – ١٥٥) وعزا هذا القول إلى سائر المعتزلة، عدا هشام الفوطي. والشامل للجويني (١٢٤ وما بعدها) وعزا هذا الرأي إلى معتزلة البصرة.

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/١٧٨)، الفرق بين الفِرق (١٢٢)، أصول الدين للبغدادي (٩٤)، الفِصل لابن حزم (٥/ ٥٨)، التبصير للإسفراييني (٧٠)، اعتقادات الرَّازي (٣٢)، مذاهب الإسلاميين د. بدوي (١/ ١٥٣).

أهل الجنة وعقاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه، ولا تصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه؛ لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شرّ، ولا نفع فيه ولا ضرّ. قال: ويبقى أهل الجنة خمودًا سكوتًا، لا يفيضون بكلمة ولا يتحركون حركة ولا يقدرون ولا ربهم على فعل شيء من ذلك؛ لأن الحوادث كلها لابد لها من آخِر تنتهي إليه لا يكون بعده شيء.

قال المصنف: قلت: وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البَلْخِي في (كتاب المقالات): أن أبا الهذيل اسمه محمد بن الهذيل العلاف، وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم، وانفرد بأن قال[1]: أهل الجنة تنقضي حركاتهم، فيصيرون إلى سكون دائم، وأن لِـمَا يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل -ولن يخرج- استحال أن يوصف الله بالقدرة على غيره. وكان يقول[2]: إن علم الله هو الله، وإن قدرة الله هي الله.

وقال أبو هاشم[3]: من تاب من كل شيء إلا أنه شرب جرعة خمر فإنه يعذب كعذاب أهل الكفر أبدًا، وقال النظام[4]: إن الله لا يقدر على شيء من الشر، وإن إبليس يقدر على الخير والشر. وقال هشام الفوطي[5]: إن الله لا يوصف بأنه عالم لم

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٧٨)، الفرق بين الفِرق (١٢٢)، أصول الدين (٩٤)، الفِصل لابن حزم (٥/ ٥٨)، التبصير للإسفراييني (٧٠).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٧٧ – ١٧٨)، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٨٣)، الفرق بين الفِرق (١٢٧)، مذاهب الإسلاميين د. بدوي (١/ ١٤٧).

(٣) انظر: الفرق بين الفِرق للبغدادي (١٩٠ – ١٩١)، التبصير للإسفراييني (٨٧)، غير أنهما ذكرا أنه كان يقول: بأن التوبة لا تصح من ذنب، من الإصرار على قبيح آخر.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٣٢)، الفرق بين الفِرق (١٣٣ – ١٣٤)، الفِصل لابن حزم (٥/ ٥٩)، مذاهب الإسلاميين د. بدوي (١/ ٢١٠).

(٥) في مقالات الإسلاميين للأشعري: (١/ ٢٣٨): (كان – أي: الفوطي – إذا قيل له: لم يزل الله عالـمًا بالأشياء؟ قال: لا أقول لم يزل عالـمًا بالأشياء، وأقول: لم يزل عالـمًا أنه واحدٌ لا ثاني له).

يزل. وقال بعض المعتزلة: يجوز على الله سبحانه الكذب إلا أنه لم يقع منه[١]. وقالت المجبرة[٢]: لا قدرة للآدمي، بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل. وقالت المرجئة: إن من أقرَّ بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلًا[٣]، وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار.

قال ابن عقيل: ما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنديقًا، فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهي الخشية والمراقبة، وهدموا سياسة الشرع، فهم شرّ طائفة على الإسلام.

قال المصنف: قلت: وتبع أبو عبد الله محمد بن كرام فاختار من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أضعفها، ومال إلى التشبيه، وأجاز حلول الحوادث في ذات الباري سبحانه[٤]، وقال[٥]: إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام والجواهر، إنما يقدر على إنشائها.

---

(١) من باب – على مذهبهم – أنه تعالى قادرٌ على فعل القبيح، غير أن إجماع المعتزلة على أنه تعالى لا يفعل القبيح. انظر: مقدمة البحر الزخّار لابن المرتضى (٥٩)، طبقات المعتزلة له (٨)، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣١٣ – ٣٢٢).

(٢) هذا قول الجبرية الخالصة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفرق بين الفِرق (٢١١)، أصول الدين (١٣٤)، التبصير للإسفراييني (١٠٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٧).

(٣) هذا النص بنصِّه في «المعتمد في أصول الدين» لأبي يعلى (٢٠٩)، وانظر: الفِصل لابن حزم (٥/ ٧٣).

(٤) قال الشهرستاني: (ومن مذهبهم – أي: الكرامية – جميعًا: جواز قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى). الملل والنحل (١/ ١٢٥).

(٥) قال عبد القاهر البغدادي حاكيًا مذهب ابن كرّام في قدرة الله تعالى: (أما المخلوقات من أجسام العالم وأعراضه، فليس شيء منها مقدورًا لله تعالى). الفرق بين الفرق (٢٢٠)، وانظر: أصول الدين له (٩٣– ٩٤)، التجسيم عند المسلمين، د. سهير مختار (٢١٨).

وقالت السالمية[(١)]: إن الله يتجلى يوم القيامة لكل شيء في معناه، فيراه الآدمي آدميًّا والجني جنيًّا. وقالوا: لله سر، لو أظهره لبطل التدبير.

قال المصنف: قلت: فأعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة!

وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة ما رتبوه، وهؤلاء على الخطأ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين، ودرجت الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك، وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا إليه، وقد نقل إلينا إقلاع متيقظي المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله.

وأخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزاز، قال: نا صالح بن أحمد بن محمد الحافظ، قال: نا أحمد بن عبيد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: سمعت أحمد بن سنان، قال: كان الوليد بن أَبَانَ الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحدًا أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: فتتهموني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم[(٢)].

---

(١) **السالمية**: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم، المتوفى سنة ٢٩٧هـ، وابنه أبي الحسن أحمد بن سالم المتوفى سنة ٣٥٠هـ. وأبو عبد الله هذا هو صاحب سهل التستري وتلميذه وراوي كلامه. من أشهر رجالاتها أبو طالب المكي. ومذهبهم مزيج من كلام أهل السنة، وكلام المعتزلة، مع ميل إلى التشبيه، ونزعة صوفية اتحادية. انظر: طبقات الصوفية للسلمي (٤١٤)، الأنساب للسمعاني (٧/ ١٢)، طبقات الأولياء لابن الملقن (٢٣٦)، الغنية للجيلاني (١/ ٩٤)، حاشية منهاج السنة (١/ ١٥٧)، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د. سامي النشار (١/ ٢٩٤-٢٩٦).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٧١، ٤٧٢)، وذكره السيوطي في «صون المنطق» (ص١٤٦)، وأورده الذهبي في «السير» (١٨/ ٤٧٤)، وابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٥٠).

وكان أبو المعالي يقول: لقد خليت أهل الإسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغُصْت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق وهربًا من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص؛ فالويل لابن الجويني[1]!

وكان يقول لأصحابه: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به[2].

وقال أبو الوفاء بن عقيل لبعض أصحابه: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت[3]!

قال: وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك، وبكثير منهم إلى الإلحاد، تشم روائح الإلحاد في فلتات كلام المتكلمين، وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع، وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكم التي انفرد بها، ولا أخرج الباري من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في المنتظم (١٦/ ٢٤٥)، وابن تيمية في درء التعارض (٨/ ٤٧) وفي بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٢٢)، وابن القيم في الصواعق المرسلة (١/ ١٦٧ – ١٦٨)، والذهبي في السير (١٨/ ٤٧١)، والسبكي في طبقات الشافعية (٥/ ١٨٥)، والسيوطي في صون المنطق (ص١٨٣ – ١٨٤)، وغيرهم، بعضهم بلفظه وبعضهم بنحوه.

(٢) أخرجه ابن السمعاني في تاريخه كما في طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٨٦)، وابن الجوزي في المنتظم (١٦/ ٢٤٥).

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٥٠) من غير أن ينسبه إلى ابن عقيل، وإنما قال: قطع بعض الأئمة، فذكره بنحوه.وذكره بنصه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٥٢).

قال: ولقد بالغت في الأصول طول عمري، ثم عدت القهقرى إلى مذهب المكتب، وإنما قالوا: إن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليلات والتأويلات، فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل(١)، وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية؛ فسلم.

وبيان هذا أن نقول: أحبَّ أن يُعْرَف، أراد أن يُذكر، فيقول قائل: هل شغف بإيصال النفع؟ هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان؟ ومعلوم أن الدواعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس، وما يعقل ذلك إلا الذات، يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهي إليه محتاجة، فإذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعي، وذلك الحاصل يسمى غِنًى، والقديم لم يزل موصوفًا بالغنى منعوتًا بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض، ثم إذا نظرنا في إنعامه رأيناه

---

(١) هذا الكلام يدور حول مسألة تعليل أفعال الله تعالى، والمقصود به: تعليل أفعال الله تعالى بالحِكم والغايات الحميدة، فالذي عليه السلف ودل عليه الشرع في مواضع كثيرة: أن أفعال الله تعالى معلّلة بعلل غائية وحكم، وهي على ضربين:

الضرب الأول: حكمة تعود إليه تعالى، يحبها ويرضاها.

الضرب الثاني: حكمة تعود إلى عباده، هي نعمة عليهم، يفرحون بها، ويلتذون بها، وهذا يكون في المأمورات وفي المخلوقات.

فالله - كما قال ابن القيم -: (سبحانه حكيم لا يفعل شيئًا عبثًا ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تُحصى). شفاء العليل (٣٨٠).

وخالف في هذه المسألة الأشاعرة الذين نفوا الحكمة وأنكروا التعليل، وقالوا: إن الله خلق المخلوقات، وأمر بالمأمورات، لا لعلة ولا لداعٍ ولا باعث، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصِرف الإرادة. أما المعتزلة فأثبتوا حكمة، هي مخلوقة ومنفصلة عن الخالق تعالى.

وابن عقيل هنا كأنه يجنح إلى نفي التعليل، وإثبات الحكمة، وهذا تناقض!

انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥-٣٦)، منهاج السنة (١/ ١٤١-١٤٤)، غاية المرام للآمدي (٢٢٤-٢٢٦)، نهاية الإقدام للشهرستاني (٣٩٧)، الحكمة والتعليل، د. المدخلي (٣٦-٤٣، ٥٠، ٦٢-٦٣)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣١٠-١٣١٢).

مشحونًا بالنقص والآلام وأذى الحيوانات، فإذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء، ورآه منزهًا بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله، وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد، فإذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى، وإنما دخل الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد، ودفع المضار على مقتضى قدرته، ولو مزجوا مع ذلك العلم بأنه حكيم لاقتضوا نفوسهم له التسليم بحسب حكمته، فعاشوا في بحبوحة التفويض بلا اعتراض(١).

فصل

وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس، فقال بعضهم: إن الله جسم، وهذا مذهب هشام بن الحكم، وعلي بن منصور، ومحمد بن الخليل، ويونس بن عبد الرحمن(٢).

ثم اختلفوا فقال بعضهم: جسم كالأجسام، ومنهم من قال: لا كالأجسام.

ثم اختلفوا، فمنهم من قال: هو نور، ومنهم من قال: هو على هيئة السبيكة البيضاء. هكذا كان يقول هشام بن الحكم(٣).

وكان يقول: إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه(٤)، وأنه يرى ما تحت الثرى بشعاع

---

(١) انظر: التعليقة السابقة في موضوع: الحكمة والتعليل.

(٢) هؤلاء كلهم من رجال الرافضة، ومؤلّفي كتبهم. انظر: الفهرست للطوسي الشيعي (١٧٤ - ١٨١)، فِرق الشيعة للنوبختي (٧٩ - ٨١)، أوائل المقالات للمفيد (ص٣)، الفهرست لابن النديم (٣٧٢ - ٣٧٤)، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٣٤ - ١٣٥)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٢٥)، الغنية للجيلاني (١/ ٨٧)، منهاج السنة (١/ ٧١)، (٢/ ٢٢٠).

(٣) هذه الأقوال كلها مروية عن هشام بن الحكم، فقد حكاها عنه غير واحدٍ من كتَّاب المقالات.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٨)، الفرق بين الفِرق (٦٥)، أصول الدين للبغدادي (٧٣)، التبصير للإسفراييني (١٢٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢١٦)، البرهان للسكسكي (٧٢).

متصل منه بالمرئي[١].

قلت: وما أتعجب إلا من حدّه بسبعة أشبار، حتى علمت أنه جعله كالآدميين، فالآدمي طوله سبعة أشبار بشبر نفسه!

وذكر أبو محمد النوبختي[٢]، عن الجاحظ، عن النظام، أن هشام بن الحكم قال في التشبيه في سنة واحدة خمسة أقاويل، قطع في آخرها أن معبوده بشبر نفسه سبعة أشبار، وأن قومًا قالوا: إنه على هيئة السبيكة[٣]، وأن قومًا قالوا: هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التي من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة[٤]، وقال هشام: هو متناهي الذات[٥]، حتى قال: إن الجبل أكبر منه[٦]، قال: وله مائية يعلمها هو[٧].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٨)، الفرق بين الفِرق (٦٦).
(٢) هذا النقل بنصّه عند الأشعري في مقالاته (١/ ١٠٨)، وانظر اعتقادات الرازي (٩٧)، طبقات المعتزلة لابن المرتضى (٥٤).
(٣) هو قول هشام بن الحكم. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٨)، الفَرق بين الفِرق (٦٥)، التبصير للإسفراييني (٤٠)، الغنية للجيلاني (١/ ٩٣)، اعتقادات الرازي (٩٧)، البرهان للسكسكي (٧٢).
(٤) هذا قول هشام بن الحكم كذلك. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٨)، الفَرق للبغدادي (٦٥) وذكر اللؤلؤة بدل البلورة، والتبصير للإسفراييني (٤٠)، الحور العين للحميري (١٤٩ - ٢٥٤) وذكر السنبلة والدّرة بدل البلّورة، واعتقادات الرازي (٩٧) وقد ذكر الشمع بدل البلورة.
(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٦)، الفرق بين الفِرق (٦٥)، التبصير للإسفراييني (٣٩ - ٤١)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢١٦).
(٦) حكى الأشعري في مقالاته (١/ ١٠٦-١٠٧، ٢٨١)، والبغدادي في الفرق (٦٦)، والحميري في الحور العين (٢٥٤) أن أبا الهذيل ذكر في بعض كتبه أنه لقى هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس، فسأله: أيهما أكبر: معبوده أم هذا الجبل؟ فقال هشام: هذا الجبل يوفي عليه. أي: هو أعظم منه.
وانظر: أصول الدين للبغدادي (٧٣)، مذاهب الإسلاميين د. بدوي (١/ ١٢٧)، والذي في الغنية للجيلاني (١/ ٩٣) أنه قيل لهشام: ربك أعظم أم أُحُد؟ فقال: ربي أعظم.
(٧) لم أهتد - بعد البحث - إلى مظنة هذا القول. فالله أعلم.

وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضًا وكمية، وذلك ينقض القول بالتوحيد، وقد استقر أن المائية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر، فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها، والحق سبحانه ليس بذي جنس ولا مثل له، ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته متناهية لا على معنى أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية، إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر(١) فتلزمه النهاية. قال النُّوبَخْتي: وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل

ووجدت ابن المرتضى في البحر الزخار (١/ ٥٥-٥٦) ذكر أن النُّوبَخْتي حكى عن المعتزلة، والزيدية، وأكثر الخوارج، والمرجئة: أن الباري تعالى ليس بذي ماهية يختص بعلمها. وخالفهم: أبو الحسين، وضرار، وحفص، وقالوا: هو كذلك.

قلت: ما حُكي عن هشام، وأبي الحسين، وضرار، وحفص هو الحق وهو الصواب.

(١) من تلبيسات الجهمية أنهم إذا قالوا: إن الباري تعالى ليس بجسم، أوهموا الناس أنّه ليس من جنس المخلوقات، ولا مثل أبدان الخلق، وهذا المعنى صحيح، ولكن مقصودهم من ذلك أنه تعالى لا يُرى، ولا يتكلّم بنفسه، ولا يقوم به صفة، ولا هو مباين للخلق، وأمثال ذلك. وقد انخدع بهذه التلبيسات خلقٌ كثير، حتى نفوا الصفات الثابتة لله تبارك وتعالى، بحجة استلزامها للجسمية، وهكذا في تسلسل أدّى إلى التعطيل المحض. ومن هذا القبيل ما قرّره المصنِّف - عفا الله عنَّا وعنه - هنا.

أما الكلام في الجسم والجوهر، ونفيها أو إثباتها، فإنه بدعة ليس لها أصل في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولا تكلّم أحدٌ من السّلف والأئمة بذلك، لا نفيًا ولا إثباتًا. كما أن لفظ «الجسم» من الألفاظ المجملة، ومنهج السَّلف هو التفصيل في الأمور المجملة، مع ترجيحهم عدم إطلاق الألفاظ والمصطلحات غير الواردة في الشرع. لذلك كان التفصيل في لفظ «الجسم» على النحو التالي:

- **من قال إن الباري تعالى جسم:**

هل المقصود من قولهم بأن الله تعالى «جسم» أنه مركَّب من الأجزاء كالذي كان متفرقًا فَرُكِّب؟ أو أنه يقبل التفريق؟ أو أنّه من جنس شيء من المخلوقات؟ فإن كان هذا هو المقصود، فلا شك في بطلان هذا القول من كل الوجوه.

أم هل المقصود من هذا اللفظ أنه تعالى موجود أو قائم بنفسه، أو أنه موصوف بالصفات، أو أنه يُرى في الآخرة، أو أنّه يمكن رؤيته، أو أنه مباين للعالم، وهو تعالى فوقه، ونحو هذه المعاني الثابتة بالشرع والعقل؟ فهذه معان كلها صحيحة، ولكن إطلاق هذا اللفظ على هذا بدعة في الشرع: إذا اللفظ احتمل المعنى الحق والباطل لم يطلق، بل يجب أن يكون اللفظ مثبتًا للحق نافيًا للباطل.

- **ومن قال إن الباري تعالى ليس بجسم: استُفْصل عن مقصوده:**

⇐

بن سليمان[١] ونُعيم بن حماد[٢] وداود الحواري يقولون: إن الله صورة

هل المقصود أنه تعالى لم يركّبْه غيرُه. ولم يكن أجزاء متفرّقة فركّب؟ أو أنه لا يقبل التفريق والتجزئة كالذي ينفصل بعضه عن بعض؟

فهذه المعاني صحيحة، لكن أُدخل في هذا النفي المعاني السلبية، فجعل نفاة هذا اللفظ ما يوصف به الباري تعالى من صفات الكمال الثبوتية مستلزمة لكونه جسمًا، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى التعطيل المحض، ولهذا كل من نفى شيئًا قال لمن أثبته: إنه مجسّم. فغلاة النفاة من الجهمية والباطنية يقولون لمن أثبت لله تعالى الأسماء الحسنى: إنه مجسم. ومثبتة الأسماء دون الصفات من المعتزلة ونحوهم، يقولون لمن أثبت الصفات: إنه مجسم. ومثبتة الصفات دون ما يقوم به من الأفعال الاختيارية كالأشاعرة، يقولون لمن أثبت ذلك: إنه مجسم. وكذلك سائر النفاة.

وإن كان المقصود من إطلاق هذا اللفظ يستلزم نفي اتصافه تعالى بالصفات بحيث لا يُرى، ولا يتكلم بكلام يقوم به، ولا يباين خلقه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يعلو على شيء.. ونحو ذلك من المعاني السلبية التي لا يعقل أن يتصف بها إلا المعدوم؛ فلا شك في بطلان هذا الإطلاق ومخالفته للشرع وبدائه العقول والفِطر.

وما قيل في لفظ «الجسم» يُقال في لفظ «الجوهر»، وما شابهها من ألفاظ مجملة.

انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١١)، (٤/ ١٤٦ - ١٤٩)، منهاج السُّنة (٢/ ٢١١ - ٢١٤، ٥٤٩ - ٥٥٤)، شرح حديث النزول (٢٣٧ - ٢٤٣)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٠٢ - ١٠٦)، الصواعق المرسلة لابن القيّم (٣/ ٩٣٩ - ٩٤٣).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أما مقاتل بن سليمان فالله أعلم بحقيقة حاله. والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم انحراف على مقاتل بن سليمان، فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو نقلوا عنه [لعل هذه الجملة الأخيرة خطأ مطبعي ناشئ عن انتقال نظر]، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد. وقد قال الشافعي: من أراد التفسير، فهو عيال على مقاتل). منهاج السُّنة (٢/ ٦١٨ - ٦١٩).

وانظر الدراسة التي أجراها الدكتور عبد الله شحاتة في مقدمة تحقيق كتاب «الأشباه والنظائر» لمقاتل بن سليمان (٥٠ - ٥٣)، وممّا ذكره في استبعاد هذه التهمة عن مقاتل:

١- هذا القول مما انفردت به كتب المقالات والفِرق، دون كتب التراجم والتاريخ.

٢- كتب مقاتل خالية من الأقوال بالتجسيم.

وانظر: دراسة الأخ محمد السحيباني في كتابه «منهج الشهرستاني في كتاب الملل والنحل» (٤٠٤ - ٤٠٦) فقد ذكر أوجهًا أخرى في نفي تهمة التجسيم عن مقاتل بن سليمان.

(٢) الذي أرجحه أن هذا الكلام اختلق على نعيم بن حماد؛ لأن المشهور عنه هو ذم المشبهة، كما أنه كان من مثبتة الصفات على وفق مذهب السلف، فمن أقواله الجامعة في ذلك قوله: (من شبه الله بخلقه كفر،

لا

وأعضاء[(١)].

أفترَى هؤلاء يثبتون له القدم دون الآدميين، ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض وتلف؟!

ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيه ولا تمثيل). مختصر العلو (ص١٨٤).

وما نقله المصنف هو من اختلاق خصومه الجهمية، بعدما تركهم ورجع إلى الحديث، كما قال هو عن نفسه: (أنا كنت جهميًّا، فلذلك عرفتُ كلامهم، فلما طلبتُ الحديث عرفتُ أن أمرهم يرجع إلى التعطيل).

والمنقول عنه هنا هو النُّوبَخْتي الشيعي، الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة، كابن النُّوبَخْتي صاحب «الآراء والديانات، وأمثاله» منهاج السنة (١/ ٧٢)، وبخاصة إذا اعتبرنا ضعفه في الحديث وروايته المناكير؛ إذ من هذه الأخيرة كانت بليّته، ومن الأمثلة على ذلك روايته حديث أم الطفيل أنها سمعت النبي ﷺ، يذكر «**أنه رأى ربه تعالى في المنام في أحسن صورة، شابًا موفرًا، رِجلاه في خُف..**»، الذي بسببه هجّنه يحيى بن معين وقال: ما كان ينبغي أن يحدّث بمثل هذا الحديث. وهذا الحديث - كما قال الذهبي - منكر جدًا.

أما من حديث ديانة الرجل والتزامه بالسنة، فهذا محلّ اتفاق بين أهل العلم، يكفيه أنه قُتل مظلومًا في فتنة خلق القرآن التي رفض أن يجيب المبتدعة إليها، فقتل مقيدًا ورُمي في حفرة، ولم يكفن ولم يصلّ عليه، رحمة الله عليه.

انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٦-٣١١)، السير (١٠/ ٦٠٢)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٠٩)، الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٦٨).

(١) الكلام في هذا النقل من جانبين:

الجانب الأول: قوله: إن الله صورة: فهذا من ابن الجوزي حكاية لقول على ما فهمه هو بناءً على اعتقاده في نفي الصورة، وليست نقلًا لقول بنصه؛ لأن ثبوت الصورة لله ﷻ كثبوت سائر الصفات التي جاءت منصوصة في الكتاب والسنة، ومنها قوله ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة..**».

قال ابن قتيبة: (الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيف ولا حدّ). تأويل مختلف الحديث (ص٢٢١).

وانظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/ ٣٩-٩٩)، الآثار الواردة عن أئمة السلف لجمال بادي (١/ ٢٨٥-٢٩٦).

الجانب الثاني: المنقول عن داود أنه قال بأن الباري **تعالى** جسم، كما سيأتي بعد قليل في كلام المصنف. والخطأ العظيم هو في إثبات الأعضاء لله تعالى على مثال الجوارح، كما هو في نفي صفة ثابتة لله **تعالى**.

ثم يقال لكل من ادعى التجسيم: بأي دليل أثبتَّ حدثَ الأجسام المشاهدة؟ وذلك يدلك على أن الإله الذي اعتقدته جسمًا محدثًا غير قديم.

ومن قول المجسمة: إن الله تعالى يجوز أن يمس ويلمس[١]، فيقال لهم: فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق، وقال بعضهم: إنه جسم هو فضاء، والأجسام كلها فيه[٢].

وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده رجل من نور كله، وأنه على صورة رجل، وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه[٣]، فقتله خالد بن عبد الله.

وكان المغيرة بن سعيد [البجلي][٤] يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور، وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة، وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء، وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين[٥].

وكان زرارة بن أعين يقول: لم يكن الباري عالمًا قادرًا حيًّا في الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات[٦].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٢٠).
(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٢).
(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٧)، الفرق بين الفِرق (٢٣٧)، أصول الدين (٧٣ - ٧٤)، الفِصل لابن حزم (٥/ ٤٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧٧)، الحور العين (١٦١، ٢٦٠)، اعتقادات الرازي (٨٧)، البرهان للسكسكي (٧٥).
(٤) في جميع النسخ (العجلي)، والمثبت من كتب الرجال، وهو الصواب.
(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٧٢ - ٧٣)، الفرق بين الفِرق (٢٣٨ - ٢٣٩)، أصول الدين (٧٤)، الفِصل لابن حزم (٥/ ٤٣)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٧ - ٢٠٨)، الحور العين للحميري (١٦٨، ٢٥٩)، الغنية للجيلاني (١/ ٨٨)، مُختصر التحفة (١٠ - ١١).
(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١١)، الفرق بين الفِرق (٧٠)، التبصير في الدين (١٢١)، المنية والأمل لابن المرتضى (٤٧).

وقال داود الجواربي[(١)]: هو جسم ولحم ودم، وله جوارح وأعضاء، وهو أجوف أجوف من فمه إلى صدره، ومصمت ما سوى ذلك[(٢)].

ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا: هو على العرش بذاته على وجه المماسة[(٣)]،

---

(١) في «أ»: (الحواري).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٣)، الفرق بين الفِرق (٢٢٨)، أصول الدين (٧٤)، الفِصل لابن حزم (٥/ ٤٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٢٠ - ١٢١)، الأنساب للسمعاني (٥/ ٥٤٣) وذكر أن هذا القول مأخوذ عن هشام بن سالم الجواليقي.

(٣) عزا المصنف هذا القول في كتابه «دفع شبه التشبيه» (ص٣٩) إلى ابن حامد من الحنابلة. وهو كما قال.
انظر: الروايتين والوجهين من مسائل أصول الديانات لأبي يعلى الفراء (ص٤٧).
والظاهر من كلام ابن الجوزي رحمه الله إنكاره للفظة «بذاته»، وهاهنا يتحتم علينا أن نبين بأن السلف أثبتوا نصوص الصفات على ظاهرها بألفاظها، وأثبتوا دلالة ألفاظها على حقائقها ومعانيها، كما عيّنوا المراد منها على ما يليق بالله تعالى، وذلك على القول في الذات سواء، مع تفويض الكيفية، ونفي الشبيه والمثال، والتنزيه عن التعطيل.
وكان تقرير السلف للتوحيد لتلقين المسلمين المعتقد الحق، يقتصر على ألفاظ نصوص الوحيين الشريفين، ولما ظهر البدع، ووجد في أقوال المبتدعة الشنيعة ما يخالف نصوص الوحي، تلبيسًا منهم وتشويشًا، اضطر علماء السلف الذين واجهوا تلك المذاهب إلى البيان عن عقيدة الكتاب والسنة بألفاظ تفسيرية محدودة، وهي من دلالة ألفاظ نصوص الصفات على حقائقها ومعانيها لا تخرج عنها.
وكان من هذه الألفاظ التفسيرية «بذاته»، «بائن من خلقه»، «حقيقة»، «في كل مكان بعلمه»، «غير مخلوق».
انظر: عن ابن أبي زيد، ورسالته، وعبث بعض المعاصرين بها (٢٠/ ٢٤) للعلامة د. بكر أبو زيد.
وعن لفظة «بذاته» التي أنكرها ابن الجوزي هنا فقد أورد ابن القيم رحمه الله من قال بها من كبار علماء السنة وأئمتهم، فقال: (ذكر ما حكاه أبو نصر السجزي عن أهل الحديث، قال: وأئمتنا كالثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن زيد، والفضيل، وأحمد، وإسحاق، متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان. وقول شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري، صاحب كتاب «منازل السائرين»، و«الفاروق»و«ذم الكلام» وغيره، صرّح في كتابه بلفظ الذات في العلو، وأنه استوى بذاته على عرشه، قال - أي الهروي -: ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك..). قال ابن القيم عقيبه: (ومن أراد معرفة صلابته في السنة والإثبات فليطالع كتابيه: «الفاروق»، و«ذم الكلام). اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٤٦، ٢٧٨-٢٧٩).
وانظر عقيدة السلف للصابوني (١٨٦)، السنة للإمام أحمد (٣٥)، الرد على الجهمية للدارمي (٤٠)، خلق أفعال العباد للبخاري (٣١)، مختصر العلو للذهبي (١٥١)، التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٢٩).

فإذا نزل انتقل وتحرك[١]، وجعلوا لذاته نهاية، وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار[٢]، واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول رسول الله ﷺ: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا..**»[٣]، وقالوا: ولا ينزل إلا من هو فوق.

---

(١) عزا المصنف هذا القول في كتابه «دفع شبه التشبيه» (ص٤٥) إلى أبي عبد الله بن حامد. وهو كما قال. انظر: الروايتين والوجهين لأبي يعلى (ص٥٥)، شرح حديث النزول لابن تيمية (٢١٠-٢١١). وممن أثبت الحركة والانتقال - كذلك - الإمام الدارمي رحمه الله، انظر كتابه «الرد على بشر المريسي» (ص٢٠). والحاصل أن من قال: إنه تعالى ينزل بحركة وانتقال، فقد زاد على ما جاء به النص ومن نفى ذلك، فقد نفى شيئًا لم يأت نص بنفيه، ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وأما الذين أمسكوا عن الأمرين، وقالوا: لا نقول: يتحرك، وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه؛ فهم أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه). ثم شرع في بيان المسلك الصحيح في التعامل مع الألفاظ المجملة التي تنطوي على معنيين: صحيح، وفاسد، كلفظ «الحركة» و«الانتقال» وغيرهما. مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٥-٤٨٦).

(٢) المصنف رحمه الله لم يحرر مذاهب الناس في الصفات الاختيارية التي اتصف بها الباري جل وعلا، ولذلك نجد هذا الخلط في إيراد المقالات، وذكر العقائد، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما شرع في تفسير مذاهبهم المختلفة بلوازمها الحسية، وهذا لم يكن منهج السلف الذين أثبتوا هذه الصفات الاختيارية.
وما نسبه لمثبتة الاستواء والنزول من القول بالمساحة والمقدار والنهاية على ذات الباري جل وعلا، لم نجد من فعله حتى في كتّاب المقالات من الأشاعرة وغيرهم، فهذا عبد القاهر البغدادي ينسب هذه الآراء إلى غلاة الرافضة كالهشامية، أتباع ابن الحكم أو الجواليقي، الذين زعموا أن معبودهم سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه على مقدار مساحة العرش، كما نسبها إلى الكرامية الذين زعموا أن الباري تعالى له حدّ واحد من جهة السفل، ومنها يلاقي العرش.
ونفي الصفات الاختيارية عن الباري تعالى، بحجة نفي الحدود، والأحياز، والجهات عنه تعالى، هو من الشبه التي شبّه بها الجهمية، وأوهموا الناس أن مقصودهم بذلك، أنه لا تحصره المخلوقات، ولا تحوزه المصنوعات، وهذا المعنى صحيح، لكن مقصودهم الصحيح أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه، وأنه لا يقدر على استواء، أو نزول، أو إتيان، أو مجيء.. فمن حاول التنزيه بعد ذلك سلك مسلك التأويل؛ هروبًا من التعطيل أو التشبيه، وتشبث بألفاظ تنقل عن بعض الأئمة، وتكون إما غلطًا أو محرّفة.
انظر: أصول الدين للبغدادي (ص٧٣)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٢/ ١١-١٢)، شرح حديث النزول (٢١٠-٢٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٩ رقم ١١٤٥)، و(١١/ ١٢٨ رقم ٦٣٢١)، و(١٣/ ٤٦٤ رقم ٧٤٩٤)، ومسلم ⟵

وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسي الذي توصف به الأجسام، وقد غلط المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس، وقد ذكرنا جمهور كلامهم في كتابنا المسمى بـ«منهاج الوصول إلى علم الأصول»(١).

وربما تخايل بعضُ المشبهة في رؤية الحق يوم القيامة ما يراه في الأشخاص(٢)، فيمثل شخصًا يزيد حسنًا على كل حسن، فتراه يتنفس من الشوق إليه، ويمثل الزيادة فيزداد شوقه، ويصور رفع الحجاب فيقلق ويذكر الرؤية فيغشى عليه، ويسمع في الحديث أنه يدني عبده المؤمن إليه فيتخايل القرب الذاتي(٣)، كما يجالس

(١/ ٥٢١ رقم ٧٥٨)، وأبو داود (٢/ ٧٦ رقم ١٣١٥)، والترمذي (٢/ ٣٠٧ رقم ٤٤٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٢٣ رقم ١٠٣١٣)، وابن ماجه (١/ ٤٣٤ رقم ١٣٦٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٥٨-٢٦٤).

(١) وقد تحدث ابن الجوزي في هذه الموضوعات كلها في كتابه «دفع شبه التشبيه»، وقد شحنه بالتأويلات والتحريفات لعقائد السَّلف، حتى استغلّه أفراخ المبتدعة في هذا الزمان للوقيعة في عقيدة سلف هذه الأمة. انظر: دفع شبه التشبيه (تحقيق الكوثري) و(تحقيق السقاف).

(٢) الذي عليه السلف - وهو الذي دلّت عليه النصوص - أن رؤية المؤمنين ربهم في الجنة تكون عيانًا لا يضامون في رؤيته، وذلك بعد أن يكشف الرحمن الحجاب، ففي الحديث الذي يرويه صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**». أخرجه مسلم (١/ ١٦٣ برقم ٢٩٧).

(٣) أخبر النبي ﷺ أن «**الله يدني عبده المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم إي ربّ. حتى إذا أقرّه بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك. قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**» رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨). فهذا الحديث العظيم والذي قبله دلّ على صفة جليلة من صفات المولى جلّ وعلا، وهي صفة القرب، وغالبًا ما ترد هذه الصفة خاصة، كالقرب من المحسنين، وكقربه تعالى من سائليه وعابديه، والقرب لا ينافي علوّه تعالى وفوقيته، ولا يقتضي المخالطة والمماسة، فالله تعالى عالٍ في دنوّه، وقريب في علوّه، والله تعالى يقرُب من خلقه كيف شاء، هذا الذي أثبته السَّلف، وهو من باب إثباتهم لقيام الأفعال الاختيارية بنفسه، كاستوائه تعالى على العرش، ونزوله، ومجيئه يوم القيامة. وما ذكره المصنِّف - دون عبارته التفسيرية (كما يجالس الجنس) - هو قولٌ للسلف.

ﷺ

الجنس، وهذا كله جهل بالموصوف!

ومن الناس من يقول: لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته(١)؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وله يد، وله أصبع؛ لقول رسول الله ﷺ: «**يضع السموات على أصبع**»(٢)، وله قدم(٣)، إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار، وهذا كله إنما

ومن ثمرات الإيمان بهذه الصفة العظيمة، استحضار القلب قرب الله تعالى منه حال الدعاء، فتكون مناجاته له في خفاء؛ ولهذا أثنى ربّنا جلّ وعلا على عبده زكريا فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، أمّا مَنْ جعل قرب عباده المقربين ليس إليه، وإنما هو إلى ثوابه وإحسانه، فهو معطِّلٌ مبطل.

انظر: شرح حديث النزول (ص٣١٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٢)، بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٧ وما بعدها)، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للفياض (ص٢٧٤).

(١) مسألة هل الصفة زائدة على الذات أم لا؟ من المسائل المجملة التي يجب فيها التفصيل كما مر معنا في لفظ الجسم وغيره، وعليه فإن أريد بهذه العبارة أن هناك ذاتًا مجردة قائمة بنفسها، منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح. وإن أريد بها أن الصفات زائدة على الذات التي يُفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة، فهذا حق. ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها، لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتًا وصفة، كُلًّا وحده. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٩٨-١٠٢).

أما صفة الوجه، فدل الكتاب والسنة وإجماع السلف، على أن لله تعالى وجهًا: ففي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك!**» فقال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك!**»، قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، فقال النبي ﷺ: «**هذا أيسر**». أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨٨ برقم ٧٤٠٦)، فهذا الحديث نص صحيح صريح في إثبات الوجه لله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع، منها(١٣/ ٣٩٣ رقم ٧٤١٤، ٧٤١٥)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ رقم ٢٧٨٦)، والترمذي (٥/ ٣٤٥ رقم ٣٢٣٨) بنحوه، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٤٦ رقم ١١٤٥١)، وأحمد في المسند (١/ ٣٢٤-٣٧٨).

(٣) يثبت أهل السنة لله تعالى قدمًا، دون تحريف أو تعطيل، ودون تكييف أو تمثيل، فهي صفة كريمة من صفاته تعالى الذاتية: فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم تقول**: هل من مزيد؟ **حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه، فتقول: قط قط، وعزتك. ويزوى بعضها إلى بعض**». أخرجه البخاري (١٣/ ٣٦٩ برقم ٧٣٨٤)، ومسلم واللفظ له (٤/ ٢١٨٧ برقم ٢٨٤٨).

استخرجوه من مفهوم الحس[١].

وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها[٢]، وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات[٣]، لا أنه صفة زائدة، وعلى هذا فسر الآية الآية المحققون[٤] فقالوا: ويبقى ربك، وقالوا في قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]: يريدونه، وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله: «**قلوب العباد بين أصبعين**»[٥]، أن الأصبع لما كانت هي المقلبة للشيء وأن ما بين الإصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء؛ ذَكَرَ ذلك[٦]، لا أن ثم صفة زائدة.

---

(١) ليس في إثبات الصفات لله تعالى، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، ليس في ذلك تجسيم على مقتضى الحس، والواجب على جميع الخلق التسليم والانقياد لما تضمنته الأخبار من صفات الباري جل وعلا، وعدم ضرب الأمثال لله تعالى، كما يجب ألا يفهم من صفات الخالق ما يُفهم من صفات المخلوق، وكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى بالاتصاف به، وكل نقص نُفي عن المخلوق فالخالق أولى بتنزهه عنه.

(٢) هذا الرأي يدل على ميل المصنف رحمه الله إلى التفويض، وعدم البحث في آيات الصفات وأحاديثها، وليس هذا منهج السَّلف في مثل هذه النصوص؛ إذ إنهم لما ورد عنهم «نفي التفسير» فالمقصود هو التفسير الباطل الذي يخوض في الكيفية، أو أنه تفسير الجهمية الذي يسمونه «تأويلًا»، كما شرح شيخ الإسلام عبارة السلف: «من غير تفسيره» فقال: (أراد به تفسير الجهمية المعطلة، الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات). مجموع الفتاوى (٥/ ٥٠). أما التفسير الحق الذي هو بيان المعنى من الناحية اللغوية، الذي يجعل الأمر محكمًا معلوم المعنى، فهذا التفسير أثبته السلف ولم ينفوه، كما جاء التفسير النبوي لمسألة الرؤية. انظر، مذهب أهل التفويض للقاضي (٣٧٠-٣٨٠).

(٣) قال ابن الجوزي في كتابه «المجالس» (ق ٢/ أ) يرد على من أوّل الوجه بالذات: (وقول المعتزلة: إنه أراد بالوجه الذات؛ فباطل، لأنه أضاف إلى نفسه، والمضاف ليس كالمضاف إليه، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه). وهو كما قال، قال العلامة ابن القيم: (إنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه). مختصر الصواعق (٤١٩).

(٤) بل هذا قول المعتزلة الذي أبطله المصنف نفسه في مجالسه (ق٢/ أ).

(٥) يشير إلى ما أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٤)، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٨-١٧٣)، والطبراني في الدعاء (٣/ ١٣٩١ رقم ١٢٦٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٧٢ رقم ٢٩٩).

(٦) هذا تفسير لدلالة الصفة، وهو لا يغني عن إثبات الصفة؛ لأن الواجب إثبات الصفة على ظاهرها =

والذي أراه السكوت عن هذا التفسير أيضًا[١]، إلا أنه يجوز أن يكون مرادًا، ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزّؤ والانقسام[٢].

ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية: إن الميت يأكل في القبر ويشرب وينكح[٣]؛ لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا، ولو قنعوا بما ورد في الآثار من «**أن أرواح المؤمنين تجعل في حواصل طير تأكل من شجر الجنة**»[٤]، لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد!

قال ابن عقيل: وهذا المذهب مرض يضاهي الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه في الهام والصَّدَى[٥]، فالمكالمة لهؤلاء ينبغي أن تكون على سبيل المداراة

بلفظها، وإثبات دلالة اللفظ على الحقيقة والمعنى، مع تفويض الكيفية، ونفي الشبيه والمثال.

(١) التفسير الذي ذكره المصنف رحمه الله انصبّ على دلالة النص، وهو صحيح فلا أدري ما وجه رأي المصنف في اختيار السكوت عنه كذلك، إلا أن يكون مال إلى التفويض هنا كذلك.. والله أعلم.

(٢) لا وجه لتقييد إثبات صفة الأصبع لله تعالى بنفي التجزؤ والانقسام على ذات الباري جل وعلا؛ لأنها اصطلاحات مجملة ومحدثة الأَوْلَى تركها، بل إن كان فاعلًا فليقيدها بقول: تليق به تعالى، أو على مراد الله ورسوله.. أو نحو هذا من العبارات التي استساغها السلف.

(٣) لم أقف على من نسب هذا الرأي إلى السالمية سوى المصنف رحمه الله، وأوسع من رأيته سرد مذاهب السالمية وآراءهم القاضي أبو يعلى في «المعتمد في أصول الدين» غير أنه لم يذكر عنهم ما ذكره المصنف عنهم هنا، فالله أعلم.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٦٦ رقم ١٤٤٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٦٤ رقم ١٢٢)، وفيه ابن إسحاق وقد عنعنه، وقد خالفه من هو أقوى منه: فرواه أحمد (٣/ ٤٥٥)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٦٣ رقم ١١٩)، عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، وهذا سند صحيح، وفيه أن الذي أقام الحجة على أم مبشر هو كعب بن مالك، بخلاف رواية ابن إسحاق.

(٥) ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يقولون: ليس من ميت يموت، أو قتيل يُقتل إلا ويخرج من رأسه هامة (وهي أنثى الصدى وهو ذكر البوم)؛ فإن كان قُتل ولم يؤخذ بثأره، نادت الهامة على قبره: أسقوني فإني صدية. ويزعمون أن الهامة لا تزال على ذلك عند ولد الميت في محلته بفنائهم، لتعلم ما يكون بعده فتخبره به، ومنه ما يُحكى عن الصلت بن أمية - شاعر جاهلي، اسمه عبد الله بن أبي ربيعة، أدرك النبي ﷺ ولم يسلم - أنه قال لبنيه:

لاستشعارهم، لا على وجه المناظرة؛ فإن المقاواة[١] تفسدهم، وإنما لبس إبليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل[٢]، فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفًا كأنه يقول: صاحب هذا القبر الروح التي كانت في هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار[٣].

فصل

فإن قال قائل: قد عِبْتَ طريق المقلدين في الأصول وطريق المتكلمين، فما الطريق السليم من تلبيس إبليس؟

هامي تخبّرني بما تستشعروا ** فتجنبوا الشنعاء والمكروها

انظر: مروج الذهب للمسعودي (٢/ ١٥٣-١٥٤)، بلوغ الأرب للآلوسي (٢/ ٣١١-٣١٢)، خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٢٤٧)، معجم الشعراء، د. عفيف عبد الرحمن (٣٠-٣١).

(١) **المقاواة**: المغالبة. القاموس المحيط (قوي).

(٢) وهو التأويل الذي يوافق ما دلّت عليه نصوص الشرع، وما كان كذلك لا يُذم ولا محذور فيه، وإن كان فيه صرفٌ للفظ عن ظاهره، ما دام هذا التفسير مأخوذًا من نصوص الشرع نفسها، والدليل عليه صحيح. قال شيخ الإسلام: (ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، ويُصرف الكلام عن ظاهره؛ إذ لا محذور في ذلك عند أحدٍ من أهل السنة، وإن سُمي تأويلًا وصرفًا عن الظاهر، فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السنة والسَّلف عليه.. والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسابقين). مجموع الفتاوى (٦/ ٢١)، وانظر: الصواعق المرسلة (١/ ١٨٧).

(٣) الصحيح الذي عليه السلف، ودلّت عليه نصوص الشرع أن الجزاء في البرزخ يقع على الأرواح والأبدان، بما يليق بتلك الدار. قال الإمام ابن القيم عند تعرضه لحديث عذاب القبر ونعيمه: (فيفتح -أي: للمؤمن - باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها. وفي الفاجر: فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها). قال: (ومعلوم قطعًا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب، كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده). وقال كذلك: (لو عُلق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح، لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه. ولو دفن الرجل الصالح في أتون النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظّه). الروح لابن القيم (١/ ٣٣٢-٣٣٣، ٣٣٥)، وانظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (١٧٩-١٨٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٧٩).

فالجواب: أنه ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوهم بإحسان: من إثبات الخالق سبحانه، وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار، من غير تنقير ولا بحث عما ليس في قوة البشر إدراكه، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: والله ما حكمت مخلوقًا، إنما حكمت القرآن(١)، وإنه المسموع لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦]، وإنه في المصاحف لقوله: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ٣]، ولا يتعدى مضمون الآيات ولا يتكلم في ذلك برأينا.

وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث(٢).

والعجب ممن يدعي اتباع هذا الإمام ثم يتكلم في المسائل المحدثة(٣)!

أخبرنا سعد الله بن علي الزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الطُرَيْثيثي، قال: أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه، قال: أخبرنا عمر بن أحمد الواعظ، قال: نا محمد بن هارون الحضرمي، قال: نا القاسم بن العباس الشيباني، قال: نا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: أدركت تسعة

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٢٨-٢٢٩ رقم ٣٧٠-٣٧١). وهذا سند ضعيف جدًا فيه عمرو بن جميع، متروك الحديث كما في الميزان (٣/ ٢٥١). ورواه اللالكائي أيضًا (٢/ ٢٢٩ رقم ٣٧٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٩٣-٥٩٤ رقم ٥٢٥)، كلاهما من طريق عتبة بن السكن الفزاري، وعتبة بن السكن متروك كما في الميزان (٣/ ٢٨).

(٢) ذكر ذلك عنه ابنه عبد الله كما في «كتاب السنة» (١/ ١٦٣-١٦٤-١٦٥)، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد (ص٢٦٤-٢٦٥)، وكذلك روى محمد بن جرير الطبري في صريح السنة (ص٢٦) عن أبي إسماعيل الترمذي قال: سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه -أي: أحمد بن حنبل- أنه كان يقول: من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» فهو جهمي، ومن قال: «هو غير مخلوق» فهو مبتدع.

(٣) كأن المصنف هنا يعرّض بأبي عبد الله بن حامد، وابن الزاغوني، والقاضي أبي يعلى، من الحنابلة. انظر: دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (ط. السقاف) (٩٨-٩٩).

من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر[١].

وقال مالك بن أنس: من قال: القرآن مخلوق؛ يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه[٢].

أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي الطُرَيْثيثي، قال: أخبرنا هبة الله الطبري، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن عثمان، قال: حدثنا محمد بن ماهان، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن جعفر بن برقان، أن عمر بن العزيز قال لرجل وسأله عن الأهواء فقال: عليك بدين الصبي في الكُتَّاب والأعرابي، وَالْهَ عما سواهما[٣].

قال ابن مهدي: ونا عبد الله بن المبارك، عن الأوزاعي، قال: قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة؛ فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة[٤].

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: نا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: نا بشر بن موسى، قال: نا خلاد بن يحيى، عن سفيان الثوري، قال: بلغني عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله: أوصيك

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٣٢،٢٣٤، ٣٨١،٣٨٠، ٣٨٣،٣٨٢)، وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١٦٣، رقم ٣٤٤).

(٢) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣١٤ رقم ٢٩٥) في سياق ما رُوي عن من أفتى فيمن قال: القرآن مخلوق.

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٥، رقم ٢٥٠)، ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٣٧٤)، والدارمي في «سننه» (١/ ٦٨، رقم ٣٠٩).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٥، رقم ٢٥١)، ورواه عبد الله في «زوائده على الزهد لأحمد» (ص٣٥٣)، والدارمي في «سننه» (١/ ٦٨، رقم ٣١٠).

بتقوى الله، واتباع سنة رسوله، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد كفوا مؤونته، واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق، فإن التابعين الماضين عن علم توقفوا وتَبَصُّرٍ ناقد كفوا[(١)].

وفي رواية أخرى عن عمر: ولَـهُمْ كانوا على كشف الأمور أقوى، وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا[(٢)].

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا بشر بن موسى، قال: نا عبد الصمد بن حسان، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: عليكم بما عليه الحمالون، والنساء في البيوت، والصبيان في الكُتَّاب: من الإقرار، والعمل[(٣)].

فإن قال قائل: هذا مقام عجز لا مقام الرجال!

فقد أسلفنا جواب هذا، وقلنا: إن الوقوف على العمل ضرورة؛ لأن بلوغ ما يشفي العقل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين في البحار؛ فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم.

ذكر تلبيس إبليس على الخوارج

قال المصنف: أول الخوارج وأقبحهم حالًا ذو الخويصرة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ١٨، رقم ٤٦١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣٨)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) انظر السابق.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٠)، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٧).

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا محمد بن فضيل، قال: حدثنا عُمارة بن القعقاع، عن ابن أبي نعم[1]، عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث عليٌّ من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروظ، لم تخلص من ترابها، فقسمها رسول الله بين أربعة، بين: زيد الخيل، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن علاثة، أو عامر بن الطفيل، شك عُمارة. فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا [تتمنوني]**[2] **وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباح مساء**». ثم أتاه رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز[3] الجبهة، كث اللحية، مشمر الإزار، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا رسول الله! فرفع رأسه إليه، وقال: «**ويحك! أليس أحق الناس أن يتقى الله أنا؟!**»، ثم أدبر، فقال خالد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فلعله يصلي**». فقال: إنه رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**». ثم نظر إليه النبي ﷺ وهو مقفٍّ فقال: «**إنه سيخرج من ضئضئ**[4] **هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**[5]**، يمرقون من الدين كما**

(١) في جميع النسخ (نعيم) وهو تحريف، والتصويب من مسند أحمد، ومصادر التخريج.

(٢) في «ج»: تأتمنوني.

(٣) في الأصل (انتر)، وفي «أ»: (ناشر). وفي «ت»: (انتر) غير منقوطة والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) ضئضئ: هو أصل الشيء ومعدنه. والمراد به النسل والعِقب. الغريب لأبي عيد (٣/ ١١٠)، والفائق (٢/ ٣٢٥)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩).

(٥) قال المصنف في كشف المشكل (٣/ ٤٨): (المعنى أنهم لا يفهمون ما فيه، ولا يعرفون مضمونه، فإن هذا الشخص – أي: ذا الخويصرة – لو عرف وجوب طاعة الرسول ﷺ من القرآن، وأنه على الحق في جميع أحواله؛ ما قال هذا، لكنه اقتصر على القراءة من غير تدبر لما يقرأ).

يمرق السهم من الرمية[١]»[٢].

قال المصنف: هذا الرجل يقال له: ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ: أنه قال له: اعدل. فقال: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل**»[٣].

فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وُفق لَعَلِمَ أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ.

وأتباع هذا الرجل الذين قاتلوا علي بن أبي طالب ﷺ، وذلك أنه لما طالت الحرب بين علي ومعاوية، رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب علي إلى

---

(١) **يمرق السّهمُ من الرمية:** أي إذا دخل السَّهم في الرمية ثم خرج منها لم يعلق منها شيء، فكذلك دخول هؤلاء في الإسلام ثم خروجهم منه: لم يتمسكوا منه بشيء. - الغريب لأبي عبيد (١/ ٢٦٦ - ٢٦٧).
وقد استدل بهذا الحديث من رأى كفر الخوارج، ومنهم ابن العربي المالكي في شرح الترمذي، والقرطبي في المفهم، وتقي الدين السُّبكي في فتاويه، ونقل الإجماع على كفرهم الملطي في التنبيه، وفيه بُعد. وقال الحافظ ابن حجر: (وقال الخطّابي: أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين، وأجازوا مناكحتهم، وأكل ذبائحهم، وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام.. وقال ابن بطّال: ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالًا للأمة وتكفيرًا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفّرهم، لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، كما ذُكرت الآثار عنهم بذلك).
انظر: عارضة الأحوذي لابن العربي (٩/ ٣٨)، والمفهم للقرطبي (٣/ ١١٠)، وفتاوى السبكي (٢/ ٥٦٩)، والتنبيه والرد للملطي (ص٦٥ - ٦٦)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩)، (١٢/ ٢٩٩- ٣٠٢)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٢١٧ - ٢١٨)، ومنهاج السنة (٥/ ٢٤٧ - ٢٤٨)، والخوارج د. ناصر العقل (ص٤٧ - ٥٤)، والخوارج ناصر السعوي (ص٢٠٢ - ٢٠٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٦٨، ٧٢، ٧٣)، وأخرجه البخاري (٨/ ٦٧، رقم ٤٣٥١)، ومسلم (٢/ ٧٤١، رقم ١٠٦٤)، وأبو داود (٥/ ١٢١، رقم ٤٧٦٤)، والنسائي (٥/ ٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٦١٧ رقم ٣٦١٠)، و(١٠/ ٥٥٢ رقم ٦١٦٣)، و(١٢/ ٢٩٠ رقم ٦٩٣٣)، وأحمد (٣/ ٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري.ورواه مسلم (٢/ ٧٤٠ رقم ١٠٦٣)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ٦١ رقم ١٧٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥)، من حديث جابر بن عبد الله.

ما فيها وقالوا: تبعثون منكم رجلًا ونبعث منا رجلًا، ثم نأخذ عليهم أن يعملا بما في كتاب الله، فقال الناس: قد رضينا، فبعثوا عمرو بن العاص، فقال أصحاب علي: ابعث أبا موسى، فقال علي: لا أرى أن أولي أبا موسى، هذا ابن عباس، قالوا: لا نريد رجلًا منك، فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان[1]، فقال عروة بن أدية: تحكمون في أمر الله الرجال، لا حكم إلا لله.

ورجع علي رضي الله عنه من صفين، فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج، فأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفًا، وقالوا: لا حكم إلا لله، وكان ذلك أول ظهورهم، ونادى مناديهم أن أمير القتال شبث بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، وكانت الخوارج تتعبد إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي بن أبي طالب مرض صعب.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتُوَيْه، قال: أخبرنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثني موسى بن مسعود، قال: نا عكرمة بن عمار، عن سماك أبي زميل، قال: قال عبد الله بن عباس: إنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا دارًا وهم ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك! فيقول: دعوهم فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين: أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم، فقال: إنني أخاف عليك، فقلت:

---

(١) أي الحكم في هذه القضية؛ لأن وثيقة القضاء كتبت في شهر صفر. انظر: المنتظم (٥/ ١٢٣).

كلا، وكنت رجلًا حسن الخلق لا أؤذي أحدًا. فأذن لي فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم، جباههم قرحة من السجود، وأيديهم كأنها ثفن الإبل[1]، وعليهم قمص مرحضة[2] مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر، فسلمت عليهم فقالوا: مرحبًا يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم.

فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشًا، فإن الله ﷻ يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف: ٥٨]، فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه. فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله. قالوا: ثلاثًا. قلت: هاتوا. قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقد قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام: ٥٧]، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله؟ فقلت: هذه واحدة، وماذا؟ قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم وسباهم. قلت: وما الثالثة؟ قالوا: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين؛ إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين. قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا.

قلت لهم: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ﷻ ما ينقض قولكم، أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: فإن الله قد صير من حكمه إلى

(١) **ثفن الإبل**: هو ما ولي الأرض من كل ذي أربع إذا برك. الغريب لأبي عبيد (٤/ ١٥٢). وقال في الفائق (١/ ١٦٩): هو ما يلي الأرض من أعضائه عند البروك فيغلظ.

(٢) **قمص مرحضة**: أي مغسولة. النهاية (رحض).

الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلا هذه الآية: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[المائدة: ٩٥]، إلى آخر الآية، وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[النساء: ٣٥]، إلى آخر الآية، فنشدتكم بالله، هل تعلمون حكم الرجال في الإصلاح ذات بينهم وفي حقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في أرنب وبُضع امرأة، فأيها ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه.

قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قَاتَلَ ولم يَسْبِ ولم يغنم، فتسبون أمكم عائشة؟ فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين، إن الله تعالى قال: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[الأحزاب: ٦]، فإن قلتم ليست بأمنا، فقد خرجتم من الإسلام. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون، إن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال: «**يا علي، اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله**». فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا علي! اكتب: هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد الله**»[١]، فوالله لرسول الله ﷺ خير من علي، فقد محا نفسه. قال: فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا[٢].

---

(١) أخرجه بطوله البخاري (٥/ ٣٢٩ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)و (٥/ ٣٠٣ رقم ٢٦٩٩)، ومسلم (٣/ ١٤٠٩ رقم ١٧٨٣)، وأحمد (٤/ ٣٢٣-٣٢٤).

(٢) رواه ابن الجوزي في «المنتظم» (٥/ ١٢٤، ١٢٥)، وأخرجه أبو داود (٤/ ٣١٧، رقم ٤٠٣٧)، وأحمد (١/ ٣٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٥٧، ٢٥٨، رقم ١٠٥٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ⇐

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا ولاد بن علي الكوفي، قال: أخبرنا محمد بن علي بن دحيم الشيباني، قال: نا أحمد بن حازم، قال: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن- يعني: ابن أبي ليلى-، قال: نا سعيد بن خثيم، عن القعقاع بن عُمارة، عن أبي الخليل، عن أبي السابغة، عن جندب الأزدي، قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب ﷺ، قال: فانتهينا إلى معسكرهم فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن(١).

وفي رواية أخرى: أن عليًّا عليه السلام لما حكم أتاه من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلا لله. فقال علي: لا حكم إلا لله. فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، ولئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك؛ أطلب بذلك وجه الله تعالى. واجتمعت الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن، أن تكون هذه الدنيا التي إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق؛ فاخرجوا بنا(٢).

فكتب إليهم علي بن أبي طالب عليه السلام: أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما(٣)، ونحن على الأمر الأول.

١٥٠- ١٥٢)، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٤٤): رواه الطبراني وأحمد ببعضه، ورجالهما رجال الصحيح.

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٧/ ٢٤٩).

(٢) يُنظر: تاريخ الأمم والملوك (٥/ ٧٢ - ٧٤)، المنتظم لابن الجوزي (٥/ ١٢٩ - ١٣٠)، الكامل في التاريخ (٣/ ٢١٢)، البداية والنهاية (٧/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٣) يعني بهما: عمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري، وفي صدور هذا الكلام من عليّ بن أبي طالب ﷺ في حقّ أبي موسى وعمرو بن العاص نظر، خاصة وأن سند هذا الخبر لم أقف على ترجمة بعض رجاله.

فكتبوا إليه: إنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء[١].

ولقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب، فقالوا: هل سمعت من أبيك حديثًا يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه؟ قال: نعم. سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر: «**فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول**»[٢].

قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فقدموه إلى شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل، وبقروا أم ولده عما في بطنها وكانت حبلى، ونزلوا تحت مواقير فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها في فيه، فقال أحدهم: بغير حلها وبغير ثمن، فلفظها من فيه، واخترط أحدهم سيفه فأخذه يهزه فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به، فقالوا له: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه[٣].

فبعث إليهم علي عليه السلام: أَخْرِجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب. فقالوا: كلنا قَتَلَهُ، فناداهم ثلاثًا، كل ذلك يقولون هذا القول، فقال علي رضي الله عنه لأصحابه: دونكم القوم! فما لبثوا أن قتلوهم، وكانوا وقت القتال يقول بعضهم لبعض: تهيأ للقاء الرب،

---

(١) يُنظر: تاريخ الأمم والملوك (٥/ ٧٧ – ٧٨)، المنتظم (٥/ ١٣٢)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٢١٦)، البداية والنهاية (٧/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ١١٠)، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٧٦-١٧٧ رقم ٧٢١٥)، والطبراني في الكبير (٤/ ٦٠-٦١ رقم ٣٦٢٩، ٣٦٣٠)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٠٥-٣٠٦): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني.. ولم أعرف الرجل الذي من عبد القيس، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر الخبر عند: الطبري في تاريخه (٥/ ٨١ – ٨٢)، وابن الجوزي في المنتظم (٥/ ١٣٢)، وابن الأثير في الكامل (٣/ ٢١٨)، وابن كثير في البداية (٧/ ٢٩٨).

الرواح الرواح إلى الجنة[١].

وخرج على علي عليه السلام بعدهم جماعة منهم، فبعث إليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبد الرحمن بن مُلجِم بأصحابه وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم، وقالوا: والله ما نعبأ بالبقاء في الدنيا شيئًا بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو أنا شرينا أنفسنا لله والتمسنا غرة هؤلاء الأئمة الضلال فثأرنا بهم إخواننا وأرحنا منهم العباد[٢].

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا أبو الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: نا محمد بن سعد، عن أشياخ له، قالوا: انْتُدِبَ ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن مُلْجِم والبُرَك بن عبد الله، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة: علي، ومعاوية، وعمر وبن العاص، ونريح العباد منهم، فقال ابن مُلْجَم: أنا لكم بعلي، وقال البُرَك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو: أنا لكم بعمرو، فتواثقوا لا ينكص رجل منهم عن صاحبه.

فقدم ابن مُلْجِم الكوفة، فلما كانت الليلة التي عزم على قتله فيها، خرج علي عليه السلام لصلاة الصبح، فضربه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، فقال علي رضي الله عنه: لا يعوقكم الرجل وأُخِذَ، فقالت أم كلثوم: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين،

---

(١) أورد هذا الخبر وما قبله (قتل عبد الله بن خباب) ابن حجر في المطالب العالية (٥/ ٥٤ رقم ٤٤٤١)، من مسند مسدد، وقال البوصيري في مختصر إتحاف الخيرة (٥/ ٢٠٥ رقم ٤٠٨٩): رواه مسدد بسند رجاله ثقات.

(٢) يُنظر في اجتماع ابن ملجم وأصحابه وخبر مقتل عليّ رضي الله عنه: تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٢)، الكامل للمبرّد (٣/ ١١١٥ وما بعدها)، تاريخ الأمم والملوك (٥/ ١٤٣ - ١٤٤)، مروج الذهب للمسعودي (٢/ ٤٢٣)، المنتظم (٥/ ١٧٢)، الكامل في التاريخ (٣/ ٢٥٥) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٨). وكان مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ.

فقال: ما قتلت إلا أباك، قالت: والله إني لأرجو ألا يكون على أمير المؤمنين بأس، قال: فلمَ تبكين إذن؟! ثم قال: والله لقد سممته شهرًا- يعني: سيفه- فإن أخلفني فأبعده الله وأسحقه.

فلما مات علي أخرج ابن ملجم ليقتل، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسمار محمى، فلم يجزع، وجعل يقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، فعولج على قطع لسانه فجزع، فقيل له: لِـمَ تجزع؟ قال: أكره أن أكون في الدنيا فواقا لا أذكر الله، وكان رجلًا أسمر في جبهته أثر السجود[١].

قال المصنف: قلت: ولما أراد الحسن أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان، وقال: أشركت كما أشرك أبوك! ثم طعنه في أصل فخذه[٢].

وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة، وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون: نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك[٣]، فإذا خرجنا فنحن مسلمون. قالوا: ومخالفونا في المذهب مشركون، ومرتكبو الكبائر مشركون، والقاعدون عن مرافقتنا في القتال مشركون كفرة[٤]. وأباح هؤلاء قتل النساء

---

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٣٥). وانظر: «القصة في تاريخ الأمم والملوك» (٥/ ١٤٦، ١٤٧)، و«المنتظم» (٥/ ١٧٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٤١).

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك (٥/ ١٦٢)، والمنتظم (٥/ ١٨٣ – ١٩٤)، والكامل لابن الأثير (٣/ ٢٧١)، والبداية والنهاية (٨/ ١٦ – ١٧ – ١٨). وذكروا أنّ الحسن جُرِح في هذه الحادثة ولم يذكروا أن الجرّاح بن سنان هو الذي طعنه، وكان ذلك الصلح سنة ٤١هـ، وسمّي بعام الجماعة.

(٣) **دار الشرك عند الخوارج**: هي دار مخالفيهم من المسلمين، أما دارهم فقد سموها «دار الهجرة». انظر: آراء الخوارج الكلامية، د. الطالبي (١/ ١١٦).

(٤) هذه فرقة الأزارقة من الخوارج، وتلك آراؤها، وقد سبق الحديث عنها (ص ١١٤).

والصبيان من المسلمين، وحكموا عليهم بالشرك.

وكان نجدة بن عامر الثقفي من القوم، فخالف نافع بن الأزرق، وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم، وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون في غير نار جهنم، وأن نار الجحيم لا يدخلها إلا مخالفوه في مذهبه[(١)].

وقال إبراهيم الخارجي: قومنا كفار وتحل لنا مناكحتهم ومواريثهم كما كان الناس في بدء الإسلام[(٢)].

وكان بعضهم يقول: لو أن رجلًا أكل من مال يتيم فَلْسَيْنِ وَجَبَتْ له النار، ولو قتله أو قطع يديه أو بَقَرَ بطنه لم يجب له النار؛ لأن الله أوعد على ذلك النار[(٣)].

ولهم قصص تطول، ومذاهب عجيبة لم أر التطويل بذكرها، وإنما المقصود النظر في حيل إبليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم، واعتقدوا

وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٨ - ١٦٩)، الفرق بين الفرق (ص٨٣)، التبصير في الدين (٤٩ - ٥٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٧ - ١٤١).

(١) وتسمى فرقته بالنجدات، وقد ذكر هذه الآراء عنهم: البغدادي في الفرق (ص٨٩)، والأشعري في المقالات (١/ ١٧٥)، والشهرستاني في الملل والنحل (١/ ١٤٢)، والحميري في الحور العين (ص١٧٠).

(٢) هذا مذهب جمهور الإباضية، كما حكاه عنهم الأشعري في المقالات (١/ ١٨٤ - ١٨٥)، والبغدادي في الفرق (ص١٠٣)، والشهرستاني في الملل (١/ ١٥٦ - ١٥٧). ولعلّ إبراهيم هذا هو إبراهيم الإباضي، اشتهر بالقول بجواز بيع الإماء من مخالفيهم. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٨ - ١٨٩).

(٣) لم أقف - بعد البحث - على هذا القول. وواضح منه الخلل المنهجي في التعامل الأعمى مع ظواهر القرآن، ومن هنا أُتي الخوارج ومن شاكلهم من أهل البدع، وهو في الجملة: الأخذ بالقرآن وحده - زعموا - ونبذ السنة، أو الأخذ ببعض القرآن أو ببعض السنة وترك بعضها الآخر. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن مسلك المبتدعة في الاستدلال بالنصوص أنهم: (كانوا متمسكين بظاهر من القول، لا بظاهر القول. وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علمٌ بما قُيِّد، وإلا فكل ما بيّنه القرآن وأظهره فهو حق، بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر غير نفس القرآن يسمى ظاهر القرآن، كاستدلالات أهل البدع من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة). مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٣).

أن علي بن أبي طالب على الخطأ، وأنهم على الصواب، واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها، وتعبوا في العبادات وسهروا، وجزع ابن مُلْجِم عند قطع لسانه من فوات الذكر واستحل قتل علي عليه السلام.

ثم شهروا السيوف على المسلمين، ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي عليه السلام، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ: اعدل فما عدلت! وما كان إبليس ليهتدي إلى هذه المخازي، نعوذ بالله من الخذلان!

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: قرأت على عبد الرحمن عن [مالك][1]، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**». أخرجاه في «الصحيحين»[2].

وأنا سعد الله بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر الطُرَيْثيثي، قال: نا هبة الله بن الحسن الطبري، قال: أنا أحمد بن عبيد، قال: نا علي بن عبد الله بن مبشر، قال: نا أحمد بن سنان، قال: نا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن الأعمش، عن عبد الله بن أبي أوفى،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ، وتحرّف في «أ» إلى: (بن مالك)، وسقطت صيغة التحديث (عن) من مسند أحمد المطبوع، والمثبت هو الصواب، كما في إطراف الـمُسْند الـمُعْتَلِي بأطراف الـمُسْنَد الحنبلي (٨/ ٣٣٥)، والحديث من طريق مالك بن أنس، وهو في موطئه (١/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٦٠)، وأخرجه البخاري (٩/ ٩٩، رقم ٥٠٥٨)، و(١٢/ ٢٨٣، رقم ٦٩٣١)، ومسلم (٢/ ٧٤٣، رقم ١٠٦٤) (١٤٧)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢٠٤، رقم ١٠)، ورواه ابن ماجه في «المقدمة»(١/ ٦٠، رقم ١٦٩).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الخوارج كلاب أهل النار**»(١).

فصل

ومن رأي الخوارج: أنه لا تختص الإمامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد، فإذا اجتمعا كان إمامًا ولو كان نبطيًّا(٢).

ومن رأي هؤلاء أحدث المعتزلةُ أن التحسين والتقبيح إلى العقل، وأن العدل ما يقتضيه(٣)، ثم حدث القدرية(٤) في زمن الصحابة، وصار معبد الجهني وغيلان

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «المقدمة»(١/ ٦١، رقم ١٧٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٥٥)، ومدار طرقه على الأعمش، وهو لم يسمع من ابن أبي أوفى، كما في «جامع التحصيل» للعلائي (ص ١٨٨)، وله طريق آخر عن ابن أبي أوفى.أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٢، ٣٨٣)، والحديث يتقوى بمجموع الطريقين، وله شاهد أيضًا يزيده قوة من حديث أبي أمامة، أخرجه الترمذي (٥/ ٢١٠، رقم ٣٠٠٠)، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) قال ابن حزم: (ذهبت الخوارج كلها، وجمهور المعتزلة، وبعض المرجئة إلى أنها – أي: الإمامة – جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة، قرشيًا كان أو عربيًا، أو ابن عبد، وقال ضرار بن عمر الغطفاني: إذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة فالواجب أن يقدم الحبشي؛ لأنه أسهل لخلعه، إذا حاد عن الطريقة) الفصل (٤/ ١٥٢).

وانظر الموجز لأبي عمار الإباضي (ص١٨٦)، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية لأعوشت (ص١١٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤)، أصول الدين للبغدادي (ص٢٧٥)، الملل والنحل (١/ ١٣٤)، تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (فرقة الخوارج) د. عبد السلام عبده (ص١٤٤-١٤٥)، في مذاهب الإسلاميين د. النجار (ص٨٢-٨٤).

(٣) انظر: فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار (ص١٣٩)، المغني (٦/ ٢٦، ٥٩)، شرح الأصول الخمسة له أيضًا (ص٤٣)، (ص٤٨٤)، شرح كتاب الملل والنحل لابن المرتضى (١/ ٥٩).

ووجه موافقة المعتزلة للخوارج في مسألة التحسين والتقبيح العقليين: هي ترك كل منهما لما حدّدته النصوص وتقديم الرأي عليها، كما مرّ في قصة ذي الخويصرة الذي قدم رأيه على رأي رسول الله ﷺ وفعله، وكما هنا في مسألة الإمامة، وهي أنها منصوص على كونها في قريش، وهم رأوا أن شرطها العدل فقط كائنًا من كان الإمام، وليس لهم دليل على ذلك إلا آراؤهم.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (في أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجئة، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون: كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع).
=

الدمشقي والجعد بن درهم إلى القول بالقدر، ونسج على منوال معبد واصل بن عطاء، وانضم إليه عمرو بن عبيد، وفي ذلك الزمان حدثت شُبه المرجئة[١] حين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة[٢].

ثم طَالَعَتْ المعتزلةُ مثل أبي الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كُتُبَ الفلاسفة في زمان المأمون، واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع، مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون.

وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن،[٣] وحينئذٍ سمي هذا الفن: علم الكلام[٤].

منهاج السنة (١/ ٣٠٩). وزاد في موضع آخر أنهم: (لم يصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت المعتزلة والمرجئة بعد ذلك) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٠).

وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٤-٣٨٥)، (٨/ ٤٥٠)، (١٣/ ٣٦-٣٧)، شرح أصول أهل السنة للالكائي (١/ ١٦)، ذم الكلام للهروي (ص٣٠٣)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٧٤-٢٧٧)، القدرية والمرجئة: نشأتها وأصولها، د. العقل (٣٠/ ٣٩)، دراسات في الفرق والعقائد د. عرفان عبد الحميد (ص٢٥٧-٢٧٣)، القضاء والقدر د. المحمود (ص١١١-١٤٧).

(١) انظر: القدرية والمرجئة: نشأتها وأصولها د. العقل (ص٨٢ – ٨٤).

(٢) هذا النقل بنصه عند الشهرستاني في الملل والنِّحل (١/ ١٦٢).

(٣) وهذه المسألة كانت كذلك من مثالب المأمون، وكانت فتنة عظيمة امتحن بسببها الناس، وسُجن علماء وأئمة وقُتلوا، وصبر فيها وثبت إمام أهل السُّنة أحمد بن حنبل رحمه الله. انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٨٥).

(٤) **علم الكلام**: عرّفه التفتازاني بقوله: (العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية) شرح المقاصد للتفتازاني (١/ ١٦٥). والمقصود من قوله: أدلتها اليقينية: الأدلة العقلية كما صرح بذلك ابن خلدون في مقدمته (٣/ ١٠٦٩). وعرّفه الإيجي في المواقف (ص٧) بأنه: (علم يُقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج، ودفع الشبه)، ولا ريب في أن مقصوده بالحجج هو: الحجج الكلامية العقلية، وإلا لكان قيدها بـ«الشرعية»، أو نسبها إلى الكتاب والسنة. وانظر: مذاهب الإسلاميين، د. بدوي (ص٧-١٢).

وتلت هذه المسألة مسائل الصفات، مثل: العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، فقال قوم: هي معان زائدة على الذات. ونفتها المعتزلة وقالوا: عالم لذاته قادر لذاته[١]. وكان أبو الحسن الأشعري على مذهب الجبائي، ثم انفرد عنه إلى مثبتي الصفات[٢]، ثم أخذ بعض مثبتي الصفات في اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال في النزول.

ذكر تلبيسه على الرافضة

قال المصنف: وكما لبَّس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا علي بن أبي طالب ﷺ حمل آخرين على الغلو في حبِّه؛ فزادوه على الحد:

---

(١) عامة المعتزلة يقولون: إن الله - تعالى - عالم بذاته، قادر بذاته، لا بعلم وقدرة.. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٥٧). وما ذكره ابن الجوزي هو قول أبي علي الجبائي، وهو ما ذكره القاضي عبد الجبار محاولًا توجيه شناعة أبي الهذيل في قوله: «إن الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، قادر بقدرة، وقدرته ذاته» على ما ذكر الشهرستاني في ملله (١/ ٦٤)، أو في قوله: «لله علم هو هو، وقدرة هي هو» على ما ذكره الأشعري في مقالاته (١/ ٢٦٥)، قال القاضي عبد الجبار: (فعند شيخنا أبي علي الجبائي على أنه تعالى يستحق هذه الصفات الأربع، التي هي كونه: قادرًا عالمًا حيًّا موجودًا لذاته.. وقال أبو الهذيل: إنه تعالى عالم بعلم هو هو، وأراد به ما ذكره الشيخ أبو علي، إلا أنه لم تتلخص له العبارة!) شرح الأصول الخمسة (ص١٨٢-١٨٣). وانظر: مذاهب الإسلاميين، د. بدوي (ص١٤٧-١٤٨).

(٢) قال ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (ص٣٩): (ذكر أبو القاسم حجاج بن محمد الطرابلسي من أهل طرابلس المغرب، قال: سألت أبا بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة رحمه الله، عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فقلت له: قيل لي عنه: إنه كان معتزليًا، وإنه لما رجع عن ذلك أبقى للمعتزلة نُكتًا لم ينقضها؟ فقال لي: الأشعري شيخنا وإمامنا، ومن عليه معوَّلنا، قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إمامًا، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يومًا، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر الناس، إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا. وانخلع من ثوبٍ كان عليه ورمى به، ودفع الكتب إلى الناس). انظر: الفهرست لابن النديم (ص٣٨٤-٣٨٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٧-٣٤٨)، ونص على أخذ الأشعري عن الجبائي، وأتباعه إياه في الاعتزال.

○ فمنهم من كان يقول: هو الإله[١].

○ منهم من يقول: هو خير من الأنبياء[٢].

○ ومنهم من حمله حبه على سب أبي بكر وعمر، حتى إن بعضهم كفَّر أبا بكر وعمر[٣]. إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة التي يرغب عن

---

(١) نص البغدادي في الفرق (ص٢٣٣)، وفي أصول الدين (ص٣٣٢)، والشهرستاني في الملل (١/ ٢٠٤)، وابن حزم في الفِصل (٥/ ٤٦-٤٧): على أن القائلين بهذه المقالة الشنيعة هم: «السبئية»، أتباع عبد الله بن سبأ. وقد ظهرت هذه المقالة في وقت علي ﷺ. فقتل من ثبت عنده أنه يقولها، ومن أشهر القائلين بهذا الكفر: ابن أبي الحديد، ومن شعره في ذلك مادحًا عليًّا بن أبي طالب:

يجلّ عن الأعراض والأين والمتى ** ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

انظر: مختصر التحفة الاثنا عشرية (ص٩-١٠). وذكر النُّوبَخْتي - الشيعي - في فِرق الشيعة (ص٣٦): أن «الخرمدينية» وهم أصحاب أبي مسلم الخراساني قالوا: إن الأئمة آلهة، وأنهم أنبياء، وأنهم رسل، وأنهم ملائكة. وممن كان على هذا المذهب كذلك فرقتا «لإسحاقية»، و«النصيرية». انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٢٠-٢٢١)، التشيع للبنداري - شيعي معاصر - (ص٣٣-٣٤).

(٢) تفضيل الإمام علي ﷺ بل وسائر الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الرافضة، انظر: أصول الدين للبغدادي (ص٢٩٨)، الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٨)، وفيه قال: (نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء). وقد رووا في ذلك روايات مكذوبة وباطلة، ففي «بحار الأنوار»للمجلسي عقد بابًا بعنوان: (باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء، وعلى جميع الخلق..).

انظر: أوائل المقالات للمفيدي (ص٢٣)، والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (١/ ٢٠-٢١)، الشيعة وأهل البيت لظهير (ص١٩٠-١٩١)، أصول مذهب الشيعة، د. القفاري (٢/ ٦١٤ وما بعدها)، بذل المجهود للجميلي (٢/ ٤٦١).

(٣) وهذا منصوص عليه في عامة كتب الروافض، فمرة يصفون الشيخين ﷺ بأنهما شياطين، وتارة يطلقون عليهما أسماء الكفرة والملحدين، وتارة أخرى يسمونهما بأسماء الأصنام والأوثان: جاء في «كتاب سليم بن قيس» (ص٩٢) - من مؤلفات الروافض - عن علي بن أبي طالب أنه قال: (إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، غير أربعة، إن الناس صاروا بعد رسول الله بمنزلة هارون ومن تبعه، ومنزلة العجل ومن تبعه: فعلي في شبه هارون، وعتيق - يعني أبا بكر - في شبه العجل، وعمر في شبه السامري). وفي «بصائر الدرجات»، و«بحار الأنوار»للمجلسي - نقلًا عن كتاب أصول الشيعة للقفاري -: (.. قلت: أسألك عن فلان وفلان - يعني أبا بكر وعمر -؟ قال: فعليهما لعنة الله، بلعناته كلها، ماتا - والله - وهما كافران مشركان بالله العظيم). وقد وضعوا دعاء سموه «دعاء صنمي قريش من كلام أمير المؤمنين».

↵

تضييع الزمان بذكرها، وإنما نشير إلى بعضها:

• أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدث أبو يعقوب إسحاق بن محمد النخعي، عن عبيد الله بن محمد بن عائشة، وأبي عثمان المازني، وغيرهما، وسمعت عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي يقول: إسحاق بن محمد النخعي الأحمر كان يقول: إن عليًّا هو الله. تعالى الله ﷻ! وبالمدائن[١] جماعة من الغلاة يعرفون بالإسحاقية ينسبون إليه[٢].

قال الخطيب[٣]: ووقع إليَّ كتاب لأبي محمد الحسن بن [موسى][٤] النُّوبَخْتي من تصنيفه في الرد على الغلاة، وكان النُّوبَخْتي هذا من متكلمي الشيعة الإمامية، فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال: وقد كان ممن جرد الجنون في الغلو في عصرنا إسحاق بن محمد المعروف بالأحمر، كان يزعم أن عليًّا هو الله، وأنه يظهر في كل وقت، فهو الحسن في وقت، وكذلك هو الحسين، وهو الذي بعث محمدًا ﷺ.

قال المصنف: قلت: وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين، وقال بعضهم: ارتدًّا بعد موت رسول الله ﷺ[٥]، ومنهم من يقول بالتبري

انظر: مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار (ص١١٣-١١٤)، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله - مؤلف شيعي -، أصول الشيعة د. القفاري (٢/ ٧١٦) وما بعدها، بذل المجهود (٢/ ٤٧١) وما بعدها، الشيعة وأهل البيت لظهير (ص٤٨-١٣٦).

(١) قوله «وبالمدائن...إلخ»: من قول عبد الواحد بن علي الأسدي، كما في تاريخ بغداد (٦/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٠٤، ٤٠٥)، ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٨٠).

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٣٨٠). وانظر: المنتظم (١٢/ ٤٠٥).

(٤) في جميع النسخ: (يحيى)، وهو تحريف، والمثبت هو الصواب كما في كتب التراجم.

(٥) قال الشيخ موسى جار الله - شيعي معاصر - في كتابه «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» (ص١٠٢-١٠٣): (للشيعة الإمامية في تكفير الأول والثاني أبي بكر وعمر، صراحة شديدة، ومجازفة طاغية.. في كتب الشيعة عن الباقر والصادق: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة ليست له، من جحد إمامًا من عند الله، من زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام». اهـ

ﭫ

من غير علي.

قال المصنف: وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبري ممن خالف عليًّا في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة[١].

• ومنهم أقوام قالوا[٢]: الإمامة في موسى بن جعفر، ثم في ابنه علي، ثم إلى محمد بن علي، ثم إلى علي بن محمد، ثم إلى الحسن بن محمد العسكري، ثم إلى ابنه محمد، هو الثاني عشر، الإمام المنتظر[٣]، الذين يزعمون أنه لم يمت، وأنه سيرجع في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلًا[٤].

وانظر: الأصول من الكافي (٢/ ٢٤٤)، الاختصاص للمفيدي (ص٦)، أوائل المقالات له (ص٦-٧)، الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (١/ ٨١)، الشيعة وأهل البيت لظهير (ص٤٨-١٣٦)، الشيعة والسنة له (ص٢٧-٣١)، بذل المجهود (٢/ ٤٧١-٤٧٩)، التشيع للبنداري (ص٢٧٤-٢٧٦)، أصول مذهب الشيعة د. القفاري (٢/ ٧٢٥-٧٢٦).

(١) انظر هذا الخبر عند المصنف في المنتظم (٧/ ٢١١)، والطبري في تاريخه (٧/ ١٨٠-١٨١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٣٤٢-٣٤٣)، وهذا الرأي في سبب تسمية «الرافضة» هو الذي صححه شيخ الإسلام ابن تيمية ورجحه، فقال: (وإنما سُموا رافضة، وصاروا رافضة لما خرج زيد بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فرفضه قوم، فقال: رفضتموني! فسموا رافضة) منهاج السنة (٢/ ٩٦). وانظر: (١/ ٣٤-٣٥)، (٣/ ٤٧١).

(٢) هذا مذهب فرقة الشيعة الاثنا عشرية، أو الإمامية عشرية، وسموا كذلك - كما قال البغدادي - لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب ﷺ. وقال محمد جواد مغنية - رافضي معاصر: (الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إمامًا تعينهم بأسمائهم). وقد سماهم الأشعري في مقالاته (١/ ٩٠): «القطعية لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر بن محمد بن علي». وسماهم الرازي في اعتقاداته (ص٨٤-٨٥): «أصحاب الانتظار».
انظر: الفرق بين الفرق (٦٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٩٨-١٩٩)، التنبيه والإشراف للمسعودي (ص٢٣١-٢٣٢)، الاثنا عشرية وأهل البيت لمغنية (ص١٥).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قبل وفاة الحسن لم يكن أحد يقول بإمامة المنتظر إمامهم الثاني عشر، ولا عُرف في زمن علي ودولة بني أمية أحدٌ ادّعى إمامة الاثني عشر) منهاج السنة (٤/ ٢٠٩).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي، ودوام الحسرة ⇐

• وكان أبو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن علي الباقر، ويدعي أنه خليفته، وأنه عرج به إلى السماء، فمسح الرب بيده على رأسه، وزعم أنه الكسف الساقط من السماء(١).

• وكانت طائفة من الرافضة يقال لها: الجناحية - وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ذي الجناحين - يقولون: إن روح الإله دارت في أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله، وأنه لم يمت، وهو المنتظر(٢).

والألم، ومعاداة العالم، والدعاء الذي لا يستجيبه الله؛ لأنهم يدعون له بالخروج والظهور من مدة أكثر من أربعمائة وخمسين سنة لم يحصل شيء من هذا، ثم إن عمَّر واحد من المسلمين هذه المدة أمر يُعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد، فلا يعرف أحد وُلد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، فضلًا عن هذا العمر) منهاج السنة (٤/ ٩١). قلت: والآن قد مر على ذلك أكثر من ألف ومائة سنة، فليت شعري من يمكنه أن يُعمر كل هذه القرون المتطاولة.

(١) وهذا مذهب فرقته المسماة «المنصورية». ومن شناعاتهم: الكفر بالجنة والنار، واستحلال المحرمات كالخمر والزنا والميتة والميسر، وإسقاط جميع الفرائض..

انظر: فرق الشيعة للنوبختي (ص٣٨-٣٩)، وذكر عن العجلي هذا أنه ادّعى النبوة والرسالة، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٧٤-٧٥، ٩٨-٩٩)، الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٤٣-٢٤٤)، وقال: ذكر المنصورية، وبيان خروجها عن جملة فِرق الإسلام. التبصير للإسفراييني (ص١٢٥-١٢٦)، وقد ذكرهم تحت باب: «بيان فرق أهل البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام، ولا يُعدون في زمرة المسلمين». الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٩-٢١٠)، وذكر عنه أنه قال: إن عليًّا هو الكِسف الساقط من السماء، وربما قال بأن ذلك الكسف هو الله، تعالى عن ذلك! الغنية للجيلاني (ص٨٨)، وحكم بكفرهم، الحور العين للحميري (ص١٦٨-١٦٩)، مختصر التحفة الاثنا عشرية (ص١٢).

(٢) ومن شناعات هذه الفرقة المارقة: الكفر بالجنة والنار، واستحلال المحرمات، وإسقاط العبادات، وفسروا القرآن تفسيرًا باطنيا خبيثًا، ومن ذلك قولهم في المحرمات المذكورة في القرآن إنها كنايات عن قوم يجب بغضهم، كأبي بكر، وعمر، وطلحة، والزبير، وعائشة.

انظر: فرق الشيعة للنوبختي (٣٤-٣٥، ٣٩-٤١)، مقالات الإسلاميين (١/ ٦٧-٦٨)، الفرق بين الفِرق للبغدادي (٢٤٥-٢٤٦)، وبيّن خروجها عن الإسلام في أصول الدين له (ص٣٣١)، التبصير للإسفراييني (١٢٦)، الفصل لابن حزم (٥/ ٣٦-٣٧)، الغنية للجيلاني (٨٨)، الحور العين للحميري (١٦٠-١٦١، ٢٧٤).

• ومنهم طائفة يقال لها: الغرابية[١]، يثبتون شركة علي في النبوة.

• وطائفة يقال لها: المفوِّضة، يقولون: إن الله تعالى خلق محمدًا ثم فوَّض خلق العالم إليه[٢].

• وطائفة يقال لها: الذمية، يذمون جبريل، ويقولون: كان مأمورًا بالنزول على عليٍّ، فنزل إلى محمد[٣].

• ومنهم من يقول: إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها[٤].

---

(١) كل من ذكر هذه النسبة إنما قال: سميت كذلك لما قالوا بأن عليًّا كان أشبه بمحمد ﷺ، كما يشبه الغراب الغراب، فغلط جبريل فنزل على محمد ﷺ بدل عليّ. فهم بهذا القول الشنيع لا يثبتون الشركة لعلي في النبوة، بل يدعون أحقيته بها وحده. قاتلهم الله أنى يؤفكون! ومن شناعاتهم: لعنهم جبريل عليه السلام. وقد سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة (ص ١٢٦)، عند الحديث عن فرقة «الأمرية».
انظر: الفرق بين الفِرق (ص٢٥٠)، التبصير للإسفراييني (ص١٢٨)، الفصل لابن حزم (٥/ ٤٢)، الحور العين للحميري (ص١٥٥)، (ص٢٦٠)، الأنساب للسمعاني (٤/ ٢٨٥)، مختصر التحفة (ص١٣).

(٢) وزعموا أن محمدًا فوّض تدبير العالم إلى عليّ بن أبي طالب، فهو المدبر الثاني.
انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٠)، التبصير للإسفراييني (ص١٢٨)، الغنية للجيلاني (ص٨٨)، اعتقادات الرازي (٩٠)، وذكر بأن التفويض كان لأرواح علي وأولاده، مختصر التحفة (ص١٢)، وسمّاهم: «التفويضية».

(٣) هذا الرأي الذي ذكره المصنف أقرب ما يكون إلى مقالة «الغُرابية»، ولذلك ذكر الرازي هذا الرأي، بعد عرضه لفرقة الغرابية، ولم ينسبه إلى فرقة معينة، أما الذي في كتب المقالات عن فرقة «الذمية» فهو أنهم يقولون: بأن عليًّا هو الله، وذموا محمدًا ﷺ وشتموه؛ لأنه - بزعمهم - رسول علي بعثه لينبئ عنه، فادّعى الأمر لنفسه، وسماهم الشهرستاني في الملل والنحل، والرازي - الإسماعيلي - في الزينة: «العلبائية» نسبة إلى العلباء بن ذراع السدوسي، قال: ويسمون هذه الفرقة «الذميمة».
انظر: الفرق بين الفِرق (ص٢٥١)، التبصير في الدين (ص١٢٩)، الزينة للرازي (ص٣٠٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٦)، اعتقادات الرازي (٩٠-٩١)، مختصر التحفة (ص١٣).

(٤) هذا من جملة مطاعنهم في خيار الأمة، وعلى رأسهم صدِّيقها أبو بكر رضي الله عنه، ولم يقل بهذه المسألة - كما قال الحافظ ابن عبد البر - سوى الروافض، مخالفين بذلك جماهير المسلمين على أن أرض فدك وغيرها من سهام رسول الله تكون لآل بيت رسول الله ﷺ على سبيل التوريث والتمليك؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا نورث؛ ما تركنا صدقة**»، وهذا حجة أبي بكر، وهي سنة مقطوع بها، وعليها إجماع الصحابة. وممن
⇙

قال المصنف: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يومًا فقام رجل من آل علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، أعدني على من ظلمني، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي عليه السلام، والذي ظلمني أبو بكر حين أخذ فدكًا[1] من فاطمة، قال: فدام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. ومن قام بعده؟ قال: عثمان. قال ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانًا يهرب إليه[2].

تبجّح بهذه الدعوى ابن المطهر الحلي في كتابه منهاج الكرامة، وقال: (ومنع أبو بكر فاطمة إرثها..). وقد تولّى تفنيد دعواه وتطاوله على صدِّيق هذه الأمة شيخُ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» من وجوه كثيرة، وبيّن بعض الحكم في عدم توريث النبي ﷺ، ومنها أنه حتى لا يُظن أنه ادّعى هذا الأمر لجمع الدنيا وتوريثها لمن بعده. ومن الرافضة كذلك المتجرئ على السباب والشتائم واللعائن، على أصحاب رسول الله ﷺ من يُسمى «المجلسي»، الذي قال: (إن من المصيبة العظمى والداهية الكبرى غصب أبي بكر وعمر فدك من أهل بيت الرسالة).

انظر: كتاب سليم بن قيس (ص٩٩-١٠١)، الأصول من الكافي (١/ ٥٤٣)، الأنوار النعمانية (١/ ٨٩)، كسر الصنم (نقض أصول الكافي) لآية الله العظمى البرقعي (ص٣٦٥)، التمهيد لابن عبد البر (٨/ ١٦٠)، منهاج السنة (٤/ ١٩٣)، فتح الباري (٦/ ٢٠٢)، مختصر التحفة (ص٢٤٤-٢٤٥)، الشيعة وأهل البيت لظهير (ص٨٦).

قال الحافظ ابن عبد البر: (وأما الروافض فليس قولهم مما يشتغل به، ولا يُحكى مثله؛ لما فيه من الطعن على السّلف والمخالفة لسبيل المؤمنين.. وكيف يسوغ لمسلم أن يظن بأبي بكر رضي الله عنه منع فاطمة ميراثها من أبيها؟! وهو يعلم بنقل الكافة أن أبا بكر كان يعطي الأحمر والأسود حقوقهم، ولم يستأثر من مال الله لنفسه ولا لبنيه، ولا لأحد من عشيرته بشيء، وإنما أجراه مجرى الصدقة، أليس يستحيل في العقول أن يمنع فاطمة، ويرده على سائر المسلمين؟! وقال: إنما كان لنا من أموالهم ما أكلنا من طعامهم، ولبسنا على ظهورنا من ثيابهم) التمهيد (٨/ ١٦١-١٧٢).

(١) فدك: قرية من شرقي خيبر على واد يذهب سيله مشرِّقًا إلى وادي الرمة تعرف اليوم بالحائط. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص٢٣٥).

(٢) لم أقف على هذه القصة.

قال ابن عقيل: الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا، وإنما نثق في ذلك بقول السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم، فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله، فإذا قال قائل: إنهم أول ما بدؤوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها فما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى؛ فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهليهم وذريتهم، فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده؛ خابت آمالنا في الشرع؛ لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم.

فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خِبْنا في المنقول، وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوي العقول، ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة، وانفتلوا عن شريعته بعد الوفاة، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله، فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات، فهذا من أعظم المحن على الشريعة!

قال المصنف: وغلو الرافضة في حب علي عليه السلام، حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه[1]، وقد ذكرت منها جملة في كتاب «الموضوعات»، منها:

---

(١) ذكر علماء الحديث عدّة أسباب للوضع في الحديث، ومن أخطر هذه الأسباب التي ذكروها: الخلافات السياسية التي أفضت ببعض الفرق إلى وضع الأحاديث، ويعدّ الرافضة أخطر هذه الفرق وأكثرها كذبًا ووضعًا، فكما وضعوا أحاديث في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وضعوا أحاديث مستبشعة في ذمّ الصحابة، وخاصة الشيخين - أبي بكر وعمر - وكبار الصحابة؛ ولذا حذّر منهم علماء الإسلام، وكشفوا عوارهم، وبينوا كذبهم في كتب صنفوها.
انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٣٣٨)، المنتقى من منهاج الاعتدال (من ٢١ - ٢٤)، الميزان (١/ ٦)، تدريب الراوي (١/ ٢٥٨)، بحوث في تاريخ السنة (ص١٤ - ١٦ - ١٧).

○ أن الشمس غابت ففاتت عليًّا عليه السلام العصر، فردت له الشمس. وهذا من حيث النقل محال، لم يروه ثقة[١]، ومن حيث المعنى فإن الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت.

○ وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت، وأوصت أن يكتفى بذلك الغسل[٢]. وهذا من حيث النقل كذب، ومن حيث المعنى قلة فهم؛ لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله.

ثم لهم خرافات لا يسندونها إلى مستند، ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها تخالف الإجماع، فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل، قال: نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الإمامية[٣]. منها:

- أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض، فأما الصوف والجلود والوبر فلا.

- وأن الاستجمار لا يجزئ في البول، بل في الغائط خاصة، ولا يجزئ مسح الرأس إلا بباقي البلل الذي في اليد، فإن استأنف للرأس بللًا مستأنفًا لم يجزه، حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة.

- وانفردوا بتحريم من زنا بها وهي تحت زوج أبدًا، فلو طلقها زوجها لم يحل للزاني بها نكاحها.

- وحرموا الكتابيات.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧)، وقال: هذا حديث موضوع، بلا شك. ثم أورد طرقه وتكلم عليها.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٥٩)، وكتاب الموضوعات (٣/ ٢٧٧)، وقال: هذا حديث لا يصح.

(٣) انظر الانتصار للمرتضى ص: (١٦، ١٩، ٢٠، ٣٨، ١٠٦، ١٠٧، ١١٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٣).

- وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وجد شرطه، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين.

- وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء، وأن يصبح صائمًا كفارة لذلك التفريط.

- وأن المرأة إذا جزت شعرها فعليها كفارة قتل الخطأ.

- وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين.

- وأن من تزوج امرأة لها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم.

- وأن شارب الخمر إذا حد ثانية قتل في الثالثة، ويحد شارب الفقاع[1] كشارب الخمر.

- وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف[2]، فإن سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى، فإن سرق ثالثة خلد في الحبس إلى أن يموت.

- وحرموا السمك الجريّ[3]، وذبائح أهل الكتاب، واشترطوا في الذبح استقبال القبلة، في مسائل كثيرة يطول ذكرها، خرقوا فيها الإجماع، وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس، بل إلى الواقعات.

ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى!

---

(١) **الفقاع**: شراب يتخذ من الشعير، سُمي به لما يعلوه من الزبد. لسان العرب (فقع).

(٢) في الانتصار (ص٢٦٢): (الراحة والإبهام). بدل (الكف).

(٣) **السّمك الجِرِّيّ**: قال عنه الجاحظ: (هو ضرب من السّمك، زعموا أنه كان أمّة ثم مسخ) الحيوان (٤/ ٩٦). وهذه هي علة تحريمه عندهم، وقد ذكر هذا التعليل المرتضى في انتصاره (ص١٨٧)، وابن بابويه القمّي في «علل الشرائع» (٢/ ١٩٨).

وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء، والجماعة لطلبهم إمامًا معصومًا، وابتلوا بسب الصحابة، وفي «الصحيحين»: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه**»[١].

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي، قالا: أخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو الطاهر المخلص، قال: نا البغوي، قال: نا محمد بن عباد المكي، قال: نا محمد بن طلحة المدني، عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اختارني واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**»[٢].

قال المصنف: والمراد بالعدل: الفريضة، والصرف: النافلة[٣].

أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الطُّرَيْثيثي، قال: أنا هبة الله بن الحسن الطبري، قال: أنا عبيد الله بن محمد بن أحمد. قال: أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحي، قال: نا أبي، قال: نا الحسن بن عُمارة، عن المنهال بن عمرو، عن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢١ رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٥٤١)، وأبو داود (٥/ ٤٥ رقم ٤٦٥٨)، والترمذي (٥/ ٦٥٢ رقم ٣٨٦٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١-٥٤-٥٥-٦٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم ١٠٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٠، رقم ٣٤٩)، والحاكم (٣/ ٦٣٢)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٠) وقال: فيه من لم أعرفه. وقال الألباني في تخريجه لـ«السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٤٦٩): إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن سالم وأبيه، وسوء حفظ محمد بن طلحة.

(٣) وقال أبو عبيد في «الغريب» (٣/ ١٦٧)، والزمخشري في «الفائق» (٢/ ٢٩٤): العدل هو: الفدية، والصرف هو: التوبة. وقيل غير هذا من المعاني.

وينتقصونهما، فدخلت على عليّ بن أبي طالب فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل، ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترؤوا على ذلك.

فقال علي: أعوذ بالله! أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل! أخوا رسول الله ﷺ وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما!

ثم نهض دامع العينين يبكي قابضًا على يديَّ حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنًا قابضًا على لحيته، وهو ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيِّدَيْ قريش وأبوي المسلمين، ما أنا عنه مُتَنَزِّهٌ، ومما قالوه بريء، وعلى ما قالوا مُعاقِب، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديّ، صحبا رسولَ الله ﷺ على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان، ويقضيان ويعاقبان، فما يتجاوزان فيما يصنعان رأيَ رسول الله ﷺ، لا كان رسول الله ﷺ يرى كرأيهما رأيًا، ولا يحب كحبهما أحدًا، مضى رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهما، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمَّره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين، فصلى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده، ولَّاه المؤمنون ذلك، وفوضوا إليه الزكاة، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين، وأنا أول من سَنَّ له ذلك من بني عبد المطلب، وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحدًا كفاه ذلك، وكان والله خَيْرَ من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأيبسه ورعًا، وأقدمه سنًّا وإسلامًا، شبَّهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفوًا ووقارًا، فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه.

ثم تولى الأمر من بعد عمر، وكنت فيمن رضي، فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه، وكان والله رفيقًا رحيمًا بالضعفاء، ناصرًا للمظلومين على الظالمين، لا يأخذه في الله لومة لائم، وضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى إن كنا لنظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين الرحمة والمحبة، شبَّهه رسول الله ﷺ بجبريل فظًّا غليظًا على الأعداء.

فمن لكم بمثلهما! فمن أحبني فليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ألَا فمن أُتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفتري، ألَا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر،ثم الله أعلم بالخير أين هو؟ أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم[١].

أخبرنا سعد الله بن علي، قال: أخبرنا الطُرَيْثيثي، قال: أخبرنا هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، قال: أخبرنا البغوي، قال: حدثنا سويد بن سعيد، قال: نا محمد بن خازم، عن أبي جناب الكلبي، عن أبي سليمان الهمداني، عن علي قال: يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم: الرافضة، ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر، أينما أدركتموهم فاقتلوهم؛ فإنهم مشركون[٢].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٩٥، ١٢٩٦، رقم ٢٤٥٦)، ورواه ضياء الدين المقدسي في «النهي عن سب الأصحاب» (ص٧١- ٧٣، رقم ٢١)، وأورده الهندي في «كنز العمال» (١٣/ ٢٢، رقم ٣٦١٤٥). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (١/ ١١، ١٢): قد تواتر عنه- يعني: علي بن أبي طالب- من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٤٥٦، رقم ٢٨٠٧).

ذكر تلبيس إبليس على الباطنية

قال المصنف: الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض[(١)]، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث[(٢)]، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أن الله حق، ومحمدًا رسول الله، والدين صحيح، ولكنهم يقولون: لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة.

وهم ثمانية أسماء[(٣)]:

○ الاسم الأول: الباطنية:

سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطنَ تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورتها توهم الجهال صورًا جلية، وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على

---

(١) قال الغزالي عن مذهب «الباطنية»: إنه (مذهبٌ ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض) فضائح الباطنية (ص٣٧)، وانظر: بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٤)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٩٨ – ١٠٤)، جناية التأويل الفاسد لمحمد لوح (ص٣٨٨ – ٣٩٦). وقال الديلمي في «بيان مذهب الباطنية» (ص٢): (الإمامية دهليز الباطنية).

(٢)قال البغدادي: (إن الباطنية خارجة عن فرق الأهواء وداخلة في فرق الكفر الصريح؛ لأنها لم تتمسك بشيء من أحكام الإسلام، لا في أصوله ولا في فروعه) أصول الدين للبغدادي (ص٣٢٩).
وانظر: الفرق بين الفرق (ص٢٩٤) وما بعدها، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص١٩٩)، البرهان للسكسكي (ص٨٢-٨٤)، عقائد الثلاث وسبعين فرقة لأبي محمد اليماني (٢/ ٧٢٠)، الإسماعيلية لظهير (ص٥٦٣) وما بعدها.

(٣) اختلف كتّاب المقالات في عدد ألقاب «الباطنية» على عدة أقوال: فالغزالي جعلها عشرة ألقاب، وابن الجوزي هنا وفي المنتظم جعلها ثمانية، والرازي في الاعتقادات جعلها ستة ألقاب؛ والديلمي جعلها خمسة عشر لقبًا. انظر فضائح الباطنية (ص١١)، المنتظم لابن الجوزي (١٢/ ٢٨٩)، اعتقادات الرازي (ص١١٩ – ١٢٤)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢١).

الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التي هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه.

قالوا: وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[الأعراف: ١٥٧].

ومرادهم: أن ينزعوا عن العقائد موجب الظواهر؛ ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على إبطال الشرائع[١].

○ الاسم الثاني: الإسماعيلية

نُسِبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن إسماعيل بن جعفر، ويزعمون أن دور الإمامة انتهى إليه؛ لأنه سابع، واحتجوا بأن السموات سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة، فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة[٢]، وعلى هذا فيما يتعلق بالسابع كانت الراوندية تتعلق بالمنصور فيقولون[٣]: العباس، ثم ابنه عبد الله، ثم علي، ثم محمد بن علي، ثم إبراهيم، ثم السفاح، ثم المنصور.

---

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص١١)، المنتظم للمصنف (١٢/ ٢٨٩)، القرامطة له أيضًا (ص٣٦ – ٣٧)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢١)، مشكاة الأنوار للإمام يحيى العلوي (ص١٠٠، ١٧٨، ١٨٧)، الملل والنحل للشهرستاني (ص١/ ٢٢٨)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (٢/ ٤٧٧)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٤٢ – ٤٣)، البرهان للسكسكي (ص٨٥)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٦٢)، التأويل الإسماعيلي الباطني د. عبد العزيز النّصر (ص٢٢ –٤٨) الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب (ص٩٢ – ٩٧).

(٢) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص١٦)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٣ – ٢٤)، الفرق بين الفِرق للبغدادي (ص٦٢ – ٦٣)، الحور العين للحميري (ص١٦٢ – ١٦٣)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٢٦ – ٢٢٧)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لليمني (٢/ ٤٨٩ – ٥٣٥ – ٥٤٠)، مقدمة ابن خلدون (٢/ ٥٩٦)، الإسماعيلية: تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ظهير (ص٦٥ – ٨٢)، مذاهب الإسلاميين د. بدوي (٢/ ٨٧ – ٩١)، الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب – إسماعيلي معاصر – (ص٧٤ – ٧٩).

(٣) انظر: فرق الشيعة للنوبختي (ص٤٧ – ٤٨)، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ١٢١ – ١٤٠) (ص٢٢٣).

فذكر أبو جعفر الطبري في «تاريخه» فقال: قال علي بن محمد، عن أبيه، إن رجلًا من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص، فتكلم بالغلو، ودعا الراوندية إليه، وزعم أن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي بن أبي طالب، ثم في الأئمة واحدًا بعد واحد، إلى إبراهيم بن محمد، واستحلوا الحرمات وكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله، فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته، فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم، فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم، وعبدوا أبا جعفر، وصعدوا الخضراء[١] وألقوا أنفسهم كأنهم يطيرون، فلا يبلغون إلى الأرض إلا وقد هلكوا، وخرج جماعتهم على الناس في السلاح وأقبلوا يصيحون بأبي جعفر: أنت أنت!

○ **الاسم الثالث: السبعية**

لقبوا بذلك لأمرين:

○ **أحدهما**: اعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة سبعة على ما بيَّنا، وأن الانتهاء إلى السابع هو آخِر الأدوار، وهو المراد بالقيامة، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها.

○ **والثاني**: لقولهم: إن تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة: زحل، ثم المشتري، ثم المريخ، ثم الشمس، ثم الزهرة، ثم عطارد، ثم القمر[٢].

○ **الاسم الرابع: البَابَكِيَّة**

وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلًا يقال له: بَابَك الخرمي، وكان من الباطنية[٣]،

(١) الخضراء: السماء. القاموس المحيط (خضر).

(٢) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص١٦)، المنتظم للمصنّف (١٢/ ٢٩٣)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٢ – ٢٣).

(٣) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص١٤)، المنتظم للمصنّف (١٢/ ٢٩٢)، بيان مذهب الباطنية للديلمي ⇐

وأصله أنه ولد زنا[(١)]، فظهر في بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين، وتبعه خلق كثير، واستفحل أمرهم، واستباح المحظورات[(٢)]، وكان إذا علم أن عند أحد بنتًا جميلة أو أختًا طلبها، فإن بعثها إليه وإلا بيَّته وأخذها[(٣)]، ومكث على هذا عشرين سنة، فقتل مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفًا وخمسمائة إنسان[(٤)].

وحاربه السلطان فهزم خلقًا من الجيوش، حتى بعث المعتصم أُفشين فحاربه، فجاء ببابك وأخيه في سنة ثلاث وعشرين، فلما أُدْخِلا، قال لبابك أخوه: يا بابك، قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الآن صبرًا لم يصبره أحد. فقال: سترى صبري! فأمر المعتصم بقطع يده، فقطعت يمينه، فمسح بالدم وجهه. فسئل عن ذلك، فقال: خفت أن يرى في وجهي صفرة؛ فيظن أني قد جزعت من الموت. فقطعت أربعته ثم ضربت عنقه، وضرمت عليه النار، وفعل مثل ذلك بأخيه، فما فيهما من صاح[(٥)].

وقد بقي من البابكية جماعة يقال لهم: إن لهم ليلة في كل سنة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم، ويطفئون السرج، ثم يتناهبون النساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأة، ويزعمون أن من احتوى على امرأة استحلها بالاصطياد؛ لأن الصيد مباح[(٦)].

(ص٢٤)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٦٦ - ٢٦٧)، اعتقادات فرق المسلمين للرازي (ص١٢٣).

(١) انظر: المنتظم للمؤلف (١١/ ٥١)، فقد ذكر ملابسات حمل أمه به وولادته.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي (ص١٤). وانظر: المنتظم للمصنّف (١٢/ ٢٩٢)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٤)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٦٦ - ٢٦٧).

(٣) انظر: المنتظم للمؤلف (١١/ ٥٢).

(٤) انظر: المنتظم للمؤلف (١١/ ٥٢)، والخبر عند الطبري في تاريخه (٩/ ٥٤ - ٥٥)، وانظر البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٦ - ٢٩٧).

(٥) أخرج هذا الخبر المصنّف في المنتظم (١١/ ٧٧ - ٧٨).

(٦) انظر: المنتظم للمصنّف (١٢/ ٢٩٢)، الفرق بين الفِرق للبغدادي (ص٢٦٩)، فضائح الباطنية للغزالي (ص١٥)، كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك اليماني (ص٢٧ - ٢٨)، القرامطة لطه الولي (ص٧٧ - ⇐

○ **الاسم الخامس: المحمرة**

سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها[١].

○ **الاسم السادس: القرامطة**

وللمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان[٢]:

○ **أحدهما**[٣]: أن رجلًا من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة[٤]، فأظهر الزهد ودعا إلى إمام من أهل بيت الرسول ﷺ، ونزل على رجل يقال له: كرميتة، لقب بهذا لحمرة عينيه، وهو بالنبطية حاد العينين، فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام، فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه، فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام، وتسمى: كرميتة، باسم الذي كان نازلًا عليه، ثم خفف فقيل قُرْمط، ثم توارث مكانه أولاده وأهله.

○ **والثاني**[٥]: أن القوم لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط، كان أحد

---

٨٤)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٤ – ٢٥) وقال: (هذه الليلة هي الليلة المشهورة بليلة الإفاضة في كثير من نواحي الباطنية باليمن).

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص١٧)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٥)، القرامطة لابن الجوزي (ص٤٩)، الأنساب للسمعاني (١٢/ ١٢٣ – ١٢٤).

(٢) في المنتظم (١٢/ ٢٨٩)، والقرامطة (ص٣٨ – ٤٧) ذكر المصنّف في سبب تسميتهم ستة أقوال، منها هذان القولان اللذان ذكرهما هنا.

(٣) انظر: المنتظم للمصنِّف (١٢/ ٢٩٠– ٢٩١)، تاريخ الطبري (١٠/ ٢٣ – ٢٤)، تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان ضمن الجامع في أخبار القرامطة لسهيل زكّار (ص١٨٧ – ١٨٨).

(٤) سواد الكوفة: السواد في اللغة: المال الكثير، ومن البلدة قراها.

(٥) هذا الذي ذكره الغزالي في فضائح الباطنية (ص١٢ – ١٤)، ولم يذكر سببًا آخر لتسمية «القرامطة» غير هذا. وانظر: المنتظم للمصنّف (١٢/ ٢٩١ – ٢٩٢)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٢)، فرق ↲

دعاتهم في الابتداء، فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطية، وكان هذا الرجل من أهل الكوفة، وكان يميل إلى الزهد، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه إلى القرية وبين يديه بقر يسوقها، فقال حمدان لذلك الراعي وهو لا يعرفه: أين مقصدك؟ فذكر قرية حمدان، فقال له: اركب بقرة من هذه لئلا تتعب، فقال: إني لم أؤمر بذلك، فقال: وكأنك لا تعمل إلا بأمر، قال: نعم. قال: وبأمر من تعمل؟ قال: بأمر مالكي ومالكك ومالك الدنيا والآخرة، فقال: ذلك إذن هو الله رب العالمين.

فقال: صدقت. قال له: فما غرضك في هذه القرية التي تقصدها؟ قال: أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة، وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر، وأُمَلِّكُهم ما يستغنون به عن الكد، فقال له حمدان: أنقذني أنقذك الله، وأَفِض عليَّ من العلم ما تحييني به، فما أشد احتياجي إلى مثل ما ذكرته!

فقال: ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه. قال: اذكر عهدك فإني ملتزم له! فقال: أن تجعل لي وللإمام على نفسك عهد الله ﷻ وميثاقه ألَّا تخرج سر الإمام الذي ألقيه إليك، ولا تفش سري أيضًا.

فالتزم حمدان عهده، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له، ثم انتدب للدعاء، وصار أصلًا من أصول هذه البدعة فسمي أتباعه القرامطة والقرمطية.

ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه، وكان أشدهم بأسًا رجل يقال له أبو سعيد، ظهر في سنة ست وثمانين ومائتين، وقوي أمره، فقتل ما لا يحصى من المسلمين،

الشيعة للنوبختي (ص٧٢)، الأنساب (١/ ٣٨٧)، تاريخ الإسماعيلية لعارف ثامر (١/ ١٤٩ - ١٥٥)، اتعاظ الحنفا للمقريزي (١/ ١٥٢ - ١٥٤).

وخرب المساجد، وأحرق المصاحف، وفتك بالحاج، وسَنَّ لأصحابه سننًا، وأخبرهم بمحالات، وكان إذا قاتل يقول: قد وعدت النصر في هذه الساعة.

فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائرًا من جصٍّ، وقالوا: إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره، وجعلوا عند القبر فرسًا وخلعة ثياب وسلاحًا[١]، وقد سول إبليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكبًا، وإن لم يكن ثَمَّ فرسٌ حشر ماشيًا.

وكان أصحاب أبي سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ، فإذا سمعوا من يصلي على رسول الله ﷺ يقولون: تأكل رزق أبي سعيد وتصلي على أبي القاسم!

وخَلَّفَ بعده ابنَه أبا طاهر ففعل مثل فعله، وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر، وقلع الحجر الأسود فحمله إلى بلده، وأوهم الناس أنه الله ﷻ.

○ الاسم السابع: الخُرَّمِيَّة

وخُرَّم: لفظ أعجمي ينبئ عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان له، ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت، وَطَيِّ بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد، وقد كان هذا الاسم لقبًا للمَزْدَكية، وهم أهل الإباحة من المجوس[٢] الذين نبغوا في أيام قُبَاذ وأباحوا النساء المُحَرَّمات، وأحلوا كل محظور، فسمي هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم في مقدماته[٣].

---

(١) انظر: الجامع في أخبار القرامطة (١/ ٣٣٤).

(٢) انظر: تلبيس إبليس على المجوس (ص ٢٣٦).

(٣) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص١٤)، المنتظم للمصنِّف (١٢/ ٢٩٢)، القرامطة له (ص٤٩ - ٥٠)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٥)، الأنساب للسمعاني (ص٥/ ١٠٤).

○ الاسم الثامن: التعليمية

لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأي، وإفساد تصرف العقول، ودعاء الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم[(١)].

فصل في ذكر السبب الباعث لهم على الدخول في هذه البدعة[(٢)]

اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس، والمَزْدَكية، والثنوية، وملحدة الفلاسفة في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع، وتكذيب الرسل، وجحد البعث، وزعمهم أن الأنبياء مُـمَخْرِقُون[(٣)]، ومُنَمِّسون[(٤)]، ورأوا أمرَ محمد ﷺ قد استطار في الأقطار، وأنهم قد عجزوا عن مقاومته.

فقالوا: سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أَرَكِّهم عقولًا، وأسخفهم رأيًا، وأَقْبَلِهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب - وهم الروافض - فنتحصن بالانتساب إليهم، ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل[(٥)]؛ ليمكننا

---

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص١٧)، المنتظم للمصنِّف (١٢/ ٢٩٣)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٤)، الأنساب للسمعاني (٣/ ٥٧).

(٢) انظر: هذا الفصل في فضائح الباطنية للغزالي: (ص١٨ - ٢٠)، وانظر: المنتظم للمصنِّف (١٢/ ٢٩٣ - ٢٩٥)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص١٨ - ٢١)، الفرق بين الفرق (ص٣٩٣، ٢٩٧، ٣٠٢).

(٣) **ممخرقون**: مظهرون للحمق تمويهًا. معجم متن اللغة (مخرق).

(٤) **منمسون**: محتالون. القاموس، اللسان (نمس).

(٥) ولذلك قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: (وما توصّلت الباطنية إلى كيد الإسلام، وإخراج الضعفاء عنه إلى الكفر، إلّا على ألسنة الشيعة) الفِصل (٥/ ٩٨). وانظر: الخطط للمقريزي (٢/ ٣٦٢)، مذاهب الإسلاميين لبدوي (٢/ ١٧٦). وممّا يذكر عن حماقة الروافض وسخافتهم، ما ذُكر عن الشعبي أنه قال: (إني قد درستُ الأهواء، فلم أر فيها أحمق من الخشبية - وفي رواية أخرى: الشيعة - فلو كانوا من الطير لكانوا رخَمًا، ولو كانوا من ⇐

شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة، فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوه؛ فأمكن استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، فإن بقي منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار، أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن الانخداع بظواهرها حمق، وإنما الفطنة في اعتقاد بواطنها، ثم نبثّ إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهرها عندهم، فإذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقي القوم.

ثم قالوا: وطريقنا أن نختار رجلًا ممن يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على الخلق متابعتُه ويتعين عليهم طاعته؛ لكونه خليفة رسول الله ﷺ، والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله تعالى، ثم لا نظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذي وسمناه بالعصمة، فإن قُرْبَ الدار يهتك الأسرار، وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الإمام أو يطلع على حقيقة أمره.

وقصدهم بهذا كله: الملك والاستيلاء على أموال الناس، والانتقام منهم؛ لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديمًا، فهذا غاية مقصدهم ومبدأ أمرهم!

فصل

وللقوم[1] حيل في استزلال الناس، فهم يميزون من يجوز أن يطمع في استدراجه ممن لا يطمع فيه، فإذا طمعوا في شخص نظروا في طبعه، فإن كان مائلًا

الدواب لكانوا حُمرًا) منهاج السُّنة لابن تيمية (١/ ٢٩). **والرخم**: قال في لسان العرب: (هي نوع من الطير، واحدته رخمة، وهو موصوف بالغدر والموق، وقيل بالقذر، ومنها قولهم: رخم السقاء إذا أنتن).

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص٢١ – ٣٢)، الفرق بين الفِرق للبغدادي (ص٢٩٨ – ٣٠٥)، وعنه نقل الغزالي جلّ مادة كتابه (فضائح الباطنية) في هذا الفصل، على ما ذكر د. عبد الرحمن بدوي في مقدمته لكتاب الغزالي (ص: د–هـ)، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٢٥ – ٣٠)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليماني (٢/ ٥٠٣ – ٥٠٤).

إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات، وإن كان مائلًا إلى الخلاعة قرروا في نفسه أن العبادة بَلَهٌ، وأن الورع حماقة، وإنما الفطنة في اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية[(١)].

ويبثون عند كل ذي مذهب ما يليق بمذهبهم، ثم يشككونه فيما يعتقدونه[(٢)]، فيستجيب لهم:

- إما رجل أبله.
- وإما رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس، قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام.
- أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان؛ فيعدونه بنيل آماله.
- أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق.
- أو رافضي يتدين بسبِّ الصحابة.
- أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين في الدين.
- أو من قد غلب عليه حب اللذات، وثقل عليه التكليف[(٣)].

---

(١) هذه إحدى مراتبهم في الدعوة إلى مذهبهم الرديّ، وتسمّى: «الزرق والتفرس»، وهي: أن يكون الداعي قادرًا على التلبيس، مميّزا بين من يطمع في إغرائه، وبين من لا مطمع فيه.
انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٩٨)، فضائح الباطنية: (ص٢١)، المنتظم (١٢/ ٢٩٣، ٢٩٤)، بيان مذهب الباطنية (ص٢٥ – ٢٦)، مذاهب الإسلاميين لبدوي (٢/ ١٥٢ – ١٧٢).
وحيلهم في الدعوة مرتبة على درجات ومراتب تسع، هي: الزرق والتفرس، التأنيس، التشكيك، التعليق، الربط، التدليس، التلبيس، الخلع، السلخ. انظر: المراجع السابقة.
(٢) انظر: الفرق بين الفِرق (ص٢٩٩)، فضائح الباطنية (ص٢٥)، بيان مذهب الباطنية (ص٢٦ – ٢٧).
(٣) انظر: المنتظم للمصنِّف (١٢/ ٢٩٧ – ٢٩٨)، القرامطة للمُصنِّف (ص ٦٦ – ٦٨).

فصل في ذكر نبذة من مذاهبهم

قال أبو حامد الطوسي[١]: الباطنية قوم يَدَّعون الإسلام ويميلون إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام، فمن مذهبهم:

○ القول بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، قالوا: والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم، ولا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا هو غير موصوف، وحدث من السابق التالي، وهو أول ثم مبدع. ثم حدثت[٢] النفس الكلية.

○ وعندهم أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية، وزعموا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه، لا أنه شخص.

○ واتفقوا على أنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق، يُرجع إليه في تأويل الظواهر، يساوي النبي في العصمة.

○ وأنكروا المعاد وقالوا: معنى المعاد: عود الشيء إلى أصله، وتعود النفس إلى أصلها.

○ وأما التكليف فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات، وقد ينكرون هذا إذا حُكي عنهم، وإنما يقرّون بأنه لابدَّ للإنسان من التكليف، فإذا أُطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف.

○ ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها؛ إذ لو صرحوا بالنفي المحض لقُتِلوا؛ فقالوا:

○ معنى الجنابة: مبادرة المستجيب بإفشاء السر، ومعنى الغسل: تجديد العهد على من فعل ذلك.

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي (ص٣٧-٥٤)، وانظر: المنتظم للمصنف (١٢/ ٢٩٥-٢٩٧)، وانظر بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٦-٨، ٣٤-٣٥)، الفرق بين الفرق (ص٢٨٥، ٢٩٤-٢٩٦).

(٢) سقطت التاء من الأصل، والمثبت من (أ)، وفي (ت): «جذبت».

○ ومعنى الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد.

○ والصيام: الإمساك عن كشف السر.

○ والكعبة: هي النبي، والباب: علي.

○ والطوفان: طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبه، والسفينة: حرزه الذي يحصن به من استجاب لدعوته.

○ ونار إبراهيم: عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة. وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه.

○ وعصا موسى: حجته.

○ ويأجوج ومأجوج: هم أهل الظاهر.

○ وذكر غيره أنهم يقولون: إن الله تعالى لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كَهُم، فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه، فأول من عرفه سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وأول المنكرين الذي يسمى إبليس: عمرُ بن الخطاب، في خرافات ينبغي أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها.

ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة، وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا، فإن اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له: أعرفتم هذه الأشياء التي تذكرونها عن ضرورة، أو عن نظر، أو عن نقل عن الإمام المعصوم؟ فإن قلتم: ضرورة، فكيف خالفكم ذوو العقول السليمة؟ ولو ساغ للإنسان أن يهذي بدعوى الضرورة في كل ما يهواه، جاز لخصمه دعوى الضرورة في نقض ما ادعاه، وإن قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل؛ لأنه تصرف بالعقل، وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها، وإن قالوا: عن إمام معصوم، قلنا: فما الذي دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة، وترك قول

محمد ﷺ مع المعجزات؟ ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع عن الإمام المعصوم له باطن غير ظاهره[١]؟

ثم يقال لهم: هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها؟ فإن قالوا: يجب إظهارها، قلنا: فلم كتمها محمد ﷺ؟ فإن قالوا: يجب إخفاؤها، قلنا: ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه؟

قال ابن عقيل: هلك الإسلام بين طائفتين: بين الباطنية والظاهرية:

- **فأما أهل الباطن** فإنهم عطّلوا ظواهر الشرع، بما ادعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها، حتى لم يبق في الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى، حتى أسقطوا إيجاب الواجب، والنهي عن المنهي.

- **وأما أهل الظاهر**[٢] فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابدَّ من تأويله، فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوا.

والحق: بين المنزلتين، وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل، ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع.

قال: ولو لقيت مُقَدَّم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية، لم أكن سالكًا معه طريق العلم، بل التوبيخ والإزراء على عقله وعقول أتباعه، بأن أقول: إن للآمال طرقًا تسلك ووجوهًا توصل، ووضع الأمل في جهة الناس حمق، ومعلوم أن هذه الملل التي قد طبقت الأرض أَقْرَبُهَا شريعةُ الإسلام التي تتظاهرون بها، وتطمعون في

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٣٢-٢٣٥)، عيون المناظرات للسكوني (ص٢٨١-٢٨٣).

(٢) من الخطأ تلقيب مثبتة الصفات على ما نطق به الوحي: أهل الظاهر؛ لأن إمرار نصوص أسماء الله تعالى وصفاته على ظاهرها كما وردت هو منهج رجال خير القرون. وابن عقيل رحمه الله هنا سار على منهجه في التأويل وقدحه لأهل السنة. وانظر: كتاب الفنون له (١/ ٦٦-٦٨)، (٢/ ٦٠٩-٦١٠).

إفسادها، قد تمكنت تمكنًا يكون الطمع في تمحيقها فضلًا عن إزالتها حمقًا، فلها مجمع كل سنة بعَرَفَة، ومجمع كل أسبوع في الجوامع، ومجمع كل يوم في المساجد، فمتى تحدثون أنفسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر! في الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر أشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ، وغاية ما أنتم عليه حديث في خلوة، أو متقدم في قلعة، إن نبس بكلمة رمي رأسه وقُتِلَ قتل الكلاب، فمتى يحدث العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلي الذي قد طبق البلاد! فما أعرف أحمق منكم إلى أن يجيء إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية!

فصل

والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين في سنة أربع وتسعين وأربعمائة، فقَتَلَ السلطان بَرْكيارُق خلقًا منهم تحقق مذهبهم، فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفًا، وتُتُبِّعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتًا من الزلالي[1] المحفور، وكتب بذلك كتابًا إلى الخليفة، فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب، ولم يتجاسر أحد أن يشفع في أحد؛ لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب، وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا، وصار كل من في نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب؛ فيقصد وينهب[2].

وأول ما عُرِفَ من أحوال الباطنية في أيام ملك شاه جلال الدولة، أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد في ساوة، ففطن بهم السخنة[3]، فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم، ثم احتالوا مؤذنًا من أهل ساوة، فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل

---

(١) **الزلالي**: جمع الزِّلِّيَّة: وهو نوع من البسط. المعجم الوسيط (ص٣٩٨).

(٢) انظر: المنتظم (١٧/ ٦٢-٦٣)، الكامل لابن الأثير (٤/ ٤١-٤٢)، البداية والنهاية (١٢/ ١٧٠-١٧١).

(٣) في «أ» و«ت»: الشحنة.

فخافوا أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه، فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم فأخذ من يتهم بقتله، فقتل المتهم وكان نجارًا، وكانت أول فتكة لهم قتل نظام الملك، وكانوا يقولون: قتلتم منا نجارًا وقتلنا به نظام الملك[١].

فاستفحل أمرهم بأصبهان لما مات ملك شاه، وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه في البئر، فكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله يئسوا منه، وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير، فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلًا، فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة.

وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذي فيه هذه الدار، فإذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبه من في الدار واستولوا عليه، فجَدَّ المسلمون في طلبهم بأصبهان؛ فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا[٢].

وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة في ناحية يقال لها الرُّوذَباد من نواحي الديلم، وكانت هذه القلعة لقماج صاحب ملكشاه، وكان يستحفظها متهمًا[٣] بمذهب القوم، فأخذ ألفًا ومائتي دينار وسلم إليهم القلعة في سنة ثلاث وثمانين في أيام ملكشاه، فكان متقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مَرْو، وكان كاتبًا للرئيس عبد الرزاق بن بُهْرَام إذ كان صبيًّا ثم صار إلى مصر، وتلقى من دعاتهم المذهب، وعاد داعية القوم ورأسًا فيهم، وحصلت له هذه القلعة، وكانت سيرته في دعاته أنه لا يدعو إلا غبيًّا لا يفرق بين شماله من يمينه مثلًا، ومن لا يعرف أمور الدنيا، ويطعمه الجوز والعسل والشُّونيز[٤] حتى ينشط دماغه، ثم يذكر له حينئذ ما تَمَّ على أهل بيت المصطفى من

---

(١) انظر: المنتظم (١٧/ ٦٣).

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) في (أ): «مهتما».

(٤) **الشونيز**: كلمة فارسية معناها: الحبة السوداء. اللسان (شنز)، معجم الألفاظ الفارسية المعربة (ص١٠٥).

الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك في نفسه، ثم يقول: إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم في القتال مع بني أمية فما سبب بخلك بنفسك في نصرة إمامك؟! فيتركه بهذه المقالة طعمة للسباع(١).

وكان ملكشاه قد أنفذ إلى هذا ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدده إن خالف، ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال في جواب الرسالة والرسول حاضر: الجواب ما ترى، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه: أريد أن أنفذكم إلى مولاكم في حاجة فمن ينهض لها؟ فاشرأب كل منهم لذلك، وظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم، وأَوْمَأَ إلى شاب منهم فقال له: اقتل نفسك. فجذب سكينه وضرب بها غَلْصَمَتَهُ(٢) فخرَّ ميتًا، وقال لآخر: ارم بنفسك من القلعة. فألقى نفسه فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال: أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفًا، هذا حد طاعتهم لي، وهذا هو الجواب. فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم، وصار بأيديهم قلاع كثيرة، ثم قتلوا جماعة من الوزراء والأمراء(٣).

قال المصنف: وقد ذكرنا من صفة إقدامهم على القوم في التاريخ أحوالًا عجيبة، فلم نر التطويل بها هاهنا(٤).

فصل

وكم من زنديق في قلبه حقد على الإسلام، خرج فبالغ واجتهد وزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه! وكان غور مقصده في الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين، وفي

---

(١) انظر: المنتظم (١٧/ ٦٣ – ٦٤)، البداية والنهاية (١٢/ ١٧٠).
(٢) **غَلْصَمَتَه**: الغلصمة هي رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتئ في الحلق. مختار الصحاح (غلصم).
(٣) انظر: المنتظم (١٧/ ٦٤)، البداية والنهاية (١٢/ ١٧٠ – ١٧١).
(٤) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٧/ ٦٢ – ٦٥).

العمل نيل اللذات واستباحة المحظورات، فمنهم من حصل له مقصوده من اللذات، ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ في الأذى، كبابك الخرمي والقرامطة، وصاحب الزنج الذي خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك، فنهب وقتل وبالغ، ومنهم من لم يبرح على تعثيره ففاتته الدنيا والآخرة، مثل ابن الرَّاوَنْدي والمعرِّي.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، قال: كان ابن الرَّاوَنْدي ملازم الرافضة وأهل الإلحاد، فإذا عُوتب قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم، ثم كاشف وناظر[1].

قال المصنف: قلت: من تأمل حال ابن الرَّاوَنْدي وَجَدَهُ من كبار الملحدة، وصنف كتابًا سماه «الدامغ»[2][3]، زعم أنه يدمغ به الشريعة، فسبحان من دمغه فأخذه وهو في الشباب[4]! وكان يعترض على القرآن ويدَّعي عليه التناقض وعدم الفصاحة[5]، وهو يعلم أن العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن!

وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الإلحاد[6]، وكان يبالغ في عداوة الأنبياء،

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ١٠٨)، وهو عند التنوخي في «نشوار المحاضرة» (٤/ ١٥٢).

(٢) انظر: (ص ٢١٨).

(٣) ذكره المصنِّف في المنتظم (١٣/ ١٠٨، ١١٢ – ١١٧)، ونقل منه بعض مخازيه وكفره بآيات الله تعالى، كما نقل قول ابن عقيل بأنه ألّف هذا الكتاب «الدامغ» ليدمغ به القرآن. (المنتظم ١٣/ ١١٠ – ١١٣). كما ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص٣٦٠)، وقال عنه: (يطعن فيه على نظم القرآن)، وابن المرتضى في طبقات المعتزلة (ص٩٢)، وقال: (الدامغ في الردّ على القرآن).

(٤) ذكر ابن الجوزي في المنتظم (١٠/ ١١٧) أنه توفي وعمره ٣٦ سنة.

(٥) قال ابن الجوزي في المنتظم (١٣/ ١١٠): (وقد نظرت في كتاب «الزمرد» فرأيت فيه من الهذيان البارد الذي لا يتعلق بشبهة، حتى إنّه – لعنه الله – قال فيه: (نجد في كلام أكثم بن صيفي أحسن من ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.. في نظائر لهذا). وانظر (١٣/ ١١١).

(٦) من أشعار المعرّي التي ذكرها المصنّف في كتابه المنتظم (١٦/ ٢٤ – ٢٥) قوله:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل ** وترزق مجنونا وترزق أحمقا

الأنبياء، ولم يزل متخبطًا في تعثيره، خائفًا من القتل إلى أن مات بحسراته.

وما خلا زمان من خلف للفريقين، إلا أن جَمْرَة المنبسطين خَبَتْ بحمد الله، فليس هو إلا باطني مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسهم قدرًا، وأردأهم عيشًا، وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين في التاريخ فلم نر التطويل بذلك.

فلا ذنب يا ربّ العباد على امرئ ** رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

وقوله:

فلا تحسب مقال الرسل حَقًّا ** ولكن قول زور سطّروه

وكان الناس في عيش رغيد ** فجاؤوا بالمحال وكدّروه

وانظر: بحث (اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء المعري) لهنري لاوست (ص٢٩٣ – ٣٠٠) المطبوع ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري.

الباب السادس
في ذكر تلبيس إبليس على العلماء في فنون العلم

اعلم أن إبليس يدخل على الناس في التلبيس من طرق:

- **منها:** ظاهر الأمر، ولكن يغلب الإنسان في إيثاره هواه فيغمض على علم يذلـلّه.
- **ومنها:** غامض، وهو الذي يخفى على كثير من العلماء.

ونحن نشير إلى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مُغْفَلِها؛ إذ حصر الطرق يطول، والله العاصم.

ذكر تلبيسه على القراء

- **فمن ذلك** أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشَّاذة وتحصيلها، فيبقى أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد تصدر للإقراء، ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حب التصدر حتى لا يُرى بعين الجهل على أن يجيب في فتوى بما يقع له، وإن لم يُجْزَ في مذهب، ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن، وتقويم ألفاظه، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيرُهُ الأهمُّ.

قال الحسن البصري: أُنزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملًا(١). يعني: أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم والعمل» (ص٢٠١ رقم ١١٦) بلفظه، لكن من كلام الفضيل بن عياض.

○ **ومن ذلك** أن أحدهم يقرأ في محرابه بالشَّاذ ويترك المشهور، والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ، وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه، وعنده أنه متشاغل بالقرآن، وفيهم من يجمع القراءات فيقول: (ملك، مالك، ملاك)، وهذا لا يجوز؛ لأنه إخراج للقرآن عن نظمه.

وفيهم من يجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك لا يجوز.

وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة، فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد. ويريهم إبليس أن في إعزازًا للإسلام، وهذا تلبيس عظيم؛ لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع.

○ **ومن ذلك** أن فيهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه، فقال أخبرنا تدليسًا وهو يرى أن الأمر في ذلك قريب؛ لكونه يروي القراءات ويراها فعل خير، وينسى أن هذا كذب يلزمه إثم الكذابين!

○ **ومن ذلك** أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويحدث من يدخل عليه، والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء، ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ عليَّ فلان بقراءة فلان.

وقد كان بعض المحققين يقول: ينبغي أن يجمع اثنان وثلاثة فيأخذوا على واحد، ومن ذلك أن أقوامًا من القراء يتبارون بكثرة القراءة.

وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصًا فيقرأ في النهار الطويل ثلاث ختمات، فإن قصر عِيْبَ وإن أتمَّ مُدِحَ، وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون في حق السُّعاة، ويريهم إبليس أن في كثرة التلاوة ثوابًا، وهذا من تلبيسه؛ لأن القراءة ينبغي أن تكون لله تعالى، لا للتحسين بها، وينبغي أن تكون على تمهل، قال الله ﷻ: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[الإسراء: ١٠٦]، وقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

○ **ومن ذلك** أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الألحان، وقد كانت إلى حد قريب، وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل(١) وغيره، ولم يكرهها الشافعي(٢).

وأنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن أبي سعد الهمذاني، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن لال، قال: نا الفضل بن الفضل، قال: نا الساجي، قال: حدثنا الربيع بن سليمان، قال: قال الشافعي: أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به، ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت(٣).

قال المصنف: قلت: وإنما أشار الشافعي رحمه الله إلى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيرًا، وأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغاني، وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته، فإن أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك.

○ **ومن ذلك** أن قومًا من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء، وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يدفع عنهم العذاب، واحتجوا بقوله عليه السلام: «**لو جعل القرآن في إهاب ما احترق**»(٤).

---

(١) روى الخلّال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص١٥٣ رقم ١٩٤) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي وقد سُئل عن القراءة بالألحان فقال: محدث، إلا أن يكون من طباع الرّجل. وروى أيضًا (ص١٥٤ رقم ١٩٧) من طريق الفضل قال: سمعت أبا عبد الله سُئل عن الألحان، فكرهه وقال: يحسّنه بصوته من غير تكلّف. وقد روى الكراهة عن الإمام أحمد غير واحد من تلامذته، كما في طبقات الحنابلة (١/ ٦٧، ١٨٣، ٢٢٥، ٣٩٦). وانظر: المغني لابن قدامة (٢/ ٦١٣).

(٢) انظر: روضة الطالبين (١١/ ٢٢٧)، شرح النووي (٦/ ٨٠)، فتح الباري (٩/ ٧٢).

(٣) هو عند الشافعي في «الأم» (٦/ ٢٠٩) شطره الأول، وأما الشطر الثاني فذكره عن الشافعي ابن الجوزي في كتابه «القصاص والمذكرين» (ص ٣٣٥)، وانظر هامش (ص ٣٢١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٥١، ١٥٥)، والدارمي (٢/ ٢٩١ رقم ٣٣٠٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٨٤ رقم ١٧٤٥)، من طريق ابن لهيعة عن مشرح عن عقبة بن عامر به، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٦١): فيه ابن لهيعة، وفيه اختلاف. وله شاهد من حديث عصمة بن مالك يرفعه، أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٨٦ رقم ٤٩٨)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٦١): فيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف.

وذلك من تلبيس إبليس عليهم؛ لأن عذاب من يعلم أكبر من عذاب من لم يعلم؛ إذ زيادة العلم تقوِّي الحجة، وكون القارئ لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر، قال الله ﷻ: أفمن يعلم كمن لا يعلم[1]. وقال في أزواج رسول الله ﷺ: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[الأحزاب: ٣٠].

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الحسن بن رِزْقويه، قال: أخبرنا إسماعيل الصفار، قال: حدثنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا معروف الكَرْخي، قال: قال بكر بن خنيس: «**إن في جهنم لواديًا تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات، وإن في الوادي لجبًّا يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات، وإن في الجب لحيَّة يتعوذ الجب والوادي وجهنم من تلك الحيَّة كل يوم سبع مرات، يُبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: أي رب بُدئ بنا قبل عبدة الأوثان؟! فقيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم**»[2].

قال المصنف: فلنقتصر على هذا الأنموذج فيما يتعلق بالقُرَّاء.

ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث

• **من ذلك** أن قومًا استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث، والرحلة فيه، وجمع الطرق الكثيرة، وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة، وهؤلاء على قسمين:

○ **قسم**: قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه، فهم مشكورون على هذا القصد، إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن شغلهم بهذا عما هو فرض عين عن معرفة ما يجب عليهم، والاجتهاد في أداء اللازم والتفقه في الحديث.

---

(١) هذه الجملة ليست بآية، ولعل المؤلف يشير إلى قول خنيس في الحديث التالي.

(٢)أخرجه ابن الجوزي في «مناقب معروف الكرخي وأخباره» (ص ٨٠)، ورواه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (ص ٢٠٠، ٢٠١ رقم ١١٣).

فإن قال قائل: فقد فعل هذا خلق من السلف كيحيى بن معين وابن المديني، والبخاري، ومسلم؟

فالجواب: أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه، وبين ما طلبوا من الحديث، وأعانهم على ذلك قصر الإسناد وقلة الحديث، فاتسع زمانهم للأمرين.

فأما في هذا الزمان فإن طرق الحديث طالت، والتصانيف فيه اتسعت، وما في هذا الكتاب في هذا الكتاب، وإنما الطرق تختلف، فقلَّ أن يُمكّن أحد أن يجمع بين الأمرين، فترى المُحَدِّث يكتب ويسمع خمسين سنة، ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها، ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهة الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه، وبهؤلاء تمكّن الطاعنون على المحدِّثين فقالوا: زوامل أسفار[1]، لا يدرون ما معهم!

فإن أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ، وربما فهم من الحديث ما يفهمه العامي الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث، كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقي الرجل ماءه زرع غيره[2]، فقال جماعة ممن حضر: قد كنا إذا فضل لنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى

---

(١) **زوامل أسفار**: زوامل، جمع زاملة. والزاملة البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع. مختار الصحاح، اللسان (زمل). والأسفار: جمع سفر، وهو الكتاب. مختار الصحاح، اللسان (سفر). والمعنى شبهوا بالإبل التي تحمل الكتب ولا تفقه ما فيها.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦١٥ رقم ٢١٥٨)، والترمذي (٣/ ٤٣٧ رقم ١١٣١)، وأحمد في المسند (٤/ ١٠٨-١٠٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن وقد رُوي من غير وجه عن رويفع بن ثابت، والعمل على هذا عند أهل العلم، لا يرون للرجل إذا اشترى جارية وهي حامل أن يطأها حتى تضع. وقال الألباني في الإرواء (٧/ ٢١٣): حسن.

جيراننا ونحن نستغفر الله. فما فهم القارئ ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا.

قال الخطابي: [١] وكان بعض مشايخنا يروي الحديث أن النبي ﷺ «نهى عن الحِلَق قبل الصلاة يوم الجمعة»[٢]، بإسكان اللام، قال: وأخبرني: أنه بقي أربعين لا يحلق رأسه قبل الصلاة، قال: فقلت: إنما هو الحِلَق جمع: حَلَقَة، وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة، وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة، فقال: قد فرجت عني. وكان من الصالحين.

وقد كان ابن صاعد كبير القدر في المحدثينِّ، لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى، حتى إنه قد أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: سمعت البرقاني، يقول: قال لي أبو بكر الأبهري الفقيه: كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد فجاءته امرأته فقالت: أيها الشيخ، ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت، هل الماء طاهر أو نجس؟ فقال يحيى: ويحك، كيف سقطت الدجاجة في البئر؟ قالت: لم تكن البئر مغطاة، فقال يحيى: ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شيء. قال الأبهري: فقلت: يا هذه، إن كان الماء تغير وإلا فهو طاهر[٣].

---

(١) معالم السنن: (٢/ ١٣ – ١٤)، إصلاح غلط المحدثين للخطابي أيضًا (ص٢٨ رقم ١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٦٥١ رقم ١٠٧٩)، والترمذي (٢/ ١٣٩ رقم ٣٢٢)، والنسائي (٢/ ٤٧)، وابن ماجه (١/ ٣٥٩ رقم ١١٣٣)، وأحمد (٢/ ١٧٩).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ» (ص ٢٥٨)، وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٤/ ٢٣٢)، وقال عقب ذلك: (هذا القول كظن من الأبهري، وقد كان يحيى- يعني: ابن صاعد- ذا محل من العلم، وله تصانيف في السنن وترتيبها على الأحكام، تدل من وقف عليها وتأملها على فقهه. ولعل يحيى لم يجب المرأة لأن المسألة فيها خلاف بين أهل العلم، فتورع أن يقلد قول بعضهم، وكره أن ينصب نفسه للفتيا، وليس هو من المترسمين بها، وأحب أن يكل ذلك إلى الفقهاء المشتهرين بالفتوى والنظر، والله أعلم).

قال المصنف: قلت: وكان ابن شاهين قد صنف في الحديث مصنفات كثيرة، أقلها جزء، وأكثرها التفسير وهو ألف جزء، وما كان يعرف من الفقه شيئًا، وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ؛ لئلا يُرى بعين الجهل، فكان فيهم من يصير بما يفتي به ضُحكةً، فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب في الفتوى: تقسم على فرائض الله سبحانه.

وأنبأنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أحمد بن [الحسن][(١)] بن خيرون، قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي، قال: أخبرنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا سليمان بن إسحاق الجلاب، قال: نا إبراهيم الحربي، قال: بلغني أن امرأة جاءت إلى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس، فقالت له: حلفت بصدقة إزاري، قال: بكم اشتريتيه؟ قالت: باثنين وعشرين درهمًا. قال: اذهبي فصومي اثنين وعشرين يومًا، فلما مرت جعل يقول: آه، آه! غلطنا والله، أمرناها بكفارة الظهار[(٢)(٣)].

قال المصنف: قلت: فانظر إلى هاتين الفضيحتين: فضيحة الجهل، وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط!

واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلَّق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس، فَشَبَّهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى

---

(١) في الأصل و«أ»: (الحسين)، وهو تحريف، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٢) أورده ابن الجوزي في «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ» (ص ٢٥٩).

(٣) جواب المسألتين خطأ، فكفَّارة اليمين هي إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام. أمّا كفّارة الظهار فهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا قبل المساس. انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٥٠٦ وما بعدها)، و(١١/ ٨٠ وما بعدها).

المحكم[1]، وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل، ومنهم من لا يحفظ القرآن، ولا يعرف أركان الصلاة.

فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفايات عن فروض الأعيان، وإيثار ما ليس بمهم على المهم: من تلبيس إبليس!

○ **والقسم الثاني:** قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحًا، ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق، وإنما كان مرادهم العوالي والغرائب، فطافوا البلدان ليقول أحدهم: لقيت فلانًا ولي من الإسناد ما ليس لغيري، وعندي أحاديث ليست عند غيري.

وقد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث، فكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة، وهي البستان الذي على شاطئ دجلة فيقرأ عليه، ويقول في مجموعاته: حدثني فلان بالرَّقَّة، ويوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام؛ ليظنوا أنه قد تعب في الأسفار لطلب الحديث، وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والصراة ويقول حدثني فلان من وراء النهر، يوهم أنه قد عبر خراسان في طلب الحديث، وكان يقول حدثني فلان في رحلتي الثانية والثالثة، ليعلم الناس قدر تعبه في طلب العلم، فما بورك له ومات في زمان الطلب!

وهذا كله من الإخلاص بمعزل، وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة، ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه، وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه

(١) ما ذكره المصنف - عفا الله عنه - عن المحدثين لا يُسلَّم، فلقد كان أغلب المحدثين هم حملة عقيدة السلف بالأسانيد المتصلة إلى رسول الله ﷺ، ثم دوّنوها في مصنفات خاصة، أو ضمن كتب السنة، فأدوها كما سمعوها، وكانوا أبعد الناس عن التشبيه، ثم إن نصوص الصفات الإلهية ليست من المتشابه، بل هي محكمة.

لينفرد هو بالرواية، وقد يموت ولا يرويه فيفوت الشخصين، وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب.

• **ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث:** قدح بعضهم في بعض طلبًا للتشفي، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد، ودليل خبث مقصد هؤلاء سكوتهم عمن يحابونه، وما كان القدماء هكذا، فقد كان علي بن المديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفًا ثم يقول: وفي حديث الشيخ ما فيه[١].

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أنا أبو عبد الله ابن باكويه، قال: نا بكران بن أحمد الجيلي، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سألت حارثًا المحاسبي عن الغيبة، فقال لي: احذرها فإنها شر مكتسب، ما ظنك بشيء سلبك حسناتك فرضي بها خصماؤك؛ إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها، وتعرف منبعها فإن منبع غيبة الهمج والجهال من إشفاء الغيظ، والحمية، والحسد، وسوء الظن، وتلك مكشوفة غير خفية، وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدْعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل ما لا يصلح من الخبر، ولو صحَّ ما كان عونًا على الغيبة، وهو قوله: «**أترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس**»[٢].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٧٦) عن عبدان الأهوازي قال: سمعت أصحابنا يقولون: حدّث علي بن المديني عن أبيه ثم قال: وفي حديث الشيخ ما فيه، أو قال: فيه شيء. وانظر: المجروحين لابن حبّان (٢/ ١٥)، وتهذيب الكمال (١٤/ ٣٨٣).

(٢) هو نص حديث أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة (ص٧٨ رقم ٨٣)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٢٠)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٠٢)، وغيرهم من طرق عن الجارود بن يزيد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. قال ابن حبان: الخبر في أصله باطل، وهذه الطرق كلها بواطيل لا أصل لها. والجارود بن يزيد هذا قال عنه أبو حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٥٢٥): «هو منكر الحديث، لا يكتب حديثه، كذّاب». والحديث ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ٥٢ رقم ٥٨٣). وقال: موضوع.

ولو كان الخبر محفوظًا صحيحًا لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه، وأما إذا جاءك مسترشد فقال: أريد أن أزوج كريمتي من فلان؛ فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف، أو يجيئك آخر فيقول لك: أريد أن أودع مالي فلانًا؛ وليس ذاك الرجل موضعًا للأمانة، فتصرف عنه أحسن صرف، أو يقول لك رجل: أريد أن أصلي خلف فلان أو أجعله إمامي في علم؛ فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته.

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك: فمن طريق التعجب يُبْدي عُوَارَ الأخ، ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب، فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له

وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأستاذين والنساك: فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حين تقول: مسكين فلان ابتلي بكذا، وامتحن بكذا، نعوذ بالله من الخذلان، فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه، ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول: إنما أبديت لكم ذاك لتكثروا دعاءكم له، ونعوذ بالله من الغيبة تعريضًا وتصريحًا!

فاتَّقِ الغيبةَ! فقد نطق القرآن بكراهتها، فقال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢][(١)]، وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك أخبار كثيرة[(٢)].

• **ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين**: رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع، وهذه خيانة منهم على الشرع، ومقصودهم تنفيق أحاديثهم،

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١٠/ ٤٦٩ الفتح)، وصحيح مسلم (٤/ ١٩٨٦)، وقد ألف العلماء في الغيبة كتبًا مستقلة، منها «كتاب الغيبة والنميمة»، و«كتاب الصمت وآداب اللسان» كلاهما لابن أبي الدنيا، وهما مطبوعان.

(٢) لم أقف عليه.

وكثرة رواياتهم، وقد قال النبي ﷺ: «**من روى عني حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين**»[(١)].

• **ومن هذا الفن:** تدليسهم في الرواية، فتارة يقول أحدهم: فلان عن فلان، أو قال فلان عن فلان، يُوهم أنه سمع منه ولم يسمع، وهذا قبيح؛ لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل، ومنهم من يروي عن الضعيف والكذاب فيُعَمِّي اسمه، فربما سماه بغير اسمه، وربما كنَّاه، وربما نسبه إلى جده؛ لئلا يُعرف، وهذه خيانة للشرع؛ لأنه يثبت حكمًا بما لا يثبت به، فأما إذا كان المروي عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه، أو يكون المروي عنه في مرتبة الراوي فيستحي الراوي من ذكره؛ فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروي عنه ثقة.

ذكر تلبيس إبليس على الفقهاء

كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث، فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون: يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن، وأن نعتمد على الكتب المشهورة في الحديث كسنن أبي داود ونحوها، ثم استهانوا بهذا الأمر أيضًا وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها، وبحديث لا يدري أصحيح هو أم لا؟ وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم؛ لقلة التفاته إلى معرفة النقل، وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرف؟! ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدري أصحيح هو أم لا؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (١/ ١٤-١٥ رقم ٣٨-٤٠)، وعبد الله في زوائده على المسند (١/ ١١٢-١١٣)، والحديث رجاله رجال الشيخين، ورُوي من حديث المغيرة بن شعبة:أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٩)، والترمذي (٥/ ٣٥ رقم ٢٦٦٢)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ١٥ رقم ٤١)، وأحمد (٤/ ٢٥٢، ٢٥٥)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي الباب عن سمرة أيضًا.

ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى يعرف ذلك، فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم، ولكن غلب المتأخرين الكسلُ بمرة عن أن يطالعوا علم الحديث، حتى إني رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ في الصحاح: لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا، ورأيته يحتج في مسألة فيقول: دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله ﷺ قال كذا، ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول: هذا الحديث لا يُعرف. وهذا كله جناية على الإسلام!

• **ومن تلبيس إبليس على الفقهاء**: أن جُلَّ اعتمادهم على تحصيل علم الجدل، يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب، ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل، وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام، فيتقدم المناظر بذلك عند الناس في خصام النظر، فَهَمُّ أحدهم ترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات، طلبًا للمفاخرة والمباهاة، وربما لم يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعم بها البلوى.

• **ومن تلبيس إبليس عليهم**: إدخالهم في الجدال كلام الفلاسفة، واعتمادهم على تلك الأوضاع.

• **ومن ذلك**: إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به في المسألة؛ ليتسع لهم المجال في النظر، فإن استدل أحد منهم بالحديث هُجِّنَ، ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث.

• **ومن ذلك**: أنهم جعلوا النظر جل أشغالهم، ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه.

ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير، وهي محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة، ومسائل الخلاف وإن كانت من علوم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب.

ومن لم يطلع على أسرار سِيَر السلف وحال الذي تمذهب له لم يمكنه سلوك طريقهم، وينبغي أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طباعهم فصار مثلهم، وإذا نظر في سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم.

وقد كان بعض السلف يقول: حديث يرق له قلبي أحب إليَّ من مائة قضية من قضايا شريح[1]، وإنما قال هذا لأن رقة القلب مقصودة ولها أسباب.

• **ومن ذلك:** أنهم اقتصروا على علم المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع، فترى الفقيه المفتي يسأل عن آية أو حديث ولا يدري، وهذا غَبْن، فأين الأنفة من التقصير؟!

• **ومن ذلك:** أن المجادلة إنما وضعت ليبين الصواب، وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل، وإذا خفي على أحدهم شيء نبَّهه الآخر؛ لأن المقصود كان إظهار الحق، فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها، فقيل له: ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة؟ فقال: هذا الذي يظهر لي، فإن ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه. قال المعترض: لا يلزمني ذلك. ولقد صدق في أنه لا يلزمه، ولكن فيما ابتدع من الجدل، بل في باب النصح وإظهار الحق يلزمه!

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٢-١٠٣)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٧٤).

• **ومن ذلك:** أن أحدهم يبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع، ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه، وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق، وهذا من أقبح القبيح؛ لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق.

وقد قال الشافعي رحمة الله عليه: ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني، ولا قبلها إلا هِبْتُهُ، وما ناظرت أحدًا فباليت مع من كانت الحجة، إن كانت معه صرت إليه[1].

• **ومن ذلك:** أن طلبهم للرياسة بالمناظرة يثير الكامن في النفس من حب الرياسة، فإذا رأى أحدهم في كلامه ضعفًا يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة، وإن رأى خصمه قد استطال عليه بلفظة ظهرت حمية الكبر، فقابل ذلك بالسب، فصارت المجادلة مجالدة.

• **ومن ذلك:** ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة، فيقول أحدهم: تكلمت مع فلان فما قال شيئًا، ويتكلم بما يوجب التشفي من عرض خصمه بتلك الحجة.

• **ومن ذلك:** أن إبليس لبَّس عليهم بأن الفقه وحده هو علم الشرع ليس ثَمَّ غيره، فإن ذكر لهم مُحدِّث، قالوا: ذاك لا يفهم، وينسون أن الحديث هو الأصل، فإن ذكر لهم كلام يلين به القلب، قالوا: هذا كلام الوعاظ.

• **ومن ذلك:** إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها، وربما أفتوا بواقعهم المخالف للنصوص، ولو توقفوا في المشكلات كان أولى!

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥/ ١٤ مخطوط) وذكره الذهبي في السير (١٠/ ٣٣)، وابن حجر في توالي التأسيس (ص١١٢) بنحوه.

دُرُسْتُوَيْه، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: نا الحميدي، قال: نا سفيان، قال: حدثنا عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول[1].

قال يعقوب: ونا أبو نعيم، قال: نا سفيان، عن عطاء بن السائب، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من يحدث حديثًا إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا يسأل عن فتيا إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا[2].

قال المصنف: وقد روينا عن إبراهيم النخعي أن رجلًا سأله عن مسألة فقال: ما وجدت من تسأله غيري[3]؟!

وعن مالك بن أنس أنه قال: ما أفتيتُ حتى سألت سبعين شيخًا هل ترون لي أن أفتي؟ فقالوا: نعم. فقيل له: فلو نَهَوْكَ؟ قال: لو نهوني انتهيت[4].

وقال رجل لأحمد بن حنبل: إني حلفت ولا أدري كيف حلفت؟ فقال: ليتك إذا دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك[5].

---

(١) أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٣، رقم ٦٤٠، تحقيق عادل العزازي) ورواه يعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٨١٧).

(٢) أخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٨١٧)، ورواه ابن المبارك في «الزهد» (ص ١٩، رقم ٥٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥١).

(٣) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب في العلم (ص١٤٠ رقم ١٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٥ رقم ٦٤٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٢٥-٣٢٦ رقم ١٠٤٢، ١٠٤١).

(٥) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٨٩-٣٩٠ رقم ١١٥١).

وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله ﷻ وخوفهم منه، ومن نظر في سيرهم تأدّب.

• **ومن تلبيس إبليس على الفقهاء**: مخالطتهم للأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم ما لا رخصة فيه؛ لينالوا من دنياهم، فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

○ **الأول**: **الأمير**: فيقول: لولا أني على صواب لأنكر عليَّ الفقيه، وكيف لا أكون مصيبًا وهو يأكل من مالي!

○ **والثاني**: **العامي**: فإنه يقول: لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله؛ فإن فلانًا الفقيه لا يبرح عنده.

○ **والثالث**: **الفقيه**: فإنه يفسد دينه بذلك.

وقد يلبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان فيقول: إنما ندخل لنشفع في مسلم. وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره فشفع لما أعجبه ذلك ولربما قدح في ذلك الشخص لينفرد بالسلطان.

ويلبس عليه إبليس في أخذ أموالهم فيقول: لك فيها حق! ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء، وإن كانت من شبهة فتركها أولى، وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين، لا على وجه إنفاقه في إقامة الرعونة، وربما اقتدى العوام بظاهر فعله فاستباحوا ما لا يستباح.

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء ينقطعون عن السلطان إقبالًا على التعبد والدين، فيزين لهم غِيْبة من يدخل على السلطان من العلماء، فجمع لهم آفتين: غيبة الناس، ومدح النفس.

وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم؛ لأن النية قد تحسن في أول الدخول، ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم، فلا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم.

وقد كان سفيان الثوري يقول: ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم؛ فيميل قلبي إليهم[(١)].

وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم، فيطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات، فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا، فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء وحملوها إليهم؛ لينالوا من دنياهم.

ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء: أن الأمراء كانوا قديمًا يميلون إلى سماع الحجج في الأصول، فأظهر الناس علم الكلام، ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة في الفقه، فمال الناس إلى الجدل، ثم مال بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها، ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كَثُرَ القُصَّاصُ وقلَّ الفقهاءُ[(٢)].

• **ومن تلبيس إبليس على الفقهاء:** أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم، فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما قد عرف، أو ينتهي في العلم ولا يبقى له في الوقف حظ؛ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيدًا أو مدرسًا فإن شغله دائم.

• **ومن ذلك:** ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط في المنهيات: فبعضهم يلبس الحرير ويتختم بالذهب، ويحال على المكس فيأخذ، إلى غير ذلك من المعاصي.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٤٠) بنحوه.

(٢) يُنظر: مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي (ص١٨ – ٣٥).

وسبب انبساط هؤلاء يختلف، فمنهم من يكون فاسد العقيدة في أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه، أو ليأخذ من الوقف، أو ليرؤس، أو ليناظر.

ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات، وليس عنده صارف عن ذلك؛ لأن نفس الجدل والمناظرة محرك إلى الكبر والعجب، وإنما يتقوم الإنسان بالرياضة ومطالعة سِيَر السلف، وأكثر القوم في بُعْد عن هذا، وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه، فحينئذ يسرح الهوى بلا رادٍّ!

• **ومنهم**: من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقيه ومُفْتٍ، والعلم يدفع عن أربابه. وهيهات! فإن العلم أولى أن يُحاجَّه ويضاعف عذابه كما ذكرنا في حق القراء[1].

وقد قال الحسن البصري: إنما الفقيه من يخشى الله ﷻ[2].

قال ابن عقيل: رأيت فقيهًا خراسانيًّا عليه حرير وخواتيم ذهب فقلت له: ما هذا؟ فقال: خُلَعُ السلطان وكَمَدُ الأعداء. فقلت: بل هو شماتة الأعداء بك إن كنت مسلمًا؛ لأن إبليس عدوك، وإذا بلغ منك مبلغًا ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك، وهل خلع السلطان سابقة لنهي الرحمن؟!

يا مسكين! خَلَعَ عليك السلطان فانخلعتَ به من الإيمان، وقد كان ينبغي أن يخلع عنك السلطان لباس الفسق ويُلْبِسَ لباسَ التقوى.

رماكم الله بخزية! حيث هَوَّنْتُم أمرَه هكذا، ليتك قلتَ: هذه رعونات الطبع! الآن تمَّتْ محنتُك؛ لأن عذرك دليل على فساد باطنك.

---

(١) انظر: (ص ٢٥١).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٤١ رقم ١٠٦٦).

• **ومن تلبيسه عليهم:** أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ، ويمنعهم من الحضور عندهم، فيقولون: من هؤلاء؟ هؤلاء قُصَّاص! ومراد الشيطان أن لا يحضروا في موضع يلين فيه القلب ويخشع، والقُصَّاص لا يذمون من حيث هذا الاسم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾[يوسف: ٣]، وقال: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وإنما ذُمَّ القُصَّاص لأن الغالب منهم الاقتناع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد، ثم غالبهم يخلط فيما يورده، وربما اعتمد على ما أكثره محال، فأما إذا كان القصص صدقًا ويُوجِب وعظًا فهو ممدوح، وقد كان أحمد بن حنبل يقول: ما أحوج الناس إلى قاص صدوق(١)!

ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص

قال المصنف: كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء، وقد حضر ابن عمر مجلس عبيد بن عمير(٢)، وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاصِّ، ثم خسّت(٣) هذه الصناعة فتعرض لها الجهال، فبَعُدَ عنهم المميزون من الناس، وتعلق بهم العوام والنساء، فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلةَ، وتنوعت البدع في هذا الفن!

وقد ذكرنا آفاتهم في كتاب «القُصَّاص والمذكرين»(٤)، إلا أنا نذكر هاهنا جملة:

---

(١) أخرجه أبو بكر الخلال كما في كتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ص١٧٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٢-١٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥)، وابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين (ص١٩٦ رقم ٤٤).

(٣) **خست**: أي صارت دنيئة حقيرة. القاموس المحيط (خسّ).

(٤) في الباب العاشر، في التحذير من أقوام تشبّهوا بالمذكّرين فأحدثوا وابتدعوا حتى أوجب فعلهم إطلاق ذمّ القصاص (ص٢٩٥ - ٣٤٢)، وقد أطال في هذا الباب وأورد فيه عدّة فصول تتعلّق بآفات القصّاص، فأجاد وأفاد.

• **فمن ذلك:** أن قومًا منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب، ولبَّس عليهم إبليس: بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر. وهذا تعاط على الشريعة؛ لأنها عندهم على هذا الفعل منهم ناقصة تحتاج إلى تتمة، ثم قد نسوا قوله ﷺ: **«من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**[1].

• **ومن ذلك:** أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس، ويطرب القلوب، فنوعوا فيه الكلام، فتراهم ينشدون الأشعار الغزلية في العشق[2]، ويلبِّس عليهم إبليس: بأننا نقصد الإشارة إلى محبة الله تعالى. ومعلوم أن عامة من [يخصهم][3]: العوام الذين بواطنهم محشوة بحب الهوى؛ فيضل القاص ويضل.

• **ومنهم:** مَن يظهر مِن التواجد[4] والتخاشع زيادة على ما في قلبه، وكثرة الجمع يُوجب زيادة تُعْمَلُ فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع، فمن كان منهم كاذبًا فقد خسر الآخرة، ومن كان صادقًا لم يسلم صدقه من رياء يخالطه[5].

• **ومنهم** من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الألحان، والألحان التي قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة، فالقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه، فتشبه الخنكر[6]،

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٢ رقم ١١٠)، و(١٠/ ٥٧٧-٥٧٨ رقم ٦١٩٧)، ومسلم (١/ ١٠ رقم ٣)، والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف (٩/ ٤٣٦)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ١٤ رقم ٣٤)، وأحمد (٢/ ٣٢١-٣٦٥).

(٢) انظر: كتاب القصّاص والمذكرين (ص٣٢٧).

(٣) في باقي النسخ: يحضرهم.

(٤) **التواجد:** هو إظهار الوجد، والوجد اصطلاح صوفي يدلّ على اضطراب الجوارح طربًا أو حزنًا نتيجةً للسَّماع. انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٦٨)، التعرّف للكلاباذي (ص١٣٤).

(٥) انظر: كتاب القصّاص والمذكّرين (ص٢٩٥ - ٢٩٦، ٢٩٩).

(٦) في «كتاب القصّاص والمذكِّرين» للمصنف (ص٢٩٦): الخنكرة. ونقل محقق الكتاب الدكتور محمد لطفي الصبّاغ أن اللفظة فارسية؛ لأن «خنياكر» تعني: المغنيّ في الفارسية.

ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب، لما في النفوس من دفائن الهوى، ثم يخرجون فيقولون: كان المجلس طيبًا! ويشيرون بالطّيبة إلى ما لا يجوز[١].

• **ومنهم** من يجري في مثل تلك الحال التي شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى، ويصف ما جرى لهم في البلاء، ويذكر الغربة ومن مات غريبًا، فيكثر بكاء النساء، ويصير المكان كالمأتم، وإنما ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع[٢].

• **ومنهم** من يتكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه، فيلبس عليه إبليس: إنك من جملة الموصوفين بذلك؛ لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق.

وكَشْفُ هذا التلبيس: أن الوصف علم، والسلوك غير العلم.

• **ومنهم** من يتكلم بالظلمات والشطح[٣] الخارج عن الشرع، ويستشهد بأشعار العشق، وغرضه أن يكثر في مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد، وكم منهم من يزوِّق عبارة لا معنى تحتها، وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل، وزليخا ويوسف[٤]، ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب، فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل الربا، وتعرف المرأة حق زوجها، وتحفظ صلاتها، هيهات! هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم، ولهذا نفقت سلعتهم؛ لأن الحق ثقيل والباطل خفف.

---

(١) انظر: كتاب القصّاص والمذكرين (ص٣٣٥ – ٣٣٦).

(٢) انظر: كتاب القصّاص والمذكرين (ص٣٢٦).

(٣) **الشَّطح**: عرّفه الغزالي بقوله: (الشطح كلام يترجم به اللسان عن وجدٍ يفيض عن معدنه، مقرون بالدعوى، إلا أن يكون صاحبه محفوظًا) الإملاء في إشكالات الإحياء (ملحق بآخر الإحياء) (ص١٦).
وانظر: اصطلاح الصوفية لابن عربي (ص٣).

(٤) انظر: كتاب القصّاص والمذكرين (ص٣٢٥ – ٣٣٠).

• **ومنهم** من يحث على الزهد وقيام الليل، ولا يبين للعامة المقصود[١]، فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية، أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم[٢].

• **ومنهم** من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر[٣]، فيزيد الناس جرأة على المعاصي، ثم يقوي ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة، فيفسد القلوب بقوله وفعله[٤].

فصل

وقد يكون الواعظ صادقًا قاصدًا للنصيحة، إلا أن منهم من تتربَّى الرئاسة في قلبه مع الزمان فيحب أن يُعظَّم، وعلامته أنه إذا ظهر واعظٌ ينوب عنه أو يعينه على الخلق [أكبر][٥] ذلك، ولو صح قصده لم يكره من يعينه على خلائق الخلائق.

فصل

ومن القُصَّاص من يختلط في مجلسه الرجال والنساء، ويُرى النساء يكثرْن الصياح وجدًا على زعمهن، فلا ينكر ذلك جمعًا للقلوب عليه[٦].

---

(١) وهو: أن المذموم هو فضول الدنيا الشاغلة عن الآخرة، كما أن أداء الواجبات مقدّم من كل وجه على نوافل العبادات. انظر: كتاب القصاص والمذكِّرين للمصنِّف (ص٣٢٥).

(٢) انظر: كتاب القصّاص والمذكرين (ص٣٢٥).

(٣) أما إذا لاحظ غلبة الطمع على القلوب، وقوة الرجاء وضعف الخوف، فليكن ميله إلى المخوّفات أكثر. انظر: كتاب القصّاص والمذكرين (ص٣٦٥).

(٤) قال المصنِّف في «كتاب القصاص» (ص٣٥٩): (ينبغي للواعظ أن يتجافى عن الدنيا، وأن يقنع بالوسط من اللباس، فإن المريض إذا رأى الطبيب يحتمي كان له أنفع من أن يصف له الحمية).

(٥) في «أ»: (كره).

(٦) انظر: كتاب القصاص والمذكرين (ص٢٩٥)، قوت القلوب للمكي (٢/ ٢١). فالواجب على القاصّ أو الواعظ إذا حضر مجلسَه نسوةٌ، أن يضرب بينهن وبين الرجال حجابًا، وأن يعظهن ويخوّفهن من تضييع حق الزوج، والتفريط في الصلاة، وينهاهنّ عن التبرج. انظر: كتاب القصاص والمذكّرين (ص٣٦٧).

ولقد ظهر في زماننا هذا من القُصَّاص ما لا يدخل في التلبيس؛ لأنه أمر صريح: من جعلهم القصص معاشًا يستميحون به الأمراء والظلمة، والأخذ من أصحاب المكوس، والتكسب به في البلدان[١]، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة؛ فتبكي النسوة، ولا يحث على الصبر.

فصل

وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له: مثلك لا يَعِظُ، وإنما يَعِظُ متيقظٌ، فيحمله على السكوت والانقطاع، وذلك من دسائس إبليس؛ لأنه يقصد منع الخير. وقد يقول له: إنك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة، وربما دخل الرياء في قولك، وطريق الوحدة أسلم. ومقصوده بذلك سد باب الخير.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: نا أبي، قال: نا عتاب بن زياد، قال: حدثنا عبد الله، قال: أخبرنا سلام بن أبي مطيع، عن ثابت، قال: كان الحسن في مجلس فقيل للعلاء: تكلم! فقال: أوهناك أنا؟ ثم ذكر الكلام ومؤونته وتبعته. قال ثابت: فأعجبني. قال: ثم تكلم الحسن فقال: وأنا[٢] هناك؟ لود الشيطان أنكم أخذتموها عنه، فلم يأمر أحد بخير ولم يَنْهَ عن شر[٣].

ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب

قد لبَّس على جمهورهم؛ فشغلهم بعلوم النحو واللغة عن المهمات اللازمة التي هي فرض عين، من معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات، ومما هو أولى بهم، من

(١) انظر: كتاب القصّاص والمذكرين (ص٢٩٨ – ٣٠١ – ٣٣٦).
(٢) في «ك» و«ت» والزهد لأحمد: (أينا).
(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣٠٠، ٣٠١).

آداب النفوس وصلاح القلوب، ومما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه، فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها، فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يرقى إلى العمل بها؛ إذ هي مرادة لغيرها، فترى الإنسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل، ولا من الفقه، ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه.

ومع هذا ففيهم كبر عظيم! وقد خيل إليهم إبليس أنكم من علماء الإسلام؛ لأن النحو واللغة من علوم الإسلام، وبها يعرف معنى القرآن العزيز، ولعمري! إن هذا لا ينكر، ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان، وما يحتاج إليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب، وهو كاللازم، وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه، فإنفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس بمهم مع ترك المهم غلط، وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبْنٌ، ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنًا، ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل!

فصل

ومما ظنوه صوابًا وهو خطأ: ما أخبرنا به أبو منصور اللغوي وأبو الفضل بن ناصر، وأبو الحسن الأنصاري، قالوا: حدثنا أبو زكريا التبريزي، قال: أنا سليم بن أيوب قال: أخبرنا أبو الحسين بن فارس قال: قيل لفقيه العرب[١]: هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء؟ قال: نعم. قال: والإشهاد[٢] أن يمذي

(١) قال الكمال الدميري: (ليس المراد بفقيه العرب شخصًا معيّنًا، إنما يذكرون ألغازًا ومُلحًا ينسبونها إليه، وهو مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرّف). وسمّاه التبريزي: الحارث بن كلدة. انظر: المزهر للسيوطي (١/ ٦٣٧ - ٦٣٨).

(٢) انظر: القاموس المحيط (شهد). وزاد: أشهدت الجارية: حاضت. وللفظ معنى آخر هو: البلوغ. ولعل هذا ما يقصده ابن الجوزي، بحيث يكون الإشهاد بمعنى الإمذاء، والبلوغ، فحينئذ يجب أن يستفصل من السائل عن المعنى الذي قصده بسؤاله، وبالتالي يستقيم الجواب عنه، وقد وردت الرواية في مقامات ←

الرجل[١].

وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة، وهذا غاية في الخطأ؛ لأنه متى كان الاسم مشتركًا بين مسميَيْن كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ.

مثاله: أن يقول المستفتي: ما تقول في وطء الرجل زوجته في قرئها؟ فإن القرء يقع عند اللغويين والفقهاء على الأطهار والحيض. فيقول الفقيه: يجوز إشارة إلى الطهر، أو لا يجوز إشارة الحيض خطأ. قال: وكذلك لو قال السائل: هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر؟ لم يجز إطلاق الجواب.

فما ذكره فقيه العرب خطأ من وجهين:

- **أحدهما:** أنه لم يستفصل في المجملات.
- **والثاني:** أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر.

وقد استحسنوا هذا؛ وترك الأظهر وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل!

فصل

ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية، ولم يجد الطبع صادًّا عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح، سالت بهم الطباع إلى هوة الهوى، فانبثَّ سرح البطالة يعبث، فقل أن ترى منهم متشاغلًا بالتقوى أو ناظرًا في مطعم، فإن النحو يغلب طلبه على السلاطين، فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو علي الفارسي في ظل عضد الدولة وغيره.

الحريري، بألفاظ ومعاني أخرى: قال: (أيجب الغسل على من أمنى؟ قال: لا) وأمنى هنا بمعنى نزل مني. والمتبادر هو إنزال المني. انظر: تاج العروس، لسان العرب (شهد)، المزهر للسيوطي (١/ ٦٢٥).

(١) هو عند أبي الحسين أحمد بن فارس في كتابه «فتيا فقيه العرب» (ص ٤٥٩، المطبوع ضمن المجلد ٣٣ من مجلة المجمع العلمي بدمشق) بلفظه. وزاد: يقال: مذى يمذي، وأسهد يسهد (كذا)، بمعنى.

وقد يظنون جواز الشيء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج: أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أخبرني أبي، قال: حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش القاضي، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، قال: كنت أؤدِّب القاسم بن عبيد الله وأقول له: إن بَلَّغَكَ الله مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي؟ فقال: ما أحببتَ. فأقول له: تعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غاية أمنيتي.

فما مضت إلا سنون حتى ولي القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له، وقد صرت نديمه فدعتني نفسي إلى إذكاره بالوعد ثم هبته، فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرك أذكرتني بالنذر؟ فقلت: عولت على رعاية الوزير أيَّده الله، وأنه لا يحتاج إلى إذكاري لنذر عليه في أمر خادم واجب الحق.

فقال لي: إنه المعتضد، ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان واحد، ولكن أخاف أن تصير لي معه حديثًا، فاسمح لي بأخذه متفرقًا. فقلت: أفعل. فقال: اجلس للناس وخذ رقاعَهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها، ولا تمتنع من مساءلتي شيئًا تخاطب فيه صحيحًا كان أو محالًا إلى أن يحصل لك مال النذر.

ففعلت ذلك، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعًا فيوقع فيها وربما قال لي: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول: كذا وكذا، فيقول: غُبِنْتَ! هذا يساوي كذا وكذا؛ فاستَزِدْ. فأراجع القوم، فلا أزال أماكسهم ويزيدوني حتى أبلغ الحد الذي رسمه.

قال: فعرضت عليه شيئًا عظيمًا فحصلت عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مُدَيْدَة. فقال لي بعد شهور: يا أبا إسحاق حصل مال النذر؟ فقلت: لا. فسكت، وكنت أعرض، ثم يسألني في كل شهر أو نحوه هل حصل المال؟ فأقول: لا؛ خوفًا من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندي ضعف المال، وسألني يومًا فاستحييت من الكذب المتصل فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير.

فقال: فرجت والله عني! فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك، قال: ثم أخذ الدواة فوقَّع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة، فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئًا، ولم أدر كيف أقع منه، فلما كان من غد جئته وجلست على رسمي، فأومأ إليَّ هات ما معك يستدعي مني الرقاع على الرسم، فقلت: ما أخذت من أحد رقعة؛ لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير؟

فقال: يا سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئًا قد صار لك عادة، وعلم به الناس، وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدو ورواح إلى بابك، ولا يعلم سبب انقطاعه؛ فيظن ذلك لضعف جاهك عندي أو تغير رتبتك، اعرض عليَّ رسمك وخذ بلا حساب! فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع، وكنت أعرض عليه كل يوم شيئًا إلى أن مات وقد تأثلت[1] حالي هذه[2].

قال المصنف: قلت: انظروا ما يصنع قلة الفقه! فإن هذا الرجل الكبير القدر في معرفة النحو واللغة لو علم أن هذا الذي جرى له لا يجوز شرعًا ما حكاه وتبجَّح به، وإن إيصال الظلامات واجب، لا يجوز أخذ البرطيل[3] عليها، ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة، وبهذا تَبِيْنُ مرتبةُ الفقيه على غيره!

ذكر تلبيس إبليس على الشعراء

قد لبَّس عليهم فأراهم أنكم من أهل الأدب، وأنكم قد خصصتم بفطنة تميزتم بها عن غيركم، ومَن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم، فتراهم يهيمون في كل وادٍ من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالفواحش، وأقل

---

(١) أي: تأصلت. القاموس المحيط (أثل).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٢٢٤-٢٢٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٩٠-٩٢).

(٣) **البرطيل**: الرشوة. القاموس (بَرْطَلَ).

أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره، أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياءً من الحاضرين، وجميع ذلك من جنس المصادرة[١].

وترى خلقًا من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير، والكذب في المدح خارجًا عن الحد، ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر، ويقول أحدهم: اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا، هيهات! ليس الأدب إلا مع الله ﷻ باستعمال التقوى له، ولا قدر للفطن في أمور الدنيا ولا للحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه.

وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا وكفروا وأخذوا في لوم الأقدار كقول بعضهم:

إن أصبحت همـي في الأفـق عاليـة ** فـإن حَظِّـي بـبطنِ الأرضِ مُلْتَصِـقُ

كـم يفعـل الـدَّهرُ بي مـا لا أُسَرُّ بِـهِ ** وكـمْ يُسِـيءُ زَمَـانٌ جـائرٌ حَنِـقُ[٢]

وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تضيِّق أرزاقهم، فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم، مستوجبين للسلامة من البلاء، ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع، فلقد ضلت فطنهم في هذه الغفلة!

---

(١) **المصادرة**: المطالبة، يقال: صادره على كذا من المال، أي: طالبه به. انظر: القاموس المحيط، تاج العروس (صدر).

(٢) هذا من سنن الجاهلية، فقد كانوا إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: يا خيبة الدهر! فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبّونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكأنما سبّوا الله تعالى؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، ولهذا نهي عن سب الدهر، كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم: يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**». انظر: كشف المشكل للمصنف (٣/ ٣٤٦-٣٤٨)، فتح المجيد (ص٣٥٨).

ذكر تلبيس إبليس على الكاملين من العلماء

إن أقوامًا علت هممهم فحصَّلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك، فأتاهم إبليس بخفي التلبيس، فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم.

فمنهم من استفزه لطول عناية في الطلب فحسن له اللذات وقال له: إلى متى في النصب؟! فأرحْ جوارحك من كُلَف التكاليف وافسح لنفسك في مشتهاها، فإن وقعت زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة. وأورد عليه فضل العلماء.

فإن خُذِلَ هذا العبد قَبِلَ هذا التلبيس؛ فهلك، وإن وُفق فينبغي له أن يقول له: جوابك من ثلاثة أوجه:

• **أحدها:** إنه إنما فضل العلماء بالعمل بالعلم، ولولا العمل به ما كان له معنى، فإن أنا لم أعمل به كنتُ كمن لم يفهم المقصود به، ويصير مثلي كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل؛ فلا ينفعه ذلك من جوعه.

• **والثاني:** أن يعارضه بما ورد في ذم من لم يعمل بالعلم، كقول النبي ﷺ: «**أشد الناس عذابًا عالم لم ينفعه الله بعلمه**»[1]، وحكايته عليه السلام عن رجل يلقى في النار فتندلق أقتابه فيقول: «كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[2]، وقول أبي الدرداء: ويل لمن لم يعلم مرة، وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات[3]. والأخبار في هذا كثيرة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٣٠٥ رقم ٥٠٧)، من طريق عثمان بن مقسم البري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة بلفظه. قال الطبراني: لم يروه عن المقبري إلا عثمان البري. وعثمان بن مقسم البري قال عنه ابن معين: (ليس بشيء، هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث). ميزان الاعتدال (٣/ ٥٧). وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة (٤/ ١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣١ رقم ٣٢٦٧)، و(١٣/ ٤٨ رقم ٧٠٩٨)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠ رقم ٢٩٨٩)، وأحمد (٥/ ٢٠٥).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١)، والخطيب في اقتضاء العلم ⇐

• **والثالث:** أن يذكر له عقاب من أُهلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم، كإبليس وبلعام، ويكفي في ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجمعة: ٥].

فصل

وقد لبس على قوم من المُحْكِمِين للعلم والعمل من جهة أخرى: فحسَّن لهم الكبر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة، فتارة يُريهم أن هذا كالحق الواجب لكم، وتارة يقوِّي حبَّ ذلك عندهم؛ فلا يتركونه مع علمهم أنه خطأ.

وعلاج هذا لمن وُفِّقَ: إدمان النظر في إثم الكبر والحسد والرياء، وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات، بل يضاعف عقابها؛ لتضاعف الحجة بها، ومن نظر في سِيَر السلف من العلماء والعالمين احتقر نفسه فلم يتكبر، ومن عرف الله لم يُرَاء، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول: طلبكم للرفعة ليس بتكبر؛ لأنكم نواب الشرع، فأنتم تطلبون إعزاز الدين، ودحض أهل البدع، وإطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع؛ إذ الحساد قد ذموا من قام به، وما تظنونه رياء فليس برياء؛ لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف.

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقه أو قال حاسده عنه شيئًا، لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع، فعلم أنه إنما يغضب لنفسه لا للعلم.

(ص١٨١ رقم ٦٧-٦٨).

وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد، ولا يصلح أن يجعل طريقًا لدعاية الناس، وقد كان أيوب السختياني إذا تحدث فَرِقَ ومسح وجهه وقال: ما أشد الزكام[١]!

وبعد هذا، فالأعمال بالنيات، والناقد بصير، وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه، وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه:

- **أحدها**: الفرح، فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب.
- **والثاني**: لسروره بثلب المسلم.
- **والثالث**: إذا لم ينكر.

فصل

وقد يلبس إبليس على الكاملين في العلوم، فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم، ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر، وعلو الصيت، والرياسة، وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف.

وينكشف هذا التلبيس: بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه، أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم، وقد قال بعض السلف[٢]: ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إليَّ.

ومنهم من يفرح بكثرة الأتباع، ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم، وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر، وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه، وما هذه صفة

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية بمعناه (٣/ ٦-٧).

(٢) يُروى مثل هذا عن الإمام الشافعي رحمه الله، رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي (ص٩١)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٨)، وابن حجر في توالي التأسيس (ص٦٢).

المخلص في التعليم؛ لأن مثل المخلصين مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله ﷻ، فإذا شفي بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر، وقد ذكرنا آنفًا حديث ابن أبي ليلى، ونعيده بإسناده آخر:

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عمر بن عبيد الله البقال، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدثنا عثمان بن أحمد، قال: نا حنبل، قال: حدثني أبو عبد الله، قال: حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه، ولا يحدث حديثًا إلا ودَّ أن أخاه كفاه»[1].

فصل

وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة، فيأتيهم بخفي من تلبيسه فيقول له: ما لقيت مثلك، ما أعرفك بمداخلي ومخارجي! فإن سكن إلى هذا هلك بالعُجْب، وإن سلم من المساكنة له سلم.

وقد قال سري السقطي: لو أن رجلًا دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار، عليها من جميع ما خلق الله من الأطيار، فخاطبه كل طائر بلغته وقال: السلام عليك يا ولي الله، فسكنت نفسه إلى ذلك؛ كان في أيديها أسيرًا[2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٣٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١١٨)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٥٦٢-٥٦٣).

الباب السابع
في ذكر تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين

قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها.

• **فالوجه الأول:** أنه يريهم أن الله ﷻ يحبكم، ولولا ذلك ما ولاكم سلطانه وجعلكم نوابًا عنه في عباده!

وينكشف هذا التلبيس: بأنهم إن كانوا نوابًا عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه، فحينئذ يحبهم لطاعتهم، فأما صورة الملك والسلطنة فإنه قد أعطاها خلقًا ممن يبغضه، وقد يبسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه، وسلط جماعة من أولئك على الأنبياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم، فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم، ودخل ذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

• **والثاني:** أنه يقول لهم: الولاية تفتقر إلى هيبة. فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء؛ فيعملون بآرائهم فيتلف الدين، ومن المعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين، فإذا خالطوا مُؤْثري الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها، ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجر عنها، وذلك سبب الهلاك!

• **والثالث:** أنه يخوفهم الأعداء، ويأمرهم بتشديد الحجاب. فلا يصل أهل المظالم، ويتوانى من جُعِلَ بصدد رفع المظالم.

وقد روى أبو مريم الأسدي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ولاه الله شيئًا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله ﷻ دون حاجته وخلَّتِه وفقره**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٥٦-٣٥٧ رقم ٢٩٤٨)، والترمذي(٣/ ٦٢٠ رقم ١٣٣٣)، وابن سعد في ⟵

• **والرابع:** أنهم يستعملون من لا يصلح، ممن لا علم عنده ولا تقوى، فيستجلب الدعاء عليهم بظلمه للناس، ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة، ويحد من لا يجب عليه الحد، ويظنون أنهم يتخلصون من الله تعالى بما جعلوه في عنق الوالي، هيهات! إن العامل على الزكاة إذا وكَّل الفساقَ بتفريقها فخانوا؛ ضمن.

• **والخامس:** أنه يحسِّن لهم العمل برأيهم؛ فيقطعون من لا يجوز قطعه، ويقتلون من لا يحل قتله، ويوهمهم أن هذه سياسة، وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تمام، ونحن نتمها بآرائنا[1].

وهذا من أقبح التلبيس! لأن الشريعة سياسة إلهية، ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق، قال الله ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]، فمدعي السياسة مدعٍ للخلل في الشريعة، وهذا يزاحم الكفر.

وقد روينا[2] عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه، فأمر بتغريقها؛ لئلا تشغل قلبه عن تدبير الملك، وهذا هو الجنون المحض! لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل، واعتقاد أن هذا جائز كفر[3]، فإن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع.

الطبقات (٧/ ٤٣٧)، والحاكم (٤/ ٩٣-٩٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٠٦ رقم ٦٢٩).

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١/ ١١٧).

(٢) المنتظم (١٤/ ٢٩٣).

(٣) قد نَقَلَ الإجماعَ على كفر من استحل ذلك وغيره من المحرمات الظاهرة المتواترة القاضي عياض في الشفا (٢/ ١٠٧٣) فقال: (أجمع المسلمون على تكفير كل من استحلّ القتل، أو شُرْبَ الخمر، أو الزنا مما حرَّم الله بعد علمه بتحريمه).

• **والسادس:** أنه يحسن لهم الانبساط في الأموال ظانين أنها بحكمهم[١]، وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه، فكيف بالمستأجر في حفظ مال غيره، وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط.

قال ابن عقيل: وقد روي عن حماد الرواية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتًا فأعطاه خمسين ألفًا وجاريتين[٢]. قال: فهذا مما يروى على وجه المدح لهم، وهو غاية القدح؛ لأنه تبذير في بيت مال المسلمين، وقد يزين لبعضهم منع المستحقين، وهو نظير التبذير.

• **والسابع:** أنه يحسن لهم الانبساط في المعاصي، ويلبس عليهم بأن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يدفع عنكم العقاب.

وجواب هذا أن يقال: إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبيل، فهذا واجب عليهم، وما انبسطوا فيه من المعاصي منهي عنه؛ فلا يدفع هذا ذاك.

• **والثامن:** أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة، ولو حقق النظر لرأى اختلالًا كثيرًا.

وقد أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال: قال لي القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد: رأيت علي بن عيسى الوزير وقد وَكَّل بدُورِ البِطِّيخ رجلًا برزق يطوف على باعة العنب، فإذا اشترى أحد سلة عنب خمري لم يعرض له، وإن اشترى اثنتين فصاعدًا طرح عليها الملح؛ لئلا يمكن عملها خمرًا.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس لولاة الأمور أن يقسموها – أي: الأموال – بحسب أهوائهم، كما يقسم المالكُ مُلكَه، فإنما هم أمناء ونواب ووكلاء، ليسوا ملاّكًا) مجموع الفتاوى (السياسة الشرعية) (٢٨/ ٢٦٧).

(٢) في خزانة الأدب للبغدادي أن هشام بن عبد الملك هو الذي أعطاه جاريتين ومائة ألف درهم. (خزانة الأدب ٩/ ٤٤٩).

قال: وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود في الطريق حتى لا يفشو العمل بالنجوم، وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طُرَّة[١] ولا شعر، إلى أن بدأ تحكم العجم[٢]!

• **والتاسع:** أنه يحسن لهم استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف، أو أخذ كل ما يملكه الخائن، وإنما الطريق إقامة البينة على الخائن واستحلافه.

وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن عاملًا له كتب إليه: أن قومًا خانوا من مال الله، ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم، إلا أن أنالهم بعذاب؟ فكتب: لئن يلقوا الله بخيانتهم أحب إليَّ من أن ألقاه بدمائهم[٣].

• **والعاشر:** أنه يُحسِّن لهم التصدق بعد الغصب، يُريهم أن هذا يمحو ذلك، فيقول: إن درهمًا من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب. وهذا محال؛ لأن إثم الغصب باق، ودرهم الصدقة إذا كان من الغصب لم يقبل، فإن كانت الصدقة من مال حلال لم يدفع أيضًا إثم الغصب؛ لأن إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر.

• **والحادي عشر:** أنه يحسن لهم مع الإصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء، ويُريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم. وهذا الخير لا يدفع ذاك الشر.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: نا عبد الله بن محمد، قال: نا أحمد بن الحسين، قال: نا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: نا الحسين بن زياد، قال: سمعت منيعًا يقول: مرَّ تاجر بعَشَّار، فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، فقام مالك

---

(١) **الطُّرَّة**: ما تطرُّه المرأة من الشعر الموفي على جبهتها وتصفِّفُه، وهي القُصَّة. المعجم الوسيط (ص٥٥٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٧٥).

فمشى معه إلى العَشَّار، فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى، ألا بعثت إلينا حاجتك؟! قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا: ادع لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم؛ كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم، أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف(١)!

○ **والثاني عشر:** أن من الولاة من يعمل لمن فوقه، فيأمره بالظلم فيظلم، ويلبس عليه إبليس بأن الإثم على الأمراء لا عليك، وهذا باطل؛ لأنه معين على الظلم، وكل معين على المعاصي عاص، فإن رسول الله ﷺ: «**لعن في الخمر عشرة**»(٢)، «**ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**»(٣).

ومن هذا الفن: أن يجبي المال لوالٍ فوقه، وقد علم أنه يبذر فيه ويخون، فهذا معين على الظلم أيضًا.

أخبرنا يحيى بن علي المدير، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، قال: أخبرنا الحسن بن حمكان، قال: نا عبدان بن يزيد، قال: نا محمد بن نصر القطان، قال: حدثنا هارون بن عبد الله الحمال، قال: حدثنا سيار، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخونة»(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٤)، وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٨١-٨٢ رقم ٣٦٧٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٢١-١١٢٢ رقم ٣٣٨٠)، وأحمد (٢/ ٧١، ١٣٢-١٣٣)، والحاكم (٤/ ١٤٤-١٤٥)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. والحديث صححه الألباني بطرقه كما في إرواء الغليل (٥/ ٣٦٥)، وله شواهد، منها: حديث ابن عباس عند ابن حبان (١٢/ ١٧٩ رقم ٥٣٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٢١٨- ١٢١٩ رقم ١٥٩٨)، وأحمد (٣/ ٣٠٤).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زياداته على الزهد لأبيه» (ص ٣٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٣).

الباب الثامن
في ذكر تلبيس إبليس على العباد في العبادات

اعلم أن الباب الأعظم الذي منه مدخل إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهَّال بأمان، فأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة.

وقد لبس على كثير من المتعبدين لقلة علمهم؛ لأن جمهورهم مشتغل بالتعبد ولم يُحْكِم العلم، وقد قال الربيع بن خثيم: تفقه ثم اعتزل[١].

فأول تلبيسه عليهم: إيثارهم التعبد على العلم، والعلم أفضل من النوافل[٢]، فأراهم أن المقصود من العلم العمل، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح، وما علموا أن العلم عمل القلب، وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح.

قال مطرف بن عبد الله: فضل العلم خير من فضل العبادة[٣]. وقال يوسف بن أسباط: باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزوة[٤]. وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إليَّ من صلاة ليلة[٥].

فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكَّن من التلبيس عليهم في فنون التعبد.

---

(١) رواه الخطّابي في العزلة (ص٨٨)، والخطيب في الفقيه والمتفقّه (١/ ١٠٧ رقم ٦٣).

(٢) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (ص٢١٩ – ٢٢٦).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٩٤)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٤٢)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٦٥ رقم ١٧٠٦)، وفي المدخل إلى السنن (ص٣٠٤ رقم ٤٥٧)، قال البيهقي في المدخل (ص٣٠٤): هذا الحديث يروى مرفوعًا بأسانيد ضعيفة، وهو صحيح من قول مطرف.

(٤) ذكره السيوطي في الأمر بالاتباع (ص٢٢٣)، ولم أقف عليه عند غيره، ورواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٠٢ رقم ٥٢) من قول أبي هريرة بنحوه.

(٥) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٨٤ رقم ١٨٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ١٢٠ رقم ١١٢).

ذكر تلبيسه عليهم في الاستطابة والحدث

من ذلك: أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء، وذلك يؤذي الكبد، وإنما ينبغي أن يكون بمقدار، وفيهم من يقوم فيمشي ويتنحنح، ويرفع قدمًا ويحط أخرى وعنده أنه يستنقي بهذا، وكلما زاد في هذا نزل البول، وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجتمع فيها، فإذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع، فإذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شيء آخر، فالرشح لا ينقطع، وإنما يكفيه أن يحتلب ما في الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء[(١)].

ومنهم: من يحسن له استعمال الماء الكثير، وإنما يجزئه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب، فإن استعمل الأحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار إذا أنقى بهن، ومن لم يقنع بما قنع به الشرع فهو مبتدئ شرعًا لا متبع!

ذكر تلبيسه عليهم في الوضوء

منهم: من لبَّس عليه في النية فتراه يقول: أرفع الحدث، ثم يقول: أستبيح الصلاة، ثم يعيد فيقول: أرفع الحدث.

وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع؛ لأن النية بالقلب لا باللفظ[(٢)]، فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج إليه، ثم لا معنى لتكرار اللفظ.

---

(١) بل هذا من البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (التنحنح بعد البول.. وتفتيش الذّكر بإسالته وغير ذلك، كل ذلك بدعة). مجموع الفتاوى (٢١/ ١٠٦)، وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٤).

(٢) قال ابن تيمية: (الجهر بالنية لا يجب ولا يستحب باتفاق المسلمين، بل الجاهر مبتدع مخالف للشريعة، إذا فعل ذلك معتقدًا أنّه من الشرع فهو جاهل ضال يستحق التعزيز...) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢١٩)، وانظر: ذم الوسواس لابن قدامة (ص٥٦)، الاتباع لابن أبي العزّ الحنفي (ص٦٢).

ومنهم: من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضَّأ به، فيقول: من أين لك أنه طاهر؟ ويُقدِّر له فيه كل احتمال بعيد، وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل باحتمال.

ومنهم: من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء، وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة:

- الإسراف في الماء.
- ويضيع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب.
- والتعاطي على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل[(١)].
- والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فات أوله الذي هو الفُضَيلة، أو فاتته الجماعة.

ويلبس إبليس على هذا بأنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة، ولو تدبر أمره علم أنه في تفريط ومخالفة، وقد رأينا من ينظر في هذه الوساوس ولا يبالي بمطعمه ومشربه، ولا يحفظ لسانه من غيبة، فليته قلب الأمر!

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا قتيبة، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن [حُيَيّ][(٢)] بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: «**ما هذا السَرَف يا سعد؟**». فقال: أفي الوضوء سرف؟ فقال: «**نعم، وإن كنت على نهر جار**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣٠٤ رقم ٢٠١)، ومسلم (١/ ٢٥٨ رقم ٣٢٥)، وسيأتي ذكره أيضًا (ص٣٦١).

(٢) في جميع النسخ: (يحيى)، وهو تحريف، والتصويب من مسند أحمد وكتب التراجم.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢١)، ورواه ابن ماجه (١/ ١٤٧، رقم ٤٢٥)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٦٢): إسناده ضعيف؛ لضعف حيي بن عبد الله وابن لهيعة. وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (١/ ١٠٠): إسناده ضعيف. ويشهد له الحديث الآتي.

قال عبد الله بن أحمد: وحدثني محمد بن المثنى قال: نا أبو داود، قال: نا خارجة بن مصعب، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عَتِيّ، عن أُبَيّ، عن النبي ﷺ قال: «للوضوء شيطان يقال له: الولهان؛ فاتقوه»، أو قال: «فاحذروه»(١).

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: نا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثنا الحسن بن محبوب، قال: نا أبو النضر، قال: نا الأشجعي، عن سفيان، عن بيان، عن الحسن، قال: «شيطان الوضوء يدعى: الولهان، يضحك بالناس في الوضوء»(٢).

أخبرنا عبد الأول بن عيسى، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، قال: أخبرنا إبراهيم بن خزيم، قال: حدثنا عبد بن حميد، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: نا حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي، عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك الفردوس.. وأسألك. فقال له عبد الله: سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور»(٣).

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زياداته على المسند» (٥/ ١٣٦)، والترمذي (١/ ٨٤، ٨٥، رقم ٥٧)، وابن ماجه (١/ ١٤٦، رقم ٤٢١)، قال الترمذي: حديث أُبَيّ بن كعب حديث غريب، وليس إسناده بصحيح عند أهل الحديث؛ لأنا لا نعلم أسنده غير خارجة، وقد روي من غير وجه عن الحسن قوله، ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء. وقال أبو زرعة: رفعه إلى النبي ﷺ منكر. والحديث ضعفه غير واحد من أهل العلم؛ لأجل خارجة بن مصعب، وهو متروك، والصحيح أنه من قول الحسن.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (ص ٥٠، رقم ٢٩)،وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ١٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٨٦)، والطبراني في «الدعاء» (٢م ٨١٠، رقم ٥٨)، وفي إسناده يزيد الرقاشي، ضعيف، لكنه توبع عليه، فقد تابعه سعيد الجريري عن أبي نعامة به بلفظه. انظر سنن أبي داود (١/ ٧٣، رقم ٩٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧١، رقم ٣٨٦٤).

أخبرنا موهوب بن أحمد، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: أنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، قال: أخبرنا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي سعد، قال: نا أبو الأصبغ، قال: نا ضمرة عن ابن شوذب، قال: كان الحسن يعرض بابن سيرين[١] يقول: يتوضأ أحدهم بقربة[٢]، ويغتسل بمزادة[٣] صبًّا صبًّا، ودلكًا دلكًا، تعذيبًا لأنفسهم، وخلافًا لسنة نبيهم ﷺ[٤].

وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول: أَجَلُّ محصول عند العقلاء الوقت، وأقل متعبد به الماء.

وقد قال عليه السلام: «**صبوا على بول الأعرابي ذنوبًا من ماء**»[٥]، وقال في المني: «**أمطه عنك بإذخرة**»[٦][٧]، وقال في الحذاء: «**طهوره أن يُدلك بالأرض**»[٨]، وفي ذيل

---

(١) في جميع النسخ (بن)، والمثبت هو الصواب.

(٢) **قِربة**: القربة ظرف من جلد، يخرز من جانب واحدٍ؛ لحفظ الماء أو اللبن ونحوهما. المعجم الوسيط (٢/ ٧٢٣).

(٣) **مزادة**: المزادة هي التي يُحمل فيها الماء، وهي ما فُئم بجلد ثالث بين الجلدين؛ ليتسع. اللسان (زيد).

(٤) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٨٥)، والذهبي في «السير» (٤/ ٦١٤) بلفظ يعقوب الفسوي.

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٣٢٤ رقم ٢٢١)، ومسلم (١/ ٢٣٦ رقم ٢٨٤)، والنسائي (١/ ١٧٥)، وابن ماجه (١/ ١٧٥-١٧٦ رقم ٥٢٨)، وأحمد (٣/ ١١٠-١١١) من حديث أنس بنحوه وفيه قصة.

(٦) **إذخرة**: هي حشيشة طيبة الرائحة، تُسقَّف بها البيوت فوق الخشب. النهاية (إذخر).

(٧) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤١٨) عن ابن عباس موقوفًا، وقال: «هذا صحيح عن ابن عباس من قوله، وقد رُوي مرفوعًا ولا يصح رفعه».

(٨) أخرجه أبو داود (١/ ٢٦٧-٢٦٨ رقم ٣٨٥-٣٨٦)، وابن خزيمة (١/ ١٤٨ رقم ٢٩٢)، وابن حبان (٤/ ٢٤٩-٢٥٠ رقم ١٤٠٣-١٤٠٤)، والحاكم (١/ ١٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٠)، واللفظ لأبي داود.

المرأة: «**يطهره ما بعده**»(١)، وقال: «**يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام**»(٢)، وقد كان يحمل بنت أبي العاص بن الربيع في الصلاة(٣)، ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يَرِدُهُ، وقال: «**ما أبقت لنا طهور**»(٤). وقال: «**يا صاحب الميزاب لا تخبره**»، وقد صافح رسول الله ﷺ الأعراب(٥)، وركب الحمار(٦)، وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء(٧)، وتوضأ من سقاية المسجد(٨)، ومعلوم حال الأعراب الذي بان من أحدهم الإقدام على البول في المسجد.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٢٦٦ رقم ٣٨٣)، والترمذي (١/ ٢٦٦ رقم ١٤٣)، وابن ماجه (١/ ١٧٧ رقم ٥٣١)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٤ رقم ١٦)، وأحمد (٦/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٦٣ رقم ٣٧٨)، و(٢/ ٥٠٩ رقم ٦١٠)، وابن ماجه (١/ ١٧٥ رقم ٥٢٥)، وأحمد (١/ ٧٦، ٩٧، ١٣٧)، والحاكم (١/ ١٦٥-١٦٦)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح (١/ ٣٢٦): إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٥٩٠ رقم ٥١٦)، و(١٠/ ٤٢٦ رقم ٥٩٩٦)، ومسلم (١/ ٣٨٥ رقم ٥٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٢٦ رقم ٣٠)، ورُوي موقوفًا على عمر. أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٣، ٢٤ رقم ١٤).

(٥) هناك جملة من الأحاديث في مصافحة النبي ﷺ لغيره، أورد بعضها ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢/ ٢٣٣ – ٢٣٤)، ولعلّ أقرب ما وقفت عليه للمعنى الذي أورده المصنّف ما رواه أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صافح رجلًا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرّجل هو الذي ينزع يده من يده». رواه الضياء المقدسي في المختارة (٦/ ٦٩- ٧٠ رقم ٢٠٥٠) من طريق هشيم بن بشير عن حميد عن أنس به، ورواه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٧٣ رقم ٨١٣٢) من طريق زيد العمي عن أنس به.

(٦) أخرج أحمد في المسند (٥/ ٢٣٨) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٧٥ رقم ١٤٠).

(٧) لما ثبت من حديث سفينة أنه ﷺ كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد. أخرجه مسلم (١/ ٢٥٨ رقم ٣٢٦)، والترمذي (١/ ٨٣ رقم ٥٦)، وابن ماجه (١/ ٩٩ رقم ٢٦٧)، وأحمد (٥/ ٢٢٢). ورواه البخاري (١/ ٣٠٤ رقم ٢٠١)، ومسلم (١/ ٢٥٨ رقم ٣٢٥-٥١)، من حديث أنس بنحوه.

(٨) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٤٩)، ومسلم (١/ ٥٢٥ رقم ٧٦٣)، والنسائي في الكبرى (١/ ٢٩٥ رقم ٩١٦).

كل ذلك لتعليمنا وإعلامنا أن الماء على أصل الطهارة، وتوضأ من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء.

فأما قوله: «**تنزهوا من البول**»[١]: فإن للتنزه حدًّا معلومًا، وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء، فأما الاستنثار فإنه إذا علق نما وانقطع الوقت بها لا يقضي بمثله الشرع.

قال المصنف: قلت: وقد كان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءً كثيرًا في وضوئه، ثم ترك ذلك، فسأله رجل عن سبب تركه؟ فقال: نمت ليلة فإذا هاتف يهتف بي: يا أسود ما هذا؟! يحيى بن سعيد الأنصاري، حدثنا عن سعيد بن المسيب قال: إذا جاوز الوضوء ثلاثًا لم يرفع إلى السماء. قال: قلتُ: لا أعود لا أعود. فأنا اليوم يكفيني كف من ماء[٢].

ذكر تلبيسه عليهم في الأذان

من ذلك التلحين في الأذان، وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء[٣] كراهية شديدة؛ لأنه يخرجه عن موضوع التعظيم إلى مشابهة الغناء.

---

(١) أخرجه البزار كما في زوائده لابن حجر (١/ ١٥٣ رقم ١٤٦)، والطبراني في الكبير (١١/ ٨٤ رقم ١١١٢٠)، قال البزار: رُوي نحوه عن جماعة من الصحابة مرفوعًا بألفاظ مختلفة. وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٢١٢): رواه البزار والطبراني في الكبير، وفيه أبو يحيى القتات، وثّقه يحيى بن معين في رواية، وضعّفه الباقون. قلت: تابعه العوام بن حوشب عن مجاهد به. أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٧٩ رقم ١١١٠٤).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٧/ ٣٦)، ومن طريقه ابن الجوزي في المنتظم (١٠/ ٢٥٣) مطولًا.

(٣) انظر: المدونة الكبرى (١/ ١٥٨)، ومواهب الجليل للحطاب (١/ ٤٣٧ - ٤٣٨)، الذخيرة للقرافي (٢/ ٤٧ - ٤٨)، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/ ١٣٠)، والمجموع للنووي (ط. دار الإرشاد) (٣/ ١١٨).

ومنه: أنهم يخلطون الأذان للفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطًا فيختلط، وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان[1].

قال المصنف: وقد رأيت من يقوم بليل كثير على المنارة فيعظ ويذكر، ويقرأ سورًا من القرآن بصوت مرتفع، فيمنع الناس من نومهم، ويخلط على المتهجدين قراءتهم، وكل ذلك من المنكرات!

ذكر تلبيسه عليهم في الصلاة

فمن ذلك: تلبيسه عليهم في الثياب التي يستتر بها، فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مرارًا، وربما لمسه مسلم فيغسله، ومنهم من يغسل ثيابه في دجلة لا يرى أن غسلها في البيت يجزئ، ومنهم من يدليها في البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تفعل هذا، بل قد صلوا في ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم.

ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة، ومنهم من يترك صلاة الجمعة لأجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه، ولا يظنن ظان أني أمنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هي التي أنهى عنها.

ومن ذلك: تلبيسه عليهم في نية الصلاة، فمنهم من يقول: أصلي صلاة كذا ثم يعيد هذا، ظنًّا منه أنه قد نقض النية، والنية لا تنتقض وإن لم يرض اللفظ، ومنهم من يكبر ثم ينقض، ثم يكبر ثم ينقض، فإذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه، فليت شعري! ما الذي أحضر النية حينئذ؟ وما ذاك إلا لأن إبليس أراد أن تفوته الفُضَيلة.

---

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (٢/ ٢٤٨)، إصلاح المساجد من البدع والعوائد (ص٢٣٤).

ومن الموسوسين من يحلف بالله لا كَبَّرْتُ غير هذه المرة، وفيهم من يحلف بالخروج من ماله أو بالطلاق، وهذه كلها تلبيسات إبليس.

والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات، وما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شيء من هذا، وقد بلغنا عن أبي حازم أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليس أنك تصلي بغير وضوء، فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا[(١)]!

وكشف هذا التلبيس: أن يقال للموسوس: إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة؛ لأنك قمت لتؤدي الفريضة، وهذه هي النية، ومحلها القلب لا اللفظ، فإن كنت تريد تصحيح اللفظ، فاللفظ لا يجب، ثم قد قلته صحيحًا، فما وجه الإعادة؟ أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت؟ هذا مرض!

قال المصنف: ولقد حكى لي بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة: أن رجلًا لقيه فقال: إني أغسل العضو وأقول ما غسلته، وأكبر وأقول: ما كبرت. فقال له ابن عقيل: دع الصلاة؛ فإنها ما تجب عليك. فقال قوم لابن عقيل: كيف تقول له هذا؟! فقال لهم: قد قال النبي ﷺ: «**رفع القلم عن المجنون حتى يفيق**»[(٢)]، ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل، والمجنون لا تجب عليه الصلاة.

قال المصنف: قلت: واعلم أن الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل أو جهل في الشرع، ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له فلو قال: نويت أن أنتصب

---

(١) ذكره ابن الجوزي في أخبار الظّراف والمتماجنين (ص٧٠)، وموفق الدين ابن قدامة المقدسي في ذمّ الوسواس (ص٨٠) بنحوه، لكنه قال: بلغني عن بعض السّلف.

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١٥٦)، وابن ماجه (١/ ٦٥٨ رقم ٢٠٤١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٥٥ رقم ١٤٢)، والحاكم (٢/ ٥٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود (٤/ ٥٥٨ رقم ٤٣٩٨)، وأحمد (٦/ ١٠٠-١٠١، ١٤٤)، قال أحمد شاكر في تعليقه على الرسالة للشافعي (ص٥٨): حديث صحيح.

قائمًا تعظيمًا لدخول هذا العالم لأجل علمه مقبلًا عليه بوجهي، سُفِّهَ في عقله؛ لأن هذا قد تصور في ذهنه منذ رأى العالم.

فقيام الإنسان إلى الصلاة ليؤدي الفرض أمر يتصور في النفس في حالة واحدة لا يطول زمانه، وإنما يطول زمان نظم الألفاظ، والألفاظ لا تلزم، والوسواس محض جهل، فإن الموسوس يكلف نفسه أن يُحْضِرَ في قلبه الظهرية والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها، وذلك محال! ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه، فمن عرف هذا عرف النية، ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها[1]، فما وجه هذا التعب في إلصاقها بالتكبير؟ على أنه إذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو علي بن المهدي، قال: أنا عبيد الله بن عمر بن شاهين، قال: أنا أبو بحر بن كوثر، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد الجذوعي القاضي، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: نا أبو أسامة عن مسعر، قال: أخرج إليَّ معن بن عبد الرحمن كتابًا وحلف بالله أنه خط أبيه، فإذا فيه قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما رأيت أحدًا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ، ولا رأيت بعده أشد خوفًا عليهم من أبي بكر، وإني لأظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفًا عليهم[2]!

---

(١) انظر: المغني (٢/ ١٣٦)، وكشاف القناع للبهوتي (١/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٥٠، رقم ٦٤٨٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٤٣٧، رقم ٥٠٢٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٧٤، رقم ١٠٣٦٧).قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٥٤): رواه أبو يعلى والطبراني، ورجالهما ثقات. وقال البوصيري في «مختصر الإتحاف» (١٠/ ٤١٥، رقم ٨٢١٤): رواه أبو بكر بن أبي شيبة وعنه أبو يعلى، ورواته ثقات.

فصل

ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقي صلاته، كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط، وهذا تلبيس، يكشفه: أن التكبير يراد للدخول في العبادة، فكيف تهمل العبادة التي هي كالدار، ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب[١]!

فصل

ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الإمام وقد بقي من الركعة يسير، فيستفتح ويستعيذ، فيركع الإمام، وهذا تلبيس أيضًا؛ لأن الذي شرع فيه من الاستفتاح والتعوذ مسنون، والذي تركه من قراءة الفاتحة واجب، وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء، فلا ينبغي أن يُقدِّم عليه سنة.

قال المصنف: وقد كنت أصلي وراء شيخنا أبي بكر الدينوري الفقيه في زمان الصبا، فرآني مرة أفعل هذا، فقال: يا بني إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يختلفوا أن الاستفتاح سنة؛ فاشتغل بالواجب ودع السنن[٢]!

فصل

وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيرًا من السنن لواقعات وقعت لهم: فمنهم من كان يتأخر عن الصف الأول ويقول: إنما أراد قرب القلوب، ومنهم من لم يضع يدًا على يد في الصلاة وقال: أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس في قلبي.

قال المصنف: وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٤٠١).

(٢) ذكر القصّة ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ١٩١)، نقلًا عن ابن الجوزي في التلبيس.

وهذا أمر أوجبه قلة العلم، ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«لو يعلم الناس ما لهم في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه»**[(١)].

وفي أفراد مسلم من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال: **«خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها»**[(٢)].

وأما وضع اليد على اليد فسنة، روى أبو داود في «سننه» أن ابن الزبير قال: وضع اليد على اليد من السنة[(٣)]. وأن ابن مسعود كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى[(٤)].

ولا يَكْبُرَنَّ عليك إنكارُنا على من قال: أراد قرب القلوب ولا أضع يدًا على يد وإن كان من الأكابر؛ فإن الشرع المُنْكِرُ لا نحن.

وقد قيل لأحمد بن حنبل: إن ابن المبارك يقول كذا وكذا. فقال: ابن المبارك لم ينزل من السماء[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٦ رقم ٦١٥)، ومسلم (١/ ٣٢٥ رقم ٤٣٧)، والنسائي (٢/ ٢٣)، ومالك في الموطأ (١/ ١٣١)، وأحمد (٢/ ٥٣٣).

(٢)أخرجه مسلم (١/ ٣٢٦ رقم ٤٤٠)، وأبو داود (١/ ٤٣٨ رقم ٦٧٨)، والترمذي (١/ ٤٣٥ رقم ٢٢٤)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (٢/ ٩٣)، وابن ماجه (١/ ٣١٩ رقم ١٠٠٠)، وأحمد (٢/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٩ رقم ٧٥٤)، والطبراني في الكبير (قطعة من الجزء ١٣) (ص١٢١ رقم ٢٩٨)، وقال النووي في المجموع (٣/ ٣١٢): إسناده حسن. وهذا الحديث مما تفرد به أبو داود عن بقية أصحاب الكتب الستة.

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٤٨٠ رقم ٧٥٥)، والنسائي(٢/ ١٢٦)، وابن ماجه (١/ ٢٦٦ رقم ٨١١)، وقد حسّن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري (٢/ ٢٢٤).

(٥) لم أقف عليه.

وقيل له: قال إبراهيم بن أدهم. فقال: جئتموني بِبُنَيَّات الطريق[١]، عليكم بالأصل[٢].

فلا ينبغي أن يترك الشرع لقول مُعَظَّم في النفس، فإن الشرع أعظم، والخطأ في التأويل على الناس يجري، ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه.

فصل

وقد يلبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة، وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد، وتارة في إخراج ضاد ﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾.

قال المصنف: ولقد رأيت من يقول: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾ فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد؛ لقوة تشديده، وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب[٣].

وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق، ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة، وكل هذه الوساوس من إبليس.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أحمد بن عبد القادر بن يوسف، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي بن صخر، قال: نا عمر بن محمد بن سيف، قال: حدثنا محمد بن هارون بن حميد، قال: نا محمد بن يحيى بن رزين، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، أن سهل بن أبي أمامة حدثه: أنه دخل

---

(١) **بُنَيَّات الطريق**: التي تفترق وتختلف فتأخذ في كل ناحية. وقال الثعالبي: بنيات الطريق هي الصعاب والمعَاسِف. لسان العرب (طرق)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص٢٧٨).

(٢) ذكره المؤلّف في صيد الخاطر (ص٥٩٤).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٤٠١)، ذم الوسواس لابن قدامة (ص٦٣)، إغاثة اللهفان (١/ ٢٥٢)، دفع الإلباس عن وهم الوسواس للأقفهسي (ص٢٦٠-٢٦١).

هو وأبوه على أنس بن مالك وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر، فلما سلم قال: يرحمك الله، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة، أم شيء تنفلته؟ قال: إنها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئًا سهوت عنه، إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»[١].

وفي أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص قال: قلت: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسَسْتَهُ فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثًا**»، ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني[٢].

فصل

وقد لبس إبليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين، فرأوا أن العبادة هي القيام والقعود فحسب، فهم يدأبون في ذلك ويُخِلُّون ببعض واجباتها ولا يعلمون، ولقد تأملت على جماعة يسلِّمون إذا سلَّم الإمام وقد بقي عليهم من التشهد الواجب شيء، وذلك لا يحمله الإمام عنهم.

ولبَّس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة، ويتركون المسنون في الصلاة، ويرتكبون المكروه فيها، ولقد دخلت على بعض المتعبدين، وهو

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٢٠٩، رقم ٤٩٠٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦/ ٣٦٥، رقم ٣٦٩٤)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٥٩)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، وهو ثقة.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٢٨ رقم ٢٢٠٣)، وأحمد (٤/ ٢١٦).

يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة، فقلت له: إن الجهر بالنهار مكروه! فقال لي: أنا أطرد النوم عني بالجهر! فقلت له: إن السنن لا تترك لأجل سهرك، ومتى غلبك النوم فنم؛ فإن للنفس عليك حقًّا[١].

أخبرنا حمد بن منصور الهمذاني، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن الحسن الحسني قال: نا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان النّصرويّ قال: نا أبو الحسن السراج، قال: نا محمد بن عبد الله الحضرمي مُطيَّن، قال: نا أبو بلال الأشعري، قال: نا يزيد بن يوسف الدمشقي، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن بُرَيدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جهر بالقراءة بالنهار فارجموه بالبعر**»[٢].

فصل

وقد لبَّس إبليس على جماعة من المتعبدين، فأكثروا من صلاة الليل، وفيهم من يسهره كله، ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة، أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة، أو يصبح كَسْلَانَ فلا يقدر على الكسب لعائلته.

قال المصنف: ولقد رأيت شيخًا من المتعبدين يقال له: حسن القزويني، يمشي كثيرًا من النهار في جامع المنصور، فسألت عن سبب مشيه فقيل لي: لئلا ينام، فقلت: هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل[٣]:

---

(١) ذكر هذه القصّة الـمُؤلِّف في صيد الخاطر (ص٣٠٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ١٧١، ١٧٢، رقم ١٢٤٢)، ورواه الخطيب في «تاريخه» (١٤/ ٣٣٤)، وفي إسناده يزيد بن يوسف الدمشقي، ضعفه ابن حجر، وقال غيره: متروك كما في «الميزان» (٤/ ٤٤٢).

(٣) ذكر هذه القصّة المؤلِّف في صيد الخاطر (ص٣٠٨).

○ **أما الشرع:** فإن النبي ﷺ قال: «**إن لنفسك عليك حقًّا**»[١]، فقم ونم، وكان يقول: «**عليكم هَدْيًا قاصدًا، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه**»[٢].

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا إسماعيل، قال: نا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد و حبل ممدود بين ساريتين، فقال: «**ما هذا؟**». قالوا: لزينب؛ تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: «**حُلُّوه**». ثم قال: «**ليُصلِّ أحدكم نشاطَهُ، فإذا كسل أو فتر فَلْيَقْعُدْ**»[٣].

قال عبد الله: وحدثني أبي، قال: نا ابن نمير، قال: نا هشام عن أبيه عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم؛ فإنه إذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه**»[٤].

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وانفرد بالذي قبله البخاري[٥].

○ **وأما العقل:** فإن النوم يجدد القوى التي قد كَلَّت بالسهر، فمتى دفعه الإنسان وقت الحاجة إليه أثَّر في بدنه وعقله، فنعوذ بالله من الجهل!

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٨ رقم ١١٥٣)، ومسلم (٢/ ٨١٣ رقم ١١٥٩، ١٨٢)، والنسائي (٤/ ٢١٥)، وأحمد (٢/ ١٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٠، ٣٦١)، وابن المبارك في الزهد (ص٣٩٢ رقم ١١١٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٢).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٠١)، وأخرجه البخاري (٣/ ٣٦، رقم ١١٥٠)، ومسلم (١/ ٥٤١، رقم ٧٨٤)، وأبو داود (٢/ ٧٥، رقم ١٣١٢)، والنسائي (٣/ ٢١٨)، وابن ماجه (١/ ٤٣٦، رقم ١٣٧١).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٥٦)، وأخرجه البخاري (١/ ٣١٣، رقم ٢١٢)، ومسلم (١/ ٥٤٢، رقم ٧٨٦)، وأبو داود (٢/ ٧٤، رقم ١٣١٠)، والترمذي (٢/ ١٨٦، رقم ٣٥٥)، والنسائي (١/ ٩٩، ١٠٠)، وابن ماجه (١/ ٤٣٦، رقم ١٣٧٠).

(٥) هذا وهم من المؤلف ﵀ فقد رواه مسلم أيضًا كما سبق في تخريجه آنفًا.

فإن قال قائل: فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل؟

فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك، وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في جماعة، وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم، فصح لهم ذلك، ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها، فسنته هي المتبوعة.

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من قوام الليل، فتحدثوا بذلك بالنهار، فربما قال أحدهم: فلان المؤذن أذن بوقت. ليعلم الناس أنه كان متنبهًا، وأقل ما في هذا - إذا سلم من الرياء - أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية؛ فيقل الثواب.

فصل

وقد لبس على آخرين انفردوا في المساجد للصلاة والتعبد، فعُرِفُوا بذلك، واجتمع إليهم ناس فصلوا بصلاتهم، وشاع بين الناس حالهم، وذلك من دسائس إبليس، وبه تقوى النفس على التعبد؛ لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح.

وقد أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا عفان، قال: نا وهيب، قال: نا موسى بن عقبة قال: سمعت أبا النضر يحدث عن بسر بن سعيد عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أفضل صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة**»[1]. أخرجاه في «الصحيحين».

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٢)، وأخرجه البخاري (٢/ ٢١٤، رقم ٧٣١)، ومسلم (١/ ٥٣٩، ٥٤٠، رقم ٧٨١)، وأبو داود (١/ ٦٣٢، رقم ١٠٤٤)، والنسائي (٣/ ١٩٨)، والترمذي (٢/ ٣١٢، رقم ٤٥٠)، وقال الترمذي: حديث زيد بن ثابت حديث حسن.

وكان عامر بن عبد القيس يكره أنه يروه يصلي[(١)]، وكان لا يتنفل في المسجد[(٢)]، وكان يصلي كل يوم ألف ركعة[(٣)].

وكان ابن أبي ليلى إذا صلى فدخل عليه داخل اضطجع[(٤)].

فصل

وقد لبس على قوم من المتعبدين فكانوا يبكون والناس حولهم، وهذا قد يقع غلبةً فلا يمكن دفعه، فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أبو محمد بن السراج، قال: أخبرنا أبو علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني يوسف بن يعقوب، قال: حدثنا أبو بكر عن عاصم، قال: كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله.

وقد كان أيوب السختياني إذا غلبه البكاء قام[(٥)(٦)].

فصل

وقد لبس على جماعة من المتعبدين، فتراهم يصلون الليل والنهار، ولا ينظرون في إصلاح عيب باطن ولا في مطعم، والنظر في ذلك كان أولى بهم من كثرة التنفل.

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٧٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٨٨-٨٩).

(٤) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦١٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥١) بنحوه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص١٤٧ رقم ١٥٣)، والحسن بن إسماعيل الضراب في ذم الرياء (ص١٧١ رقم ٨٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦-٧).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائده على الزهد» لأبيه (ص ٤٢٩)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٦٥).

ذكر تلبيسه عليهم في قراءة القرآن

قد لبس على قوم بكثرة التلاوة، فهم يهذون هذًّا من غير ترتيل ولا تثبت، وهذه حالة ليست بمحمودة، وقد رُوي عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرؤون القرآن في يوم أو في ركعة[1]، وهذا يكون نادرًا منهم، ومن دام عليه وإن كان جائزًا إلا أن الترتيل والتثبت أحب إلى العلماء؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[2].

وقد لبس على قوم من القراء، فهم يقرؤون في منارة المسجد بالليل بالأصوات المرتفعة الجزء والجزأين، فيجمعون بين أذى الناس ومنعهم من النوم، وبين التعرض للرياء، وفيهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد.

ومن أعجب ما رأيت منهم: أن رجلًا كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة، ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين، ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أني قد ختمت، وما هذه طريقة السلف، فإن السلف كانوا يسترون عباداتهم، كان عمل الربيع بن خثيم كله سرًّا، فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه[3]، وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيرًا ولا يُدرى متى يختم[4].

قال المصنف: قد سبق ذكر جملة من تلبيس إبليس على القراء.

---

(١) وممن رُوي عنه ذلك: تميم الداري وعثمان ﷺ، وسعيد بن جبير وعلقمة وعليّ الأزدي، وغيرهم. انظر: مصنّف ابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٢ – ٥٠٣)، فتح الباري (٩/ ٩٥ – ٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ١١٦ رقم ١٣٩٤)، والترمذي (٥/ ١٨٢ رقم ٢٩٤٩)، وابن ماجه (١/ ٤٢٨ رقم ١٣٤٧)، وأحمد (٢/ ١٦٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على الزهد لأبيه (ص٤٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠٧) بنحوه.

(٤) أخرجه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص٢٦٨).

ذكر تلبيسه عليهم في الصوم

قال المصنف: وقد حسَّن لأقوام الصومَ الدائمَ، وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها، إلا أن الآفة فيه من وجهين:

- **أحدهما**: أنه ربما عاد بِضَعْف القوى، فأعجز الإنسان عن القيام لعائلته، ومنعه من إعفاف زوجته، وفي «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن لزوجك عليك حقًّا**»[١]، فكم من فرض يضيع بهذا النفل!
- **والثاني**: أنه يفوت الفُضَيلة، فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أفضل الصيام صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا**»[٢].

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا عبد الرزاق، قال: نا معمر عن الزهري عن ابن المسيب وأبي سلمة ابن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو قال: لقيني رسول الله ﷺ، فقال: «**ألم أحدث أنك تقوم الليل؟ أَوَأنت الذي يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار؟**». قال أحسبه قال: نعم يا رسول الله، قد قلت ذلك. قال: «**فقم ونم، وصم وأفطر، وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صيام الدهر**». قلت: يا رسول الله، إني أطيق أكثر من ذلك. قال: «**فصم يومًا وأفطر يومين**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فصم يومًا وأفطر يومًا، وهو أعدل الصيام، وهو صيام داود ﷺ**»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**»[٣]، أخرجاه في «الصحيحين».

---

(١) تقدّم تخريجه (ص ٣٧١) وأورده هناك بلفظ «إن لنفسك عليك حقًّا..» وهو قطعة من حديث طويل.

(٢) سيأتي تخريجه في الحديث التالي، فقد ساقه المؤلف بإسناده من حديث عبد الله بن عمرو مطولًا بنحوه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٨)، وأخرجه البخاري (٤/ ٢٢٠، رقم ١٩٧٦)، و(٦/ ٤٥٣، رقم ٣٤١٨)، ←

فإن قال قائل: فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم؟

فالجواب: أنهم قد كانوا يقوون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة، ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة إلى الكسب، ثم فيهم من فعل هذا في آخر عمره، على أن قول رسول الله ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**» يقطع هذا الحديث.

وقد دام جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته، فمنهم من ذهبت عينه، ومنهم من نشف دماغه، وهذا تفريط في حق النفس الواجب، وحمل عليها ما لا تطيق، فلا يجوز.

فصل

وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر، فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلًا، وإن أفطر اختفى بإفطاره؛ لئلا ينكسر جاهه، وهذا من خفي الرياء! ولو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم، ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به، ومنهم من يخبر بما قد صام، فيقول: اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت، ويلبس عليه إبليس: بأنك إنما تخبر ليقتدى بك، والله أعلم بالمقاصد.

قال سفيان الثوري: إن العبد ليعمل العمل في السر، ولا يزال به الشيطان حتى يتحدث به؛ فينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية[1].

وفيهم: من عادته صوم الاثنين والخميس فإذا دعي إلى طعام قال: اليوم الخميس. ولو قال: أنا صائم كانت محنة، وإنما قوله: اليوم الخميس معناه: أنا أصوم كل خميس.

ومسلم (٢/ ٨١٢، رقم ١١٥٩)، وأبو داود (٢/ ٨٠٩، رقم ٢٤٢٧)، والنسائي (٤/ ٢١١)، وأحمد (٢/ ١٨٨).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٠-٣١) بنحوه.

وفي هؤلاء: من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائمًا وهم مفطرون.

ومنهم: من يلازم الصوم ولا يبالي على ماذا أفطر، ولا يتحاشى في صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة، وقد خيل له إبليس أن صومك يدفع إثمك.

وكل هذا من التلبيس!

ذكر تلبيسه عليهم في الحج

قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة، ثم يعود لا عن رضاء الوالدين، وهذا خطأ، وربما خرج وعليه ديون أو مظالم، وربما خرج للنزهة، وربما حج بمال فيه شبهة، ومنهم من يحب أن يُتَلَقَّى ويقال: الحاجي!

وجمهورهم يضيِّع في الطريق فرائض من الطهارة والصلاة، ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية، وإبليس يريهم صورة الحج فيغرّهم، وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان، وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى[١].

وكم من قاصد إلى مكة همته عدد حجاته فيقول لي عشرون وقفة، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع في تنقية باطنه، وربما كانت همته متعلقة بفتوح تصل إليه ممن كان، وربما قال: إن لي اليوم عشرين سنة مجاورًا، وكم قد رأيت في طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم في الطريق.

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين مكة فهم يضيعون الصلوات، ويطففون إذا باعوا، ويظنون أن الحج يدفع عنهم، وقد لبس على قوم منهم فابتدعوا

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٤٠٢).

في المناسك ما ليس منها، فرأيت جماعة يصطنعون في إحرامهم، فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون في الشمس أيامًا فتنكشط جلودهم، وتنتفخ رءوسهم، ويتزينون بين الناس بذلك.

وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ رأى رجلًا يطوف بالكعبة بزمام؛ فقطعه[١]، وفي لفظ: رأى إنسانًا يقود إنسانًا بخزامة في أنفه؛ فقطعها بيده، ثم أمره أن يقوده بيده[٢].

قال المصنف: وهذا الحديث يتضمن النهي عن الابتداع في الدين وإن قصدتَ بذلك الطاعة.

فصل

وقد لبس على أقوام يدعون التوكل، فخرجوا بلا زاد، وظنوا أن هذا هو التوكل، وهم على غاية الخطأ!

قال رجل للإمام أحمد بن حنبل: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد. فقال له أحمد: فاخرج في غير القافلة. قال: لا، إلا معهم، قال: فعلى جرب الناس توكلت[٣]!

ذكر تلبيس إبليس على الغزاة

قد لبس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء، ليقال: فلان غازٍ، وربما كان المقصود أن يقال: شجاع، أو كان طلب الغنيمة، وإنما الأعمال بالنيات.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٨٣ رقم ١٦٢١)، و(١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤٨٢ رقم ١٦٢٠)، و(١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٣)، وأبو داود (٣/ ٦٠١ رقم ٣٣٠٢)، والنسائي (٥/ ٢٢١، ٢٢٢)، وأحمد (١/ ٣٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٠).

(٣) لم أقف عليه.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا أبو معاوية، قال: نا الأعمش، عن شقيق، عن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يقاتل شجاعةً ويقاتل حميةً ويقاتل رياءً، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**». أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

قال عبد الله: وحدثني أبي، قال: نا روح، قال: نا حماد، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: «إياكم أن تقولوا مات فلان شهيدًا أو قتل فلان شهيدًا! فإن الرجل يقاتل ليغنم، ويقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه»[(٢)].

قال عبد الله: وحدثني أبي، قال: نا حجاج عن ابن جريج، قال: حدثني يونس بن يوسف عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة:**

رجل استشهد فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملتَ فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى قتلت، قال: كذبت! ولكنك قاتلت ليقال: هذا جريء. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٧، ٤٠٥)، وأخرجه البخاري (٦/ ٢٧، ٢٨، رقم ٢٨١٠)، و(١٣/ ٤٤١، رقم ٧٤٥٨)، ومسلم (٣/ ١٥١٢، رقم ١٩٠٤)، وأبو داود (٣/ ٣١، رقم ٢٥١٧)، والترمذي (٤/ ١٥٣، رقم ١٦٤٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٦/ ٢٣)، وابن ماجه (٢/ ٩٣١، رقم ٢٧٨٣)، وأحمد (٤/ ٣٩٢، ٤٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤١٦)، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٢٥٥، رقم ٥٣٧٦)، قال أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» (٦/ ٢٤): إسناده ضعيف لانقطاعه، وأصل معناه صحيح.

ورجل **تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملتَ فيها؟ قال: تعلمت فيك العلم وعلمته، وقرأت القرآن. فقال: كذبت! ولكنك تعلمت ليقال: هو عالم. فقد قيل، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.**

ورجل **وسَّع الله عليه، فأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملتَ فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت! ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»**[(١)]. انفرد بإخراجه مسلم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الطيب عبد العزيز بن علي بن محمد القرشي، قال: نا عمر بن أحمد بن هارون المقري، قال: نا [محمد][(٢)] بن حمدويه المروزي، قال: نا أحمد بن سعيد بن مسعود المروزي، قال: حدثنا أبو حاتم الرازي قال: سمعت عبدة بن سليمان يقول: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البِراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فقتله الرجل، فازدحم عليه الناس فكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو ملثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو[(٣)]

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٢)، ورواه مسلم (رقم ١٩٠٥)، والنسائي (٦/ ٢٣، ٢٤). وأخرجه بأطول مما هنا الترمذي (٤/ ٥١٠، رقم ٢٣٨٢)، والنسائي «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/ ١١١)، والحاكم (١/ ٤١٨، ٢١٩)، قال الترمذي: حسن غريب. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) في الأصل و«ك»: حمد، وفي «أ»: أحمد، والتصويب من تاريخ بغداد، ومصادر الترجمة.

(٣) في «أ»: (أبا حمزة)، والمعروف في كتب التراجم أن كنية عبدة بن سليمان (أبو محمد)، فالله أعلم.

ممن يُشنِّع علينا[(١)]!

قال المصنف: قلت: فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص، كيف خاف على إخلاصه أن يدخله برؤية الناس له ومدحهم إياه شوب؛ فستر نفسه!

وقد كان إبراهيم بن أدهم يقاتل، فإذا غنموا لم يأخذ شيئًا؛ ليتوفر له الأجر[(٢)].

فصل

وقد يلبس إبليس على المجاهد إذا غنم، فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه، فإما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها، ولا يدري أن الغلول من المغانم معصية!

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهبًا ولا وَرِقًا[(٣)]، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له، فلما نزلنا قام عبد رسول الله يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله! فقال: «**كلا، والذي نفس محمد بيده، إن الشملة[(٤)] لتلتهب عليه نارًا، أخذها من المغانم يوم خيبر لم لم تصبها المقاسم**»، قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: أصبت يوم خيبر. فقال رسول الله ﷺ: «**شراك من نار أو شراكان من نار**»[(٥)].

---

(١) أخرجه المصنف في «المنتظم» (٩/ ٥٩)، وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٠/ ١٦٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٨٨).

(٣) **ورِقًا**: الورِق هو الفضة. اللسان (ورق).

(٤) **الشملة**: كساء يشتمل به. الفائق (٢/ ٢٦٢). وقال في النهاية (شمل): هو كساء يُتغطى به ويتلفّف فيه.

(٥) أخرجه البخاري (٧/ ٤٨٧ رقم ٤٢٣٤)، و(١١/ ٥٩٢ رقم ٦٧٠٧)، ومسلم (١/ ١٠٨ رقم ١١٥)، وأبو داود (٣/ ١٥٥ رقم ٢٧١١)، والنسائي (٧/ ٢٤)، ومالك في الموطأ (٢/ ٤٥٩ رقم ٢٥).

فصل

وقد يكون الغال عالمًا بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير ولا يصبر عنه، وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل، وهاهنا يتبين أثر الإيمان والعلم!

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد قالا: نا أبو الحسين بن النقور قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أنا أحمد بن عبد الله بن سيف، قال: أنا السري بن يحيى، قال: أخبرنا شعيب بن إبراهيم التيمي، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن هبيرة بن الأشعث عن أبي عبيدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط. ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا له: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به!، فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم [ليقرظوني][1]، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلًا حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس[2].

ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

وهم قسمان: عالم، وجاهل. فدخول إبليس على العالم من طريقين:

○ **الأول:** التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، قال: نا إسحاق بن إبراهيم

---

(١) في جميع النسخ (لتفرطوني)، والتصويب من المنتظم وتاريخ الطبري.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (٤/ ٢٠٨، ٢٠٩)، ورواه ابن جرير الطبري في «تاريخه» (٤/ ١٩).

الأنماطي، قال: نا أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان يقول: سمعت أبا جعفر يبكي في خطبته يوم الجمعة، فاستقبلني الغضب وحضرتني نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل، قال: فتفكرت أن أقوم إلى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقونني بأبصارهم، فيعرض لي تزين، فيأمر بي فأقبل على غير تصحيح؛ فجلستُ وسكتُّ[١].

○ **والطريق الثاني:** الغضب للنفس، وربما كان ابتداء، وربما عرض في حالة الآمر بالمعروف لأجل ما يلقى به المُنْكِر من الإهانة؛ فيصير خصومة لنفسه[٢]، كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل: لولا أني غضبان لعاقبتك[٣]! وإنما أراد أغضبتني فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب لله تعالى ولي.

فصل

فأما إذا كان الآمر بالمعروف جاهلًا فإن الشيطان يتلاعب به، وربما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه؛ لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالإجماع، وربما أنكر ما قد تأول فيه صاحبه وتبع بعض المذاهب[٤]، وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ١٤٥)، ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٠/ ٢٤٩)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٧٢).

(٢) سُئل الإمام أحمد: كيف ينبغي أن يأمر؟ قال: يأمر بالرفق والخضوع. ثم قال: إن أسمعوه ما يكره، لا يغضب، فيكون يريد ينتصر لنفسه. وقال في جواب آخر: من يريد أن يأمر وينهى، لا يريد أن ينتصر بعد ذلك. انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلّال (ص٨٥).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص٣٦٤) بنحوه مطولًا، وذكره ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٢٠٧).

(٤) قال أبو يعلى: (ما اختلف الفقهاء في حظره وإباحته، فلا مدخل له في إنكاره، إلا أن يكون مما ضعف فيه الخلاف، وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه. الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص٢٩٧). وانظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص٤٠٦ – ٤٠٧).

أهل المنكر وقذفهم[١]، فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه، وربما كشف ما قد أمره الشرع بستره، وقد سُئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طُنْبور ومُسكر، قال: إذا كان مغطى فلا تكسره[٢]. وقال في رواية أخرى: اكسره[٣]. وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه[٤] فيتيقن والأولى على أنه لا يتيقن.

وسُئل أحمد عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه؟ فقال: وما عليك! ما غاب عنك فلا تفتش[٥].

وربما رفع هذا المُنْكِر أهلَ المُنْكَر إلى من يظلمهم، وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع إليه[٦].

فصل

ومن تلبيس إبليس على المُنْكِر أنه إذا أنكر جلس في مجلس يصف ما فعل ويتباهى به، ويسب أصحاب المُنْكَر سب الحنق عليهم ويلعنهم، ولعل القوم قد

---

(١) لابد للمحتسب أن يقدّم الإنكار، ولا يعجل بالتأديب قبل الإنذار، كما ليس له أن يهتك الأستار على المخالفين إلا أن يخاف فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم، وارتكاب المحظورات، مثل وقوع قتل أو زنا مؤكد. انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص٤٠٦)، والأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص٢٩٦).

(٢) أخرجه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص١١٩ رقم ١١٣).

(٣) وهي رواية ابن منصور ومحمد بن أبي حرب عنه، كما في الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص٢٩٧).

(٤) ذكر هذا التعليل الإمام أبو يعلى الفرَّاء فيما إذا كان المنكر من وراء ثوب وهو يصفه أو يبيّنه، أما ابنه القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء فقد علَّله بأنه متى تحقق الإنسان المنكَر، وجب عليه إنكارُه سواء كان مغطى أم لم يكن كذلك. انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (٢٩٦ - ٢٩٧)، والتمام لما صحّ في الروايتين لابن أبي يعلى (٢/ ٢٥٦).

(٥) أخرجه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٩٨ رقم ٧١).

(٦) أخرجه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٨٧ رقم ٥٠).

تابوا، وربما كانوا خيرًا منه لندمهم وكبره، ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين؛ لأنه يُعْلِمُ مَنْ لا يَعْلَمُ، والستر على المسلم واجب مهما أمكن[١].

وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما تيقن ما عندهم، ويضربهم الضرب المبرح، ويكسر الأواني، وكل هذا يوجبه الجهل، فأما العالم إذا أنكر فأنت منه في أمان.

وقد كان السلف يلطفون في الإنكار، فرأى صلة بن أشيم رجلًا يكلم امرأة، فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما[٢]! وكان يمر بقوم يلعبون، فيقول: يا إخواني، ما تقولون فيمن أراد سفرًا فنام طول الليل ولعب طول النهار، متى يقطع سفره؟ فانتبه رجل منهم فقال: يا قوم إنما يعنينا بهذا! فتاب وصحبه[٣].

فصل

وأولى الناس أن يتلطف في الإنكار عليه الأمراء! فيصلح أن يقال لهم: إن الله تعالى قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته؛ فإن النعم تدوم بالشكر، ولا يحسن أن تقابل بالمعاصي.

فصل

وقد يلبس إبليس على بعض المتعبدين فيرى منكرًا ولا ينكره ويقول: إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح، فكيف آمر غيري؟!

---

(١) الستر لا يمنع الإنكار، غير أن الإنكار فيما خفي يكون في خفية، وما ذكره المصنِّف عن هذا الصِّنف هو غيبة منهم لأولئك القوم، ومن أظهر المساوئ بالغيبة فما ستر المسلم!
انظر: كشف المشكل للمصنِّف (٢/ ٤٨٤ - ٤٨٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في التبصرة (٢/ ٣٣٠) بلفظه، لكنه قال: (رأى محمد بن المنكدر) بدل (صلة بن أشيم).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على الزهد (ص٢٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣٨)، والبيهقي في الزهد الكبير (ص٢٩٣ رقم ٧٧٣)، وابن الجوزي في التبصرة (٢/ ٣٣٠) ورواه ابن المبارك في الزهد (ص٣٣٩ رقم ٩٥٤).

وهذا غلط؛ لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى، ولو كانت تلك المعصية فيه، إلا أنه متى أنكر متنزهًا عن المنكر أثر إنكاره، وإذا لم يكن متنزهًا لم يكد إنكاره يعمل، فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه؛ ليؤثر إنكاره[(١)(٢)].

قال ابن عقيل: رأينا في عصرنا أبا بكر الأقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم، كأبي بكر الخباز شيخ صالح أضر من اطلاعه في التنور، وجماعة ما فيهم من تلبَّس بأخذ صدقة ولا تدنَّس بقبول عطاء، صوام النهار قُوَّام الليل، أرباب بكاء، فإذا تبعهم مخلط ردَّه وقال: متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش.

(١) جاء في هامش الأصل في هذا الموضع تعليقه بخط مغاير، هذا نصها: (أما قول: إنه لا يؤثر إلا من متنزه، فإنه لم يكن أنزه وأتقى من الأنبياء صلوات الله عليهم، ومع هذا لم يؤثر إنكارهم على الفسقة إلا من شرح الله صدره للإسلام».

(٢) كما أنه يجب عليه أن يأمر نفسه وينهاها، كما يأمر غيره وينهاه، فإذا أخلّ بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟! فلا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلًا ما يأمر به، مجتنبًا ما ينهى عنه، وإن كان الأكمل له ذمّة وأثرًا أن يكون كامل العدالة سليمًا من أسباب الفسق. انظر شرح مسلم للنووي (٢/ ٢٢ - ٢٤)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة د. المسعود (١/ ١٨٨-١٩٨)، وفيه مبحث مهم في شرط العدالة في الاحتساب.

الباب التاسع
في ذكر تلبيس إبليس على الزهاد

قد يسمع العامِّيُّ ذمَ الدنيا في القرآن والأحاديث فيرى أن النجاة تركها، ولا يدري ما الدنيا المذمومة، فيلبس عليه إبليس: بأنك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا، فيخرج على وجهه إلى الجبال، فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم، ويصير كالوحش، ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي.

كيف لا! وقد يسمع عن فلان أنه هام على وجهه، وعن فلان أنه تعبَّد في جبل، وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه، وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي، وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها.

وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه، ومن جهله رضاه عن نفسه بما تعلم، ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرَّفه أن الدنيا لا تذم لذاتها، وكيف يذم ما منَّ الله تعالى به وما هو ضرورة في بقاء الآدمي وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلي فيه!

وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حله، أو تناوله على وجه السرف، لا على مقدار الحاجة، وتصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع.

وإن الخروج إلى الجبال المنفردة منهي عنه: فإن النبي ﷺ «نهى أن يبيت الرجل وحده»[(١)]، وإن التعرض لترك الجمعة والجماعة خسران لا ربح، والبعد عن العلم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٩١)، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٠٧)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورُوي من طريق عطاء مرسلًا بلفظه، أخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف (٩/ ٣٨ رقم ٦٤٣٩)، وصحح الألباني في صحيحته (١/ ٩٠ رقم ٦٠) إسناد أحمد، وله شاهد من حديث جابر يرفعه، أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٥/ ٣٤٨-٣٤٩ رقم ٣١٩٦).

والعلماء يقوِّي سلطانَ الجهل، وفراق الوالد أو الوالدة في مثل هذا عقوق، والعقوق من الكبائر!

وأما من يُسْمَعُ عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة، فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين، ومتى لم يحتمل حالهم وجهًا صحيحًا فهم على الخطأ من كانوا! وقد قال بعض السلف: خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثوري فردَّنا[1].

فصل

ومن تلبيسه على الزهاد: إعراضهم عن العلم شغلًا بالزهد، فقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وبيان ذلك: أن الزاهد لا يتعدَّى نفعه عتبة بابه، والعالم نفعه متعدٍّ، وكم قد رُدَّ إلى الصَّواب مِنْ مُتَعَدٍّ.

فصل

ومن تلبيسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات، فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير، ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى يبس بدنه، ويعذب نفسه بلبس الصوف، ويمنعها الماء البارد، وما هذه طريقة الرسول ﷺ، ولا طريق أصحابه وأتباعهم، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا، فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه[2]، ويأكل الدجاج[3]، ويحب

---

(١) ذكره السيوطي في الأمر بالاتباع (ص٢٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (١/ ٩٢ رقم ١٨٠)، قال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٢/ ٣٧١): إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٦٤٥ رقم ٥٥١٧، ٥٥١٨)، ومسلم (٣/ ١٢٧٠ رقم ١٦٤٩)، والترمذي (٤/ ٢٣٩ رقم ١٨٢٦، ١٨٢٧)، والنسائي (٧/ ٢٠٦)، وأحمد (٤/ ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠١)، واللفظ له

الحلوى[١]، ويستعذب له الماء[٢]، ويختار الماء البائت[٣]؛ فإن الماء الحار يؤذي المعدة ولا يروي.

وقد كان رجل يقول: أنا لا آكل الخبيص[٤]؛ لأني لا أقوم بشكره. فقال الحسن البصري: هذا رجل أحمق، وهل يقوم بشكر الماء البارد؟![٥]

وقد كان سفيان الثوري إذا سافر حمل في سفرته الحَمَلَ المشوي والفالوذج[٦].

وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته، ولابد من الرفق بها؛ ليصل به إلى المقصود، فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشهوات، فإن ذلك يؤذي البدن والدين.

ثم إن الناس يختلفون في طباعهم: فإن الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم؛ لأن مطايا أبدانهم تحتمل ذلك، وأهل السواد إذا لبسوا

للبخاري وأحمد في رواية، والباقون بنحوه مطولًا وفيه قصة.

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها: (٩/ ٥٥٧ رقم ٥٤٣١)، وأخرجه مسلم (٢/ ١١٠١ رقم ١٤٧٤) (٢١)، وأبو داود (٤/ ١٠٦ رقم ٣٧١٥)، والترمذي (٤/ ٢٤١ رقم ١٨٣١)، وابن ماجه (٢/ ١١٠١ رقم ٣٣٢٣)، وأحمد (٦/ ٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ١١٩ رقم ٣٧٣٥)، وأحمد (٦/ ١٠٠، ١٠٨)، والحاكم (٤/ ١٣٨) وصححه، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٧٤): أخرجه أبو داود بسند جيد، وصححه الحاكم.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٨٨ رقم ٥٦٢١)، وأبو داود (٤/ ١١٢ رقم ٣٧٢٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٣٥ رقم ٣٤٣٢)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٢٨(، والدارمي (٢/ ٨٤ رقم ٢١١٩).

(٤) **الخبيص**: نوع من الطعام معمول من السمن والتمر. القاموس المحيط (خبص).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٧٦)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد (ص٣٢٣) بلفظ مقارب.

(٦) ذكره السيوطي في الأمر بالاتباع (ص٢٢٨). **والفالوذج**: كلمة فارسية، فيها ثلاث لغات أخرى: الفالوذ، والفالوذج، والفالودق، وهي حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل، وهي أطيب الحلاوات عند العرب. معجم الألفاظ الفارسية المعربة (ص١٢٠-١٢١).

الصوف وأكلوا الكامخ[(١)] لم نلمهم أيضًا، ولا نقول في هؤلاء من قد حمل على نفسه؛ لأن هذه عادة القوم.

فأما إذا كان البدن مترفًا قد نشأ على التنعم فإنا ننهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه، فإن تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف، أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل، وهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه وما لا يضر؛ فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذي النفس.

وقد ظن أقوام أن الخبز القفار يكفي في قوام البدن، ولو كفى إلا أن الاقتصار عليه يؤذي من جهة أن أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل، وقد جعل في الطبع ميل إلى الملائم، فتارة يميل إلى الحامض وتارة إلى الحلو، ولذلك أسباب: مثل أن يقل عندها البلغم الذي لابد في قوامها منه فتشتاق إلى اللبن، وتكثر الصفراء فيميل إلى الحموضة، فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع في طبعها مما يصلحها فقد آذاها، إلا أن يكفها عن الشبع والشره، وما يخاف عاقبته؛ فإن ذلك يفسدها.

فأما الكف المطلق فخطأ، فافهم هذا! ولا تلتفت إلى قول الحارث المحاسبي وأبي طالب المكي فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها[(٢)]، فإن اتباع الشارع وصحابته أَوْلَى، وكان ابن عقيل يقول: ما أعجب أموركم في التدين: إما أهواء متبعة، أو رهبانية مبتدعة، بين تجرير أذيال المرح والصبا في اللعب، وبين إهمال الحقوق واطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد، فهلَّا عبادة على عقل وشرع!

---

(١) **الكامخ**: نوع من الأدم، وهو معرب. مختار الصحاح، اللسان (كمخ). وقال في «معجم الألفاظ الفارسية المعربة» (ص١٣٧): هو إدام يقال له: المري.

(٢) انظر المكاسب للحارث المحاسبي (ص٩٥) باب الورع والجوع، وقوت القلوب (٢/ ٣٢٠) الفصل التاسع والثلاثون في ترتيب الأقوات بالنقصان منها.

فصل

ومن تلبيسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب، فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياسة وطلب الجاه، فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم، ويكرمون الأغنياء دون الفقراء، ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة، وربما رد أحدهم المال لئلا يقال: قد بدا له الزهد، وهم من تردد الناس إليهم وتقبيل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا؛ لأن غاية الدنيا الرياسة.

فصل

وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفي الرياء[1]، فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلبيس، مثل: إظهار النحول، وصفار الوجه، وشعث الشعر؛ ليستدل بذلك على الزهد، وكذلك خفض الصوت لإظهار الخشوع، وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة، ومثل هذه الظواهر لا تخفى، وإنما نشير إلى خفي الرياء، وقد قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[2]، ومتى لم يرد بالعمل وجه الله تعالى لم يقبل.

قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقًا لا تتعنّ[3].

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه، وإنما يدخل عليه خفي الرياء فيلتبس الأمر، فنجاته منه صعبة.

---

(١) سمّاه خفيًّا لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، وقلّ من ينجو منه إلا بتوفيق الله تعالى إلى الإخلاص في النيات، والإرادات، والأقوال والأفعال..
انظر: حاشية كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ص٢٦٤، ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: (١/ ٩ رقم ١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥ رقم ١٩٠٧)، وأبو داود (٢/ ٦٥١ رقم ٢٢٠١)، والترمذي (٤/ ١٥٤ رقم ١٦٤٧)، والنسائي (١/ ٥٨-٥٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٣ رقم ٤٢٢٧)، وأحمد (١/ ٢٥، ٤٣)، وهو حديث مشهور.

(٣) ذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر (ص٤٩٤).

أخبرنا المحمدان، ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا أبي، قال: نا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا عبد الله بن خبيق، قال: قال بشار: قال لي يوسف بن أسباط: تَعَلَّمُوا صحة العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة[١].

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: نا أحمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، قال: نا أبو حامد أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: سمعت بقية بن الوليد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له: سمعان، دخلت عليه في صومعته فقلت له: يا سمعان، منذ كم أنت في صومعتك هذه؟ قال: منذ سبعين سنة. قلت: ما طعامك؟ قال: يا حنفي[٢]، وما دعاك إلى هذا؟ قلت: أحببت أن أعلم. قال: في كل ليلة حِمَّصَة. قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحِمَّصَةُ؟ قال: ترى الذي بحذائك؟ قلت: نعم. قال: إنهم يأتوني في كل سنة يومًا واحدًا، فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني، بذلك، فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة، فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة، فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد، فوقر في قلبي المعرفة.

فقال: أزيدك! قلت: نعم. قال: انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إليَّ رَكْوَةً فيها عشرون حِمَّصَة، فقال لي: ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك. فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى، فقالوا: يا حنفي[٣]، ما الذي أدلى إليك الشيخ؟ قلت: من قوته.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٤٤).
(٢) في باقي النسخ: (حنيفي)، وكلاهما جائز.
(٣) في باقي النسخ: (حنيفي)، وكلاهما جائز.

قالوا: وما تصنع به؟ نحن أحق به، سَاوِمْ! قلت: عشرون دينارًا، فأعطوني عشرين دينارًا، فرجعت إلى الشيخ فقال: أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفًا لأعطوك، هذا عز من لا يعبده، فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنفي، أَقْبِلْ على ربك[1]!

قال المصنف: قلت: ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذرًا عليها ويهرجوها بضدها:

○ فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل[2].

○ وكان في ذيل أيوب السختياني بعض الطول[3].

○ وكان إبراهيم بن أدهم إذا مرض ترك عنده ما يأكله الأصحاء[4].

○ وأخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: نا علي بن إسحاق، قال: حدثنا حسين بن الحسن المروزي، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: نا بكار بن عبد الله، أنه سمع وهب بن منبه يقول: كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يُزار فيعظهم، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان، وقد خفتُ أن يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم: أرانا يُحِبُّ أحدنا أن تقضى له حاجته، وإن اشترى بيعًا أن يقارب لمكان دينه، وإن لقي حُيِّيَ ووقر لمكان دينه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٩).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد (ص٣٧٤)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٤٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٢٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٧) بنحوه. وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٧٧)، والذهبي في السير (٦/ ٢٢) بنحوه أيضًا.

(٤) ذكره المؤلّف في كتابه صيد الخاطر (ص٤٩٣).

فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك، فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه، فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك، فقال: ما يصنع؟ فقال: للكلام الذي وعظت به، قال: رده! فسأل غلامه، هل عندك طعام؟ فقال: شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به، فأمر به فأتى على مِسْح فوُضِعَ بين يديه، فأخذ يأكل منه، وكان يصوم النهار لا يفطر، فوقف عليه الملك فسلم عليه، فأجابه بإجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله، فقال الملك: فأين الرجل؟ قيل له: هو هذا. قال: هذا الذي يأكل؟ قالوا: نعم. قال: فما عند هذا من خير! فأدبر، فقال الرجل: الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به[1]!

قال المصنف: وفي رواية أخرى عن وهب: أنه لما أقبل الملك قدَّم الرجل طعامه، فجعل يجمع البقول في اللقمة الكبيرة ويغمسها في الزيت، فيأكل أكلًا عنيفًا، فقال له الملك: كيف أنت يا فلان؟ فقال: كالناس. فرد الملك عنان دابته فقال: ما في هذا من خير! فقال: الحمد لله الذي أذهبه عني وهو لي لائم[2]!

○ أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم في كتابه، قال: حدثنا أحمد بن هارون، قال: حدثنا أحمد بن منصور، قال: نا محمد بن [وهب][3]، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، عن الوضين بن عطاء قال: أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد، فبلغ ذلك يزيد، فلبس فروة: فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجًا، وأخذ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٥١٤، ٥١٥، رقم ١٤٦٤)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك أيضًا في الزهد (ص٥١٥ رقم ١٤٦٥)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٨-٤٩).

(٣) في جميع النّسخ «موهب»، والتصويب من الحلية ومصادر الترجمة.

بيده رغيفًا وعرقًا، وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف، فجعل يمشي في الأسواق ويأكل، فقيل للوليد: إن يزيد قد اختلط، وأخبر بما فعل؛ فتركه[1].

فصل

ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهرًا وباطنًا، لكنه قد علم أنه لابد أن يتحدث بتركه الدنيا أصحابه أو زوجته، فيهون عليه الصبر، كما هان على الراهب الذي ذكرنا قصته مع ابن أدهم[2]، فلو أنه أراد الإخلاص في زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحي به جاه النفس ويقطع الحديث عنه، فقد كان داود بن أبي هند صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله، كان يأخذ غداءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق[3]، هكذا كان الناس!

فصل

ومن المتزهدين من قُوتُهُ الانقطاع في مسجد أو رباط أو جبل، فلذته علم الناس بانفراده، وربما احتج لانقطاعه: بأني أخاف أن أَرَى في خروجي المنكرات.

وله في ذلك مقاصد:

- **منها**: الكبر واحتقار الناس.
- **ومنها**: أنه يخاف أن يقصروا في خدمته.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٦٥)، وذكر هذه القصة المزي في «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٢٤٠)، والذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (١٠١، ١٠٢) (ص ٢٨٢) باختصار.

(٢) انظر: (ص ٣٩٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٩٣-٩٤)، ومن طريقه ابن الجوزي في المنتظم (٨/ ٢٥)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٨٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام وفيات ١٢١-١٤٠ (ص٤١٥).

○ **ومنها**: حفظ ناموسه ورياسته، وأن مخالطة الناس تذهب ذلك، وهو يريد أن تبقى طراوةُ ذكره.

○ **وربما كان مقصوده**: ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم.

فترى هذا يحب أن يزار ولا يزور، ويفرح بمجيء الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده، فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز، ويقول أصحابه: اعذروا الشيخ؛ فهذه عادته! لا كانت عادة تخالف الشريعة!

ولو احتاج هذا الشخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتري له صبر على الجوع؛ لئلا يخرج بنفسه لشراء ذلك، فيضيع جاهه بمشيه بين العوام، ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة، ولكن في باطنه حفظ الناموس، وقد كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق فيشتري حاجته ويحملها بنفسه(١)، وكان أبو بكر يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشتري(٢).

وأخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا أبو عمر بن مهدي، قال: نا الحسين بن إسماعيل المحاملي، قال: ثنا محمد بن المثنى، قال: نا إسماعيل بن سنان، قال: نا عكرمة بن عمار، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: زعم عبد الله بن حنظلة قال: مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب،

---

(١) ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تدور حول هذا المعنى الذي ذكره المؤلف، وهو خدمة النبي ﷺ لنفسه وقضاء حوائجه بنفسه الشريفة تواضعًا منه ﷺ، ومن ذلك: ما رواه البخاري في الأدب المفرد (ص١٩٠ رقم ٥٤١) والترمذي في الشمائل (ص٢٧٠ رقم ٣٢٥) وأحمد في المسند (٦/ ٢٥٦) من طريق عمرة عن عائشة أنها سُئلت ما كان عمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: «ما كان إلا بشرًا من البشر، كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»، وليس عند البخاري «ويخدم نفسه».

(٢) وكان ذلك قبل الخلافة وبعدها بستة أشهر، ثم تفرّغ بعد ذلك للخلافة. والخبر أخرجه مطولًا ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٥ – ١٨٦) ومن طريقه الطبري في تاريخه (٣/ ٤٣٢) وابن عساكر كما في مختصر تاريخ دمشق (١٣/ ١٠٢).

فقال له ناس: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله؟ قال: أردت أن أدفع الكبر وذاك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[1].

فصل

وهذا الذي ذكرته من الخروج لشراء حاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء، وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الملابس والأحوال، فلا أرى للعَالِم اليوم أن يخرج لشراء حاجته؛ لأن ذلك يكشف ثوب العلم عند الجهلة، وتعظيمه عندهم مشروع، ومراعاة قلوبهم في مثل هذا لا يخرج إلى الرياء، واستعمال ما يوجب الهيبة في القلوب لا يمنع منه، وليس كل ما كان في السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغي أن يفعل اليوم.

قال الأوزاعي: كنا نضحك ونمزح فإذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا[2].

وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم أن أصحابه كانوا يومًا يتمازحون فدق رجل الباب، فأمرهم بالسكون والسكوت، فقالوا له: تُعَلِّمُنَا الرياء؟! فقال: إني أكره أن يُعصى الله فيكم[3]. وإنما خاف قول الجهلة: انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون! وذاك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين.

---

(١) أخرجه البخاري في «تاريخ الكبير» (١/ ٢١٤)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤١٦)، وقال: صحيح. وتعقبه الذهبي بقوله: فيه سلم بن إبراهيم المصاحفي، وهو واهٍ. اهـ. وقد توبع سلم بن إبراهيم عليه، تابعه إسماعيل بن سنان، والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٠٤)، وعزاه للطبراني في «الكبير» وقال: إسناده حسن، وللمرفوع منه شاهد من حديث عبد الله بن مسعود، أخرجه مسلم (١/ ٩٣، رقم ٩١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ٩٣ مخطوط) بنحوه، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ١٢١).

(٣) أخرج أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩) بنحوه مطولًا.

فصل

ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس [اللين][(١)] من ثوبه ما فعل؛ لئلا يتوكس جاهه في الزهد، ولو خرج لم يأكل والناس يرونه، ويحفظ نفسه من التبسم فضلًا عن الضحك، ويوهمه إبليس أن هذا لإصلاح الخلق، وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس، فتراه مُطَأْطِئ الرأس، عليه آثار الحزن، فإذا خلا رأيته ليث شَرَى.

فصل

وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم، ويهربون من المكان الذي يشار إليهم فيه.

فأخبرنا المحمدان، ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أنا أبو نعيم الأصبهاني، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا عبد الله بن [خبيق][(٢)]، قال: قال يوسف بن أسباط: خرجت من [سبج][(٣)] راجلًا حتى أتيت المصيصة وجرابي على عنقي، فقام ذا من حانوته يسلم عليَّ وذا يسلم، فطرحت جرابي ودخلت المسجد أصلي ركعتين فأحدقوا بي، واطلع رجل في وجهي، فقلت في نفسي: كم بقاء قلبي على هذا! فأخذت جرابي ورجعت بعرقي وعنائي إلى سبج، فما رجع إليَّ قلبي سنتين[(٤)].

---

(١) في جميع النّسخ (ألين)، ولعلّ المثبت هو الصواب.

(٢) في الأصل و«ك»: (حبيق) بحاء مهملة، وفي «أ»: بدون نقط. والتصويب من مصادر الترجمة الحلية.

(٣) في الأصل: (شيح)، وفي «أ» (شيخ)، وفي «ت»: (سبح) بدون نقط، وفي «ك»: (سنح). ولعلّ الصواب ما أثبته كما في معجم البلدان.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٤٤)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٢٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (١٩١- ٢٠٠) (ص ٤٨٤).

فصل

ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق فلا يخيطه، ويترك إصلاح عمامته، وتسريح لحيته؛ ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير.

وهذا من أبواب الرياء، فإن كان صادقًا في إعراضه عن أغراضه، كما قيل لداود الطائي: ألا تسرح لحيتك؟ فقال: إني عنها مشغول[1]، فليعلم أنه قد سلك به غير الجادة، إذ ليست هذه طريقة الرسول ولا أصحابه، فإنه كان يسرح شعره، وينظر في المرآة، ويدهن ويتطيب[2] وهو أشغل الخلق بالآخرة، وكان أبو بكر وعمر يخضبان بالحناء والكتم[3][4] وهما أخوف الصحابة وأزهدهم، ومن ادعى رتبة تزيد على السنة السنة وأفعال الأكابر لم يُلتفت إليه!

فصل

ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم، وينفرد عن مخالطة أهله؛ فيؤذيهم بقبح

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٣٩)، والخطيب في تاريخه (٨/ ٣٥٠)، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات ١٦١-١٧٠ (ص١٨١).

(٢) ثبت كل ذلك عن النبي ﷺ: فعن عائشة ﵂ قالت: «كنت أرجّل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض». أخرجه البخاري (١٠/ ٣٦٨ رقم ٥٩٢٥)، ومسلم (١/ ٢٤٤ رقم ٢٩٧) واللفظ للبخاري. وعن جابر بن سمرة ﵁ قال: «كان رسول الله ﷺ قد شَمِط مقدّم رأسه ولحيته، وكان إذا مشط مقدّم رأسه وادّهن لم يُرَيْنَ». أخرجه ابن سعد (١/ ٤٣٣)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (ص١٨٥ رقم ٥٢٩)، والبغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (٢/ ٦٨٢ رقم ١٠٧٥). وأصله عند مسلم (٤/ ١٨٢٢ رقم ٢٣٤٤) بغير هذا اللفظ. وعن عائشة ﵂ قالت: «كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد، حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته». أخرجه البخاري (١٠/ ٣٦٦ رقم ٥٩٢٣). وأما اتخاذ المرآة والنّظر فيها فورد من طرق ضعاف، لكن يسند بعضها بعضًا. وانظر في ذلك أخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ (ص١٨٢)، والأنوار للبغوي (٢/ ٦٨٥)، ومجمع الزوائد (٥/ ١٧٤).

(٣) **الكتم**: نبت يخلط مع الوسمة (وهي نبت يختضب بورقه)، ويصبغ به الشعر أسود. النهاية (كتم)، المصباح المنير (وسم).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٢١ رقم ٢٣٤١)، وأحمد (٣/ ١٦٠).

أخلاقه وزيادة انقباضه، وينسى قول النبي ﷺ: «**إن لأهلك عليك حقًّا**»[(١)].

وقد كان رسول الله ﷺ يمزح[(٢)]، ويداعب الأطفال[(٣)] ويحدث أزواجه[(٤)]، ويسابق عائشة[(٥)]، إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة.

فهذا المتزهد الجاهل، زوجته كالأيِّـم، وولده كاليتيم؛ لانفراده عنهم وقبح أخلاقه؛ لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة، ولا يدري لقلة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة! وفي «الصحيحين»: أن النبي ﷺ قال لجابر: «**هلَّا تزوجت بكرًا تداعبها وتداعبك**»[(٦)]!

وربما غلب على هذا الزاهد التخفف، فترك مباضعة الزوجة فضيَّع فرضًا بنافلة غير ممدوحة.

---

(١) هو قطعة من حديث طويل تقدّم تخريجه (ص ٣٧١) وأورده هناك بلفظ «**إن لنفسك عليك حقًّا**». وأورده (ص ٣٧٥) بلفظ «**إنّ لزوجك عليك حقًّا**».

(٢) روى البخاري في الأدب المفرد (ص١٠٢ رقم ٢٦٥)، والترمذي (٤/ ٣١٤ رقم ١٩٩٠)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٤٠، ٣٦٠)، من حديث أبي هريرة قال: «يا رسول الله إنك تداعبنا! قال: **إني لا أقول إلا حقًّا**». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٦/ ١٩٦ رقم ٣٥٧٩)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٠) بعد أن عزاه للطبراني: إسناده حسن.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٢٦ رقم ٦١٢٩)، ومسلم (٣/ ١٦٩٢ رقم ٢١٥٠). وقد ذكر الحافظ في الفتح (١٠/ ٥٨٣) عدة ألفاظ زائدة على هذا الحديث، منها: «يضاحكه»، و«يمازحه»، و«يفاكهه» يعني لهذا الصبي، وهي كلها تدل على ملاعبة النبي ﷺ للأطفال ومداعبته لهم.

(٤) كما في حديث أم زرع. أخرجه البخاري (٩/ ٢٥٤-٢٥٥ رقم ٥١٨٩)، ومسلم (٤/ ١٨٩٦-١٩٠١ رقم ٢٤٤٨)، والترمذي (ص٢١١-٢١٨ رقم ٢٤١)، والنسائي (٥/ ٣٥٦-٣٦١، رقم ٩١٣٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٥ رقم ٢٥٧٨)، والنسائي في الكبرى، (٥/ ٣٠٣-٣٠٤ رقم ٨٩٤٢، ٨٩٤٣، ٨٩٤٤)، وابن ماجه (١/ ٦٣٦ رقم ١٩٧٩)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٩، ١٢٩، ١٨٢)، وذكره العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (٢/ ٤٤)، وصحح إسناده.

(٦) أخرجه البخاري (٩/ ١٢١ رقم ٥٠٧٩، ٥٠٨٠)، ومسلم (٢/ ١٠٨٧ رقم ١٤٦٧)، وأبو داود (٢/ ٥٤٠ رقم ٢٠٤٨)، والترمذي (٦/ ٦١)، وابن ماجه (١/ ٥٩٨ رقم ١٨٦٠)، وأحمد (٣/ ٣٠٨، ٣١٤، ٣٧٤).

فصل

ومن الزهاد من يرى عمله ويعجبه، فلو قيل له: أنت من أوتاد الأرض! ظن ذلك حقًّا، ومنهم من يتزهد لظهور كرامته، ويخيل إليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشي عليه، فإذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمَّر في باطنه، فكأنه أجير يطلب أجر عمله، ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد ملوك، والمملوك لا يمنُّ بعمله، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه.

وقد كان ينبغي أن يشغله خوفُهُ على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه، كما كانت رابعة تقول: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي: أستغفر الله[1]. وقيل لها: هل عملت عملًا ترين أنه يقبل منك؟ فقالت: إن كان فمخافتي أن يرد عليَّ[2].

فصل

ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد الذي دخل عليهم فيه من قلة العلم: أنهم يعملون بواقعهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه.

قال ابن عقيل: كان أبو إسحاق الخراز صالحًا، وهو أول من لقنني كتاب الله، وكان من عادته الإمساك عن الكلام في رمضان، فكان يخاطب بآي القرآن فيما يعرض له من الحوائج، فيقول في إذنه: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾[المائدة: ٢٣]، ويقول لابنه في عشية الصوم: ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾[البقرة: ٦١]، آمرًا له أن يشتري البقل، فقلت له: هذا تعتقده عبادة وهو معصية، فغضب علي، فقلت: إن هذا القرآن العزيز نزل في بيان أحكام شرعية ولا يستعمل في أغراض دنيوية، وما هذا إلا بمثابة صرك

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٥٠)، والمنتظم (٧/ ٣٢٨)، والذهبي في تاريخ الإسلام حوادث (١٧١-١٨٠) (ص١١٨).

(٢) أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٥٠) بلفظه.

السدر[١] والأُشْنان[٢] في ورق المصحف أو توسدك له. فهجرني ولم يصغ إلى الحجة.

قال المصنف: وقد يسمع الزاهد القليل العلم من العوام شيئًا فيفتي به.

حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه، أن رجلًا استفتاه فقال: ما تقول في امرأة طلقت ثلاثًا فولدت ذكرًا، هل تحل لزوجها. قال: فقلت: لا. وكان عندي الشريف الدحالي، وكان مشهورًا بالزهد عظيم القدر بين العوام. فقال لي: بلى تحل. فقلت: ما قال بهذا أحد. فقال: والله لقد أفتيت بهذا من هاهنا إلى البصرة[٣].

قال المصنف: قلت: فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف إليه حفظ الجاه! خوفًا أن يُرَى الزاهد بعين الجهل، وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتي؛ لأنه لا يجمع شروط الفتوى، فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم في الفتاوى بالواقعات!

أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الكعبي، قال: حدثنا إسماعيل بن [قتيبة][٤]، قال: دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة، فقال لي أحمد: من هذا الخراساني الذي قدم؟ قلت: من زهده كذا وكذا، ومن ورعه كذا وكذا. فقال: لا ينبغي لمن يدعي ما يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا[٥].

---

(١) صرك السدر: أي جمعك له. والسدر: جمع سدرة، وهي شجرة النبق. مختار الصحاح، اللسان، المصباح المنير (صرر)، (سدر).

(٢) **الأُشْنان**: شجر ينبت في الأرض الرملية، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي. المعجم الوسيط (ص١٩).

(٣) ذكر هذه القصّة المؤلّف في كتابه صيد الخاطر (ص١٧٩).

(٤) في جميع النسخ: (شيبة)، وهو تحريف، والتصويب من المنتظم وكتب الرجال.

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ١١٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٢١٠).

فصل

ومن تلبيسه على الزهاد: احتقارهم العلماء وذمهم إياهم، فهم يقولون: المقصود العمل، ولا يفهمون أن العلم عمل القلوب، ولو عرفوا مرتبة العلماء في حفظ الشريعة، وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء، والعمي عند البصراء، والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم، وسليم هؤلاء لا يمشي وحده!

وفي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: **«والله، لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمر النَّعم»**[(١)].

فصل

ومما يعيبون به العلماء: تفسح العلماء في بعض المباحات التي يتقوون بها على دراسة العلم، ولذلك يعيبون جمع المال، ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه ما لا يذم فاعله[(٢)]، وغاية الأمر أن غيره أولى منه، أفيحسن بمن صلى الليل أن يعيب من أدَّى الفرض ونام!

ولقد أخبرنا عمر بن ظفر، قال: نا جعفر بن أحمد السراج، قال: نا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: نا أبو الحسن بن جهضم، قال: نا إبراهيم بن أبي حصين، قال: نا عبد الله بن غنام النخعي، قال: نا الحسين بن محمد بن جعفر الحلواني، قال: حدثني أبو عبد الله الخواص - وكان من أعظم أصحاب حاتم الأصم - قال: دخلنا مع حاتم البَلْخِي إلى الري ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلًا يريد الحج، عليهم الصوف

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها: (٦/ ١١١ رقم ٣٠٠٩)، ومسلم(٤/ ١٨٧٢ رقم ٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٣٣٣).

(٢) ولا يمدح، كما لا يمدح تاركه ولا يذم؛ إذ هو: (ما ورد الإذن من الله تعالى بفعله وتركه، غير مقرون بذم فاعله أو مدحه، ولا بذم تاركه أو مدحه). كما قال الغزالي في المستصفى (١/ ١٢٩).

والزرمانقات[١]، ليس فيهم من معه جراب ولا طعام.

فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيهًا لنا هو عليل؟ فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كثير، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أجيء معك، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري، فقال له: مر بنا يا أبا عبد الرحمن. فجاءوا إلى باب داره فإذا البواب غائب، فبقي حاتم متفكرًا يقول: يا رب، دار عالم على هذه الحال، ثم أذن لهم فدخلوا، وإذا بالدار قوراء[٢]، وآلة حسنة، وبزة[٣] وفرش وستور.

فبقي حاتم متفكرًا ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطيء وهو عليه راقد، وعند رأسه مذبة[٤] وناس وقوف، فقعد الرازي وبقي حاتم قائمًا فأومأ إليه محمد بن مقاتل بيده اجلس، فقال حاتم: لا أجلس. فقال له ابن مقاتل: فلك حاجة؟ قال: نعم. قال: وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: فاسألني!

قال حاتم: قم فاستو جالسًا حتى أسألك، فأمر غلمانه فأسندوه، فقال حاتم: علمك هذا من أين جئت به؟ فقال: حدثني الثقات عن الثقات من الأئمة. قال: عمن أخذوه؟ قال: عن التابعين، قال: والتابعون عمن أخذوه؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه؟ قال: عن رسول الله

---

(١) **الزرمانقات**: جمع زرمانقة، قال أبو عبيد في الغريب (٤/١٠٨): هي جبة صوف، ولا أحسبها عربية، أراها عبرانية. وانظر: معجم الألفاظ الفارسية المعربة (ص٧٨).

(٢) **قوراء**: واسعة. اللسان، القاموس المحيط (قور).

(٣) **بزة**: البز الثياب. اللسان، القاموس المحيط (بزز).

(٤) **مذبة**: ما يُذب به الذباب. مختار الصحاح، القاموس المحيط (ذبب).

ﷺ. قال: ورسول الله ﷺ من أين جاء به؟ قال: عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه عزَّ اسمُهُ. قال حاتم: ففيم أدَّاه جبريل عن الله ﷻ إلى النبي ﷺ، وأدَّاه النبي ﷺ إلى أصحابه، وأدَّاه أصحابه إلى تابعيهم، وأدَّاه التابعون إلى الأئمة، وأدَّاه الأئمة إلى الثقات، وأدَّاه الثقات إليك؟ هل سمعت في هذا العلم: من كانت داره في الدنيا أحسن وفراشه ألين ورتبته أكبر كان له المنزلة عند الله ﷻ أكثر؟ قال: لا. قال: وكيف سمعت؟ قال: سمعت من زهد في الدنيا، ورغب في الآخرة، وأحب المساكين، وقدَّم لآخرته كان عند الله ﷻ له المنزلة أكثر، وإليه أقرب.

قال حاتم: فأنت بمن اقتديت؟ بالنبي ﷺ وبأصحابه وبالتابعين من بعدهم، وبالصالحين على أثرهم، أو بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر؟ يا علماء السوء! إن الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول: هذا العَالِم على هذه الحالة ألا أكون أنا.

قال: فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضًا، وبلغ أهل الري ما جرى بين حاتم وابن مقاتل، فقالوا لحاتم: إن محمد بن عبيد الطنافسي بقزوين أكثر شيئًا من هذا!

فصار إليه فدخل وعنده الخلق يحدثهم، فقال له: رحمك الله، أنا رجل أعجمي جئتك لتعلمني مبتدأ ديني، ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة؟ فقال: نعم وكرامة! يا غلام، ائت بإناء فيه ماء، فجاءه بإناء فيه ماء، فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثًا ثم قال له: هكذا فتوضأ. قال حاتم: مكانك - رحمك الله - حتى أتوضأ بين يديك؛ ليكون آكد لما أريد، فقام الطنافسي وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثًا، حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعًا، فقال الطنافسي: أسرفت، قال: حاتم: فيماذا أسرفت؟ قال: غسلت ذراعك أربعًا.

قال حاتم: يا سبحان الله! أنا في كف ماء أسرفت، وأنت في جميع هذا الذي أراه كله لم تسرف! فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك، فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يومًا.

وخرج حاتم إلى الحجاز، فلما صار إلى المدينة أحب أن يخاصم علماء المدينة، فلما دخل المدينة قال: يا قوم أي مدينة هذه؟ قالوا: مدينة الرسول ﷺ! قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه فأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان لرسول الله ﷺ قصر، إنما كان له بيت لاط[١].

قال: فأين قصور أهله وقصور أصحابه وأزواجه؟ قالوا: ما كان لهم قصور إنما كانت لهم بيوت لاطئة. قال حاتم: يا قوم، فهذه مدينة فرعون! قال: فلببوه وذهبوا به إلى الوالي، فقالوا: هذا العجمي يقول: هذه مدينة فرعون. فقال الوالي: لم قلت ذلك؟

قال حاتم: لا تعجل عليَّ أيها الأمير، أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة، فسألت أي مدينة هي؟ قالوا: مدينة الرسول ﷺ، فقلت: وأين قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه؟ قالوا: إنما كانت لهم بيوت لاطئة، وسمعت الله ﷻ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، فأنتم بمن تأسيتم بمحمد عليه السلام أو بفرعون[٢]؟!

قال المصنف: قلت: الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذي يقنع بعلمه فيرى الفضل فرضًا! فإن الذي أنكره مباح، والمباح مأذون فيه، الشرع لا يأذن في شيء ثم يعاتب عليه، فما أقبح الجهل!

---

(١) **بيت لاط**: أي من طين، وهو ملتصق بالأرض. انظر: القاموس المحيط، تاج العروس (لوط).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٨٠- ٨٣)، وذكره الذهبي في «السير» (١١/ ٤٨٦) مختصر جدًّا.

ولو أنه قال لهم: لو قصرتم مما أنتم فيه ليقتدي الناس بكم كان أقرب حالة، ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف، والزبير، وابن مسعود، وفلانًا وفلانًا من الصحابة خلَّفوا مالًا[١] عظيمًا أتراه ماذا كان يقول؟ وقد اشترى تميم الداري حُلَّة بألف درهم كان يقوم فيها بالليل[٢]، ففرض الزاهد التعلم من العلماء، فإذا لم يتعلم فليسكت!

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، قال: نا أبو محمد بن حيان، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الجراح الجوزجاني، قال: نا عبد السلام بن مطهَّر، قال: نا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «إن الشيطان ليلعب بالقرّاء كما يلعب الصبيان بالجوز»[٣].

أخبرنا محمد، قال: أخبرنا حمد، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: أخبرت عن عبد الله بن أبي بكر المقدمي، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت حبيبًا الفارسي يقول: «والله إن الشيطان ليلعب بالقرّاء كما يلعب الصبيان بالجوز»[٤].

قال المصنف: قلت: المراد بالقرّاء: الزهاد، وهذا اسم قديم لهم معروف[٥].

---

(١) سيأتي تخريج ذلك (ص ٤٥١) في نقد مسالك الصوفية في تجردهم من الأموال.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٤٩ رقم ١٢٤٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٨): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (ص٢٧٦ رقم ٢١٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٢- ١٥٣)، ومن طريق أبي نعيم أخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٩٢)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ١٩٢).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كان السَّلف يسمُّون أهل الدين والعلم: «القرّاء»، فيدخل فيهم العلماء والنّساك، ثم حدث بعد ذلك اسم «الصوفية» و«الفقراء») مجموع الفتاوى (١١/ ١٩٥). كما سُمّوا ←

الباب العاشر

في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية

الصوفية من جملة الزهاد[1]، وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد، إلا أن

بأسماء غير هذا، منها: «الجوعية»، سماهم بها أهل الشام، وسموا بالبصرة «الفقرية» و«الفكرية»، وبخراسان سُمّوا «المغاربة» انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٨). غير أن ما ذكره حبيب الفارسي، وقبله مالك بن دينار لا ينطبق – من غير شك – على ما قصده السَّلف من لقب «القراء»؛ لذلك فالعبرة هي في التزام الشرع، ولا أهمية كبيرة بعد ذلك للأسماء. انظر: ابن تيمية والتصوف د. مصطفى حلمي (ص٢٤).

(١) اختلف الباحثون في أصل التصوف ومصادره، على آراء متعددة، ما بين قائلٍ بأن التصوف إسلامي نشأ عن الزهد والمبادئ الإسلامية، ثم اختلط بمبادئ ومذاهب أجنبية، وقائلٍ عكس ذلك تمامًا: أي أن أصل التصوف أجنبي صِرف، إما صيني، أو فارسي، أو هندي، أو يهودي، أو نصراني، أو جاهلي.
والمصنف هنا يصرح بإسلامية المصدر – لا بحقيقته التي آل واستقر عليها – وأنه الزهد، لكنه مع مرور الزمن، تأثر واختلط بأفكار ومبادئ أجنبية، كما سيتبين ذلك من خلال عرض المصنف رحمه الله لمراحل التطور الصوفي إلى نهاية القرن السادس الهجري.
لكن واقع التصوف منذ نشأته في البيئة الإسلامية، ووصولًا إلى مراحله المتأخرة، ليس تيارًا واحدًا، بل هو تيارات متعددة، وطرائق كثيرة متشعبة، منها: تيار أوائل الصوفية الذين كانوا أقرب إلى الشرع منهم إلى البدع التي آل إليها التصوف، ومنها: تيار ديدنه الابتداع والزيادة على الشرع، في العبادات والأقوال والأفعال دون العقائد، ومنها: تيار – هو أشنع تيارات المتصوفة – اعتنق عقائد مخالفة للكتاب والسنة، كالقول بالحلول ووحدة الوجود، وكاعتناق الأفكار الفلسفية الباطنية.
فالخلاصة التي نخرج بها في هذا، هي: أن للتصوف مصادر متنوعة أثرت فيه، فأنتجت تيارات وطرقًا عديدة، يبرز في كل منها المصدر الذي أثر فيه بقوة.
ومن الجدير بالإشارة هنا أن التصوف الفلسفي الباطني هو الذي طغى على أغلب الطرق الصوفية، بما يحمله من غلو في الأشخاص وخصائصهم التي رفعوهم بها إلى مقام تدبير العالم والتصرف فيه.
انظر: تاريخ التصوف الإسلامي د. بدوي (ص٣١-٤٤)، التصوف في الإسلام د. عمر فروخ (ص٢٩-٤٨)، في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكولسون (ص٦٩-٧٦)، تحقيق ما للهند للبيروني (ص٢٤)، موقف ابن الجوزي من الصوفية (رسالة ماجستير) المقوشي (ص١٥٧-١٩٠)، التصوف: المنشأ والمصادر إحسان إلهي (ص٤٩ وما بعدها) التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة (رسالة دكتوراه) التركي (ص٥٨ وما بعدها).

الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وترسموا بسمات، فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر.

والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخَّص المنتمون إليها في السماع[1] والرقص[2]، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب، فلابد من كشف تلبيس إبليس في طريقة القوم، ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفرعها وشرح أمورها، والله الموفق.

---

(١) بل جعلوا السماع – الذي هو سماع الأشعار الرقيقة المصاحَبة بالأنغام والموسيقى والتصفيق – وما يتبعه من رقص ووجدٍ، من المقامات التي لا يدركها إلا العارفون بزعمهم، كما اعتبروه من أرقى أنواع الذكر والعبادة عندهم! وقد بوّبوا له في أهم كتبهم: كاللمع، والرسالة، وكشف المحجوب، والصفوة؛ وفصّلوا أحكامه، ومنها: أنه واجبٌ في حق العارفين، ومندوب في حق المريدين، ومباح في حق المحبّين، وقيل غير هذا من أحكامه، كما استدلوا له – إمعانًا في الضلال والتضليل – بالنصوص الشرعية تعسُّفًا وقولًا على الله ورسوله بغير علم! والمصنّف رحمه الله عقد فصولًا في موضوع السَّماع عند الصوفيّة، وعرض لحكمه بتفصيل قيّم.
انظر: اللمع للطوسي (ص٣٣٨ وما بعدها)، كشف المحجوب للهجويري (ط. أبو العزايم) (ص٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩)، الرسالة للقشيري (ص٥٤٨ وما بعدها)، السَّماع للمقدسي (ص٣٣ وما بعدها)، وصفوة التصوف له (ص٢٩٨ – ٣٣٠) وفيه جرأة على الشريعة لا توصف، بوارق الإلماع للطوسي (ص٤ – ٢٨)، أدب الملوك للسيرواني الصغير (ص٦٥ – ٦٨)، الكشف للهجويري (ط. أبو العزايم) (ص٤٨٦) السّماع عن صوفية الإسلام د. فاطمة فؤاد، ومجموع الفتاوى (١١/ ٥٧٠) وفيها النقل عن السَّماع للسُّلمي، وأنه كان يقول بإباحته أو بوجوبه، الكلام على مسألة السماع لابن القيم، وهو من أجمع ما ألّف في بيان حكم السَّماع، وقد نقل فيه (ص١٢٨ – ١٣٤) إنكار مشايخ صوفيين تابوا من السماع توبتهم من الكبائر؛ لـمّا عرفوا آفاته، وسوء تأثيره في القلوب، وممن ردّ عليهم أيضًا: الطرطوشي في تحريم الغناء والسّماع، وابن قدامة في ذمّ ما عليه مدّعو التصوف من الغناء والرقص، وأبو العباس القرطبي في كشف القناع عن الوجد والسّماع، وابن رجب الحنبلي في نزهة الأسماع في مسألة السّماع.

(٢) وصورته: أن (يأخذ بعضهم بيد بعض، ويتحلقون حلقة ويدورون محرّكين أيديهم إلى وراء أو قدام، ورؤوسهم بالتصعيد والتسفيل، والتلوي كالهيئة التي يفعلها بعض النصارى في لعب لهم، يُسمى بركض الديك) الرّهصُ والوقصُ لمستحلّ الرقص للحلبي (ص٤٧ – ٤٩)، وقد نقل فيه تحريم الرقص، بل تكفير من استحلّه. انظر (٧٥، ٨٥).

فصل

كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإسلام والإيمان، فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة انفردوا بها، وأخلاقًا تخلقوا بها، ورأوا أن أول من انفرد بخدمة الله سبحانه عند بيته الحرام رجل كان يقال له: صوفة، واسمه الغوث بن مُرٍّ، فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه، فتسموا بالصوفية[(١)].

أنبأنا محمد بن ناصر، عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال، قال: قال أبو محمد عبد الغني الحافظ، سألت وليد بن القاسم: إلى أي شيء نسب الصوفي؟ فقال: كان قوم في الجاهلية يقال لهم: صوفة، انقطعوا إلى الله ﷻ وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم فهم الصوفية. قال عبد الغني: هؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مُرّ أخي تميم بن مُرّ[(٢)].

وأنبأنا [الحسين][(٣)] بن محمد بن عبد الوهاب النحوي، قال: نا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: كانت الإجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مُرّ بن أد بن طابخة، ثم كانت في ولده وكان يقال لهم: صوفة. فكان إذا حانت الإجازة قالت العرب: أجيزي صوفة[(٤)].

---

(١) انظر: الحلية لأبي نُعيم (١/ ١٧)، صفوة التصوف للمقدسي (ص١٥٤ – ١٥٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٦٩)، (١١/ ٦)، الموفي للأدفوي (ص٤١ – ٤٢).

(٢) أخرجه محمد بن طاهر المقدسي في «صفوة التصوف» (ص ١٥٤- ١٥٦).

(٣) في الأصل و«ك»: (الحسن)، وهو تصحيف، وفي «أ»: (أبا الحسن) وهو خطأ، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٤) لم أقف عليه من هذا الطريق، لكن خبر الإجازة من عرفة كما أورده المؤلف عن الزبير بن بكار، رواه ابن ☜

قال الزبير: قال أبو عبيدة: وصوفة وصوفان يقال لكل من ولي من البيت شيئًا من غير أهلها، أو قام بشيء من أمر المناسك، يقال لهم: صوفة وصوفان(١).

قال الزبير: وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، قال: إنما سُمِّي الغوث بن مرّ: صوفة؛ لأنه كان لا يعيش لأمه ولد، فنذرت: لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيطًا للكعبة، ففعلت، فقيل له: صوفة، ولولده من بعده(٢).

قال الزبير: وحدثني إبراهيم بن المنذر، عن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني عقال بن شبة، قال: قالت أم تميم بن مرّ وولدت نسوة فقالت: لله عليَّ إن ولدت غلامًا لأُعَبِّدَنَّهُ للبيت، فولدت الغوث بن مرّ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى، فقالت: ما صار ابني إلا صوفة، فسُمِّي صوفة، وكان الحج وإجازة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة.

فلم تزل الإجازة إلى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان، فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قريش(٣).

فصل

○ وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصُّفَّة(٤)، وإنما ذهبوا إلى

إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (١/ ١٦٦، ١٦٧)، وذكره أيضًا الأزرقي في «أخبار مكة».

(١) ذكره الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ٢٠٢)، والسهيلي في الروض الأنف (١/ ١٤٣)، والفاسي في شفاء الغرام (٢/ ٣٦)، كلّهم عن الزبير بن بكار في كتابه «أنساب قريش».

(٢) أخرجه الزبير بن بكار في كتابه «أنساب قريش»، وعنه أورده الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٠٣)، والسهيلي في «الروض الأنف» (١/ ١٤٤)، والفاسي في «شفاء الغرام» (٢/ ٣٦).

(٣) أخرجه الزبير بن بكار في كتابه «أنساب قريش»، ولم أقف عليه في القسم المطبوع منه، وعنه أورده الفاكهي في «أخبار مكة» (٥/ ٢٠٠، ٢٠٣)، والسهيلي في «الروض الأنف» (١/ ١٤٤)، والفاسي في «شفاء الغرام» (٢/ ٣٦).

(٤) انظر: اللمع للطوسي (ص٤٧)، التعرف للكلاباذي (ص١٠)، كشف المحجوب للهجويري ☜

هذا لأنهم رأوا أهل الصُّفَّة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله سبحانه وملازمة الفقر، فإن أهل الصفة كانوا فقراء يَقْدِمون على رسول الله ﷺ وما لهم أهل ولا مال، فبنيت لهم صُفَّة[1] في مسجد رسول الله ﷺ، وقيل: أهل الصُّفَّة.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد، قالا: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي، قال: نا أبو بكر بن [بخيت][2]، قال: حدثنا أبو جعفر بن ذريح، قال: نا هناد، قال: نا يونس بن بكير، قال: حدثني سنان بن سيسن[3] الحنفي، قال: حدثنا الحسن، قال: بنيت صُفَّة لضعفاء المسلمين، فجعل المسلمون يُوغلُون إليها ما استطاعوا من خير، فكان رسول الله يأتيهم فيقول: «**السلام عليكم يا أهل الصفة**»، فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله. فيقول: «**كيف أصبحتم**»؟ فيقولون: بخير يا رسول الله[4].

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثت عن أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد، قال: نا محمد بن عبد الله العامري، قال: حدثنا بكر بن عبد الوهاب، قال: نا محمد بن عمر الأسلمي،

(ص٢٢٧)، الرسالة للقشيري (ص٤٦٤)، عوارف المعارف للسهروردي (ص٦٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٦)، الموفي للأدفوي (ص٣٩)، قواعد التصوّف لابن زروق (ص٦).

(١) **الصُّفَّة**: هي المكان الذي خصّصه النبي ﷺ في مؤخِّر مسجده الشريف، كان يأوي إليه من فقراء المسلمين من ليس له أهل، ولا مكان يأوي إليه. انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٣٤)، رجحان الكفّة في بيان أخبار أهل الصفة للسخاوي (ص١٣٦).

(٢) في الأصل: (لحث)،وفي «أ»: (بحبب) غير منقوطة، وفي «ك»: (نجيب)، وكلهن تصحيف، والمثبت هو الصواب كما في مصادر الترجمة.

(٣) في الزهد لهنّاد بن السَّري (٢/ ٣٩١): سنان بن سفيان الحنفي.

(٤) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٣٩١، رقم ٧٦١)، ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٠).

قال: حدثنا موسى بن عبيدة، عن نعيم المجمر عن أبيه، عن أبي ذر قال: كنت من أهل الصُّفَّة، وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ، فيأمر كل رجل فينصرف برجل، فيبقى من بقي من أهل الصُّفَّة عشرة أو أقل، فيؤتى النبي ﷺ بعشائه فنتعشى معه، فإذا فرغنا قال رسول الله: «**ناموا في المسجد**»(١).

قال المصنف: قلت: وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا(٢).

ونسبة الصوفي إلى أهل الصُّفَّة غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفِّيّ(٣).

○ وقد ذهب قوم إلى أنها من الصوفانة(٤)، وهي بقلة زغباء(٥) قصيرة، فنسبوا إليها لاجترائهم بنبات الصحراء، وهذا غلط أيضًا؛ لأنهم لو نسب إليها لقيل: صوفاني.

○ وقال آخرون: هو منسوب إلى صوفة القفا(٦)، وهي الشعرات النابتة في مآخيره، كأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرف عن الخلق.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٥٢، ٣٥٣)، دون التصريح بالتحديث عن شيخه، وقال فيه: عن نعيم المجمر عن أبيه. وفي إسناده الواقدي، وهو متروك مع سعة علمه.

(٢) أهل الصفة لم يكونوا يجتمعون في وقت واحد، بل منهم من يتأهّل وينتقل إلى مكان آخر يتيسّر له، ويجيء ناس بعد ناس، تارة يكثرون، وتارة يقلّون، كما أنهم كانوا يكتسبون عند إمكان الاكتساب، الذي لا يصدّهم عما هو أوجب أو أحبّ إلى الله من الكسب، وأمّا إذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدّمون ما هو أقرب إلى الله ورسوله.
انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٣٦، ٣٨)، رجحان الكفّة للسخاوي (ص٩٤).

(٣) وممن رفض هذه النسبة كذلك: البيروني في «تحقيق ما للهند» (ص٢٤ – ٢٥)، والقشيري في «الرسالة» (ص٤٦٤)، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٦٩)، (١١/ ٦)، والسهروردي في «العوارف» (ص٦٥)، فهو يضعّفه من حيث الاشتقاق الصرفي، ويصحّحه من حيث المعنى!

(٤) انظر: الحلية لأبي نعيم (١/ ١٧)، الموفي للأدفوي (ص٤١).

(٥) انظر: القاموس المحيط (صوف).

(٦) انظر: الحلية لأبي نعيم (١/ ١٧)، قواعد التصوف لابن زرّوق (ص٦).

○ وقال آخرون: بل هو منسوب إلى الصوف[١]، وهذا محتمل[٢].

والصحيح الأول[٣].

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، **حاصلها**: أن التصوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبع بردِّه عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق، إلى غير ذلك من الأخلاق الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت نصر بن أبي نصر الطوسي يقول: سمعت

---

(١) انظر: اللمع للطوسي (ص٤٠ – ٤١)، التعرّف للكلاباذي (ص١٠)، الحلية لأبي نعيم (١/ ١٧)، الرسالة للقشيري (ص٤٦٤)، كشف المحجوب للهجويري (ص٢٢٧)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٦٩)، (١١/ ٦)، الموفي للأدفوي (ص٤٠)، المقدمة لابن خلدون (٣/ ١٠٩٧).

(٢) بل هذا الذي قال إنه محتمل، هو ما صحّحه أغلب من تكلّم في اشتقاق لفظ «التصوف»، من القدماء والمحدثين؛ لأنه صحيح من ناحيتين: الأولى الاشتقاق اللغوي، الثانية: ظاهر حال الصوفية، وهو لُبْسهم الصوف في أكثر أحوالهم. وانظر: المصادر متقدمة الذكر في توثيق النسبة إلى الصوف.

(٣) فَهِمَتْ محققة «صفة التصوف» غادة المقدّم، من ترجيح ابن الجوزي لهذا الرأي: أنه يرمي إلى إبعاد التصوف عن الإسلام؛ لأنه أسلوب اتُّبع في الجاهلية. وابن الجوزي ليس بدعًا في هذا، وهو موافق للمقدسي في نسبة الصوفية، وقد اشترك معه في سند الرواية التي ساقها لإثبات هذه النسبة، كما قد سبقه البيروني (المتوفى سنة ٤٤٠هـ) وأرجع أصل التصوف إلى الفلسفة اليونانية، لأن «السوفية» هم الحكماء عند اليونانيين. انظر: تحقيق ما للهند للبيروني (ص٢٤)، صفوة التصوف للمقدسي (ص٨٠ – ٨١).

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية على من نسب الصوفية لقبيلة جاهلية مع الموافقة للنسبة من جهة اللفظ، وذلك بناءً على عدة حيثيات، منها:

١ – أن هذه القبيلة غير مشهورة، ولا معروفة عند أكثر النُّساك.

٢– لو نُسب النُّساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى.

٣– أن غالب من تكلم باسم «الصوفي» لا يرضى أن يكون مُضافًا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام. انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦).

أبا بكر بن المثاقف يقول: سألت الجنيد بن محمد عن التصوف؟ فقال: الخروج عن كل خلق رديء، والدخول في كل خلق سَنِيٍّ[١].

أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، قال: نا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا عبد الواحد بن بكر، قال: سمعت محمد بن خفيف يقول: قال رويم: «كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطَالَبَ الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق»[٢].

قال المصنف: قلت: وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، وكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن!

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أن المقصود ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢)، وأخرجه السبكي في «طبقات الشافعية» (٢/ ٢٧١).

(٢) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص ١٨٢).

وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف، وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة.

ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعًا ويتكلمون بواقعاتهم!

ويتفق بُعْدُهُم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم، حتى سموه العلم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر.

ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة؛ فادعى عشق الحق والهيمان فيه، فكأنهم تخايلوا شخصًا مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة. ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم!

فمنهم من قال بالحلول(١) ومنهم من قال بالاتحاد(٢).

وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننًا، وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم «كتاب السنن»(٣)، وجمع لهم حقائق التفسير(٤)،

(١) **الحلول**: هو اعتقاد غلاة الصوفية أن الله تعالى اصطفى أجسامًا حلّ فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية، والحلول عندهم أقسام، منه: النوراني، ومنه: ما هو على الدوام، ومنه: ما هو في وقت دون وقت، ومنه: حلول في القلوب. انظر: المعجم الصوفي د. الحفني (ص٨١ – ٨٢).

(٢) **الاتحاد**: هو تصيير ذاتيْن ذاتًا واحدة، ومعناه: شهود الوجود الحق المطلق الذي الكلّ به متّحد، من حيث كون كل شيء موجودًا به، معدومًا بنفسه، لا من حيث أن له وجودًا خاصًّا اتحد به، فإنه محال!
انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشاني (ص١٣)، معجم الكلمات الصوفية للنقشبندي (ص١١)، الغناء د. عبد الباري داود (ص٥) وما بعدها. لكن الواقع الذي ظهر على أرباب هذا القول، هو القول بذلك المحال، وهو قول ابن عربي. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٢ – ١٧٥).

(٣) ذكره المقدسي في «صفوة التّصوف» (ص٥٠٥)، والسيوطي في «الجامع الصغير» (١/ ٣٥)، وحاجي خليفة في «كشف الظّنون» (٣/ ٦٢٦)، وهو مفقود.

(٤) انظر: التلبيس (ص٣٣١)، فتاوى ابن الصلاح (ص٢٩)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤٢)، (١٨/ ٧٢)، السير (١٧/ ٢٥٢)، التفسير والمفسّرون (٢/ ٣٨٤).

فذكر عنهم فيه العجب من تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم، فالعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن!

وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة، ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئًا يسيرًا، فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيِّع حدَّث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه، وكان يضع للصوفية الأحاديث[1].

قال المصنف: قلت: وصنف لهم أبو نصر السراج كتابًا سماه: «لمع الصوفية» ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله.

وصنف لهم أبو طالب المكي: «قوت القلوب» فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند إلى أصل من صلوات الأيام والليالي[2]، وغير ذلك من الموضوع، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد.

وردد فيه قوله: قال بعض المكاشفين[3]. وهذا كلام فارغ، وذكر فيه عن بعض الصوفية أن الله تعالى يتجلى في الدنيا لأوليائه[4].

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٢/ ٢٤٨) ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٥١).

(٢) من الأحاديث التي ذكرها في فضائل صلوات الأيام والليالي: صلاة يوم الأحد، قال عنه ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات» (٢/ ٤٢٤): (وهذا موضوع، وفيه جماعة مجاهيل).

(٣) لعلّ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ اطّلع على نسخة من «قوت القلوب» غير التي هي متداولة الآن بين أيدينا؛ لأني ما وجدت أبا طالب كرّر هذه العبارة في كتابه، بل الذي وجدتُه مكرّرًا بصفة كبيرة هو قوله: (قال بعض العارفين)، وانظر على سبيل المثال: (١/ ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٩٤، ٣٣١، ٣٤١، ٣٥١، ٣٩١، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٥٢٣، ٥٣٤). (٢/ ٨، ٢٠، ٤٧، ١١٥، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٥٧، ٢٦٧).

(٤) لم أهتد إلى هذا النقل في مظانّه من كتاب «قوت القلوب»، لكن قد يكون المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ نقله بالمعنى، كما ←

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: قال لي أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف: دخل أبو طالب المكي البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم فانتمى إلى مقالته، وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه، فحفظ عنه أنه قال: ليس على الخلق أضر من الخالق. فبدَّعه الناس وهجروه، وامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك[(١)].

قال الخطيب[(٢)]: وصنف أبو طالب المكي كتابًا سماه: «قوت القلوب» على لسان الصوفية، وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة الصفات!

قال المصنف: قلت: وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب «الحلية»، وذكر في حدود التصوف أشياء قبيحة ولم يستحي أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا وسادات الصحابة، وشريحًا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل[(٣)].

وكذلك ذكر السلمي في «طبقات الصوفية»: الفُضَيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفًا الكرخي، وجعلهم من الصوفية، بأن أشار إلى أنهم من الزهاد[(٤)]، والتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره.

جرت به عادته في كثير من نقوله، ولذلك انظر في هذا المعنى: (١/ ١٧٥ - ١٧٦، ٢٣٦، ٢٤٤ - ٢٤٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣١٠)، (٢/ ١١١). وقد جاءت العبارة مقاربة عند ابن شاهاور الرازي في كتابه «منارات السائرين ومقامات الطائرين (ص١٨٨). وهذا معتقد أكثر الصوفية. انظر: التبصير في معالم الدين للطبري (ص٢١٧ - ٢١٨)، مجموع الفتاوى (٥/ ٧٩)، تاريخ بغداد (٣/ ٨٩).

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٣/ ٨٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٣٨٥)، وأورده الذهبي في «السير» (٦/ ٥٣٧).

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٨٩).

(٣) انظر الحلية (١/ ٢٢-٢٣، ٢/ ١٣١، ٤/ ١٣٢، ٦/ ٣٥٦).

(٤) انظر طبقات الصوفية للسلمي (ص١٦، ٢٧، ٨٣).

وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاب «الرسالة»، فذكر فيها العجائب: من الكلام[١] في الفناء، والبقاء، والقبض، والبسط، والوقت، والحال، والوجد، والوجود، والجمع، والتفرقة، والصحو، والسكر، والذوق، والشرب، والمحو، والإثبات، والتجلي، والمحاضرة، والمكاشفة، واللوائح، والطوالع، واللوامع، والتلوين، والتمكين، والشريعة، والحقيقة[٢]، إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه!

وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم «صفوة التصوف»[٣]، فذكر لهم فيه أشياء يستحيي العاقل من ذكرها، سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة[٤]، قال: وصنف كتابًا في جواز النظر إلى المرد، وأورد فيه حكاية عن يحيى بن معين: رأيت جارية مليحة بمصر صلى الله عليها. فقيل له: تصلي عليها؟ فقال: صلى الله عليها وعلى كل مليح[٥].

---

(١) في «باب تفسير الألفاظ التي تدور بين هذه الطائفة، وبيان ما يشكل منها» الرسالة (ص١٣٠ – ١٦٧).

(٢) انظر اللمع للطوسي (ص٤١١-٤٤٩)، الرسالة للقشيري (١٣٠ – ١٦٨).

(٣) قلت: انظر مثلا قول ابن طاهر في كتابه الصفوة (ص٢٢٢): باب السُّنة في لبسهم الخرقة من يد الشيخ، وقوله (ص٢٣٨): باب السنة في الابتداء بالملح لشرفه وفضله، وقوله (ص٣١٣): باب السُّنة في إلقائهم الثياب إلى القوّال، وقوله (ص٣٣١): مسألة الرقص، وقوله (ص٣٥١): باب السُّنة في ركوب المشايخ، ومشي المريدين. كما نسب إلى النبي ﷺ أنّه تواجد حتى سقط رداؤه عندما استمع إلى إنشاد بدوي، انظر (ص٣٦١). وهو حديث لا أصل له، قال الفتّني في «تذكرة الموضوعات» (ص١٩٨): (وقد سمعتُ غير واحدٍ من أهل العلم عاب المقدسيَّ بإيراد هذا الحديث في كتابه) يعني: «الصفوة».

(٤) قال الإمام الذهبي رحمه الله ردًّا على من رمى ابن طاهر بمذهب الإباحة: (إن أردتَّ بها الإباحة المطلقة، فحاشا ابن طاهر! هو – والله – مسلم أثري، معظِّم لحرمات الدين، وإن أخطأ أو شذَّ. وإن عنيت إباحة خاصة، كإباحة السَّماع، وإباحة النظر إلى المرد، فهذه معصية، وقول للظاهرية بإباحتها مرجوح) السير (١٩/ ٣٦٤). قلتُ: ومناسبة ذكر الذهبي لمذهب الظاهرية، هي كون ابن طاهر ظاهري المذهب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في المنتظم (١٧/ ١٣٧).

قال شيخنا ابن ناصر: وليس ابن طاهر ممن يحتج به[1].

وجاء أبو حامد الغزالي فصنف كتاب «الإحياء»[2] على طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة[3]، وخرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم أنوار هي حجب الله عز وجل، ولم يُرِدْ هذه المعروفات[4].

قال المصنف: وهذا من جنس كلام الباطنية!

وقال في كتابه «المفصح بالأحوال»[5]: إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد، ثم ترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

قال المصنف: قلت: وكان السبب في تصنيف هؤلاء هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والآثار، وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم، وإنما استحسنوها لأنه

---

(١) المصدر نفسه (١٧/ ١٣٧).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإحياء» فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد. فإذا ذكر معارف الصوفية، كان بمنزلة من أخذ عدوًّا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين.. وفيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين، في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسُّنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب، ما هو موافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يرد منه؛ فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥١ – ٥٥٢). وللمصنِّف رحمه الله كتاب سمّاه «إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء»، كما أنَّه هذّب الإحياء، وأبقى على فوائده في كتاب سمّاه «منهاج القاصدين».

(٣) انظر: الإحياء (١/ ١٩ – ٢٠).

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ١٩ – ٢٠)، (٣/ ١٧).

(٥) (ص٨٤).

قد ثبت في النفوس مدح الزهد، وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة ولا كلامًا أرق من كلامهم.

وفي سير السلف نوع خشونة، ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد؛ لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد، وفي ضمنها الراحة والسماع، والطباع تميل إليها، وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء، فصاروا أصدقاء.

فصل

وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم من بعض ودونوها، وقد سموها بالعلم الباطن.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال: نا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حَيُّوَيْه، قال: نا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الزهري، قال: حدثني أبو يعقوب إسحاق بن حبة قال: سمعت أحمد بن حنبل سُئل عن الوساوس والخطرات؟ فقال: «ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون»[١].

قال المصنف: وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا[٢]، وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي، وقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم[٣].

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني، قال: نا يعقوب بن موسى الأردبيلي، قال: حدثنا أحمد بن طاهر بن

(١) أخرجه المؤلف في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٤٦)، ورواه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١١٣).
(٢) انظر: (ص ١٠٨).
(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ٢١٤-٢١٥)، والسبكي في طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٩) بطوله، وانظر (ص ٩٨) في المقصود من النهي عن مجالسة أهل البدع والأهواء، والحكمة منه.

النجم [الميانجي](١)، قال: حدثنا سعيد بن عمرو البرذعي، قال: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكُتُبِهِ؟ فقال للسائل: إياك وهذه الكتب! هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. قيل له: في هذه الكتب عبرة. قال: من لم يكن له في كتاب الله ﷻ عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الدبيلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع(٢)!

أنبأنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان، قال: أنبأنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري، فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم، وكان رئيس مصر، وكان يذهب مذهب مالك، وهجره لذلك علماء مصر؛ لما شاع خبره أنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف، حتى رموه بالزندقة(٣).

قال السلمي: وأُخرج أبو سليمان الداراني من دمشق، وقالوا: إنه زعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه(٤)، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري: أنه يفضل الأولياء

---

(١) في الأصل: (الميالحي)، وفي «أ»: (المناعي)، وفي «ك»: (المبايحي)، وكلها تحريف، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٢) رواه البرذعي في «سؤالاته لأبي زرعة» (٢/ ٥٦١، ٥٦٢)، وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٨/ ٢١٥) مطولًا، وأورده الذهبي في «السير» (١٢/ ١١٢).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ٢١٥)، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في مناقب أحمد (ص٢٥٤).

(٤) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢٧٠)، وعزاه للسُّلمي في «محن الصوفية».

والظاهر بطلان هذه التهمة عن الشيخ أبي سليمان الداراني، فالسُلمي لم يروها بإسناد بل أرسلها، فالشأن أوّلًا في صحتها؛ لأن الكتب المسندة في أخبار مشايخ الصوفية لم تذكر هذا الرأي عنه، بل

على الأنبياء، فهرب من دمشق إلى مكة(١)، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقوله، حتى إنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي عليه السلام معراج، فأخرجه من بسطام، فأقام بمكة سنين ثم رجع إلى جرجان، فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام(٢).

قال السلمي: وحكى رجل عن سهل بن عبد الله التستري أنه يقول: إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه، وإنه يتكلم عليهم، فأنكر العوام ذلك حتى نسبوه إلى القبائح، فخرج إلى البصرة فمات بها(٣).

قال السلمي: وتكلم الحارث المحاسبي في شيء من الكلام والصفات، فهجره أحمد بن حنبل، فاختفى إلى أن مات(٤).

المذكور عنه خلاف هذا، مما يدلّ على استقامته وصلاحه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الشيخ أبا سليمان من أجلاّء المشايخ وساداتهم، ومن أتبعهم للشريعة.. بل صاحبه أحمد بن أبي الحواري كان من أتبع المشايخ للسُّنة، فكيف أبو سليمان؟!) الاستقامة (٢/ ٩٥). وانظر: الردّ على المنطقيين (ص٥١٤)، شرح العقيدة الأصبهانية (ص٥٥١).

(١) ذكره الذهبي في السير (١٢/ ٩٣) وتاريخ الإسلام وفيات ٢٤١ - ٢٥٠ (ص٥٤) وعزاه للسّلمي في محن الصوفية، ثم تعقّبه بقوله «هذا من الكذب على أحمد رحمه الله، فإنه كان أعلم بالله من أن يقع في ذلك، وما يقع في هذا إلا ضالّ جاهل». وما قيل في قصة الداراني يقال هنا؛ لأن ابن أبي الحواري كان من أتبع مشايخ الصوفية للسنة كما سبق؛ فيستبعد صدور مثل هذا الكلام عنه.

(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٣٤٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي بنحوه. والبسطامي كانت تعتريه - شأن أصحاب الأحوال - حالات سكر وغيبة، فترد عنه عبارات وكلمات مستشنعة.

(٣)ذكره الذهبي في «السير» (١١/ ٥٣٤)، وتاريخ الإسلام وفيات (٢٤١- ٢٥٠) (ص ٢٦٧)، وعزاه للسلمي في «محن الصوفية».

(٤) لم أقف عليه، ولعلّه في «محن الصوفية» للسُّلمي وهو مفقود، لكن ذكر الطوسي في اللمع (ص٤٩٩) سببًا آخر لخروجه من تستر وانتقاله إلى البصرة، وهو قوله: «التوبة فريضة على العبد مع كل نَفَس» فهيّج عليه أحد العلماء العامة ونسبه إلى القبائح.

وهذا الذي ذكره الطوسي أرجح من وجوه:

قلت: وقد ذكر أبو بكر الخلال في «كتاب السنة» عن أحمد بن حنبل أنه قال: حَذِّروا عن حارث أشد التحذير! حارث أصل البلية - يعني: في حوادث كلام جهم- ذاك جالسه فلان وفلان فأخرجهم إلى رأي جهم، ما زال مأوى أصحاب الكلام، حارث بمنزلة الأسد المرابض أنظر أي وقت يثب على الناس[(١)].

فصل

وقد كان أوائل الصوفية يقرّون بأن التعويل على الكتاب والسنة[(٢)]، وإنما لبَّس الشيطان عليهم لقلة العلم:

○ فأخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن خلف، قال: أخبرنا محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت الحسين بن يحيى، قال: سمعت جعفر الخلدي، قال: سمعت الجنيد يقول: قال **أبو سليمان الداراني**: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة[(٣)].

- أن العامة ليس عندها ملكة تفرّق بها بين الحق والباطل في مثل هذه المسائل العويصة، فضلًا عن قيامها على رجلٍ مشهور بالصلاح، بل إنه إذا ذُكر عنه مثل ذلك فسرعان ما تصدّق به إلى حدّ الغلوّ.
- أن الناس قد يروون بعض المقالات على حسب ما يفهمونه، لا على حقيقة مراد القائل أو بألفاظه.
- أنّ هذا مخالف لما اشتهر عنه من الكلمات النافعة، والمواعظ الحسنة.

(١) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٦٢ - ٦٣) عن الخلاّل، قال: أخبرنا المروذي أن أبا عبد الله ذكر حارثًا المحاسبي فقال: «حارث أصل البلية..» فذكره بنحوه. ومرّ معنا (ص ٤٢١) تحذير أحمد بن حنبل من مجالسة حارث المحاسبي، وذكرت من رواه هناك.

(٢) وهم أهل الاستقامة والعبادة والاتباع، قبل التحوّل الخطير في مذهب التصوّف من مذهب تهذيب وأخلاق، إلى مذاهب فلسفية وباطنية، تمخّض عنها القول: بالظاهر والباطن، والحلول والاتحاد، وتقديم الكشف والذوق على الشرع، وتفضيل الولي على النبي. وادعاء الاستغناء عن الرسول.. وما إليها من مواد دخيلة على الإسلام، وغريبة عن منهجه!

(٣) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص ٧٧، ٧٨)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٦٧)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٨٣).

○ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن علي السهلكي، قال: سمعت أبا محمد عبد الله بن طاهر بن عبد الله الهروي، يقول: سمعت أبا طاهر الطيب بن محمد الصوفي، يقول: سمعت محمد بن [الحسين](١) الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت طيفور البسطامي، يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول: قال أبي: قال **أبو يزيد**: لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى يرفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود(٢).

○ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا السهلكي، قال: أخبرنا جمهور بن حيدر القرشي، قال: سمعت أبا الحسن العلوي، قال: سمعت جعفر الخلدي يقول: سمعت علي بن صخر الدبيلي يقول: سمعت أبا موسى يقول: سمعت **أبا يزيد البسطامي** يقول: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعات وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادَّعى هذا الشأن فهو مدع(٣).

○ أخبرنا المحمدان، ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: حدثنا أبو نصر ظفر بن أحمد الصوفي، قال: نا علي بن أحمد البعلبي، قال: أخبرنا أحمد بن فارس الفرغاني، قال: سمعت علي بن عبد الحميد الحلبي يقول: سمعت **سريًّا** يقول: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط(٤).

---

(١) في جميع النسخ: (الحسن)، وهو تصحيف، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٢) أخرجه أبو الفضل السهلكي في كتابه «النور من كلمات أبي طيفور» (ص ٨٩، ٩٠) وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٤٠)، والذهبي في «السير» (١٣/ ٨٨)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٨).

(٣) أخرجه أبو الفضل السهلكي في كتابه «النور من كلمات أبي طيفور» (ص ١٢٢)، وذكره ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ١٩٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٢١).

○ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا علي بن عبد الرحمن بن عَلِيَّك، قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري، عن **الجنيد** أنه قال: مذهبنا هذا مقيد بالأصول: الكتاب والسنة[١].

○ أخبرنا محمد بن عبد الملك، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت علي بن هارون الحربي، يقول: سمعت **الجنيد** يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقتدَى به[٢].

○ أخبرنا ابن عبد الملك، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا السلمي، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت **الجنيد** يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات؛ لأن التصوف وهو صفاء المعاملة مع الله، وأصله التَّعزف عن الدنيا[٣]، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري[٤].

○ أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، قال: سمعت عباس بن أحمد الرملي يقول:

---

(١) لم أقف عليه عند السلمي في «طبقاته»، ولا في المطبوع من كتبه، وعنه رواه تلميذه القشيري في «رسالته» (ص ٨٠) بلفظه، وله طريق آخر يأتي تاليًا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٥٥)، ومن طريق أبي نعيم أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٧/ ٢٤٣)، وأورده الذهبي في «السير» (١٤/ ٦٧).

(٣) الخبر بطوله أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص١٠٦ رقم ٣١٤)، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٢٩ رقم ٢٠١١٤)، والبزار كما في كشف الأستار (١/ ٢٦ رقم ٣٢)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٥٥)، والحديث ضعفه غير واحد من الأئمة، منهم: ابن المبارك، والبزار، والبيهقي، والعراقي كما في تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ٢٢٠)، وابن حجر كما في الإصابة (٢/ ١٧٥).

(٤) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص ١٥٨)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٧٧، ٢٧٨)، وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٧/ ٢٤٦)، والذهبي في «السير» (١٤/ ٦٩)، وغيرهم.

سمعت **أبا بكر الشقاق** يقول: من ضيَّع حدود الأمر والنهي في الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن(١).

○ قال ابن باكويه: وسمعت أحمد بن محمد البرذعي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت **أبا الحسين النوري** يقول لبعض أصحابه: من رأيتَه يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد علم شرعي فلا تقربنَّه، ومن رأيته مدعيًا حالة لا يدل عليها ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه(٢).

○ قال ابن باكويه: وسمعت محمد بن داود الدينوري يقول: سمعت [**الجريري**](٣) يقول: أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد، وهو أن تلزم قلبك المراقبة، ويكون العلم على ظاهرك قائمًا(٤).

○ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد، قال: نا أبو نعيم، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن محمد قال: [سمعت أبي يقول](٥): سمعت أبا علي الثقفي يقول: كان **أبو حفص** يقول: من لم يزن أفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال(٦).

فصل

وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم فقد وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم، فإن كان ذلك صحيحًا عنهم توجه الرد عليهم؛ إذ لا محاباة في

---

(١) ذكره ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ١٩٤) بلفظه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٥٢)، وذكر الذهبي في «السير» (١٤/ ٧٢).

(٣) في جميع النسخ: (الحريري) بحاء مهملة، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٤) أورده ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٦٠٣) بلفظه.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ، والصواب إثباته كما في الحلية، ولأن محمد بن الحسين – وهو السُّلمي – لا يروي عن أبي علي الثقفي إلا بواسطة كما في ترجمته من طبقات الصوفية (ص١١٥ وما بعدها).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣٠)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٢٠)، والذهبي في «السير» (١٢/ ٥١٢).

الحق، وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل ذلك القول، وذلك المذهب من أي شخص صدر.

وأما المتشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة، ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم، والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدَّخَل، وما علينا من القائل والفاعل، وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم، وما زال العلماء يبين كل منهم غلط صاحبه قصدًا لبيان الحق لا لإظهار عيب الغالط، ولا اعتبار بقول جاهل يقول: كيف ترد على فلان الزاهد المتبرك به؟! لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص، وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زللـه.

واعلم أنه من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن نظر إلى ما جرى على يد المسيح عليه السلام من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الإلهية، ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه ما لا يستحقه.

وقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا عمر بن عبيد الله البقال: قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، قال: حدثنا حنبل، قال: حدثني أبو عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- قال: حدثنا عفان، قال: نا يحيى بن سعيد، قال: سألت شعبة وسفيان بن سعيد، وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس: عن الرجل لا يحفظ أو يتهم في الحديث؟ فقالوا جميعًا: بيِّنْ أمرَه[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٤)، ورواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٧)، ورواه البخاري في الضعفاء، كما في شرح العلل لابن رجب (١/ ٤٩)، وعنه الترمذي في العلل المطبوع بآخر السنن (٥/ ٦٩٥).

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يمدح الرَّجُلَ ويبالغ ثم يذكُر غَلَطَهُ في الشيء بعد الشيء، وقال: نِعم الرجل فلان لولا خلة فيه. وقال عن سَرِيٍّ السَّقطي: الشيخ المعروف بطيب المطعم، ثم حكي له عنه أنه قال: إن الله تعالى لما خلق الحروف سجدت الباء، فقال: نفِّروا الناس عنه(١).

سياق ما يروى عن جماعة منهم من سوء الاعتقاد(٢)

○ أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني قال: حكى لي عبد الواحد بن بكر، قال: حدثني محمد بن عبد العزيز، قال: سمعت أبا عبد الله الرملي يقول: تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه، فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غرابٌ على سطح الجامع، فزعق أبو حمزة وقال: لبيك لبيك! فنسبوه إلى الزندقة وقالوا: حلولي زنديق، وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع: هذا فرس الزنديق(٣).

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه قال: سمعتُ أبا علي الحسن بن أحمد قال: سمعتُ أبا بكر الدقي يقول: سمعت أبا بكر الفرغاني يقول: كان أبو حمزة إذا سمع شيئًا يقول: لبيك لبيك! فأطلقوا عليه أنه حلولي، ثم قال أبو علي(٤): وإنما جعله داعيًا من الحق أيقظه للذكر(٥).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٢٦)، ومن طريقه ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٥٦٠).

(٢) ومن سوء اعتقادهم: القول بالحلول، أي: حلول الله تعالى في بعض مخلوقاته، والدعوة إلى الاستغناء عن الأنبياء والرسل، والإلحاد في صفات الله تعالى. وقد ساق المصنف رحمه الله الأمثلة والوقائع على ذلك كله بالأسانيد إلى قائليها، بل ومن كتب القوم ومصنفاتهم.

(٣) أخرجه أبو نعيم الحافظ في الحلية (١٠/ ٣٢١)، وذكره الذهبي في السير (١٣/ ١٦٦).

(٤) لم أقف عليه، وانظر ما قبله وما بعده.

(٥) إذا كان هذا محاولة لتأويل شطحات أبي حمزة، فهذا غير مقبول من أبي علي الشيرازي، فالواجب عليه ←

أخبرنا محمد بن أبي القاسم البغدادي، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل، قال: أخبرنا سهل بن علي الخشَّاب، قال: أخبرنا أبو نصر عبد الله بن علي السراج قال: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: أُطلق على أبي حمزة أنه حلولي؛ وذلك أنه كان إذا سمع صوتًا مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول: لبيك! فرموه بالحلول[(١)(٢)].

قال السَّرَّاج[(٣)]: وبلغني عن أبي حمزة أنه دخل دار حارث المحاسبي، فصاحت الشاة: ميع. فشهق أبو حمزة شهقة وقال: لبيك يا سيدي! فغضب الحارث وعمد إلى سكين، وقال: إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أذبحك. فقال أبو حمزة: إذا أنت لم تحسن أن تسمع هذا الذي أنا فيه فلِمَ لا تأكل النخالة بالرماد!

○ قال السراج[(٤)]: وأنكر جماعة من العلماء على **أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز**، ونسبوه إلى الكفر؛ بألفاظ وجدوها في كتاب صنَّفه وهو «ذكر السر»، ومنه قوله: عبد طالع ما أذن له ولزم التعظيم لله، فقدس الله نفسه.

○ قال: **وأبو العباس أحمد بن عطاء** نُسب إلى الكفر والزندقة.

الدفاع عن الشريعة وحمايتها، لا تسويغ الشطح وإسباغ الشرعية عليه. وإلا فإن كلام أبي حمزة صريح في فكرة الحلول، وهو شيء متواتر عنه، بل ومتعدد الوقائع.

(١) من ضلال السرّاج الطوسي تعليل رمي أبي حمزة بالحلول، بأنه ناتج عن بُعد فهم من رماه بذلك عن معنى إشارته، زاعمًا أن (أرباب القلوب، ومن كان قلبه حاضرًا بين يدي الله، ويكون دائم الذكر لله فيرى الأشياء كلها بالله، ولله، ومن الله، وإلى الله، فإذا سمع كلامه فكأن ذلك سمعه من الله.. فعند ذلك يقع له حقائق الفهم عن الله في جميع ما يسمع، وجميع ما يرى من الأشياء) اللمع (ص٤٩٥).

(٢) أخرجه أبو نصر السراج في اللمع (ص٤٩٥).

(٣) كتاب اللمع (ص٤٩٥)، وذكره الذهبي في السير (١٣/ ١٦٧) مختصرًا وعزاه للسّراج في اللّمع.

(٤) كتاب اللّمع (ص٤٩٩)، وذكر ذلك أيضًا السّلمي كما في السير (١٣/ ٤٢١)، ولعلّه في محن الصوفية للسّلمي.

○ قال: وكم من مرة قد أُخذ **الجنيد** مع علمه وشُهد عليه بالكفر والزندقة.

○ قال السراج[(١)]: وذُكر عن أبي بكر محمد بن موسى الفرغاني الواسطي أنه قال: من ذكر افترى ومن صبر اجترى. وقال: إياك أن تلاحظ حبيبًا أو كليمًا أو خليلًا وأنت تَجِدُ إلى ملاحظة الحق سبيلًا[(٢)]. فقيل له: أَوَلا أصلي عليهم؟ قال: صلِّ عليهم بلا وقار، ولا تجعل لها في قلبك مقدارًا.

○ قال السراج[(٣)]: وبلغني أن **جماعة من الحلولية** زعموا أن الحق اصطفى أجسامًا حلَّ فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية، ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات، ومنهم من قال حالٌّ في المستحسنات.

○ قال: وبلغني عن **جماعة من أهل الشام** أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة.

○ قال السراج[(٤)]: وبلغني أن أبا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول: أنا أعشق الله وهو يعشقني، فقال النوري سمعت الله يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤]، وليس العشق بأكثر من المحبة.

---

(١) كتاب اللّمع (ص٥٠٦).

(٢) هذه دعوة خطيرة انزلق فيها مذهب التصوف، وهي الدعوة إلى الاستغناء عن الأنبياء وهديهم؛ بحجة الأخذ عن الله مباشرة دون واسطة، عن طريق الكشف والإلهام، بل والمنامات! وبهذا فضّلوا الوليَّ الصوفي على النبي؛ لأن النبي يأخذ عن الله بواسطة المَلَك. قال الغزالي - في ترجيحه علم الأولياء -: (لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق، كما قال ﷻ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، وهذه الطريقة لا تُفهم إلا بالتجربة، وإن لم تحصل بالذوق لم تحصل بالتعلم) كيمياء السعادة (ص١٢٨). وأبرز من قعّد هذا الإلحاد واعتقده ابن عربي في كتابيه «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم». انظر: الفتوحات (١/ ٣١-٣٢)، الفصوص (١/ ٦٢-٦٣) كلاهما لابن عربي، وحقيقة مذهب الاتحادية لشيخ الإسلام (ضمن مجموعة الرسائل) (٤/ ٥٦ وما بعدها)، نظرية الاتصال عند الصوفية سارة آل سعود (ص١٨٦-١٩٩).

(٣) كتاب اللمع (ص٥٤١).

(٤) كتاب اللّمع (ص٤٩٢).

○ قال القاضي أبو يعلى: وقد ذهبت الحلولية إلى أن الله تعالى يعشق[(١)].

قال المصنف: قلت: وهذا جهل من ثلاثة أوجه:

○ **أحدها**: من حيث الاسم، فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح[(٢)].

○ **والثاني**: أن صفات الله منقولة[(٣)]، وهو يُحِبُّ ولا يقال يَعْشَق، ويُحَب ولا يقال: يُعْشَق، كما يقال يُعرف ولا يقال يُعلم[(٤)].

---

(١) كتاب المعتمد في أصول الدين (ص٧٦) وعبارته: (وذات الباري لا يجوز أن تُعشق، خلافًا للحلولية في قولهم: إنها تُعشق).

(٢) لأنه مقرون بالشهوة، انظر: الكليات للكفوي (ص٣٩٨). وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلامًا لأبي عبد الله بن خفيف وهو من شيوخ الصوفية، ورد في كتاب له سمّاه «اعتقاد التوحيد»: (وإن مما نعتقده: ترك إطلاق تسمية «العشق» على الله تعالى) ثم بيّن أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، ثم قال: (أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية) مجموع الفتاوى (٥/ ٨٠).

(٣) أي: ورد بها النقل من الكتاب والسنُّة، والمقصود أنها توقيفية، وهاهنا فرق بين ما يُطلق على الرب جل وعلا من باب الإخبار، وبين ما يطلق عليه تعالى من باب الأسماء والوصف، فالأول أوسع من الثاني، وبيانه: أن ما يطلق على الرب جل وعلا في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من باب الإخبار، لا يجب أن يكون توقيفيًا، مثل قولنا: القديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه.. غير أن هذه الأخيرة لا يشرع دعاء الله بها، أو التعبد له تعالى بها، بخلاف ما ورد به النقل من أسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلى. فهذا فصل الخطاب - كما قال ابن القيم - في مسألة أسمائه تعالى وصفاته هل هي توقيفية، أو يجوز أن يطلق عليه بعض ما لم يرد به السمع. انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦١-١٦٢)، شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص٥)، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السَّلف، د. البريكان (ص١٣٧-١٤٣)، أسماء الله الحسنى للغصن (ص١٤١-١٤٢).

(٤) قول المصنف هذا متعقب، فقال قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وكان رسول الله ﷺ أعلم الخلق بالله.
والظاهر أن هذا قول أهل التصوف الذين اصطلحوا على لفظ «العارف»، وبنوا عليه لوازم فاسدة، منها: أن العارف إذا فني في التوحيد صار لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٠١).

○ **والثالث**: من أين له أن الله يحبه؟ وهذه دعوى بلا دليل، وقد قال النبي ﷺ: **«مَنْ قال إني في الجنة فهو في النار»**[(١)].

○ أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا إسماعيل الحيري، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي قال: حُكِيَ عن عمرو المكي أنه قال: كنت أماشي **الحسين بن منصور** في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن، فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا! ففارقته[(٢)(٣)].

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: حدثني مسعود بن ناصر. قال: أخبرنا ابن باكويه الشيرازي، قال: سمعت أبا زرعة الطبري يقول: سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول: سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي، فقلت: أيَّ شيء الذي وجد الشيخ عليه؟ فقال: قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكنني أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به[(٤)]!

---

(١) ذكره الديلمي في فردوس الأخبار (٤/ ٢٤ رقم ٥٥٦٥) من حديث ابن عباس بلفظه مع زيادة في آخره، ورواه الطبراني في الصغير (١/ ١٢٠ رقم ١٧٦) موقوفًا على يحيى بن أبي كثير، وهو تابعي صغير بلفظه مع زيادة في أوله وآخره.

(٢) أفرد المصنف رحمه الله للحلاج الحسين بن منصور صفحات خاصة من بين مشايخ الصوفية الذين ظهرت منهم أقوال تدل على سوء الاعتقاد، والسبب في ذلك - فيما ظهر لي - هو مجاهرة هذا الأخير بآرائه الكفرية وتصريحه بها، دون اللجوء - كما هو شأن الآخرين - إلى لغة الترميز والإشارات، واغترار كثير من الناس به، جهلًا منهم بحقيقة حاله وآرائه.

والرواية التي أوردها المصنف رحمه الله عن الحلاج هنا، هي نفس مقولة بعض كفار قريش الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وفي موقف الشيخ عمرو المكي دلالة على الولاء والبراء اللذين يجب أن يكونا في الله تعالى، وفيه كذلك عبرة للمغترّين بالحلاج والمحسنين الظن به رغم ما أُثر عنه من كفر وإلحاد!

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ١٢١).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (١٣/ ٢٠٣)، ورواه الخطيب في تاريخه (٨/ ١٢١)، وأورده الذهبي في السير (١٤/ ٣٣٠).

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، عن أبي العباس أحمد بن محمد النسوي، قال: سمعتُ محمد بن الحسين الحافظ، يقول: سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ، يقول: قال أبو القاسم الرازي: قال أبو بكر بن ممشاذ: حضر عندنا بالدِّينَوَر رجل ومعه مخلاة(١)، فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار، ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه: من الرَّحْمَن الرحيم إِلَى فلان بْن فلان. فوجه إِلَى بغداد فأحضر وعُرض عليه فقال: هذا خطي وأنا كتبته. فقالوا: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية؟! فَقَالَ: مَا أدعي الربوبية ولكن هَذَا عين الجمع عندنا(٢) هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة؟ فَقِيلَ لَهُ: هل معك أحد؟فَقَالَ: نعم ابْن عطاء، وأبو مُحَمَّد الجريري، وأبو بَكْر الشبلي. وأبو مُحَمَّد الجريري يستتر، والشبلي يستتر، فإن كان: فابن عطاء.

فأُحضر الجريري وسُئل فقال: هذا كافر، يقتل من يقول هذا. وسُئل الشبلي فقال: من يقول هذا يمنع. وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته فكان سبب قتله(٣).

أخبرنا القزاز، قال: نا أبو بكر الخطيب، قال: حدثني مسعود بن ناصر، قال: أخبرنا ابن باكويه قال: سمعت عيسى بن بزول القزويني، وقد سأل أبا عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات:

---

(١) مخلاة: هي ما يوضع فيه الخلى، وهو الرطب من الحشيش أو النبات. مختار الصحاح، القاموس المحيط (خلا).

(٢)العبرة بالحقائق لا بالمصطلحات؛ إذ ما قاله الحلاج وبرّر به كتابه هو عين عقيدة الحلول التي آل إليها التصوف الفلسفي، كيف وقد شهد الجريري - وهو من أصحابه - بأن تلك المقالة كفر!

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ١٢٧-١٢٨)، وأورده الذهبي السير (١٤/ ٣٢٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٤٨-١٤٩).

سـبحان مـن أَظْهَـرَ ناسُـوتُه ** سرَّ سَـنَا لاهوتِـهِ الثَّاقـبِ
ثُـمَّ بـدا في خَلْقـهِ ظـاهِرًا ** في صـورةِ الآكِـلِ والشَّـاربِ
حتـى لقـدْ عايَنَـهُ خَلْقُـهُ ** كلحظـةِ الحاجـبِ بالحاجـبِ[(١)]

فقال الشيخ: على قائله لعنة الله! قال عيسى بن بزول: هذا شعر الحسين بن منصور. فقال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر، إلا أنه ربما يكون متقولًا عليه[(٢)(٣)].

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرني علي بن المحسن القاضي، عن أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن زنجي، عن أبيه، أن بنت السمري أدخلت على حامد الوزير، فسألها عن الحلاج، فقالت: حملني أبي إليه فقال لي: قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور، فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومي يومك واصعدي في آخر النهار إلى السطح، وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش، واستقبليني بوجهك واذكري لي ما أنكرته منه، فإني أسمع وأرى. قالت: وكنت ليلة نائمة في السطح فأحسست به قد غشيني، فانتبهت مذعورة لما كان منه، فقال: إنما جئتك لأوقظك للصلاة، فلما نزلنا قالت ابنته: اسجدي له. فقلت أو يسجد أحد لغير الله، فسمع كلامي، فقال: نعم إله في السماء وإله في الأرض[(٤)]!

(١) الأبيات في ديوان الحلاّج (ص١٤)، وبداية الحلاّج لابن باكويه (ص٦٦٣)، والمنتظم (١٣/ ٢٠٤)، والسير (١٤/ ٣٢٥)، والبداية والنهاية (١١/ ١٤٣).

(٢) هذا في حالة إذا كان هذا الشيء الوحيد الذي نُسب للحلاّج، كيف والحال غير ذلك! بل عكس ذلك تمامًا، فرسائله وديوانه تطفح بمثل هذا وأشد: انظر ديوان الحلاج (ص١٩، ٢٢، ٢٥، ٣٤...)، أخبار الحلاّج لابن أنجب الساعي (ص٨١)، أخبار الحلاّج جمع ماسينيون (ص١٤، ٢١، ٨٥...).

(٣) رواه ابن باكويه في بداية الحلاج ونهايته (ص٦٦٣)، ومن طريقه الخطيب في تاريخه (٨/ ١٢٩)، وأورده الذهبي في السير (١٤/ ٣٢٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٤٤).

(٤) أخرجه علي بن المحسن التنوخي في نشوار المحاضرة (٦/ ٧٩-٩٢)، ومن طريقه الخطيب في تاريخه ﴿

قال المصنف: قلت: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج[(١)]، وأول من قال إنه حلال الدم أبو عمر القاضي ووافقه العلماء، وإنما سكت عنه أبو العباس بن سريج. وقال: ما أدري ما يقول. والإجماع دليل معصوم من الخطأ[(٢)]:

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، قال: أخبرنا محمد بن مرزوق، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الفتح بن أبي الفوارس، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد، قال: حدثنا الحارث بن محمد التميمي، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي إسماعيل [المؤدب][(٣)]، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أجاركم أن تستجمعوا على ضلالة كلكم**»[(٤)].

(٨/ ١٣٣-١٣٥)، وذكره الذهبي في السير (١٤/ ٣٣٧-٣٣٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٥٠).

وهذه كذلك من محال الحلاج التي لا تقبل التأويل أو التبرير، ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه المقالة المرذولة من الكفر بالله تعالى وادّعاء الشريك له تعالى! بل وتعطيله تعالى عن أن يعبده أهل الأرض كما يعبده أهل السماء، هذا فضلًا عن انتهاكه لحرمات الله، وهو غشيانه حليلة ابنه.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٤٩): وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاّج وزندقته، وأجمعوا على قتله وصلبه، وكان علماء بغداد إذ ذاك هم علماء الدنيا.

(٢) لأنه لما حصل اتفاق علماء عصر الحلاّج على كفره وقتله، فمخالفة ابن سريج لهم لا تضرّ. ولعلّ ابن سُريج اعتبر كلام الحلاج من قبيل هذيان السكران أو المجنون.

(٣) في جميع النسخ: (المؤذن)، وهو تحريف، والتصويب من تاريخ بغداد ومسند الحارث ومصادر الترجمة.

(٤) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، كما في بغية الباحث للهيثمي (١/ ٢٠٠ رقم ٥٩)، وإسناده ضعيف جدًا؛ فيه يحيى بن عبيد الله، وهو متروك، وللحديث شواهد كثيرة منها: انظر ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤١ رقم ٨٢)، وقال الألباني في صحيحته (٣/ ٣٢٠): حسن بمجموع طرقه. وكذلك أبو داود (٤/ ٤٥٢ رقم ٤٢٥٣)، وذكره الألباني في الضعيفة (٤/ ٢٠) ثم قال: لكن جملة الإجماع لها طرق أخرى فتتقوى بها، ولذا أوردتها في الصحيحة.

وأخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: حدثني مسعود بن ناصر، قال: أبنا ابن باكويه، قال: سمعت أبا القاسم يوسف بن يعقوب النعماني يقول: سمعت والدي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهاني يقول: «إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقًا فما يقول الحلاج باطل!»، وكان شديدًا عليه[١].

قال المصنف: وقلت: وقد تعصب للحلاج قوم من الصوفية جهلًا منهم وقلة مبالاةٍ بإجماع الفقهاء:

فأخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري، قال: سمعت إبراهيم بن محمد النصرأباذي يقول: «إن كان بعد النبيين والصديقين موحِّد فهو الحلاج»[٢].

قال المصنف: قلت: وعلى هذا أكثر قصَّاص زماننا وصوفية وقتنا[٣]؛ جهلًا من الكل بالشرع، وبُعدًا عن معرفة النقل، وقد جمعت في أخبار الحلاج كتابًا، وبيَّنت حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه[٤]، والله المعين على قمع الجهال!

---

(١) أخرجه ابن باكويه في بداية الحلاج ونهايته (ص٦٥٧)، ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ١٢٩)، وأورده الذهبي في السير (١٤/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ١٢١)، ورواه الحاكم في تاريخه كما في تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٣٥١-٣٨٠ (ص٣٦٩).

(٣) ومن المعاصرين المدعو «طه عبد الباقي سرور» محقق كتاب «اللمع» للطوسي، الذي ألّف كتابًا سمّاه (الحسين بن منصور الحلاّج: شهيد التصوف الإسلامي)! وهو مطبوع، شحنه مؤلّفه بالتقديس والتعظيم للحلاّج، وقرنه بسيّد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ في العروج إلى سدرة المنتهى، كما قرنه بالسيد المسيح ﷺ في أنه لم يُقتل بل رُفع إلى السماء. وممّن اهتم بالحلاّج وتراثه الإلحادي المستشرق الفرنسي ماسينيون، ولا يخفى قصد هؤلاء الكفرة من الاهتمام بمثل هذا التراث..

(٤) ذكره الـمُؤلّف في المنتظم (١٣/ ٢٠٤) في ترجمة الحلاّج وسمّاه: «القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاّج» وسمّاه الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات ٣٥١ - ٣٨٠ (ص٢٥٢): «القاطع لمحال المُحاج بحال الحلاّج». وانظر: مؤلفات ابن الجوزي للعلوجي (ص١٦٩).

○ أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: سمعت عمر البنا البغدادي بمكة يحكي: أنه لما كانت محنة غلام الخليل، ونسب الصوفية إلى الزندقة، أمر الخليفة بالقبض عليهم، فأُخذ النوري في جماعة، فأدخلوا على الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم، فتقدم النوري مبتدرًا إلى السَّياف ليضرب عنقه، فقال له السَّياف: ما دعاك إلى البدار؟! قال: آثرت حياة أصحابي على حياتي هذه اللحظة. فتوقف السَّياف فرفع الأمر إلى الخليفة، فرد أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق، فأمر بتخليتهم[١].

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر الورثاني، قال: سمعت أبا بكر محمد بن داود الدينوري، يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن عباس، يقول: كان قد سعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال: هاهنا قوم زنادقة! فأُخذ أبو الحسين النوري، وأبو حمزة الصوفي، وأبو بكر الدقاق[٢]، وجماعة من أقران هؤلاء، واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبي ثور، فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فأول من بدر أبو الحسين النوري، فقال له السَّياف: لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم تُرع؟! قال: أحببت أن أوثر أصحابي بالحياة مقدار هذه الساعة. فردَّ الخليفة أمرهم إلى القاضي فأطلقوا[٣].

قال المصنف: قلت: ومن أسباب هذه القصة قول النوري: أنا أعشق الله والله يعشقني. فشُهد عليه بهذا[٤]، ثم تقدُّمُه ليقتل إعانةٌ على نفسه، فهو خطأ أيضًا.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٥٠)، ومن طريقه الخطيب في تاريخه (٥/ ١٣٣-١٣٤)، وذكره الذهبي في السير (١٤/ ٧١).

(٢) في «أ»: (الزقّاق)، وكذا في بعض كتب التراجم.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر (ص ٤٣١).

○ أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أنا ابن باكويه، قال: سمعت أبا عمر تلميذ الدقي قال: سمعت الدقي يقول: كان لنا بيت ضيافة، فجاءنا فقير، عليه خرقتان يكنى بأبي سليمان، فقال: الضيافة! فقلت لابني: امض به إلى البيت. فأقام عندنا تسعة أيام، فأكل في كل ثلاثة أيام أكلة، فسمته المُقَامَ. فقال: الضيافة ثلاث. فقلت له: لا تقطع عنا أخبارك. فغاب عنا اثنتي عشرة سنة، ثم قدم، فقلت: من أين؟ فقال: رأيت شيخًا يقال له أبو شعيب المقفع مُبتلًى، فأقمت عنده أخدمه سنة، فوقع في نفسي أن أسأله: أي شيء كان أصل بلائه؟ فلما دنوتُ منه ابتدأني قبل أن أسأله فقال: وما سؤالك عمّا لا يعنيك[1]! فصبرت حتى تم لي ثلاث سنين، فقال لي في الثالثة: لابد لك؟ فقلت له: إن رأيتَ.

فقال: بينما أنا أصلي بالليل إذ لاح لي من المحراب نور، فقلت: اخسأ يا ملعون! فإن ربي أجل من أن يبرز للخلق ثلاث مرات! قال: ثم سمعت نداءً من المحراب: يا شعيب، فقلت: لبيك! فقال: تحبُّ أن أقبضك في وقتك، أو نجازيك على ما مضى لك، أو نبتليك ببلاء نرفعك به في عليين؟ فاخترت البلاء، فسقطت عيناي ويداي ورجلاي.

قال: فمكثت أخدمه تمام اثنتي عشرة سنة، فقال يومًا من الأيام: ادنُ مني! فدنوت فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضًا: أبْرُزْ منه! حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبِّح ويقدِّس، ثم مات[2].

---

(١) تكثر في أخبار الصوفية هذه الدعاوى الباطلة من كون المشايخ يطّلعون على الخواطر والنيّات! التي يعتبرونها - جهلًا منهم وتعصبًا - كرامات لأصحابها، وهي في حقيقتها من خصائص الرب تعالى وحده، لم يجعلها حتى للأصفياء من خلقه، وهم الأنبياء والمرسلون، ناهيك عن هؤلاء الدجاجلة الذين قصصهم كلها خرافات وأكاذيب!

(٢) لم أقف عليه.

قال المصنف: قلت: وهذه الحكاية توهم أنَّ الرَّجل رأى الله تعالى، فلمَّا أنكر عُوتب[١]، وقد ذكرنا أن قومًا يقولون: إن الله يُرى في الدنيا[٢].

وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البَلْخِي في كتاب «المقالات» قال: قد حكي عن قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا، وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض مَنْ يلقاهم في السكك، وإن قومًا يجيزون مع ذلك مصافحته وملامسته، ويدَّعون أنه يزورهم ويزورونه[٣]، وهم يُسمَّون بالعراق: أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات. وهذا فوق القبيح، نعوذ بالله من الخذلان!

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الطهارة

قال المصنف: وقد ذكرنا تلبيسه على العُبَّادِ في الطهارة[٤] إلا أنه قد زاد في حق الصوفية على الحد، فقوى وساوسهم في استعمال الماء الكثير، حتى إنه بلغني أن ابن عقيل دخل إلى رباط فتوضأ، فضحكوا به لقلةِ استعماله الماء، وما علموا أنه من أسبغ الوضوء برطلٍ من الماء كفاهُ.

وبلغنا عن أبي أحمد الشيرازي أنه قال لفقير: من أين؟[٥] فقال: من النهر، بي وسوسةٌ في الطهارة. فقال: كان عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان، والآن يسخر بهم الشيطان!

(١) في باقي النسخ: (عوقب)، وهو الأَولى بالسياق.

(٢) انظر (ص ٤٣١).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٨٧).

(٤) انظر (ص ٣٥٦).

(٥) كذا في جميع النسخ، ولعلها: من أين تتوضأ؟

ومنهم من يمشي بالمداس على البوري[١]، وهذا لا بأس به، إلا أنه ربما نظر المبتدئ إلى من يقتدي به فظن ذلك شريعةً، وما كان خيار السلف على هذا، والعجبُ ممن يبالغ في الاحتراز إلى هذا الحد تنظيفًا لظاهره وباطنه محشوٌ بالوسخ والكدر!

ذكر تلبيسه عليهم في الصلاة

قد ذكرنا تلبيسه على العُبَّاد في الصلاة[٢]، وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي[٣] أن من سنتهم التي ينفردون بها وينتسبون إليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة، واحتجَّ عليه بحديث ثُمامة بن أثال: «أن النبي ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل»[٤].

قال المصنف: قلت: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله! فإن ثُمامة كان كافرًا فأسلم، وإذا أسلم الكافر وَجَبَ عليه الغُسل في مذهب جماعة من الفقهاء، منهم أحمد بن حنبل، وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء من أسلم، وليس في حديث ثمامة ذِكْرُ صلاةٍ[٥] فيُقاس عليها، وهل هذا إلا ابتداع بالواقع سموه سُنة!

---

(١) **البوري**: هي كلمة فارسية، أصلها بوريا، وهي الحصير المنسوج من القصب. القاموس المحيط (بور)، وانظر: معجم الألفاظ الفارسية المعربة (ص٣٠).

(٢) انظر: (ص ٣٦٢ وما بعدها).

(٣) صفوة التصوّف (ص٢٠١).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٢٥ رقم ٢٥٣)، وابن حبان (٤/ ٤١-٤٢ رقم ١٢٣٨-١٢٣٩)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٣١٨ رقم ١٩٢٢٦)، وأصل القصة عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة دون لفظ الشاهد وهو الأمر بالاغتسال. رواه البخاري (١/ ٥٥٥ رقم ٤٦٢) و(٨/ ٨٧ رقم ٤٣٧٢).ومسلم (٣/ ١٣٨٦ رقم ١٧٦٤).

(٥) إن كان المؤلّف يقصد الصحيحين فمسلّم، وإلا فإنَّ أكثر من خرّجه كابن حبّان وابن خزيمة وابن الجارود - وغيرهم كما في التخريج السابق - ذكروا فيه أن ثمامة صلى ركعتين، لكن ليس عندهم أن النبي ﷺ أمره بذلك. وكلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وجيه؛ إذ لا يصح لهم القياس؛ لأن ثمامة كان كافرًا ثم أسلم، والله أعلم.

ثم من أقبح الأشياء قوله: إن الصوفية يتفردون بسنن! لأنها إن كانت مسنونة بالشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء، والفقهاء أعرفُ بها، فما وجه انفراد الصوفية بها، وإن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في المساكن

أما بناء الأربطة[(١)] فإن قومًا من متعبديهم الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من أوجه:

- **أحدها**: أنهم ابتدعوا هذا البناء، وإنما بنيانُ الإسلام المساجدُ.
- **والثاني**: أنهم جعلوا للمساجد نظيرًا يُقلِّلُ جمعها.
- **والثالث**: أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخُطا إلى المساجد.
- **والرابع**: أنهم تشبَّهوا بانفراد النصارى في الديرة.
- **والخامس**: أنهم تعزَّبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.
- **والسادس**: أنهم جعلوا لأنفسهم عَلَمًا ينطقُ بأنهم زُهَّاد؛ فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم.

وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكدية[(٢)]، ومناخًا للبطالة، وأعلامًا لإظهار التزهد!

وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كَدِّ المعاش، متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص، يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا

---

(١) **الأربطة**: جمع رباط، وهو في الأصل ما تربط فيه الخيول، ثم سُمي بذلك الثغر الذي يدفع أهله عمن وراءهم، ثم أصبح يطلق على ما استحدثه الصوفية من أبنية يختلون فيها. وفي الرباط حجرة عامة يسمونها بيت الجماعة، يشرف فيها شيخ على جماعة من المريدين. وقد يسمى الرباط: «الخانقاه». انظر: المعجم الصوفي د. الحفني (ص١٠٢) و(ص٨٧).

(٢) **الكدية**: هي الإلحاح في المسألة. اللسان (كدا).

يتورعون من عطاء ماكسٍ، وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة، ووقفوا عليها الأموال الخبيثة، وقد لبَّس عليهم إبليس بأن ما يصل إليكم رزقكم، فأسقطوا عن أنفسكم كُلْفَةَ الورع!

فمهمتهم دوران المطابخ والحمّام والماء المبرد، فأين جوعُ بِشْرٍ، وأين ورع سري، وأين جد الجُنيد؟!

وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا، فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته فغلبت عليه السَّوداء[1] فقال: حدثني قلبي. ولقد بلغني أن رجلًا قرأ القرآن في رباط فمنعوه، وأن قومًا قرؤوا الحديث في رباط فقيل لهم: ليس هذا موضعه!

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الخروج من الأموال والتجرد عنها

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد؛ فيريهم عيب المال ويُخوفهم من شرّه، فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر، فكانت مقاصدهم صالحة، وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم، فأما الآن فقد كُفِيَ إبليس هذه المؤنة فإن أكف كسبهم للأموال ضياع.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا أبو بكر بن خلف، قال: نا محمد بن الحسين السُّلمي، قال: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سمعت جماعة من مشايخ الرَّي يقولون: ورث أبو عبد الله المقري من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضِّياع والعَقَار، فخرج عن جميع ذلك وأنفقه على الفقراء[2].

---

(١) السّوداء: أحد الأخلاط الأربعة التي زعم الأقدمون أن الجسم مهيأ عليها، بها قوامه، ومنها صلاحه وفساده، وهي: الصفراء، والدّم، والبلغم، والسوداء. المعجم الوسيط (ص٤٦١).

(٢) لم أقف عليه في كتاب اللمع للطوسي، ولا في غيره.

وقد روي مثلُ هذا عن جماعة كثيرة، وهذا الفعل لا ألومُ صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه، أو كانت له صناعة يستغني بها عن الناس، أو كان المال من شُبهةٍ فتصدَّق به[١]. وأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى الناس أو افتقر عياله، فهو إما أن يتعرض بمنن الإخوان أو بصدقاتهم، أو يأخذ من أرباب الظلم والشبهات، فهذا الفعل هو المذموم المنهي عنه!

ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم، وإنما أتعجب من أقوام لهم علم وعقل كيف حَثُّوا على هذا وأمروا به مع مضادته للشرع والعقل!

فذكر الحارث المحاسبي في هذا كلامًا طويلًا[٢]، وشيده أبو حامد الطوسي ونصره[٣]، والحارثُ أعذر عندي من أبي حامد؛ لأن أبا حامد كان أفقه، غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نُصرة ما دخل فيه.

فمن كلام المحاسبي في هذا أنه قال[٤]: أيها المفتون، متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه، فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين، وزعمت أن رسول الله لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم، وزعمت أن الله تعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم، وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة، ودَّ ابن عوفٍ في القيامة أن لم يؤت من الدنيا إلا قوتًا.

---

(١) بل فعلوا ذلك لاعتقادهم أن (التعلّق بالأسباب مع المسبب: علة في المكان، وحجاب قاطع عن الحقيقة، فكان إنفاقهم وبذلهم وخروجهم من الأملاك فرارًا من العلة وقطعًا للعلاقة). وهذا كما نلاحظ منهج بعيد كل البُعد عن هدي الكتاب والسُّنة، وممّا يدل على هذا الاحتراز الذي ذكره الطوسي بعد كلامه الذي سُقته آنفًا بقوله: (فمن بذل شيئًا من طريق السماحة والسخاوة، وظن أن طريقه طريق القوم فهو في غلط!) اللمع (ص٥٢٦).

(٢) انظر: كتاب النصائح للحارث (ضمن كتاب الوصايا) (ص٧٦ - ٩٣).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٦٥ - ٢٧١).

(٤) النصائح للحارث (ص ٧٦ - ٧٧) مطوّلًا.

ولقد بلغني[١] أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف، قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك. فقال كعب: سبحان الله، وما تخافون على عبد الرحمن؟! كسبَ طَيِّبًا وأنفق طيِّبًا وترك طيِّبًا. فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مُغضبًا يريد كعبًا، فمر بلحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبًا، فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك، فخرج هاربًا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر، فأقبل أبو ذر يقتص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخلوا قام كعب فجلس خلف عثمان هاربًا من أبي ذر، فقال له أبو ذر: هيه يا ابن اليهودية! تزعُمُ ألا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف، لقد خرج رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا**»[٢] ثم قال: «**يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وإنا نريد الأقل**»، فرسول الله يريد هذا وهذا وأنت تقول: يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف! كذبت وكذب مَنْ قال. فلم يرد عليه حرفًا حتى خرج[٣].

قال الحارث[٤]: فهذا عبد الرحمن في فضله يُوقف في عَرْصَة القيامة بسبب ما كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف، فمنع من السَّعي إلى الجنَّة مع الفقراء المهاجرين، وصار يحبو في آثارهم حبوًا[٥]، وقد كانت الصحابة إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدَّخر المال وتجمعه خوفًا من الفقر! وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه، وكفى به إثمًا، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها! وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَسِفَ على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة**

---

(١) القائل هو الحارث المحاسبي، النصائح (ص٧٨).
(٢) أصله في الصحيح أخرجه البخاري (٥/ ٥٤ رقم ٢٣٨٨)، ومسلم (٢/ ٦٨٧ رقم ٩٤)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٤ رقم ٤١٣٠)، وأحمد (٥/ ١٥٢).
(٣) النصائح (ص٧٨).
(٤) النصائح (ص٧٩ – ٩٠) مطوّلًا.
(٥) سيأتي تخريجه (ص ٤٥٠) حيث ساقه المؤلّف هناك بسنده.

سنة»[١]، وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله، ويحك! هل تجد في دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة؟ وأين الحلال فتجمعه؟ ويحك! إني لك ناصح، أرى لك أن تقنع بالبُلغة ولا تجمع المال لأعمال البر، فقد سئل بعض أهل العلم عن الرَّجل يجمع المال لأعمال البر، فقال: تركه أبرّ به!

وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين: **أحدهما**: طلب الدنيا حلالًا فأصابها فوصل بها رحِمهُ وقدَّم لنفسه، **والآخر**: جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها، فأيهما أفضل؟ فقال: بعيد والله ما بينهما، الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها[٢]!

فصل

قال المصنف: هذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة وأنه أُعطي المال فمَنَعَ الزكاةَ[٣].

قال أبو حامد[٤]: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فَقْدَ المال أفضل من وجوده وإن صُرِفَ إلى الخيرات؛ إذ أقل ما فيه اشتغال الهمّ بإصلاحه عن ذكر الله، فينبغي للمريد أن يخرج عن ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته، فما بقي له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله تعالى.

---

(١) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء كما في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٣٤٨) وقال: وإسناده ضعيف، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ٢٥٢): ضعيف جدًا.

(٢) النصائح (ص٩٠) مطوّلًا.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٧٠-٣٧١ رقم ١٦٩٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٧ رقم ١٠٤٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١٨-٢١٩ رقم ٧٨٧٣)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٨٩-٢٩٢)، وهذا الحديث قد ضعفه جماعة من الأئمة الحفاظ فيما يلي بعض أقوالهم: قال البيهقي في الدلائل (٥/ ٢٩٢): في إسناده نظر. وقال ابن حجر في تخريج أحاديث وآثار الكشاف (٢/ ٨٦): إسناده ضعيف جدًا.

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٧٣).

قال المصنف: وهذا كله خلاف الشرع والعقل، وسوء فهم للمراد بالمال!

فصل في رد هذا الكلام

○ أما شرف المال فإن الله تعالى عَظَّم قدره وأمر بحفظه؛ إذ جعله قوامًا للآدمي، وما جُعل قوامًا للآدمي الشريف فهو شريف، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]، ونهى ﷻ أن يُسلَّم المال إلى غير رشيد، فقال: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال[(١)]، وقال لسعد: «**لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس**»[(٢)]، وقال: «**ما نفعني مالٌ كمال أبي بكر**»[(٣)].

وأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا عبد الرحمن، قال: نا موسى بن عُلَيّ، عن أبيه، قال: سمعتُ عمرو بن العاص يقول: بعث إليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «**خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني**»، فأتيته فقال: «**إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة**». فقلت: يا رسول الله: ما أسلمتُ من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام. فقال: «**يا عمرو نِعمَّا بالمال الصالح للمرء الصالح!**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في مواضع، منها: (٣/ ٣٤٠ رقم ١٤٧٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤١ رقم ٥٩٣)، وأحمد (٤/ ٢٤٦)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع، منها: (٥/ ٣٦٣ رقم ٢٧٤٢)، ومسلم (٣/ ١٢٥٠ رقم ١٦٢٨)، وأبو داود (٣/ ٢٨٤ رقم ٢٨٦٤)، والنسائي (٦/ ٢٤١-٢٤٣)، وابن ماجه (٢/ ٩٠٣ رقم ٢٧٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٨ رقم ٣٦٦١)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ٣٦ رقم ٩٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٥٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ، بنحوه، قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٣/ ١٨٣): إسناده صحيح عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٠٢، ١٩٧)، والبخاري في الأدب المفرد (ص١١٢ رقم ٢٩٩)، والطبراني ←

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر، قالا: أخبرنا محمد بن الحسن [الباقلاني][(١)]، قال: أخبرنا أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد النيازكي، قال: أخبرنا أبو الخير أحمد بن محمد بن [الجليل][(٢)]، قال: نا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: نا موسى بن إسماعيل، قال: نا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير، وكان في آخر دعائه أن قال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له!**»[(٣)].

وأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن أخي الزهري، قال: أخبرني عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته، قال: فقلت يا رسول الله: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله تعالى وإلى رسوله، فقال: «**أمسك بعض مالك فهو خير لك**»[(٤)].

في الأوسط (٩/ ٢٢ رقم ٩٠١٢)، والحاكم (٢/ ٢، ٢٣٦). وقال في الموضع الأول: صحيح على شرط مسلم. وقال في الموضع الثاني: صحيح على شرطها. ووافقه الذهبي في الموضعين، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٥٦) وعزاه لأحمد والطبراني في الأوسط والكبير، ثم قال: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

(١) في جميع النّسخ (الباقلاوي)، وهو تحريف والتصويب من مصادر الترجمة.

(٢) في جميع النسخ (الخليل) بخاء معجمة، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٣) رواه البخاري(١١/ ١٣٦ رقم ٦٣٣٤)، ومسلم (٤/ ١٩٢٨ رقم ٢٤٨١)، وأحمد (٣/ ١٩٣-١٩٤)، والترمذي (٥/ ٦٤٠ رقم ٣٨٢٩)، وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٦-٤٥٩).ورواه البخاري (٨/ ٣٤١-٣٤٢ رقم ٤٦٧٦)، ومسلم (٣/ ٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩)، وأبو داود (٣/ ٦١٢ رقم ٣٣١٧)، والترمذي (٥/ ٢٦٣ رقم ٣١٠٢)، والنسائي (٧/ ٢٢، ٢٣).

قال المصنف: هذه الأحاديث مخرجة في الصحاح، وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجابٌ وعقوبة، وأن حبسه ينافي التوكل.

ولا يُنكر أنه يُخاف من فتنته، وأن خلقًا كثيرًا اجتنبوه لخوف ذلك، وأن جمعه من وجهه يعز، وسلامة القلب من الافتتان به يبعد، واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر؛ ولهذا خيفت فتنته.

○ فأما كسب المال فإن مَنِ اقتصر على كسب البلغة من حِلِّها فذاك أمر لابد منه، وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظر في مقصوده: فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته، وادَّخر لحوادث زمانه وزمانهم، وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أُثيب على قصده، وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات.

وقد كانت نِيَّاتُ خَلقٍ كثير من الصحابة في جمع المال سليمة؛ لحسن مقاصدهم بجمعه، فحرصوا عليه وسألوا زيادته.

وأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: ثنا حماد بن خالد، قال: ثنا عبد الله -يعني ابن عمر العمري- عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ أقطع الزبير حُضْر فرسه[1] بأرض يقال لها ثرير، وأجرى الفرس حتى قام، ثم رمى سوطه فقال: «**أعطوه حيث بلغ السَّوطُ**»[2].

---

(١) أي: عَدْوَ فَرَسِهِ. النهاية (حضر).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٥٦)، ورواه أبو داود ا (٣/ ٤٥٣ رقم ٣٠٧٢)، وأورده ابن حجر في التلخيص (٣/ ٧٣) وعزاه لأحمد وأبي داود، وقال: وفيه العمري الكبير وفيه ضعف، وله أصل في الصحيح من حديث أسماء بنت أبي بكر. انظر البخاري (٦/ ٢٥٢ رقم ٣١٥١).

وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول: اللهم وسِّع عليَّ[١]!

وأبلغ من هذا: أن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥] مال إلى هذا فأرسل بنيامين معهم، وأن شعيبًا طمع في زيادة ما يناله فقال: ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ [القصص: ٢٧]، وأن أيوب لما عُوفي، نُثر عليه جراد من ذهب فأخذ يثني ثوبه يستكثر منه، وقيل له: أما شبعت؟ فقال: يا رب ومن يشبع من فضلك»[٢]. وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قُصد به الخير كان خيرًا محضًا.

○ وأما كلام المحاسبي فخطأ يدل على الجهل بالعلم، وقوله: إن الله تعالى نهى عباده عن جمع المال، وأن رسول الله نهى أمته عن جمع المال. فهذا محال! وإنما النهي عن سوء القصد بالجمع، أو عن جمع من غير حِلّه.

○ وما ذكره من حديث كعب وأبي ذرّ فمحال من وضع الجُهال، وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم، وقد روي بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت.

وأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا ابن مالك، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا حسن بن موسى، نا عبد الله بن لهيعة، حدثنا أبو قبيل، سمعت مالك بن عبد الله الزيادي يحدث عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاة، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن تُوفي وترك مالًا فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يَصِلُ فيه حقَّ الله فلا بأس به، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبًا، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهبًا أنفقه

---

(١) أخرج ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦١٤)، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال (ص١٧٠ رقم ٥٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥٣) أنه كان يدعو: اللهم هب لي حمدًا، وهب لي مجدًا، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٧ رقم ٢٧٩)، والنسائي (١/ ٢٠٠-٢٠١)، وأحمد (٢/ ٣١٤)، وابن حبان (١٤/ ١٢٠-١٢١ رقم ٦٢٢٩) وغيرهم من حديث أبي هريرة بنحوه.

ويتقبل مني أَذَرُ خلفي منه سِتّ أواق، أنشدك الله يا عثمان أسمعته؟ -ثلاث مرات- قال: نعم[١].

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت، وابن لهيعة مطعون فيه، قال يحيى[٢]: لا يحتج بحديثه. والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفي سنة خمس وعشرين، وعبد الرحمن توفي سنة اثنتين وثلاثين، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين[٣]، ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع[٤].

ثم كيف تقول الصحابة: إنا نخاف على عبد الرحمن؟! أَوَليس الإجماع منعقدًا على إباحة جمع المال من حِله، فما وجه الخوف مع الإباحة؟ أَوَيأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه! هذا قلة فهم وفقه.

ثم أينكر أبو ذر على عبد الرحمن، وعبد الرحمن خير من أبي ذر بما لا يتقارب[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٦٣).ورواه أبو يعلى في مسنده الكبير كما في المطالب العالية (١/ ٣٦٩ رقم ٩٥٧)،وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٤٢): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وقد ضعَّفه غير واحد، ورواه أبو يعلى في الكبير.وقال ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٣٧٠): الحديث في الصحيح دون هذه القصة، ودون قول عثمان ﷺ أنه سمعه.أخرجه البخاري (٣/ ٢٧٢ رقم ١٤٠٨).

(٢) كتاب التاريخ ليحيى بن معين (٢/ ٣٢٧ رقم ٥٣٨٨).

(٣) هذا وهم من المؤلّف – رحمه الله – لأن وفاتها كانت في سنة واحدة هي سنة ٣٢هـ. وابن كثير جعل وفاة أبي ذر سابقة على وفاة عبد الرحمن بن عوف.
انظر: البداية والنهاية (٧/ ١٦٤ – ١٦٥).

(٤) الحكم على هذا الحديث بالوضع غلطٌ من المؤلّف – رحمه الله – بل هو ضعيف بذكر القصّة وقول عثمان – رضي الله عنه – وانظر تعليق الحافظ عليه (ص١٠٧٤)، فقد ذكر أن أصله في الصحيح.

(٥) هذه مسألة مهمة من مسائل الاعتقاد، وهي مسألة المفاضلة بين الصحابة ﷺ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وعمل الصحابة:
- قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].
- ولما سبَّ خالد بن الوليد عبد الرحمن بن عوف، قال النبي ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدًا أنفق** ⇐

ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يَسِر سير الصحابة: فإنه قد خلَّف طلحة ثلاثمائة بهار، في كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار[١]: الحملُ[٢]، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف[٣]، وخلف ابن مسعود تسعين ألفًا[٤]، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلَّفوها ولم يُنكر أحدٌ منهم على أحد.

وأما قوله: إن عبد الرحمن يحبو حبوًا يوم القيامة. فهذا دليل على أنه ما يعرف الحديث، فإن هذا كان منامًا وليس هو في اليقظة، وأعوذ بالله أن يحبو عبد الرحمن في القيامة، أفترى مَنْ سبق وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة ومن أهل بدر والشورى!

ثم الحديث يرويه عُمارة بن زاذان، وقال البخاري[٥]: ربما اضطرب حديثه. وقال أحمد[٦]: يروي عن أنس أحاديث مناكير. وقال أبو حاتم الرازي[٧]: لا يحتج به. وقال الدارقطني[٨]: ضعيف.

مثل أُحُد ذهبًا، ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه» البخاري (٧/ ٣٤)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧).

- وقال ابن عمر: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان) رواه البخاري (٧/ ١٦).

وما ذكره المصنف رحمه الله صحيح؛ لأن أفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة باقي أهل الشورى، وهم: طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. انظر للتوسع: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٥٩، ١٦٧)، منهاج السنة (٤/ ٣٩٧)

(١) بهر: هو شيء يوزن به، وهو ثلاثمائة رطل، أو أربعمائة، أو ستمائة، أو ألف. القاموس المحيط (بهر).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٢)، وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٥/ ١١٤).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٠٩-١١٠)، ورواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (ص٣٤٢ رقم ٤١٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ١٦٠)، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال (ص٣٤٢)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ٧١٩ رقم ١٣١١).

(٥) التاريخ الكبير (٦/ ٥٠٥).

(٦) الجرح والتعديل (٦/ ٣٦٦).

(٧) انظر المرجع السابق، وفيه: يكتب حديثه ولا يحتج به، ليس بالمتين.

(٨) سؤالات البرقاني (ص٥٣ رقم ٣٧٤)، وزاد: لا يعتبر به.

أخبرنا به ابن الحصين: قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: نا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الصمد بن حسان، قال: أخبرنا عُمارة، عن ثابت، عن أنس قال: بينما عائشة في بيتها سمعت صوتًا في المدينة، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: عِير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء، قال: وكانت سبعمائة بعير، فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا، فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: إن استطعتُ لأدخلنها قائمًا! فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله ﷻ[1].

○ وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه. ليس كذلك! ومتى صحَّ القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء.

○ والحديث الذي ذكره عن رسول الله ﷺ: «**من أسف على دنيا فاتته**». مُحال! ما قاله رسول الله قط.

○ وقوله: هل تجد في دهرك حلالًا؟ فيقال له: وما الذي أصاب الحلالَ والنبي ﷺ يقول: «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن**»[2]؟ أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ما تقلبت في شبهة؟! هذا يبعد، وما طولبنا به. بل لو باع المسلم يهوديًا كان الثمن حلالًا بلا شك، هذه فتوى الفقهاء.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١١٥)..وذكر ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٣) أن أحمد قال: هذا الحديث كذب منكر. وعن النسائي: هذا حديث موضوع.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع، منها: (١/ ١٢٦ رقم ٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩ رقم ١٥٩٩)، وأبو داود (٣/ ٦٢٣-٦٢٤ رقم ٣٣٢٩-٣٣٣٠)، والترمذي (٣/ ٥١١ رقم ١٢٠٥)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٧/ ٢٤١-٢٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٨ رقم ٣٩٨٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠).

فأعجب لسكوت أبي حامد بل لنصرته ما حكى! وكيف يقول: إن فقد المال أفضل من وجوده، وإن صُرف إلى الخيرات! ولو ادُّعي الإجماع على خلاف هذا لصحَّ، ولكن تصوفه غيَّر فتواه.

وقد أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: حدثنا الأزجي، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد الساجي، قال: أخبرنا عبد العزيز بن جعفر، قال: حدثنا الخلال، قال: نا المروذي قال: سمعت رجلًا يقول لأبي عبد الله: إني في كفاية. فقال: الزم السوق تصل به الرحم وتعود به[(١)].

○ وقوله: ينبغي للمريد أن يخرج من ماله. قد بينا أنه إن كان حرامًا، أو فيه شبهة، أو آثر أن يقنع هو باليسير أو بالكسب، جاز له أن يخرج منه، وإلا فلا وجه لذلك، وأما ثعلبة فما ضَرَّه المال، إنما البخل بالواجب[(٢)].

وأما الأنبياء فقد كان لإبراهيم زرع ومال، ولشعيب وغيره، وكان سعيد بن المسيب يقول: لا خير فيمن لا يطلب المال؛ يقضي به دَيْنَه ويصون عِرضه، فإن مات تركه ميراثًا لمن بعده[(٣)]. وخلَّف ابن المسيب أربعمائة دينار[(٤)]، وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة، وقد خلَّف سفيان الثوري مائتين[(٥)]، وكان يقول: المال في هذا الزمان

---

(١) أخرجه المروذي في كتاب الورع (ص٢٤ رقم ٧٣)، وعنه رواه الخلال في الحث على التجارة (ص٢٥ رقم ١).

(٢) قد تقدّم (ص ٤٤٦) تخريج حديث ثعلبة بن حاطب ومنعه للزكاة، وبيان ضعفه الشديد وأقوال العلماء في ذلك، وسكت عنه هنا المؤلّف، كما أورده في تفسيره زاد المسير (٣/ ٤٧٢) وسكت عنه هناك؛ تبعًا لأكثر المفسرين، كما أن ما قاله المصنّف هنا – عفا الله عنّا وعنه – لا وجه له، وهو الذي عُرف عنه توقير الصحابة، واطّراح كل ما يشينهم ﷺ، وهي زلّة غير مقصودة بلا شك، الآفة فيها عدم سبر تلك الرواية الضَّعيفة.

(٣) أخرجه الخلال في الحث على التجارة (ص٨٠ رقم ٥١)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧٣).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (١/ ٧٢٠ رقم ١٣١٣)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧٣)، وكذا البيهقي في الشعب (٢/ ٩٢ رقم ١٢٥٣).

(٥) أورده المؤلف في صيد الخاطر (ص٢٩٠).

سلاح[١]. وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء، وإنما تجافاه قوم منهم إيثارًا للتشاغل بالعبادات وجمع الهم فقنعوا باليسير، فلو قال هذا القائل إن التقلل منه أولى قرب الأمر، ولكنه زاحم به مرتبة الإثم!

فصل

واعلم أن الفقر مرض، فمن ابتلي به فصبر أثيب على صبره، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام[٢]؛ لمكان صبرهم على البلاء، والمال نعمة، والنعمة تحتاج إلى شكر، والغني وإن تعب وخاطر كالمفتي والمجاهد، والفقير كالمنعزل في زاوية.

وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب «سنن الصوفية»، باب كراهية أن يخلف الفقير شيئًا، فذكر حديث الذي مات من أهل الصُّفَّة وخلَّف دينارين، فقال رسول الله ﷺ: «**كيَّتان**»[٣].

وهذا احتجاج من لم يفهم الحال، فإن ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء في أخذ الصدقة وحبس ما معه، فلذلك قال: «**كيَّتان**»، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال النبي ﷺ لسعد: «**لئن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالةً يتكففون الناس**»[٤]، ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئًا.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (ص١٨١ برقم ٧٨)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٨١)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (١١/ ١٦٨)، والذهبي في السير (٧/ ٢٤١).

(٢) هو نص حديث عن أبي هريرة يرفعه، رواه الترمذي (٤/ ٤٩٩ رقم ٢٣٥٣)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٣٨٠ رقم ٤١٢٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤١٢ رقم ١١٣٤٨)، وأحمد (٢/ ٢٩٦).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٨)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٠٥ رقم ٧٥٠٦، ٧٥٠٨)، قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٤٣): رجاله ثقات. وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب: أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٠١)، والبخاري في تاريخه الكبير (٢/ ١٤٠)، قال البخاري: إسناده مجهول. وله شواهد أخرى كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٣).

(٤) تقدم تخريجه (ص ٤٤٧).

وقد قال عمر بن الخطاب: حثَّ رسول الله ﷺ على الصَّدقة فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله: «**ما أبقيت لأهلك؟**». فقلت: «**مِثله**»[(١)]. فلم يُنكر عليه رسول الله.

قال ابن جرير الطبري[(٢)]: وفي هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهلة المتصوفة أنه ليس للإنسان ادخار شيء في يومه لغده، وأن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حقّ توكله.

قال ابن جرير[(٣)]: وكذلك قوله عليه السلام: «**اتخذوا الغنم؛ فإنها بركة**»[(٤)]: فيه دلالة على فساد قول مَن زعم من الصوفية أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسي كذلك، أترى كيف ادَّخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة[(٥)]!

فصل

وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون بالأوساخ ويطلبون، وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع، والعاقل يُعد للمستقبل، وهؤلاء مثلهم في إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من رَوَى في طريق مكة فبدد الماء الذي معه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٣١٢، ٣١٣ رقم ١٦٧٨)، والترمذي (٥/ ٥٤٧ رقم ٣٦٧٥)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (١/ ٢٨٠ رقم ١٦٦٢)، والحاكم (١/ ٤١٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال ابن حجر في التلخيص (٣/ ١٣٢): صححه الترمذي، وقوّاه البزار.

(٢) تهذيب الآثار (مسند عمر ١/ ٥٩).

(٣) لم أقف على هذا النقل، ولعلّه في القسم المفقود من تهذيب الآثار.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٧٣ رقم ٢٣٠٤)، وأحمد (٦/ ٤٢٤)، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه (٣/ ٤٠): إسناده صحيح ورجاله ثقات.وقال المناوي في الفيض (١/ ١١٢): رمز المصنف -يعني السيوطي في الجامع الصغير - لحسنه وهو كما قال أو أعلى، فإن رواة ابن ماجه ثقات.

(٥) أخرجه البخاري في مواضع، منها: (٧/ ٣٣٤) رقم ٤٠٣٣)، ومسلم (٣/ ١٣٧٦ رقم ١٧٥٧)، وأبو داود (٣/ ٣٧١ رقم ٢٩٦٥)، والترمذي (٤/ ١٨٨ رقم ١٧١٩)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (٧/ ١٣٢)، وأحمد (١/ ٢٥).

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: نا الحسين بن الفهم، قال: نا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: نا عبد الله بن أبي يحيى الأسلمي، عن عمر بن الحكم بن ثوبان عن جابر بن عبد الله قال: قدم أبو حصين السلمي بذهب من معدنهم، فقضى دينًا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمام، فأتى بها رسول الله فقال: يا رسول الله، ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيتَ. قال: فجاءه عن يمينه فأعرض عنه، ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه، ثم جاءه من بين يديه فنكَّس رسول الله رأسه، فلما أكثر عليه أخذها من يده فحذفه بها لو أصابته لعَقَرَتْهُ، ثم أقبل عليه رسول الله، فقال: «**يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد يتكفَّف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول**»[(١)].

وقد رواه أبو داود في سننه[(٢)] من حديث محمود بن لبيد، عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل بيضة[(٣)] من ذهب، فقال: يا رسول الله أصبتُ هذه من معدن، فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها. فأعرض رسول الله، ثم أتاه من قبل رُكنه الأيمن فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر، فأعرض عنه رسول الله، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته[(٤)] أو لعَقَرَتْه، فقال رسول الله: «**يأتي أحدكم بما يملك فيقول: هذه صدقة ثم يقعد يستكف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى**». وفي رواية أخرى[(٥)]: «**خذ عنا مالك لا حاجة لنا به**».

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٧٧)، وإسناده ضعيف جدًا؛ فيه الواقدي، وهو متروك.

(٢) كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله (٢/ ٣١٠ رقم ١٦٧٣)، ورواه أيضًا الدارمي (١/ ٢٧٩ رقم ١٦٦١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم. وأقرّه الذهبي.

(٣) زاد في «أ» في هذا الموضع: (الحمامة).

(٤) في جميع النّسخ: (لأقصعته)، وهو تحريف، والتصويب من سنن أبي داود وكتب التخريج.

(٥) عند أبي داود (٢/ ٣١١ رقم ١٦٧٤)، وذكرها أيضًا ابن خزيمة (٤/ ٩٨)، والبيهقي في السنن (٤/ ١٨١).

وروى أبو داود[١] من حديث أبي سعيد الخدري، قال: دخل رجل المسجد فأمر النبي ﷺ الناس أن يطرحوا ثيابًا فطرحوا، فأمر له منها بثوبين، ثم حث على الصدقة، فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: «**خذ ثوبك**»!

قال المصنف: ونقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل: قال: قال ابن شاذان: دخل جماعة من الصوفية على الشبلي، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله ما ينفقه عليهم، فردَّ الرسول وقال: يا أبا بكر، أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه! فقال للرسول: ارجع إليه وقل له: الدنيا سِفلة أطلبها من سِفلةٍ مثلك، وأطلب الحق من الحق! فبعث إليه مائة دينار. قال ابن عقيل: إن كان أنفذ إليه المائة دينار على الافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله؛ فقد أكل الشبلي الخبيث من الرِّزق وأطعمه أضيافه!

فصل

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها، وقال: ما أريد أن تكون ثقتي إلا بالله. وهذا قِلة فهم؛ لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال[٢].

---

(١) في كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله (٢/ ٣١٢ رقم ١٦٧٥)، ورواه أيضًا الترمذي (٢/ ٣٨٥ رقم ٥١١)، والنسائي (٣/ ١٠٦-١٠٧)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٣-٤١٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) من القواعد المقررة في عقيدة أهل السنة، كما بيّنها شيخ الإسلام ابن تيمية:

- أن من كانت الأسباب مقدورة له، وهو مأمور بها، فَعَلَها مع التوكل على الله. كما يؤدي الفرائض، وكما يجاهد العدو، ويحمل السلاح ويلبس لباس الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله، بدون أن يفعل ما أُمر به من الجهاد.
- أن من ظن أن التوكل يغني عن الأسباب المأمور بها، فهو ضال، ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرِّط مذموم.

ولهذا كان جماع هذا الأمر: أن الله خلق الأمور بأسباب، فالالتفات إلى الأسباب - بالاعتماد عليها وحدها، ظنًا أنها تؤثر بنفسها - شرك في التوحيد. والإعراض عن الأسباب أن تكون أسبابًا في وجود مسبباتها، نقص في العقل، إذ لا يتصور - عقلًا - أن يوجد مسبب أي أثر من غير سبب، والإعراض ⇐

وقد أخبرنا القزَّاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أخبرنا جعفر الخلدي في كتابه قال: سمعت الجنيد يقول: دققت على أبي يعقوب الزَّيات بابه في جماعة من أصحابنا، فقال: ما كان لكم شغل في الله ﷻ يشغلكم عن المجيء إليَّ؟ فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به لم ننقطع عنه، فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهمًا كان عنده ثم أجابني، فأعطى التوكل حقه، ثم قال: استحييت من الله تعالى أن أجيبك وعندي شيء[1].

قال المصنف: قلت: لو فهم هؤلاء معنى التوكل، وأنه ثقة القلب بالله تعالى، لا إخراج صور المال، ما قالوا هذا! ولكن قلَّ فهمهم، وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم، وقد روينا عن أبي بكر الصديق أنه قال حين أُمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة: فمن أين أطعم عيالي[2]؟ وهذا القول منكر عند الصوفية يُخرجون قائله من التوكل، وكذلك ينكرون على من قال: هذا الطعام يضرني! وقد رووا في ذلك حكاية:

أخبرنا بها أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: أخبرني أبو زرعة الطبري، وقال: أخبرني أبو بكر القاري، قال: سمعت أبا طالب الرازي يقول: حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقالوا لي: كُلْ. فقلت: لا آكل؛ فإنه يضرني! فلما كان بعد أربعين سنة صلّيت يومًا

عن الأسباب المأمور بها، والمقدورة للعبد، قدح في الشرع؛ لأن الأخذ بالأسباب مأمور به من جهة الشرع، فالإعراض عن الأمر اتهام للشرع، وتقديم للرأي عليه.

انظر: قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل، لابن تيمية (ص١٥٠-١٥٢)، مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١١٦، ١١٨-١٢٠).

(١) أخرجه أبو نعيم الحافظ في الحلية (١٠/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) تقدّم تخريج هذا الأثر (ص ٣٩٦)، وأورده المصنّف هناك مختصرًا وليس فيه اللفظ الذي هنا، وهو أثر واحد.

خلف المقام ودعوت الله تعالى وقلت: اللهم إنك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين. فسمعت هاتفًا يهتف بي ويقول: ولا يوم اللبن[(١)]!

قال المصنف: وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها.

واعلم أن من يقول: هذا يضرني، لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه، وإنما يريد أنه سبب للضّرر كما قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما نفعني مال كمال أبي بكر**»[(٢)]، وقوله: «**ما نفعني**» مقابل لقول القائل: ما ضرَّني. وصح عنه أنه قال: «**ما زالت أُكْلَةُ خيبر تُعَادُني حتى الآن حين قطعت أَبْهَرِي**»[(٣)].

وقد ثبت أنه لا رتبة أوفى من رتبة النبوة، وقد نسب النفع إلى المال، والضرر إلى الطعام، فالتحاشي عن سلوك طريقه تعاط على الشريعة، فلا يلتفت إلى هذيان من هذى في مثل هذا.

فصل

قد بيَّنا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدًا فيها، وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير، إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل؛ لما ذكرنا من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل.

---

(١) ذكره الكلاباذي في التعرّف لمذهب أهل التصوف (ص١٦٨) بلفظه، لكن من قول الوليد بن عبد الله السقاء، وكذا ابن الملقن في طبقات الأولياء (٢٢٧).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٠٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٥٠ رقم ٤٥١٢)، والدارمي (١/ ٢٧-٢٨ رقم ٦٨)، وللحديث شواهد، منها: حديث عائشة. ذكره البخاري (٨/ ١٣١ رقم ٤٤٢٨) معلقًا جازمًا، ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ١٦٢). **والأبهر**: عرق مستبطن الصلب، والقلب متصل به، فإذا انقطع لم تكن معه حياة. الغريب لأبي عبيد (١/ ٧٤).

فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدُّنيا وجمع المال من أي وجه كان؛ إيثارًا للرَّاحة وحُبًّا للشهوات، فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل، ويجلس في الرباط أو المسجد، ويعتمد على صدقات الناس وقلبه مُعلق بطرق الباب.

ومعلوم «**أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مِرَّة سَوِيّ**»[(١)]، ولا يبالون من بعث إليهم، فربما بعث الظالم والمكّاس فلم يردوه، وقد وضعوا بينهم في ذلك كلماتٍ:

- **منها**: تسمية ذلك بالفتوح[(٢)].
- **ومنها**: إن رزقنا لابد أن يصل إلينا[(٣)].
- **ومنها**: إنه مِن الله، ولا يرد عليه ولا يشكر سواه[(٤)].

وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها! وعكس ما كان السلف الصالح عليه: فإن النبي ﷺ قال: «**الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما متشابهات، فمن تركها استبرأ لدينه**»[(٥)]، وقد قاء أبو بكر الصديق من أكل الشبهة[(٦)]، وكان الصالحون لا يقبلون عطاءَ ظالم ولا من في ماله شبهة، وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان؛ عفافًا وتنزهًا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٨٥ رقم ١٦٣٤)، والترمذي (٣/ ٤٢ رقم ٦٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٤)، والحاكم (١/ ٤٠٧). قال الترمذي: حديث حسن. وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(٢) انظر: كشف المشكل للمؤلّف (١/ ٥٠ – ٥١)، ومعنى **الفتوح**: هي كل ما يُفتح على العبد من الله تعالى، بعد ما كان مغلقًا عليه، من النعم الظاهرة والباطنة: كالأرزاق، والعلوم، والمعارف، والمكاشفات، وغير ذلك.
انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشاني (ص٧٦)، رشح الزلال له (ص١١٩)، معجم الكلمات الصوفية للنقشبندي (ص٦٢)، المعجم الصوفي د. الحفني (ص١٨٩).

(٣) انظر: قوت القلوب للمكي (٢/ ٣٧٩، ٣٨١)، آداب المريدين للسهروردي (ص٢٤، ٩٤).

(٤) انظر: قوت القلوب للمكي (٢/ ٣٨٥)، ومما جاء فيه قوله: (كان بعض العلماء يقول: لا تأكل إلا عند من يعلم أنك أكلت رزقك، ولا تشكر عليه إلا ربَّك». وانظر (ص٣٨٦) منه، حيث ذكر قصة عجيبة عن شقيق البَلْخِي، تنبئ عن مدى جهلهم، بل وإساءتهم!

(٥) تقدم تخريجه (ص ٤٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (٧/ ١٤٩ رقم ٣٨٤٢).

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، قال: نا محمد بن أبي الفوارس، قال: نا أحمد بن جعفر بن سلم، قال: نا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، قال: حدثنا أبو بكر المروذي، قال: ذكرت لأبي عبد الله رجلًا من المحدثين، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي رجل كان لولا خلة واحدة! ثم سكت، ثم قال: ليس كل الخلال يكملها الرجل. فقلت له: أليس كان صاحب سنة؟ قال: لعمري! لقد كتبت عنه، ولكن خلة واحدة: كان لا يبالي ممن أخذ[١].

قال المصنف: وقد بلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة[٢]، فوعظه فأعطاه شيئًا فقبله، فقال الأمير: كلنا صيَّاد وإنما الشِّباك تختلف[٣]!

ثم أين هؤلاء من الأنفة من الذل للدنيا، فإن النبي ﷺ قال: «**اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى**»[٤]، واليد العليا هي المعطية، هكذا فسره العلماء[٥]، وهو الحقيقة، وقد تأوَّله بعض القوم فقال: العليا هي الآخذة[٦]. قال ابن قتيبة[٧]: ولا أرى هذا إلا إلا تأويل قومٍ استطابوا السؤال، وهم يحتجون للدناءة.

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٤٥٥) لأبي طالب المكي.
(٢) هو الأمير بجكم التركي الماكاني كما جاء مُسمًّى في نشوار المحاضرة (٢/ ٣٥٩) والمنتظم (١٤/ ١٢)، وهو أمير الجيش في الدولة العباسية أيام الخليفة الراضي، قتل سنة ٣٢٩هـ (المنتظم ١٤/ ٩-١٤).
(٣) القصة رواها أبو القاسم التنوخي في نشوار المحاضرة (٢/ ٣٥٩)، وعنه أخرجها ابن الجوزي في المنتظم (١٤/ ١٢-١٣)، وانظر تحرير المقال فيما يحل ويحرم من بيت المال، للبلاطنسي (ص٢٨١).
(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٢٥٨ رقم ٦٤٤١)، ومسلم (٢/ ٧١٧ رقم ١٠٣٥)، والترمذي (٤/ ٥٥٣ رقم ٢٤٦٣) وقال: صحيح. والنسائي (٥/ ٦٠).
(٥) وقد وقع تفسير اليد العليا، واليد السفلى في بعض الروايات، وهو نصٌّ يرفع الخلاف، ويدفع تعسّف من تعسّف في تأويله. كما قال القرطبي. انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٩٦ - ٢٩٨)، تهذيب الآثار للطبري (مسند عمر ١/ ٣٧ - ٤٩). وقال ابن القيم: (وتفسير من فسَّر اليد العليا بالآخذة، باطل من وجوه..) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٢٤٣)، وانظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٢/ ٥٤١ - ٥٤٢).
(٦) ذكر هذا التأويل ونصره أبو طالب المكّي في «قوت القلوب» (٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩)، ولا يخفى ما في هذا التأويل من تكلّف، ودعوة إلى تكريس السؤال، والركون إلى البطالة، وترك الكسب!
(٧) ذكره الحافظ بنصه في الفتح (٣/ ٢٩٨)، وعزاه لابن قتيبة في غريب الحديث. ولم أهتد إليه فيه بعد البحث الشديد.

فصل

ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون في حصول الأموال من أي وجهٍ، ويفتشون عن مطاعمهم، وسئل أحمد بن حنبل عن سريّ، فقال: الشيخ المعروف بطيب الطعمة(١).

وقال سري: صحبت جماعة إلى الغزو فاكترينا دارًا فنصبت فيها تنورًا، فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور(٢).

فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فإنه يعجب! ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي: قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعةٍ قد خُلعت عليه، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة، فقلت: ويحكم! ما كفاكم أن فتحتم الدُّكان حتى تطوفوا على رؤوسكم بالسِّلَع، يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته، معوِّلا على الصدقات والصِّلات، ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان، ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم، ويهنئهم بملبوس لا يحلُّ، وولاية لا عدل فيها، والله إنكم أضر على الإسلام من كل مُضِرٍّ!

فصل

وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال الحاصل من الشبهات ثم ينقسمون:

- **فمنهم**: من يدعي الزهد مع كثرة ماله وحرصه على الجمع، وهذه الدعوى مضادة للحال.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٢٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١١٦-١١٧). وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٥٥٩).

○ **ومنهم:** من يظهر الفقر مع جمعه للمال، وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك.

وقد كان أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن المحلبان يلبس الصوف صيفًا وشتاءً، ويقصده الناس يتبركون به، فمات فخلّف أربعة آلاف دينار، وهذا فوق القبيح! وقد صح عن النبي ﷺ أن رجلًا من أهل الصُّفة مات فخلف دينارين فقال رسول الله: «**كيَّتان**»[١].

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في لباسهم

قال المصنف: لما سمع أوائل القوم أن النبي ﷺ كان يرقع ثوبه[٢]، وأنه قال لعائشة ﵂: «**لا ترفعي ثوبًا حتى ترقعيه**»[٣]، وأن عمر بن الخطاب كان في ثوبه رقاع[٤]، وأن أويسًا القرني كان يلتقط الرِّقاع من المزابل، فيغسلها في الفرات، ثم يُخيطها فيلبسها[٥]؛ اختاروا المرقعات.

ولقد أبعدوا في القياس! فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة[٦]، ويعرضون عن زينة الدنيا زهدًا، فكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر، كما روينا عن

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٥٥).

(٢) روى البخاري في الأدب المفرد (ص١٩٠ رقم ٥٤٠)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٠٦)، من حديث عائشة ﵂: «..ويرقع الثوب ويخيط». قال العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٣٦٠): رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٢١٥ رقم ١٧٨٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٣٩-١٤٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان. وقال الحاكم: صحيح. وتعقبه الذهبي بقوله: فيه سعيد بن محمد الوراق، وهو عدم. وقال ابن الجوزي: لا يصح.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩١٨ رقم ١٩)، وابن المبارك في الزهد (ص٢٠٨)، وأبو داود في الزهد (ص٧٤ رقم ٥٨).

(٥) ذكره أبو طالب المكّي في قوت القلوب (١/ ٥٣٠ – ٥٣١)، والمؤلّف في كتابه التبصرة (ص٢١٠).

(٦) **البذاذة**: الرثاثة في الهيئة. الغريب لأبي عبيد (٤/ ١٤٨)، النهاية (بذذ).

مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز وعليه قميص وسخ، فقال لامرأته فاطمة: اغسلي قميص أمير المؤمنين! فقالت: والله ما له قميص غيره[١]. فأما إذا لم يكن هذا للفقر، وقصد البذاذة فما له معنى!

فصل

فأما صوفية زماننا فإنهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة، كل واحد منها على لون، فيجعلونها خرقًا ويلفقونها، فيجمع ذلك الثوب وصفين: الشهوة والشهرة، فإن لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج، وبها يشتهر صاحبها أنه من الزهاد، أفتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف؟ كذا قد ظنوا! فإن إبليس قد لبَّس عليهم وقال: أنتم صوفية؛ لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك[٢]. أتراهم ما علموا أن التصوف معنى لا صورة[٣]؟! وهؤلاء قد فاتتهم النسبة في الصورة والمعنى:

- **أما الصورة** فإن القدماء كانوا يرقعون ضرورةً، ولا يقصدون التحسن بالرقع.
- **وأما المعنى** فإن أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد.

فصل

ومن هؤلاء المذمومين: من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه، وهذا لص ليلي!

ومنهم: من يلبس الثياب اللينة على جسده، ثم يلبس الصوف فوقها وهذا نهاري مكشوف.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٥٨)، وابن الجوزي في مناقب عمر بن عبد العزيز (ص١٨٢).

(٢) انظر: آداب المريدين للسهروردي (ص٢٧).

(٣) أي: تصوّف الأوائل، الذي كان زهدًا في الدنيا وإقبالًا على الآخرة، بالعبادة وأعمال القلوب، لا مجرّد لباس متميز، ولقب مدّعى.

وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية، وصعب عليهم البذاذة، وأحبُّوا التنعم، ولم يروا الخروج عن صورة التصوف؛ لئلا يتعطل المعاش، فلبسوا الفُوَطَ الرفيعة، واعتَمّوا بالرومي الرفيع، إلا أنه بغير طراز، فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبَّس عليهم إبليس أنكم صوفية بنفيس النفش[١]، وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا، ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومفارقة الفقراء؛ كِبرًا وتعظمًا، وقد كان عيسى بن مريم يقول: «يا بني إسرائيل، ما لكم تأتون وعليكم ثياب الرهبان، وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري، البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية»[٢].

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أنا أبو نعيم الحافظ، قال: أنا أحمد بن جعفر بن معبد، قال: نا يحيى بن مُطرِّف، قال: حدثنا أبو ظفر، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: «إن من الناس ناسًا إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم، وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم، فكونوا من قراء الرحمن، بارك الله فيكم»[٣].

أخبرنا محمد، قال: أخبرنا حمد، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه، قال: نا أحمد بن محمد الخلال، وقال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا هُدبة، قال: نا حزم، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «إنكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير، فإنكم في زمان كثير تفاحشهم، قد انتفخت

---

(١) في «أ» و«ت»: (بنفس النفس)، وفي «ك»: (بنفس النفش).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص١٩٣ رقم ١٥٣).
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٦٣).

ألسنتهم في أفواههم؛ فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم في شبكاتهم!»[(١)].

أخبرنا محمد بن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: نا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني مهنا الشامي، قال: نا ضمرة، عن سعيد بن شِبْل، قال: «نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم المسجد فجلس إليه، فقال له: هل لك أن أكلم لك بعض العشارين[(٢)] يجرون عليك شيئًا وتكون معهم؟ قال: ما شئتَ يا أبا يحيى. قال: فأخذ كفًّا من تراب فوضعه على رأسه»[(٣)].

أخبرنا المحمدان قالا: أخبرنا حمد، قال: أخبرنا أحمد، قال: أخبرنا فاروق بن عبد الكبير الخطابي، قال: نا هشام بن علي السِّيرافي، قال: نا فِطر بن حماد بن واقد، قال: نا أبي، قال: نا مالك بن دينار، قال: كان فتى يتقرى فكان يأتيني، فابتلي فوَلِي الجسرَ، فبينما هو يصلي إذ مرت سفينة فيها بَطٌّ، فنادى بعض أعوانه: قَرِّب لنأخذ للعامل بطة. فأشار بيده: سبحان الله، أي: بطتين، قال: فكان أبي إذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء[(٤)].

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: سمعت محمد بن خفيف يقول: قلت لرويم: أوصني! فقال: هو بذل الروح، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٦٣).وذكره السيوطي في الأمر بالاتباع (ص٢٣٥).

(٢) **العشارين**: جمع عشار، وهو قابض العشر من الأموال، والمراد هنا صاحب العشر والمكس الذي يؤخذ من أموال التجار.انظر: الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ص٢٤١)، القاموس المحيط (عشر).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٨٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٨٢-٣٨٣).

(٥) أخرجه السُّلمي في طبقات الصوفية (ص١٨٣)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٩٧)، والسيوطي في الأمر بالاتباع (ص٢٣٥).

أخبرنا ابن ناصر، قال: أبو عبد الله الحميدي، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأردستاني، قال: نا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبي، يقول: بلغني أن رجلًا قال للشبلي: قد ورد جماعة من أصحابك وهم في الجامع، فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط، فأنشأ يقول(١):

أما الخيامُ فإنها كخيامهم ** وأرى نساء الحي غير نسائها(٢)

قال المصنف: قلت: واعلم أن هذه البهرجة في تشبه هؤلاء بأولئك لا تخفى إلا على غبي في الغاية! فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد، والأمر في ذلك على نحو قول الشاعر(٣):

تَشَبَّهَتْ حورُ الظباءِ بِهِمُ ** إن سكنتْ فيكَ ولا مِثْلُ سكنْ

أصامتٌ بناطقٍ ونافرٌ ** بآنسٍ وذو خلا بذي شجنْ

مُشْتَبِهٌ أعرِفُهُ وإنما ** مغالطًا قلتُ لصحبي: دَارُ مَنْ

فصل

وأنا أكره لبس الفوط والمرقعات لأربعة أوجه:

- **أحدها**: أنه ليس من لباس السلف، وإنما كانوا يرقعون ضرورة.
- **والثاني**: أنه يتضمن ادعاء الفقر، وقد أُمر الإنسان أن يظهر نعمة الله عليه(٤).

---

(١) الأبيات في ديوان أبي بكر الشبلي (ص١٥٨).

(٢) أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق كما في مختصره لابن منظور (٢٨/ ١٨٥)، والسيوطي في الأمر بالاتباع (ص٢٣٦).

(٣) الأبيات من شعر مهيار الديلمي – المتوفى سنة ٤٢٨هـ – مع تقديم وتأخير، انظر ديوانه (٤/ ٤٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٨٢)، وابن أبي الدنيا في الشكر (ص٩٠ رقم ٥١)، والحاكم (٤/ ١٣٥)، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

○ **والثالث**: أنه إظهار للزهد، وقد أُمرنا بستره[١].

○ **والرابع**: أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين[٢] عن الشريعة، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وقد أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو النضر، قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، قال: نا حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٣].

وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر، قال: أخبرني أبي، قال: لما دخلت بغداد في رحلتي الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السُّكري لأقرأ عليه أحاديث، وكان من المنكرين على هذه الطائفة، فأخذت في القراءة، فقال: أيها الشيخ لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك! أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى في طلبه. فقلت: أيها الشيخ، وأي شيء أنكرت علي حتى أنظر فإن كان له أصل في الشريعة لزمته، وإن لم يكن له أصل في الشريعة تركته؟ فقال: هذه الشوازك[٤] التي في مرقعتك؟ فقلت: أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبي بكر

---

(١) أورد المصنّف عدّة أحاديث في هذا المعنى فانظرها (ص ٤٧٥- ٤٧٧).

(٢) **المتزحزحين**: البعيدين. مختار الصحاح، اللسان (زحح).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٠)، وأخرجه أبو داود (٤/ ٣١٤ رقم ٤٠٣١)، وعلق البخاري كما في الفتح (٦/ ٩٨) بعضه بصيغة التمريض، وذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤٠)، وقال: هذا إسناد جيد. وذكره العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٢٦٩)، وقال: رواه أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح.

(٤) **الشوازك**: فارسية معربة، قال في معجم الألفاظ الفارسية المعربة (ص٩٩): (الشاذكونة: الفراش، وثياب غلاظ مضرّبة تُعمل باليمن).

تخبر أن النبي ﷺ كان له جُبَّة مكفوفة الجيب والكُمَّين والفرجين بالديباج[١]، وإنما وقع الإنكار لأن هذه الشوازك ليست من جنس الثوب، والديباج ليس من جنس الجُبَّة، فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلًا في الشرع يجوز مثله[٢].

قال المصنف: قلت: لقد أصاب السُّكري في إنكاره وقل فقه ابن طاهر في الرد عليه، فإن الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها، كذلك فلا شهرة في لبسها، فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة، وشهرة دعوى الزهد، وقد أخبرتك أنهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة، يقصدون الشهوة لحسن ذلك والشهرة بالزهد؛ ولهذا وقعت الكراهة، وقد كرهها جماعة من مشايخهم لما بيَّنا:

○ أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: حدثنا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعت الحسين بن أحمد الفارسي يقول: سمعت أبا الحسين بن هند يقول: سمعت **جعفرًا الحذاء**، يقول: لما فقدوا الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وزينتها. يعني بذلك: أصحاب المصبغات والفوط[٣].

○ أخبرنا ابن حبيب، قال: أخبرنا ابن أبي صادق، قال: نا ابن باكويه، قال: أخبرني أبو يعقوب الخرَّاط، قال: سمعت **النوري** يقول: كانت المرقعات غطاء على الدُّر، فصارت جيفًا على المَزَابِل[٤].

○ قال ابن باكويه: وأخبرني أبو الحسن الحنظلي، قال: نظر **محمد بن علي الكتاني** إلى أصحاب المرقعات فقال: إخواني إن كان لباسكم موافقًا لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها، وإن كان مخالفًا لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة[٥]!

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٤١ رقم ٢٠٦٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه محمد بن طاهر المقدسي في صفوة التصوف (ص٥٠٤).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٥١)، وأورده القشيري في الرسالة (ص٨٤).

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٤١٩)، ومحاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٤٧٧)، ولكنه منسوب لابن السماك الصوفي.

○ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر بن خلف، قال: حدثنا محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت نصر بن أبي نصر يقول: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدّينوري لبعض أصحابه: لا يعجبنك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن[1].

○ قال **ابن عقيل**: دخلت يومًا الحمام فرأيت على بعض أوتاد المسلخ[2] جُبَّةً مشوزكة مرقعة بفوط، فقلت للحمامي: أرى سلخ الحية فمن داخل؟ فذكر لي بعض من يتصفف للبلاء حوشًا للأموال.

فصل

وفي الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة في الحد:

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن رامين الإستراباذي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازي، قال: أخبرنا جعفر الخلدي، قال: نا ابن حباب أبو الحسين صاحب ابن الكرنبي قال: أوصى ابن الكرنبي بمرقعته، فوزنت فرد كُمٍّ من أكمامها فإذا فيه أحد عشر رطلًا، قال جعفر: وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت الكبْل[3][4].

فصل

وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ، وجعلوا لها إسنادًا متصلًا،

---

(١) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية (ص٥١٥).

(٢) **المسلخ**: هو موضع السلخ. محيط المحيط (سلخ)، والمقصود هنا المكان المعد لخلع الثياب.

(٣) **الكبْل**: القيد من أي شيء كان. المعجم الوسيط (ص٧٧٤).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٤) وذكره الطوسي في اللمع (ص١٩٨) بنحوه.

كله كذب ومحال[١]، وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه[٢] فقال: باب السنة في لبس الخرقة من يد الشيخ. فجعل هذا من السنة! واحتج بحديث أم خالد أن النبي ﷺ أُتي بثياب فيها خميصة[٣] سوداء فقال: «**مَنْ ترون أكسو هذه؟**» فسكت القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بأم خالد**»، قالت: فأُتي بي فألبسنيها بيده. وقال: «**أبلي وأخلقي!**»[٤].

قال المصنف: قلت: إنما ألبسها رسول الله لكونها صبية، وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص وأمها هُمَيْنَة بنت خلف قد هاجرا إلى أرض الحبشة، فولدت لهما هناك أم خالد، واسمها [أمة][٥]، ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ بذلك لصغر سنها وكما اتفق، فلا يصير هذا سنة، وما كان من عادة رسول الله إلباس الناس، ولا فعل هذا أحد من أصحابه وتابعيهم.

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء، بل مرقعة أو فوط، فهلا جعلوا السنة إلباس الخرق السود كما في حديث أم خالد!

---

(١) وممن تكلّم على إسناد المرقّعة وأبطله: شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: (وأمّا الإسناد المذكور ما بين أبي سعيد إلى عمر فمجهول، ولا أعرف لهؤلاء ذكرًا في كتب الزهد والرقائق، ولا في كتب الحديث والعلم) مجموع الفتاوى (١١/ ١٠٤).

(٢) صفوة التصوف (ص٢٢٢).

(٣) **خميصة**: جمعها خمائص، وهي الثياب من خزّ أو الصوب، وهي معلّمة وسود، كانت من لباس الناس. الغريب لأبي عبيد (١/ ٢٢٦ - ٢٢٧)، النهاية (خمص).

(٤) أخرجه البخاري في مواضع منها (١٠/ ٢٧٩ رقم ٥٨٢٣)، وأبو داود (٤/ ٣١١ رقم ٤٠٢٤)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٦٤)، والحاكم (٢/ ٦٣).

(٥) في «أ»: (أمية)، وكلاهما وارد كما في الإصابة (١٣/ ١٥٩).

وذكر محمد بن طاهر في كتابه[1] فقال: باب السنة فيما يشترط الشيخ على المريد في لبس المرقعة. واحتج بحديث عبادة: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر»[2]، فانظر إلى هذا الفقه الدقيق، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله الواجب الطاعة في البيعة الإسلامية اللازمة[3]!

فصل

فأما لبسهم المصبغات فإنها إن كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض، وإن كانت فوطًا فهو ثوب شهرة، وشهرته أكثر من شهرة الأزرق، وإن كانت مرقعة فهي أكثر شهرة من المرقع، وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لبس الشهرة:

○ **فأما أمره بالثياب البيض:**

○ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا علي -يعني: ابن عاصم- قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**البسوا من ثيابكم البيض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفِّنوا فيها موتاكم**»[4].

---

(١) صفوة التصوف (ص٢٢٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٤٤٥-٤٤٦)، ورواه البخاري في مواضع، منها: (١٩٢ رقم ٧١٩٩-٧٢٠٠)، ومسلم (٣/ ١٤٧٠ رقم ١٧٠٩)، وغيرهم.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٩-٢٥)، فتاوى السُّبكي (٢/ ٥٤٨ - ٥٥١)، تنقيح الفتاوى الحامدية لابن عابدين (٢/ ٣٣٤)، الحاوي للسيوطي (١/ ٢٥٣)، تفسير الألوسي (سورة الجمعة: قوله تعالى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾)، الدين الخالص لمحمود خطاب السُّبكي (٦/ ٢٩٠)، نصيحة ذهبية لمشهور سلمان.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٧)، ورواه أبو داود (٤/ ٢٠٩ رقم ٣٨٧٨)، والترمذي (٣/ ٣١٩-٣٢٠ رقم ٩٩٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ٤٧٣ رقم ١٤٧٢)، والحاكم (١/ ٣٥٤)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

○ قال عبد الله، وحدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، قال: حدثني حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ، قال: «**البسوا الثياب البيض؛ فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم**»(١).

قال الترمذي(٢): هذان حديثان صحيحان، وفي الباب عن ابن عمر. قال: وهذا الذي يستحبه أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل وإسحاق: أحب الثياب إلينا أن نكفن فيها البياض.

وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه(٣) فقال: باب السنة في لبسهم المصبغات، واحتج بأن النبي ﷺ لبس حُلة حمراء(٤)، وأنه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء(٥).

قال المصنف: قلت: ولا ينكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا، ولا أن لُبسه جائز، وقد روي أنه كان تعجبه الحبرة(٦)، وإنما المَسْنُون الذي يأمر به ويدوم عليه، وقد كانوا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٣)، ورواه الترمذي (٥/ ١٠٩ رقم ٢٨١٠)، وقال: حسن صحيح. ورواه النسائي (٤/ ٣٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٨١ رقم ٣٥٦٧)، وأحمد (٥/ ١٧-١٨، ١٩)، والحاكم (١/ ٣٥٤-٣٥٥) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) قال الترمذي في السنن (٣/ ٣٢٠) عن الحديث السابق (ص ٤٧٣): حسن صحيح، وفي الباب عن سمرة وابن عمر وعائشة. وقال عن حديثنا هذا (٥/ ١٠٩): حسن صحيح، وفي الباب عن ابن عبّاس وابن عمر.

(٣) صفوة التصوف لمحمد بن طاهر المقدسي (ص٢٣٧ – ٢٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٠٥ رقم٥٨٤٨)، ومسلم (٤/ ١٨١٨ رقم ٢٣٣٧)، وأبو داود (٤/ ٣٨٨ رقم ٤٠٧٢)، والترمذي فيه (٤/ ١٩١ رقم ١٧٢٤) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٨/ ٢٠٣)، وأحمد (٤/ ٢٨١).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٩٩٠ رقم ١٣٥٨)، وأبو داود (٤/ ٣٤٠ رقم ٤٠٧٦)، والترمذي (٤/ ١٩٧ رقم ١٧٣٥) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٨/ ٢١١)، وابن ماجه (٢/ ٩٤٢ رقم ٢٨٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٦٣، ٣٨٧).

(٦)أخرجه البخاري (١٠/ ٢٧٦ رقم ٥٨١٢)، ومسلم (٣/ ١٦٤٨ رقم ٢٠٧٩)، وأبو داود (٤/ ٣٣١ رقم ٤٠٦٠)، والترمذي (٤/ ٢١٩ رقم ١٧٨٧)، وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي (٨/ ٢٠٣)، وأحمد (٣/ ١٣٤).

والحبير من البرود: ما كان موشيًا مخططًا، يقال: برد حبير، وبرد حبرة بوزن عنبة على الوصف ﴿

يلبسون الأحمر والأسود، فأما الفوط والمُرقع فإنه لباس شهرة.

فصل

○ **فأما النهي عن لباس الشهرة وكراهته:**

○ فأخبرنا أبو منصور بن خيرون، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنا ابن رزقويه، قال: حدثنا جعفر بن محمد الخلدي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمي، قال: حدثنا روح بن عبد المؤمن، قال: نا وكيع بن مُحرز السامي، قال: نا عثمان بن جهم، عن زر بن حبيش، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه**»[1].

○ أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد قال: أنبأنا الحسن بن علي التميمي، قالا: أخبرنا أبو حفص بن شاهين، قال: حدثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة، قال: نا محمد بن الهيثم، قال: نا أحمد بن أبي شعيب الحرَّاني، قال: حدثنا مخلد بن يزيد، عن أبي نعيم، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة وزيد بن ثابت، عن النبي ﷺ: أنه «نهى عن الشهرتين، فقيل: يا رسول الله وما الشُّهرتان؟ قال: **رِقة الثياب وغلظها، ولينها وخشونتها، وطولها وقصرها، ولكن سِدادٌ بين ذلك واقتصاد**»[2].

والإضافة، وهو برد عُمان. النهاية (١/ ٣٢٨) (حبر). وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٧٧): (قال ابن بطال: هي من برود اليمن تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عندهم. وقال القرطبي: سميت حبرة لأنها تحبر، أي: تزين، والتحبير التزيين والتحسين).

(١) لم أقف عليه من طريق الخطيب فيما بحثت فيه من كتبه المطبوعة، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٩٠-١٩١)، قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث زر، تفرد به وكيع عن عثمان. ورواه ابن ماجه (٢/ ١١٩٣ رقم ٣٦٠٨)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٩٠): هذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ١٦٩ رقم ٦٢٣١)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير كما في الفيض ☜

○ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن علي بن ميمون، قال: أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الغُنْدجاني، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبدان، قال: نا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: قال موسى: نا حماد بن سلمة، عن ليث، عن مهاجر، عن ابن عمر قال: «من لبس ثوبًا مشهورًا أذلّه الله يوم القيامة»[(١)].

قال المصنف: وقد روي لنا مرفوعًا: فأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا حجَّاج، قال: حدثنا شريك، عن عثمان بن أبي [زرعة][(٢)]، عن مهاجر الشامي، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة**»[(٣)].

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف، قالا: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا أبو بكر بن بُخَيْت، قال: حدثنا أبو جعفر بن ذَرِيح، قال: نا هناد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن ليث، عن [مهاجر بن عمرو][(٤)]، عن ابن عمر قال: «من لبس شهرة من الثياب ألبسه الله ذلة»[(٥)].

(٦/ ٣١٧) وضعّفه. وله شاهد بمعناه من طريق كنانة مرفوعًا، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٧٣)، وقال الألباني في حجاب المرأة المسلمة (ص٢١٥): إسناده صحيح، لكنه مرسل؛ فإن كنانة هذا تابعي.

(١) لم أقف عليه من طريق البخاري فيما بحثت فيه من كتبه، لكن وقفت عليه من غير طريق البخاري: فرواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٥٠٠)، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٨٠-٨١ رقم ١٩٩٧٩).

(٢) في جميع النسخ: (راشد)، وهو خطأ. والتصويب من مصادر الترجمة والتخريج.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٣٩)، ورواه أبو داود (٤/ ٣١٤ رقم ٤٠٢٩)، والنسائي في الكبرى، (٥/ ٤٦٠ رقم ٩٥٦٠)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢ رقم ٣٦٠٦)، وأحمد (٢/ ٩٢)، قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٨/ ٤٣): إسناده صحيح. وذكره ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٤٩٠) وقال: قال أبي: هذا الحديث موقوفًا أصح.

(٤) في جميع النسخ: (مهاجر بن أبي الحسن)، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٥) أخرجه هناد بن السري في الزهد (٤٢٨ رقم ٨٤٠) موقوفًا على ابن عمر.

○ وعن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أبي الدرداء قال: «من ركب مشهورًا من الدواب، أو لبس مشهورًا من الثياب؛ أعرض الله عنه ما دام عليه، وإن كان عليه كريمًا»[١].

قال المصنف: وقد روينا أن ابن عمر رأى على ابنه ثوبًا قبيحًا دونًا فقال: لا تلبس هذا، فإن هذا ثوب شهرة[٢].

○ أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا إسماعيل بن مسعدة، قال: أخبرنا حمزة بن يوسف، قال: أخبرنا أبو أحمد بن عدي، قال: نا أحمد بن محمد بن الهيثم الدوري، قال: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: حدثنا محمد بن مزاحم، قال: نا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر فكنت فيمن صعد الثَّلْمَة، فقاتلت حتى رؤي مكاني، وأتيت وعليَّ ثوب أحمر، فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبًا أعظم منه؛ للشهرة[٣].

○ وقال سفيان الثوري: كانوا يكرهون الشُّهرتين: الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم. والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل[٤].

○ وقال معمر: عاتبت أيوب على طول قميصه، فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله، وهي اليوم في تشميره[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٨٤)، ورواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٨٠ رقم ١٩٩٧٦)، وذكره الذهبي في السير (٤/ ٣٧٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص٩١-٩٢ رقم ٦٧).

(٣) أخرجه أبو أحمد ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٤)، وأخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ١٥٣)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٠).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (ص٣٣٤ رقم ٤٠٠).

(٥) سيورده المصنّف بسنده (ص ٤٩٨)، وسيأتي تخريجه هناك.

فصل

ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبي ﷺ لبس الصوف، وبما روي في فضيلة لبس الصوف.

فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف(١): فقد كان يلبسه في بعض الأوقات، ولم يكن لبسه شهرة عند العرب.

وأما ما يروى في فضل لبسه: فمن الموضوعات التي لا يثبت منها شيء.

ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين:

- إما أن يكون متعودًا لُبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب، فلا يكره ذلك له؛ لأنه لا يشتهر به.
- وإما أن يكون مترفًا لم يتعوده، فلا ينبغي له لبسه لوجهين:
  - **أحدهما**: أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجوز له ذلك.
  - **والثاني**: أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد.

وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمذاني، قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي، قال: أخبرنا أبو ثابت [هجير](٢) بن منصور بن علي الصوفي إجازة، قال: نا أبو محمد جعفر بن محمد بن [الحسن](٣) بن إسماعيل الأبهري، قال: حدثنا ابن روزبة، قال: نا محمد بن إسماعيل بن محمد الطائي، قال: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، قال:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٦٨-٢٦٩ رقم ٥٧٩٩)، ومسلم (١/ ٢٢٨ رقم ٢٧٤)، وأبو داود (١/ ١٠٥ رقم ١٥١)، وأحمد (٤/ ٢٥١)، والحاكم (٣/ ٥١٠).

(٢) في «أ»: (سحر)، وفي «ك»: (سحير)، ولعلّ ما رُسم في «ك» أقرب إلى الصواب كما في مسند الفردوس (٤/ ١٠٠)، والسير (١٧/ ٥٧٧).

(٣) في «أ» (الحسين)، وهو موافق لما في السير للذهبي (١٧/ ٥٧٦).

نا محمد بن عبد الله بن سليمان، قال: نا داود، قال: حدثنا عباد بن العوام، عن عباد بن كثير، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقًا على الله أن يكسوه ثوبًا من جَرَبٍ حتى تساقط عروقه**»[(١)].

أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، قال: نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: نا العباس بن منصور، قال: حدثنا سهل بن عمار، قال: حدثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفي، قال: حدثنا محمد بن عبيد الهمذاني، قال: حدثني عبّاد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياءً**»[(٢)].

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: نا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: نا عبد الصمد، قال: نا خالد بن شوذب قال: شهدت الحسن وأتاه فرقد، فأخذ الحسن بكسائه فمده إليه، وقال: يا فريقد، يا ابن أم فريقد، إن البر ليس في هذا الكساء، إنما البر ما وقر في الصدر وصدَّقه العمل[(٣)].

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: أنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ١٠٠ رقم ٥٨٠٦)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٧٦)، وفي إسناده عباد بن كثير الثقفي، وهو متروك كما في ترجمته.

(٢) رواه الشجري في كتاب الأمالي (٢/ ٢٢٣)، وأخرجه ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٥٦) من طريق أبي حكيم الأزدي، وقال: أبو حكيم الأزدي شيخ يروي المناكير عن أقوام ضعاف. وذكر الذهبي هذا الحديث في الميزان (٤/ ٥١٦) في ترجمة أبي حكيم الأزدي، وقال: باطل.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على الزهد لأبيه (ص٣٢٧)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٤٧).

محمد بن سعد، قال: أخبرنا عمرو بن عاصم، قال: نا يزيد بن عوانة، قال: حدثنا أبو شداد المجاشعي قال: سمعتُ الحسن -وذُكِرَ عنده الذين يلبسون الصوف- فقال: ما لهم تفاقدوا ثلاثًا: أَكَنُّوا الكبر في قلوبهم، وأظهروا التواضع في لباسهم، والله لأحدهم أشد عجبًا بكسائه من صاحب المِطْرَف[١] بمِطْرَفه[٢].

أنبأنا ابن الحصين، قال: أنبأنا أبو علي التميمي، قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين، قال: نا محمد بن سعيد بن يحيى البزوري، قال: حدثنا عبد الله بن أيوب المخرمي، قال: حدثنا عبد المجيد يعني ابن أبي رواد، عن ابن طهمان يعني إبراهيم، عن أبي مالك الكوفي، عن الحسن: أنه جاءه رجل ممن يلبس الصوف وعليه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوف، فجلس فوضع بصره في الأرض، فجعل لا يرفع رأسه، فكأن الحسنَ خال فيه العُجْبَ، فقال الحسن: ها إن قومًا جعلوا كِبْرَهُم في صدورهم، شَنَّعوا والله دينهم بهذا الصوف! ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من زيِّ المنافقين. قالوا: يا أبا سعيد وما زي المنافقين؟ قال: خشوع اللباس بغير خشوع القلب[٣].

قال ابن عقيل: هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يغُرَّه اللباس، وقد رأينا الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف، فإذا قال له قائل: يا أبا فلان! ظهر منه ومن أوباشه الإنكار، فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء ما لا يعمله الديباج عند الأوباش.

---

(١) **المِطْرَف**: رداء من خز مربع، ذو أعلام. القاموس، تاج العروس (طرف).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٦٩)، ورواه الدولابي في الكنى (٢/ ٨)، ورواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص٩٠ رقم ٦٦).

(٣) تقدم تخريجه من قول الحسن في الأثر قبل هذا دون المرفوع منه، فإني لم أقف عليه فيما بحثت فيه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: نا أبو حامد بن جبلة، قال: نا محمد بن إسحاق، قال: نا إسماعيل بن أبي الحارث، قال: نا هارون بن معروف، عن ضمرة، قال: سمعت رجلًا يقول: قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاءه فرقد السَّبَخي وعليه ثوب صوفٍ، فقال له حماد: ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتنا ننظر إبراهيم - يعني: النخعي - فخرج علينا وعليه معصفرة[(١)(٢)].

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نُعيم الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: نا إبراهيم بن شريك الأسدي، قال: نا شهاب بن عباد، قال: نا حماد، عن خالد الحذاء، أن أبا قلابة قال: إياكم وأصحاب الأكسية[(٣)(٤)]!

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر، قالا: أخبرنا محمد بن الحسن [الباقلاني][(٥)]، قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: نا أبو نصر أحمد بن محمد النيازكي، قال: أخبرنا أبو الخير أحمد بن محمد البزار، قال: نا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حدثنا علي بن حجر، قال: نا صالح بن عمر الواسطي، عن أبي خلدة قال: جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف، فقال له أبو العالية: إنما هذه ثياب الرهبان، إن كان المسلمون إذا تزاوروا تَجَمَّلوا[(٦)].

---

(١) معصفرة: أي مصبوغة بالعصفر. مختار الصحاح، القاموس المحيط (عصفر).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢١-٢٢٢)، ورواه الدينوري في المجالسة (٥/ ١١٠ رقم ١٩٢٠)، وذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (١/ ٤١٥).

(٣) قال في القاموس: الكساء بالكسر معروف، جمع: أكسية، وبالفتح: المجد والشرف والرِّفعة. القاموس المحيط (كسوة).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٨٦-٢٨٧).

(٥) في جميع النّسخ: (الباقلاوي)، والتصويب من مصادر الترجمة.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص١٢٧ رقم ٣٤٨)، ورواه ابن سعد في الطبقات (٧/ ١١٥)، ﴿

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: نا أبو محمد بن حيَّان، قال: نا أحمد بن الحسين الحذاء، قال: نا أحمد بن إبراهيم الدَّورقي، قال: نا الفيض بن إسحاق، قال: سمعت الفُضَيل يقول: تزيَّنتَ لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأسًا، تزيَّنتَ لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسًا، تزينت لهم بشيء بعد شيء، كل ذلك إنما هو لحبِّ الدنيا(١).

أنبأنا ابن الحصين قال: أنبأنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين، قال: حدثنا إسماعيل بن علي، قال: أنا الحسن بن علي بن شبيب، قال: نا أحمد بن أبي الحواري، قال: قال أبو سليمان: «يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف، وشهوته في قلبه بخمسة دراهم، أما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه، ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له»(٢).

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي سليمان بن أبي سليمان - وكان يعدل بأبيه -: أي شيء أرادوا بلباس الصوف؟ قلت: التواضع. قال: ما يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف(٣).

أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد السمرقندي، قال: نا أبو بكر الخطيب، قال: أنا الحسن بن الحسين النعالي، قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح، قال: نا روح بن عبد المجيب، قال: نا أحمد بن عمر بن يونس، قال: أبصر الثوري رجلًا صوفيًا فقال له الثوري: لباسك هذا بدعة(٤).

وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٧)، وأورده الذهبي في السير (٤/ ٢١٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٨).

(٢) رواه الدينوري في المجالسة (٣/ ٥٠٩ رقم ١١٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٦٠)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٦٤-٣٦٥ رقم ٦٩٧٣)، وذكره الطوسي في اللمع (ص٢٤٨).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٤٤-١٤٥ رقم ١٤٤٧)، وانظر ما بعده.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: نا عبد المنعم بن عمر، قال: نا أحمد بن محمد بن زياد، قال: سمعت أبا داود يقول: قال سفيان الثوري لرجل عليه صوف: «لباسك هذا بدعة»[١].

أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، قال: أخبرني محمد بن عمر، قال: نا محمد بن المنذر، قال: سمعت أحمد بن شداد، يقول: سمعت الحسن بن الربيع، يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفًا مشهورًا: أكره هذا، أكره هذا[٢]!

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: أخبرني عبد الواحد بن بكر، قال: حدثنا علي بن أبي عثمان بن زهير، قال: نا عثمان بن أحمد، قال: نا الحسن بن عمرو، قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: دخل عليٌّ الموصلي على المعافى وعليه جُبَّة صوف، فقال له: ما هذه الشهرة يا أبا الحسن! فقال: يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت، فانظر أينا أشهر. فقال له المعافى: ليس شهرة البدن كشهرة اللباس[٣].

أخبرنا إسماعيل بن أبي بكر المقرئ، قال: أنا طاهر بن أحمد، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: نا الحسن بن عمرو، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بُديل على أيوب السختياني وقد مدّ على فراشه سبنية[٤] حمراء تدفع الرياء، فقال له بديل: ما هذا؟ فقال أيوب: «هذا خير من الصوف الذي عليك»[٥].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٣)، وأخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ١٨٠)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٤/ ٤٢٤) بنحوه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف على تخريجه.

(٤) سبنية: أُزُرٌ سود للنساء. القاموس المحيط (سبن).

(٥) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٧٩).

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، قال: حدثنا علان بن أحمد، قال: نا حبيب بن الحسن، قال: حدثنا الفضل بن أحمد، قال: نا محمد بن بشار، قال: سمعت بشر بن الحارث وسُئل عن لبس الصوف، فشقَّ عليه وتبيَّن الكراهة في وجهه، ثم قال: «لبس الخزِّ والمعصفر أحبُّ إليَّ من لبس الصوف في الأمصار»(١).

أخبرنا يحيى بن ثابت بن بُندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا الحسين بن علي الطَّناجيري، قال: أخبرنا أحمد بن منصور النُّوشَري، قال: نا محمد بن مخلد، قال: حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثني يزيد السَّقا رفيق محمد بن إدريس الأنباري، قال: رأيتُ فتًى عليه مُسوحٌ قال: فقلت: من لبس ذا من العلماء؟ مَنْ فعل هذا من العلماء؟ قال: قد رآني بشر بن الحارث فلم ينكر عليَّ. قال يزيد: فذهبت إلى بشر فقلت له: يا أبا نصر رأيتُ فلانًا عليه جُبَّة مسوح فأنكرتُ عليه، فقال: قد رآني أبو نصر فلم ينكر عليَّ. قال: فقال لي بشر: لم يستشرني يا أبا خالد، لو قلتُ له لقال: لبس فلان، ولبس فلان(٢).

أخبرنا حمد بن منصور الهمذاني، قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي، قال: أخبرنا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصُّوفي إجازة، قال: أخبرنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن إسماعيل الصوفي، قال: حدثنا ابن روزبة، قال: أنا عبد الله بن أحمد بن بشر القنطري، قال: نا إبراهيم بن محمد الإمام، قال: نا هشام بن خالد، قال: سمعت أبا سليمان الدَّاراني يقول لرجل لبس الصوف: إنك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف؟ فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهرك قطنيًا وباطنك صوفيًا(٣).

---

(١) لم أقف على تخريجه.
(٢) لم أقف على تخريجه.
(٣) لم أقف على تخريجه.

أخبرنا يحيى بن علي المدير، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، قال: أخبرنا الحسن بن الحسين بن حمكان، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان بن عبدويه البزاز، يقول: سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادي، يقول: سمعت ابن شيرويه يقول: دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف، فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صَوَّفتَ قلبك أو جسمك، صوِّفْ قلبك والبس القوهي(١) على القوهي(٢).

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد بن السراج، قال: أخبرنا عبد العزيز بن حسن الضَّرَّاب، قال: نا أبي، قال: نا أحمد بن مروان، قال: نا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: نا أحمد بن سعيد، قال: سمعت النَّضر بن شميل يقول: قلت لبعض الصوفية: تبيع جُبَّتك الصوف؟ فقال: إذا باع الصيادُ شبكته بأي شيء يصطاد(٣).

قال أبو جعفر بن جرير الطبري: ولقد أخطأ من آثر لباس الشَّعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السَّبيل إليه من حلّه، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خُبز البُرِّ، ومن ترك أكل اللحم خوفًا من عارض شهوة النساء(٤).

فصل

قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الإخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحًا.

---

(١) **القوهي**: ثياب بيض. مختار الصحاح، القاموس المحيط (قوه).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٦٦)، وسقط من إسناده (أبو بكر بن الزيات البغدادي).

(٣) رواه أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري في المجالسة (٥/ ٥٥ رقم ١٨٥٦)، وأخرجه الحسن بن إسماعيل الضراب في ذم الرياء (ص١٥٥ رقم ٦٥).

(٤) لم أقف على هذا النقل في كتب الطبري، وقد نقله عنه أيضًا القرطبي في تفسيره (٥/ ٢٦٢).

وقد أخرج مسلم في صحيحه[١] من حديث عمر بن الخطاب، أنه رأى حُلة سِيَرَاءَ[٢] تباع عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق[٣] له في الآخرة**». فما أنكر عليه ذِكر التجمُّل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريرًا.

وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال: «كان المسلمون إذا تزاوروا تجمَّلوا».

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي، عن ابن عون، عن محمد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباسًا مرتفعًا، وقد اشترى تميم الدَّاري حُلَّة بألف، ولكنه كان يصلي فيها[٤].

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان، قال: نا حماد بن زيد، قال: نا أيوب، عن محمد بن سيرين، أن تميمًا الدَّاري اشترى حُلَّة بألف درهم، فكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته[٥].

قال: ونا عفان، قال: نا حماد بن سلمة، عن ثابت، أن تميمًا الدَّاري كانت له حُلَّة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٣٨ رقم ٢٠٦٨)، والبخاري في مواضع، منها: (١٠/ ٢٩٦ رقم ٥٨٤١)، وأبو داود (٤/ ٣٢٠ رقم ٤٠٤٠)، والنسائي (٨/ ١٩٦-١٩٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٨٧ رقم ٣٥٩١)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩١٧)، وأحمد (٢/ ٢٠، ٣٩، ٥١).

(٢) **حلة سيراء**: الحلة: رداء وإزار، ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين. وسيراء: يخالطها حرير. الغريب لأبي عبيد (١/ ٢٢٨)، النهاية (حلل).

(٣) **خلاق**: نصيب. مختار الصحاح، اللسان (خلق).

(٤) أخرجه عبد الله في زوائده على الزهد (ص٢٤٨).

(٥) لم أقف عليه عند ابن سعد في طبقاته، ورواه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (ص٢٧٦ رقم ٢١٠)، والدينوري في المجالسة (٣/ ١٣٣ رقم ٧٦١).

(٦) لم أقف عليه عند ابن سعد في طبقاته، ورواه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٧١- ﷻ

قال: وأخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا همام، عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميمًا الدَّاري اشترى رداء بألف، فكان يصلي بأصحابه فيه[١].

قال المصنف: قلت: وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوبًا وأطيبهم ريحًا[٢]، وكان الحسن البصري يلبس الثياب الجياد، قال كلثوم ابن جوشن[٣]: خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمني، فنظر إليه فرقد، فقال: يا أستاذ، ينبغي لمثلك أن يكون هذا لباسه. فقال الحسن: يا ابن أم فرقد، أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية[٤]!

وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد[٥]، وكان ثوب أحمد بن حنبل يُشترى بنحو الدينار، وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حدٍّ، وربما لبسوا خُلقان الثياب في بيوتهم، فإذا خرجوا تجمَّلوا ولبسوا ما لا يشتهرون به من الدون ولا من الأعلى.

أخبرنا أحمد بن منصور الهمذاني، قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي، قال: أخبرنا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصوفي إجازة، قال: أخبرنا

---

٣٧٢ رقم ١٨٠٠)، والذهبي في السير (٢/ ٤٤٧)، ورواه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (ص٣٧٣ رقم ٣٢٣).

(١) لم أقف عليه عند ابن سعد في طبقاته، ورواه البغوي في مسند علي بن الجعد (٢/ ١١٠٦ رقم ٣٢٢٧)، وعنه -أي علي بن الجعد- ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (ص٣٧٣ رقم ٣٢٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٨)، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٥٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٤٠ رقم ٩١٧٦) بلفظه. وذكره الذهبي في السير (١/ ٤٦٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في آداب الحسن البصري وزهده (ص٩١)، وتقدّم تخريجه بنحوه برقم [٢٥١].

(٤) رواه ابن سعد في طبقاته (القسم المتمم ص٤٣٤) بلفظه. وذكره ابن قتيبة في المعارف (ص٤٩٨)، وابن خلكان في وفيات الأعيان (٤/ ١٣٨) بلا إسناد.

(٥) روى ذلك المؤلِّف في كتابه مناقب الإمام أحمد (ص٣٤٢) في الباب الثامن والأربعين في ذكر لباسه.

أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن إسماعيل الصوفي، قال: حدثنا ابن روزبة، قال: نا أبو سليمان محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم الحرَّاني، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: نا عيسى بن حازم، قال: كان لباس إبراهيم بن أدهم كتّانًا قطنًا فروًا، لم أر عليه ثياب صوفٍ ولا ثياب شهرة(١).

وأخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: سمعت محمد بن إبراهيم، يقول: سمعت محمد بن زبان يقول: رأى عليَّ ذو النون خفًّا أحمر فقال: انزع هذا يا بُني؛ فإنه شهرة، ما لبسه رسول الله، إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين(٢).

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن علي بن ميمون، قال: أخبرنا عبد الكريم بن محمد المحاملي، قال: أخبرنا علي بن عمر الدارقطني، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن [سالم](٣)، قال: أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني، قال: حدثني الزبير عن أبي غزيَّة الأنصاري، عن فليح بن سليمان، عن الربيع بن يونس، قال: قال أبو جعفر المنصور: العُرْي الفادح خير من الزيِّ الفاضح(٤).

فصل

قال المصنف: واعلم أن اللباس الذي يُزري بصاحبه يتضمن إظهار الزهد، وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى، ويوجب احتقار اللابس، كل ذلك مكروه منهي عنه.

---

(١) لم أقف على تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه (ص ١٠٨).
(٣) في الأصل و«ك»: (مسلم)، وفي «أ»: (سلم)، وكلاهما تحريف، والتصويب من مصادر الترجمة.
(٤) لم أقف على تخريجه.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا علي بن الحسين بن أيوب، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، قال: نا أبو بكر أحمد بن سلمان النَّجَّاد، قال: نا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي، قال: نا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: نا هشام بن عبد الملك، قال: نا شعبة، عن [أبي][1] إسحاق، عن أبي الأحوص، عن أبيه، قال: «أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة، فقال: هل لك مالٌ؟ قلت: نعم. قال: من أي المال؟ قلت: من كل المال قد آتاني الله ﷻ: من الإبل، والخيل، والرقيق، والغنم. قال: فإذا آتاك الله - جلَّ وعزَّ - مالًا فلير عليك»[2].

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا مسكين بن بُكير، قال: حدثني الأوزاعي، عن حسَّان بن عطية، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: أتانا رسول الله ﷺ زائرًا في منزلنا فرأى رجلًا شعثًا، فقال: «**أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه؟!**»، ورأى رجلًا عليه ثياب وسخة، فقال: «**أما كان يجد هذا ما يغسلُ به ثيابه؟!**»[3].

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري وأبو القاسم علي بن المحسِّن التنوخي، قالا: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حَيُّوَيْه، قال: نا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: نا أبو عكرمة الضَّبي، قال: نا مسعود بن بشر، عن

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النّسخ، والمثبت من مصادر التخريج وكتب التراجم.

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٣٢٣ رقم ٤٠٦٣)، والترمذي (٤/ ٣٢٠ رقم ٢٠٠٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٨/ ١٩٦)، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٧٣)،(٤/ ١٣٧)، والحاكم (١٤/ ١٨١)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٥٧)، ورواه أبو داود (٤/ ٣٣٢ رقم ٤٠٦٢)، و(٨/ ١٨٣-١٨٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٦)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ١٣٧): إسناده جيد.

أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: مضى علي بن أبي طالب ﷺ إلى الربيع بن زياد يعوده، فقال له: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك عاصمًا أخي. قال: ما شأنه؟ قال: ترك الملاذ، ولبس العباءة فَغَمَّ أهله، وحزن ولده. فقال: عليَّ عاصمًا! فلما حضر سُرَّ في وجهه وقال: أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها؟! أنت والله أهون على الله من ذلك، فوالله لابتذالك نِعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالك إياها بالمقال. فقال: يا أمير المؤمنين، إني أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الخشن. فتنفس الصعداء، ثم قال: ويحك يا عاصم! إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام؛ لئلا يتّبغ بالفقير فقره. قال أبو بكر بن الأنباري: المعنى: لئلا يزيد ويغلو، يقال: تَبَيَّغَ به الدم[1]، إذا زاد وجاوز الحد[2].

فصل

قال المصنف: فإن قال قائل: تجويد اللباس هوًى للنفس وقد أُمرنا بمجاهدتها، وتزيُّن للخلق وقد أُمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق.

فالجواب: أنه ليس كل ما تهواه النفس يُذمُّ، ولا كل التزين للناس يكره، وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه، أو كان على وجه الرِّياء في باب الدين، فإن الإنسان يُحبُّ أن يُرى جميلًا وذلك حظ النفس لا يلام فيه، ولهذا يسرح شعره، وينظر في المرآة، ويُسوِّي عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل، وظهارته الحسنة إلى خارج، وليس في شيء من هذا ما يُكرهُ ولا يُذمُّ.

(١) ويقال: تبوغ به الدم: أي غلبه وقهره. وانظر: القاموس المحيط (بيغ)، اللسان (بوغ، بيغ)، أما كلام ابن الأنباري، فإني لم أقف عليه بعد البحث.

(٢) لم أقف على تخريجه.

أخبرنا المبارك بن علي الصَّيرفي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: نا بنان بن سليمان، قال: نا عبد الرحمن بن هانئ، عن العلاء بن كثير، عن مكحول، عن عائشة قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم، وفي الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوِّي شعره ولحيته، فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال: «**نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه؛ فإن الله جميل يحب الجمال**»(١).

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن علي، قال: نا مسعود بن ناصر بن أبي زيد، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد، قال: نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: نا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العَرْزمي، عن أبيه، عن أم كلثوم، عن عائشة ﵂ قالت: «خرج رسول الله ﷺ فمرّ بركوة لنا فيها ماء، فنظر إلى ظِلّهِ فيها، ثم سوَّى لحيته ورأسه ثم مضى، فلما رجع قلت: يا رسول الله تفعل هذا؟ قال: **وأيّ شيء فعلتُ؟ نظرت في ظل الماء فهيَّأت من لحيتي ورأسي، لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه يُهيئ من نفسه**»(٢).

قال المصنف: فإن قيل: فما وجه ما رويتم عن سري السقطي أنه قال: لو أحسست بإنسان يدخل عليَّ فقلت كذا بلحيتي - وأمرَّ يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه - لخشيتُ أن يعذبني الله ﷻ على ذلك بالنار(٣)؟

---

(١) لم أقف عليه في القسم المطبوع من مكارم الأخلاق للخرائطي، ورواه ابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٧-٣٤٨)، قال ابن عدي - وذكر حديثًا آخر عن مكحول -: هذان الحديثان منكران عن مكحول. وللحديث شواهد كثيرة بلفظه، منها: حديث ابن مسعود عند مسلم (١/ ٩٣ رقم ٩١).

(٢) لم أقف عليه من طريق الحسن بن سفيان، وانظر تخريجه في الحديث الذي قبله من طريق آخر.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١١٦)، ومن طريقه ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٥٥٩).

فالجواب: أن هذا محمول منه على أنه كان يقصد بذلك الرياء في باب الدين من إظهار التخشع وغيره، فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يُرى منه ما لا يستحسن فإن ذلك غير مذموم، فمن اعتقد ذلك مذمومًا فما عرف الرياء ولا فهم المذموم!

أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصاري، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن محمد النيسابوري، قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، قال: أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه، قال: نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: نا مسلم بن الحجاج، قال: نا محمد بن مثنى، قال: حدثني يحيى بن حماد، قال: أخبرنا شعبة، عن أبان بن [تغلب][(١)]، عن فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»، انفرد بإخراجه مسلم، ومعناه: الكِبْرُ كِبْرُ من بطر الحق[(٢)]، وغمط: بمعنى ازدرى واحتقر[(٣)(٤)].

فصل

قال المصنف: وقد كان في الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة:

وأخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر، قال: أخبرنا علي بن الحسن بن حجاف، قال: قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء: كان

(١) في جميع النسخ: (ثعلب)، وهو تحريف، والتصويب من مصادر الترجمة وصحيح مسلم.

(٢) أي: لم يقبله، أو جعله باطلًا، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٧٦)، النهاية لابن الأثير (كبر).

(٣) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٦٣)، النهاية لابن الأثير (غمط).

(٤) أخرجه مسلم(١/ ٩٣ رقم ٩١)، والترمذي (٤/ ٣١٧ رقم ١٩٩٨،١٩٩٩)، وقال: حسن صحيح غريب. ورواه أبو داود (٤/ ٣٥١ رقم ٤٠٩١)، وأحمد (١/ ٤١٢، ٤١٦).

أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البزِّ كالدَّبيقي[١]، ويُسَبِّجُ بِسُبُجٍ[٢] اللؤلؤ، ويؤثر ما طال من الثياب[٣].

قال المصنف: قلت: وهذا في الشهرة كالمرقعات، وإنما ينبغي أن تكون ثياب أهل الخير وسطًا، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفي نقيض!

فصل

قال المصنف: وقد كان في الصوفية من إذا لبس ثوبًا خرق بعضه، وربما أفسد الثوب الرفيع القدر:

• أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الحسن بن غالب المقري، قال: سمعت عيسى بن علي الوزير، يقول: كان ابن مجاهد يومًا عند أبي، فقيل له: **الشِّبلي**؟ فقال: يدخل، فقال ابن مجاهد: سأسكته الساعة بين يديك. وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئًا خرق فيه موضعًا، فلما جلس، قال له ابن مجاهد: يا أبا بكر أين في العلم فساد ما ينتفع به؟ فقال له الشبلي: أين في العلم: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣]! قال فسكت ابن مجاهد، فقال له أبي: أردت أن تسكته فأسكتك. ثم قال له: قد أجمع الناس أنك مقرئ الوقت، أين في القرآن: الحبيب لا يُعذِّب حبيبه؟ قال: فسكت ابن مجاهد، فقال

---

(١) **الدَّبيقي**: من دق ثياب مصر معروفة، تُنسب إلى دبيق. اللسان (دبق). ودبيق بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، تنسب إليها الثياب الدبيقية. معجم البلدان (٢/ ٤٣٨). وقال في «معجم متن اللغة» (٢/ ٣٧٤): كانت العمامة من هذه الثياب طولها مئة ذراع، وفيها رقعات منسوجة من الذهب، تبلغ العمامة من الذهب خمس مائة دينار، سوى الحرير والغزل.

(٢) **يُسَبِّجُ بِسُبُجٍ**: السُّبج جمع سبيجة، وهي كساء أسود، وتسبّج به أي: لبسه. القاموس المحيط (سبج) (ص٢٤٦).

(٣) لم أقف على تخريجه.

له أبي: قل يا أبا بكر، فقال قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨]، فقال ابن مجاهد: كأنني ما سمعتها قط[١]!

قال المصنف: قلت: هذه الحكاية أنا مرتابٌ بصحتها؛ لأن الحسن بن غالب كان لا يوثق به؛ أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: ادَّعى الحسن بن غالب أشياء تبيَّن فيها كذبه واختلاقه[٢].

فإن كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلي حين احتج بهذه الآية، وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه، وذلك أن قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ ليس بإفساد؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبي معصوم أنه فعل الفساد[٣].

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩٢)، ورواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٧٣-٣٧٤)، وذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٤).

(٢) هو عند الخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٤٠٠).

(٣) النظر في عصمة الأنبياء والرسل يكون من جهتين:

- **الأولى**: فيما يتعلق بتبليغ الرسالة.
- **الثانية**: فيما يتعلق بغير التبليغ.

ففيما يتعلق بتبليغ الرسالة: فقد اتفقت الأمة على عصمة الأنبياء والرسل فيما يخبرون به عن الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإنهم - أي: أهل السنة - متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلّغون عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة، فإن الرسول هو الذي يبلّغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين، بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ). منهاج السنة (١/ ٤٧٠-٤٧١)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٩-٢٩٠).

أما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة: فالناس متنازعون، والذي عليه أكثر علماء الإسلام عصمة الأنبياء عن الكبائر دون الصغائر، مع إثبات العصمة من إقرارهم على الذنوب مطلقًا، كما أن الرسل يوفقون على الفور إلى التوبة النصوح، بخلاف غيرهم من البشر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).

وقال أيضًا: (والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السَّلف: إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقًا، والرد على من يقول: إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حرّرت إنما تدل على هذا القول) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩٣)، وانظر: منهاج السنة (١/ ٤٧٢).

والمفسرون قد اختلفوا في معنى الآية:

- **فمنهم من قال:** مسح على أعناقها وسوقها، وقال: أنتِ في سبيل الله، فهذا إصلاح.
- **ومنهم من قال:** عقرها، وذبحُ الخيل وأكلُ لحمها جائز، فما فعل شيئًا عليه فيه جناح.

فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فإنه لا يجوز، ومن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا.

• أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن أبي الصقر، قال: أخبرنا علي بن الحسن بن حجاف الدمشقي، قال: قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء: كان مذهب **أبي علي الروذباري** تخريق أكمامه وتفتيق قميصه، قال: وكان يخرق الثوب المُثَمَّن فيرتدي بنصفه ويأتزر بنصفه، حتى إنه دخل الحمام يومًا وعليه ثوب فلم يكن مع أصحابه ما يأتزرون به، فقطعه على عددهم فاتزروا به، وتقدم إليهم أن يدفعوا الخِرَق إذا خرجوا إلى الحمامي. قال ابن عطاء: قال لي أبو سعيد الكازروني: كنت معه في هذا اليوم، وكان الرداء الذي قطعه يقوم بنحو ثلاثين دينارًا[(١)].

قال المصنف: ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو بكر البيهقي، قال: أنا أبو عبد الله الحاكم، قال: سمعت عبد الله بن يوسف، يقول: سمعت أبا الحسن البوشنجي، يقول: كانت لي قُبَّجَة[(٢)] طلبت بمائة درهم، فحضرني ليلةً غريبان، فقلت للوالدة: عندك شيء لضيفيَّ؟ قالت: لا، إلا الخبز. فذبحت القُبَّجة وقدمتها إليهما[(٣)].

---

(١) لم أقف على تخريجه.
(٢) قُبَّجَة: حَجَلة، نوع من الطيور. اللسان، القاموس المحيط (قبج).
(٣) لم أقف على تخريجه.

قال المصنف: قلت: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطي، فلقد فرَّط!

• أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت جدِّي يقول: دخل أبو الحسين الدَّرَّاج البغدادي الرَّيَّ، وكان يحتاج إلى لفات لرجله، فدفع إليه رجل منديلًا دبيقيًّا فشقَّه بنصفين وتلفَّف به، فقيل له: لو بعته واشتريت به لفافًا وأنفقتَ الباقي! فقال: أنا لا أخون المذهب[(١)].

• **قال المصنف**: وقد كان أحمد الغزالي ببغداد، فخرج إلى المحوّل فوقف على ناعورة[(٢)] تَئِنُّ، فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان[(٣)].

وقال المصنف: قلت: فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم! فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه «نهى عن إضاعة المال»[(٤)] ولو أن رجلًا قطع دينارًا صحيحًا وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطًا، فكيف بهذا التبذير المحرَّم!

ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، ثم يدَّعون أن هذه حالة، ولا خير في حالة تنافي الشرع[(٥)]، أفتراهم عبيد

---

(١) لم أقف على تخريجه.

(٢) **ناعورة**: هي التي يستقى بها، يديرها الماء ولها صوت. مختار الصحاح (نعر).

(٣) ذكر هذا الخبر ابن الجوزي في المنتظم (١٧/ ٢٣٧ - ٢٣٨) بنحوه.

(٤) تقدّم تخريجه (ص ٤٤٧).

(٥) انظر: الكلام الذي أسنده المصنِّف إلى الحسين النوري (ص ٤٢٧)، وهو يحدد ضابط الحال المستقيمة من غيرها.

وقال ابن القيم: (كل حالٍ خرج صاحبه عن حكم الكتاب. وما جاء به الرسول فهو شيطاني، كائنًا من كان) الروح (٢/ ٧٧٣). وقال أيضًا: (وسير أولياء الله وعباده الأبرار والمقربين.. هو إحالة الحال على العلم، وتحكيمه عليه وتقديمه، ووزنه به وقبول حكمه، فإن وافقه العلم، وإلاّ كان حالًا فاسدًا منحرفًا عن أحوال الصادقين بحسب بعده عن العلم، فالعلم حاكم، والحال محكوم عليه. والعلم راعٍ والحال ⇐

نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم؟! ولئن كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بهذا ثم فعلوه إنه لعنادٌ، وإن كانوا لا يعتقدون فإنه لجهل شديد.

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: لما تغيَّر الحال على أبي عثمان وقت وفاته، مزَّق ابنه أبو بكر قميصًا كان عليه، ففتح أبو عثمان عينه، وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر من[1] رياء باطن في القلب[2].

فصل

قال المصنف: وفي الصوفية من يبالغ في تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضًا.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن العلاء، عن أبيه، سمع أبا سعيد: سُئل عن الإزار؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إزار المسلم إلى أنصاف السَّاقين، لا جناح أو لا حرج عليه ما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من ذلك فهو في النار**»[3].

أخبرنا المحمدان: ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: نا أبو حامد بن جبلة، قال: حدثنا محمد بن

من رعيته، فمن لم يكن هذا أصل بناء سلوكه فسلوكه فاسد، وغايته الانسلاخ من العلم والدين، كما جرى ذلك لمن جرى له) مدارج السالكين (٢/ ٢٨٨).

(١) في (ت): «و».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٤٥)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣١٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٥)، ورواه أبو داود (٤/ ٣٥٣ رقم ٤٠٩٣)، والنسائي في الكبرى، (٥/ ٤٩٠ رقم ٩٧١٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٨٣ رقم ٣٥٧٣)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩١٤)، وأحمد (٣/ ٦، ٣٠، ٤٤، ٥٢).

إسحاق، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: كتب إليَّ عبد الرزاق عن معمر قال: كان في قميص أيوب بعض التذييل، فقيل له: فقال: الشهرة اليوم في التشمير[1].

وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: دخلت يومًا على أبي عبد الله أحمد بن حنبل وعليَّ قميص قصير أسفل من الرُّكبة وفوق الساق، فقال: أي شيء هذا! وأنكره، وقال: هذا بمرة لا ينبغي.

فصل

وقد كان في الصوفية مَنْ يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة، وهذا أيضًا شهرة؛ لأنه على خلاف لباس أهل البلد، وكل ما فيه شهرة فهو مكروه.

أخبرنا يحيى بن ثابت بن بُندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري، قال: أخبرنا أحمد بن منصور النوشري، قال: نا محمد بن مخلد، قال: حدثني محمد بن يوسف، قال: قال عباس بن عبد العظيم العنبري، قال بشر بن الحارث: إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة، فنظر إلى الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كُمه[2].

فصل

وقد كان في الصوفية من يستكثر من الثياب وسوسة، فيجعل للخلاء ثوبًا وللصلاة ثوبًا، وقد رُوي هذا عن جماعة، منهم: أبو يزيد، وهذا لا بأس به[3] إلا أنه لا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٨٤ رقم ١٩٩٩٢)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٧)، ورواه أيضًا ابن سعد في الطبقات (٧/ ٢٤٨)، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص٨٥-٨٦ رقم ٦١). وهذا اجتهاد من أيوب رَحِمَهُ اللهُ، وإلا فالواجب عدم مجاوزة القميص الكعبين، واتباع السنة ليس من الشهرة.

(٢) لم أقف على تخريجه.

(٣) بل هو خلاف السنة، ولو كان هذا الفعل محبوبًا لفَعَله رسول الله ﷺ وسَنَّه لأمّته، وهذا الفعل فيه من
ﻫ

ينبغي أن يتخذ سنة.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، قال: نا محمد بن إسحاق النيسابوري، قال: نا محمد بن الصباح، قال: نا حاتم - يعني: ابن إسماعيل -، قال: حدثني جعفر، عن أبيه، أن علي بن الحسين قال: يا بني لو اتخذت ثوبًا للغائط؛ رأيت الذباب يقع على الشيء، ثم يقع عليَّ، ثم أتيته، فقال: ما كان لرسول الله ﷺ ولأصحابه إلا ثوب. فرفضه[1].

فصل

قال المصنف: وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد؛ زهدًا في الدنيا، وهذا حسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أحسن وأصلح.

أخبرنا عبد الأول بن عيسى، قال: نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، قال: أخبرنا إبراهيم بن خزيم، قال: حدثنا عبد بن حميد، قال: حدثني ابن أبي شيبة، قال: نا محمد بن عمر، عن عبد الحميد بن جعفر، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ في يوم جمعةٍ فقال: «**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته**»[2].

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف الخشَّاب، قال: أخبرنا الحارث بن

التكلّف ومجاوزة الحدّ ما لا يخفى، والغريب من المؤلّف رحمه الله عدم إنكاره لهذا الفعل، على غير عادته في هذا الكتاب!

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٣٣)، وذكره ابن قدامة المقدسي في كتاب ذم الوسواس (ص٥٣).

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في المنتخب (١/ ٤٤٦ رقم ٤٩٨) عن ابن أبي شيبة به بلفظه، ورواه ابن ماجه (١/ ٣٤٨ رقم ١٠٩٥)، ورواه أبو داود (١/ ٦٥٠ رقم ١٠٧٨).

أبي أسامة، قال: نا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد [عن][(١)] عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، الزِّناد، عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: محمد ابن عمر: وحدثني غير محمد بن عبد الرحمن أيضًا ببعض ذلك، قالوا: «كان لرسول الله ﷺ بُرد يمنية وإزار من نسج عمان، فكان يلبسهما في يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان»[(٢)].

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في مطاعمهم ومشاربهم

قال المصنف: قد بالغ إبليس في تلبيسه على قدماء الصوفية، فأمرهم تقليل المطعم وخشونته، ومنعهم شرب الماء البارد، فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب، واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم!

ذكر طرف مما فعله قدماؤهم:

قال المصنف: كان في القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته، وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذي لا يقيم البدن.

• فرُوي لنا عن **سهل بن عبد الله** أنه كان في بدايته يشتري بدرهم دِبسًا، وبدرهم سمنًا، وبدرهم دقيق الأرز، فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة، فيفطر كل ليلة على واحدة[(٣)]، وحكى عنه أبو حامد الطوسي قال: كان سهل يقتات ورق النبق مدة، وأكل دقاق ورق التبن مدة ثلاث سنين، واقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين[(٤)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ، والصواب - في نظري - إثباته؛ لأني لم أجد راويًا في شيوخ ابن سعد باسم (محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزنّاد)، ولأن ابن سعد يروي عن محمد بن عمر الواقدي، والواقدي يروي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، كما في تراجمهم من تهذيب الكمال.

(٢) لم أقف عليه عند الحارث بن أبي أسامة في مسنده الذي جمع زوائده الهيثمي في بغية الباحث، ولا في طبقات ابن سعد رحمهما الله.وله شاهد من حديث جابر يرفعه: «كان يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة»، أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٥١)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٣٢ رقم ١٧٦٦).

(٣) أخرجه أبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/ ٣٣٣)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ٨٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٩٧).

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: حدثني أبو الفرج بن حمزة التكريتي، قال: حدثني أبو عبد الله الحُصري، قال: سمعت **أبا جعفر الحذاء** يقول: أشرف عليَّ أبو تراب يومًا وأنا على بركة ماء ولي ستة عشر يومًا لم آكل شيئًا ولم أشرب فيها ماء، فقال: ما جلوسك هاهنا؟ فقلت: أنا بين العلم واليقين، وأنا أنظر من يغلب فأكون معه. فقال: سيكون لك شأن(١).

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا ابن أبي صادق، قال: نا ابن باكويه، قال: أنا عبد العزيز بن الفضل، قال: نا علي بن عبد الله العمري، قال: نا محمد بن فليح، قال: حدثني إبراهيم بن البنا البغدادي، قال: صحبت **ذا النون** من إخميم إلى الإسكندرية، فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصًا وملحًا كان معي، وقلت: هلُمَّ! فقال لي: ملحك مدقوق؟ قلت: نعم، قال: لست تفلح! فنظرت إلى مِزْوَدِهِ وإذا فيه قليل سويق شعير يَسْتَفُّ منه(٢).

• أخبرنا ابن ظفر، قال: أخبرنا ابن السَّراج، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: أنا ابن جهضم، قال: نا محمد بن عيسى بن هارون الدقاق، قال: نا أحمد بن أنس، قال: نا ابن أبي الحواري، قال: سمعت **أبا سليمان** يقول: الزُّبد بالعسل إسراف(٣).

• قال ابن جهضم: وحدثنا محمد بن يوسف البصري، قال: سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول: بلغ أبا عبد الله الزبيري وزكريا الساجي وابن أبي أوفى أن

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٤٠) بلفظه.

(٢) أخرج هذه القصة بلفظ قريب أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١١٠)، وفيه: أن المصاحبة كانت بين سري السقطي وبين علي الجرجاني، بدلًا من إبراهيم بن البنا وذي النون.

(٣) لم أقف على تخريجه.

سهل بن عبد الله يقول: أنا حُجَّة الله على الخلق. فاجتمعوا عنده فأقبل عليه الزبيري فقال له: بلغنا أنك قلت: أنا حجة الله على الخلق، فبماذا؟ أنبيٌّ أنت؟ صِدِّيقٌ أنت؟ قال سهل: لم أذهب حيث تظن، ولكن إنما قلت هذا لأخذي الحلال، فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال! قال: فأنت قد صححته؟ قال: نعم. قال فكيف؟ قال سهل: قسمت معرفتي وعقلي وقوتي على سبعة أجزاء، فأترك حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد، فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء وتتلف معه نفسي خفت أن أكون قد أعنت عليها أو قتلتها، دفعت إليها من البُلغة ما يرد الستة الأجزاء[1].

• أخبرنا ابن حبيب، قال: أخبرنا ابن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: أخبرني أبو عبد الله بن مفلح، قال: أخبرني أبي، قال: أخبرني **أبو عبد الله بن ونده**، قال: منذ أربعين سنة ما أطعمت نفسي طعامًا إلا في وقت ما أحلَّ اللهُ لها الميتة[2].

• أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد السهلكي، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد القوهي، قال: نا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى، قال: نا موسى بن عيسى، قال: نا عيسى بن آدم بن أخي أبي يزيد، قال: جاء رجل إلى **أبي يزيد** فقال له: أريد أن أجلس في مجلسك الذي أنت فيه. قال: لا تطيق ذلك. فقال: إن رأيت أن توسع لي في ذلك. فأذن له فجلس يومًا لا يطعم فصبر، فلما كان في اليوم الثاني قال له: يا أستاذ نريد القوت! قال: يا غلام، القوت عندنا الله. فقال: يا أستاذ، لابد مما لابد منه. فقال: يا غلام، لابد من الله. قال: يا أستاذ، أريد شيئًا يقيم جسمي في طاعة الله تعالى. فقال: يا غلام، إن الأجسام لا تقوم إلا بالله[3].

(١) لم أقف على تخريجه.

(٢) لم أقف على تخريجه.

(٣) أخرجه أبو الفضل السهلكي في كتاب النور من كلمات أبي طيفور (ص١١٠).

• أخبرنا المحمدان، ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان، يقول: سمعت أبا عثمان الأدَمي، يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: حدثني أخ لي كان يصحب **أبا تراب**، نظر إلى صوفي مَدَّ يده إلى قشور البطيخ، وقد كان طوى ثلاثة أيام، فقال له: تمد يدك إلى قشور البطيخ؟ أنت لا يصلح لك التصوف، الزم السوق[1]!

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا القاسم القرواني[2]، يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: قام **أبو الحسن النصيبي** بالحرم أيامًا مع أصحاب له سبعة لم يأكلوا، فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله، فرآه إنسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم، فقال الشيخ: من جنى منكم هذه الجناية؟ فقال الرجل: أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته، فقال: كن مع جنايتك ومع هذا الرفق، وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل، فقال: ألم أقل لك كن مع جنايتك؟ فقال الرجل: أنا تائب مما جرى، فقال الشيخ: لا كلام بعد التوبة[3].

• أخبرنا عمر بن ظفر، قال: أخبرنا ابن السراج، قال: أخبرنا أبو القاسم الأزجي، قال: أخبرنا أبو الحسن بن جهضم، قال: نا إبراهيم بن محمد السيوري، قال: سمعت **بيان بن محمد**، يقول: كنت بمكة مجاورًا ورأيت بها إبراهيم الخواص وأتى عليَّ أيام لم يفتح عليَّ بشيء، وكان بمكة مُزَيِّن[4] يحب الفقراء، وكان من أخلاقه إذا جاءه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٤٩)، وأورده أبو القاسم القشيري في رسالته (ص٧٤)، وابن الملقن في طبقات الأولياء (ص٣٥٧).

(٢) في «أ»: (القيرواني)، وفي «ك»: (القزواني)، ولعلّ ما في «أ» هو الصواب.

(٣) لم أقف على تخريجه.

(٤) رجل مُزَيِّن: كمُعَظَّم، مقذذ الشعر. والحجام مزيِّن، كمحدِّث. تاج العروس (زين).

الفقير يحتجم اشترى له لحمًا وطبخه فأطعمه فقصدته وقلت: أريد أن أحتجم. فأَرسَلَ من يشتري لحمًا وأمر بإصلاحه، وجلست بين يديه فجعلت نفسي تقول: ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة؟ ثم استيقظت وقلت: يا نفس، إنما جئت تحتجمين لتطعميني، عاهدت الله إن ذقت من طعامه شيئًا! فلما فرغ انصرفت، فقال: سبحان الله أنت تعرف الرسم. فقلت: ثَمَّ عقد! فسكت.

وجئت إلى المسجد الحرام ولم يُقدَّر لي شيء آكله، فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضًا، فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشي عليَّ واجتمع حولي ناس وحسبوا أني مجنون، فقام إبراهيم وفرَّق الناس، وجلس عندي يحدثني، ثم قال: تأكل شيئًا؟ قلت: قرب الليل. فقال: أحسنتم يا مبتدئون، اثبتوا على هذا تفلحوا. ثم قام، فلما صلينا عشاء الآخرة إذا هو قد جاءني ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء، فوضعه بين يدي وقال: كُلْ! فأكلت الرغيفين والعدس، فقال: فيك فضل تأكل شيئًا آخر؟ قلت: نعم. فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما، وقلتُ: قد اكتفيت. فاضطجعت فما قمت ليلتي، ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت[(١)].

● أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت محمد بن عبد الله الصوفي، يقول: سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني، يقول: سمعت **أبا علي الروذباري** يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع. فألزموه السوق وأمروه بالكسب[(٢)].

● أنبأنا عبد المنعم، قال: نا أبي، قال: سمعت ابن باكويه يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: أمرني أبو **عبد الله بن خفيف** أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب

---

(١) لم أقف على تخريجه.

(٢) أخرجه القشيري في رسالته (ص٢٦١-٢٦٢).

لإفطاره، فأشفقت عليه ليلة فحملت إليه خمس عشرة حبة، فنظر إليَّ وقال: من أمرك بهذا؟! وأكل عشر حبات وترك الباقي[1].

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا علي بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه قال: سمعت أبا عبد الله بن خفيف، يقول: كنت في ابتدائي بقيت أربعين شهرًا أفطر كل ليلة بكف باقلي، فمضيت يومًا فاقتصدت فخرج من عرقي شبيه ماء اللحم وغشي عليَّ، فتحيَّر الفَصَّادُ وقال: ما رأيت جسدًا لا دم فيه إلا هذا[2]!

• **قال المصنف**: وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم: أكل درهم من اللحم يُقسي القلب أربعين صباحًا.

• وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبد الواحد الدينوري، قال: أخبرنا أبو الحسن القزويني، قال: أخبرنا أبو حفص بن الزيات، قال: نا ابن ناجية، قال: نا أزهر بن جميل، قال: نا بزيع، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**احرموا أنفسكم طيب الطعام؛ فإنما قوي الشيطان أن يجري في العروق منها**»[3].

• وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي، ومنهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار[4]، وفيهم من كان يجعل ماءه في دنّ مدفون في الأرض فيصير حارًا، وفيهم من كان يعاقب نفسه بترك الماء مدة.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص١٩٢)، ورواه القشيري في رسالته (ص٢٦٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص١٩١)، وأورده الذهبي في السير (١٦/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٣٠)، وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والمتهم به بزيع. ورواه أبو حفص ابن الزيات في حديثه، وعنه أبو الحسن القزويني في الأمالي كما في السلسلة الضعيفة (٤/ ٣٥٧)، وقال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٢/ ٤٢١) عن بزيع هذا: روى عن هشام بن عروة حديثًا شبه الموضوع.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٠٦).

• وأخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن علي السهلكي، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر الورثاني، قال: حدثني محمد بن سعدان، قال: حدثني عيسى بن موسى البسطامي، قال: سمعت أبي يقول: سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول: سمعت **أبا يزيد** يقول: ما أكلت شيئًا مما يأكله بنو آدم أربعين سنة، قال: وأسهل ما لاقت نفسي مني أني سألتها أمرًا من الأمور فأبت، فعزمت أن لا أشرب الماء سنة، فما شربت الماء سنة(١).

وحكى أبو حامد الغزالي عن أبي يزيد أنه قال: دعوت نفسي إلى الله تعالى فجمحت، فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة، ولا أذوق النوم سنة، فوفت لي بذلك(٢).

فصل

وقد رتب أبو طالب المكي للقوم ترتيبات في المطاعم:

- فقال(٣): أستحب للمريد ألا يزيد على رغيفين في يوم وليلة.
- قال(٤): ومن الناس من كان يعمل في الأقوات فيقلها، وكان بعضهم يزن قوته بكَرَبَةٍ(٥) من كرب النخل وهي تجف كل يوم قليلًا، فينقص من قوته بمقدار ذلك.

---

(١) أخرجه أبو الفضل السهلكي في كتابه النور من كلمات أبي طيفور (ص١٢٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٥٦).

(٣) قوت القلوب (٢/ ٣٢٥). وانظر: (٢/ ٣٢٣).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٣٢٠)، وقد تأثر المصنّف بهذا في الصِّبا فأصابه المرض لمدة طويلة كما ذكر في صيد الخاطر (ص٦٩).

(٥) **كَرَبَة**: هي أصول السعف الغلاظ العراض. القاموس المحيط (كرب).

○ قال[١]: ومنهم من كان يعمل في الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة.

○ قال[٢]: والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفي بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد، وفي ذوبانه رقته، ورقته مفتاح المكاشفة.

وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي كتابًا سماه «رياضة النفوس»[٣]، قال فيه[٤]: ينبغي للمبتدئ في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله، ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة، ويقطع الإدام والفواكه واللذة، ومجالسة الإخوان، والنظر في الكتب، فهذه كلها أفراح للنفس، فيمنع النفس لذتها حتى تمتلئ غمًّا.

وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية: يبقى أحدهم أربعين يومًا لا يأكل الخبز، ولكنه يشرب الربوبات[٥] ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة.

فهذه نبذة من ذكر أفعالهم في مطاعمهم يدل مذكورها على مُغْفَلها.

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٣٢٠).

(٢) لم أهتد إليه في قوت القلوب، لكنّي وجدته مقاربًا في إحياء علوم الدين (٣/ ٨٤).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد ذكر في هذا الكتاب – يعني: ختم الولاية – ما هو خطأ وغلط، مخالف للكتاب والسنة والإجماع.. ثم قال: ومن أشنعها ما ذكره في كتابه «ختم الولاية» مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر، وغيرهما. ثم ساق له بعض المخالفات وردّ عليه فيها. عاش إلى سنة ٣٢٠هـ. (طبقات الصوفية ص٢١٧، الحلية ١٠/ ٢٣٣، مجموع الفتاوى ٢/ ٢٢٢ – ٢٢٤، السير ١٣/ ٤٣٩، لسان الميزان ٥/ ٣٠٨).

(٤) الرياضة وأدب النفس (ص٦١ – ٦٢)، وفيه زيادات عمّا هاهنا.

(٥) **الربوبات**: هو دبس كل ثمرة، وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ. لسان العرب (ربب).

فصل في بيان تلبيس إبليس عليهم في هذه الأفعال وإيضاح خطئهم فيها

• **قال المصنف**: أما ما نُقِلَ عن سهل فِفعْل لا يجوز؛ لأنه حمل على النفس ما لا تطيق، ثم إن الله تعالى أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم، فلا يصلح مزاحمة البهائم في أكل التبن، وأي غذاء للتبن! ومثل هذه الأشياء أشهر من أن يحتاج إلى رد.

وقد حكى أبو حامد[1] عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعدًا أفضل من صلاته قائمًا إذا قوَّاه الأكل. وهذا خطأ بل إذا تقوَّى على القيام كان أكله عبادة؛ لأنه يعين على العبادة، وإذا تجوَّع إلى أن يصلي قاعدًا فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له[2]، ولو كان المتناول ميتة ما جاز هذا، كيف وهو حلال! ثم أي قُربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة؟!

• وأما قول الحذاء[3]: أنا أنظر أيغلب العلم أم اليقين؟

فإنه جهل محض؛ لأنه ليس بين اليقين والعلم تضاد، إنما اليقين أعلى مراتب العلم، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج إليه النفس من المطعم والمشرب؟! وإنما أشار بالعلم إلى أمر الشرع، وأشار باليقين إلى قوة الصبر، وهذا تخليط قبيح، وهؤلاء قوم تشددوا فيها ابتدعوا، فكانوا كقريش في تشددهم حتى سموا بالحُمْس[4]، فجحدوا الأصل وتشددوا في الفرع.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٨٩).

(٢) ثم إن صلاة القائم أفضل من صلاة القاعد بنصّ حديث رسول الله ﷺ: «**صلاة القاعد على النّصف من صلاة القائم**» رواه البخاري (الفتح ٢/ ٥٨٥).

(٣) تقدّم قوله (ص ٥٠١).

(٤) الحُمْس: المتشددون. اللسان (حمس).

• وقول الآخر[١]: ملحك مدقوق لست تفلح.

من أقبح الأشياء! وكيف يقال عمَّن استعمل ما أبيح له لست تفلح، وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج[٢].

• وقول الآخر[٣]: الزبد بالعسل إسراف.

قول مرذول؛ لأن الإسراف ممنوع منه شرعًا، وهذا مأذون فيه، وقد صح عن رسول الله ﷺ: **«أنه كان يأكل القثاء بالرطب»**[٤]، **«وكان يحب الحلوى والعسل»**[٥].

• وأما ما روينا عن سهل أنه قال[٦]: قسمتُ قوتي وعقلي سبعة أجزاء.

ففِعل يذم به فلا يمدح عليه، لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم أقرب؛ لأنه ظلم للنفس وترك لحقها.

• وكذلك قول الذي قال[٧]: ما أكلت إلا وقت أن تباح لي الميتة.

فإنه فعل برأيه المرذول، وحمل على النفس مع وجود الحلال!

---

(١) تقدّم (ص ٥٠١) من قول أبي سليمان الداراني.

(٢) **القولنج**: بفتح اللام وكسرها: هو مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الثُّفل والريح. القاموس المحيط (القولنج).

(٣) تقدّم (ص ٥٠١) من قول ابن أبي الحواري.

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٦٤ رقم ٥٤٤٠)، ومسلم (٣/ ١٦١٦ رقم ٢٠٤٣)، وأبو داود (٤/ ١٧٦ رقم ٣٨٣٥)، والترمذي (٤/ ٢٤٧ رقم ١٨٤٤)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه (٢/ ١١٠٤ رقم ٣٣٢٥)، وأحمد (١/ ٢٠٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ١٧١ رقم ٦٧٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٧١).

(٥) تقدَّم تخريجه (ص ٣٨٨).

(٦) تقدم (ص ٥٠٩).

(٧) تقدّم (ص ٥٠٢).

• وقول أبي يزيد[١]: القوت عندنا الله.

كلام ركيك، فإن البدن قد بُني على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار يحتاجون إلى الطعام.

• وأما التقبيح بفعل من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل[٢].

فلا وجه له.

• والذي طوى ثلاثًا[٣].

لم يسلم من لوم الشرع.

• وكذلك الذي عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع من الضعف[٤].

فإنه فعل ما لا يحل له.

• وقول إبراهيم له: أحسنتم يا مبتدئون[٥].

خطأ أيضًا؛ فإنه كان ينبغي أن يلزمه بالفطر ولو كان في رمضان، إذ مَنْ له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشي عليه لا يجوز له أن يصوم: أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا الأزهري، قال: نا علي بن عمر، قال: نا أبو حامد الحضرمي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يونس السراج، قال: نا بقية بن الوليد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من

(١) تقدّم قوله (ص ٥٠٢).
(٢) تقدّم (ص ٥٠٣) من قول أبي تراب النخشبي، ومن قول أبي الحسن النصيبي.
(٣) تقدّم (ص ٥٠٣).
(٤) تقدّم (ص ٥٠٣).
(٥) تقدّم (ص ٥٠٤).

أصابه جهد في رمضان فلم يفطر فمات دخل النار»[١].

قال المصنف: قلت: كل رجاله ثقات، فقد أخبرنا به عاليًا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو يعلى محمد بن الحسين قال: أخبرنا علي بن عمر السكري، قال: نا أحمد بن محمد الأسدي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال: من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر دخل النار[٢].

- وأما تقليل ابن خفيف[٣].

ففعل قبيح لا مستحسن.

وما يورد هذه الأخبار عنهم إيرادَ مُستحسِن لها إلا جاهل بأصول الشرع، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قول معظم، فكيف بفعل جاهل مُبَرْسَم[٤]!

- وأما كونهم لا يأكلون اللحم.

فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان[٥]، فإن الله تعالى علم مصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها، فأكل اللحم يقوي القوة، وتركه يضعفها ويسيء الخلق، وقد «كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة»[٦]، ودخل يومًا

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٠/ ٢٧٠)، وقال: قال علي بن عمر -يعني الدارقطني-: غريب من حديث عبيد الله بن عمر، تفرد به بقية عنه، وتفرد به عبد الرحمن بن يونس عن بقية.

(٢) انظر ما قبله.

(٣) تقدّم تخريجه (ص ٥٠٤)

(٤) مُبَرْسَم: أصيب بعلة يهذي فيها. القاموس المحيط (برسم).

(٥) انظر: «تحقيق ما للهند» للبيروني (ص٤٦٧ - ٤٦٨)، و«شرع منّو» (ص ١٨٥ - ١٨٦).

(٦) قوله: «كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم» تقدم تخريجه (ص ٣٨٨) وأما قوله: «ويحب الذراع من الشاة» فأخرجه البخاري (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (١/ ١٨٤ رقم ١٩٤)، والترمذي (٤/ ٢٤٤ رقم ١٨٣٧)، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٩ رقم ٣٣٠٧)، وأحمد (٢/ ٤٣٥).

فقدم إليه طعام من طعام البيت قال: «**لم أر لكم برمة تفور؟**»(١).

وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحمًا(٢)، وعلى هذا كان السلف إلا أن يكون يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر.

• وأما من منع نفسه الشهوات

فإن هذا على الإطلاق لا يصلح؛ لأن الله تعالى لما بنى الآدمي على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الأخلاط: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء، فتارة تزيد بعض الأخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه، مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الحموضة، أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات، فقد رُكّب في الطبع الميل إلى ما يوافقه، فإذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قُووِمت حكمة الباري سبحانه بردها! ثم يؤثر ذلك في البدن، فكان هذا الفعل مخالفًا للشرع والعقل.

ومعلوم أن البدن مطية الآدمي، ومتى لم يرفق بالمطية لم يبلغ، وإنما قَلَّت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة، فإن أسندوا فإلى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئًا!

• ولقد عجبت لأبي حامد الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال: لا ينبغي للمريد(٣) إذا تاقت نفسه إلى الجماع أن يأكل ويجامع، فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه!

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٥٥٦ رقم ٥٤٣٠)، ومسلم (٢/ ١١٤٣ رقم ١٥٠٤)، والنسائي (٦/ ١٦٢)، ومالك في الموطأ (٢/ ٥٦٢)، وأحمد (٦/ ١٧٨).

(٢) لم أقف على تخريجه.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٩٥).

قال المصنف: قلت: وهذا قبيح في الغاية؛ فإن الإدام شهوة فوق الطعام فينبغي أن لا يأكل إدامًا، والماء شهوة أخرى، أَوَليس في الصحيح أن رسول الله ﷺ: «**طاف على نسائه بغسل واحد**»[١]، فهلا اقتصر على شهوة واحدة! أَوَليس في الصحيحين أنه عليه السلام «كان يأكل القثاء بالرطب»[٢]، وهاتان شهوتان! أَوَما أكل عند أبي الهيثم ابن التيهان خبزًا وشواء وبُسرًا وشرب ماء باردًا[٣]؟! وقد كان الثوري يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلي[٤]، أَوَما تُعَلَفُ الفرسُ الشعير والتبن والقتَّ[٥]، وتُطعم الناقة الخبط[٦] والحمض، وهل البدن إلا ناقة؟!

وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة، وإنما تجتنب فضول العيش في الشهوات لئلا يكون سببًا لكثرة الأكل وجلب النوم، أو لئلا يتعود فيقل الصبر عنها، فيحتاج الإنسان إلى تضييع العمر في كسبها، وربما تناولها من غير وجهها، فهذا طريق السلف في ترك فضول الشهوات.

- والحديث الذي احتجوا به «**احرموا أنفسكم طيب الطعام**»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا تعليقًا جازمًا (١/ ٣٧٧ رقم ٢٦٨)، ومسلم (١/ ٢٤٩ رقم ٣٠٩)، والترمذي (١/ ٢٥٩ رقم ١٤٠) وقال: حسن صحيح. والنسائي (١/ ١٤٣-١٤٤)، وأحمد (٣/ ٩٩، ١٦٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٠٩).

(٣) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (٤/ ٢٦٣ رقم ٣٦٨١)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٢١٤ رقم ٢٥٠)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٢٠) بعد أن عزاه لأبي يعلى والبزار والطبراني مختصرًا، قال: في أسانيدهم كلها عبد الله بن عيسى أبو خلف، وهو ضعيف. وله طريق آخر عن أبي هريرة، أخرجه الترمذي (٤/ ٥٠٤-٥٠٥ رقم ٢٣٦٩)، وقال: حسن صحيح غريب. وأصله عند مسلم (٣/ ١٦٠٩ رقم ٢٠٣٨).

(٤) تقدّم تخريجه (ص ٣٨٩) دون ذكر للعنب والقيام للصلاة.

(٥) **القت**: الفصفصة، من علف الدواب. اللسان (فتت).

(٦) **الخبط**: ورق الشجر المتناثر بالخبط -أي بالضرب-، وهو من علف الدواب. اللسان (خبط).

(٧) تقدّم تخريجه (ص ٥٠٥).

حديث موضوع عملته يدا بزيع الراوي.

وأما إذا اقتصر الإنسان على خبز الشعير والملح الجريش فإنه ينحرف مزاجه؛ لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر، وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها، وقد حكى يوسف الهمداني عن شيخه عبد الله الجوني أنه كان يأكل خبز البلوط[1] بغير إدام، وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئًا من الدهن والدسومات فلا يفعل، وهذا يورث القولنج الشديد.

واعلم أن المذموم من الأكل الشبع، وأحسنُ الآداب في المطعم أدب الشارع ﷺ[2].

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أنا أبو بكر ابن حمدان، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا أبو المغيرة، قال: نا سليمان بن سُليم الكناني، قال: نا يحيى بن جابر الطائي، قال: سمعت المقدام بن معدي كرب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطن، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه! فإن كان لا محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نَفَس»**[3].

قال المصنف: قلت: فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظًا لها وسعيًا في مصلحتها، ولو سمع بقراط هذه القسمة في قوله: ثلث وثلث، لدهش من هذه الحكمة؛ لأن الطعام والشراب يربوان في المعدة فيقارب مِلْأَها، فيبقى للنفس من الثلث قريب،

---

(١) **البلوط**: شجر كانوا يتغذون بثمره قديمًا، بارد يابس ثقيل غليظ، ممسك للبول. القاموس المحيط (بلط).

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٤/ ١٧)، فتح الباري (٩/ ٥٢٧ - ٥٢٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٣٢)، والترمذي (٤/ ٥٠٩ رقم ٢٣٨٠)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١١١١ رقم ٣٣٤٩) (٢/ ٤٤٩ رقم ٦٧٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٢١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

فهذا أعدل الأمور، فإن نقص منه قليلًا لم يضر، فإن زاد النقصان أضعف القوة وضيّق مجاري الطعام.

فصل

واعلم أن الصوفية إنما يأمرون بالتقلل شبَّانهم ومبتدئتهم، ومن أضر الأشياء على الشباب الجوع؛ فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضًا، فأما الشباب فلا صبر لهم على الجوع، وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة، فلذلك يجود هضمه، ويكثر تحلل بدنه، فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الكبير إلى زيادة زيت، فإذا صابر الشاب الجوع وبنيته في أول النشوء قمع نشوء نفسه، وكان كمن يعرقب أصول الحيطان، ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة في البدن، فتغذيه بالأخلاط فيفسد الجسم والذهن، وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل!

فصل

قال المصنف: قد كره العلماء التقلل الذي يضعف البدن:

○ أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أبنا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: أبنا إبراهيم بن جعفر قال أبنا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر قال: أبنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، قال: أبنا عبد الله بن إبراهيم بن يعقوب الجبلي، قال: سمعت **أبا عبد الله أحمد بن حنبل**، قال له عقبة بن مكرم: هؤلاء الذين يأكلون قليلًا ويقللون من مطعمهم؟ فقال: ما يعجبني؛ سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: فَعَلَ قومٌ هذا فقطعهم عن الفرض[1].

(١) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٦-٢٤٧).

○ قال الخلال: وأخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة، قال: أبنا إسحاق بن داود بن صبيح، قال: قلت **لعبد الرحمن بن مهدي**: يا أبا سعيد إن ببلدنا قومًا من هؤلاء الصوفية؟ فقال: لا تقرب هؤلاء؛ فإنا قد رأينا من هؤلاء قومًا أخرجهم الأمر إلى الجنون، وبعضهم أخرجه إلى الزندقة، ثم قال: خرج سفيان الثوري في سفر فشيَّعته فكان معه سُفرة فيها فالوذج وكان فيها حَمَل[(١)].

○ قال الخلال: وأخبرني المروذي قال: سمعت **أبا عبد الله أحمد بن حنبل**، فقال له رجل: إني منذ خمس عشرة سنة قد ولع بي إبليس، وربما وجدت وسوسة أتفكر في الله؟ فقال: لعلك كنت تدمن الصوم! أفطر وكُل دسمًا وجالس القُصَّاص[(٢)].

قال المصنف: ومن هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم، فيجتمع في معدته أخلاط فجة، فتغتذي المعدة منها مدة؛ لأن المعدة لابد لها من شيء تهضمه، فإذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئًا تناولت الأخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء، وذلك الغذاء الرديء يخرج إلى الوسواس والجنون وسوء الأخلاق.

وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات، فتكثر أخلاطهم فتتشاغل المعدة بهضم الأخلاط، ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج وتضييق المعدة؛ فيمكنهم الصبر عن الطعام أيامًا، وتعينهم على هذا قوة الشباب، فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة! وإنما السبب ما عرَّفتك.

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم، قال: حدثني أبي قال: كانت امرأة قد طعنت في السن فسئلت عن حالها؟ فقالت: كنت في حال الشباب أجد من نفسي أحوالًا أظنها قوة الحال، فلما كبرت زالت عني، فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب

(١) لم أقف على تخريجه.
(٢) لم أقف على تخريجه.

فتوهمتها أحوالًا، قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال: إنها كانت منصفة[١].

قال المصنف: فإن قيل: كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يأكل في اليوم إحدى عشرة لقمة[٢]، وأن ابن الزبير كان يبقى أسبوعًا لا يأكل[٣]، وأن إبراهيم التيمي بقي شهرين[٤]؟

قلنا: قد يجري للإنسان من هذا الفن في بعض الأوقات غير أنه لا يدوم، ولا يقصد الترقي إليه، وقد كان في السلف ﷺ من يجوع عوزًا، وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه، وفي العرب من يبقى أيامًا لا يزيد على شرب اللبن، ونحن لا نأمر بالشبع، وإنما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذي البدن، وإذا ضعف البدن قلّت العبادة، فإن حملت قوة الشباب جاء الشيب فأبدع بالراكب.

وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا عبد القادر بن يوسف، قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أنبأنا أبو يعقوب بن سعد النسائي، قال: أنبأنا جدي الحسن بن سفيان قال: ثنا حرملة بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن مالك بن أنس، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس قال: كان يطرح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حَشَفَهُ[٥].

وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم: أنه اشترى زبدًا وعسلًا، وخبزًا حُوَّارَى[٦].

---

(١) لم أقف عليه عند القشيري في رسالته، ولعله في كتاب آخر له.

(٢) انظر: قوت القلوب (ص٣٢٨ – ٣٢٩)، وفيه (سبع لقم) بدل (إحدى عشرة لقمة).

(٣) لم أقف على تخريجه.

(٤) انظر: قوت القلوب (ص٣٢٣)، وفيه (أربعين يومًا) بدل (شهرين).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٣٥-٣٦ رقم ٥٦٧٦).

(٦) **الحوَّاري**: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه، وهو المزخرف. تاج العروس (حور).

فقيل له: هذا تأكله؟ فقال: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال[١].

فصل

• **قال المصنف**: وأما شرب الماء الصافي.

فقد تخيره رسول الله ﷺ: فأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا أبو عامر، قال: نا فليح بن سليمان، عن سعيد بن الحارث، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ: «أتى قومًا من الأنصار يعود مريضًا فاستسقى وجدول قريب منه، فقال: **إن كان عندكم ماء بات في شن**[٢] **وإلا كرعنا**[٣]» أخرجه البخاري[٤].

وأخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا أبو عمر بن مهدي، قال: نا الحسين بن إسماعيل المحاملي، قال: نا محمد بن عمرو بن أبي مذعور، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، قال: أنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂: «أن رسول الله ﷺ كان يُستقى له الماء العذب من بئر السُّقْيا»[٥].

قال المصنف: وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يُولِّد الحصى في الكلى والسَّدد في الكبد، فأما الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة يشد المعدة، ويقوي الشهوة،

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/ ٣٤٣).

(٢) **شن**: الشن هو القربة الخَلَق. مختار الصحاح، القاموس المحيط (شنن).

(٣) **كرعنا**: الكرع: هو تناول الماء بالفم من موضعه من غير استعمال الكفين أو الإناء. مختار الصحاح، القاموس المحيط (كرع).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٥،٣٢٨)، والبخاري (١٠/ ٧٥ رقم ٥٦١٣)، (١٠/ ٨٨ رقم ٥٦٢١)، وأبو داود (٤/ ١١٢ رقم ٣٧٢٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٣٥ رقم ٣٤٣٢).

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخه (٣/ ١٣٠).

ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ، ويحفظ الصحة، وإذا كان الماء حارًا أفسد الهضم، وأحدث الرهل، وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق، فإن سُخِّن بالشمس خيف منه البرص.

وقد كان بعض الزهاد يقول: إذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت؟! وكذا قال أبو حامد الطوسي(١): إذا أكل الإنسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت، وإذا منع نفسه شهواتها، وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الإفلات من الدنيا بالموت.

وقال المصنف: قلت: وا عجبًا كيف يصدر هذا الكلام من فقيه! أترى لو تقلبت النفس في أي فن كان من التعذيب أحبت الموت، ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩]، ورضي منا بالإفطار في السفر رفقًا بها، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]، أوليست مطيتنا التي عليها وصولنا؟!

وكيف لا نأوي لها وهي التي ** بها قطعنا السهلَ والحزونا

- وأما معاقبة أبي يزيد نفسه بترك الماء سنة(٢).

فإنها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال، ووجه ذمها أن للنفس حقًا، ومنعُ الحقِّ مستحِقَّه ظلمٌ، ولا يحل للإنسان أن يؤذي نفسه، ولا أن يقعد في الشمس في الصيف بقدر ما يتأذَّى، ولا في الثلج في الشتاء، والماء يحفظ الرطوبات الأصلية في البدن وينفذ الأغذية، وقوام النفس بالأغذية، فإذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها، وهذا من أفحش الخطأ! وكذلك منعه إياها النوم.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٩١).

(٢) تقدم قول أبي يزيد (ص ٥٠٦).

قال ابن عقيل: وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها لله من أنفسهم، يدل عليه أن إقامة الإنسان الحد على نفسه لا يجزئ فإن فعله أعاده الإمام، وهذه النفوس ودائع لله حتى إن التصرف في الأموال لم يطلق لأربابها إلا على وجوه مخصوصة.

وقال المصنف: قلت: وقد روينا في حديث الهجرة أن النبي ﷺ تزود طعامًا وشرابًا، وأن أبا بكر فرش له في ظل صخرة وحلب له لبنًا في قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله[(١)]، وكل ذلك من الرفق بالنفس.

- وأما ما رتبه أبو طالب المكي.

فحمل على النفس ما يضعفها، وإنما يمدح الجوع إذا كان بمقدار، وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ.

- وما صنفه الترمذي.

فكأنه ابتداء شرع برأيه الفاسد، وما وجه صوم شهرين متتابعين عند التوبة، وما فائدة قطع الفواكه المباحة؟! وإذا لم ينظر في الكتب فبأي سيرة يقتدي؟!

- وأما الأربعينية.

فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له: «**من أخلص لله أربعين صباحًا**»[(٢)]، ثم الإخلاص يجب أبدًا، فما وجه تقديره بأربعين صباحًا؟! ثم لو قدرنا ذلك

---

(١) أما قوله تزوّد طعامًا وشرابًا. فقد أخرجه البخاري (٦/ ١٢٩ رقم ٢٩٧٩)، ورواه البخاري أيضًا مطولًا (٧/ ٢٣٠ رقم ٣٩٠٥)، وأحمد في المسند (٦/ ١٩٨).

وأما قوله: إن أبا بكر فرش له في ظلّ صخرة وحلب له لبنًا.. إلى آخر قوله: حتى برد أسفله. أخرجه البخاري (٧/ ٨ رقم ٣٦٥٢). وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٣٥ وما بعدها).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن أخرج أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٤) قال أبو نعيم: رواه يزيد الواسطي متصلًا، ورواه ابن هارون ورواه أبو معاوية عن الحجاج فأرسله.والحديث ضعّفه غير واحد من أهل العلم:منهم العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (٤/ ٢٢١).والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٣٢٨).والشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٥٥ رقم ٣٨).

فالإخلاص عمل القلب فما بال المطعم؟! ثم ما الذي حسّن أكل الفاكهة ومنع الخبز؟! وهل هذا كله إلا جهل!

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري، قال: نا أبي، قال: حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد، وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب؛ لأن الناس: إما أصحاب نقل وأثر، وإما أرباب عقل وفكر؛ وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، فالذي للناس غيب فلهم ظهور، فهم أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال، فينبغي لمريدهم أن يقطع العلائق، وأولها الخروج من المال، ثم الخروج من الجاه، وأن لا ينام إلا غلبة، وأن يقلل غذاءه بالتدريج[(١)].

قال المصنف: قلت: من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط؛ لأن من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدودٍ في الناس، وهل أحد من الخلق إلا وهو مستدل، وذكر الوصال حديث فارغ، فنسأل الله العصمة من تخليط المريدين والأشياخ!

فصل في ذكر أحاديث تبين خطأهم في أفعالهم

○ أخبرنا يحيى بن علي المدير، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، قال: نا الحسن بن الحسين بن حمكان، قال: نا عبدان بن يزيد العطار. وأخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال: نا محمد بن أحمد الحافظ، قال: نا أبو عبد الله محمد بن عيسى البُرُوجِرْدي، قال: نا عمير بن مرداس، قال: نا محمد بن بكير الحضرمي، قال: حدثنا القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري، عن عبيد الله بن عمر، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب قال: «جاء عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، غلبني حديث النفس، فلم أحب أن أحدِّث شيئًا حتى أذكر لك ذلك. فقال رسول الله: **وما تحدثك نفسك يا عثمان؟**

(١) لم أقف عليه عن القشيري في رسالته، ولعله في كتاب آخر له.

قال: تحدثني نفسي بأن أختصي. فقال: **مهلا يا عثمان! فإن خصاء أمتي الصيام.**

قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن أترهب في الجبال. قال: **مهلًا يا عثمان! فإن ترهب أمتي الجلوس في المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.**

قال: يا رسول الله وإن نفسي تحدثني بأن أسيح في الأرض. قال: **مهلًا يا عثمان! فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة.**

قال: يا رسول الله، وإن نفسي تحدثني بأن أخرج من مالي كله. قال: **مهلًا يا عثمان! فإن صدقتك يومًا بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك.**

قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي. قال: **مهلًا يا عثمان، فإن هجرة أمتي من هجر ما حرم الله عليه، أو هاجر إليّ في حياتي، أو زار قبري بعد موتي، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع.**

قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها. قال: **مهلًا يا عثمان! فإن الرجل المسلم إذا غشي أهله وإن لم يكن من وقعته تلك ولد؛ كان له وصيف في الجنة، وإن كان من وقعته تلك ولد، فمات قبله، كان له فرطًا وشفيعًا يوم القيامة، وإن كان بعده كان له نورًا يوم القيامة.**

قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم. قال: **مهلًا يا عثمان! فإني أحب اللحم وآكله إذا وجدته، ولو سألت ربي أن يطعمني إياه كل يوم لأطعمني.**

قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن لا أمس طيبًا. قال: **مهلًا يا عثمان! فإن جبريل أمرني بالطيب غبًّا، ويوم الجمعة لا مترك له.**

يا عثمان، لا ترغب عن سنتي، فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي»[١].

قال المصنف: هذا حديث عمير بن مرداس.

○ أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حَيُّوَيْه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أنا الفضل بن دكين، قال: نا إسرائيل، قال: نا أبو إسحاق، عن أبي بردة، قال: «دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأَيْنها سيئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش رجل أغنى من بعلك؟ قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له، فلقيه فقال: **يا عثمان، أما لك بي أسوة؟** قال: بأبي وأمي، وما ذاك؟ قال: **تصوم النهار وتقوم الليل**. قال: إني لأفعل، قال: **لا تفعل! إن لعينيك عليك حقًا، وإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، فصلِّ ونم وصم وأفطر**»[٢].

○ قال ابن سعد: وأخبرنا عارم بن الفضل، قال: نا حماد بن زيد، قال: حدثنا معاوية بن عباس الجرمي، عن أبي قلابة، أن عثمان اتخذ بيتًا فقعد يتعبد فيه، فبلغ ذلك إلى النبي ﷺ، فأتاه فأخذ بعضادتي[٣] باب البيت الذي هو فيه وقال: «**يا عثمان، إن الله**

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٣٤٦)، وإسناد ابن الجوزي فيه القاسم بن عبد الله العمري، وهو متروك، فهذا الحديث ضعيف جدًا فلا حجة فيه على مشروعية الهجرة إلى قبر النبي ﷺ، بل المشروع هو زيارة القبر من غير شد الرحال.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٩٤-٣٩٥) مرسلًا؛ لأن أبا بردة تابعي، ورُوي هذا الحديث موصولًا من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري، أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ٢١٦ رقم ٧٢٤٢)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٩ رقم ٣١٦).

(٣) عضادتا الباب: الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله. اللسان (عضد).

ﷺ **لم يبعثني بالرهبانية** -مرتين أو ثلاثًا- **وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة**»[(١)].

○ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن علي بن ميمون، قال: أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الغُنْدَجَاني، قال: أخبرنا أبو بكر بن عَبْدان، قال: أنا محمد بن سهل، قال: نا البخاري، قال: قال موسى بن إسماعيل: نا حماد بن يزيد بن مسلم، قال: حدثنا معاوية بن قرة، عن كهمس الهلالي، قال: «أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامي، فمكثت حولًا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمي، فخفض في البصر ثم رفعه، قلتُ: أما تعرفني؟ قال: **ومَنْ أنت**؟ قلت: أنا كهمسٌ الهلالي. قال: **فما بلغ بك ما أرى**؟ قلت: ما أفطرت بعدك نهارًا، ولا نمت ليلًا. قال: **ومن أمرك أن تعذب نفسك؟! صم شهر الصبر ومن كل شهر يومًا**. قلت: زدني! قال: **صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين**، قلت: زدني! قال: **صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام**»[(٢)].

○ أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد العَبْدُويِّي، قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف، قال: نا أبو بكر الذهبي، قال: نا حميد بن الربيع، قال: نا عبيدة بن حميد، عن الأعمش، عن جرير بن حازم، عن أيوب، عن أبي قلابة، بلغ به النبي ﷺ أن ناسًا من أصحابه احتموا النساء واللحم، فأوعد فيه وعيدًا شديدًا، وقال: «**لو كنت تقدمت فيه لفعلت**»، ثم قال: «**إني لم أرسل بالرهبانية، إن خير الدين الحنيفية السمحة**»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٩٥)، وذكره الألباني في صحيحته (٤/ ٣٨٦)، وقال: هذا إسناد مرسل لا بأس به في الشواهد.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٣) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وانظر الحديث المتقدم (ص ٥٢٣)، فقد ورد بنحوه من طريق أبي قلابة، وفيه أن الكلام كان موجهًا لعثمان بن مظعون. وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٤٥).

○ **قال المصنف:** فقد روينا في حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ﷻ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه**»[١].

وقال بكر بن عبد الله: من أُعطي خيرًا فرُئِيَ عليه سُمِّيَ حبيب الله محدثًا بنعمة الله ﷻ، ومن أعطي خيرًا فلم ير عليه سُمِّيَ بغيض الله ﷻ معاديًا لنعمة الله ﷻ[٢].

فصل

قال المصنف: وهذا الذي نُهينا عنه من التقلل الزائد في الحد، قد انعكس في صوفية زماننا، فصارت همتهم في الأكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع، لهم الغداء والعشاء والحلوى، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة، وقد تركوا كسب الدنيا، وأعرضوا عن التعبد، وافترشوا فرش البطالة، ولا هَمَّة لأكثرهم إلا الأكل واللعب، فإن أحسن منهم مُحسن قالوا: طرح شكرًا. وإن أساء قالوا: استغفر. ويسمون ما يلزمونه واجبًا/ وتسمية ما لم يسمه الشرع واجبًا جناية عليه!

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ، النيسابوري، قال: نا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، قال: نا أحمد بن سلمة، قال: نا محمد بن عبدوس السراج البغدادي، قال: قام أبو مرحوم القاص بالبصرة يقص على الناس فأبكى، فلما فرغ من قصصه قال: من يطعمنا أرزَّة في الله؟ فقام شاب من

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف (ص٤١ رقم ٤٨) مرسلًا بلفظه، وذكره السيوطي في الجامع الصغير كما في فيض القدير (٢/ ٢٩٨)، وقال: مرسل. وله شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، دون قوله: «في مأكله ومشربه»، أخرجه الترمذي (٥/ ١١٤ رقم ٢٨١٩)، وأحمد (٢/ ١٨٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣٥)، قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (ص٩١ رقم ٥٤).

المجلس فقال: أنا! فقال: اجلس رحمك الله فقد عرفنا موضعك. ثم قام الثانية ذلك الشاب، فقال: اجلس فقد عرفنا موضعك. فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه: قوموا بنا إليه. فقاموا معه، فأتوا منزله، قال: فأتينا بقدر من باقلي فأكلناه بلا ملح.

ثم قال أبو مرحوم: عليَّ بِخِوان[١] خماسي وخمسة مكاكيك[٢] أرز، وخمسة أمنا سمن، وعشرة أمنا سكر، وخمسة أمنا صنوبر، وخمسة أمنا فستق، فجيء بها كلها، فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا؟ قالوا: مشرق لونها، مبيضة شمسها، قال: أجروا فيها أنهارها. قال: فأتي بذلك السمن فأجري فيها.

ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال: يا إخواني، كيف أصبحت الدنيا قالوا: مشرق لونها، مبيضة شمسها مجرية فيها أنهارها. فقال: يا إخواني، اغرسوا فيها أشجارها. قال: فأتي بذلك الفستق والصنوبر، فألقي فيها.

ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه، فقال: يا إخواني، كيف أصبحت الدنيا؟ قالوا: مشرق لونها، مبيضة شمسها، مجرية فيها أنهارها، وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلى لنا ثمارها. قال: يا إخواني، ارموا الدنيا بحجارتها. قال: فأتي بذلك السُّكر فألقي فيها.

ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه، فقال: يا إخواني، كيف أصبحت الدنيا؟ قالوا: مشرق لونها مبيضة شمسها وقد أجري فيها أنهارها، وقد غرس فيها أشجارها، وقد تدلى لنا ثمارها، فقال إخواني: ما لنا وللدنيا، اضربوا فيها براحتها، قال: فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس.

---

(١) **خوان**: بكسر الخاء وضمها، والكسر أفصح، وهو الذي يؤكل عليه. مختار الصحاح، اللسان (خون)، وقد ذكره في «معجم الألفاظ الفارسية المعربة» (ص٥٨).

(٢) **مكاكيك**: جمع مكوك، وهو مكيال يساوي ثلاث كيلجات، والكليجة منا وسبعة أثمان منا، والمنا رطلان، والرطل اثنتا عشرة أوقية. مختار الصحاح (مكك).

قال أبو الفضل أحمد بن سلمة: ذكرته لأبي حاتم الرازي فقال: أمله عليَّ فأمليته عليه، فقال: هذا شأن الصوفية[(١)]!

قال المصنف: قلت: وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الأكل، ثم اختان[(٢)] من الطعام، فربما ملأ كميه من غير إذن صاحب الدار، وذلك حرام بالإجماع، ولقد رأيت شيخًا منهم قد أخذ شيئًا من الطعام ليحمله، فوثب صاحب الدار وأخذه منه.

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في كتابه القصاص والمذكرين (ص٣٤٠) بهذا الإسناد.

(٢) من الخيانة. انظر: القاموس المحيط (خون).

ذكْر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد

قال المصنِّفُ رحمه الله: **اعلَمْ أن سماع الغناء يجمعُ شيئين:**

أحدهما: أنَّه يُلهي القلبَ عن التفكُّر في عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته.

والثَّاني: أنَّه يُميلُه إلى اللَّذات العاجلة ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسِّيَّة ومعظمُها النِّكاح وليس تمام لذَّته إلا في المتجَدِّدات ولا سبيل إلى كثرة المتجدِّدات مِن الحِلِّ فحثَّ على الزِّنا.

فبَيْن الغناء والزِّنا تناسب من جهة أنَّ الغناء لذة الروح والزَّنا أكبر لذَّات النفس؛ ولهذا جاء في الحديث: «**الغناء رُقْيَة الزِّنا**»[(١)].

وقد ذكر أبو جعفر الطبري: أنَّ الذي اتخذ الملاهيَ من ولد قَابِيل رجل يقال له: ثَوْبَال[(٢)] اتخذ في زمان مِهلائِيل بن قَيْنان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهَمَك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم إلى مَن بالجبل من نسل شِيث[(٣)] فنـزل منهم قوم وفشتِ الفاحشةُ وشُرْبُ الخمر[(٤)].

---

(١) هذا ليس بحديث، وإنما هو من كلام الفضيل بن عياض رحمه الله كما نسبه إليه المؤلف رحمه الله في موضوع آخر - وسيأتي بإذن الله تعالى -، ولقد ذكر الأثر جملة ممن اعتنوا بالأحاديث الموضوعة، منهم: الملا على قاري في كتابه الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص٣١٢ والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ١٠٦.

(٢) مِن ولد قابيل بن نوح عليه السلام جاء في تاريخ الطبري ١/ ١٠٤: توبال بالتاء. وفي الكامل في التاريخ ١/ ٦٣: ثوبال بالثاء.

(٣) شيث بن آدم، ومعنى شيث: هبة الله وذكرت كتب التاريخ أن آدم عليه السلام لما مات قام بأعباء الأمر من بعده ابنه شيث عليه السلام، فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده ثم بعده أبنه قَيْنان ثم بعده ابنه مهلائيل. انظر: البداية والنهاية ١/ ١٠٠، وتاريخ دمشق ٢٣/ ٢٦٨، والكامل في التاريخ ١/ ٦٢.

(٤) هذا الأثر أورده ابن جرير الطبري في تاريخه ١/ ١٠٤ وعلق عليه بقوله: «وهذا القول غير بعيد من الحق، وذلك أنه قول قد رُوي عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا محمد ﷺ نحو منه، وإن لم يكونوا بيّنوا
=

قال المصنف رحمه الله: وهذا لأنَّ الالتذاذ بشيء يدعو إلى الالتذاذ بغيره خصوصًا ما يُناسبه ولما يئس إبليس من المتعبِّدين أن يسمعَ أحدهم شيئًا من الأصوات المحرمة كالعود نظرَ إلى المعنى الحاصل بالعود فدَرَجه في ضمن الغناء بغير العود وحَسَّنهُ لهم وإنما مراده التدريج من شيء إلى شيء والفقيه من نظر في الأسباب والنَّتائج وتَأمَّل المقاصد.

فإنَّ النظر إلى الأمرد مباح إن أُمِن ثوران الشهوة فإنْ لم يُؤمن لم يجز، وتقبيل الصَّبيَّة التي لها من العمر ثلاث سنين جائز؛ إذ لا شهوة تقع هناك في الأغلب فإنْ وجد شهوة حرم ذلك وكذلك الخَلْوَةُ بذات المحارم فإنْ خيف من ذلك حرم فتأَمَّلْ هذه القاعدة!

فصل:

قال المصنف رحمه الله: وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا، فمنهم مَنْ حرَّمه، ومنهم من أباحه من غير كراهة، ومنهم من كرهه مع الإباحة.

وفَصْلُ الخطاب أَنْ نقول: ينبغي أن يُنْظَرَ في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة وغير ذلك.

والغناء: اسم يُطْلَقُ على أشياء، منها: غناء الحجيج في الطُّرُقات فإنَّ أقوامًا يقْدُمون من الأعاجم للحج فيُنْشِدون في الطُّرُقات أشعارًا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل فسماعُ تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إيَّاها ممَّا يُطْرِب ويُخرج عن الاعتدال.

زمانَ مَنْ حدث ذلك في ملكه، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم». ثم أخذ بذكر من رُوي هذا عنه من سلف الأمة.

وفي معنى هؤلاء الغزاة؛ فإنَّهم ينشدون أشعارًا يُحرِّضون بها على الغَزْو، وفي معنى هذا إنشاد المتبارِزين للقتال للأشعار تفاخرًا عند النِّـزال.

وفي معنى هذا أشعارُ الحُدَاةِ في طريق مكة، كقول قائلهم:

بَشَّرَهَا دَلِيْلُهَا وقَالا ** غَدًا تَرَينَ الطَّلْحَ والجِبَالا[1]

وهذا يُحرِّكُ الإبلَ والآدَمِيَّ إلَّا أَنَّ ذلك التحريكَ لا يُوجبُ الطَّرَبَ المُخْرِجَ عن حَدِّ الاعتدال.

وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البَنَّا، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المُسْلِمَة قال: نا المُخلِّص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطُّوسي، قال: نا الزبير بن بكار، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر قال: نا أبو البحتري وهب عن طلحة المكي، عن بعض علمائهم: أن رسول الله ﷺ مال ذاتَ ليلة بطريق مكة إلى حادٍ مع قومٍ فَسَلَّمَ عليهم فقال: «**إنَّ حادينا ونى فسمعنا حَادِيَكُم فمِلْتُ إليكم فهل تدرون أَنَّى كان الحِدَاء؟**» قالوا: لا والله. قال: «**إنَّ أباهم مُضَر خرج إلى بعض رُعَاته فوجد إبِلَه قد تفرقتْ فأخذ عصًا فَضَربَ بها كَفَّ[2] غلامه، فعَاد الغلام في الوادي وهو يصيح: وا يداه وا يداه! فسمعتِ الإبلُ ذلك فَعَطَفَتْ عليه فقال مضر: لو اشتقَّ مثل هذا لانتفعت به الإبل واجتمعت. فاشتق الحُدَاء**»[3].

---

(١) البيت للنابغة الجعدي. والبيت ذكره معمر بن المثنّى في مجاز القران ٢/ ٢٥٠، عند قوله تعالى ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، وعنه الحربي في غريب الحديث ٢/ ٦٣٠ والطبري في تفسيره ٢٧/ ١٨٠ وذكره القرطبي ١٧/ ٢٠٨ ونسبه إلى الجعدي. ولم أجده في ديوانه.

(٢) في (أ): كعب.

(٣) هذا الحديث بهذا الإسناد موضوع؛ فهو مع إرساله فيه أبو البحتري وهو يضع الحديث وقد وصفه المؤلف رحمه الله في كتاب الموضوعات (١/ ٣٥) بأنه «من كبار الكذّابين» ومع هذا ساق الحديث من طريقه. وصححه موقوفًا الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/ ٣٢ رقم (٥٥٤).

قال المصنف رحمه الله **قلت:** وقد كان لرسول الله ﷺ حادٍ يقال له: أَنْجَشَةُ[(١)]، يحدو فيَعْنَقُ[(٢)] بالإبل، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بالقوارير**»[(٣)].

وفي حديث سلمةَ بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خَيْبَرَ فَسِرْنا ليلًا، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تُسمعنا من هُنَيَّاتِك! وكان عامر رجلًا شاعرًا فنـزل يَحْدو بالقوم ويقول:

اللـهُمَّ لولا أنْتَ ما اهْـتَدَيْنا

ولا تَصَـدَّقْـنا ولا صَـلَّـيْـنَا

فـأَلْـقِــيَـنْ سَـكِيْـنَةً عَلَيْـنا

فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا السَّائق؟**» فقالوا: عامر بن الأكوع فقال: «**يَرْحمُه الله**»[(٤)].

قال المصنف رحمه الله: وقد رُوِّينا عن الشافعيِّ رحمه الله أنه قال: أما استماع الحُداء ونشيد الأعراب فلا بأس به[(٥)].

قال المصنف رحمه الله **قلت:** ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم:

---

(١) أنجشة: الأسود الحادي حسن الصوت بالحداءكان حبشيًّا يكنى أبا مارية، كان أنجشه يحدو بالنساء، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال. انظر: الاستيعاب ١/ ٢٢٦، وأسد الغابة ١/ ١٤٤، والإصابة ١/ ٦٨، وصحيح الأدب المفرد ص١١٦.

(٢) فيعْنَق بالإبل: العَنَقُ بفتحتين ضرب من السير فسيح سريع وهو اسم من أَعْنَقَ إعْنَاقًا. انظر النهاية ٣/ ٣١٠، والمصباح ص٤٣٢، واللسان ١٠/ ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤/ ١٩٣٨رقم (٦١٤٩)، ومسلم ٤/ ١٨١١ رقم (٢٣٢٣).

(٤) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٧٦ رقم (٤١٩٦) ومسلم ٣/ ١٤٢٧ رقم (١٨٠٢).

(٥) ذكر الإمام الشافعي رحمه الله هذا الكلام في الأم ٦/ ٣٠٢.

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا ** مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ
وجَبَ الشُّكرُ عَلَيْنا ** مَا دَعا لله دَاعِ[(١)]

ومِن هذا الجنس كانوا يُنْشِدونَ بالمدينة، وربَّما ضَرَبوا عليه بالدُّفِّ عند إنشاده.

ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: نا عبد الله بن أحمد قال: نا أبي قال: نا أبو المغيرة قال: نا الأوزاعي قال: حدثني الزهريعن عروة عن عائشة ﵂: أنَّ أَبا بكر ﵁ دخلَ عليها وعندها جاريتان في أيام مِنَى تضرِبان بِدُفَّيْن ورسول الله ﷺ مُسَجًّى عليه بثوبه فانْتَهَرَهُما فكشف رسول الله ﷺ وجهه. وقال: «**دَعْهُنَّ يا أبا بكر فإنَّها أيامُ عيدٍ**». أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

والظاهرُ من هاتين الجاريتين صِغَرُ السِّنِّ؛ لأنَّ عائشة كانت صغيرةً وكان النبي ﷺ يُسَرِّي إليها الجَواريَ فيَلْعَبْنَ معها[(٣)].

وقد أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: نا أبو إسحاق البرمكي قال: أنبأنا عبد العزيز بن جعفر قال: نا أبو بكر الخَلَّال قال: أخبرني منصور بن الوليد، أنَّ جعفر بن محمد حدثهم قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل:

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٥٠٧ عن عبيد الله بن محمد بن عائشة يقول: «لما دخل النبي ﷺ المدينة... » وهذا سند معضل؛ فإن ابن عائشة من شيوخ الإمام أحمد وكانت وفاته سنة ٢٢٨ هـ، وعلى ذلك يكون قد سقط من إسنادة ثلاثة رواة أو أكثر. قال ابن حجر بعد سياقه له: «وهو سند معضل» الفتح ٧/ ٢٦١-٢٦٢. وانظر السلسلة الضعيفة ٢/ ٦٣ ٢٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٢٨٥ رقم (٩٤٩) ومسلم ٢/ ٦٠٧ رقم (٨٩٢).

(٣)أخرجه البخاري ٤/ ١٩٣١رقم (٦١٣٠، وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٩٠ رقم (٢٤٤٠)، والإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٣٤، وأبو داود ٤/ ٢٨٤رقم (٤٩٣١) والنسائي ٦/ ١٣١رقم (٣٣٧٨) وابن ماجه ٦٣٧ رقم (١٩٨٢) وغيرهم.

حديث الزُّهري عن عروة عن عائشة عن جوارٍ يغنين أي شيء هذا الغناء؟ قال: «غناء الرَّاكْب: أتيناكم»[1].

قال: الخلَّال وحدثنا أحمد بن الفرج الحمصي قال: نا يحيى بن سعيد قال: نا أبو عقيل عن بُهَيَّة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عندنا يتيمةٌ من الأنصار، فكنت فيمن أهداها إلى زوجها[2] فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إنَّ الأنصار أناسٌ فيهم غَزَلٌ، فما قلتِ؟**» قالت: دَعَوْنا بالبَرَكة «**قال: أفلا قلتم:**

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ ** فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ
ولَولا الذَّهَبُ الأحمرُ ** ما حَلَّتْ بِوادِيكُمْ
ولَولا الحَبَّةُ السَّمراءُ ** لم تَسْمَنْ عَذارِيكُمْ»[3]

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: نا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: نا أسود بن عامر قال: أخبرنا أبو بكر عن أجلح عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**أهديتم الجاريةَ إلى بيتها؟**» قالت: نعم. قال: «**فَهَلَّا بعثتم معها مَنْ يُغَنِّيهم يقول:**

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ ** فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ

---

(١) هذا الأثر عن الإمام أحمد أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص١٤٧.

(٢) في (ت): فزوجناها رجلًا من الأنصار.

(٣) أخرجه المؤلف من طريق أبي بكر الخلال وقد أخرجه الخلال في كتاب الأمر بالمعروف ص ١٤٧. وهذا الحديث في إسناده أبو عقيل، وهو ضعيف. والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ٤/ ١٦٥ رقم (٣٢٨٩) وفي إسناده رَوّاد بن الجرَّاح وهو أيضًا ضعيف وقال الحافظ عنه في التقريب ص٢١١: «صدوق اختلط بآخره فترك»، وللحديث طريق أخرى يتقوّى بها كما سيأتي في الذي يليه - بإذن الله تعالى -.

فإن الأنصار قوم فيهم غَزَلٌ»[(١)].

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: فقد بانَ بما ذَكَرْنا ما كانوا يُغَنُّونَ به وليس ممَّا يُطْرِبُ ولا كانت دُفوفُهُنَّ على ما يُعْرَفُ اليوم.

ومِن ذلك: أشعارٌ يُنْشِدُها المتزهِّدون بتطريبٍ وتَلحينٍ تُزعجُ القلوبَ إلى ذكر الآخرة، ويسمُّونها الزُّهْدِيَّات كقول بعضهم:

ياغَادِيًا في غَفْلَةٍ ورَائِحا ** إلى مَتى تَسْتَحْسِنُ القَبائِحا
وكَمْ إلى كَمْ لا تخافُ مَوْقِفًا ** يَسْتَنْطِقُ اللهُ بهِ الجَوارِحَا
يا عَجَبًا مِنْكَ وأنْتَ مُبْصِرٌ ** كيفَ تجَنَّبْتَ الطَّرِيقَ الواضِحَا[(٢)]

وهذا مباح أيضًا مِثْلَه أشار أحمدُ بن حنبل في الإباحة فيما أنبأنا به أبو العز بن كادش قال: نا المظفر بن الحسن الهمذاني قال: نا أبو بكر بن لال قال: نا الفضل بن الفضل الكندي قال: سمعت عَبْدوس يقول: سمعت أبا حامد الخُلْقَانيَّ يقول: قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، هذه القصائد الرِّقاق التي في ذِكْر الجنَّة والنَّار، أيُّ شيءٍ تقول فيها؟ فقال: مِثْلُ أيِّ شيءٍ؟ قلتُ يقولون:

إذا ما قالَ لي رَبِّي ** أما اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِيني
وتُخْفِي الذَّنْبَ مِن خَلْقِي ** وبالعِصْيانِ تَأْتِيني

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٩١ و٢٣/ ٣٧٩ رقم (١٥٢٠٩) والنسائي في الكبرى ٣/ ٣٣٢ رقم (٥٥٦٦) كلاهما من طريق الأجلح عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه. وابن ماجه ١/ ٦١٢ رقم (١٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الألباني في الإرواء ٧/ ٥٢: «وهذا إسناد حسن لولا عنعنة أبي الزبير، لكنه حسن بالذي قبله». وأصل الحديث عند البخاري ٣/ ٤٣٥ رقم (٥١٦٢).

(٢) هذه الأبيات ذكرها المؤلف في المدهش ص٣١٥ وابن القيم في مسألة السماع ص٧٨ والقرطبي في كشف القناع ص٤٩.

فقال: أعِدْ عَلَيَّ. فأعَدْتُ عليه، فقام ودخل بيتَه وردَّ الباب فسمعتُ نحيبَهُ من داخلٍ وهو يقولُ لنفسه:

إذا مـا قـالَ لـي رَبِّـي ** أمـا اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِينِي
وتُخْفِي الذَّنْبَ مِن خَلْقِي ** وبالعِصْيانِ تَأْتِينِي (١)

ومن الأشعارِ أشعارٌ تَنْشِدُها النُّوَّاحُ يُثيرونَ بها الأحزانَ والبُكاءَ فيُنْهى عنها؛ لما في ضِمْنِها.

فأمَّا الأشعارُ التي يُنْشِدُها المُغَنُّون المهيَّئُون للغناء ويصفونَ فيها المستَحْسَنات والخمر وغير ذلك مما يُحرِّكُ الطِّبَاع ويُخرجُها عن الاعتدال ويُثير كامِنَها من حُبِّ اللَّهوِ وهو الغناءُ المعروف في هذا الزَّمان، مثل قول الشاعر:

ذَهَبِيُّ اللَّونِ تَحْسَبُ مِن ** وجْنَتَيْهِ النَّارُ تَقْتَدِحُ
خَوَّفُونِي مِن فَضيحَتِهِ ** لَيْتَهُ وَافَى (٢) وأفْتَضِحُ (٣)

وقد أخْرَجوا لهذه الأغاني ألحانًا مختلفة كلُّها تُخْرِجُ سامِعَها عن حَيِّز الاعتدال، وتُثيرُ حُبَّ اللَّهو.

---

(١) لم أعثر على أحد أخرجه غير المؤلف ونقل هذا الأثر عن الإمام أحمد ابن القيم في مسألة السماع ص٧٩. وذكر الإمام الشاطبي في الاعتصام ١/ ٣٤٨ قصة فيها من قبيل هذا الشعر، ثم قال: «هذا وما أشبهه كان فعل القوم وهم مع ذلك لم يقتصروا في التنشيط للنفوس ولا الوعظ على مجرّد الشعر بل وعظوا أنفسَهم بكلِّ موعظة ولا كانوا يستحضرون لذكر الأشعار المغنين؛ إذ لم يكن ذلك من طلباتهم ولا كان عندهم من الغناء المستعمل في أزماننا شيء وإنما دخل في في الإسلام بعدهم حين خالط العجم المسلمين».

(٢) في (ت): يرضى.

(٣) ذكر هذه الأبيات وغيرها ابن القيم في مسألة السماع ص٩٥.

ولهم شيءٌ يسمُّونَه البَسِيطَ[١] يُزْعِجُ القلوبَ عن مَهَلٍ ثم يأتون بالنشيد بعده فيُجَعْجِعُ القلوبَ.

وقد أضافوا إلى ذلك ضرْبَ القضيبِ والإيقاعَ به على وفق الإنشاد، والدُّفَّ بالجلاجِل، والشَّبَّابَةَ النائبةَ عن الزَّمْرِ فهذا الغناء المعروف اليوم.

فصل:

وقبلَ أنْ نتكَلَّم في إباحتِه أو تحريمه أو كراهته نقول: ينبغي للعاقل أنْ ينصح نفسه وإخوانه، ويحذر تلبيسَ إبليس في إجراء هذا الغناء مَجْرى الأقسام المتقدمة التي يُطْلَق عليها اسمُ الغناء فلا يحمل الكل محملًا واحدًا، فيقول: قد أباحه فلان وكرهه فلان.

فنبدأُ بالكلام في النصيحة للنفس والإخوان فنقول: معلومٌ أنَّ طباع الآدميِّين تتقاربُ ولا تكادُ تتفاوتُ فإذا ادَّعى الشَّابُ السَّليمُ البدن الصحيح المزاج أنَّ رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثِّر عنده ولا تضرُّه في دينه كَذَّبناه؛ لما نعلمُ من استواء الطِّبَاع، فإنْ ثبتَ صدْقُه عرفنا أنَّ به مرضًا خرج به عن حَيِّز الاعتدال.

فإنْ تعلَّل فقال: إنما أنظرُ إلى هذه المستحسنة مُعْتَبِرًا، فأتعجَّب من حُسْن الصنعة في دَعَج العينين[٢]، ورقَّة الأنف، ونقاءِ البياض.

قلنا له: في أنواع المباحات ما يكفي في العبرة وهاهنا ميل من طبعك يَشْغَلُك عن الفكرة، ولا يدعُ لبلوغِ شهوتك وجودَ فكرةٍ فإنَّ ميل الطبع شاغلٌ عن ذلك.

---

(١) البَسِيط: جِنْس من العَرُوضِ فهو أحد بحور الشعر فلعلهم يسجعون غناءهم على وزنه. انظر: لسان العرب ٧/ ٢٦٠ والمعجم الوسيط ١/ ٥٦.

(٢) دعج العين هو: شدة سوادها مع سعتها وقيل شدة سوادها في شدة بياضها. انظر: غريب الحديث ٣/ ٢٦ والعين ١/ ٢١٩.

وكذلك من قال: إنَّ هذا الغناءَ المطربَ المزعجَ للطِّباع المُحَرِّكَ لها إلى العشق وحُبِّ الدُّنيا لا يُؤْثِّر عندي ولا يَلْفِتُ قلبي إلى حبِّ الدنيا الموصوفة فيه!

فإنا نُكَذِّبُه؛ لموضع اشتراك الطِّباع ثم لو كان قلبه بالخوف من الله تعالى غائبًا عن الهوى لأَحْضَرَ هذا المسموعُ الطبعَ وإنْ كانت قد طالتْ غَيْبَتُهُ في سفر الخوف، وأقبح القبيح البَهْرَجَةُ، ثم كيف تمرُّ البَهْرَجَة على مَنْ يعلم السرَّ وأخفى.

ثم إنْ كان الأمرُ كما زعمَ هذا المتصوِّفُ فينبغي أن لا نبيحَه إلا لمن هذه صفته والقومُ قد أباحوهُ على الإطلاقِ للشَّابِّ المبتدئ، والصبيِّ الجاهل حتى قال أبو حامد الطوسي: إنَّ التشبيبَ بوصف الخدود، والأصداغ، وحسن القَدِّ والقامة، وسائر أوصاف النساء الصحيح أنَّه لا يحرم(١).

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: فأمَّا من قال: إنِّي لا أسمعُ الغناء للدُّنيا، وإنَّما آخُذُ منه إشاراتٍ(٢). فهو مخطئ من وجهين:

أحدُهما: أنَّ الطبعَ يسبقُ إلى مقصوده قبل أخذ الإشاراتِ فيكونُ كمن قال: إنِّي أنظرُ إلى المرأة المُسْتَحْسَنَةِ لأتفكَّرَ في الصنعة.

والثاني: أنَّه يَقِلُّ فيه وجود شيءٍ يُشَارُ به إلى الخالق.

وقد جلَّ الخالقُ تبارك وتعالى أنْ يُقَالَ في حقِّه: إنَّه يعشق(٣) ويقع الهَيَمانُ به،

---

(١) انظر: الإحياء ٢/ ٢٨٢.

(٢) الإشارة: إخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان وعند أهل التصوف: ما يخفى عن المتكلم كشفه للطافة معناه وقال بعضهم: الإشارة تؤذن بحضور الغير وتكون مع القرب مع حضور الغير وتكون مع البعد. انظر: اللمع ص٤١٤ واصطلاح الصوفية ص٥٣٩ ضمن رسائل ابن عربي وموسوعة مصطلحات التصوف ص٦٢.

(٣) الألفاظ المجملة التي قد يفهم منها معنى فاسد كلفظ العشق إذا لم ترد في كلام الشارع لم نكن محتاجين إلى إطلاقها، وإن أريد به المحبة التامة؛ لأن الشرع لم يرد بهذا اللفظ، وفيه إبهام وإيهام فلا يطلق. انظر: ⟵

وإنما نصيبُنا من معرفته الهيبةُ والتعظيمُ فقط.

وإذْ قد انتهت النصيحة فلنذكر ما قيلَ في الغناء.

فصل:

◆ **أما مذهب أحمد** رحمه الله:

فإنَّه كان الغناء في زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنَّهم لما كانوا يُلَحِّنونَها اختلفت الرواية عنه:

- **فروى** عنه ابنه عبدالله أنَّه قال: الغناءُ يُنبتُ النِّفَاقَ في القلب لا يعجبني[(١)].
- **وروى** عنه إسماعيل بن إسحاق الثَّقَفيُّ: أنَّه سُئِلَ عن استماع القصائد؟ فقال: أكرَهُهُ، هو بدعةٌ، ولا يُجالَسون[(٢)].
- **وروى** عنه أبو الحارث أنَّه قال: التَّغبير بدعة. فقيل له: إنَّه يرقق القلبَ. فقال: هو بدعة[(٣)].

النبوات ص١٠٠-١٠١ وأمراض القلوب ص٢٤ والفتاوى ١٠/ ١٣١ وروضة المحبين ص٢٨ والردود العلمية في دحض حجج الصوفية ص٦٢٤.

(١) هكذا جاء في مسائل عبد الله ص ٣١٦ وهذا القول رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا: المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٦٢٩ ورواه عنه مرفوعًا: أبو داود ٤/ ٢٨٣ فمدار الحديث على هذا شيخ مجهول «وفي رفعه نظر والموقوف أصح». كذا قال ابن القيم في الإغاثة ١/ ٢٧٧ فإسناده ضعيف مرفوعًا. وليعلم أن الإمام أحمد يستعمل هذا اللفظ ولفظ الكراهة وهو يريد به التحريم. وهذا ما أوضحه الإمام ابن القيم في أعلام الموقعين ١/ ٣٩.

(٢) أخرج هذا الأثر الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص١٤٩. ولم يرد فيه جملة «هو بدعة، ولا يجالسون» وأورد بعد هذا الأثر عن عبد الرحمن المتَطبِّب قال: سألت أحمد بن حنبل قلت: ما تقول في أهل القصائد؟ قال: بدعة، لا يجالسون.

(٣) رواه الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص١٥١. بإسناد صحيح.

- وروى عنه يعقوب الهاشمي: التغبير بدعة محدث[1].
- وروى عنه يعقوب بن بُخْتَان: أكره التغبيرَ. وأنَّه نهى عن استماعه[2].

قال المصنف رحمه الله: فهذه الروايات كلُّها دليلٌ على كراهية الغناء.

وقال أبو بكر الخَلَّال: كره أحمد القصائد لما قيلَ له: إنهم يتَماجَنون ثم روي عنه ما يدُلُّ على أنه لا بأسَ بها[3].

قال المروذيُّ: سألت أبا عبد الله عن القصائد؟ فقال: بدعة. فقلتُ له: يُهْجَرون؟ فقال: لا يبلُغُ بهم هذا كله[4].

قال المصنف رحمه الله **قلت**: وقد رُوِّينا عن أحمد سمع قَوَّالًا[5] عند ابنه صالح فلم ينكرْ عليه فقال له صالح: يا أبتِ أليسَ كنت تُنْكِرُ هذا؟ فقال: إنما قيلَ لي: إنهم يستعملون المُنْكَرَ فكرهته، فأمَّا هذا فإني لا أكرهه.

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: وقد ذكر أصحابنا عن أبي بكر الخَلَّال وصاحبه عبدالعزيز إباحة الغناء وإنما أشارا إلى ما كان في زمانهما من القصائد الزُّهْدِيَّات؛ وعلى هذا يُحْمَلُ مالم يَكْرَهْهُ أحمد.

ويدلُّ على ما قلتُ أنَّ أحمد سُئِلَ عن رجل مات وخلَّف ولدًا وجارية مُغَنِّيَةً واحتاج الصبيُّ إلى بيعها، فقال: تباع على أنها ساذجة، لا على أنها مُغَنِّيَةٌ فقيل له: إنها

---

(١) أخرجه الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص١٥١.

(٢) وهذا الأثر أخرجه الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص١٥١. والأثر إسناده صحيح. انظر السنة للخلال ٢/ ٣٦٢.

(٣) انظر: المغنى ١٤/ ١٦٠.

(٤) انظر: اتباع السنن واجتناب البدع ص٧٣ و٨٩. للضياء المقدسي.

(٥) القوَّال: فعَّال للمبالغة وجمعه قوَّالون ورجل قوَّال: أي حسن القول وهو المُغَنِّي. انظر: المصباح المنير ٢/ ٥٢٠ وأقرب الموارد ١/ ١٠٥٣ والمنجد ص٦٦٣.

تساوي ثلاثين ألفًا ولعلَّها إذا بيعت ساذِجَة تساوي عشرين دينارًا. فقال: لا تباعُ إلا على أنها ساذجة.

قال المصنف: وإنما قال أحمد هذا لأنَّ الجارية مُغَنِّيَةٌ لا تُغَنِّي بقصائد الزُّهْدِيَّات بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العِشْق، وهذا دليلٌ على أنَّ الغناء محظورٌ؛ إذ لو لم يكن محظورًا ما أجاز تفويتَ المال على اليتيم وصار هذا كقول أبي طَلْحَةَ للنبي ﷺ: عندي خمرٌ لأيتام. فقال: «**أرقها**»[١].

فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع مال اليتامى.

وروى المروذيُّ عن أحمد أنَّه قال: كَسْبُ المُخَنَّثِ خبيثٌ فكسبه بالغناء[٢].

وهذا لأن المخنَّث لا يُغَنِّي بالقصائد الزُّهديَّة إنما يُغَنِّي بالغَزَل أو النَّوْح، فبانَ من هذه الجملة أنَّ الروايتين عن أحمد في الكراهية وعدمِها تتعلَّقُ بالزُّهْدِيَّاتِ المُلَحَّنَة، فأمَّا الغناء المعروف اليوم فمحظورٌ عنده كيف ولو علم ما أحدثَ الناسُ فيه من الزيادات؟!

فصل:

♦ وأما مذهب مالك رحمه الله:

فأخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي قال: أنبأنا عبد العزيز بن جعفر قال: نا أبو بكر الخَلَّال

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١١٩ ،١٨٠ و١٩/ ٢٢٦ رقم (١٢١٨٩) وأبو داود، رقم (٣٦٧٥) والترمذي، رقم (١٢٩٣). والحديث أصله في مسلم رقم (١٩٨٣)كما ذكر ذلك ابن حجر في التلخيص ٣/ ٣٥. وانظر في هذه المسألة: المغني ١٢/ ٥١٧.

(٢) انظر في هذا القول عن الإمام أحمد: كتابه الورع ص٣٧ رواية المروذي عن الإمام أحمد وفيه يكسبه بالطبل بدل الغناء.

وأخبرناه عاليًا سعيد بن الحسن[١] بن البَنَّا قال: أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد الزَّيْنَبي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الوَرَّاق قال: نا محمد بن السَّرِيِّ بن عثمان التَّمَّار قال: أخبرنا عبدالله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: نا إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع قال: سألتُ مالك بن أنس عمَّا يترخَّصُ فيه أهلُ المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله عندنا الفساق[٢].

أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري قال: أنبأنا أبو الطَّيِّب الطَّبَري قال: أمَّا مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه، وقال: إذا اشترى جاريةً فوجَدَها مُغَنِّيَةً كان له رَدُّها بالعيب[٣].

وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وَحْدَه فإنَّه قد حَكى زكريَّا السَاجِيُّ أنَّه لا يرى به بأسًا[٤].

فصل:

◆ **وأما مذهب أبي حنيفة** رحمه الله:

أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطَّيِّب الطَّبَري قال: أبو حنيفة يكره الغناء، مع إباحتِهِ شُرْبَ النَّبيذ ويجعلُ سماعَ الغناء من الذنوب[٥].

---

(١) هكذا في المخطوط والصواب سعيد بن أحمد بن الحسن بن البنا فلعله نسبه إلى جده اختصارًا.

(٢) هذا الأثر عن الإمام مالك رواه الإمام أحمد في كتابه العلل ٢/ ٧٠ من رواية ابنه عبد الله واسحاق كما علمت ثقة فهذا القول ثابت عن الإمام مالك بالسند الصحيح كما أفاد ذلك الألباني رحمه الله في تحريم آلات الطرب ص٩٩. أما طريق ابن البنا الذي ساقه المؤلف فهو ضعيف؛ وذاك لضعف بعض رجال إسناده.

(٣) وهذا القول عن الإمام مالك هو المنقول عنه في كتب المالكية. انظر مثلًا: المدونة الكبرى ٤/ ٤٢١.

(٤) انظر: السماع لأبي الطيب الطبري ص٢٩ وتحريم الغناء والسماع للطرطوشي ص١٦١ و١٦٤.

(٥) وكتب الأحناف تدل على ما ذكر انظر مثلًا: حاشية ابن عابدين ٥/ ٢٥٣ وفتح القدير ٦/ ٤٨١ وما بعدها.

قال: وكذلك مذهبُ سائر أهل الكوفة: إبراهيم، والشَّعبِيِّ، وحمَّاد، وسفيان الثَّوريِّ، وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك.

قال: ولا يُعرف بين أهل البصرة خلافٌ في كراهية ذلك والمنع منه، إلا ما رُوِيَ عن عُبيد الله بن الحسن العَنْبَرِيِّ أنَّه كان لا يَرى به بأسًا[١].

فصل:

◆ **وأما مذهب الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فأخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نُعَيْم الأصبهاني قال: نا محمد بن عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الحارث قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن جناد قال: نا الحسن بن عبد العزيز الجَرَويّ قال: سمعتُ محمد بن إدريس الشافعيَّ يقول: خَلَّفتُ بالعراق شيئًا أحْدَثته الزنادقة يُسَمُّونَهُ التَّغْبِيرَ يَشْغَلُون به الناس عن القرآن[٢].

وقد ذكر أبو منصور الأزهريُّ: المُغَبِّرَةُ: قوم يُغَبِّرون يذكرون الله بدعاء وتضرُّع وقد سَمَّوْا ما يطرَبون فيه من الشعر في ذكر الله تعالى تغبيرًا كأنهم إذا تَنَاشَدوا بالألحان طَرِبوا ورَقَصوا فَسُمُّوا مُغَبِّرةً لهذا المعنى.

وقال الزَّجَّاج: سُمُّوا مُغَبِّرين لتزهيدِهم الناسَ في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة[٣].

---

(١) انظر: كتاب أبي الطيب الطبري ص٣١. قال ابن رجب في نزهة الأسماع ص٧٦: أن ما ذكر عن ابن سعد والعنبري من إباحة السماع في الغناء دون سماع الملاهي إذ لا يعرف عن أحد من السلف الرخصة فيها إنما يعرف ذلك عن بعض المتأخرين من الظاهرية والصوفية ممن لا يعتد به. وقريبًا من ذلك قال الطرطوشي في تحريم السماع ص١٦٥.

(٢) وهذا القول عن الشافعي: أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١٤٦ وأخرجه الخلال في الأمر بالمعروف ص١٥١-١٥٢. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٥٨. وهو صحيح النسبة إلى الإمام الشافعي.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٨/ ١٢٢.

وأخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطَّيِّب طاهر بن عبد الله الطَّبَري قال: قال الشافعيُّ: الغناء لهوٌ مكروهٌ يشبه الباطل، ومن استكثَرَ منه فهو سفيه تُرَدُّ شهادته. قال: وكان الشافعي يكره التغبير[(١)].

قال الطَّبَرِيُّ[(٢)]: فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعةَ إبراهيمُ بن سعد وعُبيدُ الله العَنْبَرِيُّ وقد قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالسَّوَاد الأعظم**»[(٣)]، وقال: «**مَنْ فارق الجماعة مات مِيتةً جاهلية**»[(٤)].

قال المصنف: قلت: وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي يُنْكِرُونَ السَّمَاعَ، أمَّا قُدَماؤُهم فلا يُعْرَفُ بينهم خلاف وأمَّا أكابر المتأخِّرين فعلى الإنكار منهم أبو الطَّيِّب الطَّبَرِيُّ، وله في ذمِّ الغناء والمنع منه كتابٌ مصنَّف[(٥)] حدثنا به عنه أبو القاسم الحريري.

---

(١) انظر في هذا الأقوال للشافعي: كتاب الأم ٦/ ٣٠١-٣٠٢ وفي كتاب أبي الطيب ص٢٧ ونقل هذه الأقوال وغيرها عن الإمام الشافعي البيهقي في السنن ١٠/ ٢٢٣ وفي معرفة السنن والآثار ١٤/ ٣٢٧.

(٢) في كتابه الرد على من يحب السماع ص٣١-٣٢.

(٣) هذه جملة من حديث أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٠٣ رقم (٣٩٥٠)، ومداره على أبي خلف الأعمى وهو متروك بل رماه ابن معين بالكذب، انظر: التقريب ص٦٣٧. وبنحو هذا اللفظ من حديث ابن عمر ﭬ والحاكم في المستدرك ١/ ١١٥ ١١٦ وغيرهما، تجتمع أسانيدهم في أبي سفيان المدني وهو سليمان بن سفيان وهو ضعيف، انظر: التقريب ص٢٥١. انظر لمزيد بيان: السلسلة الضعيفة رقم (٢٨٩٦)، والكلام منصب على الجملة الأخيرة من الحديث التي أوردها المؤلف أما الجملة الأولى فهي صحيحة بشواهدها.

(٤) هذه جملة من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٦٩ ٣٠٦، ٤٨٨ و١٣/ ٣٢٦ ومسلم رقم (١٨٤٨)من حديث أبي هريرة ﭬ والنسائي ٧/ ١٢٣. والجملة التي ذكرها المؤلف من الحديث لها شواهد في جملة من الأحاديث عن عدد من الصحابة ﭫ. منها: عن ابن عباس ﭭ عند الإمام أحمد ١/ ٢٧٥ والبخاري برقم (٧٠٥٤) و(٧١٤٣) ومسلم برقم (١٨٤٩) ومن حديث ابن عمر ﭭ عند أحمد ٢/ ٧٠ ومسلم برقم (١٨٥١). وغيرهما.

(٥) وهو مطبوع باسم الرد على من يحب السماع.

ومنهم: القاضي أبو بكر محمد بن مظفَّر الشامي أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي عنه قال: لا يجوزُ الغناءُ ولا سماعُهُ ولا الضرْبُ بالقضيب. قال: ومن أضاف إلى الشافعيِّ هذا فقد كَذَبَ عليه.

وقد نَصَّ الشافعيُّ في كتاب «أدب القضاء» على أنَّ الرجل إذا دام على سماع الغناء رُدَّتْ شهادتُهُ وبطَلَتْ عدالَتُه(١).

قال المصنف رحمه الله **قلت**: فهذا قولُ علماء الشافعيَّةِ وأهل التديُّن منهم وإنما رَخَّصَ في ذلك من مُتَأَخِّريهم من قَلَّ علمُهُ أو غَلَبَهُ هواه.

وقال الفقهاء من أصحابنا: لا تُقبَلُ شهادةُ المُغَنِّي والرَّقاص(٢).

فصلٌ في ذِكْر الأدلَّة على كراهِيَة الغناء والمنع منه

قد استدلَّ أصحابُنا بالقرآن والسنة والمعنى:

◆ **فأما الاستدلالُ من القرآن فثلاث آياتٍ:**

● **الآيةُ الأولى: قوله تعالى:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان: ٦].

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالا: أخبرنا أبو محمد الصَّرِيفيني، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبدان قال: نا عبد الله بن منيع قال: نا

---

(١) غالب الظن أنه ليس للإمام الشافعي كتاب مستقل بهذا الاسم إنما هو أحد كتب الأم الذي أفرده بعنوان أدب القاضي ومما يرجح ذلك أن هذا المعنى الذي نقله المؤلف عنه هو في الأم ٦/ ٣٠٢ في كتاب أدب القاضي وكذا نقله أبو الطيب الطبري في السماع ص٢٧ وعزاه إلى كتاب أدب القاضي. وانظر لمزيد بيان: أدب القاضي لابن القاص مقدمة المحقق ص٩ ومناقب الشافعي لابن الأثير ص١٤٧.

(٢) انظر: المقنع ٣/ ٦٩٢ ورد شهادة المغني والرقاص يكاد يكون اتفاقًا بين الفقهاء. انظر لبيان ذلك: المبدع ١٠/ ٢٢٦ وكشاف القناع ٦/ ٤٢٣ والفروع ٦/ ٥٧٣ وفتح القدير ٦/ ٤٨١ والبناية ٩/ ١٤٦ والشرح الصغير ٤/ ٢٤٢ ونهاية المحتاج ٨/ ٢٨٢ وروضة الطالبين ١١/ ٢٣٠.

عبد الله بن عمر قال: نا صفوان بن عيسى قال: حميد الخَرَّاط أخبرنا، عن عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبير عن أبي الصَّهْباء، قال: سألتُ ابن مسعود رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾؟ قال: هو -والله- الغناء[1].

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر الحافظ قالا: أخبرنا طِرَاد بن محمد قال أخبرنا ابن بِشْران قال: نا ابن صفوان قال: حدثني أبو بكر القرشي قال: نا زهير بن حرب قال: نا جرير عن عطاء بن السَّائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾، قال: هو الغناءُ وأشباهُهُ[2].

أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى بن علي المدير، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن النقور قال: أخبرنا ابن حَيُّويَة قال: نا البغوي، قال: نا هُدْبة قال: نا حماد بن سلمة عن حميد، عن الحسن بن مسلم عن مجاهد[3]: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾، قال: الغناء[4].

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن سلم قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن

(١) هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢١/ ٦١ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤١١، كلاهما من الطريق التي أوردها المؤلف حميد الخراط به. وهذا إسناد حسن. قال عنه الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وتابعهما على ذلك الألباني في تحريم آلات الطرب ص١٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧٨٦ ١٢٦٥) وإسناده ضعيف؛ انظر: الكواكب النيرات ص٣٢٢. وأخرجه ابن جرير في التفسير ٢١/ ٦١، ٦٢. وفيه: ابن أبي ليلى وهو ضعيف الحديث. انظر: التقريب ص٤٩٣ وبهذ يتضح ضعف هذا الأثر، علمًا أنه صحح هذا الأثر الألباني في تحريم آلات الطرب ص١٤٢، والأظهر عدم صحته.

(٣) في (م) عن عباس والمثبت من (أ).

(٤) أخرج هذا الأثر عن مجاهد: ابن أبي شيبة ٦/ ٣١٠ وابن جرير في تفسيره ٢١/ ٦٢، عن مجاهد قال: هوالغناء وكل لعب لهو. وصحح هذا الأثر عن مجاهد الألباني في تحريم الآت الطرب ص١٤٤.

عبد الخالق قال: نا أبو بكر المروذي قال: نا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا عَبْدَة قال: نا إسماعيل، عن شعيب بن يسار قال: سألتُ عكرمة عن لهو الحديث قال: هو الغناء(١).

وكذلك قال الحسن وسعيد بن جُبَيْر وقتادة وإبراهيم النَّخَعيُّ.(٢)

• **الآية الثانية: قول الله ﷻ:** ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٦١].

أخبرنا عبد الله بن علي قال: أخبرنا طِراد بن محمد قال: أخبرناابن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: نا أبو بكر القرشي قال: نا عبيد الله بن عمر قال: حدثني يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قال: هو الغناء بالحِمْيَرِيَّة. سَمَدَ لنا: غَنَّى لنا(٣)(٤).

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣١٠ والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٨٦ ١٢٦٥) والبيهقي في السنن ١/ ٢٢١ ٢٢٣. من طرقٍ عن عطاء بن السائب عن سعيد عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف؛ لأن عطاء اختلط في آخره ومن رواه عن عطاء رواه بعد الاختلاط انظر: الكواكب النيرات ص٣٢٢. وأخرجه ابن جرير في التفسير ٢١/ ٦١، ٦٢. من طريق ابن أبي ليلى، عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: هو الغناء والاستماع له يعني: قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾. وابن أبي لَيلى اسمه محمد بن عبدالرحمن وهو ضعيف الحديث. انظر: التقريب ص٤٩٣. وأحاديث ذم الغناء ص١٤٨ وبهذ يتضح ضعف هذا الأثر. علمًا أنه صحح هذا الأثر الألباني في تحريم آلات الطرب ص١٤٢. والأظهر عدم صحته.

(٢) هذه اشارة من المؤلف إلى تفسير هؤلاء للآية: بالغناء، انظرابن جرير ٢١/ ٦١. وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٣٠٩٦، وابن كثير ٣/ ٤٢٦. وعلى تفسير هذه الآية بالغناء قول أكثر المفسرين. قال ذلك الواحدي في تفسيره ٣/ ٤٤١.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٧/ ٨٢. عن ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده صحيح وانظر لمزيد بيان: أحاديث ذم الغناء ص١٥٠.

(٤) جاء في (ت) بعد أثر ابن عباس: وقال مجاهد: «هو الغناء، يقول أهل اليمن: سَمَدَ فلانٌ إذا غَنَّى». وهذا الأثر ذكره السيوطي في الأمر بالاتباع ص١٠١. وكأنه نقله عن بعض نسخ المؤلف وإلّا لم أعثر على قول ←

• **الآية الثالثة: قوله تعالى:** ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

أخبرنا موهوب بن أحمد قال: أخبرنا ثابت بن بُنْدار قال: أخبرنا عمر ابن إبراهيم الزهري، قال: نا عبد الله بن إبراهيم بن ماسي قال: نا الحسين بن الكميت، قال: نا محمد بن نعيم عن القاسم الجرمي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ قال: الغناء والمزامير(١).

♦ **وأما السُّنَّة:**

• فأخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثنى أبي قال: نا الوليد بن مسلم، قال: نا سعيد بن عبد العزيز، عن سليمانْ بن موسى، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع صوت زَمَّارة راع فوضع إصبَعَيْه في أُذُنَيْه وعَدَلَ راحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع، أتسمع؟ فأقول: نعم. فيمضي، حتى قلتُ: لا. فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال: رأيتُ رسول الله ﷺ سمعَ زمارةَ راعٍ فصنعَ مثلَ هذا(٢).

قال المصنِّف رحمه الله **قلت:** إذا كان هذا فعلهم في حَقِّ صوت لا يَخْرُجُ عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزُمورِهِم؟!

لمجاهد في هذا المعنى على هذه الآية. والمروي عنه في الآية غير ذلك. انظر: تفسير ابن جرير ٢٧/ ٨٢-٨٤.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥/ ١١٨ من طريق ابن إدريس عن ليث عن مجاهد به. وعلة هذا الإسناد ليث بن أبي سُليم وهو كما علمت ضعيف الحديث.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (٤٥٣٥ و٤٩٦٥) وأبو داود رقم (٤٩٢٤) قال أبو على اللؤلؤي: سمعت أبا داود يقول: هذا حديث منكر. وتعقب أبا داود صاحب عون المعبود وصحح إسناده انظره ٤/ ٤٣٤ وصحح هذا الحديث أحمد شاكر، إذ قال في تعليقه على المسند: إسناده صحيح. وكذا صححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤١١٦-٤١١٨).

• أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا الحسين بن محمد النَّصِيبي، قال: نا إسماعيل بن سعيد بن سويد قال: نا أبو بكر بن الأنباري قال: نا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار قال: نا ابن أبي مريم قال: نا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زَحْر عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة قال: نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن، وقال: «**ثمنهن حرام**، وتلا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [لقمان: ٦]»[1].

• أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد المقرئ قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشوان قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الجُمَحي قال: نا علي بن عبد العزيز قال: نا أبو عنان قال: نا منصور بن أبي الأسود عن أبي المهلَّب عن عبيد الله بن زَحْر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع المُغَنِّيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء وقال: «**ثَمَنُهُنَّ حرام**». وقال: «**في هذا أو نحوه** -أو قال: شبهه- **نزلت عليّ**: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾» وقال: «**ما مِنْ رجل يرفع عَقِيرةَ صوته للغناء إلا بعث الله ﷻ إليه شيطانين يَرْتَدِفَانِهِ هذا من ذا الجانب، وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هو الذي يسكت**»[2].

• وروت عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ﷻ حرم المغنية وبيعها**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٥/ ٢٥٢، ٢٦٤، والترمذي رقم (١٢٨٢)، ورقم (٣١٩٥)، وإسناده ضعيف؛ وابن ماجه رقم (٢١٦٨) ولا يصح؛ فالحديث ضعيف؛ إذ لم يسلم له إسناد يخلو من مقال. وانظر: كلام الإمام الترمذي على هذا الحديث في مواطن تخريجه له في السنن.

(٢) هذا الحديث كالذي قبله، وأخرجه بشطريه جميعًا الطبراني في الكبير ٨/ ١٨٠ وفي مسند الشاميين ١/ ١٤٤ و٢/ ٤٥ من طريق الوليد بن الوليد، وهو ضعيف الحديث، قال الدارقطني: متروك. انظر: الضعفاء والمتروكين ص٣٨٦ وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة رقم (٩٣١).

وثمنها وتعليمها والاستماع إليها. ثم قرأ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾»[(١)].

• وروى عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما نهيتُ عن صوتَيْن أحمقَيْن فاجِرين: صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة**»[(٢)].

• أخبرنا ظفر بن علي، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ، قال: أخبرنا أبو نُعَيم الحافظ قال: نا حبيب بن الحسن قال: نا الحسن بن علي بن الوليد قال: نا محمد بن كليب قال: حدثنا خَلَف بن خليفة، عن أَبان المُكْتِب، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي رَبَاح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخلتُ مع الرسول ﷺ فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضَعَه في حِجْرِه ففاضتْ عيناهُ فقلتُ: يا رسول الله أتَبْكي وتنهانا عن البكاء؟! فقال: «**لستُ عن البكاء نهيت، ولكن نهيت عن صوتَيْن أحمَقَيْن فاجِرَيْن: صوتٍ عند نَعَمَة: لَعِبٍ ولهوٍ ومزاميرِ الشيطان، وصوتٍ عند مصيبة: ضرب وجهٍ وشقِّ جيوبٍ ورنَّةِ شيطان**»[(٣)].

• أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال: نا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط

---

(١) أخرجه المؤلف في العلل ٢/ ٧٨٤ من طريق ليث بن أبي سليم وهو ضعيف كما ذكره الغزالي في الإحياء ٢/ ٢٨٢، وقال الحافظ العراقي تعليقًا عليه: حديث عائشة أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف، قال البيهقي: ليس بمحفوظ. وأورده السيوطي في جمع الجوامع برقم (٤٨٠٣)، وقال: وسنده ضعيف.

(٢) تخريجه: يأتي في الذى يليه.

(٣)أخرجه ابن سعد ١/ ١٣٨ والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٠ والترمذي رقم (١٠٠٥) قال الترمذي عنه: هذا حديث حسن. وأقرّه الزيلعي في نصب الراية ٤/ ٨٤ ومن ضعف الحديث فهو لضعف ابن أبي ليلى قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١٧: فيه محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى وفيه كلام. قال الحافظ في التقريب: صدوق سيئ الحفظ جدًّا. قال شيخ الإسلام في الاستقامة ١/ ٢٩٢: هذا الحديث من أجود ما يحتج به على تحريم الغناء.. فنهى عن الصوت الذي يُفعل عند النعمة، كما نهى عن الصوت الذي يُفعل عند المصيبة. والصوت الذي عند النعمة هو صوت الغناء. انظر: صحيح سنن الترمذي رقم (٨٠٤)، والمؤلف ساق الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما ولم أجده عنه فيما بين يدي من مصادر.

قال: نا عبد الملك بن محمد بن بشران قال: نا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة قال: نا محمد بن سويد الطحان قال: نا عاصم بن علي قال: نا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه عن مكحول، عن جُبَيْر بن نُفَيْر عن مالك بن يخامر[١]، وعن الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**بُعِثْتُ بهدمِ المزمار[٢] والطبل**»[٣].

● أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب بن غيلان قال: نا أبو بكر الشافعي قال: نا عبد الله بن محمد بن ناجية قال: نا عباد بن يعقوب، ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ بكسر المزامير**»[٤].

● أخبرنا أبو الفتح الكروخي قال: أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر الغورجي قالا: أخبرنا الجراحي، قال: نا المحبوبي، قال: نا الترمذي قال نا صالح بن عبد الله قال: نا الفرج بن فَضَالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فعلتْ أمتي خمسَ عشرة خصلة حَلَّ بها البلاء**». فذكر منها: «**إذا أتخذت القيان والمعازف**»[٥].

---

(١) مالك بن يخامر السكسكي لم يرد له ذكر في إسناد تمام فربما أنه تحريف في إسناد المؤلف ومثله الديلمي.

(٢) في (ت): بالنهي عن المزمار...

(٣) أورده ابن حجر الهيتمي في كتاب كف الرعاع ص٤٤، وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن ثابت صدوق يخطئ، ورُمي بالقدر، وتغير بآخره، التقريب ص٣٣٧، وانظر: أحاديث ذم الغناء ص٦٦.

(٤) أخرجه الآجري في تحريم النرد رقم (٥٨)، وأبو بكر بن عبدويه الشافعي في الغيلانيات ص: ١٢٩، من الطريق التي ساقها المؤلف، وهذا إسناد ضعيف؛ فموسى بن عمير متروك الحديث، وعباد بن يعقوب وهو الرواجني زائغ ضال، ومحمد بن علي أبو جعفر الباقر لم يسمع من جده الحسين. ولذلك فالحديث ضعيف لضعف إسناده.

(٥) أخرجه الترمذي رقم (٢٢١٠)، وابن الجوزي في العلل ٢/ ٨٤٩. من طرق عدة، عن الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي عن أبيه، والحديث بهذا الإسناد لا يصح؛ وذاك لضعف الفرج بن فضالة، التقريب ص٤٤٤، وضَعَّف الحديث المؤلف في العلل والألباني في ضعيف الترمذي رقم ←

• قال الترمذي: وحدثنا علي بن حُجْر قال: أخبرنا محمد بن يزيد عن مُسْتَلم ابن سعيد، عن رميح الجُذَامي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا اتُّخِذَ الفيءُ دولًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتُعُلِّمَ لغير الله، وأطاعَ الرجلُ امرأته وعَقَّ أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرتِ الأصواتُ في المساجد، وساد القبيلةَ فاسِقُهُم وكان زعيم القـوم أرذلهم، وأُكْرِمَ الرجل مخافة شرِّه وظهرت القَيْنَاتُ والمعازف وشُربَت الخُمر ولَعَنَ آخرُ هذه الأمّة أوَّلَها فيترقبوا عند ذلك ريحًا حمراءَ وزلزلة ومَسْخًا وقذفًا وآيات تَتَابَعُ كنظامٍ بالٍ قُطِعَ سِلْكُه فتتابَعَ**»[(١)].

• وقد روي عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ**». قيل: يا رسول الله متى؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر**»[(٢)].

• أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الأنصاري في كتاب السنن لابن ماجه قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الاسْتَرَاباذي، قال: أخبرنا أبو منصور المقومي قال: أخبرنا أبو طلحة القاسم بن المنذر قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القطان قال: حدثنا محمد بن يزيد بن ماجه قال: نا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني قال: نا عبد الرزاق قال: أخبرني يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولًا يقول: أنه سمع يزيد بن عبد الله يقول: أنه سمع صفوان بن أمية قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء

---

(٣٨٦)، وصاحب أحاديث ذم الغناء ص١٠٦.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٢١١)، وقال عنه: وهذا حديث غريب، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، والحديث ضعيف؛ لأن في إسناده رميحًا الجذامي، وهو مجهول، التقريب ص٢١٠، وقال الذهبي: لا يعرف. المغني في الضعفاء ١/ ٢٥٥. انظر: ضعيف سنن الترمذي رقم (٣٨٧)، والسلسة الضعيفة رقم (١٧٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٠٦٠)، والطبراني في الكبير ٦/ ١٨٤، بإسناد ضعيف؛ لضعف عبد الرحمن بن زيد، انظر التقريب ص٣٤٠، وهناك أحاديث صحيحة بهذا المعنى تغني عن هذا، انظر: أحاديث الغناء ص٣٥.

عمرو بن قرَّة[١] فقال: يا رسول الله، إن الله ﷻ قد كتب عليّ الشقوة فما أراني أرزق إلّا من دُفِّي بكفي فَأْذَنْ لي في الغناء في غير فاحشة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا آذن لك ولا كرامة ولا نِعْمَة عين، كذبتَ يا عدو الله! لقد رزقك الله حلالًا طيبًا فاخترتَ ما حَرَّمَ اللهُ عليك من رزقه مكانَ ما أحلَّ الله لك من حَلاله، ولو كنت تقدمت إليك لفعلتُ بك وفعلتُ قُمْ عني وتُبْ إلى الله أمَا إنك إن قلتَ بعد التقدمة إليك ضربتُكَ ضربًا وجيعًا وحلقتُ رأسك مُثْلَةً ونَفَيْتُك من أهلك وأحللتُ سَلَبَك نُهْبَةً لفتيان المدينة**». فقام عمرو وبه من الشر والخزي ما لا يعلمه إلا الله فلما وَلَّى قال رسول الله ﷺ: «**هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبةٍ حشره اللهُ ﷻ عُرْيانًا لا يستتر بهُدبة، كلما قام صُرِع**»[٢].

◆ **وأما الآثار:**

• فقال ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء يُنْبِتُ النفاقَ في القلب كما يُنْبِتُ الماءُ البَقْلَ[٣]. وقال: إذا ركب الرجلُ الدابةَ ولم يُسَمِّ رَدِفَهُ الشيطانُ، وقال: تَغَنَّهْ! فإن لم يُحْسِنْ قال له: تَمَنَّهْ![٤].

• ومرَّ ابن عمر رضي الله عنهما بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنَّى، فقال: ألا لا سمعَ اللهُ

---

(١) جاء في بعض المصادر: عمرو بن مرة. والذي في النسخ وأكثر المصادر: عمرو بن قرة. قال الحافظ في الإصابة ٤/ ٦٧٢: عمرو بن قرة ذكره غير واحد في الصحابة وأخرج حديثه عبد الرزاق في مصنفه من رواية مكحول.. وساق الخبر. وانظر: الاستيعاب ٣/ ١٢٠٠ وأسد الغابة ٤/ ٢٦٢

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٦١٣)، من طريق عبد الرزاق عن يحيى بن العلاء عن بشر بن نمير به، قال الحافظ في الإصابة ٧/ ١٣٥: «وشيخ عبد الرزاق فيه يحيى بن العلاء، وشيخ يحيى فيه بشر بن نمير، وكلاهما من المتروكين». قلت: وهذا الخبر موضوع؛ فقد ترددت عبارات العلماء في هذين الرجلين بين وضع الحديث وركن الكذب، وذكره الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه رقم (٥٧٠)، وقال عنه: موضوع.

(٣) سبق تخريج هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ص ١٢٥.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ٣٩٧ بإسناد صحيح؛ فهو صحيح موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه.

لكم![1]. ومرَّ بجاريةٍ صغيرةٍ تُغَنِّي فقال: لوْ ترك الشيطانُ أحدًا لترك هذه[2].

• وسأل رجلٌ القاسمَ بن محمد عن الغناء، فقال: أنهاكَ عنهُ وأكرهُه لكَ. قال: أحرامٌ هو؟ قال: انْظُرْ يا ابنَ أخي، إذا مَيَّزَ الله ﷻ الحقَّ من الباطل في أيِّهما يجعَلُ الغناء[3]؟!

• وقال الشعبي: لُعِنَ المُغَنِّي والمُغَنَّى لهُ[4].

• أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر قالا: نا طِراد بن محمد قال: نا أبو الحسين بن بِشران قال: أخبرنا أبو علي بن صفوان قال: نا أبو بكر القرشي قال: أخبرني أبو حفص عمر بن عبيد الله الأرموي قال: كتبَ عمرُ بن عبد العزيز إلى مُؤَدِّبِ ولده: ليكنْ أوَّلَ ما يعتقدونَ من أدبِك بُغْضُ الملاهي، التي بَدْؤُها من الشيطان وعاقبتُها سَخَطُ الرحمن ﷻ؛ فإنه بلغني عن الثقات من حَمَلَة العلم أن حضورَ المعازف واستماع الأغاني واللَّهَجَ بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشبَ الماءُ ولَعَمْري! لَتَوَقِّي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذِّهن من الثُّبوت على النفاق في قلبه[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (١٦) والأثر إسناده صحيح؛ إذ رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧٨٤) بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. وانظر: صحيح الأدب المفرد ص٢٩٢.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (١٧) من طريق يحيى بن سليم الطائفي، صدوق سيئ الحفظ، التقريب ص٥٩١، انظر ابن القيم في الإغاثة ١/ ٢٧٢ قال ابن وهب: أخبرنا سليمان بن بلال، عن كثير بن زيد، أنه سمع عبيد الله يقول للقاسم، فذكره، وهذا سند حسن إلى ابن وهب.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (١٨) من طريق عبد الله بن داود، عن القاسم بن سلمان، عن الشعبي، والقاسم مجهول الحال، ذكره البخاري في تاريخه ٤/ ١٦٥، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في الثقات ٧/ ٣٣٦، ذكر أنه روى عنه علي بن ثابت، وهنا عبد الله بن داود، وهو الخريبي، فارتفعت جهالة عينه، وبقيت جهالة حاله.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (٢٠)، وابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز ص٢٩٦. وجملة «ينبت النفاق في القلب» أي: الغناء تقدم بيان صحتها وثبوتها عن ابن مسعود ﷺ (ص ٥٣٨). وانظر: تحريم آلات الطرب ص١٢٠ و١٤٥.

- وقال فُضيلُ بن عِيَاضٍ: الغناءُ رُقْيَةُ الزِّنَا[١].
- وقال الضَّحَّاك: الغناء مَفْسَدةٌ للقلب مَسْخَطةٌ للرب[٢].
- وقال يزيد بن الوليد: يا بني أُمَيَّةَ، إياكم والغناء! فإنه يزيدُ الشهوةَ ويَهدِمُ المروءَة وإنه لينوبُ عن الخمر ويفعَلُ ما يفعَلُ السكر فإن كنتم لابُدَّ فاعلين فجَنِّبوه النساء؛ فإن الغناءَ داعيةُ الزِّنا[٣].

قال المصنف رحمه الله **قلت**: وكم قد فَتَنَتِ الأصواتُ بالغناء من عابدٍ وزاهدٍ قد ذكرنا جملة من أخبارهم في كتابنا المسمَّى بـ « ذم الهوى»[٤].

- أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا ثابت بن بندار قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة قال: أخبرنا أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، قال: حدثني محمد بن منصور بن يزيد النحوي قال: نا الزبيري بن بكار قال: حدثني محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كان سليمان بن عبد الملك في بادية له فسمر ليلةً على ظهر سطحٍ ثم تَفَرَّق عنه جلساؤه، فدعا بوضوء فجاءتْ به جاريةٌ له فبينما هي تَصُبُّ عليه إذ استمدها بيده، وأشار إليها فإذا هي ساهية مُصْغِيةٌ بسمعها مائلةٌ بجسدها كُلِّه إلى صوت غناءٍ تسمعه في ناحية العسكر فأمرها فَتَنَحَّتْ، واستمع هو الصوت فإذا صوت رجل يُغَنِّي فأنصتَ له حتى فَهِمَ ما يغنِّي به من الشعر ثم دعا جاريةً من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس إذنًا عامًّا فلما أخذوا مجالسهم أجْرَى ذِكْرَ الغناء ومن كان يسمعه ولَيَّنَ فيه حتى ظَنَّ القومُ أنه يشتهيه فأفاضوا في التليين والتحليل والتسهيل فقال: هل بقي أحد يسمع

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (٢٢)، والبيهقي في الشعب ٤/ ٢٨٠. وانظر ما تقدم ص٥٢٨.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (١٣).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (٢١)، والسيوطي في الدر ٥/ ٣٠٨.
(٤) انظر: ذم الهوى ص٣١٦-٣٣٤.

منه؟ فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، عندي رجلان من الأَيْلَة حاذقان. قال: وأين منـزلك من العسكر؟ فَأَوْمَأَ إلى الناحية التي كان الغناء منها فقال سليمان: يُبعث إليهما. فوجد الرسولُ أحَدَهما، فأقبلَ به حتى أدخله على سليمان، فقال له: ما اسمك؟ قال: سمير. فسأله عن الغناء كيف هو فيه؟ فقال: حاذقٌ محكِمٌ. قال: فمتى عهدك به؟ قال: في ليلتي هذه الماضية. قال: وفي أي نواحي العسكر كنت؟ فذكر له الناحيةَ التي سمع منها الصوت قال: فما غنيتَ؟ فذكر الشعرَ الذي سمع سليمان فأقبل سليمان فقال: هَدَرَ الجملُ فضَبِعت الناقة، وهبَّ التيس فسَكِرت الشاة، وهَدَلَ الحمام فزَافَت الحمامة، وغَنَّى الرجلُ فطربت المرأة. ثم أمر به فَخُصِيَ. وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون؟ قالوا: بالمدينة وهو في المُخَنَّثِين، وهم الحُذَّاقُ به والأئمة فيه. فكتب إلى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم: أن أَخْصِ مَنْ قِبَلَكَ من المُخَنَّثِينَ المغنين[1].

• **وأمَّا المعنى:**

فقد بيَّنَّا أن الغناء يُخرِج الإنسانَ عن الاعتدال ويُغَيِّرُ العقل، وبيان هذا: أن الإنسان إذا طرِب فعَلَ ما يستَقْبِحُهُ في حال صحَّتِه من غيره: من تحريكِ رأْسِهِ، وتصفيقِ يديه، ودقِّ الأرض برجليه، إلى غير ذلك مما يفعلُهُ أرباب العقول السخيفة، والغناءُ يوجِبُ ذلك بل يقارِبُ فِعْلُهُ فعلَ الخمرِ في تغطيةِ العقل، فيَنْبَغي أن يقَعَ المنعُ منه.

أخبرنا عمر بن ظفر قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي الأزجي قال: أنبأنا ابن جهضم قال: أنبأنا يحيى بن المؤمل قال: حدثنا أبو بكر

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في المنهيات ص٥٤، مختصرًا وكذا البيهقي في الشعب ٤/ ٢٨٠ وذكره ابن كثير في البداية ٩/ ١٨٠.

الشَّقَّاق قال: حدثنا أبو سعيد الخَرَّاز قال: ذُكِرَ عند محمد بن منصور أصحابُ القصائد فقال: هؤلاء الفرَّارونَ من الله ﷻ لو ناصَحوا الله وصدَّقوهُ لأفادَهم في سرائِرِهم مايَشْغَلُهم عن كثرة التلاقي[(١)].

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف قال: أنبأنا محمد بن علي العُشَارِي قال: قال أبو عبد الله بن بَطَّةَ العُكْبَرِي: سألني سائلٌ عن استماع الغناء فنَهيْتُه عن ذلك وأعْلَمْتُه أنه مما أنْكَرَه العلماءُ واستحسنه السفهاء وإنما تفعلهُ طائفةٌ تَسمَّوا بالصوفيَّة وسَمَّاهم المحقِّقون الجَبْرِيَّة: أهلُ هِمَمٍ دنية وشرائعَ بدعيَّة يُظهِرونَ الزُّهْدَ وكُلُ أسبابِهم ظُلمةٌ يدَّعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرَّجاء يَسْمَعونه من الأحداث والنساء ويَطْرَبونَ ويُصعَقون ويَتَغَاشَوْنَ ويتماوتون ويَزْعُمون أن ذلك من شِدَّة حُبِّهم لرِّبهم وشوقِهم إليه، تعالى الله عمَّا يقوله الجاهلون علوًّا كبيرًا![(٢)].

فصل: في ذِكْر الشُّبه التي تعلَّقَ بها مَن أجازَ سماعَ الغِناء:

• **فمنها:** حديث عائشة ﵂ أن جاريتين كانتا تضربان عندها بدُفَّين وفي بعض ألفاظه: دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تُغَنِّيان بما تقاولتْ به الأنصارُ يوم بُعَاث[(٣)]، فقال أبو بكر: أمزمورُ الشيطان في بيت رسول الله ﷺ! فقال رسول الله ﷺ: «**دعهما يا أبا بكر؛ إنَّ لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا**». وقد سبق ذكر هذا الحديث.

---

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

(٢) ذكره الإمام ابن بطة بأطول مما ساقه المؤلف هنا في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/ ١٩٧-١٩٩. مع اختلاف يسير في ألفاظه، وللإمام ابن بطة كتاب في ذم الغناء والاستماع إليه يقرب أن يكون اللفظ الذي ساقه المؤلف هنا فيه.

(٣) يومُ بُعاث: بضم الباء: يوم معروف، كان فيه حرب بين الأَوْسِ والخَزْرج في الجاهلية، انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٣٩ ولسان العرب ٢/ ١١٧.

• **ومنها:** حديث عائشة رضي الله عنها أيضًا: أنها زَفَّتْ امرأة إلى رجلٍ من الأنصار فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، ما كان معكم من اللهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**». وقد سبق[(١)].

• **ومنها:** حديث فَضَالَة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**للهُ أَشَدُّ أَذَنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنَة إلى قَيْنَتِه**»[(٢)].

قال ابن طاهر: وجه الحجَّة أنه أثبتَ تحليل استماع الغناء؛ إذ لايجوزُ أن يُقاس على مُحَرَّم[(٣)].

• **ومنها:** حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أَذِنَ الله عز وجل لشيءٍ ما أذِنَ لنبيٍّ يتغَنَّى بالقرآن**»[(٤)].

• **ومنها:** حديث محمد بن حاطب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**فصلُ ما بينَ الحلال والحرام الدُّفِّ**»[(٥)].

---

(١) حديثا عائشة تقدما (ص ٥٣٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ١٩ ٢٠ وابن ماجه رقم (١٣٤٠) والحاكم في المستدرك ١/ ٥٧٠. وقال: صحيح على شرط الشيخين ورده الذهبي بقوله: هو منقطع. وحكم عليه البوصيري في الزوائد ١/ ١٥٨ بأنه إسناد حسن. والحق - والله أعلم - أنه ضعيف؛ إذ في إسناده ميسرة مولى فضالة وهو مجهول انظر: السلسلة الضعيفة رقم (٢٩٥١) وضعيف ابن ماجه رقم (١٣٤٠).

(٣) انظر: كتاب السماع لابن طاهر ص٤١.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٥٠٢٤)، ومسلم رقم (٧٩٢)، وأبو داود رقم (١٤٧٣)، والنسائي ٢/ ١٨٠، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٧١، ٢٨٥، ٤٥٠، وغيرهم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤١٨، و٤/ ٢٥٩، والترمذي رقم (١٠٨٨)، وقال حديث حسن، وأخرجه النسائي ٦/ ١٢٧، وأخرجه ابن ماجه رقم (١٨٩٦)، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٨٤، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، ولقد حسن الحديث الألباني في الإرواء ٧/ ٥٠، وصحيح الجامع رقم (٤٠٨٢).

والجواب:

• أما حديثا عائشة ﵂ فقد سبق الكلام عليهما وبيَّنَّا أنهم كانوا ينشدونَ الشعر وسُمِّيَ بذلك غناءً لنوعٍ يثبت بالإنشاد وترجيع ومثل ذلك لا يُخْرِجُ الطِّباع عن الاعتدال.

وكيف يُحْتَجُّ بذلك الواقع في الزمان السليم عندَ قلوب صافية على هذه الأصوات المُطْرِبَة الواقعة في زمان كدر عند نفوسٍ قد تملَّكَها الهوى؟! ما هذه إلا مغالطةٌ للفهم! أوليس قد صحَّ في الحديث عن عائشة ﵂ أنها قالت: لو رَأَى رسولُ الله ﷺ ما أحدثَ النساءُ لمنعهُنَّ المسجدَ(١). وإنما ينبغي للمُفتي أن يَزِنَ الأحوالَ كما ينبغي للطبيب أن يَزِنَ الزمان والسنَّ والبلد ثم يصِف على مقدار ذلك.

وأين الغناءُ بما تقاوَلَتْ به الأنصارُ يومَ بُعاثٍ، من غناءِ أمرَدَ مُستَحْسَنٍ بآلاتٍ مُسْتَطابةٍ وصناعةٍ تُجْذَبُ إليها النفس وغزلياتٍ يُذكَر فيها الغزالُ والغزالة فهل يَثْبُتُ هناك طبع؟! هيهات بل ينـزعِجُ شوقًا إلى المُسْتَلَذِّ.

فلا يَدَّعي أنه لا يجدُ ذلك إلا كاذبٌ أو خارجٌ عن حدِّ الآدميَّةِ، ومن ادَّعى أخْذَ الأشارةِ من ذلك إلى الخالق فقد استعملَ في حَقِّه ما لا يليقُ به(٢) على أنَّ الطبعَ يسبقه إلى ما يجدُ من الهوى.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٨٦٩)، وأخرجه مسلم رقم (٤٤٥).

(٢) قد يكون مراد المؤلف ﵀ ما يزعمه بعض غلاة الصوفية من أن الله حالّ في الصور المستحسنة وقد يكون مراده أولئك القائلين: أن النظر إلى وجه الصبي الأمرد عبادة؛ لأن فيه التفكر في عظمة الخالق. ومعلوم أن من جعل هذا النظر المحرم عبادة كان بمنزلة من جعل الفواحش عبادة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ومعلوم أنه قد يكون في صور النساء الأجنبيات من الاعتبار والدلالة على الخالق من جنس ما في صورة المرد فهل يقول مسلم إن للإنسان أن ينظر بهذا الوجه إلى صور نساء العالم ويقول إن ذلك عبادة؟ بل من جعل مثل هذا النظر عبادة فإنه كافر مرتد يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. انظر: الفتاوى الكبرى ١/ ٢٨١. وما تقدم (ص ٥٣٧).

وقد أجابَ أبو الطَّيِّب الطبري عن هذا الحديث بجوابٍ آخَرَ فأخبرنا أبو القاسم الحريري عنه أنه قال: هذا الحديثُ حُجَّتُنا؛ لأن أبا بكرٍ سمَّى ذلك مزمورَ الشيطان ولم يُنْكِرِ النبيُّ ﷺ على أبي بكر قولَهُ وإنما منَعَه من التغليظ في الإنكار لحسن رفقِه لا سيَّما في يوم العيد.

وقد كانت عائشة ﵂ صغيرةً في ذلك الوقتِ ولم يُنْقَل عنها بعد بلوغِها وتحصيلها إلا ذَمُّ الغناء، وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يَذُمُّ الغناءَ ويمنَعُ من سماعه وقد أخَذَ العلمَ عنها[(١)].

وأما اللهوُ المذكورُ في الحديث الآخر فليس بصريح في الغناء، فيجوزُ أن يكون إنشادَ الشعر أو غيره.

• وأما التشبيهُ بالاستماع إلى القَيْنَةِ فلا يمنع أن يكون المُشَبَّه به حرامًا، فإن الإنسان لو قال: وجدت للعسل لذَّةً أكثرَ من لذة الخمر كان كلامًا صحيحًا وإنما وقع التشبيه بالإصغاء في الحالتين فكونُ إحداهما حرامًا أو حلالًا لا يمنع من التشبيه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إنكم لتَرَوْنَ ربَّكُمْ كما تَرَوْنَ القمر**»[(٢)].

فشبَّهَ ايضاح الرؤية بإيضاح الرؤية وإن وقع الفرقُ بأن القمرَ في جهةٍ يحيط به نَظَرُ النَّاظِرِ والحقُّ منـزَّهٌ عن ذلك[(٣)].

---

(١) انظر: السماع لأبي الطيب الطبري ص٥٣. وتقدم النقل عن ابن أخيها القاسم بن محمد في ذم الغناء. (ص ٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٥٤)، و رقم (٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦)، ومسلم رقم (٦٣٣)، وأبو داود رقم (٤٧٢٩)، والترمذي رقم (٢٥٥١)، والإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٦٠، وغيرهم.

(٣) لاشك أن الله جل وعلا منـزه أن يحيط به أحد من خلقه أما لفظ «الجهة» فلم يرد في الكتاب والسنة إثباتًا ولا نفيًا ويغني عنه ما ثبت فيهما من الفوقية والعلو وأنه سبحانه في السماء هذا من جهة اللفظ، أما من جهة المعنى فيستفصل: فإما أن يُراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط بالله. ☜

والفقهاءُ يقولون في ماء الوضوء: لا تُنَشَّفُ الأعضاء منه لأنه أثَرُ عبادة ولا يسنُّ مسحه كدم الشهيد(١)، فقد جمعوا بينهما من جهة اتِّفاقهما في كونهما عبادة، وإن افترقا في الطهارة والنجاسة.

فاستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح: فقه الصوفية لا علم الفقهاء.

• وأما قوله: «**يتغَنَّى بالقرآن**» فقد فسَّره سفيان بن عُيينة فقال: معناه: يَسْتَغْني به. وفسره الشافعيُّ فقال: معناه: يتحَزَّنُ به ويترَنَّم. وقال غيرهما: يجعله مكان غناء الرُّكبان إذا ساروا(٢).

فالأول: باطل؛ لمنافاته ما ثبت في الكتاب والسنة والعقل والفطر والإجماع من علوه ﷻ. **والثاني**: باطل أيضًا؛ لأن الله تعالى أعظم من أن يُحِيط به شيء من مخلوقاته. **والثالث**: حَقٌّ؛ لأن الله تعالى العليّ فوق خلقه ولا يُحِيط به شيء من مخلوقاته. انظر: القواعد المثلى ص٤٠.

ولمزيد إيضاح في الرد على من نفى الرؤية زاعمًا أن إثباتها يستلزم منه إثبات الجهة والجسم لله أو من أثبت الرؤية لله لكنه نفى الجهة وأنكر العلو والفوقية. انظر: درء التعارض ١/ ٢٥٠ وبيان تلبيس الجهمية ٢/ ٨٨ ومنهاج السنة ٣/ ٣٤٣ والفتاوى ٦/ ٣٩-٤٠ و١٦/ ٨٥ ٨٧ ومختصر الصواعق ص١٨٠ والمسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف ١/ ٤٩٤ وصفات الله الواردة في الكتاب والسنة ص٨٥-٨٧.

(١) انظر لمزيد بيان في مسألة تنشيف أعضاء الوضوء وقياسها على دم الشهيد: البناية ١/ ١٩٢ والمغني مع الشرح الكبير ١/ ١٣٣ والفروع ١/ ١٥٦ وشرح العمدة ١/ ٢١٤ وزاد المعاد ١/ ١٧٩ وغيرها.

(٢) انظر فيما ذكر المؤلف من هذه الأقوال وغيرها في معنى قوله: «**يتغنى بالقرآن**»: أما تفسيره بالاستغناء فقد أخرجه البخاري ٤/ ١٦١٩ عن سفيان وعن وكيع الإمام أحمد في المسند ١/ ١٧٢ وغيرهما وتفسيرهما معًا عند: أبي داود في الوتر ١/ ٣٣٩ وقد ارتضى هذا التفسير أبو عبيد **وقال**: هو جائز فاش في كلام العرب. الغريب ١/ ٢٩٨. وانظر في غير هذا: القرطبي في تفسيره ١/ ١٣ والنووي في شرح مسلم ٥/ ٧٨ ولقد نقل جملة من الأقوال وأفاض القول فيها الحافظ في الفتح ٩/ ٦٨. وانظر لمزيد إيضاح في مسألة التغني بالقرآن: الاستقامة ١/ ٢٤٦ وزاد المعاد ١/ ٤٨٥.

وأما الضرب بالدُّف، فقد كان جماعةٌ من التابعين يَكْسرون الدُّفوف وما كانت هكذا فكيف لو رَأَوْا هذه؟![(١)]

وكان الحسن البصريُّ يقول: ليس الدُّفُّ من سنَّةِ المسلمينَ في شيءٍ[(٢)].

وقال أبو عبيد القاسم بن سَلَّام: من ذهبَ به إلى الصوت فهو خطأ في التأويل على رسول الله ﷺ وإنما معناه عندنا إعلانُ النكاح واضطراب الصوت به والذِّكْر في النَّاس[(٣)].

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: ولو حمل على الدُّف حقيقة على أنه قد قال أحمد بن حنبل: أرجو أن لا يكون بالدُّف بأسٌ في العُرس ونحوه وأكرهُ الطبل[(٤)].

وأخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال: نا نصر بن أحمد بن البطر قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المُؤَدِّب قال: نا الحسين بن اسماعيل المَحَامِلي قال: نا عبيد الله بن جرير بن جبلة قال: حدثنا عمرو بن مرزوق قال: نا زهير عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي قال: طلبتُ ثابت بن يزيد وكان بدريًّا فوجدتُه في عرسٍ له. فقال: وإذا جوارٍ يُغَنِّينَ ويضربن بالدُّفوف. فقلت: ألا تنهى عن هذا؟!

---

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (٣٩) قال إبراهيم النخعي: كانوا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف التي مع الجواري -يعني: أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه-. وذكر فعل أصحاب عبدالله رضي الله عنه إسحاق بن إبراهيم النيسابوري في مسائل أحمد رقم (١٩٥٥) وذكر رواية إسحاق أبو يعلى في المسائل الفقهية ٣/ ١٤١ ١٤٢.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي رقم (٣٧)، وأورده الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٣١ والطبري في السماع ص٥٤.

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٤٠٦. وكلامه فيه لبيان معنى الصوت في النكاح من قوله ﷺ.

(٤) انظر: الأمر بالمعروف للخلال ص١٣٢و١٣٣ والفروع ٥/ ٢٣٧ والإنصاف للمرداوي ٨/ ٣٤١ والكافي ٣/ ٣٣ والمبدع ٧/ ١٨٧ والمغني ٧/ ٦٣.

قال: لا، إنَّ رسول الله ﷺ رخَّص لنا في هذا[(١)].

أخبرنا عبد الله بن علي، قال: أخبرنا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران قال: نا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة قال: حدثنا أحمد بن القاسم الطائي قال: نا ابن سهم قال: حدثنا عيسى بن يونس عن خالد بن إلياس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أظهروا النِّكاحَ واضربوا عليه بالغِرْبال**»[(٢)]. يعني: الدُّفَّ.

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: وكُلُّ ما احتجُّوا به لا يجوز أن يُسْتَدَلَّ به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثِّر في الطِّباع.

وقد احتجَّ لهم أقوامٌ مفتونون بحب التصوُّف بما لا حُجَّة فيه **فمنهم**:

• **أبو نُعيم الاصفهاني** فإنه قال: كان البراء بن مالك يميلُ إلى السماعِ ويستَلِذُّ بالتَّرَنُّم[(٣)].

قال المصنف رحمه الله: وإنما ذكر أبو نُعيم هذا عن البراء لأنه رُوي عنه أنه استلقى يومًا فترنَّم فانظر إلى هذا الاحتجاج البارد فإن الإنسانَ لا يخلو من أن يترنَّم فأين الترنُّم من سماع الغناء المُطْرِب؟!

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ٤٩٥، ٣/ ٤٩٦ وكذا النسائي ٦/ ١٣٥، وفي الكبرى ٣/ ٣٣٢ والحاكم في المستدرك ٢/ ١٤٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه الطبراني في الكبير١٧/ ٢٤٧ ٢٤٨ وقال الهيثمي في المجمع٣/ ١٩ عن إسناد الطبراني: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم (١٨٩٥). والحديث ضعيف؛ إذ إن مدار أسانيده على خالد بن إلياس. وهومتروك الحديث.

(٣) الحلية ١/ ٣٥٠ بإسناده عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم تَرنَّم.. وذكره المؤلف في صفوة الصفوة ١/ ٦٢٥. قال في مجمع الزوائد ٩/ ٣٢٤: ورجاله رجال الصحيح.

• وقد استدل لهم **محمد بن طاهر** بأشياء لولا أنْ يعثر على مثلِها جاهلٌ فيغتَرَّ لم يصلُح ذكرها لأنها ليست بشيء، **فمنها:**

• أنه قال في كتابه: باب الاقتراح على القوَّال والسنة فيه(١).

فجعل الاقتراح على القوَّال سنَّة واستدل بما روى عمرو بن الشَّريد عن أبيه قال: اسْتَنْشَدَني رسول الله ﷺ من شعر أميَّة فأخذَ يقول: «هِيَ هِيَ». حتى أنشدته مائة قافية(٢).

وقال ابن طاهر: باب الدليل على جواز استماع الغزل، قال العجاج: سألت أبا هريرة ﷺ عن «طاف الخيالان فهاجا سقمًا»، فقال أبو هريرة ﷺ: كان يُنْشَدُ مثلُ هذا عند رسول الله ﷺ(٣).

قال المصنف رحمه الله: **قلت:** انظر إلى احتجاج ابن طاهر ما أعْجَبَه! كيف يحتجُّ بجواز إنشاد الشعر على جواز أن يغَنَّى به؟! وما مَثَلُه إلا كَمَثَل من قال: يجوز أن يُضرب بالكَفِّ على ظهر العود فجاز أن يُضرب بأوتاره أو قال: يجوزُ أن يُعصَر

---

(١) صفوة التصوف ص٣١٦.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٢٥٥)، وابن ماجه رقم (٣٧٥٨)، والإمام أحمد ٤/ ٣٨٨ و٣٩٠.

(٣) صفوة الصفوة ص٣٢٢ وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٢٦٦، ولفظه: عن رؤبة العجاج قال: حدثني أبي: قال: سألت أبا هريرة: ما يقول في الحداء:

طافَ الخَيَالان فهاجَا سَقَما ** خَيَالُ تُكْنَى وَخَيَالُ تُكْتَمَا

قامَت تُريكَ رَهْبَةً أَنْ تُصْرَمَا ** سَاقًا بَخَنْدَاةً وَكَعْبًا أَدْرَمَا

وأخرجه ابن حبان في الثقات ٥/ ٢٨٧، والكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ١٧٩، وضعفاء العقيلي ٢/ ٦٤، وابن عدي ٣/ ١٠٤٠، والفاكهي في أخبار مكة ٣/ ٢٨. وإسناده ضعيف؛ لضعف رؤبة بن العجاج الشاعر، انظر: التقريب ص٢١١. والأبيات لعجاج والد رؤبة، وهو شاعر معروف ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك وله ديوان مطبوع، وهذه الأبيات فيه ص٢١٤ وانظر: الأعلام ٤/ ٢١٧.

العنبُ ويشرب ماؤه منه في يومه فجاز أن يُشرب بعد أيام، وقد نسى أنَّ إنشادَ الشعر لا يُطْرِبُ كما يُطْرِبُ الغناءُ.

• وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه قال: أخبرنا أبو محمد التميمي قال: سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال: ما أدري ما أقولُ فيه غير أني حضرتُ دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثمائة في دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين، وأبو القاسم الدَّاركي شيخ الشافعيين وأبو الحسن الجيش طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة فقال: أبو علي لو سقط السَّقف عليهم لم يبقَ بالعراق من يفتي في حادثة بسُنَّة. ومعهم أبو عبد الله غلام كان يقرأُ القرآنَ بصوتٍ حسن، فَقِيلَ له: قل شيئًا. فقال وهم يسمعون:

خَطَّتْ أناملها في بطنِ قرطاس ** رسالةً بعبيرٍ لا بأنفاسِ
أنْ زُرْ فَدَيْتُكَ قِفْ لي غيرَ محتشِمٍ ** فإنَّ حُبَّكَ لي قد شاعَ في الناسِ
فكان قولي لمن أدَّى رسالَتَها ** قِفْ لأمشي على العينينِ والرأسِ

قال أبو علي: فبعدما رأيتُ هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بِحَظْرٍ ولا إباحة[1].

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: وهذه الحكايةُ إن صدق فيها محمد بن طاهر - فإن شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول: ليس محمد بن طاهر بثقة - حُمِلَتْ هذه الأبيات

(١) أخرج هذه الحكاية ابن طاهر في كتابه السماع ص٤٧ وصفوة التصوف ص٣٢٩ ومن طريقه المؤلف هنا ونقلها النُّوَيري في نهاية الأرب ٤/ ١٩٥.

على أنه أنشدها لا أنه غَنَّي بها بقضيب ومخدة؛ إذ لو كان ذلك لذكره ثم فيها كلام مُخْتَلٌّ قوله: لا يمكنني أن أفتي فيها بحظر ولا إباحة؛ لأنه إن كان مقلدًا لهم فينبغي أن يفتي بالإباحة وإن كان ينظر في الدليل فما يلزمه من حضورهم ثم تقدر صحتها، أفلا يكون اتباعُ المذهبِ أولى من اتباع أرباب المذهب؟

وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ما يكفي في هذا وشَيَّدْنَا ذلك بالأدلة.

• وقال ابن طاهر في كتابه: باب إكرامهم القوَّال وإفرادهم الموضع له[1] واحتج بأن النبي ﷺ: كان يضع لحسان المنبر في المسجد[2]. وقال: باب السنَّة في إلقائهم الثياب إلى القوَّال[3]؛ لأن النبي ﷺ رمى بردةً كانت عليه إلى كعبِ بن زهير لما أنشده «بانت سعاد».

قال المصنف رحمه الله: وإنما ذكرت هذا ليُعرَف قَدْر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يُضَيَّع بمثل هذا التخليط.

• وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر قال: أخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن محمد الحجاجي قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقرئ قال: نا أبي قال: حدثنا علي بن أحمد قال: نا محمد بن العباس بن بلال قال: سمعت سعيد بن محمد قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله وكان الناس يَتَبَرَّكون به قال: حدثني المُزَنِيُّ قال: مررنا مع الشَّافعي وإبراهيم بن اسماعيل على دار قومٍ وجاريةٌ تُغَنِّيهم:

---

(١) صفوة التصوف ص٣١٢.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٤٦) وأبوداود رقم (٥٠١٥) وأحمد ٦/ ٧٢ والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٥٤، وصححه ووافقه الذهبي. والحديث في إسناده عبد الرحمن بن أبي الزناد، ومن أجله ينـزل إلى مرتبة الحسن. انظر: التقريب ص٣٤٠ وصحيح أبي داود رقم (٥٠١٥).

(٣) صفوة التصوف ص٣١٣.

خلــيليّ مــا بــالُ المَطايــا كأنّنــا ** نَرَاها على الأعقابِ بالقومِ تَـنْكِصُ(١)

فقال الشَّافعي: مِيلُوا بنا نسمع. فلمَّا فَرَغَتْ قال الشَّافعي لإبراهيم: أَيُطْرِبُكَ هذا؟ قال: لا. قال: فما لك حِسٌّ(٢).

قال المصنف ﷺ: **قلت**: وهذا مُحَالٌ على الشافعي ﷺ، وفي الرواة مجهولون وابن طاهر لا يُوثَقُ به وقد كان الشافعي ﷺ أجَلَّ من هذا.

ويدلُّ على صحة ماذكرنا ما أخبرنا به أبوالقاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري قال: أما سماعُ الغناء من المرأة التي ليستْ بمَحْرَم، فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوزُ سواءٌ كانت حرةً أو مملوكة.

قال: وقالَ الشافعيُّ: وصاحبُ الجارية إذا جمع الناسَ لسماعِها فهو سفيهٌ تُرَدُّ شهادته. ثم غَلَّظَ القولَ فيه فقال: وهو دِيَاثة.

وإنما جعلَ صاحبها سفيهًا؛ لأنه دعا الناسَ إلى الباطل ومن دعا إلى الباطلِ كان سفيهًا فاسقًا(٣).

• **قال المصنف** ﷺ: **قلت**: وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم البغدادي عن أبي محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: اشترى **سعد بن عبد الله الدمشقيُّ** جاريةً قوَّالةً للفقراء(٤) فكانت تقول لهم القصائد.

---

(١) هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة وهو في ديوانه ص٢١٨. ونقله صاحب الأغاني ونسبه له ١/ ١٢٢ و٥/ ١٠٢.

(٢) أورده المصنف من طريق ابن طاهر، وهو في كتابيه: السماع ص٤٦، وصفوة التصوف ص٣٢٤.

(٣) انظر: السماع لأبي الطيب الطبري ص٢٧-٢٨. وكذا نقله البيهقي عن الإمام الشافعي في السنن ١٠/ ٢٢٥ ومعرفة السنن والآثار ١٤/ ٣٢٩. وانظر من كتب الشافعية في ذلك مثلًا: الأم ٦/ ٢٠٩ وخبايا الزوايا ص٩٠.

(٤) المراد بالفقراء: الصوفية وقد اختار بعضهم اطلاق هذا اللفظ عليهم لما يبدوا من حالهم من الزهد في الدنيا فيبينوا للناس وكأنهم فقراء فالفقر عندهم أساس التصوف وبه قِوامه على معنى أن الوصول إلى ☜

• **قال المصنف** رحمه الله: **قلت**: وقد ذكرَ أبو طالب المكِّي في كتابه قال: أَدْرَكْنا **أبا مروان القاضي** وله جوار يسمعن التلحينَ قد أعدَّهُن للصُّوفية. قال: وكانتْ لعطاءٍ جارِيتان تُلَحِّنان وكان إخوانُه يستمعونَ إليهما[(١)].

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: أما سعد الدمشقي فرجل جاهل، والحكايةُ عن عطاء مُحَالٌ وكذبٌ، وإن صحَّت الحكايةُ عن أبي مروانَ؛ فهو فاسقٌ والدليلُ على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رحمه الله، وهؤلاء القوم جَهِلوا العلمَ فمالوا إلى الهوى.

• وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا: أخبرنا **الحاكم أبو عبد الله النيسابوري**، قال: أكثرُ ما التقيتُ أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر الأَبْرِيْسَمي للسَّماع من هَزَّارَةَ رحمها الله، فإنها كانت من مستورات القوَّالات[(٢)].

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خَفِيَ عنه أنه لا يحلُّ أن يسمع من امرأةٍ ليست له بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب «تاريخ نيسابور» وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قدحًا في عدالته.

• **فإن قيلَ**: ما تقولُ فيما أخبركم به إسماعيل بن أحمد السَّمَرْقندي قال: أخبرنا عمر بن عبيد الله، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا عثمان بن أحمد قال: أخبرنا حنبل بن إسحاق قال: نا هارون بن معروف قال: نا جرير عن مغيرة قال: كان **عون بن عبد الله** يَقصُّ فإذا فَرَغَ أَمَرَ جاريةً له تقص وتُطْرِب قال مغيرة:

رتب التصوّف طريقةُ الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف وجودُ الفقر. انظر: اللمع للطوسي ص٧٤-٧٥ وعوارف المعارف ص٢٠٥ وموسوعة المصطلحات الصوفية ص٧٢٠.

(١) قوت القلوب ٢/ ١٠٩٤. وقد نقل هذا عنه الغزالي في مكاشفة القلوب ص٤٣٦.

(٢) أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور كما أفاد المؤلف هنا وهو كتاب في عداد المفقود.

فأرسلتُ إليه أو أردتُ أن أرسل إليه: إنَّك من أهل بيتِ صِدْقٍ وإن الله تعالى لم يبعث نبيّه ﷺ بالحمق وإن صَنِيعَك هذا صنيعُ أَحْمَق[١].

فالجواب: أنا لا نظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحَبَّ أن يسمعها مُنْفَردًا وهي مِلْكُه، فقال له مغيرةُ الفقيهُ هذا القولَ، وكره أن تطرب الجاريةُ له، فما ظَنُّكَ بمن يُسْمِعْهُنَّ الرجال.

• وقد ذكر **أبو طالب المكي**: أن **عبد الله بن جعفر** كان يسمع الغناء، وإنما كان يسمع إنشاد جواريه[٢].

• **قال المصنف**: وقد أردفَ ابن طاهر الحكايةَ التي ذكرها عن الشافعي رحمه الله - وقد ذكرناها آنفًا- بحكاية عن **أحمد بن حنبل** رواها من طريق أبي عبد الرحمن السلمي قال: نا الحسين بن أحمد قال: سمعت أبا العباس الفرغاني يقول: سمعت صالح بن أحمد بن **حنبل** يقول: كنت أحبُّ السَّماعَ وكان أبي يكرهُ ذلك فواعدتُ ليلةً ابن الخَبَّازة فمكث عندي إلى أن علمتُ أن أبي قد نام وأخذ يغنِّي فسمعتُ حِسَّه فوق السَّطْح فصعدت فرأيتُ أبي فوق السَّطح يسمع وذيله تحت إِبطِه يتبختَرَ[٣] على السطح كأنه يرقص[٤].

---

(١) هذه الحكاية عن عون أخرجها ابن عساكر في تاريخه ٤٧/ ٨٩ وذكرها المزي في تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٦٠ عن هارون بن معروف به. وكذا الذهبي في السير ٥/ ١٠٤-١٠٥.
وأخرج الفاكهي نحوها في أخبار مكة ٣/ ٢٦ عن تمام بن نَجيح قال: كانت لعون بن عبدالله جارية تقرأ بألحان قال: فكنا إذا اجتمعنا عنده أمرها أن تقرأ فنبكي وتبكي. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف ابن نجيح. انظر: التقريب ص١٣٠.

(٢) وهذه الحكاية عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ذكرها أبو طالب المكي في قوت القلوب ٢/ ١٠٩٧ ونقلها عنه الغزالي في الإحياء ٢/ ٢٦٩ وعنه النويري في نهاية الأرب ٤/ ١٩٤.

(٣) المُتَبَختِر في مَشْيه: هي مِشيَة المتكَبر المعُجَب بنفسه. انظر: النهاية ١/ ١٠١ واللسان ٤/ ٤٨.

(٤) انظر: السماع لابن طاهر ص٤٦. ونقلها عنه النويري في نهاية الأرب ٤/ ١٩٥.

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: هذه الحكاية قد بلغتنا من غير طريق ففي بعض الطرق عن صالح قال: كنت أدعو ابنَ الخبازة القصائدي وكان يقولُ ويُلَحِّن وكان أبي في الزقاق يذهبُ ويجيء ويسمع إليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع.

وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز قال: نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين التَّوَّزِي قال: نا يوسف بن عمر القواس قال: سمعت أبا بكر بن مالك القطيعي يحكي -أظنُّه- عن عبد الله بن أحمد قال: كنت أدعو ابن الخبازة وكان أبي ينهانا عن الغناء فكنتُ إذا كان عندي أَكْتُمُه من أبي؛ لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندي وكان يقول فَعَرَضَتْ لأبي عندنا حاجة وكانوا في زُقَاق فجاء فسمعه يقول، فتسمع فوقع في سمعه شيءٌ من قوله فخرجتُ لأنظرَ فإذا بأبي ذاهبًا وجائيًا فرددتُ البابَ ودخلت فلما كان من الغد قال لي: يابني، إذا كان مثل هذا: نعم.. هذا الكلام أومعناه[1].

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزُّهديات التي فيها ذكر الآخرة؛ ولذلك استمع إليه أحمد، وقول من قال: ينـزعج، فإن الإنسان قد يزعجه الطَّربُ فيميل يمينًا وشمالًا.

وأما رواية ابن طاهر التي فيها: فرأيته وذيله تحت إبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص. فإنما هو من تغيير الرواة وتغييرهم بما يظنونه المَعْنِيَّ تصحيحًا لمذهبهم في الرقص.

وقد ذكرنا القدح في السُّلَمي وفي ابن طاهر الرَّاوِيين لهذه اللقطات[2].

---

(١) هذا الخبر أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخه ٥/ ٤٢٥ ومن طريقه المؤلف هنا وابن طاهر القيسراني في السماع ص٤٧.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص٢١٥.

• وقد احتجَّ **لهم أبو طالبٍ المكيُّ** على جوازِ السماعِ بمناماتٍ وقسَّم السماع إلى أنواعٍ وهو تقسيمٌ صوفيٌّ لا أصلَ له[١].

وقد ذَكَرْنا أن من ادَّعى أنه يسمعُ الغناءَ ولا يُؤثِّرُ عندَه تحريكَ النفسِ إلى الهوى فهو كاذبٌ.

وقد أخبرنا أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري قال: قال بعضهم: إنَّا لا نسمعُ الغناءَ بالطبعِ الذي يشتَرِكُ فيه الخاصُّ والعامُّ. قال: وهذا تجاهلٌ منه عظيم لأمرين:

أحدهما: أنه يلزَم على هذا أن يَستبيحَ العود والطنبور وسائر الملاهي؛ لأنه يسمعُه بالطبع الذي لا يُشَارِكُه فيه أحدٌ من الناس فإن لم يستَبح ذلك فقد نَقَضَ قوله وإن استباحَه فقد فسق.

والثاني: أنَّ هذا المُدَّعي لا يَخْلو من أن يَدَّعي أنه فارق طَبْعَ البشر وصار بمنـزلة الملائكة!

فإن قال هذا فقد تَحَرَّضَ[٢] على طبعه وعَلِمَ كلُّ عاقل كَذِبَه إذا رَجَعَ إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهدًا لنفسه ولا مخالفًا لهواهُ ولا يكونَ له ثوابٌ على ترك اللَّذات والشهوات وهذا لا يقوله عاقل.

وإن قال: أنا على طَبْع البشر المَجْبُولِ على الهوى والشهوة. قلنا له: فكيف تسمع الغناء المُطْرِب بغير طبعِكَ، أو تَطْرَبُ لسماعه لغير ما غُرِسَ في نفسك؟![٣]

---

(١) انظر: قوت القلوب ٢/ ١٠٩٣.

(٢) الحَرِضُ والحَرَضُ: الفساد في البَدَن وفي المَذْهَب وفي العَقْل. انظر: لسان العرب ٧/ ١٣٤ والقاموس المحيط ص٨٢٤.

(٣) انظر: كلام الإمام أبي الطيب الطبري: في كتابه السماع ص٥١-٥٢.

أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال: حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سئل أبو علي الرُّوذَبَارِي عمَّن يسمع الملاهي ويقول: هي لي حلال؛ لأني قد وصلت إلى درجة لا تؤثِّرُ فيَّ اختلاف الأحوال. فقال: نعم قد وصَلَ لعَمْري! ولكن إلى سَقَر(١).

فإن قيل: قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المُنشد شيئًا فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به قلنا: لا ننكر أن يسمع الإنسانُ بيتًا من الشعر أو حكمةً فيأْخُذَها إشارة فتزعِجُه لمعناها لا لأنَّ الصوتَ مُطرِبٌ كما سمعَ بعضُ المريدينَ صوت مغنِّيةٍ تقول:

كُلَّ يَوْمٍ تتلوَّن ** غَيْرُ هذا بكَ أجْمَل

فصاحَ ومات(٢).

فهذا لم يَقْصِدْ سماع المرأة ولم يلتفتْ إلى التلحين وإنما قتَلَه المعنى.

ثم ليس سماعُ كلمةٍ أو بيتٍ لم يُقْصَدْ سماعها كالاستعداد لسماع الأبيات الكثيرة المطربة مع انضمامِ الضَّرب بالقضيب والتَّصفيق إلى غير ذلك.

ثم إن ذلك السامعَ لم يقصدِ السماع، ولو سألَنا: هل يجوزُ لى أن أقصِد سماعَ ذلك؟ مَنَعْناه.

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص٣٥٦ ومن طريقه القشيري في الرسالة ص٤١٦ ونقله عنه شيخ الإسلام في الاستقامة ١/ ٣٨١ وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٥٦ من طريقه وذكره الذهبي في السير ١٤/ ٥٣٦ وابن رجب في نزهة الإستماع ص٨٧.

(٢) انظر: هذا البيت وما وقع لهذا الشاب في الإحياء ٢/ ٣٨٨ وذكر البيت القرطبي في تفسيره ١/ ٤٥٠ وساقه المؤلف مع خبر الشاب بطوله في صفوة الصفوة ٤/ ٥٢ ومن قبله القشيري في الرسالة ص٣٤٦. وذكر نحو هذا الخبر جعفر السراج في مصارع العشاق ٢/ ٢٢٠.

• وقد احتجَّ لهم أبو حامد الطُّوسي بأشياء نَزَلَ فيها عن رُتْبَتِه من الفهم، مجموعُها أنه قال:

• ما يدلُّ على تحريم السماعِ نصٌّ ولا قياس.

وجواب هذا قد أسْلفناه[1].

• وقال: لا وجه لتحريم سماع صوت طيِّب فإذا كان موزونًا فلا يحرم أيضًا وإذالم يحرم الآحادُ لم يحرم المجموع، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان المجموع مباحًا. قال: ولكن يُنْظَرُ فيما يُفهم من ذلك فإن كان فيه أمرٌ محظور حَرُمَ نثره ونظمه، وحرم التصويت به[2].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ **قلت**: وإني لأتعجَّبُ من هذا الكلام، فإن الوترَ بمفردِه أو العودَ وحده من غير وَتَر لو ضرب لم يحرم ولم يُطْرب فإذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوصٍ حَرُمَ وأزْعَج، وكذلك ماء العنب جائزٌ شُرْبُه فإذا حَدَثَتْ فيه شدَّةٌ مطربةٌ حَرُمَ فكذلك هذا المجموعُ يوجِبُ طربًا يُخرجُ عن الاعتدال فيُمنعُ منه لذلك.

قال ابن عقيل: الأصواتُ على ثلاثةِ أضربٍ: محرمٌ ومكروهٌ ومُباحٌ:

فالمحرم: الزَّمر والناي والسَّرناي والطنبور والمعزفةُ والرَّباب نصَّ أحمد بن حنبل على تحريم ذلك[3]، ويُلحقُ به الجرَّافة والجُنْك؛ لأن هذه تُطرب فتُخْرِجُ عن حدِّ الاعتدال وتفعلُ في طباع الغالب من الناس ما يفعَلُه المُسكِر، وسواءٌ اسْتُعْمِلَتْ على حُزنٍ يُهَيِّجُهُ أو سُرور لأن النبي ﷺ نهى عن صوتين أحمقين: صوت

---

(١) انظر: (ص ٥٣٦) وما بعدها.

(٢) انظر: الإحياء ٢/ ٢٧٣.

(٣) انظر في معنى كلام الإمام أحمد وأمره بكسر الطنبور ونحوه: الأمر بالمعروف للخلال ص١٢٥-١٣٠و١٤٥ وكتاب الورع ص١٥٦.

عند نغمةٍ وصوت عند مصيبة[١].

والمكروه: القضيبُ لأنه ليس بمُطْرِبٍ في نفسه وإنما يطربُ بما يَتْبَعُهُ وهو تابعٌ للقولِ والقولُ مكروه. ومن أصحابِنا من يُحَرِّمُ القضيب كما يُحرم آلاتِ اللَّهو فيكونُ فيه وجهان كالقولِ نفسه[٢].

والمباح: الدُّف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال: أرجو أن لا يكونَ بالدُّفِّ بأسٌ في العرس ونحوه وأكره الطبل[٣].

• وقال أبو حامد: من أحبَّ الله وعَشِقَهُ واشتاقَ إلى لقائِه فالسماعُ في حقَّه مؤكدٌ لعشقِهِ[٤].

قال المصنف رحمه الله **قلت:** وهذا قبيحٌ أن يُقال: إن الله تعالى يُعشَقُ وقد بيَّنَّا فيما تقدَّم خطأ هذا القول[٥] ثم أيُّ توكيدٍ لعشقِه في قول المغني:

ذَهَبِيُّ اللونِ تَحْسَبُ من ** وَجْنَتَيْهِ النارُ تَقْتَدِحُ[٦]

قال المصنف رحمه الله: **قلت:** وسمعَ ابنُ عقيل بعض الصوفية يقول: إن مشايخَ

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٤٨.

(٢) انظر في هذه المسائل عند الحنابلة: الفروع ٥/ ٢٣٦ وكشاف القناع ٥/ ١٨٣ والإنصاف للمرداوي ٨/ ٣٤٢ والمبدع ١٠/ ٢٢٨ قال في المغني ١٠/ ١٧٤: «فأما الضرب بالقضيب فمكروه إذا انضم إليه محرم أو مكروه كالتصفيق والغناء والرقص وإن خلا عن ذلك كله لم يكره؛ لأنه ليس بآلة ولا يطرب ولا يسمع منفردًا بخلاف الملاهي». وانظر عند غير الحنابلة: المهذب ٢/ ٣٢٧ وروضة الطالبين ١١/ ٢٢٩ والهداية شرح البداية ٤/ ٨٠ وتفسير القرطبي ١١/ ٢٣٨.

(٣) انظر: ما تقدم ص٥٦١.

(٤) انظر: الإحياء ٢/ ٢٧٩

(٥) انظر: ص٥٣٧.

(٦) سبق ذكر هذا البيت ص٥٣٥.

هذه الطائفة كُلَّما وَقَفَتْ طباعُهم حَداها الحادي إلى الله بالأناشيد.

فقال **ابن عقيل**: لا كرامةَ لهذا القائل إنما تُحدَى القلوبُ بوعد القرآن ووعيده وسُنَّة الرسول ﷺ فأما تحريكُ الطباع بالألحان فقاطعٌ عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتجَدَّد عنه فتنة ومن سَوَّلَتْ له نفسُه التقاطَ العِبَر من محاسنِ البَشَر وحُسن الصورِ فمفتون، بل ينبغي النظَرُ إلى المَحَالِّ التي أحالَنا عليها: الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك، فإنها منظوراتٌ لا تُهَيِّجُ طبعًا بل تُورِثُ استعظامًا للفاعِل، وإنما خَدَعَكُم الشيطانُ فصِرْتُم عبيدَ شهواتِكُم ولم تَقِفوا حتى قلتم هذه الحقيقة. زنادقةٌ في زيِّ عُبَّاد شرِهين في زيِّ زُهَّاد مُشَبِّهةٌ يعتقِدون أن الله تعالى يُعشَقُ ويُهامُ فيه ويُؤْلَفُ ويُؤْنَسُ به(١).

وبئس التوهُّم! لأن الله سبحانه خَلَق الذَّواتِ مشاكلةً؛ لأن أصولها متشاكلةٌ فهي تتوانَسُ وتتلاءَمُ بأصولها العُنصريَّة وتراكيبِها المِثْليَّةِ في الأشكالِ الحديثة فمن هاهُنا جاء التلاؤم والميلُ وعشقُ بعضِهم بعضًا، وعلى قدْرِ التقارُبِ في الصورةِ يتأكَّدُ الأنْسُ.

فالواحدُ منَّا يأنَسُ بالماء؛ لأن فيه ماء وهو بالنبات آنَسُ؛ لقُرْبه من الحيوانية بالقوة النَّمائيَّة وهو بالحيوان آنَسُ؛ لمشاركتِه في أخصِّ النوعِ به وأقرَبه إليه فأينَ المشاركةُ للخالقِ والمخلوق حتى يَحْصلَ الميلُ إليه والشوقُ والعشق؟! وما الذي بين

---

(١) وهذا الكلام محل نظرٍ من الإمام ابن عقيل؛ فلا شك أن الله يؤنس به ويؤلف ويحب والأدلة من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى في ذلك. والسبب - والله أعلم - في قوله ذلك هو جهل الصوفية في معنى المحبة والشطح فيها حتى جعلوا محبته سبحانه كمحبة غيره من الصور المستحسنة والجميلة. انظر لمزيد بيان: تلخيص كتاب الرد على ابن طاهر القيسراني في إباحة السماع التي تفعله الصوفية. للإمام سيف الدين أحمد بن المجد عيسى بن الموفق ابن قدامة المقدسي. والمختصر له هو الإمام الذهبي رحمه الله. مخطوط ق٢٦ وطريق الهجرتين ص٤٨٧.

الطين والماء وبين خالق السماءِ من المناسبة؟!

وإنما هؤلاء يُصَوِّرونَ الباري ﷻ صورةً تَثْبُتُ في القلوب وما ذاك الله ﷻ ذاك صنَمٌ شَكَّلَهُ الطَّبعُ والشيطان وليس لله وصفٌ تميلُ إليه الطِّباعُ ولا تشتاقُ إليه الأنفُسُ[(١)] وإنما مبايَنَة الإلهيَّةِ للمُحْدَثِ أوْجَبَتْ في النُّفُوس هيبةً وحِشْمةً فما يدَّعية عُشَّاقُ الصوفية لله في محَبَّةِ الله إنما هو وَهْمٌ اعترضَ، وصورةٌ تَشَكَّلتْ في نفوسِهم فحُجِبت عن عبادة القديم[(٢)] فتُجَدِّد لهم تلك الصورة أُنْسٌ فإذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق إليها فنالهم من الوَجْد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم في العشق.

فنعوذُ بالله من الهواجس الرَّديئة والعوارضِ الطبعيَّةِ التي يجِبُ بحُكْم الشرع محْوُها عن القلوبِ كما يجبُ كسرُ الأصنام[(٣)].

فصل:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد كان جماعةٌ من قدماء الصوفيَّةِ يُنكِرون على المُبتدِئِ السماعَ لعلمهم بما يُثيرُ من قَلْبِه:

- أخبرنا عمر بن ظفر المقرئ قال: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: أخبرنا

---

(١) هذا الكلام من الإمام ابن عقيل محل نظر: فإن كان المراد ليس لله وصف، مثل تلك الصور التي تخيلها ذلك المدعي في قلبه، فهذا حق لا مرية فيه وإن كان ليس لله صفة تميل إليها الطباع وتشتاق فهذا ليس صحيحًا؛ يرده ما لربنا من صفات تشتاق إليها النفوس وتميل: كالرحمة والرضا والمحبة..

(٢) يُخْبَر عن الله ﷻ بأنه قديم لا صفةً له ولا القديم اسمًا له. يقول الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد ١/ ١٧٠: «ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفًا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه». وانظر لمزيد بيان: الفتاوى ٩/ ٣٠٠ ومنهاج السنة ٢/ ١٢٣ وصفات الله الواردة في الكتاب والسنة ص٢٠٠ ومعتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى ص٢٣٧ وأسماء الله الحسنى ص١٣٥.

(٣) كلام ابن عقيل المتقدم نقله الإمام الذهبي في تلخيصه لكتاب الإمام سيف الدين أحمد بن المجد عيسى بن الموفق بن قدامة المقدسي في جوابه على ابن طاهر القيسراني في إباحة السماع. مخطوط ق٢٦.

عبد العزيز بن علي الأزجي قال: حدثنا ابن جهضم قال: حدثني أبو عبد الله المقرئ قال: حدثني عبد الله بن صالح قال: قال لي جُنَيْد: إذا رأيتَ المريدَ يسمعُ السماعَ فاعلَم أنَّ فيه بَقايا من اللعب(١).

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب قال: أخبرنا أبو سعيد بن أبي صادق قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعت أحمد بن محمد البَرْذَعِيَّ يقول: سمعتُ المرتعش يقول: سمعتُ أبا الحسين النُّوري يقول لبعض أصحابه: إذا رأيتَ المريدَ يسمعُ القصائِد ويميلُ إلى الرَّفاهيةِ فلا تَرْجُ خيرَهُ(٢).

قال المصنف رحمة الله: هذا قولُ مشايخ القوم وإنما تَرَخَّصَ المتأخِّرون حبًا للهو فتعدَّي شرُّهم من وجهين:

أحدهما: سوءُ ظنِّ العوامِّ بقُدمائِهم؛ لأنهم يظنُّون أن الكُلَّ كانوا هكذا.

والثاني: أنهم جَرَّؤوا العوامَّ على اللعب فليس للعاميِّ حُجَّةٌ في لعبِهِ إلا أن يقول: فلانٌ يفعَلُ كذا وفلانٌ يفعَلُ كذا.

فصل:

قال المصنف رحمه الله: وقد تَشَبَّث حب السماع بقلوب خلقٍ منهم فآثَروه على قراءةِ القرآن، ورقَّتْ قلوبُهُم عنده ما لا تَرِقُّ عند القرآن، وما ذاكَ إلا لتمكُّن هوًى باطن وغلبةِ طبعٍ وهم يظنُّون غير هذا:

---

(١) أخرجه القشيري في الرسالة ص٣٤٤ أو ٢/ ٦٥٠ من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي عن الجنيد به. وقال: بدل اللعب: البطالة. وذكره شيخ الإسلام في الاستقامة ١/ ٣٩٥.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٥٢ عن محمد المرتعش يقول: سمعت أبا الحسين النوري يقول ويوصي بعض أصحابه: عشرة، وأي عشرة! احتفظ بهن واعمل عليهن جهدك.. وذكر منها: الثامنة: مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهة لا ترجون خيره.

• أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: أخبرنا عبد الكريم بن هوازن وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال: حدثنا أبي وقال: سمعت أبا حاتم محمد بن أحمد السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السَرَّاج يقول: حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدَّرَّاج قال: قصدتُ **يوسف بن الحسين الرَّازي** من بغداد فلما دخلتُ الرَّيَّ سألت عن منـزله وكل من أسأله عنه يقول: إيش تفعل بذاك الزّنديق؟ فَضَيَّقُوا صدري حتى عزمتُ على الانصراف فَبِتُّ تلك الليلةَ في مسجد ثم قلتُ: جئتُ هذه البلد فلا أَقَلَّ من زيارته. فلم أزلْ أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد في المحراب وبين يديه رحل عليه مصحف وهو يقرأ فدنوتُ فسلمتُ فردَّ السلامَ وقال: من أين؟ قلت: من بغداد قصدتُ زيارةَ الشيخ. فقال: تُحْسِنُ أن تقول شيئًا؟ قلت: نعم. وقلت:

رأيتُـك تَبْنِـي دَائِـمًا في قَطِيعَتـي ** ولو كنتَ ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ مـا تَبْنـي

فأطبق المصحفَ ولم يزل يبكي حتى ابتلَّتْ لحيته وثوبه حتى رَحِمْتُه من كثرة بكائه. ثم قال لي: يا بني، تلومُ أهل الرَّي على قولهم: يوسف بن الحسين زنديق، ومن وقت الصَّلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تَقطُر من عيني قَطرةٌ وقد قامتْ عليَّ القيامة بهذا البيت[1].

• وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوزان قال: أخبرنا أبي قال سمعتُ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: خرجتُ إلى مَرْو في حياة الأستاذ **أبي سهل الصُّعْلوكيِّ** وكان له قبل خُروجي أيامَ الجُمَع بالغدوات مجلسُ دور القرآن والختمات فوجدتُهُ عند رجوعي قد رَفَع ذلك المجلسَ وعُقِدَ لابن الفغابي في ذلك الوقت مجلسُ القَول

(١) أخرج هذه الحكاية أبو بكر الخطيب في تاريخه ١٤/ ٣١٧ ومن طريقه المؤلف هنا والغزالى في الإحياء ٢/ ٣٠١ والذهبي مختصرةً في السير ١٤/ ٣٤٩.

فتَداخَلَني من ذلك شيءٌ وكنتُ أقولُ: قد اسْتَبْدَلَ مجلس الختمات بمجلس القَول، فقال لي يومًا: أيَّ شيءٍ تقولُ الناس؟ فقلتُ: يقولون: رَفَعَ مجلسَ القرآنِ ووضع مجلس القَول. فقال: من قال لأستاذِهِ «لِـمَ» لا يُفلح[1].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: **قلت**: هذه عادةُ الصوفية يقولون: الشيخ يَسْلَمُ لهُ حالُه وما لنا أحدٌ يَسْلَمُ إليه حالُه فإنَّ الآدميَّ يُردُّ عن مُراداتِه بالشَّرعِ والعقلِ والبهائمَ بالسَّوْطِ.

فصل:

وقد اعتقدَ قومٌ من الصوفيَّة أن هذا الغناءَ الذي قد ذكرنا عن قومٍ تحريمه وعن آخَرينَ كراهتَه مستَحَبٌّ في حقِّ قومٍ.

وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هواز القُشيري، قال: أخبرنا أبي قال: سمعت أبا علي الدَّقَّاق يقول: السَّماعُ حرامٌ على العوامِّ؛ لبقاء نفوسهم مباحٌ للزُّهاد؛ لحصول مجاهداتِهم، مستحَبٌّ لأصحابِنا؛ لحياةِ قلوبهم[2].

---

(١) أخرج هذا الخبر القشيري في الرسالة ص٣٣٤ أو ٢/ ٦٣٤ وذكره الذهبي في السير ١٧/ ٢٥١، ومختصرًا ١٦/ ٢٣٧ والسبكي في طبقات الشافعية ٤/ ١٤٦.

وقد اتخذ هذه الكلمة المنافية لما جاء به الإسلام من لا يَتَرسَّم خطا الشرع من الشيوخ ذريعة لارتكاب ما لا يحل وفعل ما هو محرم. قال الذهبي في السير ١٧/ ٢٥١ معقبًا على هذا الخبر: «ينبغي للمريد أن لا يقول لأستاذه: «لِـمَ» إذا علمه معصومًا لا يجوز عليه الخطأ أما إذا كان الشيخُ غيرَ معصوم وكره قولَ: «لِـم» فإنه لا يفلح أبدًا قال الله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] وقال: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ [العصر: ٣] ، ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧] ، بلى هنا مريدون أثقالٌ أنكاد يعتَرِضُون ولا يقتدون ويقولون ولا يعملون فهؤلاء لا يفلحون». فينبغي على التلميذ أن يسأل أستاذه بأدب واحترام كما أنه ينبغي أن يناقشه بإسلوب مهذب وسائغ أو كان يرى في الشيخ خطأ لايقره الشرع وأراد أن ينبهه عليه بأدب ولطف فإذا كان هذا مقصده فإنه والله يفلح فإذا علم الأستاذ حسن مقصده كان ينبغي عليه أن يأذن له ويستمع إليه ويعترف بالخطأ إذا تبين له وأن يغرس في نفس تلميذه ملكة النقد المفيد. انظر: السير ١٦/ ٢٣٧ و١٧/ ٢٥٢ تعليق المحقق.

(٢) أخرجه القشيري في الرسالة ص٣٤٠ أو ٢/ ٦٤٤ وذكر أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر الكَتَّاني قريبًا من ذلك. انظر: طبقات الصوفية ص٣٧٥.

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: هذا غلطٌ من خمسة أوجه:

أحدها: أنَّا قد ذكرنا عن أبي حامد الغزالي أنه يُبَاحُ سماعُه لكل أحدٍ، وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل.

والثاني: أن طِباعَ النفوس لا تتغيَّرُ، وإنما المجاهدةُ تكفُّ عملَها، فمن ادَّعى تغيُّرَ الطباعِ ادَّعى المحال، فإذا جاء ما يُحَرِّكُ الطِّباعَ وانْدَفَعَ الذي كان يكفُّها عنه عادتِ العادةُ.

والثالث: أن العلماءَ اختلفوا في تحريمِه وإباحتِه وليس فيهم مَنْ نظرَ في السامعِ؛ لعلمِهِمْ أن الطِّبَاعَ تتساوى فمن ادَّعى خروجَ طبعِه عن طباعِ الآدميِّينَ ادَّعى المحالَ.

والرابع: أن الإجماعَ انعقدَ على أَنَّهُ ليس بمستحبٍّ وإنما غايتُهُ الإباحة فادِّعاءُ الاستحبابِ خرقٌ للإجماع[1].

والخامس: أنه يلزمُ من هذا أن يكون سماعُ العود مباحًا أو مستحبًّا عند من قد تغيَّر طَبْعه؛ لأنه إنما حُرِّمَ لأنه يؤثِّر في الطِّباع ويدعوها إلى الهوى فإذا أُمِنَ ذلك فينبغي أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبري[2].

فصل:

قال المصنف رحمه الله: وقد ادَّعى قومٌ منهُم أنَّ هذا السماعَ قُرْبَةٌ إلى الله عز وجل:

• قال أبو طالب المكيُّ: حدثني بعض أشياخنا عن **الجُنَيْدِ** أنه قال: تنـزلُ الرحمةُ على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن: عند الأكل؛ لأنهم لا يأكُلونَ إلا عن فاقة، وعند المُذاكرة؛ لأنهم يتحاورونَ في مقامات الصدِّيقين وأحوال النبيِّينَ وعندَ السماع؛ لأنهم

(١) تقدم في الدراسة تقرير هذه المسألة وبيان أن القول الحق على تحريمه وهو قول جمهور العلماء.

(٢) انظر: ما تقدم ص٥٧٠ وكلام الإمام أبي الطيب الطبري في كتابه السماع ص٥١-٥٢.

يسمعونَ بوَجْدٍ ويشهدونَ حقًا[١].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: **قلت**: وهذا إنْ صحَّ عن الجُنيدِ[٢] وأحسنَّا به الظنَّ كان محمولًا على ما يسمعونَه من القصائِدِ الزُّهديَّةِ ؛ فإنها تُوجِبُ الرِّقَّةَ والبكاء، فأما أن تنـزِلَ الرحمةُ عند وصف سُعْدى وليلى ويُحمل ذلك على صفات الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يجوزُ اعتقادُ هذا ولو صحَّ أخذُ الإشارةِ من ذلك كانت الإشارةُ مستغرقةً في جَنْبِ غَلَبَةِ الطِّباع.

ويدُلُّ على ما حَمَلْنا الأمرَ عليه أنه لم يكنْ يُنشَدُ في زمان الجُنيد مثلُ ما يُنشَدُ اليومَ إلا أنَّ بعض المتأخِّرين قد حَمَلَ كلام الجنيد على كلِّ ما يُقالُ[٣].

● فحدثني أبو جعفر أزهر بن عبد الوهاب السَّبَّاك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال: كانَ **أبو الوفاءِ الفَيْروزَأبادي** شيخُ رباط الزَّوْزَنيِّ صديقًا لي، فكان يقول: والله إني لأدعو لك وأذكركَ وقتَ وضع المخدَّةِ والقولِ. قال: فكانَ

(١) قوت القلوب ٢/ ١٠٩١ ونقل ذلك عن الجنيد الكلاباذي في التعرّف ص١٧٩ والقشيري في الرسالة ص٣٤٠ أو ٢/ ٦٤٥ والسهروردي في عوارف المعارف ص١٦٢.

(٢) في (ت): وهذا إن صح عن الجنيد فلا يقبل منه ولا يصدق؛ لأن هذا إخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ فلا يثبت إلا بوحي من الله تعالى ولم يكن الجنيد ممن يوحى إليه ولم يَنقل عن رسول الله ﷺ وهذا إن صح عن الجنيد وأحسنَّا..

(٣) ونقل عن أبي القاسم القشيري هذا الأثر عن الجنيد شيخ الإسلام في الاستقامة ١/ ٣٩٥ فقال: فإن كان هذا محفوظًا عن الجنيد فهو يحتمل السماع المشروع فإن الرحمة تنـزل على أهله كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فذكر أن استماع القرآن سبب الرحمة... ثم ساق أحاديث تبين أن لفظ السماع يدخل فيه عندهم السماع الشرعي كسماع القرآن والخطب الشرعية والوعظ الشرعي. وقد أدخل أبوالقاسم هذا النوع في باب السماع وذكر في ذلك آثارًا... وبالجملة: فإذا كان المسند المحفوظ المعروف من قول الجنيد أنه رَحِمَهُ اللهُ لا يحمد هذا السماع المبتدع ولا يأمر به ولا يثني عليه بل المحفوظ من أقواله ينافي ذلك لم يجز أن يعمد إلى قول مجمل روي عنه بغير إسناد فيحمل على أنه مدح هذا السماع المحدث.

عبد الوهاب يتعجَّبُ ويقولُ: أترونَ هذا يعتقِدُ أن ذاك وقتُ إجابةٍ؟! إن هذا لعظيم[١]!

وقال ابن عقيلٍ: وقد سَمِعْنا منهم أن الدُّعاءَ عندَ حدْو الحادي وعند حضورِ المخدَّةِ مُجَابٌ؛ وذلك أنهم يعتقِدونَ أنه قُرْبَةٌ يُتَقرَّبُ بها إلى الله تعالى. قال: وهذا كفرٌ؛ لأنَّ من اعتقدَ الحرامَ أو المكروهَ قُرْبَةً كان بهذا الاعتقادِ كافرًا. قال: والناس بين تحريمِه وكراهتِه.

• أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القَزَّاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن أيوب قال: أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال: نا محمد بن أحمد الكاتب قال: نا الحسين بن فهم قال: حدثني أبو هَمَّام قال: حدثني إبراهيم بن أعين قال: قال **صالح المُرِّيُّ**: أبطأُ الصَّرْعى نهضةً صريعُ هوىً يدَّعيهِ إلى الله ﷻ قُربةً، وأثبتُ الناسِ قدمًا يومَ القيامَةِ آخَذُهُمْ بكتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ[٢].

• أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال: نا أبي قال: سمعتُ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر النَّهَاوَنْدي يقول: سمع عليًّا السَّائح يقول: سمعت **أبا الحارث الأوْلاسي** يقول: رأيتُ إبليسَ في المنام على بعض سطوح أولاس[٣] وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثيابٌ لِطَاف، فقال لطائفة منهم: قولوا. فقالوا وغَنَّوا، فاستفرغني طِيبُهُ حتى هممتُ أنْ أطرحَ نفسي من السطح، ثم قال: ارقصوا. فرقصوا

---

(١) هذا الخبر نقله المؤلف عن شيخه وقد لا يكون مدونًا في كتاب كما يظهر وقد ذكره المؤلف أيضًا في المنتظم ١٠/ ٣٦.

(٢) أخرجه الخطيب مطولًا في التاريخ ٩/ ٣٠٦ وعنه المؤلف هنا وفي المنتظم ٩/ ٢٦ وابن كثير في البداية والنهاية ١٠/ ١٧٠.

(٣) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس فيه حصن يسمى حصن الزهاد. معجم البلدان ١/ ٢٨٢ واللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٩٤.

أطيب ما يكون، ثم قال لي: يا أبا الحارث ما أصيبُ منكم شيئًا أدخلُ به عليكم إلا هذا[١].

(١)أخرجه القشيري في رسالته ص٣٤٩ أو ٢/٦٥٨ وعنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٩/ ٣٠ ونقله الطرطوشي في تحريم السماع ص٢٢٨.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد

قال المصنِّف رحمه الله: هذه الطائفةُ إذا سمِعتِ الغناءَ تواجَدَت، وصفَّقَت وصاحتْ، ومزَّقتِ الثِّياب، وقد لبَّسَ عليهم إبليسُ في ذلكَ وبالغَ:

• وقد احتجُّوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمدُ بنُ عبدِ الباقي، قال: أنبأنا أبو علي الحسنُ بنُ محمد بن الفضلِ الكرماني، قال: أَخبرنا أَبو الحسنِ سهلُ بن عليٍّ الخشابُ، قال: أخبرنا أبو نصرٍ عبدُ الله بن علي السَّرَّاج الطُّوْسِيُّ، قال: قد قيلَ: إنه لمَّا نزلت: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح **سلمانُ الفارسيُّ** صيحةً ووقعَ على رأسِهِ ثمَّ خرجَ هاربًا ثلاثة أيامٍ[1].

• واحتجُّوا بما أَخبرنا به عبد الوهَّاب بن المبارَكِ الحافظُ قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبدِ الجبار قال: أَخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن عليٍّ الخياط، قال: أخبرنا أحمدُ بنُ محمد بن يوسف بن دَوْست، قال: أخبرنا الحسينُ بنُ صفوان، قال: نا أبو بكرٍ عبدُ الله بن محمَّد القرشي، قال: نا عليُّ بن الجعد، قال: نا أبو بكرِ بن عيَّاشٍ، عن عِيسى بنِ سليمٍ، عن أَبي وائلٍ، قال: خرجْنا معَ عبد الله ومعنا **الرّبيع بن خُثَيْم**، فمررنا على حدَّاد فقامَ عبدُ الله ينظرُ إلى حديدَةٍ في النَّار، فنظر الرَّبيع إليها فمالَ لِيَسْقُطَ. ثم إنَّ عبد الله مضى حتى أَتينا على أَتُّونٍ علَى شاطِئِ الفراتِ، فلما رآهُ عبدُ الله والنَّارُ تلتهب في جوفهِ، قرأَ هذهِ الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢-١٤] فصُعِقَ الرَّبِيْع، واحتملناه إلى أهلِهِ، ورابطهُ عبدُ الله حتى

---

(١) أخرجه الطوسي في اللمع ص١٨٥ وذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء ٤/ ١٨٦ عن ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية.. وتعقبه العراقي بقوله: حديث ميمون بن مهران.. لم أقف له على أصل.

صلَّى الظهرَ فلم يُفِقْ، ثم رابطهُ إلى العصرِ فلم يُفِقْ، ثم رابطهُ إلى المغرب فأفاقَ، فرجع عبد الله إلى أهلهِ[١].

• قالوا: وقد اشْتُهِرَ عن خلق كثير من العُبَّادِ أنَّهم كانوا إذا سمعوا القرآنَ فمنهم من يموت، ومنهم من يُصْعَقُ وَيُغْشَى عليه، ومنهم من يصيح، وهذا كثيرٌ في كُتُب الزُّهد[٢].

والجواب:

• أمَّا ما ذَكَرُوهُ عن سَلمانَ ﷺ، فمُحَالٌ وكذبٌ، ثمَّ ليس لهُ إسنادٌ، والآيةُ نزلَت بمكَّةَ، وسلمانُ إنَّما أسلَم بالمدِينةِ[٣]، ولم يُنْقَلْ عن أحدٍ من الصَّحَابةِ مِثلُ هذا أصلًا!

• وأمَّا حِكايةُ **الرَّبيعِ بن خُثَيْم** فإنَّ راويها عِيسى بن سُلَيْم وفيه مَغمَزٌ: أنْبَأنا عبد الوهَّاب بن المُبارَكِ الحافظ، قال: أخبَرنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ المظفَّر الشَّامِي، قال: قال أبو الحسَنِ أحمدُ بن محمدٍ العَتِيقيّ، قال: أخبرنا أبو يعقوب يوسفُ بن أحمد الصَّيْدلانيُّ، قال: أخبرنا أبو جعفرٍ محمدُ بن عَمرو بن موسى العُقَيْليُّ، قال: قال أحمد بن حنبل: عِيسى بنُ سُلَيمٍ عن أبي وائلٍ لا أعرفهُ[٤].

قال العُقَيْليُّ: وحدثنا عبد الله بنُ أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا يحيى بنُ آدم،

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٣٨ وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١١٠ والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٨٢ جميعهم من طريق أبي بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل. وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة عيسى بن سليم.

(٢) انظر مثلًا: الهمّ والحزن ص٥٣-٥٧ وكتاب التخويف من النار ص٢٦-٥١

(٣) انظر في بيان هذا: البحر المحيط ٥/ ٤٤٣ إذ قال: هذه السورة مكية بلا خلاف. وقال الشوكاني في فتح القدير ٣/ ١٢٠: هي مكية بالاتفاق. وكذا المؤلف في تفسيره ٤/ ٣٧٩ والسيوطي في الإتقان ١/ ٢٧ ٤١ وفي إسلام سلمان ﷺ انظر: أسد الغابة ٢/ ٤١٨ والإصابة ٣/ ١١٣.

(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٨٢ وذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٤٥٨.

قال: سمعتُ حمزةَ الزيَّات قال لِسفيانَ: إنَّهم يرْوُون عن الرَّبيع بن خُثَيْم أنه صُعِقَ. فقال: ومَن يروِي هذا! إنَّما كان يرويهِ ذاكَ القاصُّ - يعني: عِيسى بنَ سُلَيْمٍ - فلقيتُهُ فقلت: عمَّن تَروِي أنتَ ذا[1]؟! منكرًا عليه.

قالَ المُصَنِّفُ رحمه الله: **قُلْتُ**: فهذا سُفيانُ الثوري يُنكرُ أَن يكونَ الرَّبيعُ بن خُثَيْمٍ جَرَى له هذا لأَنَّ الرجلَ كان على السَّمْتِ الأوَّل، وما كان في الصَّحابة مَن يجرِي لهُ مثلُ هذا ولا التَّابعين[2].

ثمَّ نقولُ على تقديرِ الصِّحَّةِ: إنَّ الإنسانَ قد يُغْشَى عليهِ مِن الخَوفِ، فيُسْكِنُهُ الخوفُ ويُسْكِتُهُ، فيَبْقَى كالميِّتِ، وعلامةُ الصَّادقِ أنَّهُ لو كَانَ علَى حائِطٍ وقعَ؛ لأنَّهُ

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٨٢ ونقله الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٤٥٨.

(٢) وقال شيخ الإسلام: وكان فيهم -يعني: الصوفية- طوائف يصعقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة مَن هذا حاله، فلمّا ظهر ذلك أنكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين: كأسماء بنت أبى بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم.

والمنكرون لهم مأخذان: منهم من ظن ذلك تكلفًا وتصنعًا يذكر عن محمد بن سيرين أنه قال: ما بيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند سماع القرآن إلا أن يقرأ على أحدهم وهو على حائط، فإن خر فهو صادق. ومنهم من أنكر ذلك؛ لأنه رآه بدعة مخالفًا لما عرف من هدي الصحابة كما نقل عن أسماء وابنها عبد الله.

والذي عليه جمهور العلماء: أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوبًا عليه لم ينكر عليه وإن كان حال الثابت أكمل منه ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد؛ فما رأيت أعقل منه. وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب فى صدقه لكن الأحوال التي كانت فى الصحابة هى المذكورة فى القرآن وهي: وجل القلوب ودموع العين واقشعرار الجلود كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٢٣]. انظر: الفتاوى ١١/ ٧-١١ وانظر كذلك الفتاوى الكبرى ٢/ ٤٠٢ والجواب الصحيح ٦/ ٣٧١ وشرح الطحاوية ١/ ٥٧٥ والرد على القائلين بوحدة الوجود ص٦٢.

غائِبٌ.

فأمَّا مَن يدّعِي الوَجدَ، ويتحفَّظُ مِن أن تزِلَّ قدمُهُ، ثم يتعدَّى إلى تخريقِ الثِّيابِ وفعلِ المنكراتِ في الشَّرعِ، فإنا نَعْلَمُ قطعًا أَنَّ الشَّيطانَ يلْعبُ بهِ: أخبرنا أبو منصورٍ القَزَّاز، قال: أخبَرنا أحمدُ بنُ عِلي بنِ ثابتٍ، قال: أخبَرنا محمدُ بنُ علي بنِ الفتحِ، قال: أخبَرنا محمدُ بنُ الحُسينِ النَّيسَابُوريُّ، قال: سمِعتُ أحمدَ بن محمّد بن زكريا يقول: سمعت أحمدَ بنَ عطاءٍ يقول: كان للشلبيِّ يوم الجمعَة نظرةٌ، ومِنْ بَعْدِهَا صَيْحةٌ، فصاح يومًا صيحةً تَشَوَّشَ ما حولَه من الخَلْق، وكان بِجَنْبِ حلقتِهِ حلقةُ أبي عِمران الأشْيَب فَحَرَدَ[1] أبو عمران وأهل حلقته[2].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: واعلم - وفَّقَك الله - أن قلوبَ الصحابةِ كانت أصفَى القلوبِ، وما كانوا يَزيدون عندَ الوَجْدِ على البُكاءِ والخشُوعِ، فَجَرى مِن بعضِ الصَّحابةِ غُرَبائِهم نحو ما قد أنكرنَاهُ فبالَغَ رسولُ اللهِ ﷺ في الإنْكارِ علَيه:

• فأخبَرنا محمدُ بنُ ناصِرٍ الحافظ، قال: أنبأنا أَحمدُ بنُ عليّ بنِ خَلَفٍ، قال: أخبرنا أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ الله الحاكِم وأنبأنا ابنُ الحُصَين، قال: أنبأنا أبو علِي بنُ المذهب، قال: نا أبوحفصِ بنُ شاهِين، قال: حدَّثنا عثمانُ بنُ أحمدَ بنِ عبد الله، قال: حدثنا أحمدُ بنُ محمدِ بن عبد الحميد الجعْفِيُّ، قال: حدَّثنا عبد المُتَعالِ بن طالبٍ، قال: أنبأنا يوسفُ ابن عَطِيَّةَ عن ثَابتٍ عن أنسٍ، قال: وعظَ رسولُ الله ﷺ يومًا فإذا رجُلٌ قد صُعِقَ. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**من ذا المُلَبِّسُ علينا دِينَنَا؟ إن كان صَادِقًا**

---

(١) حَرَدَ يَحْرِدُ حُرودًا: أي تنحى وتحوّل عن قومه ونزل منفردًا لم يخالطهم من قولهم: تحرّد الجمل إذا تنحى عن الإبل. انظر: النهاية ١/ ٣٦٢ واللسان ٣/ ١٤٥.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٤/ ٣٩٣ ومن طريقه المؤلف هنا وذكره الذهبي في السير ١٥/ ٣٦٨.

فقَد شهَّر نفسَه، وإن كان كاذِبًا فمحَقَهُ اللهُ»[(١)].

• قال ابنُ شَاهِين: وثنا عبدُ اللهِ بنُ سُليمان بن الأَشْعَث، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ يوسف الجُبَيرِيّ، قال: ثنا رَوْحُ بن عطاءِ بنِ أبي ميمونةَ، عن أبيه، عن جدِّه، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: ذُكِرَ عندهُ هَؤلاءِ الذين يُصْعَقونَ عند القراءةِ، فقال أنسٌ: لقد رَأَيْتُنَا وَوَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ ذات يومٍ حتَّى سَمِعْنا لِلقومِ خنينًا حِينَ أَخذَتْهُمُ المَوْعِظَةُ، وَما سقطَ منهم أحدٌ[(٢)].

• **قال المُصَنِّفُ** ﷺ: **قُلْتُ**: ومثل هذا حديثُ العِرْبَاضِ بنِ سارِيَةَ: وَعظَنا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعظةً ذرفَتْ منْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ منْهَا الْقُلوبُ[(٣)].

قال أبو بكرٍ الآجُرِّي: ولم يقُل: صَرَخْنا، ولا ضَرَبْنا صدورَنا، كما يَفْعَل كثيرٌ منَ الجُهَّالِ الذينَ يَتلاعَبُ بِهِمُ الشَّيْطان.

• أخبرنا عبدُ الله بن علي المُقرئ: قال أنبأنا أبو ياسِرٍ أحمد بن بُنْدَار بن إبراهيم، قال: أنبأنا محمد بن عُمَرَ بن بُكَير النَّجَّار، قال: أخْبرنا أحمد بن جَعْفَر بن حَمْدان، قال:

---

(١) هذا الحديث يرويه أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي، عن عبد المتعال عن أبي عوانة عن قتادة وعبد المتعال عن يوسف بن عطية عن ثابت كلاهما عن أنس ﷺ قال: وعظ رسول الله ﷺ يومًا.. قال الذهبي: وهذا باطل. الميزان ١/ ١٤٣ وقال في موطن آخر: عبد المتعال ثقة والحديث يتهم بوضعه فيما أظن يوسف. ٤/ ٤٦٩. ﷺ

(٢) هذا الأثر أخرجه المؤلف هنا. وأما حديث أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله.. فهو مخرج في الصحيحين، فأخرجه البخاري رقم (٤٦٢١) ٣/ ١٤٠٩، وأخرجه مسلم رقم (٢٣٥٩) ٤/ ١٨٣٢ والإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٦٢ وغيرهم. والخنين: ضرب من البكاء دون الانتحاب. انظر: مشارق الأنوار ١/ ٢٠٤ واللسان ١٣/ ١٤٢.

(٣) حديث العرباض بن سارية ﷺ أخرجه: الإمام أحمد ٤/ ١٢٦ وأبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم(٢٦٧٦) وابن ماجه رقم(٤٣) والحاكم ١/ ٩٥ وصححه ووافقه الذهبي وكذا صححه الإمام الترمذي والألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٥) وفي تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم.

أنبأنا إبراهيمُ بن عبد اللهِ البَصريّ، قال: أنبأنا أبو عُمَر حَفْصُ بن عُمَر الضَّرير، قال: أنبأنا خالدُ بنُ عبد الله الواسِطيُّ، قال: أنبأنا حُصَيْنُ بن عبد الرحمن، قال: قلت **لأسماءَ بنتِ أبي بكرٍ** ﵄: كيف كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ عندَ قراءة القُرْآنِ؟ قالت: كانوا كَمَا ذَكرهم اللهُ - أو كما وَصَفَهُم ﷻ -: تدمَعُ عيونُهُم، وتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ. فقلت لها: إن هاهُنا رجالًا إذا قُرِئَ على أحدِهِم القُرْآنُ غُشِيَ عليهِ. فقالت: أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرجيمِ[١]!

أخبرنا محمدُ بنُ ناصرٍ، قال: أنبأنا جَعفرُ بنُ محمد السَّرَّاج، وأنبأنا الحَسَنُ بن عليٍّ التميمِيْ، قال: أنبأنا أبو بكرِ بن مالكٍ، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، أنبأنا الوليدُ بنُ شُجَاعٍ، قال: أنبأنا أبو إسْحاقَ الحَلَبِيُّ، قال: أنبأنا فُراتٌ، عن عبدِ الكريمِ ، عن عِكْرِمَةَ، قال: سألتُ **أسماءَ بنتَ أبي بَكرٍ** ﵄: هل كان أحدٌ من السَّلَفِ يُغْشَى عليهِ مِنَ الخَوف؟ قالت: لا، ولكنَّهم كانوا يَبْكون[٢].

● أخبرنا ابن ناصرٍ، قال: نا جَعْفَرُ بنُ أحمد، قال: نا الحسنُ بنُ علي بن التميمي، وأنا محمدُ بنُ عبد الباقي بنِ أحمد، قال: نا حمد بن أحمد الحدَّاد، قال: نا أبو نعيم الحافظ، قالا: أنا أبو بكر بن مالكٍ، قال: نا عبدُ اللهِ بن أحمد، قال: نا شُرَيْحُ بن يونس، قال: ثنا سعيدُ بن عبدِ الرحمن الجُمَحِيُّ، عن أبي حازمٍ، قال: مرَّ **ابنُ عمر** ﵁ بِرَجُلٍ ساقِطٍ مِن أهل العراقِ، فقال: ما شَأْنُه؟ فقالوا: إنه إذا قُرِئَ عليه القُرآن يُصِيبُهُ هذا! قال: إنَّا لَنَخْشَى اللهَ ﷻ وما نسقُطُ[٣]!

(١) أخرجه المؤلف هاهنا وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٤٩، وذكره السيوطي في الدر ٧/ ٢٢٢، وعزاه إلى سعيد بن منصور.
(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في الزهد ص١٧٦، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٢١٤.
(٣) أخرجه ابن حنبل في الزهد ص١٩٣ ومن طريقه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣١٢ ومن طريقه المؤلف هنا.

• أخبرنا سعيدُ بنُ أحمدَ بن البَنَّاء، قال: نا أبو سعدٍ محمدُ بن علي الرُّسْتُمِي، قال: نا أبو الحسين بن بِشْرَان، قال: نا إسماعيل بن محمد الصَّفَّار، قال: ثنا سَعْدانُ بن نَصْرٍ، قال: ثنا سفيانُ بنُ عُيَينة، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي بُرْدَةَ، عن **ابنِ عبَّاسٍ** رضي الله عنهما أنه ذَكَر الخوارجَ وما يَلْقَون عند تلاوةِ القرآن، فقال: ليسوا بِأَشَدَّ اجْتِهَادًا من اليهود والنصارى وهم يُضَلُّون[(١)].

• أنبأنا ابن الحُصَين، قال: أنبأنا أبو علي بن المذهب، قال: أنبأنا أبو حفص بن شاهين، قال: ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق، قال: نا إبراهيم بن فهد، قال: أنبأنا إبراهيم بن الحَجَّاج السامي، قال: ثنا شَبِيْبُ بنُ مهران، عن قتادة، قال: قيل **لأنسِ بنِ مالكٍ**: إنَّ ناسًا إذا قُرِئَ عليهم القُرآن يُصْعَقون! فقال: ذاك فِعْلُ الخوارج[(٢)].

• أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا عبدُ الرحمن بنُ أبي الحسين بنِ يوسف، قال: أنبأنا محمدُ بنُ عليّ بنِ الفتح، قال: أنبأنا محمدُ بنُ محمدٍ الكاتب، قال: حدَّثنا عبدُ اللهِ بن المُغِيرَةِ، قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدِّمَشْقِي، قال: بلَغَ **عبدَ الله بنَ الزُّبير** رضي الله عنهما أنَّ ابنَه عامرًا صَحِبَ قومًا يُصْعَقون عند قراءة القُرآن، فقال له: يا عامر، لأعْرِفَنَّ ما صحِبْت الذين يُصْعَقون عندَ القرآن، فأوسِعُكَ جلدًا[(٣)].

أخبرنا محمدُ بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد الحدَّاد، قال: أنبأنا أبو نُعَيم الحافظ، قال: حدثنا سُليمان بنُ أحمد، قال: أنبأنا محمدُ بنُ العبَّاس، قال: حدثنا الزُّبَير بن بَكَّارٍ، قال: حدَّثني عبد الله بنُ مصعب بنِ ثابتِ بن عبد اللهِ بنِ الزُّبَير، قال:

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ١٠/ ١٥٣، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٥٥٦ والآجري في الشريعة ص٣٧. أو ١/ ١٤٤. واللالكائي في اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٣٠٦. وإسناد الأثر صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٢٣٣ والإمام ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/ ١٩٩ والشاطبي في الاعتصام ١/ ٣٥٣.

(٣) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢٠/ ٩٢.

حدَّثنِي أبي، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: جئتُ إلى أبي، فقال: أين كنتَ؟ فقلتُ: وجدتُ أقوامًا ما وجَدْتُ خيرًا منهُم، يذكرون اللهَ ﷻ، فَيَرْعَدُ أَحَدُهم حتى يُغْشَى علَيه من خَشْيَةِ اللهِ ﷻ، فقَعَدْتُ معهم. قال: لا تَقْعد معهم بعدَها. فرآني كأنِّي لم يَأخُذْ ذلك فِيَّ، فقال: رأيتُ الرسولَ ﷺ يتلو القرآنَ ورأيتُ أبا بَكْرٍ وعمرَ يتلوانِ القرآنَ فلا يُصيبُهم هذا أفتراهُم أخْشعَ من أبي بكرٍ وعمرَ؟ فرَأيتُ أن ذلكَ كذلكَ فتركْتُهم(١).

• أخبرنا محمدُ بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمدُ بنُ أحمد، قال: أخبرنا أبو نُعَيم الحافظ، قال: أخبرنا محمدُ بن أحمدَ في كتابِهِ، قال: نا محمدُ بنُ أيوبَ، قال: حدثنا حفصُ بن عُمَرَ النُّمَيْرِي، قال: نا حَمَّادُ بنُ زيدٍ، قال: نا عَمْرو بنُ مالكٍ، قال: بيْنَما نحنُ عند ابن الجوزاء يُحدِّثنا، إذ خرَّ رجل فاضطرب، فوثبَ ابن الجوزاء يَسعى قِبَلَهُ، فقيل له: يا أبا الجوزاء، إنه رجلٌ به المُوتَةُ. فقال: إنَّما كنتُ أراه من هؤلاء القَفَّازين، ولو كان منهم لأمَرتُ بِهِ فأُخرِجَ من المسجِدِ، إنما ذَكَرهُم اللهُ تَعالى، فقَال: تفيض أعينهم من الدمع(٢)، أو قال: تقشعر جلودهم(٣)(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٦٧ ومن طريقه المؤلف هنا.

(٢) صواب الآية: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣]، ولعله لم يرد ذكر نص الآية، وإنما أراد وصف حالهم.

(٣) الآية قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٨٠ ومن طريقه المؤلف هنا.
وقوله: المُوتَةُ بالضم: جنس من الجُنُونِ والصَّرع يَعْتَري الإنسانَ، فإذا أَفاقَ عاد إليه عَقْلُه، كالنائم والسكران. انظر: فتح الباري ٨/ ٣١٤ واللسان ٢/ ٩٣.
وأما قوله: القفازين: فهي بهذا اللفظ في الحلية ومعناها -والله أعلم- من القفز وهو الوثب، ويطلق على بعض لعب الصبيان فكأنه أراد العابثين اللعبين. ويكون معناها على نسخة (ت) الفقارين: من الفقر ←

أخبرنا أبو محمدٍ عبدُ الله بن عليٍّ المقرِئ، قال: أخبرنا أحمدُ بنُ بُنْدَار بن إبراهيم، قال: أخبرنا محمدُ بنُ عُمَر بكير النَّجَّار، قال: أخبرنا أحمدُ بنُ جعفر بن حمدان، قال: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ الله البصري، قال: نا أبو عُمر حفصُ بنُ عمر الضَّرير، قال: أخبرنا حمَّادُ بنُ زيد، قال أخبَرَني عَمرو بنُ مالكٍ النُّكري، قال: قرأ قارئٌ عندَ أبي الجَوزاء، قال: فصاحَ رجُلٌ من أُخْرَيَاتِ القومِ - أو قال: من القومِ -، فقام إليهِ أبو الجَوزاء، فقيل له: يا أبا الجوزاء، إنه رجل به شيءٌ. فقال: ظننتُ أنَّهُ مِن هؤلاءِ النَّعَّارِين، فَلَوْ كان منهم لَوَضَعْتُ رِجْلي على عُنُقِه[1].

• وقال أبو عَمْر[2]: أخبرنا جرِيرُ بنُ حازِمٍ أنهُ شَهِدَ **محمدَ بن سيرين**، وقيل له: إنَّ هاهُنا رِجالًا إذا قُرِئَ على أحدِهِم القرآنُ غُشِيَ عَلَيه. فقال محمدُ بن سيرين: يقعُدُ أحدُهم على جدارٍ ثمَّ يُقْرَأُ عليه المصحَفُ مِن أوَّلِهِ إلى آخِرِه، فإن وَقَعَ فَهُوَ صادقٌ![3].

قال أبو عمر: وكان محمدُ بنُ سيرين يذهبُ إلى أنَّ هذا تصنُّعٌ وليس بحقٍّ مِن قلوبهم.

أخبرنا محمدُ بنُ عبد الباقي، قال: أخبرنا حمدُ بن أحمد، قال: نا أبو نُعَيم الحافظ، قال: نا أبو محمد بن حَيَّان، قال: نا محمدُ بن العبَّاسِ، قال: نا زيادُ بنُ يحيى، عن عمران بن عبد العزيز، قال: سمعتُ محمدَ بنَ سيرين وسُئِل عمن يستمِع القرآن

والحاجة ومعروف أن الصوفية يتسمون بالفقراء.

(١) أخرجه المؤلف من هذا الطريق ويجتمع هو والذي قبله عن حماد بن زيد به.

وقوله: النعارين: لعلها من النَّعْرَة: صوتٌ في الخَيْشُوم ونَعَرَ الرجلُ يَنْعَرُ ويَنْعِرُ نَعِيرًا ونُعارًا: صاحَ وصَوَّتَ والنَّعِيرُ: الصِّياحُ. انظر: العين ٢/ ١١٩ واللسان ٥/ ٢٢٠. ومن المعروف الصياح ورفع الصوت عند سماع الذكر من الصوفية. ولعل ما ورد في القصة السابقة من قوله: القفازين محرف عنها.

(٢) الظاهر لي أنه أبو عمر بن عبد البر.

(٣) أورد هذا القول عن ابن سيرين السهروردي في عوارف المعارف ص١٧٦ وبهامش الإحياء ٢/ ٢٦٢ وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٧. وانظر الأثر الذي يليه.

فيُصْعَق، فقال: ميعادُ ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائِطٍ، فيُقرَأ عليهم القرآن مِن أوَّلِهِ إلى آخِرِهِ، فإن سَقَطُوا فهُمْ كما يقولون[١].

• أخبرنا ابنُ ناصر، قال: أخبرنا أبو طاهرٍ عبد الرحمن بنُ أبي الحسينِ بن يوسفَ، قال: أخبَرنا محمدُ بنُ علي العِشاري، قال: أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ الله الدَّقَّاق، قال: حدَّثنا الحسين بنُ صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكرٍ القُرَشِي، قال: نا محمدُ بن عليٍّ، عن إبراهيم بن الأشعث، قال: سمعتُ أبا عاصِمٍ الرَّمْلِيَّ، عن رجُلٍ، عن الحسنِ أنه وَعَظَ يومًا فتنفَّسَ رجُلٌ في مَجْلسِهِ، فقال الحسن: إن كان للهِ تعالى فقد شهَّرتَ نفسَكَ، وإن كان لغيرِ اللهِ فقَد هلكْتَ[٢].

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا جعفرُ بن أحمد، قال: أخبرنا الحسنُ بنُ عليٍّ، قال: أخبرنا أحمدُ بنُ جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: نا رَوْحٌ، قال: حدثنا السَّريُّ بن يَحْيى، قال: حدثنا عَبدُ الكريم بن رشيدٍ، قال: كنتُ في حلقةِ الحسنِ فَجعلَ رَجُلٌ يبْكِي وارتفعَ صوتُه، فقال الحسنُ: إنَّ الشيطان لَيُبْكِي هذا الآن[٣].

• أنبأنا محمدُ بن ناصرٍ، قال: نا أبو غالبٍ محمدُ بن الحسن الباقلاني، قال: أنبأنا أبو العلاء الواسطي، قال: نا محمد بن الحسين الأزْدِي، قال: حدثني إبراهيم بن رحمون، قال: نا إسحاقُ بن إبراهيم البغْدادي، قال: سمعتُ أبا صفوان يقول: قال

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٦٥ وعنه المؤلف هنا وذكره ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/ ٢٠٠ وشيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٧ والشاطبي في الاعتصام ١/ ٣٥٣.

(٢) أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في الإخلاص والنية ص٦٤ رقم (٤٤) وفي الرقة والبكاء ص١٣٣ رقم (١٥٧). والأثر فيه من لم يسمَّ ومن لم أعرفه. وأخرجه الإمام أحمد في الزهد ص٢٧٠ من طريق أبي أسامة عن الربيع بن صبيح قال: وعظ الحسن يومًا فانتحب رجلٌ، فقال الحسن: أما والله ليسألنك الله ما أردتَ بهذا.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في الزهد ص٢٧٣.

الفضيلُ بنُ عياضٍ لابنِهِ وقد سقَطَ: يا بُنَي إنْ كنتَ صادِقًا لقد فَضَحْتَ نَفْسكَ، وإنْ كُنْتَ كاذبًا فقد أهلَكْتَ نفسكَ[(١)].

• أخبرنا أبو بكر بنُ حبيبٍ، قال: أخبَرنا أبو سعيد بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: نا محمدُ بن أحمد النَّجار، قال: نا المُرْتَعِش، قال: رأيتُ **أبا عثمانَ سعيدَ بن عثمان الواعظ** وقد تواجدَ إنسانٌ بين يديهِ، فقال له: إنْ كنتَ صادِقًا فقدْ أظْهَرتَ كمالَكَ، وإن كنتَ كاذِبًا فقد أشْركتَ باللهِ[(٢)].

فصل:

قال المصنِّفُ رحمه الله: فإن قالَ قائِلٌ: إنَّما يُفرضُ الكلامُ في الصَّادِقينَ لا في أهلِ الرِّياءِ، فما تقولُ فيمنْ أدْرَكَه الوَجْدُ، ولم يَقْدِر على دَفْعِهِ؟

فالجواب: إنَّ أوَّل الوَجْدِ انْزِعاجٌ في الباطن، فإنْ كفَّ الإنسانُ نفْسَهُ لئلَّا يُطَّلَعَ على حاله يَئِسَ الشيطان منه فبَعُدَ عنه، كما كان أيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، إذا تحدَّث فَرَقَّ قلبُه مسح أنفَه وقال: ما أشدَّ الزُّكامِ[(٣)]!

وإن أهمَلَ الإنسانُ نفسَه ولم يبَالِ بظهورِ وَجْدِهِ أوْ أحَبَّ اطِّلاعَ الناسِ على حالِهِ؛ نفخَ فيهِ الشَّيطانُ فانْزعجَ على قَدْر نَفْخِه[(٤)]:

---

(١) أخرجه المؤلف هنا وأشار إليه شيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٨.

(٢) أخرجه المؤلف، ولا أعلم أحدًا أخرجه غيره ولابن باكويه كتاب في أخبار الصالحين يعتبر في عداد المفقود يقرب أن يكون المؤلف أخرج عنه.

(٣) هذا القول عنه أخرجه: أبو نعيم في الحلية بمعناه ٣/ ٦ عن حماد بن زيد عن أيوب. ومن طريق حماد ساقه المؤلف في صفة الصفوة ٣/ ٢١١ وذكره ابن القيم في المدارج ٣/ ٤٠٤.

(٤) **والمقصود**: أن العبد يقوي إخلاصه لله وصدقه ومعاملته؛ حتى لا يحب أن يطلع أحد من الخلق على حاله مع الله ومقامه معه فهو يخفي أحواله؛ غيرةً عليها من أن تشوبها شائبة الأغيار ويخفي أنفاسه خوفًا عليها من ←

• كما أخبرَنا هِبة الله بن محمدٍ، قال: أنبأنا الحسنُ بن عليٍّ، قال: أنبأنا أحمدُ بن جعفر، قال: حدَّثنا عبد الله، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا أبو مُعاويةَ، قال: ثنا الأعمشُ، عن عمرِو بن مُرَّةَ، عن يحيى بنِ الجَزار، عن ابن أخي زينب، عن زينب امرأةِ عبدِ الله، قالت: جاءَ عبدُ الله ذاتَ يومٍ وعندي عَجُوزٌ ترقِينِي من الحُمرَة فأدْخَلْتُهَا تحتَ السَّريرِ قالت: فدخلَ فجلسَ إلى جنْبِي فرأى في عُنُقي خيطًا، فقال: ما هذا الخيط؟ قلت: خيطٌ رُقِيَ لي فيهِ. فأخذَهُ فقطَعَهُ ثم قال: إنَّ آلَ عبد اللهِ لأغنِياءُ عن الشِّركِ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِركٌ، قالت: فقلتُ له: لِمَ تقولُ هذا، وقد كانت عيني تَقْذِفُ وكنتُ أخْتَلفُ إلى فُلانٍ اليهوديِّ يَرقِيها فكان إذا رقاها سَكَنَتْ؟! قال: إنَّما ذاكَ من عَمَلِ الشَّيطانِ، كان يَنْخَسُهَا بيدِهِ، فإذا رقَيْتِها كفَّ عنها، إنما كان يكْفِيكِ أن تقولي كما قال رسولُ الله ﷺ: أذْهِبِ البَاسَ ربَّ الناسِ، اشْفِ وَأنتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤكَ، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: التِّوَلَةُ: ضَرْبٌ من السِّحر يُحَبِّبُ المرأةَ إلى زوجِها[2].

المداخلة فالصادق إذا غلب عليه الوجد والحال، وهاج من قلبه لواعج الشوق أخلد إلى السكون ما أمكنه، فإن غلب أظهر ألمًا ووجعًا يستر به حاله مع الله. انظر: مدارج السالكين ٣/ ٤٠٤.

(١) الحديث أخرجه بطوله الإمام أحمد ١/ ٣٨١، وأبو داود رقم (٣٨٨٣) وابن ماجه برقم (٣٥٣٠). وحسَّنَ هذا الطريق أحمد شاكر في تحقيقه للمسند رقم (٣٦١٥) وللحديث طريق آخر يتقوى بها فقد أخرجه الحاكم ٤/ ٢١٧ عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة رقم(٢٨٤٥). وآخر الحديث وهو قوله: «**أذْهِبِ البَاسَ ربَّ الناسِ..**» فله شواهد في الصحيحين: من حديث أنس رضي الله عنه في البخاري رقم (٥٧٤٢). ومن حديث عائشة عند البخاري رقم (٥٧٤٣) ومسلم برقم (٢١٩١).

وهذه الأشياء كلها باطلة؛ لإبطال الشرع إياها؛ لأن اتخاذها يدل على اعتقاد تأثيرها، وهو يفضي إلى الشرك. انظر: شرح سنن ابن ماجه ١/ ٢٥٢ ولمزيد بيان في الرقى والتمائم انظر: معالم السنن ٤/ ٢٢٦ فتح المجيد ص١٤٧ وفتح العزيز الحميد ص١١٩ وكتاب أحكام الرقى والتمائم ص٢٥.

(٢) جاء هذا التفسير برواية ابن حبان ١٣/ ٤٥٦.

• أخبرنا محمدُ بن عبد الباقي، قال: أنبأنا الحسنُ بن عبد الملك بن يوسف، قال: أنبأنا أبو محمد الخَلَّالُ، قال: حدثنا أبو عُمَر بن حيويه، قال: ثنا أَبُو بَكْرِ بن أبي داود، ثنا هارونُ بن زَيد بن أبي الزَّرْقاء، قال: ثنا أَبِي، قال: حدَّثنا سُفيانُ، عَنْ عِكْرمةَ بن عمارٍ، عن شُعيبِ بنِ أبي المُثنَّى، عن أبي عيسى[1]، قال: ذهبتُ أنا وأبو السَّوار إلى عبدِ اللهِ بن عُمَر، فقال أبو السَّوار: يا أبا عبد الرحمن، إنَّ قومًا عِندنا إذا قُرِئَ عليهم القُرآن يَرْكُضُ أحدُهم من خَشْيَةِ اللهِ، قال: كذبتَ! قال: بلَى وربِّ هذِهِ البِنية. قال: ويْحَكَ إن كنتَ صادِقًا، فإنَّ الشَّيْطَان لَيَدْخُلُ جوفَ أحَدِهم. والله ما هكذا كان أصحابُ محمدٍ ﷺ[2].

فصل:

فإن قال قائلٌ: فنفرض الكلامَ فيمن اجْتَهد في دفعِ الوَجْدِ فَلَمْ يقدِرْ، وَغَلَبه الأمر فمن أين يدخُلُ الشيطانُ؟!

فالجوابُ: إنَّا لا نُنْكِر ضَعْف بعضِ الطِّباعِ عن الدَّفْعِ، إلَّا أنَّ علامَةَ الصَّادقِ أنهُ لا يَقْدِر أن يدْفَعَ، ولا يَدْري ما يَجْري عليه، فهو من جِنْس قولهِ ﷻ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف: ١٤٣][3].

وقد أخبرنا محمَّد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حَمْد بن أحمد، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله، قال: ثنا إبراهيمُ بن عبد الله، قال: ثَنَا محمَّدُ بن إسْحاقَ الثَّقَفِي، قال: حدَّثنى حاتِم بنُ اللَّيثِ الجَوْهَريُّ، قال: حدثنا خالدُ بنُ خِداشٍ، قال: قُرِئَ على عبد الله بنِ وَهْبٍ

---

(١) في (أ): عن أبي عيسى أو عيسى.

(٢) ذكره السهروردي في عوارف المعارف ص١٧٦ ولم أعلم أحدًا أخرجه غير المؤلف.

(٣) قال شيخ الإسلام: يعذر من سمع الحق فمات أو غشي عليه؛ وكما عذر موسى ﷺ لما صعق حين تجلى ربه للجبل، وليس هذا الحال غاية السالكين ولا لازمًا لكل سالك ومن الناس من يظن أنه لابد لكل سالك منه، وليس كذلك؛ فنبينا ﷺ والسابقون الأولون هم أفضل وما أصاب أحدًا منهم هذا الفناء ولا صعق ولا موت عند سماع القرآن. انظر: منهاج السنة ٥/ ٣٥٦.

كتابُ أهوالِ القيامةِ، فَخَرَّ مَغْشِيًّا عليه فلم يتكلَّمْ بِكَلِمَةٍ حتَّى ماتَ بعْد ذلك بأيَّامٍ[١].

قال المصنِّف رحمهُ الله: **قلت**: وقد ماتَ خلقٌ كثيرٌ من سَماعِ الموعظةِ، وَغُشِيَ عليهمْ، فأمَّا هذا التَّواجدُ الذي يَتَضَمَّنُ حركاتِ المُتواجدين وقوَّةَ صياحِهم وتَخَبُّطِهم، فظاهِرُهُ أنَّه مُتَعمَّدٌ والشيطانُ مُعِينٌ عليهِ[٢].

قال المصنِّف رحمه الله: **فإن قيل**: فَهَل فِي حقِّ المُخلِص نقصٌ بهذهِ الحالةِ الطَّارِئَةِ عليه؟

قيل: نَعم، من جِهَتين:

إحداهما: أنَّه لو قَوِيَ العِلمُ أمْسَكَ.

والثَّانية: أنَّه قد خُولِفَ به طريقُ الصحابة والتابعين، ويكفِي هذا نقصًا.

أخبرنا عبد الله بنُ علي المقْرِئُ، قال: أنبأنا هِبَةُ الله بن عبد الرزَّاق السبتِي، وأخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا، قال: نا أبو سَعْدٍ مُحَمَّد بن عليٍّ الرُّسْتُمي، قالا: أنبأنا أبو الحسين بن بِشْرَان، قال: أنبأنا أبو علي إسْمَاعيل بن محمد الصَّفَّار، قال: نا سعدان ابن نصر، قال: نا سفيانُ بن عُيَيْنة، قال: سَمعتُ خلَفَ بنَ حَوْشَبٍ، قال: كان جَوَّابٌ يُرْعَدُ عند الذِّكر، فقال لهُ إبراهيم: إن كنتَ تَمْلِكهُ فما أُبالِي أن لا أعتَدَّ بِك، وإن كنتَ لا تَملكهُ فقد خالَفْتَ من هُو خيرٌ مِنكَ. وقال الرُّستُمِي: فقد خالفْتَ من كان قَبْلَكَ[٣].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٢٤ ومن هذا الطريق المؤلف هنا والسير ٩/ ٢٢٦. وكتاب أهوال القيامة: من تأليف ابن وهب. كما ذكر ذلك المزي في تهذيب الكمال ١٦/ ٢٨٥ والذهبي في السير ٩/ ٢٢٦.

(٢) يقول شيخ الإسلام: وهذه الأحوال تعرض لهم عند فعل ما يأمر به الشيطان مثل السماع البدعي: سماع المكاء والتصدية وغير ذلك فإن الذين يتخذون ذلك قربة ودينًا تتحرك به قلوبهم ويحصل لهم عنده من الوجل والصياح ما تنـزل معه الشياطين كما يدخل الشيطان فى بدن المصروع. الفتاوى ١١/ ٦٦٤.

(٣) هذا الأثر أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦/ ٣١٤ وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٣١.

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلتُ**: إبراهيم هو النَّخَعِيُّ الفقيه، وكان مُتَمَسِّكًا بالكتاب والسُّنةِ شديدَ الاتِّباعِ للأثرِ، وقد كان جَوَّابٌ من الصَّالحين البُعَداءِ عن التَّصَنُّع، وهذا خِطابُ إبراهيم لهُ، فكيفَ من لا يَخفى حالُهُ في التَّصَنُّعِ!

فصل:

فإذا طَرَبَ أهلُ التَّصوُّف لسماع الغناء صفَّقوا.

أخبرنا مُحَمَّد بنُ عبد الباقي، قال: أنبأنا رزقُ اللهِ بن عبدِ الوهاب التَّميمي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السُّلَمِي، قال: سمعت أبا عُثمان المغربيَّ يقول: سمعتُ أبا عليٍّ بن الكاتبِ يقول: كان ابنُ بُنان يَتواجَد، وكان أبو سعيدٍ الْخَرَّاز يُصَفِّق[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: والتَّصفيقُ منكرٌ يُطربُ ويُخرِجُ عن الاعتدَال، وتَنَزَّه عن مِثْلِه العُقلاء، ويَتَشَبَّه فاعِلُه بالمُشرِكينَ فِيما كانوا يفعلونهُ عندِ البيت من التَّصْدِيةِ، وهي الَّتي ذمَّهُمُ اللهُ عز وجل بها، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[الأنفال: ٣٥][2] فالمُكاءُ: الصَّفِير والتَّصْدِيةُ: التصفيق.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا أبو الفَضلِ بن خَيْرُون، قال: نا أبو عليِّ بن شاذان، قال: أخبرنا أحْمدُ بنُ كامِلٍ، قال: حدَّثني محمدُ بن سعدٍ، قال: حدَّثني أبي، قال: حدثني عمِّي، عن أبيهِ، عن جدِّه، عن ابنِ عباسٍ ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في الطبقات ص٣٨٩ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ١٤٨.

(٢) قال شيخ الإسلام: وصار لهم -يعني: أصحاب السماع- نصيب من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[الأنفال: ٣٥] إذ المكاء: هو الصفير ونحوه من الغناء والتصدية: هي التصفيق بالأيدي فإذا كان هذا سماع المشركين الذي ذمه الله في كتابه فكيف إذا اقترن بالمكاء الصفارات المواصيل وبالتصدية مصلصلات الغرابيل وجعل ذلك طريقًا ودينًا يتقرب به إلى المولى الجليل! انظر: الاستقامة ١/ ٣٠٨ والفتاوى ٣/ ٤٢٧ ومنهاج السنة ٥/ ٣٢٩.

يعني: الصَّفير، ﴿وَتَصۡدِيَةً﴾ يقول: التصفيق(١).

قال المصنِّف رحمه الله: **قلت**: وفيهِ أيضًا تَشَبُّهٌ بالنِّساءِ(٢)، والعاقِلُ يَأنَفُ مِن أن يَخْرُجَ عن الوَقارِ إلى أفْعال الكُفَّار والنِّسْوة(٣)!

فصل:

فإذا قوِي طرَبُهم رقصُوا:

- وقد احتجَّ بعضُهُم بقوله تعالى لأيوبَ عليهِ السلام: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾[ص: ٤٢](٤).

قال المصنِّف رحمه الله: **قلت**: وهذا احتِجاجٌ بَارِدٌ؛ لأَنَّهُ لو كان أمر بِضَرْبِ الرِّجْلِ فَرَحًا كان لَهُمْ فيهِ شُبْهَةٌ، وإنَّما أمر بِضَرْبِ الرِّجْلِ لِيَنبُعَ الماءُ(٥).

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٩/ ٢٤٠ بإسناد ضعيف وللأثر طرق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما يتقوى بها ومثل هذا التفسير أيضًا مروي عن ابن عمر ومجاهد والسدي والضحاك وقتادة.. وغيرهم. انظر: تفسير ابن جرير ٩/ ٢٤٠ وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٠٦ والدر المنثور ٣/ ٣٣٢.

(٢) كأن المؤلف يشير إلى ما رواه البخاري رقم (٦٥٢) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وفيه: قول رسول الله ﷺ: «**ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق! من رابه شيء في صلاته فليسبّح؛ فإنه إذا سبّح التفت إليه وإنما التصفيق للنساء**».

(٣) **والمقصود**: أن المصفقين والصفارين في يَراع أو مزمار ونحوه فيهم شَبَه من هؤلاء ولو أنه مجرد الشبه الظاهر فلهم قسط من الذم بحسب تشبههم بهم وإن لم يتشبهوا بهم في جميع مكائهم وتصديتهم؛ والله سبحانه لم يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابهم أمر بل أُمروا بالعدول عنه إلى التسبيح؛ لئلا يتشبَّهوا بالنساء فكيف إذا فعلوه لا لحاجة وقَرنُوا به أنواعًا من المعاصي قولًا وفعلًا ؟! إغاثة اللهفان ١/ ٢٧٤. وانظر: الفتاوى ١١/ ٥٦٢.

(٤) قال القرطبي في تفسيره ١٥/ ٢١٥: استدل بعض جهال المتزهدة وطغام المتصوفة بقوله تعالى لأيوب: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾[ص: ٤٢] على جواز الرقص.. ثم ساق كلام المؤلف هنا وما نقله عن ابن عقيل. وانظر: تفسير القشيري مع تعليق محققه ٥/ ٢٦٣. وللنظر في مزيد أدلة الصوفية في إباحة الرقص انظر: تفسير القرطبي ١٠/ ٣٦٦ والرهص والوقص ص٩٥ والموسوعة اليوسفية ١/ ٢٤٩-٢٧٠ وحكم الفن في الشريعة الإسلامية ص٢٢٢-٢٣٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٦ وتفسير البغوي وتفسير الخازن طبعا جميعًا ٥/ ٢٨٩.

قال ابن عَقِيلٍ: أين الدلالةُ في مُبْتَلًى أُمِرَ عندَ كَشْفِ البلاءِ بأن يَضْرِبَ بِرِجلِهِ الأرضَ لِيَنبُعَ الماءُ إعْجَازًا منَ الرَّقصِ؟! ولئِن جازَ أن يكون تحريكُ رِجْلٍ قد أَنْحَلَها تَحَكُّمُ الْهَوامِّ دَلالةً على جَوازِ الرَّقْصِ في الإسْلامِ، جازَ أن يُجْعَلَ قولُهُ تعالى لموسى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠] دلالَةً على ضَرْبِ المَخَادِّ بالقُضْبَان. نعوذُ باللهِ من التَّلاعُبِ بالشَّرع.

• **واحتجَّ** بعضُ ناصِرِيهم[١] بأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لعليٍّ: «**أنت منِّي، وأنا منك**». فَحَجَلَ، وقال لجعفر: «**أشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي**». فحَجَلَ، وقال لِزيد: «**أنتَ أخونا ومَولانا**»، فحَجَلَ[٢].

ومنهم من **احتجَّ** بأنَّ الحبشة رقصت والنَّبي ﷺ يَنْظُرُ إليهم[٣].

---

(١) من أمثال: ابن القيسراني محمد بن طاهر في صفوة التصوف ص٣٣١ والغزالي في الإحياء ٢/ ٣٠٤.

(٢) أشار المؤلف إلى ما أخرجه الإمام أحمد ١/ ١٠٨. وأخرجه أيضًا: البيهقي في السنن ٨/ ٦ و١٠/ ٢٢٦ من طريق هانئ بن هانئ. قال البيهقي بعد إيراده لحديثه: ليس بالمعروف جدًّا. وقال الحافظ عنه في التقريب ص٥٧٠: مستور ومثله لايحتمل التفرد ولفظ: الحجل في الحديث لم يأت إلا من طريقه. وعلى هذا فلفظ الحجل منكر غريب. والحديث روي من عدة طرق ليس فيها هذا اللفظ. منها: ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب رقم (٢٦٩٩) والترمذي رقم (٣٧٦٥). وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند الإمام أحمد ١/ ٢٣٠ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الإمام أحمد ١/ ٩٨ والحاكم ٣/ ١٢٠ وصحح إسناده ووافقه الذهبي.

ومعنى قوله: فحجل، قال أبو عبيد: الحجل: أن يرفع رجلًا ويقفز على الأخرى من الفرح وقد يكون بالرجلين معًا إلا أنه قفز وليس بمشي. غريب الحديث ٣/ ١٨٢ وانظر: المشارق ١/ ١٨٢ وغريب ابن الجوزي ١/ ١٩٣. وزاد المعاد ٣/ ٣٣٣.

(٣) وهذا ما أخرجه مسلم ٢/ ٦٠٩ عن عائشة، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١١٦ وعن أنس رضي الله عنه ٣/ ١٥٢ وابن حبان ١٣/ ١٧٩ والنسائي في السنن الكبرى ٢/ ٤٧٩.

وقولها: جاء حبش يَزْفِنون. ومعناه: يرقصون. وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص؛ لأن معظم الروايات إنما فيها لعبهم بحرابهم فيتأول هذه اللفظة على موافقة سائر الروايات. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ١٨٦.

والجواب: أما الحجلُ، فهو نَوعٌ من المشْي يُفْعَلُ عند الفرح، فأينَ هو والرَّقص؟! وكذلك زَفْنُ الحبشةِ نوعٌ من المَشي بتثبتٍ[١]، يُفْعَلُ عند اللِّقاءِ لِلْحَرْبِ.

• واحتجَّ لهم أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ على جَواز الرَّقص بما أخبرنا به أبو نَصْرٍ أحمد[٢] بن منصورٍ الهَمَذاني، قال: أخبرنا إسماعيل بنُ أحْمد بن عبد الملك المؤذِّن[٣]، قال: أخبرنا أبُو صالِحٍ أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ، وأبو سعيدٍ محمدُ بن عبد العزيز، وأبو محمَّدٍ عبد الحميدِ بن عبد الرحمن، قالوا: أخبَرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمِي، ثنا أبو العبَّاس أحمَد بن سعيد المَعْداني، قال: نا محمد بن سعيد المَرْوَزِي، قال: نا عبَّاس التَّرْقُفي، قال: نا عبد اللهِ بنُ عمر الورَّاق، قال: حدثنا الحسنُ بن عليٍّ بن مَنْصُورٍ، قال: نا أبو عَتَّابٍ البَصْري، عن إبراهيم بن محمد الشَّافِعِي، أنَّ سعيدَ بن المسيِّبِ مرَّ في بعضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ، فَسمِعَ الأَخْضَرَ الحدي[٤] يتَغَنَّى في دارِ العاصِ بنِ وائلٍ بهذا:

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمانَ أنْ مَشَت ** بـهِ زينـبٌ في نِسْـوَةٍ عَـطِراتِ
فـلمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَـيرِ أعْرضَـت ** وهُـنَّ مـنْ أنْ يَلْقَيْنَـهُ حـذِراتِ

قال: فضربَ بِرِجْلِهِ الأرضَ زمانًا، وقال: هذا مِمَّا يلِذُّ سماعُهُ. وكانوا يرْوُونَ الشِّعْر لسعِيدِ بن المسيِّب[٥].

وقال الحافظ في الفتح ٦/ ٥٥٣ في معرض رده على من استدل بلعب الحبشة على جواز الرقص وسماع آلات الملاهي: وطعن فيه الجمهور باختلاف المقصدين فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به للرقص في اللهو والله أعلم.

(١) في المغربية بتوثيب. وهو أقرب. ومعنى مشي التثبت وهو ما في النسخ: هو المشي هونًا. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٥٠٥.

(٢) في (أ): حمد.

(٣) في (أ): المؤدب.

(٤) هكذا في التمهيد ٢٢/ ٢٠٠ أما في الاستذكار ٨/ ٢٤١و٢٤٢. فهو الجدي بالمعجمة.

(٥) أخرجه السلمي في الأربعين السلمية ص١٤٨. وقال السخاوي في تخريجه للأربعين: وعجبت للمصنف ﴿

قال المصنِّف رحمه الله: **قلت**: هذا إسنادٌ مقْطوعٌ مظلمٌ لا يصحُّ عن ابنِ المسيِّبِ، ولا هذا شِعرهُ، كان ابن المسيِّبِ أوْقرَ من هذا، وهذه الأبياتُ مشهورةٌ لِمحمدِ بن عبد الله بن نُمَيرِ النُّمَيرِي الشَّاعِر، ولَم يكن نميريًا، وإنَّما نُسِبَ إلى اسم جدِّهِ، وهو ثَقفيٌّ[(١)]، وزينبُ الَّتِي يُشَبَّبُ بِها هِي بنتُ يوسف أختُ الحجَّاج، وسألهُ عبد الملك بنُ مروانَ عن الرَّكْبِ ما كان؟ فقال: كانت أحْمِرَةً عِجَافًا حمَلت عليها قطرانًا من الطائف. فضحِكَ وأمرَ الحجَّاجَ أن لا يُؤذِيَهُ[(٢)].

ثم لو قَدَّرْنَا أن ابنَ المسيَّبِ ضرب برجْلِهِ الأرضَ؛ فليس في ذلك حجَّةٌ على جوازِ الرَّقصِ، فإنَّ الإنسانَ قد يضربُ الأرضَ بِرِجله، أو يدُقُّهَا بيَده لشيءٍ يسمعُهُ ولا يُسمَّى ذلك رقصًا.

فما أقْبحَ هذا التَّعَلُّقَ! وأين ضَرْبُ الأرضِ بالقَدَمِ مرَّةً أو مرَّتَينِ من رقْصِهِم الَّذِي يَخْرُجون بِهِ عن سَمتِ العُقَلاءِ؟!

ثم دعُونا من الاحتِجاجِ، تعالَوا نتقاضى إلى العُقولِ: أيُّ معنىً في الرَّقص إلا اللَّعبُ الَّذي يليقُ بالأطْفال؟! وما الَّذي فيه من تَحْريكِ القلوبِ إلى الآخرة؟! هذه واللهِ مُكابرةٌ باردَةٌ[(٣)].

كيف اقتصر على هذه الحكاية المنقطعة.

(١) ونسب الشعر له المبرد في الكامل ٢/ ٢٢٧ وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٥/ ١٨١-١٨٢ وابن عساكر في تاريخه ٥٤/ ٥٠ و٦٩/ ١٧٩.

(٢) انظر في تفصيل ما ذكره المؤلف من خبر الركب: الأغاني ٦/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) **قال العز بن عبد السلام**: وأما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث لايفعلها إلا أرعن أو متصنع كذاب.. ولا يصدر الرقص والتصفيق إلا من غبي جاهل ولايصدران من عاقل فاضل ويدل على جهالة فاعلهما أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ولم يفعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء وإنما يفعل ذلك الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء! قواعد الأحكام ٢/ ١٨٦.

قال المصنِّف رحمه الله: ولقد حدَّثني بعضُ المشايخ عنِ الغَزالي أنهُ قال: الرَّقصُ حماقةٌ بين الكَتِفَين، لا تزولُ إلَّا بالتَّعَب[1].

قال أبو الوفاءِ بنُ عقيلٍ[2]: قد نصَّ القرآنُ على النَّهْيِ عن الرَّقصِ، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] [لقمان: ١٨] وذمَّ المُخْتالَ والرقصُ أشدُّ المْرحِ والبطْر.

أوَلَسْنا الذين قِسْنَا النَّبيذَ على الخَمرِ لاتِّفاقِهما في الإطْرابِ والسُّكر؟! فما بَالُنَا لا نِقيسُ القضِيبَ وتَلْحينَ الشِّعر معه على الطّنبورِ والمِزمار والطَّبلِ لاجتماعهما في الإطرابِ؟! وهل شيءٌ يُزْرِي بالعقلِ والوَقَارِ وَيُخْرِجُ عن سَمْتِ الحِلْمِ والأدبِ بأقبحَ من ذي لِحْيَةٍ يرقص؟!

وكيف إذا كانت شيبةٌ ترقصُ وتُصَفِّقُ على وِقَاعِ الألحانِ والقُضبانِ، خصوصًا إذا كانت أصواتُ نِسْوانٍ ومُرْدَانٍ؟!

وهل يَحْسُنُ مَنْ بينَ يديه الموتُ والسؤالُ والحْشرُ والصراطُ، ثم هو إلى إحدى الدَّارَينِ صائرٌ أن يمشيَ بالرَّقْصِ مشيَ البَهَائِمِ[3] ويُصَفِّقُ تصفيقَ النِّسْوة؟!

والله لقد رأيتُ مشايخَ في عصري ما بانَ لَهُم سنٌّ من التَّبَسُّم فضلًا عن ضَحكٍ معَ إدْمانِ مخالطتي لهم، كالشيخ أبي القاسمِ بنِ زيدان[4]، وعبد الملك بن بِشْران،

---

(١) قد نقل هذه المقولة عن الغزالي القرطبي في كشف القناع ص١٤٣. وفيه: لا تزول إلا باللعب. بدل: التعب.

(٢) نقل القرطبي في تفسيره ١٠/ ٢٦٣ قول ابن عقيل نقلًا عن المؤلف.

(٣) في (ت) والمغربية: أن يشمس بالرقص شمس البهائم. وشمس: جمع شَمُوس وهو النَّفُورُ من الدَّوابِّ الذي لا يستَقِرّ لشَغَبه وحِدَّته. انظر: النهاية ٢/ ٥٠١ واللسان ٦/ ١١٣.

(٤) صوابه -والله أعلم- أبو القاسم بن برهان: شيخ العربية ذو الفنون أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري قال الخطيب: كان مضطلعًا بعلوم كثيرة منها: النحو والأنساب واللغة وأيام العرب وله ←

وأبي طاهرِ بن العلّاف، والجُنَيد، والدِّينَوَرِي.

فصل:

فإذا تمكّن الطَّرَبُ من الصُّوفِيَّةِ في حالِ رقصهم جَذَبَ أحدُهُم بعضَ الجُلُوسِ لِيقُومَ معه، ولا يجوز عَلى مَذْهَبِهِمْ للمجذُوبِ أن يَقْعُد، فإذا قامَ قامَ الباقون تبعًا له(١).

فإذا كشفَ أحدُهم رأسَه كشفَ الباقُونَ رؤُوسَهُم موافقةً له، ولا يَخْفى على عاقلٍ أنَّ كشْفَ الرأسِ مُستَقْبَحٌ، وفيهِ إسقاطُ مروءةٍ وتركُ أدبٍ، وإنما يَقَع في المناسكِ تعبُّدًا للهِ وذلًّا له(٢).

فصل:

فإذا اشتَدَّ طَرَبُهُمْ رمَوا ثِيَابَهُم على المغنِّي، فمنهُم مَن يرمِي بها صِحاحًا، ومنهم مَن يَخْرِقُها ثم يَرمِي بها:

- وقد احْتَجَّ لَهم بعضُ الجهَّالِ فقال: هؤلاء في غَيْبَةٍ فلا يُلامونَ؛ فإنَّ موسى عليهِ السلامُ لما غَلَبَ عليه الغمُّ بعبادةِ قومهِ العِجْلَ، رمَى الألْواحَ فكسَرها، ولم يَدْرِ ما صَنَع.

أنس شديد بعلم الحديث وذكر ابن الجوزي أنه يعد من مشائخ ابن عقيل الذين تتلمذ عليهم وأفاد منه. ت٤٥٦هـ. انظر: تاريخ بغداد ١١/ ١٧ والمنتظم ٩/ ٢١٢ والسير ١٨/ ١٢٤ ومقدمة كتاب: زهر الغصون من كتاب الفنون ص ١٠.

(١) انظر: الإحياء ٢/ ٣٠٥ وكذا في الموافقة في كشف الرأس. ولقد ساق لهم السهروردي في عوارف المعارف ص١٨٦-١٨٨ جملة من آدابهم في السماع ورمي الثياب وحكمها.

(٢) سئل شيخ الإسلام عن كشف الرأس عند القراءة والذكر والدعاء، فقال: مكروه لا سيما إذا اتخذ على أنه عبادة؛ فإنه حينئذ يكون منكرًا ولا يجوز التعبد بذلك. الفتاوى ٢٢/ ٥٢٣ والفتاوى الكبرى ١/ ٢١١.
وقال أبو بكر الطرطوشي: وأما الرّقْص والدَّق بالرِّجل وكشف الرأس وتمزيق الثياب فلا خَفاءَ على ذي لُبٍّ أنه سُخف ولعب ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الأنبياء والصالحون. تحريم الغناء والسماع ص٢٦٣.

والجواب أن نقولَ: من يُصحِّحُ عن موسى عليه السلام أنَّه رماها رمْيَ كاسِرٍ، والذي ذُكِر في القُرآن إلقاؤها فحَسْب، فمِن أيْن لنا أنَّها تَكَسَّرت؟! ثم لو قيل تكسَّرَت، فمِن أينَ لنا أنَّه قَصَد كَسْرَها؟! ثم لو صَحَّحْنا ذلك عنه قلنا: كان في غَيْبَةٍ حتَّى لو كان بينَ يديهِ حِينَئِذٍ بحرٌ من نَارٍ خَاضَهُ ومن يُصَحِّحُ لِهؤلاءِ غَيْبَتَهُم وهم يعرِفونَ المغنيَ مِن غَيرِهِ ويَحْذرون مِن بِئْرٍ لو كانت عِندهم.

ثم كيفَ يُقَاسُ أحوالُ الأنْبياءِ على أحْوالِ هؤلاءِ السُّفَهَاء؟!

وقال المصنِّف رحمه الله: ولقد رأيتُ شابًّا من الصُّوفِيَّة يمشِي في الأسواقِ ويَصِيحُ، والعوامُّ يمشون خلفَهُ وهو يُبَرْبِر[1]، ويَخرُج إلى الجُمُعةِ فيصيحُ صيحاتٍ وهو يُصلِّي الجُمعةَ، فَسُئِلْتُ عن صلاته؟ فقلتُ: إن كان وقتَ صياحِهِ غائبًا فقد بَطَلَ وُضوؤُه[2]، وإن كان حاضِرًا فهو مُتَصنِّعٌ، وكان هذا الرَّجُلُ جَلدًا لا يعملُ شيئًا، بل يُدارُ لَهُ بزَنبيلٍ في كُلِّ يومٍ فيُجمَعُ لهُ ما يأكلُ هو وأصحابُهُ، هذه حالةُ المُتأَكِّلين لا المُتوكِّلين.

ثم لو قَدَّرنا أنَّ القومَ يَصِيحُونَ عن غَيْبةٍ، فإنَّ تَعَرُّضَهُم بما يُغَطِّي على العقولِ مِن سَماعِ ما يُطرِبُ منهيٌّ عنهُ، كالتَّعرُّضِ لكلِّ ما غالبهُ الأذى.

وقد سُئِل ابن عقيلٍ عن تواجُدِهم وتَخريقِ ثيابهم، فقال: خطأٌ وحرامٌ، قد نَهى رسولُ اللهِ ﷺ عن إضاعةِ المالِ وعن شقِّ الجُيوبِ[3].

---

(١) البَرْبَرَةُ: كثرة الكلام والتخليط فيه، مع غضب ونفور. انظر: الفائق ١/ ١٠١ واللسان ٤/ ٥٦.

(٢) أجمع العلماء على أن زوال العقل بإغماء أو سكر أوجنون يعتبر ناقضًا للوضوء. انظر: الإجماع لابن المنذر ص٣ ومراتب الإجماع لابن حزم ص٢٠.

(٣) أما حديث: نهيه عن إضاعة المال فأخرجه البخاري رقم (١٤٧٧) و (٢٤٠٨) و(٥٩٧٥) و(٦٤٧٣) و(٧٢٩٢). ومسلم رقم (١٧١٥) وأحمد في المسند ٤/ ٢٤٦ وأخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه الإمام مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ والإمام أحمد ٢/ ٣٢٧ ومسلم في صحيحه رقم (١٥١٧).

فقال له قائلٌ: فإنَّهم لا يَعْقِلون ما يفعلون!

قال: إن حضرُوا هذه الأمكِنةَ مع علمِهم أنَّ الطَّربَ يغلبُ عليهم فيزيلُ عقولَهم، أثِموا بما يَدخلُ عليهم من التَّخريفِ وغيرِه ممَّا يُفسدُ، ولا يسْقُطُ عنهم خطابُ الشَّرْعِ؛ لأنَّهم مُخاطَبونَ قبلَ الحضور بِتجنُّبِ هذه المواضع التي تُفضي إلى ذلكَ، كما هم منهيُّونَ عن شُربِ المسكِر، فإذا سكِروا، وَجَرى منهم إفسادُ الأموالِ، لَم يسقُط الخطابُ لسُكْرِهم[1].

كذلكَ هذا الطَّرَب الذي يُسمِّيهِ أهلُ التَّصوُّفِ وَجْدًا، إن صدقوا فيهِ فَسُكْرُ طَبْعٍ، وإن كذبوا فَسَدوا مع الصَّحو، فلا سلامةَ فيهِ مع الحالَينِ، وتجنُّبُ مواضِعِ الرِّيبِ واجِبٌ[2].

• **واحتجَّ لَهم ابنُ طاهر في تَخريقِهم الثيابَ بحديثِ عائشةَ ﵂ قالت:** نصبتُ حَجَلَةً لِي فيها رَقمٌ فمدَّها النبيﷺ فشقَّها[3].

أما حديث: نهيه عن شق الجيوب فأخرجه البخاري رقم(١٢٩٤) ورقم(١٢٩٧) ومسلم في الإيمان رقم (١٠٣) والترمذي رقم (٩٩٩) وابن ماجه رقم (١٥١٤) والنسائي ٤/ ١٩ والإمام أحمد في مواضع من مسنده، منها: ١/ ٣٨٦ ٤٣٢ ٤٤٢.

(١) قال شيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٥٩٩: «ولو ورد على الإنسان حال يغلب فيها حتى يخرج إلى حالة خارجة عن المشروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن ونحوه سُلِّم إليه ذلك الحال فأما إذا تكلَّف من الأسباب ما لم يؤمر به مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له مثل شرب الخمر مع علمه أنها تسكره وإذا قال: ورد عليَّ الحال وأنا سكران قيل له: إذا كان السبب محظورًا لم يكن السكران معذورًا. فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقًا فهو مبتدع ضال ومن كان كاذبًا فهو منافق ضال».

(٢) وقد نقل هذا القول القرطبي في تفسيره ٧/ ٢٧٣ عن المؤلف، عن ابن عقيل.

(٣) صفوة التصوف ص٣٥٩.

والحديث المشار إليه أخرجه البخاري رقم (٥٩٥٤) و رقم (٢٤٧٩) و رقم (٦١٠٩) ومسلم رقم (٢١٠٦) والإمام أحمد ٦/ ١٧٣ ٢٤٧ والنسائي ٨/ ٢١٤ وفي الكبرى ٥/ ٥٠١ والبيهقي في السنن ٧/ ٢٦٩.

فانظُر إلى فقهِ هذا المسكين: كيفَ يقيسُ حالَ من يُمزِّقُ ثيابَهُ فيُفْسِدُها! وقد نَهى رسولُ الله ﷺ عن إضاعةِ المالِ على مدِّ سترٍ ليحطَّ فانشقَّ لا عَن قصدٍ، ثم لو قدَّرنا أنه قصدَ شقَّه جاز على وجْه العقوبةِ في المَنْهِيَّاتِ. كما أمر بكسْر الدِّنان في الخمر[١]، فإن ادَّعى مُمَزِّقُ ثيابِهِ أنهُ غائبٌ، قلنا: الشيطانُ غيَّبَكَ؛ لأنَّكَ لو كُنتَ مع الحقِّ لحفِظَكَ، فإن الحقَّ لا يَفْسُد.

وقد أخبرنا محمدُ بن أبي القاسم، قال: نا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نُعَيمٍ الحافظ، قال: نا محمد بن علي بن حُبيش، قال: نا عبد الله بن الصقر، قال: نا الصَّلْتُ بنُ مسعودٍ، قال: نا جعفرُ بن سليمانَ، قال: سمعتُ أبا عِمرانَ الجَونِيَّ يقول: وعظَ موسى ابن عمرانَ ﵇ يومًا، فشقَّ رجلٌ منهم قَميصَه، فأوحى الله ﷻ إلى موسى ﵇: **قل لصاحبِ القميصِ لا يَشُقُّ قميصَهُ لِيشْرَحَ لي عن قَلبِهِ**[٢].

فصل:

وتكلَّم مشايخُ الصُّوفيَّةِ في الخِرَق المرميَّةِ:

• فقال محمدُ بن طاهرٍ: الدليلُ على أن الخِرْقَةَ إذا طُرِحَتْ صارت ملكًا لِمن طُرِحَت بِسببِه حديثُ جريرٍ: جاءَ قومٌ مُجْتابِي النِّمارِ، فحرَّضَ رسولُ الله ﷺ على الصَّدَقةِ، فجاءَ رجُلٌ من الأنصارِ بِصُرَّةٍ، فتتابع الناسُ حتَّى رأيتُ كَومَينِ من ثيابٍ وطعامٍ[٣]. قال: والدليلُ على أنَّ الجماعةَ إذا قدموا عند تفْريقِ الخِرْقةِ أُسْهِمَ لَهُم

---

(١) الحديث أخرج الترمذي رقم (١٢٩٣) ولفظه عن أنس عن أبي طلحة أنه قال: يا نبي الله إني اشتريت خمرًا لأيتام في حجري قال: **اهرق الخمر واكسر الدِّنان**.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣١٤ و٦/ ٢٩٠ ومن قبله الإمام أحمد في الزهد ص٨٧. من طريق الصلت بن مسعود به. ونقله الطرطوشي في تحريم السماع ص٢٢٨ والمؤلف في صفة الصفوة ٣/ ٢٦٣.

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم رقم (١٠١٧)، والإمام أحمد ٤/ ٣٥٨ والنسائي ٥/ ٧٥ وفي الكبرى ٢/ ٣٩.

حديثُ أبي مُوسَى: قدِمْنَا بعدَ خَيْبَر بِثَلاثٍ فأسْهَم لنا[١].

قال المصنِّفُ ﷺ: قلت: لقد تلاعَبَ هذا الرَّجلُ بالشَّريعةِ واستَخْرَجَ بِسوءِ فهمِهِ ما يظنُّهُ يوافِقُ مذهبَ المتأخِّرين عن الصُّوفيَّة فإنَّا ما عرفنَا هذا في أوائِلِهم.

وبيانُ فسادِ استخراجِهِ: أنَّ هذا الذي خَرَقَ الثوبَ ورمى بهِ إن كان حاضرًا فما جاز لهُ تخريقهُ، وإن كان غائِبًا فليسَ لهُ تصرُّفٌ جائزٌ شرعًا، لا هِبةً ولا تملِيكًا.

وكذلك يزعُمونَ إن كان ثوبُهُ كالشيءِ الذي يقعُ من الإنسانِ ولا يدْري بهِ، فلا يجوزُ لأحدٍ أن يتَمَلَّكَهُ، وإنْ رماهُ فِي حالِ حضورِهِ لا على أحدٍ فلا وجهَ لتملُّكِهِ.

ولَو رماهُ على المغَنِّي لم يَمْلكْهُ، لأنَّ التمليكَ لا يكون إلا بعقدٍ شرعيٍّ، والرميُ ليسَ بعقدٍ، ثم نقدِّر أنه ملْكٌ للمُغَنِّي، فما وجهُ تصرُّفِ الباقين فيهِ؟!

ثم إذا تصرَّفوا فيه خَرَقوهُ خِرَقًا، وذلك لا يجُوزُ لِوَجْهَين:

أحدُهما: أنهُ تصرفٌ فيها لا يملِكونه.

والثاني: أنه إضاعةٌ للمالِ[٢].

ثم ما وجهُ إسْهامِ من لم يَحْضُر؟!

فأمَّا حديثُ أبِي مُوسى فقال العُلَماءُ منهم الخطَّابيُّ: يُحتملُ أن يكونَ رسولُ الله

---

(١) الحديث ورد مختصرًا ومطولًا من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، وهو مخرج في الصحيحين وغيرهما: فأخرجه البخاري رقم (٣١٣٦)، وأخرجه مسلم رقم (٢٥٠٢) وأبو داود رقم (٢٧٢٥) والترمذي رقم (١٥٥٩) والإمام أحمد ٤/ ٤٠٦.

(٢) قال أبو بكر الطرطوشي: وأما تمزيق الثياب، فهو يجمع إلى ما فيه من السخافة إضاعة المال. تحريم السماع ص٢٧٣.

ﷺ أعطاهم عَن رِضىً مِمَّن شهِد الوقْعَةَ أو مِن الخمُس الذي هو حقُّه[١].

وعلى مذهبِ الصوفِيَّةِ تُعطَى هذِه الخِرقُ لِمَنْ جَاءَ، وهذا مذهبٌ خارجٌ عن إجْماعِ المسلمين.

وما أشبهَ ما وضعَ هؤلاء بآرائهم الفاسدةِ إلَّا بِما وضعتِ الجَاهليَّةُ من أحكامِ البَحِيْرَةِ والسائِبَةِ والوصِيلةِ والحَام[٢]!

• قال ابن طاهر: أجمع مشايخُنا على أنَّ الخِرقةَ المُخَرَّقةَ وما انبعثَ من الخِرَقِ الصِّحاحِ الموافِقَةِ لَها، أنَّ ذلك كلَّهُ يكونُ بِحُكمِ الجمعِ، يفعلون فيهِ ما يراه المشايخ، واحتجُّوا بقولِ عُمر رضي الله عنه: الغنيمةُ لِمَن شهِد الوَقْعَةَ[٣]. وخالفَهُم شيخُنا أبو إسماعيل

(١) هذا مفاد كلام الخطابي في معالم السنن ٢/ ٢٦٥ وانظر: الأموال لأبي عبيد ص٣٨٨ والفتح ٦/ ٢٤١ وعمدة القاري ١٥/ ٦٠ وعون المعبود ٧/ ٢٨٢.

(٢) أخرج البخاري رقم(٤٣٤٧) وانظر: لبيان الأقوال في معانيها: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٧٧ والطبري ٧/ ٨٩ والفتح ٨/ ٢٨٤.

وقال الإمام الطبري بعد نقله للأقوال في معانيها ٧/ ٩٢: وهذه أمور كانت في الجاهلية فأبطلها الإسلام فلا نعرف قومًا يعملون بها اليوم فإذا كان ذلك كذلك وكان ما كانت الجاهلية تعمل به لا يوصل إلى علمه؛ إذ لم يكن له في الإسلام اليوم أثر ولا في الشرك نعرفه إلا بخبر وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذي ذكرنا فالصواب من القول في ذلك أن يقال: أما معاني هذه الأسماء فما بيّنا في ابتداء القول في تأويل هذه الآية وأمّا كيفية عمل القوم في ذلك فما لا علم لنا به وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا وغير ضائر الجهل بذلك؛ إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه موصلًا إلى حقيقته وهو أن القوم كانوا محرِّمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرِّمه الله اتباعًا منهم خطوات الشيطان فوبخهم الله تعالى بذلك وأخبرهم أن كل ذلك حلال فالحرام من كل شيء عندنا ما حرم الله تعالى ورسوله بنص أو دليل والحلال منه ما أحله الله ورسوله كذلك.

(٣) هذا لفظ أثر أخرجه عبد الرزاق ٥/ ٣٠٣ بإسناد صحيح كما قال الحافظ في الفتح ٦/ ٢٢٤ عن طارق بن شهاب أن عمر كتب إلى عمار أن الغنيمة لمن شهد الوقعة. وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٣٢١ في قصة. قال الهيثمي في المجمع ٥/ ٣٤٠: رجاله رجال الصحيح.

الأنصاريّ، فجعلَ الخِرقَةَ على ضربَينِ: ما كان مَجْروحًا قُسِّمَ على الجَمْعِ. وما كان سليمًا دُفِعَ إلى القوَّال، واحتَجَّ بحديث سلَمة: مَن قَتَلَ الرجلَ؟ قالوا: سلَمةُ بنُ الأكوعِ. قال: له سلَبُهُ أجْمَع[1]. فالقتلُ إنَّما وُجِد من جِهَةِ القوَّالِ، فالسَّلَبُ لهُ[2].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: انظروا إخْواني عصَمَنا اللهُ وإيَّاكُم من تَلْبيسِ إبْلِيسَ إلى تلاعُبِ هؤلاء الجَهَلَةِ بالشَّرِيعةِ، وإجماعِ مشَايخِهِم الذي لا يساوي بعرة، فإنَّ مشايخَ الفُقَهاءِ أجْمَعُوا على أنَّ الموهوبَ لِمَنْ وهبَ له، سواءً كان مُخَرَّقًا أو سليمًا، ولا يجوز لغيرِه التصرُّفُ فيه.

ثم إنَّ سلَبَ القتيلِ كلُّ ما عليهِ، فما بالُهُم جعلوهُ ما رمَى بهِ؟!

ثم ينبغي أن يكونَ الأمرُ على عكْسِ ما قالهُ الأنصاريُّ؛ لأنَّ المجروحَ من الثِّيابِ كان بسببِ الوَجْدِ، فينبغِي أنْ يكونَ المجروحُ للمغني دون الصحيحِ، وكلُّ أقوالِهِم في هذا هذيانٌ!

وقال المصنِّفُ رحمه الله: وقد حكى أبو عبد الله التَّكرِيتِي الصوفيُّ، عن أبي الفتوح الإسْفِراييني، وكنتُ أنا قدْ رأيتُهُ وأنا صغيرُ السِّنِّ، وقد حضرَ فِي جَمْعٍ كثيرٍ في رباطٍ، وهناكَ المخادُّ والقُضبانُ ودفٌّ بِجَلاجِلَ، فقامَ يرقصُ حتَّى وقعت عمامتُهُ فبقِي مكشوفَ الرَّأسِ.

قال لِيَ التكريتي: إنه رقصَ يومًا في خُفٍّ له، ثم إنَّ أبا الفتوح ذكرَ أنَّ الرَّقصَ في الخُفِّ خطأٌ عند القومِ، فانفردَ وخلَعَهُ ثم نزَعَ مِمْطَرًا[3] كان عليه فوضعهُ بينَ أيديهم

(١) الحديث أخرجه البخاري رقم (٣٠٥١)، ومسلم مطولًا رقم (١٧٥٤) وأخرجه أبو داود رقم (٢٦٥٤) والإمام أحمد ٤/ ٥١.

(٢) انظر: صفوة التصوف ص٣٣٨ وما بعدها وما ذكره السهروردي في عوارف المعارف ص١٨٨.

(٣) المِمْطَرُ والمِمْطَرَةُ: بكسرهما ثوب صوف يلبس في المطر يتوقَّى به. انظر: القاموس المحيط ص٦١٣ ومختار الصحاح ص٢٦١.

كفارةً لتلكَ الجنايةِ، فاقتَسموهُ خِرَقًا.

• قال ابنُ طاهر: والدليلُ على أنَّ الذي يطرَحُ الخِرقةَ لا يجوزُ أن يشتريَها من الجَمْعِ حديثُ عمر ﷺ: لا تعودنَّ في صَدَقَتِكَ[١].

قال المصنِّفُ ﷺ: **قلت**: انظروا إلى بُعْدِ هذا الرَّجلِ عن فهمِ معاني الأحاديث، فإنَّ عمر وقَّف الفَرَسَ في سبيلِ الله، فأخْرجهُ الذي يقاتلُ عليه ليَبيعَهُ فنَهَاهُ رسولُ الله ﷺ أنْ يَشْتَرِيهُ، لأنه لا يجوزُ أن يُباعَ ولا يُشْتَرَى، بخلاف الموهوبِ لشخصٍ، فإنهُ يجوزُ أن يبيعَه ويجوز شراؤهُ[٢].

فإن الخِرقَةَ المطروحةَ باقيةٌ على ملْكِ صاحِبِها، فلا يحتاجُ إلى أن يشْتَرِيها.

فصل:

فأما تقطيعهم الثيابَ المطروحة خِرقًا وتفريقُها فقد بَيَّنَّا أنه إن كان صاحبُ الثوبِ رماه إلى المُغنِّي لم يملكْهُ بِنفْسِ الرَّمْيِ حتى يُمَلِّكَهُ إيَّاه، فإذا ملَّكَهُ إيَّاه فما وجهُ تصرُّفِ الغيرِ فيهِ؟!

ولقد شهدتُ بعضَ فقهائِهم يُخَرِّقُ الثيابَ ويُقَسِّمُها ويقول: هذه الخِرَقُ يُنْتَفَعُ

---

(١) انظر صفوة التصوف ص٣٤٢. والذي استدل به جزء من حديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من حديث عمر ﷺ أخرجه البخاري رقم (١٤٩٠) ورقم (٢٦٢٣) ومسلم رقم (١٦٢٠) ومالك في الموطأ ١/ ٢٨٢ والإمام أحمد ١/ ٢٥ وابن حبان في صحيحه ١١/ ٥٢٦.
قال ابن بطال: ما كان من الحمل على الخيل تمليكًا للمحمول عليه بقوله: هو لك فهو كالصدقة، فإذا قبضها لم يجز الرجوع فيها. وما كان منه تحبيسًا في سبيل الله فهو كالوقف لا يجوز الرجوع فيه عند الجمهور. قال الحافظ: والذي يظهر أن البخاري أراد الإشارة إلى الرد على من قال بجواز الرجوع في الهبة ولو كانت للأجنبي وإلا فقد قدمنا تقرير أن الحمل المذكور في قصة عمر كان تمليكًا وأن قول من قال كان تحبيسًا احتمال بعيد والله أعلم. وسواءً كان تحبيسًا أو تمليكًا فلا يصح الرجوع فيه. انظر: شرح النووي ١١/ ٦٢ وفتح الباري ٥/ ٢٤٧.

(٢) مابين المعقوفين مثبت من (ت) فقط. وكأنها مدخلة على النص.

بِهَا، وليسَ هذا بِتَفْرِيطٍ.

قلت: وهل التفريطُ إلَّا هذا؟!

ورأيتُ شيخًا آخرَ منهم يقولُ: خرقْتُ خرْقةً في بلدِنا، فأصابَ رجلٌ منها خريقَةً فعمِلها كِنْفًا[1] فباعهُ بِخَمسةِ دنانيرٍ، **فقلت له:** إنَّ الشَّرعَ لا يجيزُ هذه الرُّعونات لمثلِ هذهِ النَّوادِرِ.

وأعْجَبُ من هذينِ الرَّجُلَينِ أبو حامدٍ الطُّوسيِّ، فإنهُ قال: يُبَاحُ لهم تَمزيقُ الثِّيابِ إذا خُرِّقَتْ قِطَعًا مربَّعةً تصلحُ لترقيعِ الثيابِ والسجَّاداتِ، فإنَّ الثوبَ يُمزَّق حتَّى يُخاطَ منهُ القميصُ، ولا يكون ذلكَ تضْيِيعًا[2].

قال المصنِّف: ولقد عجِبْتُ من هذا الرَّجلِ كيفَ اسْتَلَبَهُ حبُّ مذهبِ التَّصوُّفِ عن أصولِ الفقهِ ومذهبِ الشافعيِّ، فنظرَ إلى انتفاعٍ خاصٍّ! ثم ما معنى مربَّعة؟! فإنَّ المطاوَلَةَ يُنْتَفَعُ بها أيْضًا!

ثم لو مُزِّقَ الثوبُ قرامِلَ[3] لانْتُفِعَ بِها، ولَو كُسِرَ السَّيفُ نصفَينِ لانتُفِعَ بالنصفِ، غير أنَّ الشرعَ يتَلَمَّحُ الفوائدَ العامةَ ويسمِّي ما ينقُصُ عنها الانتفاعُ إتلافًا، ولهذا يَنْهى عنْ كسرِ الدِّرهمِ الصحيحِ؛ لأنَّه يُذهِبُ منه قيمةً بالإضافةِ إلى المكْسُورِ، فليس العجبُ من تلبيسِ إبليسَ على الجهَلَةِ منهم، بل على الفقهاءِ الذين اختاروا بِدَع المتصوِّفة على حكم أبي حنيفةَ والشافعيِّ ﷺ!

فصل:

---

(١) الكِنْف: الوعاء الذي يكْنُف ما جُعل فيه أي يحفظه. انظر: العين ٥/ ٣٨١ واللسان ٩/ ٣١٠.

(٢) الإحياء ٢/ ٣٠٤

(٣) القَرامِيل: ما وصلت به الشعر من صوف أو شعر. انظر: الصحاح ٥/ ١٨٠١ واللسان ١١/ ٥٥٦.

ولقد غرَّبوا فِيها ابْتَدَعوا، وأقامَ لهم الأعذارَ مَن مالَ إلى هواهُم:

ولقد ذكر محمدُ بن طاهرٍ في كتابِهِ، فقال: بابُ السُّنَّةِ في أخذِ شيءٍ من المستغفر، واحتجَّ بحديثِ كعبِ بن مالكٍ في توبتِهِ: يُجْزِئُكَ الثلثُ[1].

ثم قال: باب الدّليل على أنَّ مَن وجبت عليهِ غرامةٌ فلم يؤدِّها ألزمُوهُ أكثرَ منها واستدلَّ بحديثِ معاويةَ بن حيدة عن النبي ﷺ أنه قال في الزكاةِ: مَن مَنَعَها فإنَّا آخِذُوها وشَطْرَ مالِهِ[2].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: فانظر إلى تلاعُبِ هؤلاءِ، وجهلِ هذا المحتجِّ لهُم، وتسميةِ ما يلزمونهُ بعضَهُم بها لا يلزَمُهُ غرامةً، وتسمية ذلكَ واجبًا، وليسَ لنا غرامةٌ ولا وجوب إلَّا بالشَّرعِ.

---

(١) انظر: صفوة التصوف ص٣٨٤.

والحديث أخرج أبو داود رقم (٣٣١٩) و (٣٣٢١) وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٤٨١ والإمام أحمد ٣/ ٤٥٢. وحديث كعب بن مالك أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها: رقم (٢٦٠٢) ومسلم رقم (٢٧٦٩).

(٢) انظر: صفوة التصوف ص٣٨٥.

ومعاوية بن حيدة بن معاوية بن كعب القشيري صحابي نزل البصرة ومات بخراسان وهو جد بهز بن حكيم. انظر: التقريب ص٥٣٧. وجاء في المطبوع محرفًا إلى معاوية بن جعدة ولذلك قال صاحب النفيس في تخريج أحاديث إبليس ص١٩٢: لم أجده عن معاوية بن جعدة كما أشار المصنف رحمه الله.

والحديث أخرجه أبو داود رقم (١٥٧٥) وأخرجه النسائي ٥/ ١٦ والإمام أحمد ٥/ ٢ وابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٣٥٩ وقال: عن حزام بن حكيم، عن أبيه، عن جده ولعله خطأ من النساخ، فلا يعرف لحكيم ولد اسمه حزام. وأخرجه الحاكم ١/ ٣٩٨ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وذكره الألباني في الإرواء رقم (٧٩١) وقال: هو حسن للخلاف المعروف في بهز بن حكيم. ولمعرفة أقوال المحدثين في «بهز» انظر: تهذيب الكمال ٤/ ٢٥٩ والميزان ١/ ٣٥٣.

ومتى اعتقدَ الإنسانُ ما ليسَ بواجبٍ واجبًا كفرَ[١].

ومِن مذْهَبِهِم كشْفُ الرَّأسِ عندَ الاستغْفارِ، وهذه بِدْعةٌ تُسْقِطُ المروءَةَ وتُنافِي الوقارَ، ولولا وُرودَ الشَّرْعِ بِكَشْفِهِ في الإحرامِ ما كان له وجهٌ[٢].

وأما حديثُ كعبِ بن مالكٍ فإنَّهُ قال: إنَّ مِن توبَتِي أنْ أنْخَلِع مِن مالي، فقال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: يُجْزِئُكَ الثُّلُثُ، لا على سبيلِ الإلْزامِ له، وإنما تبرَّع بذلكَ فأَخذَ مِنهُ. وأين إلِزام الشَّرعِ تاركَ الزَّكاةِ ما يزيدُ عَلَيها عقوبةً مِن إلزامِهِم المُريدَ غرامةً لا تَجِبُ عليهِ، فإذا امْتَنعَ ضاعَفُوها، وليسَ إليهم الإلزامُ! إنَّمايتَفرَّدُ بالإلزامِ الشرعُ وحْدهُ، وهذا كلُّهُ جهلٌ وتلاعبٌ بالشريعةِ، فهؤلاء الخوارجُ علَيها حقًّا!

---

(١) قال شيخ الإسلام: فمن فعل ما ليس بواجب ولا مستحب على أنه من جنس الواجب أو المستحب فهو ضال مبتدع وفعله على هذا الوجه حرام بلا ريب لا سيما كثير من هؤلاء الذين يتخذون هذا السماع المحدث طريقًا يقدمونه على سماع القرآن وجدًا وذوقًا. الفتاوى ١١/ ٦٣٤.

وقال فيمن يجعل السماع من النساء والصبيان من جملة القربات والطاعات: فهذا من أعظم تبديل الدين فإن الرجل لو جعل النظر إلى امرأته في الصلاة أو الصيام أو الاعتكاف من جملة العبادة كان مبتدعًا بل كان هذا كفرًا فكيف إذا جعل النظر إلى المرأة الأجنبية أو الأمرد في الصلاة من جملة العبادات، كما يفعله بعضهم! انظر: الاستقامة ١/ ٣١٦.

(٢) انظر: كلام شيخ الإسلام حول كشف الرأس. الفتاوى ٢٢/ ٥٢٣. وقد تقدم طرف منه ص٦٠٣.

ذكر تلبيس إبليس على كثيرٍ من الصوفية في صحبة الأحداث

قال المصنِّفُ رحمه الله:اعلمْ أن أكثرَ المُتَصَوِّفةِ قدْ سدُّوا علَى أنفُسهم بابَ النَّظَرِ إلى النِّساءِ الأجانب، لِبُعْدهم عنْ مصاحبتِهِنَّ وامتناعِهم عن مُخالطتِهنَّ، واشتغلوا بالتعبُّدِ عن النِّكاحِ، واتَّفقتْ صُحْبَةُ الأحْداثِ لهم على وجْهِ الإرادَةِ[١] وقصدِ الزَّهادَةِ، فَأَمَالَهُم إبليسُ إليهم.

واعْلم أنَّ المُتَصوِّفةَ في صُحْبَةِ الأحْداثِ علَى **سبْعَةِ أقسامٍ**:

القسمُ الأول: أخبثُ الناسِ، وهم ناسٌ يتَشَبَّهُونَ بالصُّوفِيَّةِ ويقولون بالحلولِ[٢]:

• أخبرنا محمدُ بن عبدُ الباقي بن أحمد بن سلمان، قال: أنبأنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمَّد بن الفضْلِ الكَرْمانِيّ، قال: أخبرنا سهلُ بن عليٍّ الخشاب، قال: نا أبو نَصْرٍ

---

(١) **الإرادة**: ترك ما جرت عليه العادة وتحقيقها نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وترك ماسواه فإذا ترك العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا والأخرى فتجرّد حينئذٍ إرادته، فالإرادة مقدّمة على كل أمر ثم يعقبها القصد ثم الفعل فهي بدء طريق السالكين وهي اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئًا لم يفعله.. وعلى هذا يتضح أن جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف: **فالأول** باعث ومستحث: إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار **والثاني**: هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل المقاصد **والثالث**: هو العلم بها المدرك لها. والإرادة لها تسعة مظاهر في المخلوقات: **أولها**: الميل **وآخرها**: العشق وباقيها فيما بينهما. انظر: الرسالة القشيرية ص٢٠١ والإحياء ٣/ ٦ الغنية لطالبي الحق ٢/ ١٣٧ واصطلاح الصوفية لابن عربي ص٥٢٩ وموسوعة مصطلحات التصوف ص٤٣-٤٧.

(٢) **عقيدة الحلول** لا ترتبط بفرقة أو طائفة معينة، بل هو معتقد دخل على طوائف عدة، منهم: الرافضة والجهمية اشتهر على غلاة الصوفية وهو أن الله اصطفى أجسامًا حلّ فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية. والحلول نوعان: قوم يقولون: بالحلول المقيد في بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية الذين يقولون إن ذات الله في كل مكان وقد يقع لبعض المصطلمين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه. انظر: التحفة العراقية ١/ ٦٤ والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ص٢٥٢ والمعجم الصوفي ص٨١ ومعجم ألفاظ العقيدة ص١٥٠.

عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ السَّرَّاج، قال: بلَغَني أنَّ **جماعةً من الحلوليَّة** زعموا أنَّ الحقَّ تعالى اصْطَفى أجْسامًا حلَّ فيها بِمعاني الربوبيَّةِ، ومنهم من قال: هو حالٌّ فِي المُسْتَحْسَناتِ(١).

• وذكرَ أبو عبدِ الله بن حامدٍ مِن أصْحابنا أنَّ **طائِفَةً من الصُّوفِيَّةِ** قالوا: إنَّهم يرونَ اللهَ ﷻ في الدُّنيا، وأجازوا أنْ يكونَ فِي صِفَةِ الآدميِّ، ولم يأبَوا كونَهُ حالًا في الصُّوَرِ الحسنةِ، حتى رُبَّما استَشْهَدُوا فِي رُؤيَتِهم الغلامَ الأمردَ(٢).

القسمُ الثاني: قومٌ يتشبَّهونَ بالصُّوفيَّةِ في مَلبَسهم، ويقصِدونَ الفِسْقَ.

القسمُ الثَّالثِ: قومٌ يُبيحونَ النَّظرَ إلى المُستحسَنِ.

• وقد صنَّفَ **أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِيُّ** كتابًا سمَّاهُ سننَ الصُّوفِيَّةِ(٣)، فقال في آخِرِ

(١) ذكره أبو نصر السراج في اللمع ص٥٤١.

(٢) انظر: في قول من يزعم رؤية الله في الدنيا. منهاج السنة ٢/ ٦٢٤ والفتاوى ١/ ١٧١ وبغية المرتاد ١/ ٥٢٩.
ولقد أطال شيخ الإسلام القول فيمن زعم أن الله تبارك وتعالى حالٌّ في شيء من مخلوقاته سيما الصور المستحسنة وكان من جملة قوله ﷺ: وأما من نظر إلى المردان ظانًّا أنه ينظر إلى مظاهر الجمال الإلهى وجعل هذا طريقًا له إلى الله كما يفعله طوائف من المدعين للمعرفة فقولهم هذا أعظم كفرًا من قول عباد الأصنام ومن كفر قوم لوط فهؤلاء من شر الزنادقة المرتدين الذين يجب قتلهم بإجماع كل أمة فإن عباد الأصنام قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وهؤلاء يجعلون الله سبحانه موجودًا فى نفس الأصنام وحالًّا فيها فإنهم لا يريدون بظهوره وتجليه فى المخلوقات أنها أدلة عليه وآيات له بل يريدون أنه سبحانه ظهر فيها وتجلى فيها، ثم يجعلون المردان مظاهر الجمال فيقرون هذا الشرك الأعظم طريقًا إلى استحلال الفواحش بل إلى استحلال كل محرم، ومن هؤلاء الحلولية والاتحادية: من يخص الحلول ببعض الصور كصور المردان ويقول أحدهم: إنما أنظر إلى صفات خالقى وأشهدها فى هذه الصورة والكفر فى هذا القول أبين من أن يخفى على من يؤمن بالله ورسوله ولو قال مثل هذا الكلام فى نبي كريم لكان كافرًا فكيف إذا قاله فى صبى أمرد؟! فقبح الله طائفة يكون معبودها من جنس موطوئها! انظر: الفتاوى ١٥/ ٤٢٣-٤٢٤.

(٣) الكتاب في عداد المفقود فيما أعلم، ذكره ابن القيسراني في صفوة التصوف ص ٥٠٥ والسيوطي في الجامع الصغير ١/ ٣٥ والمناوي في فيض القدير ٢/ ٢٠١ والسمعاني في التحبير في المعجم الكبير ٢/ ١٠٣ وحاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٠٠٦.

الكتابِ: بابٌ في جَوامِعِ رُخَصِهم، فذكرَ فيهِ الرقصَ والغناءَ والنظرَ إلى الوجْهِ الحَسَنِ، وذكرَ فيه ما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**اطلُبُوا الخَيرَ عند حِسَانِ الوجوه**». وأَنَّهُ قال: «**ثلاثةٌ تَجْلو البصَر: النظرُ إلى الخُضْرةِ، والنظرُ إلى الماءِ، والنظرُ إلى الوجهِ الحسنِ**».

وهذان الحديثانِ لا أصلَ لهُما عنْ رسولِ اللهِ ﷺ:

أمَّا الحديثُ الأوَّلِ فأخبرنا به عبدُ الأوَّلِ بن عيسى، قال: أخبرَنا عبدُ الرحمن بن محمَّد بنِ المُظَفَّرِ، قال: نا عبدُ الله بنُ أحمد بن حمويه، قال: نا إبراهيمُ بنُ خُزَيمٍ، قال: نا عبدُ بن حُمَيدٍ، قال: نا يزيدُ بن هارونَ، قال: نا محمَّدُ بن عبدُ الرحمن بنِ المجبر، عن نافعٍ، عن ابن عمرَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اطلُبُوا الخيرَ عندَ حِسَانِ الوُجُوه**»[(١)].

قال يحيي بنُ مَعين: محمدُ بنُ عبد الرَّحمن ليس بِشَيءٍ[(٢)].

قال المصنِّف: **قلت**: وقد رُوِيَ هذا الحديثُ مِن طُرُقٍ، قالَ العُقَيْلِيُّ: لا يَثْبُتُ عنْ رَسُولِ الله ﷺ في هذا شيءٌ[(٣)].

وأمَّا الحديثُ الآخر: فأنبأنا أَبُو مَنصور بن خَيرُونَ، قال: أنبأنا أحْمَدُ بنُ عِلِيٍّ بن ثابتٍ، قال: أخبَرَني محمدُ بن أحمد بن يعقوبَ، قال: أخبرَنا محمدُ بنُ نعيم الضبِّيُّ، قال: أخبرنا أَبُو بَكْرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بن هارون، قال: نا أحمدُ بن عمرَ بنِ عُبَيد

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ ١/ ٥١، ١٥٧ والتاريخ الصغير٢/ ١٧٦ وابن حبان في المجروحين ١/ ٢٤٨ والحديث أخرجه المصنف في كتابه الموضوعات٢/ ١٦٠-١٦٣ من عدة طرق وحكم بوضعه والحديث علق عليه العراقي في ذيل الإحياء ٤/ ١٠٥ بقوله: له طرق كلها ضعيفه. وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٩٠٣) وقال عنه: موضوع. وقال ابن القيم في المنار المنيف ١/ ٦٣: وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم أو الأمر بالنظر إليهم أو التماس الحوائج منهم أو أن النار لا تمسهم فكذب مختلق وإفك مفترى.

(٢) انظر: تاريخ ابن معين رواية الدوري ٣/ ١٦٠ و٢١٨.

(٣) انظر: الضعفاء للعقيلي ٢/ ١٣٨.

الرَّيحاني، قال: سمعتُ أبا البختري وهبَ بنَ وهبٍ يقول: كنتُ أدخلُ على الرَّشيدِ وابنُهُ القاسِمُ بينَ يديهِ، فكنتُ أُدْمِنُ النظرَ إليهِ، فقال: أراكَ تُدمِنُ النظرَ إلى القاسِمِ تريدُ أنْ تَجعل انقطاعَهُ إليكَ، قلتُ: أعيذكَ باللهِ يا أميرَ المؤمنينَ أن ترمِيَني بما ليس فيَّ، فأمَّا إدمانُ النظرِ إليهِ فإنَّ جعْفرًا الصادقَ حدثنا عن أبيهِ، عن جدِّهِ عليِّ بنِ الحُسينِ، عن أبيه، عن جدِّهِ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ثلاثٌ يزِدْنَ في قوَّةِ النظَرِ: النظرُ إلى الخُضْرَةِ وإلى الماءِ الجارِي وإلى الوجهِ الحَسنِ**»[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: هذا حديثٌ موضوعٌ، ولا يَختَلِفُ العلماءُ في أَبِي البَخْتَرِيّ أنهُ كذَّابٌ وضَّاعٌ، وأحمدُ بنُ عمر بن عُبَيدٍ أحدُ المجهولِين.

ثم قدْ كان يَنبغِي لأبِي عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي إذا ذكرَ النظرَ إلى المُستَحسَنِ أن يُقَيِّدَه بالنظرِ إلى وجهِ الزَّوجَةِ أو المَمْلوكةِ، فأمَّا إطْلاقُهُ ففيهِ سوءٌ.

• وقال شيخُنا محمدُ بن ناصر الحافظ: كان **محمدُ بن طاهرٍ المقدسي** قد صنَّفَ كتابًا في جوازِ النَّظرِ إلى المُرد[2].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: والفُقَهاء يقولونَ: من ثَارَتْ شهوتُهُ عندَ النظرِ إلى الأمردِ حَرُمَ عليهِ أن ينظرَ إليهِ[3]، ومتَى ادَّعى الإنسانُ أنهُ لاتثورُ شهوتُهُ عندَ النَّظرِ

---

(١) قال المصنف رحمه الله: هذا الحديث موضوع وقال في الموضوعات١/ ١٣٦: هذا حديث باطل وتعقبه السيوطي في اللآلئ ١/ ١١٥-١١٧ بأن له طرقًا أخرى يرقى الحديث بها عن درجة الوضع، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٢٥٦٨) ورمز له بالضعف وفي السلسلة الضعيفة رقم (١٣٤) وقال: موضوع. قلت - أي: الألباني-: وكل من هذه الطرق فيها ضعيف أو مجهول أو متهم، وبيان ذلك مما يطول به الكلام جدًّا فاكتفيت بالإشارة، والحكم على هذا الحديث وما في معناه بالوضع من قبل معناه أقوى من الحكم عليه به من جهة الإسناد.

(٢) أشار إلى هذا الكتاب الذهبي في السير ١٩/ ٣٦٤ وابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ١٧٧.

(٣) أجمع العلماء رحمهم الله: على تحريم النظر إلى الغلام الأمرد إذا اقترن بهذا النظر شهوة. انظر لمزيد بيان في هذه المسألة: نهاية المحتاج ٦/ ١٨٨ وكشاف القناع ٥/ ١٥ والزرقاني ١/ ١٦٧ والمغني ٧/ ٨٠ وحجاب المرأة ولباسها في الصلاة ص٢٦ والفتاوى ١٥/ ٤١٣-٤٢٤ وأحكام العورة والنظر ص٤٠٩.

إلى الأمردِ المُسْتَحسنِ فهو كاذِبٌ، وإنَّما أُبيحَ على الإطلاقِ؛ لئلَّا يقعَ الحرَجُ في كَثْرَةِ المُخَالطةِ بالمَنعِ، فإذا وقع الإلحاحُ في النَّظرِ دلَّ على العملِ بمقتضَى ثورانِ الهوى[(١)].

قال سعيدُ بنُ المسيِّبْ: إذا رأيتُم الرَّجلَ يلِحُّ النَّظَرَ إلى غُلامٍ أمردَ فاتَّهموه[(٢)].

القسمُ الرابع: قومٌ يقولونَ: نحنُ لا ننْظرُ نظرَ شهوةٍ، وإنَّما نظرَ اعتِبارٍ، فلا يَضُرُّنا النظرَ.

وهذا مُحالٌ منهم! فإن الطِّباعَ تَتَساوَى، فمنِ ادَّعى تمييزَهُ عن أبناءِ جِنسهِ في الطَّبعِ ادَّعى المُحَال، وقد كشَفنا هذا في أوَّلِ كلامنا في السَّماع[(٣)].

● أخبرتنا شَهْدةُ بنتُ أحمد الإبري، قالت: أخبرنا جعفرُ بن أحمد السَّرّاج، قال: نا أبو إسحَاق إبراهيم بنُ سعيدٍ بمصر، قال: أخبرنا أبو صالِح السَّمرقَنْدِيُّ، قال: نا الحُسينُ بن القاسمِ بن اليسع، قال: نا أحمدُ بن محمدَ بن عمرو الدينَوري، قال: حدثنا أبو محمدٍ جعفرُ بن عبدِ الله الصُّوفي، قال: قال أبو حمزةَ الصُّوفي: حدَّثني عبدُ الله بن الزُّبَير الحنفي، قال: كنتُ جالِسًا مع **النَّضْر الغنَوي**[(٤)] وكان مِن المبرزينَ العَابِدين، فَنَظَرَ إلى غُلامٍ جميلٍ، فلم تَزلْ عيناهُ واقِعَتَينِ عليهِ حتَّى دنا منهُ، فقال له: سألتُكَ باللهِ السَّميعِ وعزِّهِ الرَّفيعِ وسلطانِهِ المنيعِ إلَّا وقفْتَ عليَّ أروَى من النظَرِ إليك. فوقفَ قليلًا ثم ذهبَ ليمضِي، فقال لهُ: سألتُكَ بالحكيمِ المجيدِ الكريمِ المُبدي المعيدِ إلَّا

(١) في (ت): الشهوة.

(٢) ذكر هذا الأثر المؤلف في كتاب ذم الهوى ص١٢٨ ونقله شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٦ وابن القيم في روضة المحبين ص١٠٥.

(٣) انظر ما قدمه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ص٥٣٦.

(٤) في (أ) و(ت): مع أبي النضر الغنوي والمثبت من (م). ولعله: النضر بن منصور الباهلي ويقال العنزي ويقال الغنوي ويقال الفزاري أبو عبد الرحمن الكوفي روى عنه العراقيون قال أبو حاتم: شيخ مجهول يروي أحاديث منكرة وقال البخاري: منكر الحديث. انظر: المجروحين ٣/ ٥٠ وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٠٥.

وقفتَ. فوقفَ ساعةً فأقْبَلَ يُصَعِّدُ النظرَ فيهِ ويُصَوِّبُهُ، ثم ذهبَ ليمضِي، فقال: سألتُكَ بالواحدِ الأحدِ الجبارِ الصَّمدِ الذي لم يلِدْ ولم يولدْ إلَّا وقفْتَ. فوقفَ ساعةً فنظرَ إليهِ طويلًا، ثم ذهبَ ليمضِي، فقال: سألتُكَ باللطيفِ الخبيرِ السميعِ البصيرِ ومن ليس لهُ نظير إلَّا وقفتَ، فوقفَ. فأقْبلَ ينظُرُ إليهِ، ثم أطْرَقَ إلى الأرضِ، ومضى الغلامُ، فرفعَ رأسَه بعدَ طويلٍ وهو يبكِي، فقال: لقد ذكَّرنِي هذا بنَظَرِي إليهِ وجهًا جلَّ عن التَّشبيهِ، وتقدَّسَ عن التَّمثيلِ، وتعاظمَ عنِ التَّحديدِ! واللهِ لأجهدنَّ نفسي في بلوغِ رضاهُ بِمُجاهدتي جميعَ أعدائِه ومُوالاتِي لأوليائهِ حتَّى أصِير إلى ما أَرَدْتُهَ من نَظَرِي إلى وجهِهِ الكريمِ وبَهائِهِ العظيمِ، ولَودِدْتُ أنه قد أَرَانِي وجهَهُ وحَبَسَنِي في النَّار ما دامتِ السماواتُ والأرضُ. ثم غشي عليهِ[١].

● أخبرنا المحمدان: ابنُ ناصِر وابنُ عبد الباقي، قالا: أخبرنا حَمَد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نُعَيم الحافظ، قال: نا أبو الحسنِ محمدُ بنُ محمد بنِ عبيدِ الله، قال: سَمِعتُ أَخي أبا عبدِ الله مُحمدَ بن محمدٍ يقول: سمعتُ محمد بن عبدِ الله الرازي، قال: سمعتُ خَيرًا النَّسَّاج يقول: كنتُ مع مُحارِب بنِ حسَّان الصُّوفي في مَسْجدِ الخيف ونحنُ مُحرمانِ، فجلسَ إلينا غُلامٌ جميلٌ مِن أهلِ المغربِ، فرأيتُ مُحارقًا ينظرُ إليهِ نظرًا أنكرتهُ، فقلتُ لهُ بعدَ أن قامَ: إنَّكَ حرامٌ في شَهرٍ حرام في بلدٍ حرامٍ في مَشْعرٍ حرامٍ، وقد رأيتُكَ تنظُر إلى هذا الغلامِ نظرًا لا ينظرُهُ إلَّا المُفْتِنون. فقال لي: تقولُ هذا يا شَهْوانِيَّ القلبِ والطَّرْفِ، ألم تعلم أنهُ قد منَعَني مِن الوقوعِ في شركِ إبلِيسَ ثلاثٌ؟! فقلت: وما هي؟ قال: سرُّ الإيمانِ وعِفَّةُ الإسلام وأعظَمُهَا عندي الحياءُ من اللهِ تَعالى أنْ يَطَّلِع عليَّ وأنا جاثِمٌ على مُنكرٍ نهاني عنهُ. ثم صُعِقَ حتى اجتمعَ الناسُ علينا[٢].

---

(١) أخرجه أبو محمد جعفر بن أحمد السرَّاج في مصارع العشاق ٢/ ٢٠.

(٢)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء١٠/ ١٥٥.

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** انظروا إلى جَهلِ الأحْمقِ الأوَّلِ، ورمزُه بالتَّشبيهِ وإنْ تلَفَّظَ بالتَّنْزيهِ، وإلى حماقةِ هذا الثَّاني الذي ظنَّ أنَّ المعصِيةَ هي الفاحِشةُ فقط، وما عَلِم أنَّ نَفْس النَّظَرِ بشَهْوةٍ مُحرَّمٌ، ومَحا عن نفسهِ أثرَ الطَّبع بِدعواهُ الَّتي تُكذِّبُها شهوةُ النظرِ.

● وقد حكي عن بعضِ العُلماءِ أنَّ صَبِيًا أمْردَ حكى لهُ، قال: قال لي **فلانٌ الصُّوفيُّ** وهو يُحِبُّني: يا بُني، لله إليك إقبالٌ والتفات، حيثُ جعلَ حاجَتي إليكَ.

● وحكى لي أنَّ جماعةً منَ الصُّوفيَّةِ دخلوا على **أحْمَد الغزالي** وعنده أمردٌ، وهو خالٍ بهِ، وبَيْنَهُما وِرْدٌ، وهو ينظُرُ إلى الوِردِ تارةً، وإلى الأمردِ تارةً، فلمَّا جلسُوا قالَ بعضهُم: لعلَّنا كَدَّرْنَا، فقال: إي والله. فَتَصايحَ الجماعةُ على سبيلِ التَّواجُد!

وحكى لي عنهُ أبو الحُسينِ بن يوسفَ أنَّه كتب إليهِ في رُقعةٍ: إنَّكَ تحب غلامَكَ التُّركِي. فقرأ الرُّقعةَ ثم استَدعى الغُلامَ، فصعد المنبر إليهِ فقبَّل عينَيهِ وقال: هذا جوابُ الرُّقعةِ[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** إني لا أعْجَبُ مِن فِعلِ هذا الرَّجلِ وإلقائِهِ جِلبابَ الحياءِ عن وجهِه، وإنما أَعْجبُ مِن البهائمِ الحَاضِرينَ، كيفَ سكتُوا عن الإنكارِ عليهِ؟! ولكنَّ الشريعةَ بَردتْ في قُلوبِ كثيرٍ من الناسِ!

● وأخبرنا أبو القاسمِ الحريريُّ، قال: أنبأنا أبو الطَّيِّبِ الطَّبري، قال: بَلَغَني عن **هذِهِ الطائفةِ** التي تسمَعُ السَّماعَ أنَّها تُضيفُ إليهِ النظرَ إلى وَجهِ الأمردِ، ورُبَّما زَيَّنَتْهُ بالحُلِيِّ والمُصَبَّغَات مِن الثِّيابِ، وتزعمُ أنَّها تقصِدُ به الازدِيادَ في الإيمانِ بالنظرِ والاعتبارِ والاستدْلالِ بالصنعةِ على الصَّانعِ، وهذهِ النِّهايةُ في مُتابعةِ الهوى ومُخادعةِ العقلِ ومُخالفةِ

---

(١) ذكر هذه القصة عنه المؤلف في المنتظم ٩/ ٢٦٢.

العلمِ، قال الله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]فعدَلُوا عمَّا أمَرَهمُ اللهُ بِهِ من الاعتبارِ إلى ما نهاهُم عنه(١)!

وإنَّما تَفعلُ هذهِ الطائفةُ ما ذكرناهُ بعد تناوُل الألوانِ الطيِّبَةِ والمآكِلِ الشَّهِّية، فإذا اشتَفَت منها نفوسُهم طالَبَتْهُم بما يَتبعُها مِن السَّماعِ والرَّقصِ والاستِمتَاعِ بالنظرِ إلى وُجوهِ المردِ، ولَو تَقلَّلُوا منَ الطَّعامِ لم يَحِنُّوا إلى سَماعٍ ونظرٍ(٢).

قال أبو الطَّيِّبِ: وقد أخبرَنا بعضُهم في شِعرِه عن أحوَال المستَمِعِينَ للغِناءِ وما يَجِدونَهُ في حالِ السَّماعِ فقال:

أَتَــذْكُرُ وَقْتَنَــا وقَــد اجْتَمَعْنَــا ** عــلى طِيــبِ السَّــماعِ إلى الصَّــباحِ
ودارت بَينَنَــا كَــأسُ الأغَــانِي ** فَأَسْــكِرَت النُّفــوسُ بِغَــيرِ راحِ
فلَــمْ تَــرَ فِــيهِم إلَّا نَشَــاوَى ** سرورًا والسُّرُورُ هُناكَ(٣) صَــاحِي
إذا لَبَّــى أخــو اللَّــذَّاتِ فيــهِ ** مُنــادِي اللَّهْــوِ حَــيَّ عــلى السَّــماحِ
وَلم نَملِــكْ سِــوى الْمُهجَــاتِ شَــيئًا ** أَرَقْنَاهَــــا لأَلْحَــــاظٍ مِــــلاحِ

قال: وإذا كانَ السَّماعُ تأثيرُهُ في قُلوبهم ما ذكَرَهُ هذا القائلُ، فكيفَ يُجْدِي السَّماعُ نَفْعًا ويفيد فائدةً؟!(٤)

(١) انظر: الرد على من يحب السماع لابن طاهر الطبري ص٦٥.
(٢) انظر: الرد على من يحب السماع لابن طاهر الطبري ص٦٨.
(٣) في (أ) و(م): متاح.
(٤) انظر: السماع لأبي الطيب الطبري ص٥٠ وذكرها الطرطوشي في تحريم الغناء والسماع ص١٩٨. وقال معلقًا عليها: فتأمَّلوا يا ذوي الألباب أمرًا يُثير لهوًا وسكرًا وقتلًا كيف يجدي نفعًا ويفيد طاعة وذكرًا! ونقل هذه الأبيات ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ٢٧٩.

وقال ابنُ عقيلٍ: قولُ من قالَ لا أخافُ من رُؤيَةِ الصُّوَرِ المُسْتَحْسَنة ليسَ بِشيءٍ؛ فإنَّ الشريعةَ جاءَت عامةَ الخطابِ، لا تُميِّزُ الأشخاصَ، وآي القُرآن تُنكِر هذه الدعاوى، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ١٩].

فلم يُحِلَّ النظرَ إلَّا على صُورٍ لا ميلَ للنَّفسِ إليها، ولاحظَّ للهَوى فيها، بلْ عِبْرَةٌ لا يُمازِجُها شهوةٌ، ولا تَعتريها لذَّةٌ، وأمَّا صُورُ الشَّهواتِ فإنها تَعْثُرُ[١] عن العِبرة بالشَّهوةِ، وكلُّ صورةٍ مُعَثِّرة لا ينبغِي أن يُنظَرَ إليها؛ لأنَّها قد تكونُ سببًا لِلفِتْنة ولذلكَ ما بعثَ اللهُ تعالى امرأةً بالرِّسالةِ، ولا جَعَلها قاضيًا ولا إمامًا ولا مُؤذِّنًا؛ كلُّ ذلك لأنَّها مَحلُّ فتنةٍ وشهوةٍ، وربَّما قَطَعت عمَّا قَصدتْهُ الشريعةُ بالنظرِ.

وكل منْ قال: أنا أجِدُ مِن الصُّوَرِ المُسْتَحْسنة عِبَرًا، كذَّبناه، وكلُّ من ميز نفسَهُ بطبيعةٍ تُخرِجُهُ عن طِباعِنا بالدَّعوى كذَّبْناه، وإنَّما هذِه خدَعُ الشيطانِ للمُدَّعين[٢].

القسم الخامس: قومٌ صَحِبوا المُرْدانَ ومنعوا أنفُسَهُم من الفواحشِ، يَعْتقدون ذلكَ مُجاهدةً، وما علِموا أنَّ نَفْسَ صُحْبَتِهِم والنظرَ إليهِم بشهوةٍ معصيةٌ، وهذهِ مِن خِلالِ الصوفيَّةِ المذمُوماتِ، وقد كان قُدَماؤهُم على هذا:

• أخبرنا أبو منصورٍ القزازُ، قال: أخبرَنا أحمدُ بن عليِّ بنِ ثابتٍ، قال: أنشَدَني أحمدُ بن حُسينٍ الواعظُ، قال: انشدنا أبو الفَرَجِ الوَرْثانيُّ، قال: أنشدنا محمدُ بن عبدِ العزيز الصُّوفيّ، قال: أنشَدَني **أبو عليٍّ الرَّوذباري**:

---

(١) في (أ) و(ت): تعبر.

(٢) نقل كلام ابن عقيل القرطبي في تفسيره ٧/ ٣٣٣ نقلًا عن المؤلف.

أُنَــزِّهُ فِي رَوْضِ المَحَاسِــنِ مُقْلَتِــي ** وَأَمْنَــعُ نَفْــسِي أَنْ تَنَــالَ مُحَرَّمــا
وَأحمِـلُ مِـن ثِقْـلِ الهَـوَى مَـا لَـو أنَّـه ** عَلَى جامِدِ الصَّلْتِ الأصمِّ تَهَدَّما[(١)(٢)]

قال المصنِّفُ رحمه الله: وسيأتي حديثُ يوسف بنِ الحُصَين[(٣)]، وقوله: عاهدتُ ربِّي أن لا أصْحَبَ حدَثًا مِائَةَ مَرَّةٍ، فَفَسَخَها عليَّ قوامُ القُدودِ وغُنج العيون.

● أخبرتنا شَهْدَة بنتُ أحمد الكاتِبَةُ، قالت: أخبرنا جعفرُ بن أحمدَ، قال: أخبرنا أبُو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ، قال: أخبرنا أبو صالِحٍ السَّمَرقَنْدِي، قال: نا أبو عبدِ الله الحُسَيْنِ بن القاسم بن اليسع، قال: حدَّثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن محمدٍ أبو عمرٍو الدِّينَوَري، قال: نا أبو مُحمدٍ جعفَرُ بن عبدِ اللهِ الصُّوفي، قال: حدثنا أبو المُخْتارِ الضَّبي، قال: حدَّثني أبي، قال: قلتُ لأبي الكميتِ الأندَلُسِي -وكان جوَّالًا في أرضِ اللهِ-: حَدِّثْني بأعجَبِ ما رأيتَ مِن الصوفيَّةِ. قال: صحبتُ رجُلًا منهُم يقال له: **مهرجان**، وكان مجوسِيًّا فأسلمَ وتصوَّفَ، فرأيتُ معهُ غلامًا جميلًا لا يفارقُهُ، وكان إذا جَاءَ اللَّيلُ قامَ فصلَّى، ثم ينامُ إلى جَانِبِهِ، ثم يقومُ فزَعًا فيُصلِّي ما قُدِّرَ لهُ، ثم يعودُ فينامُ إلى جانبِهِ أيضًا، حتَّى فعلَ ذلكَ في اللَّيلةِ مِرارًا، فإذا أسْفَرَ الصُّبْحُ أو كادَ يُسفِرُ أوْتَرَ، ثم رفعَ يديهِ وقال: اللَّهُم إنَّك تعلمُ أنَّ اللَّيلَ قد مضَى عليَّ سليمًا لم أُقارِفْ فيهِ فاحِشةً، ولا كتبتِ الحَفَظَةُ عليَّ فيهِ معصيةً، وإنَّ الذي أُضمِرُهُ في قلبِي لو حمَّلتهُ الجبالَ لتصدَّعت، أو كانَ بالأرضِ لتدكْدَكَت، ثم يقولُ: يا ليل، اشْهد بما كانَ مِنِّي فيكَ، فقَد منَعَني خوفُ اللهِ عن طلبِ الحرامِ والتعرُّضِ للآثامِ، ثم يقول: سيِّدي

---

(١) في (أ): على حامل الصلب الأصم تهدما وكذا في مصارع العشاق.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه ١/ ٣٣٢ ومن طريقه أبو محمد جعفر بن أحمد السرَّاج في مصارع العشاق ٢/ ٢٢٢.

(٣) صوابه: الحسين. والتصويب من المغربية ويأتي حديثه ص٦٣٠.

أنتَ جمعتَ بَيْنَنا على تُقىً، فلا تُفرِّق بيننا يومَ تجمعُ فيهِ الأحباب. فأقمتُ معهُ مدَّةً طويلَةً، أراهُ يفعلُ ذلك في كلِ ليلةٍ، وأسمع هذا القولَ، فلمَّا همَمتُ بالانصرافِ مِن عندهِ قلت له: سمعتُك تقولُ إذا انقضَى الليلُ عنكَ كذا وكذا، فقال: أوَسَمِعْتني؟ قلت: نعم. قال: فواللهِ يا أخِي إنِّي لأداري من قلبِي ما لَو داراهُ سُلْطانٌ من رَعيَّتِهِ لكانَ من اللهِ حقِيقًا بِالمغْفِرة. فقلتُ: وما الذي يدْعوكَ إلى صُحْبَة مَن تخافُ عَلى نفسِكَ العَنَتَ مِن قِبَلِه؟!(١)

• وبالإسنادِ قال أبو محمد بن جعفر بنِ عبد الله الصُّوفي: قال أبو حَمْزَةَ الصُّوفي: رأيتُ بِبَيْتِ المقدِسِ **فتًى من الصوفيَّةِ** يصحَبُ غُلامًا مُدَّة طوِيلَة، فماتَ الفتَى، وطالَ حُزْنُ الغُلامِ عليهِ، حتَّى صارَ جِلدًا وعظْمًا من الضَّنى والكَمَد، فقلتُ لهُ يومًا: لقد طالَ حزنُكَ على صديقِكَ حتى أظُنُّ أنكَ لا تسلُو بعدَهُ أبدًا. فقال: كيف أسلُو عن رَجُلٍ أجلَّ الله تعالى أنْ يعصِيهُ مَعَي طرفةَ عينٍ، وصانَنِي عن نجاسَةِ الفسوقِ في طولِ صُحْبَتي لهُ وخَلَواتي معهُ في اللَّيلِ والنَّهارِ(٢).

قال المصنِّفُ رحمه الله: قلت: وهؤلاءِ قومٌ رآهُم إبليسُ لا ينْجَذِبونَ معَهُ إلى الفواحِشِ فحسَّنَ لهُم بداياتِها، فتَعجَّلُوا لَذَّة النظرِ والصُّحبَةِ والمُحادثةِ، وعزَمُوا على مُقَاواةِ النَّفسِ في صدِّها عنِ الفاحشةِ، فإن صدَقوا وتمَّ لهم ذلِكَ، فقدِ اشتَغَل القلبُ الذي ينبغِي أن يكونَ شغلُهُ باللهِ تعالى بغيرِه، وصرف الزمانِ الذي ينبغِي أن يخلوَ فيهِ القلبُ بما ينفعُ في الآخرةِ بمُجَاهدَةِ الطَّبعِ في كفِّهِ عن الفاحشةِ.

وهذا كلُّهُ جهلٌ وخروجٌ عن آدابِ الشريعةِ، فإنَّ اللهَ تعالى أمرَ بِغَضِّ البَصرِ؛ لأنَّهُ طريقُ القلبِ، ليَسْلَمَ القلبُ للهِ تعالى من شائِبٍ تَخَافُ منهُ، ومَا مَثَلُ هؤلاءِ إلا

---

(١) أخرجه أبو محمد جعفر السراج في كتابه مصارع العشاق ١/ ٢١٩.

(٢) أخرجه أبو محمد جعفر بن أحمد السراج - بسند الخبر السابق - في مصارع العشاق ١/ ١٢٠.

كَمَثَلِ مَنْ أقبل إلى سِباعٍ في غَيضَةٍ مُتَشاغِلَةٍ عنهُ لا تراهُ، فَأَثَارَهَا أَوْحَارَبَها وقاواها، فيا بعدَ سلامتِهِ من جِراحَةٍ إن لم يهلِكْ.

فصل:

وفي هؤلاءِ من قَوِيت مُجَاهدتُهُ مُدَّةً ثم ضعُفَت، فَدَعَتْهُ نفسُهُ إلى الفاحِشةِ، فامتنعَ حِينئذٍ مِن صُحبةِ المُردانِ:

• أخبرتنا شَهدةُ بنتُ أحمد، قالت: أخبرنا جعفرُ بن أحمدَ بن السَّراجِ، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن عليٍّ، قال: نا عليُّ بن أيوب القمِّي، قال: نا المَرْزَبانِي، قال: حدثني عُمَر بن يوسف الباقِلَّانِي، قال: قال أبو حمزَة محمدُ بن إبراهيم: قلت لمحمَّد بنِ العلاء الدِّمشقِي، وكان سيِّدَ الصُّوفيَّةِ، وقد رأيتُهُ يُماشِي غُلامًا وَضِيئًا مُدَّة ثم فَارقَهُ: لِمَ هَجَرْتَ ذلك الفتى الذي كنتُ أراهُ معكَ بعدَ أنْ كُنتَ لهُ مواصِلًا وإليهِ مائِلًا؟ قال: والله لقد فارقتُهُ عن غيرِ قِلًى ولا مَللٍ. قلت: ولم فَعلتَ ذلكَ؟ قال: رأيتُ قلبي يدعُونِي إلى أمْرٍ إذا خَلَوتُ بِهِ وقَرُبَ مِنِّي، لَو أَتَيتُهُ لسَقَطتُ من عينِ الله تعالى، فهجرتُهُ لذلكَ تنْزِيهًا للهِ تعالى ولِنَفسي من مَصَارعِ الفِتَنِ[1].

فصل:

ومنهم من تَابَ وأطالَ البُكاءَ على إطْلاقِ بَصرِهِ:

أخبرنا المحمدان: ابنُ ناصرٍ وابنُ عبدِ الباقي، قالا: أخبرنا حمد بنُ أحمدَ، قال: أخبرنا أبو نُعَيمٍ الأصبَهانِي، قال: نا أبو الحُسينِ محمدُ بن محمدِ بن عُبيدِ الله، قال:

---

(١) أخرجه أبو محمد جعفر بن أحمد السرَّاج في مصارع العشاق ٢/ ٣٥ وابن عساكر في تاريخه ٥٥/ ٥٩.
وأخرجه ابن عساكر في موضع آخر من تاريخه ٥٤/ ٤٠٢ من طريق آخر وسمى صاحب القصة: محمد بن علي أبو الصباح الصوفي.

سمِعتُ أخي أبا عَبدِ الله محمدَ بن محمدٍ يقول: سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ الله الصوفيَّ يقول: سمعتُ خيرًا النَّساج يقول: كنتُ معَ أُميَّةَ بنِ الصَّامِتِ الصوفيِّ، فنظرَ إلى غلامٍ فقرأ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]. ثم قالَ: وأينَ الفِرارُ مِنْ سِجْنِ الله وقد حصَّنَهُ بِملائِكةٍ غِلاظٍ شِدادٍ؟! تباركَ اللهُ، فما أعظمَ ما امتَحَنَني بهِ من نَظَرِي إلى هذا الغلامِ! ما شبَّهْتُ نَظَرِي إليهِ إلَّا بنارٍ وقعتْ علَى قَصَبٍ في يومِ ريحٍ فما أبْقَت ولا تَركَت. ثم قال: أستغفِرُ اللهَ مِن بلاءٍ جَنَتْهُ عينايَ على قَلْبِي، لقد خِفتُ ألَّا أنْجُو مِن مَعَرَّتِهِ ولا أتَخَلَّصَ مِنْ إثْمِهِ، وَلَو وافيتُ القيامةَ بعملِ سبعينَ صِدِّيقًا، ثم بَكَى حتَّى كادَ يَقْضِي، فسمِعتُهُ يقولُ في بُكائِهِ: يا طرفُ لأَشْغَلَنَّكَ بالبُكاءِ عن النَّظرِ إلى البَلاءِ[1].

فصل:

ومِنهُم من تلاعَبَ بِهِ المرضُ لشدَّةِ المحبَّةِ[2]:

• أخبرَتنا شهدةُ بنتُ أحمد، نا جعفرُ بن أحمد بن السَّراج، قال: أخبرَنا أبو إسْحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ، قال: نا أبُو صالِحٍ محمدُ بنُ أبي عديٍّ الصُّوفي، قال: نا الحسينُ بنُ القاسمِ بن اليسعِ، قال: نا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرو الدينَوَري، قال: حدثنا أبو محمدٍ جعفرُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ، قال: قال أبو حمزة الصوفيّ: كان **عبدُ الله بن موسى** مِن رُؤساءِ الصوفيَّةِ ووُجُوهِهِم، فنظَرَ إلى غلامٍ في بعضِ الأسواقِ، فَبُلِي بِهِ فكادَ يذهبُ عقلُهُ عليهِ صَبابةً وحُبًّا، وكانَ يقفُ في كلِّ يومٍ على طريقِهِ حتَّى يراهُ إذا أقْبَلَ وإذا انصرفَ ، فطالَ بِهِ البلاءُ وأقعَدَهُ عنِ الحرَكَةِ الضَّنى، وكان لا يَقْدِرُ أن يَمشِي خطوةً، فأتيتُهُ يومًا لأدْعُوَهُ، فقلتُ: يا أبا محمدٍ ما قصَّتُكَ؟! وما هذا الأمرُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١٥٤. ومن طريقه المؤلف هنا وفي ذم الهوى ص١٥١.
(٢) وفي (ت): المحنة.

الذي بَلَغَ بِكَ ما أرى؟! فقال: أمورٌ امتحنني اللهُ بها فلم أصبِر عَلَى البلاءِ فيها، ولم يَكُن لي بها طاقةٌ، ورُبَّ ذنبٍ استصغرهُ الإنسانُ هو عندَ اللهِ أعظمُ مِنْ ثبيرٍ(١)، وحقيقٌ وحقيقٌ بِمن تعرَّض للنظرِ الحرامِ أن تطولَ بِهِ الأَسْقامُ. ثمَّ بَكَى، قلتُ: ما يُبْكِيكَ؟! قال: أخافُ أن يطولَ في النَّارِ شَقائِي. فانصرفتُ عنهُ وأنا راحِمٌ لهُ لِما رأيتُ بِهِ من سوءِ الحالِ(٢).

• قالَ أبو حمزَةَ: ونظرَ **محمدُ بن عُبيدِ اللهِ بنِ الأشعثِ الدِّمَشقِي** -وكانَ من خِيارِ عِبادِ اللهِ- إلى غُلامٍ جميلٍ فغُشِي عليهِ، فحُمِلَ إلى مَنْزِلِهِ واعتَادهُ السقمُ حتَّى أُقْعِدَ مِن رِجلَيهِ، وكانَ لا يقومُ عليهما زمانًا طوِيلًا، فكُنَّا نأتيهِ نعودُهُ ونسألهُ عن حالِه وأمْرِهِ، وكان لا يُخبِرُنا بقِصَّتهِ ولا بسببِ مرضِهِ، وكانَ الناسُ يتحدَّثونَ حديثَ نظرِهِ، فبلغَ ذلكَ الغلامَ، فأتاهُ عائِدًا فهشَّ إليهِ وتحرَّكَ وضحِك في وجهِه واستبشر برُؤيتِهِ، فما زالَ يعودُهُ حتى قامَ على رِجلَيهِ وعادَ إلى حالَتِهِ، فسألهُ الغلامُ يومًا المصيرَ معَهُ إلى منْزلِهِ فأبى أن يفعل، وكلَّمني أن أسألَهُ أنْ يَتحوَّلَ إليهِ، فسألتهُ فأبى، فقلتُ: وما الذي تَكرهُ من ذلكَ؟ فقال: لستُ بِمعصومٍ من البلاءِ، ولا آمَنُ منَ الفِتنَةِ، وأخافُ أن يَقعَ عليَّ من الشيطانِ مِحنةٌ فَتجرِي بيني وبينهُ معصيةٌ فأكونَ من الخاسرينَ(٣).

فصل:

وفيهم مَن دعَتهُ نفسُهُ إلى الفاحشةِ فقتَل نفسَهُ:

---

(١) ثبير: من أعظم جبال مكة، بينها وبين عرفة. انظر: معجم ما استعجم ١/ ٣٣٥ ومعجم البلدان ٢/ ٧٣.

(٢) أخرجه أبو محمد السراج في مصارع العشاق ١/ ٢٤٦ والمؤلف في ذم الهوى ص١٣٧.

(٣) أخرج هذه الحكاية أبو محمد جعفر السراج في مصارع العشاق ١/ ٣٢ وعنه المؤلف في ذم الهوى ص١٣٣ وابن عساكر في تاريخه ٥٤/ ١٦٨.

• وحَكى أبو عبدِ الله الحسينُ بن محمدٍ الدامَغَاني، قال: كان بِبلادِ فارسَ صوفيٌّ كبيرٌ، فابتُلِي بِحدَثٍ، فلم يملِكْ نفسَهُ أن دعتهُ إلى الفُجورِ، فراقبَ اللهَ تعالى، ثم ندِمَ على هذهِ الهِمَّةِ، وكانَ منزلُهُ على مكانٍ عالٍ، ووراءَ منزلِهِ بحرٌ منَ الماءِ، فلمَّا أخذَتْهُ النَّدامةُ صعِدَ السطحَ ورَمَى نفسَهُ إلى الماءِ، وتلا قولَه تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]. فغرِقَ في الماءِ(١).

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: فانظروا إلى إبليسَ كيفَ درَّجَ هذا المسكينَ مِن رُؤيَةِ الأمرَدِ إلى إدْمانِ النظرِ إلى أنْ مكَّنَ المحبةَ مِن قَلبِهِ إلى أنْ حرَّضهُ على الفاحشَةِ، فلمَّا رأى استِعْصَامَهُ حسَّنَ لهُ بالجهلِ قتْلَ نفسِهِ، ولعلَّهُ همَّ بالفاحِشةِ ولم يَعزِم، والهمَّةُ معفوٌّ عنها؛ لقولِ رسولِ الله ﷺ: «**عُفِيَ لأمَّتي عمَّا حدَّثت بِهِ أنْفُسَها**»(٢).

ثم قد يُذَمُّ على هِمَّتِهِ، والندمُ توبةٌ(٣)، فأراه إبليسُ أنَّ من تمامِ النَّدَمِ قتلَ النَّفسِ، كما فعلَ بنو إسرائيل، أولئكَ أُمِروا بذلك بقولِهِ تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، ونحن نُهينا عنهُ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩]، فأتى بِكَبيرةٍ عظيمةٍ!(٤).

---

(١) ذكر هذة القصة المؤلف في ذم الهوى ص٤٩٥.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٥٢٨) و رقم (٥٢٦٩) و رقم (٦٦٦٤) ومسلم رقم (١٢٧) وأبو داود رقم(٢٢٠٩) والترمذي رقم (١١٨٣) والنسائي رقم ٦/ ١٥٦ وابن ماجه رقم(٢٠٤٠) والإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٢٥ ٤٧٤ ٤٨١ ٤٩١ وغيرهم.

(٣) وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الندم توبة**». رواه عدد من الصحابة رضي الله عنهم والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٧٦ ٤٢٢ أو ٦/ ٣٧ وحكم عليه محققه بالصحة وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٢٠ رقم (٤٢٥٢) والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٧١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه اللفظة. وصححه البُوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ٢٤٧ وحسنه الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٧١.

(٤) ولعل أرجح ما قيل في تعريف الكبيرة هو: أنها كل ذنب فيه حدٌّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة بنار أو لعن أوغضب أو نحو ذلك.

وفي الصَّحيحَين عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**من تَرَدَّى مِن جَبَلٍ فقَتَلَ نفسَهُ فهُوَ يتردَّى في نارِ جهنَّم خالِدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا**»[١].

فصل:

وفيهم مَن فرَّق بينَهُ وبينَ حبيبِهِ؛ فقَتَل حبيبَهُ:

• بلَغَني عن بعضِ الصوفيَّةِ أنَّهُ كان في رِباطٍ عِندنا ببغداد، ومعهُ صبِيٌّ في البيتِ الذِي هو فيهِ، فشنَّعُوا عليهِ وفرَّقوا بينهُما، فدخَلَ الصوفيُّ إلى الصَّبيِّ ومعهُ سكِّينٌ فذَبَحهُ، وجلسَ عندهُ يَبكِي، فجاءَ أهلُ الرِّباطِ فرأوهُ فسألوهُ عن الحالِ، فأقرَّ بقتلِ الصبيِّ، فرفعوهُ إلى صاحبِ الشرطةِ فأقرَّ، فجاءَ والدُ الصبيِّ، فجعلَ الصوفيُّ يبْكِي ويقول لهُ: باللهِ عليكَ إلَّا ما أَقَدْتَنِي بهِ[٢]، فقال: الآنَ قد عفَوتُ عنكَ. فقامَ الصوفيُّ فذهبَ إلى قبرِ الصبيِّ فجعلَ يبكِي عليهِ، ثم لم يَزَلْ يحجُّ عن الصبيِّ ويهدِي إليهِ الثوابَ.

فصل:

ومِن هؤلاءِ من قاربَ الفتنةَ فوقَعَ فيهَا، ولم تَنْفَعْهُ دعوى الصبْرِ والمُجَاهدةِ:

• أنبأنا محمدُ بن أبي طاهرٍ، قال: أنبأنا عليُّ بن المحسِنِ التنوخِي، قال: أخبرنا أبو بكرِ بن شاذان، قال: حدثنا نِفْطَوَيهِ، قال: حدثني إدريسُ بنُ إدريسَ، قال: حضرتُ بمصرَ قومًا من الصُّوفيَّةِ ولهم غلامٌ أمردُ يُغَنِّيهِم، قال: فَغَلَبَ على رَجُلٍ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٧٧٨) وأخرجه مسلم رقم (١٠٩) وأبو داود رقم (٣٨٧٢) والترمذي رقم (٢٠٤٤) والنسائي ٤/ ٦٦ وفي الكبرى ١/ ٦٣٨ وابن ماجه رقم (٣٤٦٠) والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٥٤ ٤٨٨، وغيرهم.

(٢) القَوَدُ: القِصاصُ وأَقَدْتُ القاتِلَ بالقتيل أي: قَتَلْتُه به. انظر: تحرير ألفاظ التنبيه ص٢٩٣ واللسان ٣/ ٣٧٢.

منهُم أمرُهُ فلم يَدْرِ ما يصنع، فقال: يا هَذا! قُل لا إله إلَّا اللهُ. فقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ. فقال: أُقَبِّلُ الفمَ الذي قالَ: لا إلهَ إلَّا الله[1]!

القسم السادس: قومٌ لم يقصِدُوا صُحبةَ المُردانِ، وإنما يتوبُ الصبيُّ ويتزهَّد ويصحبُهُم على طريقِ الإرادةِ، فيُلَبِّسُ عليهم إبْليسُ، ويقولُ: لا تمنعُوهُ من الخَيرِ، ثم يتكَرَّرُ نظرُهُم إليهِ لا عن قَصْدٍ، فتربَّى في القلبِ الفتنةُ وتنمى إلى أن ينالَ الشيطانُ منهُم قدرَ ما يُمْكِنُهُ، وَرُبما وَثِقوا بِدينِهم، فاستفزَّهم الشيطانُ فرماهُم إلى أقْصَى المعاصِي، كما فَعَلَ بِـ«بَرْصِيْصا»[2]، وقد ذكَرْنا قِصَّتَهُ في أوَّلِ الكتابِ. وغَلَطُهُم مِن جِهَةِ تَعَرُّضِهِم بالفتنِ في صُحْبَةِ مَن لا يُؤمنُ الفتنةُ في صُحْبَتِه.

القسم السابع: قومٌ عَلِموا أنَّ صُحبةَ المرادانِ والنظرَ إليهِم لا يجوزُ، غيرَ أنَّهُم لم يصبِرُوا عن ذلكَ:

● أخبرنا محمد بن ناصرٍ، قال: نبأنا أحمدُ بنُ علي بنِ خَلَفٍ، قال: أخبَرَنا أبو عبدِ الرحمنِ محمدُ بنُ الحسينِ السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا بكرٍ الرَّازيَّ يقول: قال **يوسفُ بنُ الحسينِ**: كلُّ ما رأيتُموني أفعَلُهُ فافعَلُوهُ، إلَّا صُحبَةَ الأحداثِ، فإنها أفْتَنُ الفتنِ[3]! ولقد عاهدتُ ربِّي أكثرَ مِن مائةِ مرَّةٍ أن لا أصْحبَ حَدَثًا ، فَفَسخَها عليَّ

---

(١) أخرجه أبو محمد جعفر السراج في كتابه مصارع العشاق ٢/ ٢٩٢ عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي به.

(٢) هذة القصة ذكرت بعدة روايات وطرق منها ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٨/ ٤٩ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٧٢ وجاء موقوفًا عن علي ﷺ، أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٤ وقال عنه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. ولم يرد في الروايات تسمية الراهب برصيصا إلا أن ابن كثير قال في تفسيره ٤/ ٣٤٢: اشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم. وبهذا الاسم أيضًا ذكره الذهبي في الكبائر ص٢٢٨.

(٣) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص١٩١ وعنه المؤلف في ذم الهوى ص١٣٤.

حُسْنُ الخُدودِ وقَوامُ القُدودِ وغَنْجُ العيونِ، وما سألَني الله معهُم عن معصيةٍ، وأنشد لِصريع الغَواني:

إنَّ وَرْدَ الخُـدُودِ والحَـدَقَ النُّجْـ ** ـلَ ومـا في الثُّغـورِ مـن أُقْحـوَانِ
واعوِجاجَ الأصْداغِ في ظاهِرِ الخَدِّ ** ومـا في الصُّـدُورِ مِـن رُمَّـانِ
تَرَكَتْنـي بَـينَ الغَـوانِي صَرِيعًـا ** فَلِهَـذا أُدْعَـى صرِيـعَ الغَـوَانِي

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: **قلت**: هذا الرجلُ قد فضحَ نفسَهُ في شَيءٍ سَتَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عليهِ، وأخبرَ أنَّه كلَّما رأى فِتنةً نقضَ التَّوبةَ، فأينَ عَزائمُ التَّصوُّفِ في حملِ النَّفسِ على المشاقِّ؟! ثم ظنَّ بِجهْلِهِ أنَّ المعصيةَ هي الفاحِشةُ فقط، ولو كان لهُ عِلمٌ لَعِلَمَ أنَّ صُحبتَهُم والنَّظرَ إليهِم معصيةٌ فانظُر إلى الجهلِ كيفَ يصنعُ بأربَابِه!

● أنبأنا أبو مَنصُور بن خيرون، قال: أنبأنا أبو بَكرِ بن ثابتٍ، قال: أخبرنا عليُّ بن أيوبَ، قال: أنا محمدُ بن عِمران، قال: حكي عن **أبي مُسلمٍ الخُشُوعِيّ** أنَّهُ نظرَ إلى غُلامٍ جميلٍ فأطالَ، ثم قالَ: سُبحانَ اللهِ، ما أهْجَمَ طَرْفي على مكروهِ نفسِهِ، وأَدْمَنَهُ علَى سَخَطِ سيِّدِهِ، وأغراهُ بما قد نُهي عنهُ، وألهجه بالأمرِ الذي قد حُذِّرَ منه! لقد نظرتُ إلى هذا نظرًا لا أحْسَبُ إلَّا أنهُ سَيفضحُني عندَ جَمِيع مَن قد عَرَفنِي في عَرصاتِ القِيامةِ وَلَقد تَرَكَني نَظرِي هذا وَأنَا أستحِي منَ اللهِ تَعَالَى وإن غَفرَ لي، ثم صُعِقَ(١).

● أخبرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أخبرَنا أحمدُ بن عليِّ بن ثابتٍ، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ النَّيسابُوريَّ يقول: سمعتُ أبا بكرٍ

---

(١) أخرجه أبو محمد جعفر بن أحمد السرَّاج في مصارع العشاق ١/ ٢٧٦ من طريق أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت به وفي ١/ ١٨٥ من طريق الأسود بن مالك الفزاري عن أبيه عن أبي مسلم الخشوعي.

محمدُ بن عبد اللهِ العتاد(١) يقول: سمعتُ أبا الحُسينِ النُّوريَّ يقول: رأيتُ غُلامًا جميلًا ببغداد، فنظَرْتُ إليه، ثمَّ أردْتُ أن أُرَدِّد النظرَ، فقلت له: تلبسونَ النِّعالَ الصَّرَّارة(٢)، وتمشُونَ في الطُّرُقات؟ فقال: أحسنت أتجمش(٣) بالعلم(٤)؟!

فصل:

وكلُّ مَن فاتَهُ العلمُ تَخبَّطَ، فإنْ حصلَ لهُ وفاتَهُ العملُ بهِ كانَ أشدَّ تَخبُّطًا، ومنِ استعملَ أدبَ الشَّرعِ في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] سلِمَ في البِدايةِ بِما صَعُبَ أمرُهُ في النِّهايةِ ، وقد وَردَ الشَّرعُ بالنَّهْيِ عنْ مجالسةِ المُرْدانِ وأوصَى العُلَماءُ بذلكَ:

• فأخبرنا أبو منصورٍ القزاز، قال: أخبرَنا أبو بكرٍ بن ثابتٍ، قال: أخبرَني أبو طالبٍ عمرُ بنُ إبراهيم الفقيه، قال: أخبرنا محمدُ بن العبَّاسِ الخزَّاز، قال: أخبرنا محمدُ بن خَلَفِ بن المرزبان إجازةً، وحدَّثنا عنهُ محمدُ بن عبيدِ الله بنِ حريثٍ الكاتب، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ هِشام الحرْبِي، قال: نا عليُّ بنُ داود المَرْوَزِي، قال: حدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ

(١) هكذا في النسخ: أبا بكرٍ محمدُ بن عبد اللهِ العتاد. وهو خطأ والتصويب من الحلية وتاريخ الخطيب وكذا المغربية.

(٢) النعال الصرارة: النعال المسواه المنصوبة المقدم وقيل هي التي تحدث صوتًا أثناء السير من صرَّ الباب يصِرُّ إذا أحدث صوتًا وقيل: هي التي يشد عليها الخيط من الصِّرَارِ: وهو خيط يُشد فوق الخلف لِئَلَّا يرضعَها ولدها. انظر: مختار الصحاح ص١٥١ واللسان ٤/ ٤٥١.

(٣) الـجَمْش: الـمُغَازَلة والملاعَبة قيل: رجل جمَّاش متعرض للنساء وهو يُجمِّشها أي: يُقَرِّصُها ويُلاعِبُها وقيل للـمُغازَلة تَـجْمِيش: من الـجَمْش، وهو الكلام الـخفيُّ، انظر: القاموس المحيط ص٧٥٨ واللسان ٦/ ٢٧٥.

(٤) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص١٦٦ ومن طريقه أبو نعيم في الحلية١٠/ ٢٥٤ ومن طريقه الخطيب في التاريخ ٥/ ١٣٣ وابن عساكر في تاريخه ٥٥/ ١٩٩.

واقدٍ، عن عمرِو بنِ أَذْمَرَ، عن أبان، عن أنسٍ ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تُجالِسُوا أَبْناءَ المُلُوكِ؛ فإنَّ الأَنْفُسَ تشتَاقُ إليهم ما لا تَشتاقُ إلى الجَوارِي العَواتِق**»[١].

• أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ خَيرُون، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليِّ بنِ ثابتٍ، قال: نا محمدُ بن جعفر بن علان الشروطِي، قال: نا أبو عبدِ اللهِ الحُسينُ بنُ أحمد بنِ محمد الهَرَوِي الصَّفار، قال: نا أبو بَكرٍ عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ العبَّاس بن الدرفس، قال: حدّثنا محمد بن عبد الحَكَم القَطوي، قال: نا أبُو حَفْصٍ عُمَر بنُ عَمْرو الطَّحَّان، قال: نا سُفيانُ الثَّوري، عن الأعمشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة ﵁ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**لا تَمْلَؤوا أعْيُنَكم مِن أبْنَاءِ الملوكِ فإنَّ لهم فتنةً أشدَّ مِن فِتنةِ العَذَارى**»[٢].

• أخبرنا أحمدُ بنُ مُنازِل، قال: أخبرنا المبَارَكُ بنُ عبدِ الجبَّار، قال: أنبأنا أبو محمدٍ الخَلَّال، قال: نا عُمَر بنُ شاهين، وأخبرنا ابنُ الحُصَين، قال: أنبأنا ابنُ المذهبِ، عن ابنِ شاهِين، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ أبي سعيدٍ المُقْرئ، أخبرنا أحمدُ بنُ حمَّاد المصِّيصِيُّ، قال: نا عباسُ بن محرز، قال: نا أبو أُسامةَ، عنْ مُجَالِدٍ، عن الشَّعبيِّ قال: قدِمَ وفدُ عبدِ القَيسِ على رسولِ اللهِ ﷺ وفيهِم غُلامٌ أمردُ ظاهرُ الوَضاءَةِ، فأجْلَسَهُ النَّبيُّ - عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وراءَ ظَهْرِهِ - وقال: «**كانت خَطِيئةُ داودَ ﵇ النظرَ**»[٣].

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه ٥/ ١٩٨ ومن طريقه أخرجه المؤلف هنا وفي ذم الهوى ص١٢٦ وفي العلل المتناهية ٢/ ٧٧٠ وقال: حديث أنس: قال أحمد: أحاديث أبان مناكير. وقال ابن حبان: لا يحتج به. وفيه عمرو بن الأزهر قال أحمد: كان يضع الحديث. وقال الدارقطني: كذاب.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/ ٦٦ والمؤلف في العلل المتناهية ٢/ ٧٧٠ وقال عن هذا الحديث وسابقه حديث أنس: هذان حديثان لا يصحان عن رسول الله ﷺ. وذكره الذهبي في الميزان ٥/ ٢٥٩، وذكر العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٤٨٥ ونقل عن السيوطي أنه: موضوع.

(٣) هذا حديث مرسل؛ لأن الشعبي تابعي. والحديث أخرجه المؤلف أيضًا في ذم الهوى ص١٢٧ وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ١/ ٢٠٦ وقال: لا أصل له، وفي إسناده مجاهيل. قال ابن الصلاح في ←

• أنبأنا إسماعيلُ بن أحمدَ، قال: أخبرنا إسماعيلُ بنُ أبي الفَضْل الإسمَاعِيليُّ، قال: أخبَرنا حمزةُ بن يوسفَ السَّهمِي، قال: أخبَرنا أبو أحمد بن عديٍّ الحافظ، قال: نا يَحيَى بنُ عبدِ الرَّحمن بنِ نَاجية، ومحمدُ بنُ حاتمٍ الطَّائي، قالا: حدَّثنا صالحُ بنُ زيادٍ السوسي، قال: نا خَطَّابُ بن سيَّارٍ الحرَّانِي، قال: نا بقِيَّةُ، عن الوازع، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هُرَيرَة قال: نهى رسولُ اللهِ ﷺ أن يُحِدَّ الرَّجلُ النظرَ إلى الغلامِ الأمردِ[1].

• أخبرت عن أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ عَطاء، قال: أخبَرنا عبدُ اللهِ بنِ محمدٍ الصَّيرفي، قال: نا عبدُ الصَّمدِ بنِ محمدٍ الرَّازي، قال: أخبَرنا أحمدُ بن فارِس، قال: أخبَرنا أحمدُ بنُ طاهرٍ الحافظ، قال: حدَّثنا أبو حامدٍ أحمدُ بنُ عبدِ الله الأصبَهَانِي،

مشكل الوسيط: لا أصل لهذا الحديث. وقال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح: هذا حديث منكر، فيه ضعفاء، ومجاهيل، وانقطاع. كذا في ذيل الأحاديث الموضوعة للسيوطي ص١٢٢. وذكر الحديث الألباني في الضعيفة ١/ ٤٨٣ رقم (٣١٣) وقال: ولعل الحديث أصله من الإسرائليات التي كان يرويها بعض أهل الكتاب تلقاها عنه بعض المسلمين فوهم بعض الرواة فرفعه إلى النبي ﷺ.

وقصة افتتان داود ﷺ بالنظره إلى إمرأة الجندي (أوريا) كما في تفسير القرطبي ١٥/ ١٧٥ ونقلها أبوالسعود في تفسيره ٤/ ٥٧٥ وقال بعد أن سردها: فإفك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع، ويل لمن ابتدعه وأشاعه، وتبًّا لمن اخترعه وأذاعه!

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٧/ ٩٦ و٩٨ والبيهقي في السنن ٧/ ٩٩ وقال: هو ضعيف. والمؤلف في ذم الهوى ص١٢٧ وذكره الذهبي في الميزان ٧/ ١١٦. قال البيهقي في السنن ٧/ ٩٩: وفيما ذكرنا من الآية غنية عن غيرها وفتنته ظاهرة لا تحتاج إلى خبر يبينها وبالله تعالى التوفيق، والله سبحانه أعلم.

وقال الذهبي في الكبائر ص٥٨: وفي المردان من يفوق النساء بحسنه فالفتنة به أعظم وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة فهو بالتحريم أولى وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره.

قال: نا عُبَيدُ بنُ شَريكٍ البَزَّار، قال: نا محمدُ بنُ وَهبِ بنِ عَطِيَّة، قال: نا عبيدُ بن أبي السَّائبِ، قال: نا سَهلُ بنُ أسلَم الواسطيّ، قال: قال **عمرُ بنُ الخطابِ** ﷺ: ما أنا[1] على عَالِمٍ مِن سَبُعٍ ضَارٍ أخوفُ عليهِ مِن غُلامٍ أمردٍ[2].

• أخبرنا عبدُ اللهِ بنُ عِلي المقرِئ، ومحمدُ بنُ ناصرٍ الحافظ، قالا: أخبرنا طراد بنُ محمدٍ، قال: نا أبو الحُسين بن بِشْران، قال: أخبَرنا ابنُ صفوانَ، قال: حدثنا أبو بكرٍ القُرشِي، قال: حدَّثني أبي، قال: نا إبراهيمُ بنُ هراسةَ، عن عُثمانَ بنِ صالحٍ، عنِ **الحسنِ بنِ ذكوانَ**، قال: لا تُجالِسوا أولادَ الأغنياءِ فإنَّ لهُمْ صُورًا كَصُورِ النِّساءِ، وهُم أشدُّ فتنةً من العَذَارى[3].

• قال القُرشِي: ونا الهيثمُ بنُ خارِجةَ، قال: نا محمدُ بنُ حمير، عن **النَّجيبِ بنِ السرِيِّ**، قال: كان يُقَالُ: لا يَبِيتُ الرَّجلُ في بيتٍ مع المُردِ[4].

---

(١) في (م): ما أتى.

(٢) لم أجد أحدًا أخرجه عن عمر ﷺ غير المؤلف هنا وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٥٨ عن بعض التابعين. وشيخ الإسلام في الفتاوى ١٠/ ٥٩٤ وقال معلقًا عليه: وذلك أن النفس الصافية التى فيها رقة الرياضة ولم تنجذب إلى محبة الله وعبادته انجذابًا تامًّا ولا قام بها من خشية الله التامة؛ ما يصرفها عن هواها متى صارت تحت صورة من الصور استولت تلك الصورة عليها كما يستولي السبع على ما يفترسه فالسبع يأخذ فريسته بالقهر ولا تقدر الفريسة على الامتناع منه كذلك ما يمثله الإنسان في قلبه من الصور المحبوبة تبتلع قلبه وتقهره فلا يقدر قلبه على الامتناع منه فيبقى قلبه مستغرقًا فى تلك الصورة أعظم من استغراق الفريسة فى جوف الأسد.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور ٣/ ٤٩٨ ومن طريقه أخرجه المؤلف هنا وفي ذم الهوى ص١٢٨ والبيهقي في الشعب ٤/ ٣٥٨ ونقله بسنده عن أبي الدنيا شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٤ وذكره الذهبي في الكبائر ص٥٨.

(٤) أخرج ابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور ٣/ ٤٩٨ ومن طريقه المؤلف هنا وفي ذم الهوى ص١٢٨ والبيهقي في الشعب ٤/ ٣٥٩ وأشار إليه شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٤-٣٧٥.

• أخبرنا المحمدانِ: ابنُ ناصر وابنُ عبدِ الباقي، قالا: أخبَرنا حمدُ بنُ أحمد، قال: أخبَرنا أبو نُعَيمٍ الحافظ، قال: نا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ المفيد قال: نا عبدُ اللهِ بن الفرجِ، قال: نا القاسمُ بنُ عثمانَ، قال: نا **عبد العزيزِ بنُ أبي السَّائبِ عن أبيهِ** قال: لأنا أخْوَفُ على عابدٍ مِن غلامٍ، مِن سبعِينَ عَذراء[1].

• أخبرنا عبدُ الرحمن بنُ محمدٍ، قال: أخبرنا أحمدُ بن عليِّ بن ثابتٍ، وأخبرنا عُمر بن ظفرٍ، قال: أخبَرنا جعفرُ بنُ أحمدَ، قال: أخبرنا عبدُ العزيز بنُ عليٍّ الأزْجِي، قال: نا ابنُ جَهْضم، قال: نا محمدُ بنُ عليِّ بن المأمونِ، قال: نا أَبُو عليٍّ الرَّوذباري، قال: سمعتُ جُنَيدًا يقولُ: جاء رجلٌ إلى **أحمدَ بنِ حنبل** ومعَهُ غُلامٌ حسنُ الوجهِ، فقال له: من هذا؟ قال: ابني. فقال أحمد: لا تجِئ بهِ مَعكَ مرَّةً أُخْرى. فلمَّا قامَ قال لهُ محمدُ بنُ عبد الرحمن الحافظ -وفي رِوايةِ الخطيبُ- قال له: أيَّد اللهُ الشَّيخ، إنَّهُ رجلٌ مستورٌ، وابنُهُ أفضَلُ منهُ. فقال أحمد: الذي قصَدْنا إليهِ مِن هذا البابِ ليس يَمْنَعُ منهُ سترُهُما، على هذا رأَينَا أَشياخنا وبهِ خبَّرُونا عن أسْلافِهِم[2].

• أخبرنا محمدُ بنُ ناصرٍ، قال: أنبأنا أبو القاسمِ بن البسريِّ، عن أبي عبدِ اللهِ ابن بَطَّة، قال: حدَّثني محمدُ بن الحُسينِ الآجُرِّي، قال: نا محمدُ بن كُردي، قال: نا أَبُو بَكرٍ المَرُّوذِي، قال: جاءَ حسنُ بنُ البزَّارِ إلى أبي عبدِ اللهِ -يعني: **أحمدَ بن حنبل**- ومعهُ غلامٌ حسنُ الوجهِ، فتحدَّثَ معهُ، فلمَّا أرادَ أن ينصرفَ، قال له أبو عبدِ الله: يا أبا عَلي، لا تمشِ معَ هذا الغُلامِ في طريقٍ. فقال له: إنهُ ابنُ أختِي. قال: وإن كانَ، لا يأثمُ الناسُ فيكَ[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٣٢٣ وفي ذم الهوى ص١٢٩ ومن طريق أخرى في ذم الهوى ص١٢٨ يجتمع الطريقان في القاسم بن عثمان.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٥/ ٢٢٩ والمؤلف في ذم الهوى ص١٣١ وذكره ابن مفلح في المقصد الأرشد ١/ ٣٠٤ وشيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٦.

(٣) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٣١ وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٦ والذهبي في الكبائر ص٥٩ وابن قدامة في المغني ٧/ ٨٠.

• أخبرنا عليُّ بنُ عبد الواحدِ الدينَوَرِي، قال: أخبرنا عليُّ بنُ عُمر القَزْوِينِي، قال: قرأتُ على يوسفَ بنِ عُمر، قلت له: حدَّثكُم أحمدُ بن سليمانَ إملاءً، قال: أخبَرنا الحارثُ بن محمدٍ، قال: سمعتُ عمرَو بنَ محمدٍ، ذكره عن شُجاعِ بن مَخْلدٍ أنَّه سمع بشرَ بن الحارثِ يقول: احْذَروا هَؤلاءِ الأحداث[1]!

• أخبرنا أبو بكرِ بنِ حبيبٍ العامريُّ، قال: أخبَرنا عليُّ بن عبدِ الله بنِ أبي صادقٍ وعبدُ الغفَّارِ بن محمد، قالا: أخبرنا أبو عبدِ الله بنُ باكويه، قال: سمعتُ محمد بن أحمدَ النَّجارَ، يقول: سمعتُ وليدًا السَّقاء بِنَصيبين، يقول: سمعتُ أبا عبدِ الله الحصريَّ، يقول: سمعتُ فَتْحًا الموصِليَّ يقول: صاحبتُ ثلاثين شَيخًا كانوا يُعَدُّونَ من الأبدالِ[2]، كلُّهم أوصوني عند فراقي إيَّاهُم: اتقوا معاشرةَ الأحداثِ[1]!

---

(١) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٣١ وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٥.

(٢) الأحاديث في الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول الله ﷺ. كما ذكر ابن القيم في المنار المنيف ١/ ١٣٦ وقال شيخ الإسلام: فجميع هذه الألفاظ: لفظ الغوث والقطب والأوتاد والنجباء وغيرها لم ينقل أحد عن النبي ﷺ بإسناد معروف أنه تكلم بشيء منها ولا أصحابه ولكن لفظ الأبدال تكلم به بعض السلف ويروى فيهم حديث عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا إلى النبي ﷺ وهو في مسند الإمام أحمد١/ ١١٢ وهو حديث منقطع وقال محقق المسند: وأحاديث الأبدال التي رويت عن غير واحد من الصحابة أسانيدها كلها ضعيفة. ٢/ ٢٣١.

والذين تكلموا باسم البدل فسروه بمعانٍ منها: أنهم أبدال الأنبياء ومنها: أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا ومنها: أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا تُحصر بأهل بقعة من الأرض.

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تُفَسَّر بمعانٍ باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف مثل تفسير بعضهم الغوث: هو الذى بعث الله به لأهل الأرض فى رزقهم ونصرهم وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر. انظر: الفتاوى ١١/ ٣٣-١٤٤ ومنهاج السنة ١/ ٩٣ وانظر لمزيد بيان: الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص٥٠٢ والتنبيهات السنية ص٣٥٢.

• أخبرنا عُمرُ بن ظفر، قال: أخبرنا جعفرُ بنُ أحمد قال: أخبرنا عبدُ العزيزِ بن عليٍّ، قال: أخبرنا أبو الحسَنِ بن جَهضم، قال: حدَّثنا عمرُو بنُ عبدِ الله، قال: سمعت **الحَلَبيَّ** يقول: نظرَ سلَّام الأسود إلى رجُلٍ ينظرُ إلى حَدَثٍ، فقال له: يا هذا، أبْقِ على جَاهِكَ عندَ اللهِ ﷻ، فإنَّكَ لا تزالُ ذا جاهٍ مادُمتَ لهُ معَظِّمًا[٢].

• أخبرنا عبدُ الخالقِ بنُ أحمَدَ، قال: أخبرنا أحمدُ بن أبي نَصرٍ، قال: نا محمدُ بن أحمد الطبسي، قال: سمعتُ **أبا منصورٍ عبدَ القاهرِ بنَ طاهر**، يقول: مَن صَحِبَ الأحداثَ وَقَعَ في الأحْداثِ[٣].

• أخبرنا ابنُ ناصرٍ، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليٍّ الشيرازي، قال: أخبَرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمِي، قال: قال **مُظَفَّر القرمِيسِيني**: مَنْ صَحِبَ الأحْداثَ عَلى شَرْطِ السَّلامةِ والنَّصيحةِ أدَّاهُ ذلكَ إلى البَلاءِ، فكيفَ بِمنْ يَصحبُهُم على غيرِ وجهِ السَّلامةِ[٤]؟!

فصل:

وقد كان السَّلفُ يُبالِغونَ في الإعراضِ عن المُرْدِ:

• وقَد روينا عن رسولِ اللهِ ﷺ أنهُ أجْلَسَ الشَّابَّ الحسنَ الوجهِ وراءَ ظَهرِهِ.

• أخبرنا ابنُ ناصرٍ، قال: أنبأنا الحسنُ بن أحمَدَ، قال: أخبرنَا أبو الفَتحِ بنُ أبي الفَوارِس، قال: أخبَرنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ المزكي، قال: أخبرنا محمدُ بنُ المسيِّبِ، قال:

(١) أخرجه القشيري في الرسالة ٢/ ٧٤٥ أو ص٣٦٢ عن ابن باكويه به ولم يذكر في سنده وليدًا السقاء. وشيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٥٤٥ و١٥/ ٣٧٥ و٤٢٠ و٢١/ ٢٥٢ وفي الفتاوى الكبرى ١/ ٦٣ والاستقامة ١/ ٤٦٠.

(٢) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٣٤.

(٣) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٣٤.

(٤) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص٣٩٦ ومن طريقه المؤلف هنا وفي ذم الهوى ص١٣٤ وذكره الشعراني في الطبقات ١/ ١٩٤.

حدَّثنا يوسفُ بن سعيدٍ، قال: حدَّثني يحيى بنُ زَكرِيَّا عن عطاءِ بن مُسْلمٍ، قال: كان **سفيانُ الثَّوريُّ** لا يدعُ أمرَدًا يُجالِسُهُ(١).

• وقد روى إبراهيمُ بنُ هانِيءٍ عن **يحيى بنِ مَعينٍ**، قال: ما طَمِعَ أمرَدُ بِصُحْبَتِي - ولا أحمد بن حنبل - في طريقٍ(٢).

• أخبَرنا عبدُ الرحمنِ بن محمدٍ القزَّاز، قال: نا أحمدُ بنُ عليّ بن ثابتٍ، قال: أخبَرني الحسنُ بنُ أبي بكرٍ، قال: نا محمدُ بن عبدِ الواحدِ أبو عُمر الزَّاهدِ فيما أَذِنَ أن يَرْوِيَهُ عنهُ، قال: نا محمدُ بن أنسٍ الشّعوبي، قال: حدَّثنا يعقوبُ بنُ سواكٍ، قال: كنَّا عند **أبي نَصْرٍ بِشر بن الحارثِ**، فَوقَفَتْ عليهِ امرأةٌ ما رأيْنا أحسنَ منها، فقالت: يا شيخ، أين مكانُ بابِ حربٍ؟ فقال لها: هذا البابُ الذي يُقالُ لهُ: باب حربٍ. ثمَّ جاءَ بعدَها غُلامٌ ما رَأينا أحسنَ منهُ فسأله فقالَ: يا شيخ، أين مكانُ بابِ حربٍ؟ فأطْرَقَ بِشرٌ، فردَّ عليهِ الغلامُ السؤالَ، فَغَمَّضَ عَينَيهِ، فقُلنا للغلام: تعالَ، أيَّ شيءٍ تريدُ؟ فقال: بابَ حربٍ. فقُلنا: بينَ يدَيكَ، فلمَّا غابَ قلنا للشَّيخ: يا أبا نَصرٍ، جاءتكَ جاريةٌ فأجَبْتَهَا وكلَّمْتَها، وجاءكَ غلامٌ فلم تُكَلِّمْهُ! فقال: نعم، يُروَى عن سفيانَ الثوريّ أنهُ قال: معَ الجارِيةِ شيطانٌ، ومعَ الغلامِ شيطانان ، فَخَشِيتُ على نَفسِي مِن شَيطَانَيهِ(٣).

• أنبأنا زاهرُ بنُ طاهرٍ النيسابُوريُّ، قال: أنبأنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسين البَيهقِي، قال: نا أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن عبد الله الحاكمِ، قال: حدَّثني محمدُ بن أحمدَ

---

(١) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٢٩ وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٥.

(٢) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٣٠ وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٦.

(٣) أخرجه الحافظ الخطيب في تاريخه ٢/ ٨٧ ومن طريقه المؤلف هنا وفي ذم الهوى ص١٣٠ وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٥

الذُّهلِي، قال: نا محمدُ بن موسى، قال: سمعتُ محمدَ بنَ حاتمِ بنِ نعيم يقول: سمعتُ حبانَ يقول: سمعتُ عبدَ اللهِ بن المبارَكِ يقول: دخلَ سفيانُ الثَّوريُّ الحَمَّامَ، فدخلَ عليهِ غلامٌ صبيحُ الوجهِ، فقال: أخرِجوه؛ فإنِّي أرى معَ كلِّ امرأةٍ شيطانًا، ومع كلِّ غلامٍ بضعةَ عشرَ شيطَانًا(١).

● أخبرنا ابنُ ظَفرٍ، قال: أخبَرنا جعفرُ بنُ أحمد، قال: نا عبدُ العزيزِ بن عليّ، قال: حدثنا ابنُ جهضم، قال: حدَّثنا محمدُ بن عليٍّ، قال: حدَّثنا محمدُ بن أحمدَ بن أبي القاسم، قال: دخلْنَا علَى محمد بنِ الحُسينِ صاحبِ يحيى بنِ مَعينٍ، وكان يقالُ: ما رفعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ منذُ أربعينَ سنةً، ومَعَنا غلامٌ حَدَثٌ في المجلسِ بينَ يديهِ، فقال له: قُم مِن حِذائِي، وأجْلَسَهُ مِن خَلفِهِ(٢).

● أنبأنا محمدُ بن عبد الملكِ، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليٍّ الخطيبُ، قال: أخبرنا ابن أيوبَ القمِّي، قال: أخبرنا أبو عبدِ اللهِ المَرْزَباني، قال: حدَّثني أبو عبدِ الله الحكيمي، قال: نا أحمدُ بنُ إبراهيم، قال: نا أبو أسامَة، قال: كان عندنا شيخٌ يُقْرِئ، فبَقِي عنده غلامٌ يقرَأ عليهِ، فَأردتُ القيامَ فأخذَ بثوبي وقال: اصبِر حتَّى يَفرُغَ هذا الغلامُ. وكرِهَ أن يخلوَ هو والغلامُ(٣).

● أخبرنا عبدُ الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمدُ بن عليٍّ بن ثابتٍ، وأخبرنا عُمر بن ظفرٍ، قال: أخبرنا جعفرُ بن أحمدَ قال: أخبرنا عبدُ العزيز بنُ عليٍّ الأزْجي، قال: أخبَرنا ابن جَهْضَم، قال: نا محمد بنُ علي بنِ المأمون، قال: نا أبو علي

(١) أخرجه البيهقي في الشعب ٤/ ٣٥٩ ومن طريقه المؤلف هنا. ونقله الذهبي في الكبائر ص٥٥ والسيوطي في الدر٣/ ٤٩٨.

(٢) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٣٢.

(٣) أخرجه أبو محمد جعفر السرَّاج في مصارع العشاق ١/ ١٣٧ عن أحمد بن علي بن ثابت به وكذا المؤلف في ذم الهوى ص١٣٢.

الروذَباري، قال: قال لي **أبو العبَّاسِ أحمدُ المؤدِّب**: يا أبا عِلي، مِن أينَ أخذَ صوفيةُ عصرِنا هذا الأنسَ بالأحداثِ؟ فقلتُ له: يا سيِّدي، أنتَ أعْرَفُ بهم، وقد تَصحَبُهم السَّلامةُ في كثيرٍ من الأمورِ. فقال: هيهاتَ، قد رأينا مَن كان أقوى إيمانًا مِنهم إذا رأى الحدَثَ قد أقْبَل فرَّ كفِرارِهِ من الزَّحفِ، وإنما ذلكَ على حسَبِ الأوقاتِ(١) التي تغلِبُ الأحوالُ(٢) على أهلِها، فتأخذُها عن تصرَّفِ الطِّباعِ ما أكثرَ الخَطَرَ! ما أكثرَ الغَلَط(٣)!

---

(١) الأوقات: الوقت: قال القشيري في رسالته ص١٣٠: حقيقة الوقت عند أهل التحقيق: حادث متوهم، علق حصوله على حادث متحقق فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول: آتيك رأس الشهر فالإتيان متوهم، ورأس الشهر حادث متحقق فرأس الشهر وقت الإتيان. وقال بعضهم: إذا بلغت به الرياضة والإرادة حد ما عنت له خلسات من اطلاع نور الحق عليه ثم تخمد عنه وهو المسمّى عندهم أوقاتًا. وانظر: كشف المحجوب للهجويري ص٤٤٥ واصطلاح الصوفية لابن عربي ص٥٣٠ والعوارف للسهروردي ص٢٥٠ واصطلاحات الصوفية للكاشاني ص١١٢-١١٣ ورشح الزلال له ص٤٥ ومعجم الكلمات الصوفية للنقشبندي ص١٧٨ والمعجم الصوفي للحفني ص٢٦٢.

(٢) الأحوال: قال القشيري في رسالته ص١٣٣: الحال عند القوم: معنى يرد على القلب من غير تعمّد ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم، من: طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو احتياج. فالأحوال: مواهب، والمقامات مكاسب. كما قد قسمه شيخ الإسلام ابن تيمية: إلى حال شيطاني وهو من جنس ما يكون للسحرة والكهان وحال رحماني وهو من جنس ما يكون من أهل التقوى والإيمان وإلى حال نفساني وهو من جنس الوساوس والأوهام. انظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٤٣، و٦١٣ والروح لابن القيم ٢/ ٧٧٣ وقد ذكر فروقًا مهمة بين الحال الإيماني، والحال الشيطاني. وانظر: اللمع للطوسي ص٤١١ وكشف المحجوب للهجويري ص٤٤٧ والإملاء للغزالي ص١٦ واصطلاح الصوفية لابن عربي ص٥٣٠ والعوارف للسهروردي ص٢٢٥ واصطلاحات الصوفية للكاشاني ص٢٦ ورشح الزلال له ص٤٩ ومعجم الكلمات الصوفية للنقشبندي ص٢٧ والمعجم الصوفي للحفني ص٧١.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه ٥/ ٢٢٩ ومن طريقه المؤلف هنا وفي ذم الهوي ص١٣١ وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٣٧٦.

فصل:

وصحبةُ الأحداثِ أقوى حبائلِ إبليسَ التي يصِيد بها الصوفيَّة:

● وقد أخبَرنا ابنُ ناصر، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليِّ بن خَلَفٍ، قال: نا أبو عبدِ الرحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا بَكرٍ الرَّازيَّ يقولُ: قال **يوسفُ بن الحُسين**: نظرْتُ في آفاتِ الخلقِ، فعرَفتُ مِن أين أُتُوا، ورأيتُ آفةَ الصوفيةِ في: صُحبةِ الأحداثِ ومُعاشرةِ الأضداد، وإرفاقِ النِّسوان[1].

● أخبَرنا عبدُ الرحمن بن محمدٍ، قال: أخبَرنا أحمدُ بن علي بنِ ثابتٍ، قال: أخبَرنا عبدُ الصَّمدِ بن محمد الخطيب، قال: نا الحسنُ بن الحسينِ بن حمكان، قال: سمعتُ أبا الفرَج الرُّستُمي الصُّوفيَّ، يقول: سمعتُ **المحترِق البصريَّ**، يقول: رأيتُ إبليسَ في النومِ، فقلتُ له: كيفَ رأيتَنا عزَفنا عنِ الدُّنيا ولذَّاتِها وأموالِها فليس لكَ إلينا طريقٌ؟! فقال: رأيتُ ما استملت بهِ قلوبكُم[2] باستماعِ السَّماعِ ومعاشَرةِ الأحداثِ[3].

● أخبرنا محمدُ بن ناصرٍ، قال: أنبأنا أبو بَكرٍ أحمدُ بنُ علي الشِّيرازي، قال: أخبرنا أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، قال: سمعتُ أبا عبدِ الله الرَّازيَّ يقول: سمعتُ أبا العبَّاس الصيَّاد، يقول: سمعتُ **أبا سعيدٍ الخرَّاز**، يقول: رأيتُ إبليسَ في النَّومِ وهو يمرُّ عني ناحيةً، فقلت: تعالَ! فقال: أيش أعملُ بِكم؟ أنتم طرحْتُم عن

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص١٩٠ و أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٤٠ والمؤلف في ذم الهوى ص١٣٤. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٦٨، ونقل ابن القيم في المدارج ٢/ ٣٦٦ عن يحيى بن معاذ قوله: أشد شيء على المريد معاشرة الأضداد. وعنى بالأضداد -والله أعلم- من ليسوا على حاله من أصحاب الغفلة والفسوق.

(٢) قوله استملت به قلوبكم: أَمالهُ إِلـيه ومَيَّله. انظر: مختار الصحاح ص٢٦٧ واللسان ١١/ ٦٣٧.

(٣) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٤٢٩ ونقل نحوه أبو طالب المكي في قوت القلوب ٢/ ١٠٩٤ والسهروردي في عوارف المعارف ص١٦٣ عن الجنيد.

نفوسِكم ما أُخادِعُ بِهِ الناس. قلت: ما هو؟ قال: الدُّنيا فلما ولَّى التفتَ إليَّ فقال: غيرَ أنَّ فِيكم لطيفةً. قلت: ما هي؟ قال: صُحبةُ الأحداثِ[1]. قال أبو سعيد: وقلَّ من يتخلَّصُ من هذا مِن الصوفيَّةِ!

فصل: في ذكرِ عقوبةِ النَّظرِ إلى المُردان:

• أخبَرنا عُمر بن ظَفرٍ، قال: أخبَرنا جعفرُ بنُ أحمدَ، قال: أخبرنا عبدُ العزيز بن عليٍّ، قال: أخبرنا عليُّ بن عبدِ الله الصوفيُّ، قال: نا محمدُ بن الحسنِ بن الجلندِي المُقرئ، قال: سمعتُ **أبا عبدِ اللهِ بن الجَلاءِ**، يقول: كنتُ واقِفًا أنظرُ إلى غُلامٍ نصرانيٍّ حسنِ الوجهِ، فمرَّ بي أبو عبدِ الله البَلخي، فقال: إيش وقوفك؟ فقلت: يا عمّ، ما ترى هذهِ الصورةَ تُعذَّب بالنَّار؟! فضربَ بيده بين كتِفَيَّ، وقال: لتجدنَّ غِبَّها ولو بعدَ حينٍ. قال ابنُ الجلاءِ: فوجدتُ غِبَّها بعد أربعينَ سنة: أُنسِيتُ القرآن[2]!

• أخبَرنا عبدُ الرحمن بنُ محمدٍ القزَّاز، قال: أخبَرنا أحمدُ بن علي بن ثابتٍ، قال: كتبَ إليَّ أبو حاتمٍ أحمدُ بن الحسنِ الرَّازيَّ يذكرُ أنه سمعَ محمدَ بن أحمدَ بنِ عبدِ الوهابِ الحافظ، يقول: قال أبوسعيدٍ أحمد بن محمد الصوفيّ: قال نا عبدُ الرحمن بن أحمدَ بن عِيسى، عن **أبي الأديان**، قال: كنتُ معَ أستاذِي أبي بكرٍ الزَّقاق، فمرَّ حدَثٌ فنظرتُ إليه، فرآني أستاذِي وأنا أنظرُ إليه، فقال: يا بُني! لتجدنَّ غِبَّهُ ولو بعد حينٍ. فبقيتُ عشرين سنةً، وأنا أُراعِي فما أجدُ ذلك الغِبّ، فنمتُ ليلةً وأنا متفكِّرٌ فيهِ فأصبحْتُ وقد أُنسيتُ القرآنَ[3].

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السُلمي في طبقات الصوفية ص٢٣٢ ومن طريقه المؤلف هنا وفي ذم الهوى ص١٣٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ١٣٤ وذكره القشيري في الرسالة القشيرية ص٤٠٩.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٨٤ والمؤلف في ذم الهوى ص١٤٥ وذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٥٤ والمؤلف في صيد الخاطر ص٢٥.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه ٥/ ٤٤٢ ومن طريقه المؤلف في هذا الكتاب وفي ذم الهوى ص١٤٥.

• أخبرنا أبو بكرِ بن حبيبٍ الصوفيُّ، قال: أخبرنا أبو سعيدِ بن أبي صادقٍ الحيري، قال: أخبرنا أبو عبدِ الله الشِّيرازيُّ، قال: أخبرنا محمدُ بنُ أحمدَ النجَّار، قال: أخبرَني أبو بكر الكتاني، قال: رأيتُ بعضَ أصحابِنا في المنامِ، فقلت: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: عَرَضَ عليَّ سيِّئاتي، وقال: فعلتَ كذا وكذا. فقلتُ: نعم. ثمَّ قال: كذا وكذا. فاستَحْيَيْتُ أن أقِرَّ، فقلتُ: إني أستحِي أنْ أقِرَّ. فقال: غفرْتُ لكَ بما أقررتَ فكيفَ بما استَحْيَيْتَ؟! فقلت له: ما كانَ ذلك الذنبُ؟ فقال: مرَّ بي غلامٌ حسنُ الوجهِ فنظرتُ إليهِ[1].

• **قال المصنِّفُ**: وقد رُوِي نحو هذهِ الحكاية عن **أبي عبدِ الله الزراد** أنَّهُ رُؤِيَ في المنامِ، فقيل له: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ فقال: غَفَرَ لي كلَّ ذنبٍ أقْرَرْتُ به في الدُّنيا إلَّا واحدا، فاستَحْيَيتُ أن أقِرَّ بِهِ فوقفني في العرق حَتى سَقَطَ لحمُ وجْهِي، فقيل له: ما الذنبُ؟ فقال: نظرتُ إلى شخصٍ جميلٍ[2].

• **قال المصنِّفُ**: وقد بلَغَنا عن أبي يعقوبَ الطَّبرِي، قال: كان معي شابٌّ حسنُ الوجهِ يَخدِمُني، فجاءنِي إنسانٌ مِن **بغداد** صوفيٌّ، فكانَ كثيرَ الالتفاتِ إلى ذلك الشَّاب، فكنتُ أجدُ عليه لذلكَ، فنمتُ ليلةً من اللَّيالي، فرأيتُ ربَّ العِزَّة في المنامِ، فقال: يا أبا يعقوب، لِمَ لَمْ تَنْهَهُ -وأشارَ إلى البغداديِّ- عنِ النَّظرِ إلى الأحداثِ؟! فَوَعِزَّتي إنِّي لا أشغلُ بالأحداثِ إلَّا مَن باعَدْتهُ عَن قُربي. قال أبو يعقوب: فانتبهتُ وأنا أضطَرِبُ، فحَكَيتُ الرُّؤيا للبغدادي، فصاحَ صيحةً وماتَ فغسلناهُ ودفنَّاه.

---

(١) أخرجه المؤلف في ذم الهوى ص١٤٦. وللإمام أبي بكر بن حبيب رسالة في أحكام النظر رواها عنه تلميذه ابن الجوزي والمطبوع من الرسالة والله أعلم لا يعتبر كامل المخطوط أو غير ذلك غير أني لم أجد هذا الخبر في المطبوع منها.

(٢) ذكر المؤلف هذا الخبر في ذم الهوى ص١٤٦. وقال: وذكر هذه الحكاية عن منصور الفقيه. وذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٥٠٧ وسماه عبد الله بن البزار.

واشتغلَ قلبي بهِ، فرأيتُه بعدَ شهرٍ في النومِ، فقلت له: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: وَبَّخَني حتى خِفتُ أن لا أنجُو، ثم عَفَا عَني[1].

قال المصنِّفُ: قلت: إنما مدَدتُ النَّفسَ يسِيرًا في هذا البابِ لأنهُ مِمَّا تعمُّ بِهِ البلوى عند الأكثرين ، فَمَن أرادَ الزِّيادةَ فيهِ وفيما يتعلَّقُ بإطلاقِ البصرِ وجميعِ أسبابِ الهوى فليَنظر في كِتابنا المسمَّى بِـ«ذمِّ الهَوى»، ففيهِ غايةُ المُرادِ مِن جميعِ ذلك[2].

---

(١) ذكر هذه الحكاية المؤلف في كتابه ذم الهوى ص١٤٧.

(٢) انظر: كتاب المؤلف ذم الهوى ص١٠٦-١٨٧ وانظر لمزيد بيان في النظر إلى المرد والأحكام المتعلقة بهم: مجموع الفتاوى ١٥/ ٤١٣ و٢١/ ٢٤٥ والفتاوى الكبرى ٢/ ٢٥٠ والمغني ٧/ ١٠٥.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ادعاءِ التوكُّلِ(١) بقطعِ الأسبابِ وترك الاحترازِ في الأمورِ

• أخبَرنا المحمدان: ابنُ ناصرٍ، وابنُ عبدِ الباقي، قالا: أخبَرنا حمدُ بن أحمد، قالَ: أخبَرنا أبو نُعَيم الحافظُ، قال: نا أحمدُ بن إسحاق، قال: نا عمرُ بن بَحرٍ الأسَديّ، قال: سمعتُ أحمدَ بن أبي الحَوَارِي يقول: قال **أبو سُلَيمان الدَّارانِي**: لو

---

(١) أصل التوكل الاعتماد على الشيء والوثوق به يقال: تَوَكَّلَ بالأَمْر إذا ضَمِنَ القِيام به وَوَكَّلت أمْرِي إلى فلان أي: أَلْجَأته إليه واعْتَمدت فِيه عَلَيه وَوَكَّل فُلان فُلانًا إذا اسْتَكفاه أَمْرَه؛ ثقةً بِكفايَتِه أو عَجزًا عن القيام بأمر نفسه. انظر: النهاية ٥/ ٢٢٠ واللسان ١١/ ٧٣٦ وفتح الباري ١٢/ ١١٣.
هذا في اللغة، أما المعنى الشرعي: فعامة من ذكره من علماء أهل السنة يبين أنه اعتماد القلب على الله وحده لا شريك له مع مراعاة الأخذ بالأسباب المأمور بها واعتقاد أنها لا تعدوا كونها أسبابًا لا تجلب بذاتها نفعًا ولا تدفع ضرًّا بل السبب والمسبب فعل الله والكل بمشيئته.
قال شيخ الإسلام في قاعدة في التوكل ص١٥١: وجماع هذا أن الله خلق الأمور بأسباب فالالتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ فى العقل والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدحٌ فى الشرع.
ولبسط القول في التوكل والنظر في كلام الأئمة ومعرفة أقسام التوكل على الله والتوكل على غيره والرد على الشبهات المتعلقة بترك الأسباب؛ ظنًّا منهم أن تعاطيها قادح في التوكل. انظر: قاعدة في التوكل ص١٤٦ والفتاوى ٨/ ١٦٩ ٢٨٤ ١٠/ ٢٥٧ والفوائد ص٨٦ وطريق الهجرتين ص٣٩٥ والمدارج ١/ ١٢٣ وشفاء العليل ١/ ٧٧ وتيسير العزيز الحميد ص٤٩٧ والرياض النضرة ص١٢٥ والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٢٤٠.
ويتضح مما ذكره المؤلف عن الصوفية وما ذكروه عن أنفسهم أن التوكل لايصح حتى تتوفر فيه الأمور التالية:
١- البعد عن القيام بأي سبب يحصل للإنسان منه رزق.
٢- التجرد عن جميع ما يملك إذ شرط التوكل خلو اليد من كل ذلك.
٣- عدم التداوي أو اللجوء لفعل الأسباب عند التعرض للأخطار والمهالك. أثمر هذا المفهوم للتوكل عند الصوفية البطالة والكسل وسؤال الناس والعمل بأرذل المهن وأخسها! انظر لمزيد بيان: مظاهر الانحرفات العقدية عند الصوفية ٣/ ٩٥٥-٩٧٢ وجهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على الصوفية ص٤٨٠- ٤٩٥.

توكَّلنا على اللهِ تعالى ما بَنَيْنَا الحِيطانَ ولا جعلْنا لِبابِ الدَّار غلقًا مَخافةَ اللُّصوصِ[١].

• أخبَرَنا أبو بَكرِ بن حبيبٍ، قال: نا أبو سَعيدِ بن أبي صادقٍ، قال: أخبَرَنا ابنُ باكويه، قال: أخبَرَنِي أبو مَنْصورٍ العَبَاداني، قال: أخبَرَني عليُّ بنُ سالم، قال: أخبَرَني سَهلُ بن عبدِ الله، عن **ذِي النُّونِ**، قال: سافرتُ سِنينَ، وما صحَّ لي التوكُّلُ إلَّا وقتًا واحدًا، ركِبْتُ البحرَ فكُسِر المَرْكَبُ فتعلَّقْتُ بِخَشَبةٍ مِن خَشبِ المَركَبِ، فقالت نفسِي: إنْ حَكَمَ اللهُ عليكَ بالغَرَقِ ما تنفعُكَ هذه الخَشَبةُ؟! فخلَّيتُ الخشبةَ وطَفَيتُ على الماءِ، فوقعتُ على السَّاحلِ[٢].

• أنبأنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أخبَرَنا أبو بَكرٍ أحمد، قال: أخبَرَنا أبو نُعيمٍ الحافظ، قال: أخبَرَنا جعفَر الخلدِي في كتابهِ[٣]، قال: سمعتُ الجُنَيدَ بنَ محمَّدٍ، قال: سألتُ **أبا يَعقوبَ الزَّياتَ** عن مسألةٍ في التوكُّلِ، فأَخْرَجَ دِرهمًا كان عنده ثمَّ أجابَنِي، فأعطى التوكُّلَ حقَّهُ، ثم قال: استَحْيَيتُ أن أجيبَكَ وعندِي شَيءٌ[٤].

• وذكرَ أبو نصرٍ السَّراجُ في كتابِ اللُّمَع، قال: جاء رجُلٌ إلى **عبدِ اللهِ بنِ الجلاءِ** فسألهُ مسألةً في التَّوكُّلِ وعندهُ جماعتُهُ فلَم يُجِبهُ ، ودخلَ البيتَ فأخْرَجَ إليهِم صرَّةً

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٥٦ ومن طريقه المؤلف هنا وأخرجه أبو محمد بن حيان في طبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٦١٢ من طريق عمر بن بحر به.

(٢) لم أجد من أخرجه غير المؤلف. ولابن باكويه كتاب في عداد المفقود في أخبار الصوفية الأشبه أن المؤلف نقل ما أسنده عن ابن باكويه منه.

(٣) لعل هذا الكتاب ما ذكر الخلدي حيث قال: كنت في ابتداء أمري وإرادتي ليلة نائمًا فإذا بهاتف يهتف بي ويقول: يا جعفر، امض إلى موضع كذا وكذا واحفر؛ فإن لك هناك شيئًا مدفونًا. قال: فجئت إلى الموضع وحفرت فوجدت صندوقًا فيه دفاتر وإذا فيه حزمة فأخرجتها وقرأتها. قال الخطيب: عن الحسن بن سليمان: وكان في تلك الكتب عجائب فقرأ ولم يدفع إلي أحد ثم دفنها. انظر: تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٨. أو أنه من أماليه ومجالسه قال الذهبي: وعندي مجالس من أماليه. السير ١٥/ ٥٥٨.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٢٤ ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٨.

فيها أربعةُ دوانِيق، فقال: اشتروا بهذه شيئًا، ثم أجابَ عن سؤالِهِ، فقيل له في ذلكَ، فقال: استحيَيْتُ من اللهِ تعالى أنْ أتكلَّمَ في التَّوكُّل وعندِي أربعةُ دوانيق[١].

• قال السَّراجُ: وقال سَهْلُ بنُ عبدِ الله: من طَعَنَ على الاكتِسابِ فقد طَعَنَ على السُّنَّةِ، ومَن طَعَنَ على التَّوكُّلِ فقد طَعَنَ على الإِيمانِ[٢].

قال المصنِّفُ قلت: قِلَّةُ العِلمِ أوْجَبَت هذا التَّخليطُ، ولو عرفوا ماهيَّةَ التَّوكُّلِ عِلموا أنَّهُ ليس بينَهُ وبينَ الأسبابِ تضادٌّ؛ وذلكَ أنَّ التوكُّلَ فعلُ القلبِ، والأسبابُ تختصُّ بالبَدَنِ، فمَعْنَى التوكُّلِ اعتمادُ القلبِ على الوكِيلِ وحدَهُ، وذلك لا يُناقضُ حركاتِ البدنِ في التعلُّق بالأسبابِ ولا ادِّخار المالِ، فقد قالَ الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥]أي: قِوامًا لأَبدانِكم[٣].

وقال ﷺ: «**نِعمَ المالُ الصالحُ للرَّجُلِ الصالحِ**»[٤]، وقال ﷺ: «**إنكَ لأَنْ تخلفَ وَرَثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ مِن أن تَترُكَهم عالَةً يتكَفَّفونَ النَّاس**»[٥].

---

(١) اللمع ص٢٣٨.
(٢) اللمع ص٢٥٩. وسيأتي مسندًا ص٦٥٥.
(٣) انظر: تفسير الثوري ص٨٨ وتفسير الطبري ٤/ ٢٤٩ وأحكام القرآن للجصاص ٢/ ٣٥٤ وتفسير السعدي ١/ ١٦٤ وقال: فنهى الله الأولياء أن يؤتوا هؤلاء أموالهم؛ خشية إفسادها وإتلافها؛ لأن الله جعل الأموال قيامًا لعباده في مصالح دينهم ودنياهم.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٩٧ ٢٠٢ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٢٩٩ وابن حبان في صحيحه ٨/ ٦ والحاكم في المستدرك في موضعين ٢/ ٢ ٢٣٦: قال في الأول: صحيح على شرط مسلم. وفي الثاني: صحيح على شرطيها. وفي كليهما وافقه الذهبي وذكره الهيثمي في المجمع ٤/ ٦٤ و٩/ ٣٥٣ وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.
(٥) أخرجه البخاري رقم (١٢٩٥) وأخرجه في مواضع أخرى من صحيحه منها: رقم (٢٧٤٢) ورقم (٣٩٣٦) ورقم (٤٤٠٩) ورقم (٥٣٥٤)، وغيرها. وأخرجه مسلم ٣/ ١٢٥٠ رقم (١٦٢٨) ومالك في الموطأ ٢/ ٧٦٣ والإمام أحمد ١/ ١٧٦ ١٧٩ وأبو داود رقم (٢٨٦٤) والنسائي ٦/ ٢٤٢ والترمذي رقم (٢١١٦) وابن ماجه رقم (٢٧٠٨).

واعلَم أنَّ الذي أمرَ بالتوكُّل أمرَ بأخذِ الحذَر، فقال: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقالَ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ [الدخان: ٢٣].

وقد ظَاهَرَ رسولُ الله ﷺ بين دِرعين[١] وشاوَرَ طَبِيبَين[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٤٩ و٢٤/ ٤٩٩، وأخرجه أبو داود رقم (٢٥٩٠) والترمذي رقم (١٠٤) والنسائي في الكبرى رقم (٨٥٨٣) وابن ماجه رقم (٢٨٠٦) والحديث بهذا الإسناد صحيح، رجاله رجال الصحيح أورده الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٢٥٧) وصحيح سنن ابن ماجه رقم (٢٢٦٤) ومختصر الشمائل المحمدية رقم (٩٠) وقال عنه: صحيح.

ومعنى قوله: ظاهر بين درعين: أي لبس أحدهما فوق الآخر وكأنه من التظاهر بمعنى التعاون والتساعد. انظر: شرح سنن ابن ماجه ١/ ٢١٨ وعون المعبود ٧/ ١٨٢.

ذكر ابن حجر في الفتح ١٠/ ٢١٢ عن الإمام الطبري قال: قيل لا يستحق التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف من شيء ألبتة حتى السبع الضاري والعدو العادي ولا من لم يسع في طلب رزق ولا في مداواة ألم والحق أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماض لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب؛ اتباعًا لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر ﷺ في الحرب بين درعين ولبس على رأسه المغفر وأقعد الرماة على فم الشعب وخندق حول المدينة وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة وهاجر هو وتعاطى أسباب الأكل والشرب وادَّخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك وقال للذي سأله: أعقل ناقتي أو أدعها؟ قال: «**اعقلها وتوكل**». فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل والله أعلم.

(٢) لعل المؤلف رحمه الله عَنَى حديثَ زيد بن أسلم في موطأ مالك ٢/ ٩٤٣ قال ابن عبد البر في التمهيد ٥/ ٢٦٣: هذا الحديث في الموطأ منقطعًا. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٧١ ومسلم رقم (٢٢٠٤) عن جابر رضي الله عنه. قال ابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ٤١٤: وفي هذا الحديث إباحة التداوي وإباحة معالجة الأطباء وجواز الطب والتطبب. ولمزيد بيان في مسألة التداوي انظر: التمهيد ٥/ ٢٦٥ وزاد المعاد ٤/ ١٥ أو الطب النبوي ص١٠ وقال: وفي الأحاديث الصحيحة الامر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل كما لاينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبَّباتها قدرًا وشرعًا وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة.

واختَفَى فِي الغَار(١)، وأمرَ بغَلقِ البابِ(٢)، وقال: «مَن يَحْرُسُنِي اللَّيلَةَ»(٣)، وفي الصَّحِيحَينِ مِن حديثِ جابرٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أغلِق بابَكَ»(٤)، وقد أخبَرَ أنَّ التوكُّلَ لا يُنافِي الاحتِراز.

وأخبَرنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ السَّمَرقَندِي، قال: أخبرنا عبدُ الله بنُ يحيى المَوْصِلي، ونصرُ بن أحمدَ، قالا: أخبَرنا أبو الحسين بن بِشران، قال: أخبَرنا الحسينُ بن صفوان، قال: نا أبو بكرٍ القُرَشي، قال: حدَّثني أبو جعفر الصَّيرِفي، قال: نا يحيى بنُ سعيد، قال: نا المغيرةُ بنُ أبي قُرَّة السَّدوسِي، قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه يقول: جاء رجلٌ إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، أَعْقِلها وأتوكَّل، أو أُطْلِقُها وأتوكَّلْ؟ فقالَ: «اعقِلْها وتوكَّل»(٥).

---

(١) كما جاء في حديث الهجرة في صحيح البخاري مطولًا رقم (٣٩٠٥) وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٣٨٥ ومن طريقه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع عدة من صحيحه منها: رقم (٦٢٩٦) و رقم (٣٢٨٠) ورقم (٣٣٠٤) ورقم (٣٣١٦) ورقم (٥٦٢٣) و(٥٦٢٤) وأخرجه مسلم رقم (٢٠١٢) وأحمد في المسند ٣/ ٣٠١ وعنه أبو داود رقم (٣٧٣١).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٨٨٥) و رقم (٧٢٣١) ومسلم رقم (٢٤١٠) والإمام أحمد في المسند ٦/ ١٤١ والترمذي رقم (٣٧٥٦) والنسائي في السنن الكبرى ٥/ ٦١ رقم (٨٢١٧).
قال ابن حجر في الفتح ٦/ ٨٢: وفي الحديث الأخذ بالحذر والاحتراس من العدو.. وإنما عانى النبي ﷺ ذلك مع قوة توكله للاستنان به في ذلك وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس كان أمام الكل وأيضًا فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب؛ لأن التوكل عمل القلب وهي عمل البدن.

(٤) تقدم تخريجه آنفًا.

(٥) أخرجه الترمذي رقم (٢٥١٧) ٤/ ٦٦٨ وقال: وهذا حديث غريب من حديث أنس، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي ﷺ نحو هذا. وفي كتاب العلل الملحق بالسنن ٥/ ٧٦٢ قال عنه: قال عمرو بن علي: قال يحيى: وهذا عندي حديث منكر.
وللحديث طريق آخر أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٥١٠ وموارد ١/ ٦٣٣ والحاكم في المستدرك ٣/ ٦٢٣ قال الذهبي في التلخيص: سنده جيد وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٠٣ وقال: رواه الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية وهو ثقة.

أخبرنا ابنُ ناصر، قال: أخبَرنا أبو الحسين بن عبد الجبَّار، قال: أخبَرنا عبدُ العزيز بنُ عليٍّ الأزجي، قال: أخبَرنا إبراهيمُ بن محمدَ بنِ جعفرٍ، قال: نا أبو بَكرٍ عبدُ العزيز بنُ جعفر، قال: حدَّثنا أبو بكرٍ الخلَّال، قال: أخبَرني حربُ بنُ إسماعيل الكَرماني، قال: حدَّثني عبدُ الرحمن بنُ محمد بن سلّام، قال: ثنا الحسينُ بن زِيادٍ المرْوَزِي، قال: سمعتُ سفيانَ بنَ عُيينَة يقول: تفسيرُ التوكُّل أن يَرضَى بما يُفْعَلُ به[1].

قال ابنُ عقيلٍ: يظنُّ القومُ أنَّ الاحتياطَ والاحترازَ يُنافي التوكُّلَ، وأنَّ التوكلَ هو إهمالُ العواقبِ وإطراحُ التحفُّظ، وذلكَ عند العُلماءِ هو العجزُ والتفريطُ الذي يقتضِي مِن العُقَلاءِ التوبيخَ والتهجينَ، ولَم يأمرِ اللهُ بالتوكلِ إلَّا بعدَ التحرُّزِ واستفراغِ الوسعِ في التَّحَفُّظ، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فلو كان التعلقُ بالاحتياطِ قادِحًا في التوكلِ لما خَصَّ الله بهِ نبيَّه ﷺ حينَ قال له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، وهلِ المشاورةُ إلَّا استفادةُ الرَّأيِ الذي منهُ يؤخذُ التحفُّظُ والتحرُّزُ من العدوّ؟!

ولم يَقْنَع في الاحتياطِ بِأَن يكِلَهُ إلى رأيِهم واجتِهادِهم حتَّى نصَّ علَيهِ وجَعلهُ عَملًا في نفسِ الصَّلاةِ، وهِي أخصُّ العباداتِ، فقال: ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ

قال المناوي في فيض القدير ٢/ ٨ وبه يتقوى. يعني: حديث أنس ﵁.
والحديث ذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٠٤٤) وفي تخريج المشكاة رقم (٢٢) وصحيح الجامع رقم (١٠٧٩) وحسنه.

(١) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٨٠ رقم (١٢٦) وأخرج نحوه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه ص١١٢. وتفسير التوكل بأنه الرضا بالقضاء رُوي عن الحسن البصري فيما أخرج ابن أبي الدنيا في التوكل على الله ص٣٩ وفي الرضا عن الله بقضائه ص١١٢ من طريق عباد بن منصور قال: سئل الحسن عن التوكل فقال: الرضا عن الله ﷻ.

وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] وبيَّنَ عِلَّةَ ذلكَ بقوله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾[النساء: ١٠٢].

ومَن عَلِمَ الاحتياطَ هكَذا؛ لا يُقالُ: إنَّ التوكلَ عليهِ تركُ ما عَلِم، لكنَّ التوكلَ يقتضِي التفويض فيما لا وُسْعَ فيهِ ولا طاقة، قال عليه الصلاة والسلام: «**اعقِلْها وتوكَّل**»، وَلَو كَان التوكُّل تركَ التحرُّزِ لخصَّ بهِ خير الخلقِ ﷺ في خيرِ الأحوالِ وهِي حالةُ الصَّلاةِ.

وقد ذَهبَ الشافعيُّ رحمه الله إلى وجوبِ حملِ السِّلاحِ حينئذٍ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢][(١)].

فالتوكلُ لا يَمنعُ من الاحترازِ والاحتياطِ، فإنَّ مُوسى عليه السلام لما قيل له: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠]خرجَ، ونبيُّنا ﷺ خَرجَ من مكةَ لخوفهِ مِن المُتآمرينَ عَلَيهِ، ووقاهُ أبو بكرٍ رضي الله عنه بسدِّ أثقابِ الغارِ[(٢)].

فأعطَى القومُ التحرُّزَ حقَّهُ ثم توكَّلوا.

---

(١) ما ذكره ابن عقيل رحمه الله هو أحد قولي الإمام الشافعي في الأم ١/ ٢١٩ قال الشافعي: وأحب للمصلى أن يأخذ سلاحه في الصلاة.. وقال: ولا أجيز له وضع السلاح كله في صلاة الخوف. قال: الشيرازي في المهذب ١/ ١٠٧: قال في الأم: يستحب. وقال بعده: يجب. فهما قولان عند الشافعية والجمهور على استحبابه. قال النووي في المجموع ٤/ ٣٦٨: والأصح عندنا أنه لا يجب لكن يستحب وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد وداود. وانظر لمزيد بيان: نهاية المحتاج ٢/ ٣٦٧ وروضة الطالبين ٢/ ٥٩ وتحفة المحتاج ٣/ ١١ والكافي ١/ ٢١١ والمبدع ٢/ ١٣٥ وكشاف القناع ٢/ ١٧.

(٢) تقدم ذكر طرف من ذلك في حديث الهجرة ص٦٥٠.

وقد قال ﷻ في بابِ الاحتياط: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥]، وقال: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ [يوسف: ٦٧][(١)]، وقال: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥][(٢)].

وهذا لأنَّ الحَرَكَةَ للذَّبِّ عنِ النفسِ استعمالٌ لإظهار نعمةِ اللهِ تعالى، وكما أنَّ اللهَ تعالى يريدُ إظهارَ نِعَمِهِ المُبْتَدَاة يريدُ إظهارَ وَدائِعِه، فلا وجهَ لتعطيلِ ما أَوْدَعَ اعتمادًا على ما جادَ بِهِ، لكن يجبُ استعمالُ ما عِندكَ ثم اطلُب ما عِنده.

وقد جعل اللهُ تعالى لِلطَّيرِ والبَهائِمِ أسلِحةً تدفَعُ بها عنها الشُّرورَ، كالمخلبِ والمِنْقَر والنَّابِ، والحُمَة وخلقَ للآدمِيِّ عقلًا يقودُهُ إلى حَملِ الأسلِحةِ ويهديهِ إلى

---

(١) وقال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان ٣/ ٣٩٨ معلقًا على هذه الآية: ومما يوضح أن تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل على الله قوله تعالى عن يعقوب: ﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧] فأمرهم بالتفرق والدخول من أبواب متفرقة؛ تعاطيًا للسبب في السلامة من إصابة العين كما قال غير واحد من علماء السلف ومع هذا التسبب فقد قال الله عنه: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فانظر كيف جمع بين التسبب في قوله: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ وبين التوكل على الله في قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وهذا أمر معلوم لا يخفى إلا على من طمس الله بصيرته. وانظر: تفسير السعدي ١/ ٤٠٢.

(٢) ومعنى قوله: ﴿فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] يعني في أطرافها وطرقها وفجاجها. انظر: تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٥ وتفسير الطبري ٢٩/ ٦. وقال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان ٨/ ٢٣٩ معلقًا على هذه الآية: فيكون المشي في مناكب الأرض واستخدام مناكبها واستغلال ثرواتها والانتفاع من خيراتها لا لطلب الرزق وحده وإلا لكان يمكن سوقه إليهم ولكن للأخذ بالأسباب أولًا وللنظر في المسببات والعبرة بالمخلوقات والتزود لما بعد المهات وعليه فقد وضع القرآن الأمة الإسلامية في أعز مواضع الغنى والاستغناء والاستثمار والإنتاج فما نقص عليها من أمور دنياها إلا بقدر ما قصرت هي في القيام بهذا العمل وأضاعت من حقها في هذا الوجود.. وعلى الأمة الإسلامية أن تعمل على استثمار وإنتاج كل حاجياتها حتى الإبرة؛ لتستغني عن غيرها وإلا احتاجت إلى الغير بقدر ما قصرت في الإنتاج. وهذا هو واقع العالم اليوم، إذ القدرة الإنتاجية هي المتحكمة وذات السيادة الدولية وقد أعطى الله العالم الإسلامي الأولوية في هذا كله فعليهم أن يحتلوا مكانهم ويحافظوا على مكانتهم ويشيدوا كيانهم بالدين والدنيا معًا وبالله التوفيق. وانظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩٨.

التحصُّنِ بالأبنيةِ والدُّروعِ، ومَن عطَّلَ نِعمةَ اللهِ تعالى بِتَرْكِ الاحترازِ فقد عطَّلَ حِكمتهُ، كَمَن تركَ الأغذِيةَ والأدوِيةَ فماتَ جُوعًا أو مرَضًا.

فلا أبلَهَ مِمَّن يدَّعِي العقلَ والعلمَ ويستَسْلم للبلاءِ! إنَّما يَنْبَغي أن تكونَ أعضاءُ المتوكِّلِ في الكسبِ وقلبُهُ ساكنٌ مفوِّضٌ للحقِّ منَعَ أو أعطَى؛ لأنهُ يرَى أن الحقَّ ﷻ لا يتصرَّفُ إلا بحكمَةٍ ومصلَحَةٍ، فَمَنْعُهُ عطاءٌ في المَعنى.

وكم زيَّنَ للعجَزةِ عَجْزَهُم وسوَّلَتْ لهُم أنفُسُهم أنَّ التفرِيطَ توكُّلٌ! فصاروا في غُرورِهِم بِمثابَةِ مَن اعتَقَد التَّهوُّرَ شجاعةً والخَورَ حَزْمًا!

ومتى وُضعت الأسبابُ وأُهمِلَت كانَ ذلكَ جهلًا بحِكمةِ الواضعِ، مثل ما وَضَعَ الطعامَ سببًا للشِّبعِ، والماءَ للرِّيِّ، والدَّواءَ للمَرَضِ، فإذا تركَ الإنسانُ ذلكَ إهوانًا بالسَّببِ، ثم دَعا وسأَلَ فرُبَّما قيلَ لهُ: قد جعلنا لعافيتكَ سَببًا، فإذا لَم تَتَناولْهُ كان إهمالًا لِعَطائنا، فرُبما لَم نُعافِكَ بِغيرِ سببٍ لإهْوانِك بالسَّببِ، وما هذا إلَّا بِمثابةِ مَن بَينَ قَراحِهِ وماءِ السَّاقِيةِ رفْسَةُ زنبيل[1]، فأخذَ يُصلِّي صلاةَ الاستِسقاءِ طلَبًا للمطَرِ، فإنهُ لا يُسْتَحْسَن منهُ ذلكَ شَرعًا ولا عَقلًا.

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** فإن قالَ قائلٌ: كيف أحترِزُ مع القَدَرِ؟!

قيل له: وكيفَ لا تَحْترِزُ مع الأوامِرِ مِن المُقَدِّرِ؟! فالذي قدَّرَ هو الذِي أمرَ، وقد قال تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

أنبأنا إسماعيلُ بن أحمد، قال: نا عاصمُ بنُ الحسنِ، قال: نا ابن بِشْران، قال: ثنا ابنُ صفوان، قال: نا أبو بكرٍ القُرَشي، قال: حدثني سُرَيجُ بنُ يونُس، قال: حدثنا عليُّ

---

(١) في (ت) رفسة مسحاة. والرَّفْسَة: الصَّدْمَة بالرِّجْلِ في الصدر. والزَّبِيل والزِّنْبِيل: الجِراب وقيل: الوِعاء يُحْمل فيه فإذا جَمَعوا قالوا: زَنابِيل وقيل: الزِّنْبِيل خطأ وإنما هو زَبِيل وجمعه زُبُل وزُبْلان. انظر: اللسان ٦/ ١٠٠ و١١/ ٣٠٠ والقاموس المحيط ص٧٠٧ والمصباح المنير ص٢٥١.

بن ثابت، عن خطَّابِ بنِ القاسمِ، عن أبي عُثمانَ، قال: كان عيسى عليه السلام يصلِّي على رأسِ جبلٍ، فأتاهُ إبلَيس فقال: أنتَ الذي تزعُمُ أن كلَّ شَيءٍ بقضاءٍ وقَدَرٍ؟ قال: نعم. قال: فألقِ نفسَك من الجبلِ، وقُل: قدِّر عليَّ. فقال: يا لَعين، اللهُ يَختبِر العبادَ، وليس العبادُ يختبرونَ الله(١).

فصل:

وفي مَعنى ما ذكَرنا مِن تلبيسهِ علَيهِم في تركِ الأسبابِ أنَّه قد لبَّسَ على خلقٍ كثيرٍ منهم بأنَّ التوكُّلَ يُنافِي الكسبَ:

• فأخبرنا محمدُ بن أبي القاسمِ، قال: نا حمدُ بنُ أحمد، قال: نا أبو نُعيمٍ أحمد ابن عبدِ الله، قال: سمعتُ أبا الحسنِ بن مقسمٍ، يقول: سمعتُ محمدَ بنَ المنذرِ، يقول: سمعتُ **سهلَ بن عبدِ الله التُّسْتَرِي**، يقول: من طعنَ في التوكُّل فقد طعنَ في الإيمانِ، ومن طَعنَ على الكَسبِ فقد طعنَ على السُّنَّة(٢).

• أخبرنا محمدُ بن ناصر، قال: نا أحمدُ بن عليِّ بن خَلَفٍ، قال: نا أبو عبدِ الرحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ محمدَ بن عبدِ الله الرَّازِي يقول: سألَ رجلٌ **أبا عبدِ الله بن سالمٍ** وأنا أسمع: أنحنُ مُتَعَبِّدونَ بالكَسبِ أم بالتوكُّل؟ فقال: التوكُّل حالُ رسولِ اللهِ ﷺ، والكسبُ سنَّةُ رسولِ الله ﷺ، وإنما سنَّ الكسبَ لمن ضَعُف عن التوكُّلِ وسقطَ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ص٧٧ والأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١١٣ وفي تفسيره ٢/ ٣٣٨ وأخرجه الإمام أحمد في الزهد ص٢٥٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٩٥ ومن طريقه المؤلف وأخرجه البيهقي في الشعب ٢/ ١٠٣ وابن رجب في جامع العلوم والحكم ١/ ٤٣٧ وابن القيم في المدارج ٢/ ١١٦. وكأن إيراد المؤلف لهذا الأثر عن سهل بن عبد الله رحمه الله في هذا الموضع والموضع المتقدم ص٦٤٨ على وجه الانتقاد له وهذا غير ظاهر؛ بل كلامه موافق للحق وما عليه سلف الأمة ولقد أورده الأئمة على وجه الاستشهاد به لما عليه السلف في التوكل. انظر ما تقدم من الإحالة على جامع العلوم والحكم ومدارج السالكين.

عن دَرَجةِ الكَمال التي هِي حالُهُ، فمَن أطاقَ التوكُّلَ فالكسبُ غيرُ مباحٍ لهُ بحالٍ، إلَّا كسْبَ مُعاوَنَةٍ لا كسبَ اعتمادٍ علَيهِ، ومَن ضعُفَ عن حالِ التوكلِ الَّتي هي حالُ رسولِ اللهِ ﷺ، أُبيحَ لهُ طَلَبُ المعاشِ في الكسبِ؛ لئلَّا يَسقُطَ عن دَرَجةِ سُنَّتِهِ حينَ سقَطَ عن درجةِ حالَتِه[١].

• أنبأنا عبدُ المنعِم بن عبد الكريم، قال: حدَّثنا أبِي، قال: سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ، قال: سمعتُ أبا القاسِمِ الرَّازِيَّ، يقولُ: سمعْتُ **يوسفَ بنَ الحسينِ** يقول: إذا رأيتَ المرِيدَ يشتغِلُ بالرُّخَصِ والكَسبِ، فليسَ يجِيءُ منهُ شَيءٌ[٢].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: هذا كلامُ قومٍ ما فَهِموا مَعنى التوكلِ، فظنُّوا أنَّهُ تَرْكُ الكسبِ وتعطيلُ الجوارِحِ عنِ العمَلِ، وقد بيَنَّا أنَّ التوكلَ فعلُ القلبِ، فلا يُنافي حركةَ الجوارحِ، ولو كانَ كلُّ كاسبٍ ليسَ بِمتوكِّلٍ كان الأنبياءُ غيرَ متوكِّلين، فقد كان آدمُ عليه السلام حرَّاثًا، ونوحٌ وزكريا نَجَّارَينِ، وإدريسُ خيَّاطًا، وإبراهيمُ ولوطٌ زارِعَين، وصالحٌ تاجرًا، وكان داودُ يعملُ الخُوصَ بيدِه ويأكلُ من ثَمنِهِ، وكان موسى وشعيبٌ ومحمدٌ -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم- رعاةَ الغنمِ.[٣]

---

(١) أخرجه السُلمي في الطبقات ص ١١٤ وعنه البيهقي في الشعب ٢/ ١٠٣ وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٧٨.

(٢) ذكره القيشري في الرسالة ص٤١٤ ونقله الذهبي في السير ١٤/ ٢٤٩ وفي تاريخ الإسلام وفيات ٣٠٥ ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٣٧٧٠ وأبو الفتح الأبشيهي في المستطرف ١/ ٣١٠. وجاء لفظه فيها: إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء. وعلى هذا اللفظ لا يكون فيه شاهد لما أراد المؤلف.

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٥٢. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٣٨. وحكم عليه الحافظ في الفتح ٤/ ٣٠٦ بأنه سند واه.

والمشهور أن الذي يعمل الخوص بيده هو سليمان عليه السلام كما في الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص٩٠ والحث على التجارة للخلال ص١١٣ رقم (٦٩).

وفي الآيات من كتاب الله والأحاديث الصحيحة ما يفيد عمل الأنبياء كما قال الله جل ثناؤه في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِيَ

لح

وقال نبيُّنا ﷺ كنتُ أرعَى غنمًا لأهلِ مكةَ بالقَرارِيطِ(١)، فلمَّا أغناهُ اللهُ ﷻ بما فرَضَ له مِن الفَيءِ لم يَحتَجْ إلى الكَسبِ.

وقد كان أبو بكرٍ الصديقُ ﵁ وعثمانُ وعبدُ الرحمن وطلحةُ ومحمدُ بن سيرينَ وميمونُ بنُ مِهران بزَّازينَ(٢)، وكان الزُّبيرُ بن العوَّام وعمرُو بنُ العاصِ وعامرُ بن كريز خرَّازِين(٣)، وكان سعدُ بنُ أبي وقَّاص يُبْرِي النَّبْلَ، وكان عُثمانُ بنُ طَلْحة خيَّاطًا، وما زالَ التَّابِعون ومَن بعدَهُم يكتسِبونَ ويأمرون بالكَسبِ(٤).

أخبرنا محمدُ بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو محمدٍ الجَوهَريُّ، قال: أنبأنا ابنُ حيوَةَ، قال: أنبأنا أبُو الحسنِ بن معروفٍ، قال: أنبأنا الحسينُ بنُ الفَهمِ، قال: ثنا محمدُ بن

فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٧ – ١٨] وقال في قصة صاحب مدين وموسى ﵇: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ [القصص: ٢٧] وقال في قصة داود ﵇: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [سبأ: ١٠ – ١١].

ومن الأحاديث حديثي أبي هريرة في البخاري رقم (٢١٤٣) ورقم (٣٢٣٥)، وفي مسلم رقم (٢٣٧٩).

(١) أخرجه البخاري رقم (٢١٤٣) وأخرجه ابن ماجه رقم (٢١٤٩). وفي الفتح ٤/ ٤٤١: القيراط: الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم وقيل: قراريط اسم موضع بمكة. والأول أرجح.

(٢) البَزُّ: الثياب، وقيل: ضرب من الثياب، والبَزَّازُ: بائع البَزِّ وحِرْفَتُهُ البِزَازَةُ. انظر: اللسان ٥/ ٣١١ والمصباح المنير ص٤٧.

(٣) الخَرَزُ: فصوص من جَيِّد الجوهر ورديئه من الحجارة ونحوه والخَرَّاز: صانع ذلك، وحرفته الخِرازَة. انظر: اللسان ٥/ ٣٤٤ والقاموس المحيط ص٦٥٦.

وجاء في المغربية: خزازين والخَزُّ: معروف من الثياب مشتق منه، عربي صحيح، والجمع خُزُوزٌ، وبائعه خَزَّاز. انظر: النهاية ٢/ ٢٨ واللسان ٥/ ٣٤٥.

(٤) وقد ذَكر مثلَ ذلك عن جملة من الصحابة والتابعين محمدُ بن الحسن صاحب أبي حنيفة في كتابه الاكتساب ص٢٤، وعقد ابن قتيبة في كتابه المعارف فصلًا في صناعات الأشراف ذكر فيه الصحابة وغيرهم من أشراف العرب ذوي الصناعات ٢٥. والأخبار في عمل الأصحاب وتوجهم إلى الأسواق مستفيضة معلومة، منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٨) ورقم (١٩٥٦) ورقم ٢/ ٧٤٥، و رقم (١٩٦٥).

سَعدٍ، قال: ثنا مُسلِمُ بنُ إبراهيمَ، قال: ثنا هِشام الدَّسْتَوائي، قال: حدَّثنا عطاء بن السائبِ، قال: لَمَّا استُخلِفَ أبو بكرٍ ﷺ أصبَحَ غادِيًا إلى السُّوقِ ومعَهُ أثوابٌ يتَّجِرُ بِها، فَلَقِيهُ عُمرُ وأبو عُبَيدَةَ فقالا: أينَ تُرِيد؟ قال: السوقَ. قالا: تَصْنَعُ ماذا وقد وُلِّيتَ أمورَ المُسْلِمِين؟ قال: فَمِن أينَ أُطعِمُ عِيالي[١]؟

قال ابنُ سعد: وأخبَرنا أحمدُ بن عبدِ اللهِ بن يونُس، قالَ: ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ، عن عَمرِو بنِ ميمون، عن أبيه قال: لَمَّا استُخْلِفَ أبو بكرٍ جَعَلوا لهُ ألفَينِ، فقال: زِيدونِي؛ فإنَّ لي عِيالًا، وقد شَغَلْتُمونِي عنِ التِّجارةِ. فزادُوه خمسمائةٍ[٢].

قال المصنِّفُ ﷺ **قلت:** لو قال رجُلٌ للصُّوفِيَّة: مِن أين أطعِمُ عِيالي؟ لقالوا: قَد أشْركتَ! ولو سُئِلُوا عمَّن يَخرُج إلى التِّجَارةِ لقالوا: ليسَ بمتوكِّلٍ ولا مُوقِنٍ!

وكلُّ هذا لِجَهْلِهِم بمعنى التوكُّل واليَقين ولو كان أحدُهُم يُغلِقُ البابَ ويتوكَّلُ قَرُبَ أمرُ دعواهُم، ولكنَّهُم بينَ أمرَينِ:

• **إمَّا الطَّلَبُ من الناسِ**، فمنهُم مَن يَسعَى إلى الدُّنْيا مُسْتَجدِيًا، ومنهُم مَن يَبْعثُ غُلامَهم، فيدورُ بالزَّنبيلِ فيجمَع له.

• **وإمَّا الجلوسُ في الرِّباطِ** في هَيئةِ المسَاكين، وقد عَلِم أنَّ الرِّباطَ لا يَخْلو من

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ١٨٤ بإسناد مرسل رجاله ثقات كما قاله الحافظ في الفتح ٤/ ٣٠٥ والعيني في عمدة القاري ١١/ ١٨٥. ومن طريق ابن سعد أخرجه المؤلف هنا وذكره المؤلف في صفة الصفوة ١/ ٢٥٧ والزيلعي في نصب الراية ٤/ ٢٨٦ وابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ١٨٤ ومن طريقه المؤلف هنا والزيلعي في نصب الراية ٤/ ٢٨٧ وابن حجر في الدراية ٢/ ٢٤٣ وفي التلخيص ٤/ ١٩٤ وحكم على إسناده بالصحة. ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ١٦٢.

فُتُوحٍ[١] كما لا يخلو الدكانُ مِن أن يُقصدَ للبَيعِ والشِّراءِ.

أخبرنا عبدُ الوهابِ الحافظ، قال: أنبأنا أبو الحسين بن عبدِ الجبَّار، قال: أنبأنا أبو طالبٍ العَشَاري، قال: أنبأنا محمدُ بن عبدِ الرحمن المُخلِّص، قال: أنبأنا عُبَيد الله بن عبدِ الرحمن السُّكَّري، قال: ثنا أبو بكرِ بن عُبَيد، قال: حُدِّثتُ عن الهَيثمِ بن خارجَة، قال: ثنا سهلُ بن هِشام[٢]، عن إبراهيم بنِ أدهم، قال: كان سعيدُ بنُ المسيِّبِ يقول: مَن لَزِمَ المسجدَ وتركَ الحِرْفةَ وقَبِلَ ما يأتِيهِ فقد ألْحَفَ في السُّؤالِ[٣].

أخبرنا المحمَّدان: ابنُ ناصرٍ وابنُ عبدِ الباقِي، قالا: أنبأنا حمدُ بنُ أحمد، قال: ثنا أبو نُعيمٍ الحافظ، قال: سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقول: سمعتُ جدِّي إسماعيلَ بنَ محمدٍ يقول: كان أبو ترابٍ يقول لأصحابِهِ: مَن لَبِسَ منكُم مرقعةً[٤] فقدَ سألَ، ومَن قَعَدَ في خانكاه[٥] أو مسجدٍ فقد سألَ[٦].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: وقد كان السَّلفُ ينهَونَ عنِ التَّعرُّضِ لهذه الأشياءِ،

---

(١) عنى بالفتوح: مايقدم من الطعام وغيره لمن هم في الأربطة.

(٢) في المغربية: هاشم. وهو الصواب؛ كما في كتب الرجال وإصلاح المال لابن أبي الدنيا.

(٣) أخرجه بن أبي الدنيا في إصلاح المال ص٧٦ وعنه البيهقي في الشعب ٢/ ٨٣ وبنحوه أخرجه الحليمي في المنهاج ٢/ ١٢.

(٤) المُرَقَّعَةُ: مِن لُبسِ الصُّوفيَّةِ، سميت بذلك لِما بها مِن الرُّقَعِ ويعدونها لباسًا جامعًا لكل مقامات الطريقة والفقر والصفوة والخروج من هذا اللبس والتبرّؤ منه تبرؤ من الكل ولابد في مُلْبَس المرقعة أن يكون أدّب نفسه بالآداب وراضها بالمجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرع المرارات وتجاوز المقامات. انظر: كشف المحجوب ١/ ٢٥٣ وآداب المريد ص٢٨ وموسوعة مصطلحات التصوف ص٨٧٤.

(٥) الخانكاه أو الخانقاه: هي الزاوية التي يجعلها الصوفية مكانًا للانقطاع إلى الله عمَّا سواه وطلب المعرفة والتحقيق والتأمل والذكر والفكر والاستغراق وتلاوة الأوراد... وتسمّى رُبَطًا وتكيّة وغير ذلك. انظر: رحلة إلى الحق ص١٦٤ وموسوعة مصطلحات الصوفية ص٣١٨ و٤٣٥.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٤٦، وابن عساكر في تاريخه ٤٠/ ٣٤٣.

ويأمُرونَ بالكسبِ:

• فأخبرنا عبدُ الوهَّاب بن المبارك، قال: أنبأنا أبو الحسينِ بن عبدِ الجبَّار، قال: نا محمدُ بنُ عليّ بن الفتح، قال: نا محمَّد بن عبدِ الرحمن المخلِص، قال: نا عُبَيد اللهِ بنُ عبدِ الرحمن السُّكَّري، قال: ثنا أبو بكرِ بن عُبَيدٍ القرشي، قال: ثنا عليُّ بن الجَعدِ، قال: نا المسعوديُّ، عن جواب التَّيمِي، قال: قال **عُمرُ بنُ الخطَّابِ** ﷺ: يا مَعشَرَ القرَّاءِ، ارفعُوا رؤُوسَكُم، فَقَد وضَحَ الطريقُ فاستَبِقُوا الخَيراتِ، ولا تكونوا عِيالًا عَلى المُسْلِمين[1].

أخبرنا ابنُ ناصرٍ، قال: نا أبو الحسينِ بن عبدِ الجبَّار، قال: نا محمدٌ أبو القاسمِ التَّنوخِي وأبو محمدٍ الجَوهَري وأبو الخَير القَزْوِينِي، قالوا: أخبَرنا أبو عُمر بن حَيُّويَه، قال: نا محمدُ بن خَلَفٍ، قال: ثنا أبو جعفَر اليماني، قال: ثنا أبو الحَسَنِ المدائني عن محمَّد بنِ عاصمٍ، قال: بَلَغَنِي أنَّ عُمرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ كان إذا رأى فتىً فأعْجَبهُ حالُهُ سأَلَ عنهُ: هل لهُ حِرفةٌ؟ فإن قِيل له: لا. قال: سقطَ مِن عَينِي[2].

• أخبرنا إسماعيلُ بنُ أحمد، قال: نا عُمرُ بن عُبيدِ اللهِ البقَّال، قال: نا

---

(١) أخرجه علي بن الجعد في مسنده ص٢٨٥ وابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص٧٤ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٨٢، وأخرج بنحوه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٧١٦. ونحوه عن سفيان الثوري أخرجه أبو نعيم في الحلية أيضًا ٦/ ٣٨٢ والبيهقي في الشعب ٥/ ٣٦٥.

(٢) عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفًا ذكره ابن قتيبة في الغريب ٢/ ٥٤ وابن الأثير في النهاية ١/ ٣٧٠ وأخرجه الخطيب البغدادي مرفوعًا في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٩٨ من طريق فيه إسماعيل بن أبي زياد وإسماعيل بن زياد وقيل: ابن أبي زياد السكوني قاضي الموصل قال ابن عدي: منكر الحديث. وقال ابن حبان: إسماعيل بن زياد شيخ دجال لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٣١٤ والمجروحين١/ ١٢٩.

أبو الحسينِ بن بِشْران، قال: نا عُثمانُ بنُ أحمدَ الدَّقاق، قال: نا حَنْبل، قال: حدَّثني أبو عبدِ الله، قال: ثنا معاذُ بن هشام، قال: ثَني أبي، عن قَتادةَ، عن سعيدِ بنِ المسيِّب، قال: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتَّجِرونَ في تجر الشام، منهم طلحَة بنُ عُبيدِ الله وسعيدُ بنُ زيدٍ(١).

• أخبرنا عبدُ الوهَّابِ بن المُبارك، قال: نا جعفرُ بن أحمد السَّرَّاج، قال: نا عبدُ العزيزِ بنُ الحَسَن بن إسماعيل الضرَّاب، قال: نا أبي، قال: نا أحمدُ بنُ مروانَ المالِكِي، قال: نا أبو القاسمِ بن الجبلي: سألتُ أحمدَ بن حنبل فقلت: ما تقولُ في رَجُلٍ جَلَسَ في بيتِهِ أو في مسجِدِهِ وقال: لا أعمَلُ شَيئًا حتَّى يأتيَني رِزْقي؟ فقال أحمد: هذا رجلٌ جهِلَ العلمَ، أمَا سمعْتَ قولَ رسولِ الله ﷺ: «**جعلَ اللهُ رِزقِي تحتَ ظلِّ رُمْحِي**»(٢). وحديثَه الآخَر ذكر الطيرِ فقال: «**تغدُو خِمَاصًا**»(٣) فذَكر أنَّها تغدُو في طَلَبِ الرِّزقِ وقال اللهُ تعالى:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال٢/ ٤٢ وفي موضع آخر في العلل ٢/ ١٩٠، وأخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص٧٦ وابن معين في تاريخه (رواية الدوري) ٣/ ٥١ وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٣٣١ وفي الصغير ١/ ١٩٧ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٦٤: رواه الطبراني في الصغير، وأعاده بسنده في الأوسط عن بليل بن اسحاق بن بليل عن أبيه ولم أجد من ترجم لهما وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكره ابن حجر في التلخيص ٢/ ٢٢١.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٥٠ ٩٢، وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح. والحديث أخرجه البخاري تعليقًا، قال الحافظ في الفتح ٦/ ٩٨: وفي الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه وله شاهد مرسل بإسناد حسن. وهذا المرسل أخرجه ابن المبارك في الجهاد ص٨٩ عن طاووس مرسلًا. وهو كذلك مرسل عن الحسن عند سعيد بن منصور في سننه رقم (٢٣٧٠) وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٨٢٨) والإرواء رقم (١٢٦٩) وقال: صحيح.

(٣) هذا جزء من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أخرجه الإمام في مسنده ١/ ٣٠ ٥٢. قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والترمذي رقم (٢٣٤٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأخرجه ابن ماجه رقم (٤١٦٤) والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٦٦ وقال: قال الإمام أحمد ﵀: وليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنها تغدو لطلب الرزق وإنما أراد -والله تعالى أعلم- لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا ↩

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وكانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتَّجِرونَ في البَرِّ والبحرِ ويعملون في نخيلِهم، والقدوةُ بِهِم[١].

وقد ذكرنا فيما مَضَى عن أحمدَ أنَّ رجُلًا قال لهُ: أريدُ الحجَّ على التوكُّلِ، فقال له: فاخرُج في غيرِ القافِلةِ. قال: لا. قال: فعلى جُرُب الناسِ توكلتَ![٢].

أخبرنا ابنُ ناصر، قال: نا أبو الحُسينِ بن عبدِ الجبَّار، قال: نا عبدُ العزيز بن عليٍّ الأزجِي، قال: نا إبراهيمُ بن محمد بن جَعفرٍ السَّاجِي، قال: نا أبو بكرِ بن عبدِ العزيز بنِ جعفَر[٣]، قال: نا أبو بكرُ أحمد بن محمدٍ الخَلَّال، قال: نا أبو بكرٍ المَرُّوذي، قال: قلتُ لأبي عبدِ الله: هؤلاءِ المتوكِّلَةُ يقولون: نَقْعُدُ وأَرزاقُنا علَى اللهِ ﷻ! فقال: هذا قولٌ رديٌّ حدث، يقول اللهُ تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩][٤].

أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم ويغشون ويكذبون ولا ينصحون وهذا خلاف التوكل!

(١) أخرجه الدينوري في المجالسة ٣/ ١٢٣ رقم (٧٥٤) وبنحوه في ٧/ ٧٦ رقم (٢٩٤٨) وذكره الحافظ في الفتح ١١/ ٣٠٥ والعيني في عمدة القاري ٢٣/ ٦٨ وانظر: الحث على التجارة لأبي بكر الخلال ص١٥٢.

(٢) وفي المحقق ٢/ ٨٣٢. وسيأتي ص٧٠٦. والأثر أخرجه الخلال في كتابه الحث على التجارة ص١٤٢ رقم (٩٤).

وقول الإمام أحمد هذا من باب الإنكار عليه فهو متطلع لما في أيدي الناس مدعيًا التوكل فكأن الإمام أراد توبيخه وبيان خطئه لا أنه يجيز له الدخول إلى البرية ونحوها من غير زاد والآثار المروية عنه في اتخاذ الأسباب كثيرة. انظر: المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٢٣٧.

(٣) كذا في النسخ وصوابه: أبو بكر عبدُ العزيز بنُ جعفر.

(٤) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٥١ رقم (١٠٦) وجاء فيه بعد ذكر الآية: فأيش هذا إلّا البيع والشراء.

وقال: إذا قال: لا أعملُ وجِيءَ إليهِ بِشَيءٍ قد عُمِلَ واكتُسِبَ! لأيِّ شَيءٍ يقبلُهُ[١]؟!

قال الخَلَّالُ: وأخبَرنا عبدُ الله بنُ أحمدَ، قال: سألتُ أبِي عن قومٍ يقولون: نتوكَّلُ على اللهِ ولا نكتسِب، فقال: ينبغِي للناسِ كلِّهم يتوكَّلونَ على اللهِ، ولكن يعودون على أنفُسِهم بالكسبِ، هذا قولُ إنسانٍ أحمقٍ[٢].

قال الخَلَّال: وأخبَرني محمدُ بن عليٍّ، قال: نا صالحٌ أنهُ سألَ أباهُ -يعني: أحمدَ بنَ حنبلٍ- عن التوكُّلِ، فقال: التوكُّلُ حَسَنٌ، ولكن لا ينبَغِي للرَّجُلِ أن يكونَ عِيالًا على النَّاسِ، ولكِن ينبغِي أن يعمَلَ حتَّى يُغْنِيَ نفسَهُ وعيالَهُ ولا يترك العمل.

قال: وسُئِل أبي -وأنا شاهدٌ- عن قومٍ لا يعملونَ ويقولون: نحن المتوكِّلُون، فقال: هؤلاءِ مُبْتَدِعة[٣].

قال الخَلَّالُ: وأخبرنا المرُّوذِيُّ أنهُ قال لأبي عبدِ اللهِ: أنَّ ابنَ عُيَيْنَة كان يقولُ: هُم مبتدعةٌ، فقال أبو عبدِ الله: هؤلاءِ قومُ سوءٍ، يريدُونَ تعطيلَ الدُّنيا[٤].

---

(١) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٥٤ رقم (١٠٨). وقد ساقه المؤلف هنا مختصرًا.
وقول الإمام أحمد: فيه لطف. يعني: أنه إذا كان الصوفي لايرى العمل والتكسب فلأي شيء يأكل من عمل وتكسب غيره؟!

(٢) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٥٦ رقم (١٠٩) وهو في مسائل عبد الله بن الإمام أحمد ص ٤٤٨. وساقه المؤلف له هنا مختصرًا.

(٣) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٥٨ رقم (١١١) والرواية في مسائل صالح ص٧٢ وذكرها ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٢٧٠.

(٤) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٥٩ رقم (١١٢) وذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٢٧٠. أما قول ابن عيينة فقد أخرجه ابن حبان في الثقات ٨/ ٢٦٩.
وقال الإمام أحمد كما في الطبقات ص٣٠-٣١: ومن حرم المكاسب والتجارات وطيب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف؛ بل المكاسب من وجهها حلال فقد أحلها الله ﷻ ورسوله ﷺ فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف.

وقال الخلَّالُ: وأخبَرنا المرُّوذِي، قال: سألتُ أبا عبدِ اللهِ عن رجُلٍ جلسَ في بيتهِ، وقالَ: أجلسُ وأصبِرُ في البيتِ، ولا أُطْلِعُ على ذلكَ أحدًا، فقال: لو خَرجَ فاحْترفَ كان أحبَّ إليّ، فإذا جلسَ خفتُ أن يُخرِجَهُ جلوسُهُ إلى غيرِ هذا. قلت: إلى أيِّ شيءٍ يُخرِجُه؟ قال: يُخرِجُهُ إلى أن يكونَ يتوقَّعُ أن يُرْسَلَ إليهِ[(١)].

قال الخلَّال: حدَّثنا أبو بكرٍ المرُّوذِي، قال: سمعتُ رجُلًا يقولُ لأبِي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ: إنِّي في كِفايةٍ، قال: الزَم السُّوقَ تَصِلُ بهِ الرَّحِم، وتعود به على عِيالِك[(٢)].

وقال لِرَجلٍ آخر: اعمَل وتصدَّق بالفَضلِ على قَرَابَتِك[(٣)].

وقال: قد أمرتُهُم - يعنِي: أولادَهُ - أن يَخْتَلِفوا إلى السُّوقِ وأن يتعرَّضُوا للتِّجَارةِ[(٤)].

قال الخلَّالُ: وأخبَرني محمدُ بنُ الحسينِ، أنَّ الفضلَ بنَ زيادٍ حدَّثهُم، قال: سمعتُ أبا عبدِ اللهِ يأمرُ بالسوق، ويقول: ما أحسنَ الاستِغناءَ عنِ النَّاسِ[(٥)]!

وقال الخلَّال: وأخبرني يعقوبُ بنُ يوسف المُطَّوِّعي، قال: سمعتُ أبا بكرِ بن جنادٍ، يقول: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ: أحبُّ الدَّراهِمِ إليَّ: دِرهمٌ من تِجارَةٍ، وأكرَهُها عندِي: الذي مِن صِلَةِ الإخوانِ.

---

(١) أخرجه المروذي في الورع ص٢٧ وعنه الخلال في الحث على التجارة ص١٧٧ رقم (١٢٢) بأطول مما ساقه المؤلف هنا.

(٢) أخرجه المروذي في الورع ص٢٤ والخلال في الحث على التجارة ص٢٥ رقم (١) ونقله ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ١٦٩ وفيه: وتعود به على نفسك.

(٣) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص٢٦ رقم (٢).

(٤) أخرجه المروذي في الورع ص٢٥ وعنه الخلال في الحث على التجارة ص٢٧ رقم (٣).

(٥) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص٢٧ رقم (٤).

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وكان إبراهيمُ بن أدهمَ يحصُدُ(١)، وسلمان(٢) الخوَّاص يلقُطُ(٣)، وحذيفةُ المَرعشِي يضربُ اللَّبن(٤).

قال ابنُ عقيلٍ: التسبُّب لا يقدَحُ في التوكُّلِ؛ لأنَّ تعاطِي رُتبةٍ ترقى على رُتَبِ الأنبياءِ نقصٌ في الدِّينِ.

ولَمَّا قيل لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، خرجَ، ولَمَّا جاعَ واحتاجَ إلى عِفَّةِ نفسِهِ أجَّر نفسَهُ ثمان سِنين.

وقال الله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]؛ وهذا لأنَّ الحرَكَة استعمالٌ لِنعمةِ اللهِ، وهِي القوى فاستعمِل ما عِندَكَ ثمَّ اطلُب ما عِندهُ.

وقد يطلبُ الإنسانُ من ربِّهِ ويَنْسى ما لَهُ عندَهُ من الذَّخائِر، فإذا تأخَّر ما يَطْلُبُهُ تسخَّطَ.

---

(١) ذَكَرَ أبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٨٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٣٠٢ وابن قدامة في المغني ٥/ ٢٦٩ عملَ إبراهيم بن أدهم في الحصاد.

(٢) في (ت): وسليم الخواص. وفي المغربية: سليمان الخواص. وهو الصواب.

(٣) هما رجلان: **فالأول**: سليمان الخواص من العابدين الكبار بالشام يقال: إن سعيد بن عبد العزيز زاره فأعطاه دراهم فردها وقال: أكره أن أعود نفسي مثل دراهمك فمن لي بمثلها إذا احتجت. فبلغ ذلك الأوزاعي فقال: دعوه، فلو كان في السلف لكان علامة. انظر: الحلية ٨/ ٢٧٦ والسير ٨/ ١٧٨.

والثاني كما في (ت): سَلْم بن ميمون الخواص وهو أصغر من سليمان الخواص قال أبو حاتم: أدركته ولم أكتب عنه وقال ابن حبان: كان من كبار عباد أهل الشام غلب عليه الصلاح حتى غفل عن حفظ الحديث وإتقانه. بقي سلم إلى ما بعد سنة ٢١٣هـ انظر: الحلية ٨/ ٢٧٧ وسماه هناك سالم والمجروحين ١/ ٣٤٥ والسير ٨/ ١٧٩ والميزان ٣/ ٢٦٦.

والأظهر أنه الأول وأخرج عمله في اللقط أبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٧٣ بإسناده قال: كان الحصاد أحب إلى إبراهيم من اللقاط وكان سليمان الخواص لا يرى باللقاط بأسًا ويلقط.

(٤) أخرج عمل هؤلاء الثلاثة أبو بكر الخلال في الحث على التجارة ص٥٤ رقم (٢٦).

فَتَرى بعضَهُم يملِكُ عقارًا وأثاثًا، فإذا ضَاقَ به القوتُ واجتمَعَ عَلَيهِ دَينٌ، فقيل له: لو بِعتَ عَقَارَكَ، قال: كيف أحلُّ عَقارِي وأُسقِطُ جَاهِي؟! وإنَّما يفعلُ هذهِ الحماقات للعاداتِ.

وإنما قعدَ أقوامٌ عنِ الكسبِ استِثْقالًا لهُ، فكانوا بينَ أمرَينِ قبيحَينِ:

- **إمَّا تَضْييعُ العِيالِ**، فتركوا فريضةً.
- **أو التَّزَيُّنُ** باسمِ متوكلٍ، فيحِنُّ عليهِم المكتَسِبونَ، فَيُضَيِّقوا على عِيالِهِم لأجْلِهِم.

وهذه الرَّذيلةُ لم تدخلْ قطُّ إلَّا على دنيءِ النفسِ، وإلَّا فالرجلُ كلُّ الرجلِ مَن لم يضيع جوهرَهُ[1] الذي أودعهُ اللهُ إيثارًا للكسلِ، أو لاسمٍ يتزيَّنُ بهِ بينَ الجُهَّالِ، فإنَّ اللهَ تعالى قد يَحرِمُ الإنسانَ المالَ ويرزُقُه جَوهرًا يتسبَّبُ بهِ إلى تحصيلِهِ.

فصل:

قال المصنِّفُ: وقد تشبَّثَ القاعدونَ عنِ الكسبِ بتَعلُّلاتٍ قبيحةٍ:

- **منها**: أنَّهم قالوا: لابدَّ أن يصلَ إلينا رزقُنا!

وهذا في غايةِ القُبحِ، فإنَّ الإنسانَ لو تَركَ الطَّاعةَ وقال: لا أقدِر بطاعتِي أن أُغَيِّر ما قَضَى اللهُ علَيّ، فإن كنتُ من أهلِ الجنَّةِ فأنا إلى الجنَّةِ أو من أهلِ النَّارِ فأنا من أهل النَّار! قلنا له: هذا يردُّ الأوامرَ كلَّها، ولو صحَّ لأحدٍ لَم يخرُج آدمُ من الجنَّةِ؛ لأنَّهُ كان يقولُ: ما فعلتُ إلا ما قضَى. ومعلومٌ أنَّنا مطالبون بالأمرِ لا بالقَدَرِ.

---

(١) الجوهر: جَوْهَرُ كلّ شيء ما خلقت عليه جبلته وهو يطلق عند الفلاسفة على معان منها: الموجود القائم بنفسه حادثًا كان أو قديمًا ويقابله العرض. انظر: الجواب الصحيح ٣/ ٢٠٤-٢٠٥ والمصباح المنير ص١١٣ ومعجم ألفاظ العقيدة ص١٣٠.

• **ومنها:** أنَّهم يقولون: أينَ الحلالُ حتى يُطْلَب؟!

وهذا قولُ جاهلٍ، فإنَّ الحلالَ لا ينقَطِعُ أبدًا، قالَ ﷺ: «**الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ**»[(١)].

ومعلومٌ أنَّ الحلالَ: ما أذنَ الشَّرْعُ في تناوُلِهِ، وإنما قولُهُم هذا احتجاجٌ للكَسَلِ.

• **ومنها:** أنَّهُم قالوا: إذا كَسَبنَا أعنَّا الظَّلَمَةَ والعُصاة، مثل:

○ ما أخبرنا به عُمرُ بن ظَفَر، قال: نا جَعفرُ بنُ أحمد، قال: نا عبدُ العزيزِ ابن عليٍّ، قال: نا ابن جَهْضَم، قال: نا عليُّ بن محمدٍ السيرَواني، قال: سمعتُ **إبراهيمَ الخوَّاص** يقول: طلبتُ الحلالَ في كلِّ شَيءٍ حتى طَلَبتُهُ في صَيدِ السَّمكِ، فأخذتُ قصبةً وجعلتُ فيها شَعرًا، وجلَستُ على الماءِ، فألقَيتُ الشّبص[(٢)] فخَرجَت سمكَةٌ فَطَرحْتُها على الأرضِ، وألقَيتُها الثَّانيةَ فخرجَت لي سَمكةٌ، فأنا أطْرَحُها ثالِثةً، إذا مِن ورائِي لَطْمةٌ لا أدْرِي مِن يَدِ مَن هِي، ولا رأيتُ أحدًا، وسمعتُ قائِلًا يقولُ: أنتَ لم تُصِبْ رِزقًا في شَيءٍ إلَّا أن تَعْمَدَ إلى مَن يذكُرُنا فَتَقْتُلَهُ. قال: فقطَعْتُ الشّعرَ وكسرتُ القَصْبَةَ وانْصرَفتُ[(٣)]!

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٢) ورقم(٢٠٥١) ومسلم رقم (١٥٩٩) وأبو داود رقم (٣٣٢٩) و(٣٣٣٠) والترمذي رقم (١٢٠٥) وقال: حسن صحيح. وأخرجه النسائي ٧/ ٢٤١ وابن ماجه رقم (٣٩٨٤) والإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٦٩، وغيرهم.

(٢) في (ت): الشص. الشَّبَصُ: الـخُشونةُ ودخولُ شوكِ الشجرِ بعضه فـي بعض وقد تَشَبَّص الشجر: أي اشتبك. فكأنه أراد شعر الشبكة لتداخل بعضها ببعض. انظر: اللسان ٧/ ٤٤ والقاموس المحيط ص٨٠١. وعلى نسخة (ت): الشَّصُّ: بالكسر والفتح حديدة عقْفَاءُ يُصاد بها السمَك. انظر: النهاية ٢/ ٤٧٢ واللسان ٧/ ٤٨.

(٣) أخرجه المؤلف من هذا الطريق ومن طريق أخرى بنحوه كما سيأتي في الذي يليه. وأخرج نحوه ابن جهضم في أخبار الصالحين وحكاياتهم ق/ ٧٧ وهو كتاب مخطوط في جامعة أم القرى مصور ضمن ﴿

○ أنبأنا أبو المظفَّرِ عبد المنعِمِ بن عبدِ الكريم القُشَيري، قال: ثنا أبي، قال: سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ، يقول: سمعتُ أبا بكرٍ الرَّازيَّ، يقول: سمعتُ أبا عُثمانَ بنَ الأدمِيِّ، يقول: سمعت إبراهيمَ الخوَّاص، يقول: طلبتُ المعاشَ لآكُلَ الحلالَ فصِدْتُ السَّمَكَةَ، فوقعتْ في الشَّبكةِ سمَكةٌ فأخرَجْتُها، وطرحتُ الشَّبكةَ فوقعَتْ أخرَى فيها، فرمَيتُ بِها، ثمَّ عُدتُ فهتَفَ بي هاتِفُ: لَمْ تجِدْ معاشًا إلَّا أن تأتِيَ مَن يَذكُرُنا فتَقتُلَه؟ فكَسَرتُ القَصْبَةَ وتركتُ الاصْطِيادَ[1].

قال المصنِّفُ ﷺ: **قلت**: هذه القصَّةَ إنْ صحَّت فإنَّ في الرِّوايَتَينِ بعضَ مَن يُتَّهم، فإنَّ اللَّاطِمَ إبليسُ، وهُو الذِي هتَفَ به؛ لأنَّ اللهَ تعَالى أباحَ الصَّيدَ، فلا يُعاتَبُ علَى ما أباحَهُ، وكيفَ يُقالُ له: تعمَدُ إلى مَن يذكُرُنا فتَقتُلَه، وهو الذي أباحَ قَتلَهُ!

وكسبُ الحلالِ ممدوحٌ ولو تركْنَا الصيدَ وذبْحَ الأنعامِ لأنَّها تَذْكُرُ اللهَ تعالى لم يكُنْ لنا ما يُقيمُ قُوى الأبدانِ؛ لأنَّه لا يُقِيمُهَا إلَّا اللَّحمُ، فالتَّحرِّي مِن أخْذِ السَّمكِ وذبْحِ الحيوانِ مَذهبُ البَراهِمَة.

فانظُر إلى الجَهلِ ما يَصنعُ، وإلى إبليسَ كيفَ يَفعَلُ!

● أخبَرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليٍّ بن ثابتٍ، قال: أنبأنا عبدُ العزيز بن عليٍّ الأزْجِي، قال: حدثنا عليُّ بن عبدِ اللهِ الهَمَذاني، قال: حدَّثنَا محمدُ بن جعفر، قال: حدثنا أحمدُ بن عبدِ الله بن عبد الملك، قال: سمعتُ شيخًا يكنى أبا أيوب، يقول: قيل لِفتح الموصِلي: أنتَ صيَّادٌ بالشَّبكةِ، ألا تصطادُ لِعيالِكَ؟ فقال: أخافُ أن أصطادَ مُطِيعًا للهِ تعالى في جوفِ الماءِ فأُطعِمُهُ عاصِيًا للهِ على وجهِ الأرضِ[2]!

مجاميع الظاهرية ٤/٦٧٣ من ورقة ٦٦-٩٢ وهذا مع الأسف يعتبر الجزء السادس من الكتاب، ولا أعلم لبقية الكتاب وجودًا، إذ وجوده يغني في كثير من الأخبار التي أخرجها المؤلف من طريقه.

(١) أخرجه القشيري في الرسالة ص١٨٢ أو ١/ ٤٥٢.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٢/ ٣٨١ ومن طريقه المؤلف هنا.

قال المصنِّفُ رحمه الله: قلت: وهذه الحكايةُ إن صحَّت عن فَتحٍ فهو مِن التعلُّلِ البَارِدِ المُخَالِفِ للشَّرعِ والعقلِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى أباحَ الكسبَ وندَبَ إليهِ، فإذا قال قائِلٌ: ربَّما خبزْتُ خُبزًا فأكَلَهُ عاصٍ، كان حديثًا فارغًا؛ لأنه يَجوزُ لنا أن نبيعَ الخُبزَ لليَهودِ[1].

(١) جاء في (ت): اللَّهم وفِّقْنا لِما يُرضِيكَ عنَّا بِرحمتِكَ.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التداوي

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يختلفُ العلماءُ أنَّ التداويَ مباحٌ، وإنَّما رأى بعضُهم أنَّ العزيمةَ تركُه وقد ذكرنا كلامَ الناسِ في هذا، وبيَّنا ما اخْترنا فِي «كتابِ لقطِ المنافِعِ»(١) في الطِّبِّ.

والمقصودُ هاهُنا أنا نقول: إذا ثبتَ أنَّ التداويَ مباحٌ بالإجماعِ، مندوبٌ إليهِ عند بعضِ العلماءِ، فلا يُلتفَتُ إلى قولِ قومٍ قد رَأَوْا أنَّ التداويَّ خارجٌ عنِ التَّوكُّلِ؛ لأنَّ الإجماعَ أنهُ لا يُخرِجُ من التوكُّلِ(٢).

وقد صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه تداوَى، وأمرَ بِالتَّداوِي(٣)، ولم يَخرُج بذلِكَ من

(١) ذكر هذا الكتاب المؤلف لنفسه في صيد الخاطر ص٩١ والذهبي في ترجمته للمؤلف في السير ٢١/ ٣٧٥ وكذا حاجي خليفة واختصره المؤلف وسماه: «مختار المنافع». انظر: كشف الظنون٢/ ١٥٦٠ ومؤلفات ابن الجوزي ص١٩٥. والكتاب مطبوع.

(٢) وقد تقدم قريبًا قول الإمام ابن القيم: وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل.. انظر: زاد المعاد ٤/ ١٥ أو الطب النبوي ص١٠ ولمزيد بيان في مسألة التداوي انظر: التمهيد ٥/ ٢٦٥ وشرح النووي لمسلم ٣/ ٩٠.
وليعلم أن التداوي في الجملة مباح وهناك من رأى أن تركه أفضل وهو المشهور عن الحنابلة قالوا: لأنه أقرب إلى التوكل. انظر: المبدع ٢/ ٢١٣ والروض المربع ١/ ٣٢١.
ولجملة من الأحاديث والآثار كحديث ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري رقم (٥٣٢٨) ومسلم رقم (٢٥٧٦): تنازع العلماء أيها أفضل التداوي أم الصبر، قال شيخ الإسلام في الفتاوى ٢١/ ٥٦٤: ولست أعلم سالفًا أوجب التداوي وإنما كان كثير من أهل الفضل والمعرفة يفضل تركه تفضلًا واختيارًا لما اختار الله ورضي به وتسليمًا له وهذا المنصوص عن أحمد وإن كان من أصحابه من يوجبه ومنهم من يستحبه ويرجحه كطريقة كثير من السلف استمساكًا لما خلقه الله من الأسباب وجعله من سنته في عباده. ولمزيد إيضاح في حكم التداوي ورأي الأئمة فيه انظر: روضة الطالبين ٢/ ٩٦ وكشاف القناع ٢/ ٧٦ والإنصاف ٢/ ٤٦٣ والفتاوى ٢٤/ ٢٦٩.

(٣) يستفاد هذا من الحديث المخرج عند الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨ والترمذي رقم (٢٠٣٨) وقال: وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي خزامة عن أبيه وابن عباس وهذا حديث حسن صحيح. وأبو ⇜

التَّوكل، ولا أخرجَ مَن أمَرَهُ أن يَتَداوى مِن التوكُّل.

وفي الصحيح من حديثِ عُثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ رخَّصَ إذا اشتكى المُحرِم عينَه أن يُضَمِّدَها بالصَّبر[(١)].

قال ابنُ جريرٍ الطبَري: وفي هذا الحديثِ دليلٌ على فسادِ ما يقولُهُ ذَوُو الغباوَةِ مِن أهلِ التَّصوُّفِ، مِن أنَّ التوكلَ لا يصحُّ لأحدٍ عالج عِلَّةً بهِ في جسده بِدواءٍ؛ إذ ذاكَ عِندهم طلبُ العافيةِ مِن غَير مَن بِيدِه العافِيةُ والضُّر والنَّفع.

وفي إطلاقِ النبي ﷺ للمُحرِمِ علاجَ عَينَيهِ بالصبرِ لِدفعِ المكروهِ أدلُّ دليلٍ على أنَّ مَعنى التوكُّلِ غيرُ ما قالهُ الذينَ ذكرنا قولَهُم، وأنَّ ذلكَ غيرُ مُخرِجٍ فاعلَهُ مِن الرِّضا بقضاء الله عز وجل، كما أنَّ مَن عرض له كَلِبُ الجوع لا يُخرِجه فزَعهُ إلى الغِذاءِ من التَّوكلِ والرضا بالقضاءِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يُنزِل داءً إلَّا أنزلَ له دواءً، إلَّا الموت[(٢)]،وجَعل أسبابًا لِدفعِ الأَدواءِ، كما جعل الأكلَ سببًا لدفع الجوعِ، وقد كان قادرًا أن يُحيِيَ خلقهُ بِغيرِ هذا، ولكنَّه خلقهم ذَوِي حاجةٍ، فلا يَندفع عنهم أذى الجوعِ إلَّا بما جعلهُ سببًا لدَفْعِهِ عنهم، فكذا الدَّاء العارض.

داود رقم (٣٨٥٥) وابن ماجه رقم (٣٤٣٦) والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٤٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ٤٩: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وانظر ما تقدم ص٦٤٨.

(١) أخرجه مسلم رقم (١٢٠٤) وأخرجه أبو داود رقم (١٨٣٨) و الترمذي رقم (٩٥٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي ٥/ ١٤٣ والإمام أحمد بن حنبل ١/ ٥٩ و٦٥ و٦٩ وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ١٨٦ وابن أبي شيبة ٣/ ١٨٣ والبيهقي في الكبرى ٥/ ٦٢.

(٢) هذه إشارة لحديث مروي من طريق شبيب بن شيبة أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٣١ والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٠١ وقال الألباني عنه في تخريج الحلال والحرام رقم (٢٩٢): وهذا إسناد حسن في الشواهد رجاله كلهم ثقات، غير شبيب هذا، هو صدوق يهم في الحديث كما قال الحافظ في التقريب. وقال في الصحيحة رقم (١٦٥٠): والحديث بشواهده صحيح.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوحدة والعزلة

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: كان خيارُ السلفِ يؤثرون الوحدَةَ والعُزلَةَ عن الناسِ؛ اشتغالًا بالعلمِ والتَّعبُّدِ، إلَّا أن عُزلةَ القومِ لم تقطعهُم عن جُمُعةٍ ولا جَماعَةٍ، ولا عِيادةِ مريضٍ، ولا شهودِ جنازةٍ، ولا قيامٍ بِحقٍّ، وإنما هيَ عُزلةٌ عن الشرِّ وأهلِهِ، ومخالطةِ البطَّالين.

وقد لبَّس إبليسُ على جماعةٍ من المتصوِّفةِ، فمنهم من اعتزلَ في جَبلٍ، كالرُّهبانِ[1]، يَبيتُ وحدَهُ ويُصبِحُ وحدَهُ، ففاتتهُ الجُمُعةُ والجماعةُ ومخالطةُ أهلِ العِلمِ، وعمومُهُم اعتزلَ في الأربِطةِ، ففاتَهم السَّعيُ إلى المساجِدِ، وتوطؤوا فُرُشَ الرَّاحةِ، فتركوا الكَسْبَ[2].

---

(١) الرُّهبان: جمع رَاهب النَّصارَى وقد يقَع على الواحِد ويُجمع على رَهابِين ورَهابِنَة ورَهْبانُون ومَصْدَرُهُ: الرَّهْبَةُ والرَّهْبَانِيَّةُ أو الرُّهْبَانُ. وأصلُ الرهبانيَّة من الرَّهْبة ثم صارت اسمًا لما فضل عن المِقْدار وأُفْرِطَ فيه. والرُّهبان: كانوا يترَهَّبون بالتَّخلِّي من أشْغال الدُّنْيا وتَرْكِ مَلاذِّها والزُّهْد فيها والعُزْلة عن أهْلها وتعمُّد مشاقِّها. وإن ترك الرهبان الدنيا وزَهدوا فيها وتخلَّوا عنْها فلا تَرْك ولا زُهْد ولا تَخَلِّي أكثر من بَذْل النفْس في سبيل الله وكما أنه ليس عند النَّصارى عملٌ أفضلُ من التَّرهُّب ففي الإسلام لا عَمَلَ أفضلُ من الجهَادِ في سبيل الله. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٤٥ والنهاية في الغريب ٢/ ٦٦٩.

(٢) والعزلة المشروعة التي دعا إليها جمع من السلف ليس معناها مفارقة الناس في الجمع والجماعات وترك حقوقهم في العبادات وإفشاء السلام ورد التحيات وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم وصنائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم.. إنما يراد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها التي جدير ألّا يحمد غبها وتستوخم عاقبتها. وبهذا يُلحظ الفرق بين العزلة الشرعية وبين ما أحدثه المبدعة ممن يذكرهم المؤلف من الصوفية. انظر: العزلة للخطابي ص١١ ولمزيد إيضاح في حكم العزلة ومباحثها انظر: كتاب العزلة للخطابي والعزلة لابن أبي الدنيا ومقدمة محققه ص٦-٢٦ والأمر بالعزلة في آخر الزمان لابن الوزير.

ومما ينبغي أن يعلم أن ما وقع من مدح العزلة أو مدح المخالطة من كلام العلماء فليس ذلك على إطلاقه بل حكاية غالب أحواله فلا تغتر بذلك إذ لكل شخص حال ولكل حال مقال. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٦٧ والفتاوى ١٠/ ٤٢٥.

• وقد قال أبو حامدٍ الطُّوسِي في كتابِ الإحياءِ: مقصودُ الرياضةِ[1] تفريغُ القلبِ، وليس ذلك إلَّا بالخَلْوَةِ فِي مكانٍ مُظلِمٍ! وقال: فإن لم يكن في مكانٍ مظلِمٍ، فيلفُّ رأسَهُ في جَيبِه، أو يتدثَّرُ بكِساءٍ أو إزارٍ ففي مِثلِ هذه الحالةِ يسمَعُ نِداءَ الحقِّ، ويُشاهِد جَلالَ الحضرَةِ الرُّبوبيَّة![2]

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: انظر إلى هذه الترتيباتِ، وأعجب كيفَ تصدُرُ مِن فقيهٍ! ومِن أين لهُ أنَّ الذي يَسمَعُهُ نداءُ الحقِّ؟! وأنَّ الذي يشاهدهُ جلالُ الرُّبوبِيَّة؟! وما يؤمنه أن يكونَ ما يَجدُ مِن الوَساوِس والخَيالاتِ الفاسِدةِ، وهذا الظاهِر ممن يَستَعمِل التقلُّلَ في المطعم، فإنهُ يغلِبُ عليهِ المالَيْخُولْيَا[3].

وقد يسلمُ الإنسانُ في مثلِ هذه الحالة من الوساوسِ، إلَّا أنهُ إذا تَغشَّى بثوبِهِ وغمَّض عينيهِ تخايلَ الأشياءَ؛ لأن في الدِّماغِ ثلاثَ قُوى: قوة يكونُ بها التخيُّلُ، وقوة يكونُ بها الفكرة، وقوة يكونُ بها الذِّكر، وموضعُ التخيُّل البطنان المقدَّمانِ من بطونِ الدِّماغِ، وموضعُ الفِكرِ البطنُ الأوسط من بطون الدماغ، وموضع الحفظ المؤخَّر، فإذا أطرَقَ الإنسان وغمض عينيه جال الفكرُ والتَّخَيُّلُ فيرى خيالاتٍ،

---

(١) ذكر أهل التصوف عدة معان وطرق للرياضة وحصولها وبعضهم فرق بينها وبين المجاهدات: فجعل المجاهدات بما يرجع إلى الأمور البدنية والرياضات بما يرجع إلى الأمور النفسانية وعلى كل حال فعامة تعاريفهم للرياضة يرجع إلى ترك الحظوظ ومخالفة مقتضى الطبع حتى إذابلغت به الرياضة حدًّا ما، عنت له خلسات من اطلاع نور الحق عليه وهو المسمى عندهم أوقاتًا ثم إنه لتكثر عليه الغواشي إذا أمعن في الارتياض. انظر لمزيد بيان: روضة التعريف بالحب الشريف ص٩ وجامع الأصول في الأولياء ص٥ والإشارات والتنبيهات ص٣ والتعريفات لابن عربي ص١٦ والفتوحات المكية ٢/ ١٢ والإحياء ٣/ ٦٦ وموسوعة مصطلحات التصوف ص٤٢٩-٤٣١.

(٢) الإحياء ٣/ ٧٦.

(٣) المَالَيْخُولْيَا: ضرب من الجنون وهو أن تحدث بالإنسان أفكارٌ رديئةٌ ويغلبهُ الحزنُ والخَوْفُ وربما صَرَخَ ونطق بتلك الأفكار وخَلَّطَ في كلامه. انظر: فقه اللغة ص١٦٤. وتاج العروس ٤/ ٦١ ١٧/ ٤٦.

فيظنُّها ما ذَكَر من حضرة جلالِ الربوبية إلى غير ذلك، نعوذ بالله من هذه الوساوِس والخيالاتِ الفاسدة!

• أخبرنا محمدُ بن أبي القاسِمِ، قال: أنبأنا رزقُ اللهِ بن عبد الوهَّابِ، قال: أنبأنا أبو عبد الرَّحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا بكرٍ البَجَلِي، يقولُ: سمعتُ أبا عثمان بن الأدمي، يقول: كان **أبو عُبَيدٍ البسرِي** إذا كانَ أولُ يومٍ من رَمضَان، يدخُل البيتَ ويقول لامرأتِهِ: طَيِّنِي بابَ البيتِ، وألقِي إليَّ كلَّ ليلةٍ من الكوَّةِ رغيفًا. فإذا كان يومُ العيدِ دخلتُ فوجدتُ ثلاثين رغيفًا في الزَّاويةِ، ولا أكلَ ولا شرب، ولا يتهيَّأ للصَّلاةِ، ويبقى على طُهرٍ واحدٍ إلى آخِر الشَّهرِ(١)!

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **قلت**: هذه الحكايةُ عندي بعيدةٌ عن الصحَّةِ مِن وجهين:

أحدُهما: بقاءُ الآدمِيِّ شهرًا لا يُحْدِث ولا يتوضَّأ.

والثاني: تركُ المسلمِ لصلاةِ الجُمُعةِ، وهى واجبةٌ لا يحِلُّ تركها، والجماعة.

فإن صحَّت هذه الحكاية فما أبْقَى إبليسُ لهذا في التَّلبيس بقيَّة!

• أنبأنا زاهِرُ بنُ طاهرٍ، قال: أنبأنا أحمدُ بنُ الحسينِ البيهقِي، قال: نا الحاكمُ أبو عبدِ اللهِ النَّيسابُوري، قال: وسمعتُ **أبَا الحسنِ البُوشَنْجِيّ** الصُّوفِي غيرَ مرَّةٍ، يُعَاتَبُ في تركِ الجماعَةِ والجُمُعاتِ والتَّخَلُّفِ عنها، فيقول: إن كانت الفضيلةُ في الجَماعةِ، فإنَّ السَّلامةَ في العُزلَةِ(٢)!

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٢٨١ وذكره القشيري في الرسالة ٢/ ٦٨١ وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٩٠ والسراج في اللمع ص٢١٧ وعنده دون قولها: ولا أكل ولا شرب..

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٧، وأخرج البيهقي في الزهد ٢/ ٩٤ رقم (١٢٥)، وكذا في الحلية ٥/ ١٨٠. وبرقم (١٢٤)، وكذا ابن حبان في روضة العقلاء ص٨٥، ومن طرق أخرى أخرجه ﴿

فصل:

وقد جاءَ النَّهيُ عنِ الانفرادِ الموجِبِ للبُعدِ عنِ العلمِ والجِهادِ للعدوِّ:

أخبرنا ابن الحصَين، قال: أخبرنا أبو علي بن المذهب، قال: أنا أبو بكرِ بنُ مالِك، قال: نا عبد الله بن أحمدَ، قال: حدَّثَني أبي، قال: نا أبُو المغِيرةِ، قال: نا مُعان بنُ رِفاعَة، قال: حدَّثني علِيُّ بن يزيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أمامةَ، قال: خَرجنَا معَ رسولِ الله ﷺ في سريَّةٍ مِن سراياهُ، قال: فمرَّ رجلٌ بِغارٍ فيهِ شَيءٌ مِن ماءٍ، قال: فحدَّثَ نفسَه بأن يُقيمَ في ذلِك الغارِ فيَقُوتُهُ ما كانَ فِيهِ مِن ماءٍ[1]، ويُصيبُ ما حَولَه من البَقلِ، ويتخلَّى من الدُّنيَا، ثمَّ قال: لو أني أتيتُ نَبيَّ الله ﷺ فذكرتُ ذلكَ لهُ، فإن أذِن لي فعلْتُ وإلَّا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبيَّ الله إني مررتُ بغارٍ فيهِ ما يقوتُني من الماءِ والبقلِ، فحدَّثتني نفسِي بأن أقِيم فيهِ وأتخلَّى من الدُّنيا. قال: فقال ﷺ: «**إني لم أُبعَث باليهودِيَّةِ ولا بالنَّصرانيةِ، ولكني بُعِثتُ بالحنيفية السَّمحة**[2]، **والذي نفسُ**

ابن أبي الدنيا في العزلة ص٦٤ رقم (٢٦) ومراد مكحول من الجماعة مخالطة الناس لا صلاة الجماعة كما يدل على ذلك روايات الأثر.

ومن المعلوم أنه لا يجوز ترك الجمع والجماعة ومن جعل الانقطاع عنهما دينًا لم يكن على دين المسلمين بل يكون من جنس الرهبان الذين يتخلون بالصوامع والديارات والواحد من هؤلاء قد يحصل له بسبب الرياضة أو الشياطين بتقريبه إليهم أو غير ذلك نوع كشف، وذلك لا يفيده بل هو كافر بالله ورسوله ﷺ، والله تعالى إنما يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. انظر: الفتاوى ١١/ ٦٢.

(١) زاد في (أ): ما كان فيه [وفيه شيء] من ماء.

(٢) الحنِيفيَّةُ السَّمْحَةُ: يُقَالُ هِي شَرِيعَةُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَيُقَالَ: الحَنِيفُ: المُسْلِمُ، والجَمْعُ الحُنَفَاءُ؛ لأنَّه تحنَّف عَنْ الأَدْيَانِ وَمَالَ إلى الحقِّ والسمحة أي: السهلة قوله: مكانًا سمحًا أي: سهلًا أي: أنها مبنيةَ على السهولة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. انظر: غريب الحديث للحربي ١/ ٢٩١ وفتح الباري ١/ ١٣٤ وعمدة القاري ١/ ٢٣٥.

محمدٍ بيدهِ لَغَدوةٌ أو رَوحَةٌ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من الدُّنيا وما فِيها، ولَمُقامُ أحدِكُم في الصَّفِّ خيرٌ من صلاتِهِ ستِّين سَنَة»[١].

قال ابن القيم رحمه الله: جمع بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفة في التوحيد سمحة في العمل وضد الأمرين الشرك وتحريم الحلال. فيعبد سبحانه بما أحبه ويستعان على عبادته بها أحله. فهذه الحنيفية سمحة لا ضيق فيها ولا حرج لم تأمر بشيء فيقول العقل: لو نهت عنه لكان أوفق ولم تنه عن شيء فيقول الحجى: لو أباحته لكان أرفق بل أمرت بكل صلاح ونهت عن كل فساد وأباحت كل طيب وحرمت كل خبيث فأوامرها غذاء ودواء ونواهيها حمية وصيانة وظاهرها زينة لباطنها وباطنها أجمل من ظاهرها شعارها الصدق وقوامها الحق وميزانها العدل وحكمها الفصل لا حاجة بها ألبتة إلى أن تكمل بسياسة ملك أو رأي ذي رأي أو قياس فقيه أو ذوق ذي رياضة أو منام ذي دين وصلاح بل لهؤلاء كلهم أعظم الحاجة إليها ومن وفق منهم للصواب فلاعتماده وتعويله عليها فقد أكملها الذي أتم نعمته علينا بشرعها. انظر: إغاثة اللهفان ١/ ١٥٨ وإعلام الموقعين ٣/ ٢٠٧ وشفاء العليل ١/ ٣٠٣.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٦٦ والمعجم الكبير ٨/ ٢١٦ والهيثمي في المجمع ٥/ ٢٧٩ وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف. وقال العيني في عمدة القاري ١٤/ ٩٢: إسناده ضعيف. وأخرجه الترمذي رقم(١٦٥٠) عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن. وأخرجه الإمام أحمد ٢/ ٤٤٦ ٥٢٤ والحاكم في المستدرك ٢/ ٧٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال في المجمع ٥/ ٢٨٠: رجاله ثقات. وقال محقق المسند ١٥/ ٤٧٤: إسناده حسن.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس[١].

قال المصنِّفُ رحمه الله: إذا سكنَ الخوفُ القلبَ أوجبَ خشوعَ الظَّاهِرِ، فلا يَملِكُ صاحبُهُ دَفعَهُ، فتراه مطرِقًا متأدِّبًا متذلِّلًا، وقد كانوا يَجتَهِدونَ في سَترِ ما يَظهَرُ من ذلك، وكان محمدُ بن سِيرينَ يضحكُ بالنَّهارِ ويَبْكِي باللَّيلِ[٢].

ولَسْنَا نأمُرُ العالِمَ بالانبساطِ بينَ العوامِّ، فإنَّ ذلك يؤذيهم، فقد روينا عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: إذا ذكرتُم العِلمَ فاكظِمُوا عليهِ، ولا تخْلِطُوهُ بضَحِكٍ، فتمَجَّهُ القلوبُ[٣].

ومثلُ هذا لا يُسمَّى رياءً؛ لأنَّ قلوبَ العوامِّ تضيقُ عنِ التَّأويلِ للعالِمِ إذا تفَسَّح في المُباحِ، فينبَغِي أن يلقاهُم بالصَّمتِ والأدَبِ، وإنَّما المذمومُ تكلُّفُ التخاشُعِ والتَّباكِي، ومطأطأ الرأسِ؛ ليُرى الإنسانُ بعينِ الزُّهدِ، والتهيُّؤ للمُصافَحَةِ وتقبيلِ اليد، وربَّما قيل له: اُدعُ لنا! فيتهيَّأ للدُّعاءِ، كأنه يستنزلُ الإجابة!

وقد ذكرنا عن إبراهِيمَ النَخَعِي أنهُ قيل له: ادعُ لنا، فكرِهَ ذلكَ واشتدَّ عليهِ[٤].

---

(١) النَّامُوس: وِعاء العِلْـم وقيل: النامُوس صاحب سِرّ الـخير، والـجاسُوسُ صاحب سِرّ الشر، وقيل: الناموس هو الشرع الذي شرعه الله. ولعل الأخير أقربها لمراد المؤلف. انظر: النهاية ٥/ ١١٨ والتعريفات ص٣٠٧ واللسان ٦/ ٢٤٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص٣٠٧ وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٧٢ وابن أبي الدنيا في مداراة الناس ص٦٧ والمؤلف في صفة الصفوة ٣/ ٢٤٧.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٥٢ والإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٥٤٢ وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٠٠ وأخرج ابن المبارك في الزهد ص٩١ وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٦٨ مثله عن سفيان الثوري.

(٤) نقله السيوطي عن المؤلف في الأمر بالاتباع ص٢٠١ وعن طاوس أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٩٠٩.

وليعلم أن طلب الدعاء مشروع من كل مؤمن لكل مؤمن ويدل على ذلك أمر النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له، كما في صحيح مسلم رقم (٢٥٤٢). وإن كان الطالب أفضل من

←

وقدْ كانَ في الخائِفينَ مَن حَملهُ الخوفُ علَى شدة الذُّلِّ والحياءِ، فلَم يرفَع رأسَهُ إلى السَّماء، وليس هذا بفضِيلةٍ[(١)]؛ لأنَّه لا خشوعَ فوقَ خشوعِ رسول الله ﷺ.

وفي صحيح مسلمٍ من حديثِ أبي مُوسَى قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ كثيرًا ما يرفعُ رأسَهُ إلى السَّماء[(٢)]. وفي هذا الحديثِ دليلٌ على استِحبابِ النَّظَر إلى السَّماءِ لأجْلِ الاعتبارِ بآياتِها، وقد قالَ الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ [ق: ٦] وقال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١].

وفي هذا ردٌّ علَى المتصوِّفِين بأنَّ أحدَهُم يبقَى سِنينَ لا ينظُر إلى السَّماء وقد ضمَّ هؤلاءِ إلى ابتِداعِهِم الرمزَ إلى التَّشبيه[(٣)]، ولو علِمُوا أنَّ إطراقَهُم كَرَفعِهِم في بابِ

أويس بكثير وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة**». صحيح مسلم رقم (٣٨٤). مع أن طلبه من أمته الدعاء ليس هو طلب حاجة من المخلوق بل هو تعليم لأمته ما ينتفعون به في دينهم وبسبب ذلك التعليم والعمل بما علمهم يعظم الله أجره؛ فإنا إذا صلينا عليه مرة صلى الله علينا عشرًا وإذا سألنا الله له الوسيلة حلت علينا شفاعته يوم القيامة.

وعلى هذا من قال لغيره من الناس: ادع لي أو لنا. وقصده أن ينتفع ذلك المأمور بالدعاء وينتفع هو أيضًا بأمره ويفعل ذلك المأمور به كما يأمره بسائر فعل الخير فهو مقتد بالنبي ﷺ مؤتم به ليس هذا من السؤال المرجوح وأما إن لم يكن مقصوده إلا طلب حاجته لم يقصد نفع ذلك والإحسان اليه فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤتمين به فى ذلك بل هذا هو من السؤال المرجوح الذى تركه إلى الرغبة إلى الله ورسوله أفضل من الرغبة إلى المخلوق وسؤاله. انظر: التوسل والوسيلة ص١٣٤ والفتاوى ١/ ١٩٣ ٣٢٦ و٢٧/ ٦٨.

(١) انظر في بعض الأمثلة على ذلك: نسيم الأرواح لأبي عبد الرحمن السلمي ضمن مجموع مؤلفاته ص١٦٨ وأحاديث في ذم الكلام وأهله ٣/ ٧٧.

(٢) الحديث - كما ذكر المؤلف - أخرجه مسلم رقم (٢٥٣١)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٩٩ وعبد بن حميد رقم (٥٣٩) وأبو يعلى ١٣/ ٢٦٠ والبزار ٨/ ١٠٤.

(٣) قد يكون مراد المؤلف بذلك زعمهم نفي العلو وأن الله حال في خلقه وقد يكون المراد -وهو الأقرب-: أن شبهوا الحياء من الله بالحياء من المخلوق في طأطأة الرأس له وعدم رفع النظر إليه.

الحَيَاءِ مِن اللهِ تعالى لم يفعَلُوا ذلك، غيرَ أنَّ شُغلَ إبليس التلاعُبُ بالجَهَلَةِ، فأمَّا العُلَماء فهو بعيدٌ عنهم، شديدُ الخوفِ منهُم؛ لأنهم يعرِفون جميعَ أمرِهِ، ويحترِزونَ مِن فُنون مكرِه.

أخبرنا محمدُ بن ناصرٍ وعمرُ بنُ ظفر، قالا: أنا محمدُ بن الحسنِ الباقلَّاني، قال: أنا القاضي أبو العَلاء الواسِطِي، قال: أنا أبو نَصرٍ أحمدُ بن محمد النيازِكي، قال: حدَّثنا أبو الخَير أحمدُ بنُ محمد البزَّار، قال: ثنا البُخَاريُّ، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا محمدُ بنُ الفضل، قال: ثنا الوليدُ بن جميع، عن أبي سَلَمَة بن عبدِ الرحمن، قال: لَم يكن أصحابُ رسول اللهِ ﷺ متخوِّفِين[1] ولا مُتماوِتِين[2]، وكانوا يتناشَدُون الشِّعر في مجالِسِهم، ويذكُرُون أمرَ جاهليَّتِهم، فإذا أُريدَ أحدٌ منهم على شَيءٍ مِن أمرِ دينِهِ دارت حماليقُ عينَيهِ كأنهُ مجنونٌ[3].

أخبرنا عبدُ الوهَّاب الحافِظ، قال: أنا جَعفرُ بنُ أحمد، قال: أنا عبدُ العزيز بنِ الحسَنِ بن إسماعِيل الضَّرَّاب، قال: أنا أبِي، قال: حدَّثنا أحمدُ بن مروان، قال: ثنا إبراهيمُ الحَربي، قال: ثنا محمدُ بن الحارِثِ، عن المدائني، عن محمد بن عبدِ اللهِ القرشي، عن أبِيهِ، قال: نَظَر عُمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه إلى شابٍّ قد نكَّسَ رأسَهُ، فقالَ له:

---

(١) في (أ): متحرفين. و(ت): منحرفين. وهو كذلك عند ابن أبي شيبة ٥/ ٢٧٨ وعند البخاري في الأدب المفرد ص١٩٥: مُتَحزِّقِين. قال الخطابي في غريبه ٣/ ٤٩: التَحزق: التجمع وشدة التقبص والحزقة: الجماعة ويجمع على حزق. ويقال: للرجل البخيل حزقة وذلك لضيقه وشدته. وانظر: اللسان ١٠/ ٤٨.

(٢) في (أ): ولا متهاونين. وقوله: ولا مُتَماوِتين: يقال: تَمَاوَتَ الرجلُ إذا أَظْهَر من نَفْسِه التَّخافُتَ والتَّضاعُفَ، مِن العبادة والزهد والصوم. انظر: النهاية ٤/ ٣٧٠ واللسان ٢/ ٩٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٢٧٨/ ٧/ ١٥٨ والبخاري في الأدب المفرد ١/ ١٩٥ رقم (٥٥٥) والإمام أحمد في الزهد ص٢١٥. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٠/ ٥٤٠ عن سند ابن أبي شيبة أنه حسن. وأخرجه مسلم ١/ ٤٦٣ رقم (٦٧٠) و٤/ ١٨١٠ رقم (٢٣٢٢) والترمذي ٥/ ١٤٠ رقم (٢٨٥٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يا هذا، ارفَع رأسَك! فإنَّ الخُشوعَ لا يزيدُ على ما في القَلبِ، فمن أظهَر للنَّاسِ خُشوعًا فوقَ ما في قَلبِه فإنما أظهَر نِفاقًا عَلى نِفاقٍ(١).

أخبرنا عبدُ الوهَّاب، قال: أنا المُبارَكِ بن عبدِ الجبَّار، قال: أنا عليُّ بنُ أحمد الملطِي، قال: أنا أحمدُ بن محمد بن يوسُفَ، قال: أنا ابنُ صفوان، قال: أنا أبو بكرٍ القُرَشِي، قال: حدَّثني يعقوبُ بن إسماعِيل، قال: قال عبدُ اللهِ، عن المعتَمِر، عن كَهمَس بن الحسن، أنَّ رجلًا تنفَّسَ عندَ عُمر بن الخطابِ رضي الله تعالى عنه، كأنَّهُ يتَحازَن، فَلَكزَه عُمر. أو قالَ: لكَمَهُ(٢).

أخبرنا محمدُ بن ناصر، قال: أنا جعفرُ بنُ أحمد، قال: أنا الحسنُ بن عليٍّ التميمِي، قال: أنا أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبدُ اللهِ بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا أسودُ بن عامرٍ، قال: أنا أبو بَكرٍ، عَن عاصِمِ بن كُلَيبِ الجَرمِي، قال: لقِيَ أبي عبدَ الرحمن بنَ الأسود وهو يمشِي، وكان إذا مَشى مَشَى إلى جَنبِ الحائطِ مُتَخشِّعًا هكذا، وأمالَ أبو بكرٍ عنقَهُ شيئًا، فقال أبي: ما لَكَ إذا مشيتَ مشيتَ إلى جنبِ الحائطِ؟ أمَا واللهِ إنْ كان عُمر ﷺ إذا مَشى لشدِيدُ الوطءِ على الأرضِ، جهوري الصَّوت(٣).

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ٣٧٥، وأخرج ابن المبارك في الزهد ص٤٠٣ والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ١/ ١٨٨ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٦ عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه سئل عن قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] قال: الخشوع في القلب وأن تلين كتفك للمرء المسلم وأن لا تلتفت في صلاتك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص١٣٢ رقم (١٥٤) عن يعقوب بن إسماعيل قال: أخبرنا حبان به. فسقط من إسناد المؤلف: حبان، وهو: حبان بن موسى بن سوار السلمي أبو محمد المروزي وروى عنه البخاري ومسلم قال عنه الحافظ: ثقة. انظر التقريب ص١٥٠.

(٣) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٢٣٥ وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٤/ ٢٣٣.

أخبرنا محمدُ بن أبي طاهِر، قال: أنا أبو محمدٍ الجوهَري، قال: أنا ابن حَيُّويَه، قال: أنبأنا أبو الحسنِ بنُ معروفٍ، قال: حدثنا الحسينُ بنُ الفهمِ، قال: حدَّثنا محمدُ بن سعد يرفعُهُ إلى سُلَيمان بنِ أبي حثَمةَ، عن أبيهِ، قال: قالتِ الزَّرقاء[١] الشِّفاءُ بنتُ عبدِ اللهِ، ورَأت فِتيانًا يقصرونَ في المَشيِ، ويَتكلَّمونَ رُويدًا. فقالت: ما هذا؟ قالوا: نُسَّاك. قالت: كانَ -واللهِ- عمر رضي الله عنه إذا تكلَّم أسمعَ، وإذا مَشَى أسْرَعَ، وإذا ضَرَب أوجَعَ، وهو النَّاسِكُ حقًّا[٢]!

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وقد كانَ السَّلَفُ يَستُرونَ أحوالَهُم ويتصنَّعُون بِتركِ التَّصنُّع:

- وقد ذكرْنا عن **أيوبَ السَّختِيانِي** أنَّهُ كانَ في ثَوبِهِ بعضُ الطولِ يترُكُ التصنُّعَ لِسترِ حالِهِ[٣].
- وكان **سُفيانُ الثوريَّ** يقولُ: لا أعتدُّ بما ظَهَر مِن عَمِلي، وقالَ لِصاحِبٍ لهُ رآهُ يُصلِّي: ما أجرأَكَ! تُصلِّي والناسُ يَرونكَ[٤].
- وأخبرنا محمدُ بن ناصِرٍ، قال: أنا عبدُ القادر بن يوسف، قال: أنا ابنُ المذهب، قال: أنا القطِيعِيُّ، قال: أنبأنا عبدُ الله بنُ أحمد، قال: حدَّثنا أبو عبدِ الله -يعنِي: السُّلَمِي-، قال: حدَّثنا بَقِيَّةُ، عن محمَّدَ بنِ زيادٍ، قال: مرَّ **أبو أمامة** برجُلٍ ساجِدٍ، فقال: يا لَهَا مِن سَجدةٍ لو كانَت فِي بَيتِك[٥]!

---

(١) جاء في (م): [الزَّرقاء الشِّفاءُ بنتُ عبدِ الله]. ولعلها زائدة من النساخ؛ إذ الأصول ليس فيها ذلك.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٩٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٨٨ و٦٢/ ١٧٨، وانظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٣/ ٧٦ وكشف الخفاء ١/ ٥٤٧ والفتح السماوي ٢/ ٩١٥.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٧ وابن عبد البر في التمهيد ٣/ ٢٤٦ وذكره المؤلف في صفة الصفوة ٣/ ٢٩٣ وصيد الخاطر ص٢٥١ والذهبي في السير ٦/ ٢٢. ولمزيد إيضاح انظر: التمهيد ٣/ ٢٤٤-٢٤٩.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٩٠ وذكره المؤلف في صيد الخاطر ص٢٥١.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص١٧٦ وأخرجه ابن المبارك في الزهد أيضًا ص٥٠ والذهبي في الكبائر ص١٤٤ وفي السير ٣/ ٣٦١.

• أخبرنا أبو منصور القزَّاز، قال: أنبأنا أبو بَكرِ بن ثابتٍ، قال: أنبأنا الجَوهَرِيُّ، قال: حدَّثنا محمدُ بن العبَّاسِ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ القاسِم الأنبارِي، قال: حدَّثنا الحارثُ بنُ محمدٍ، قال: حدَّثنا يَحيى بنُ أيوبَ، قال: حدَّثنا شُعَيبُ بن حَربٍ، قال: حدَّثنا الحسنُ بنُ عُمارة، قال: كُنَّا فِي مجلسِ بعضِ العُلَماءِ، فقال رجُلٌ في المجلِسِ: آه! قال: فجَعلَ يتبَصَّرُهُ ويقول: مَن هَذا؟ حتَّى ظننَّا أنَّهُ لو عَرَفهُ أمَر بِهِ[1].

• أخبرنا إسماعيلُ بن أحمدَ المُقرِئ قال: أنا حمدُ بن أحمد الحدَّاد، قالَ: أنا أبُو نُعَيمٍ الحافِظ، قال: أخبَرَنا عبدُ اللهِ بن محمد بنِ جعْفَر، قال: نا عبدُ اللهِ بنُ محمد بن يعقوب، قالَ: نا أبُو حاتِمٍ، قال: نا حَرمَلةُ، قال: سمعتُ الشَّافِعِيَّ يقول:

وَدَعِ الـذينَ إذا أتَـوكَ تَنَسَّـكُوا ** وَإذَا خَلَـوا فَهُـم ذِئَـاب حِقَـافِ[2]

• أخبَرنا عبدُ الرَّحمن بن محمد القزَّاز، قال: أخبَرنا أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ ثابتٍ، قالَ: أخبَرنا أبو عُمَر الحسَنُ بنُ عُثمان الواعِظ، قال: أخبَرنا جَعفَر بن محمد الواسِطِي، قال: أنا الحسينُ بن عُبَيدِ اللهِ الأبزارِي، قال: سمِعتُ إبراهيمَ بنَ سعيدٍ، يقول: كنتُ واقِفًا علَى رأسِ المأمونِ، فقال لي: يا إبراهيم. قلتُ: لبَّيكَ! قال: عَشَرةٌ مِن أعمالِ البرِّ لا يَصعَدُ إلى اللهِ -واللهِ[3]- مِنهَا شَيءٌ، قلتُ: ما هِي يا أمِير المؤمنين؟

فقال: بُكاءُ إبراهِيم بريهة علَى المِنبَر، وخشوعُ عبدِ الرَّحمن بن إسحاق، وتقشُّفُ ابنُ سَماعة، وصلاةُ ابنُ خيعويه باللَّيل، وصلاةُ عبَّاسٍ الضُّحَى، وصيامُ ابن السِّندِي

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٢٤٠ وأورده المزي في تهذيب الكمال ١٢/ ٥١٣.

(٢) أخرجه أبو حاتم في آداب الشافعي ص٢٧٢ وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١٥٤ والسبكي في الطبقات ١/ ٣٠٧ وهو في ديوان الشافعي ص٦١. وجاء فيه وفي الحلية: ذئاب خراف.

(٣) في (ت): والله لا يقبل منها.

الإثنينِ والخَميس، وحديثُ أبي رجَاء، وقصصُ مرجّى[1]، وصَدَقَةُ حفصويه، وكتابُ اليَتَامَى لِعلِي بنِ قُرَيش[2][3].

(١) في (ت): ابن مرجا. ولعله: رجاء بن مرجا -وفي بعض المصادر بالمقصورة- الغفاري المروزي نزيل سمرقند حافظ ثقة. ت٢٤٩هـ انظر: تاريخ دمشق ١٨/ ١٢٧-١٣١ والتقريب ص٢٠٨. وعلى باقي النسخ: مرجّي بن رجاء اليشكري أبو رجاء البصري صدوق ربما وهم. انظر: تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٦١ والتقريب ص٥٢٤.

(٢) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٣٤١ ومثل هذا لايصح ففي إسناده كذاب كما مر وفي بعض من ذكره من أهل الخير والصلاح من هو خير من المأمون.

(٣) في (ت) جاء في آخره: والله أعلم بالصواب.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح

النِّكاحُ معَ خوفِ العَنَتِ واجِبٌ، ومِن غِيرِ خوفِ العَنَتِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدةٌ عند جُمهورِ الفُقَهاء، ومَذهب أبي حَنِيفةَ وأحمدَ بنِ حَنبل أنهُ حِينئذٍ أفضلُ مِن جَميعِ النَّوافِلِ؛ لأنَّهُ سببٌ في وُجودِ الوَلَد[1]، وقد قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**تناكَحُوا تناسلُوا**»[2]. وقالَ ﷺ: «**النِّكاحُ مِن سُنَّتي، فمَن رَغِبَ عَن سُنَّتي فَليس مِنِّي**»[3].

أخبرنا محمدُ بنُ أبي طاهِر، قال: أخبرنا الجَوهَري، قال: أخبَرنا أبو عُمر بن حيويه، قال: أنا أحمدُ بنُ معروف، قال: نا الحسينُ بنُ الفَهمِ، قال: نا محمدُ بن سعدٍ، قال: أنا سُلَيمانُ أبو داود الطَّيالِسي، قال: أخبَرنا إبراهِيمُ بنُ سعدٍ، عن الزُّهري، عن

(١) انظر في تقرير قول المؤلف رحمه الله: بدائع الصنائع ٢/ ٢٢٩ وحاشية ابن عابدين ٢/ ٢٦١ ومواهب الجليل ٣/ ٤٠٣ ومغني المحتاج ٣/ ٢٢٥ والإنصاف ٨/ ٦-١٥ وكشاف القناع ٥/ ٦.
ومما ساقه المؤلف من أخبار الصوفية يتضح رفض الصوفية للزواج والتنفير منه؛ زعمًا منهم أنه يعيق عن عبادة الله وطاعته وأنه يفضي إلى الركون إلى الدنيا وملذّاتها. ولكن الصوفية بعد تركهم لما شرع الله من النكاح والولد وقع بعضهم في حب النساء والمردان، فنعوذ بالله من الهوى واتباع الشيطان! انظر لمزيد بيان في أخبارهم في ذلك والرد عليهم: الإحياء ٣/ ١٠١، والطبقات الكبرى ١/ ٤٦ و٢/ ١٤١ وجهود السلف في الرد على الصوفية ص٤٤٧-٤٥٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٦/ ١٧٣ مرسلًا، والألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٤٨٤) وضعفه. وللحديث شواهد صحيحة، منها: عند أبي داود رقم (٢٠٥٠) وأخرجه النسائي ٦/ ٦٥ ٦٦ والحاكم في المستدرك ٢/ ١٧٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم (٣٠٢٦). وشاهد بلفظه من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٥٨ ٢٤٥ وحسّنه الهيثمي في المجمع ٤/ ٢٥٨. وشاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه رقم (١٨٦٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (١٥٠٩). وللحديث شواهد غير ما ذكر.

(٣) أخرجه ابن ماجه رقم (١٨٤٦) قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/ ٩٤: هذا إسناد ضعيف؛ لضعف عيسى بن ميمون المديني، لكن له شاهد صحيح. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٨٣) وحسنه في صحيح ابن ماجه رقم (١٤٩٢). وشاهده في الصحيح حديث أنس رضي الله عنه في البخاري رقم (٥٠٦٣) وعند مسلم برقم (١٤٠١).

سعيدِ بن المسيَّب، عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، قال: لقد ردَّ رسولُ اللهِ ﷺ على عُثمان بنِ مظعون التبتُّل، ولو أذِنَ لهُ في ذلكَ لاختَصَينا[١].

قال ابنُ سعدٍ: وأخبَرَنا عفَّان، قال: أنا حمَّاد بنُ سَلَمةَ، عن ثابتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ: أنَّ نفَرًا مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ سألُوا أزواجَ النبي عليه السلام عن عمَلِهِ في السِّرِّ، فأخبروهُم، فقال بعضُهُم: لا أتزوَّجُ النِّساء، وقال بعضُهُم: لا آكُلُ اللَّحمَ، وقال بعضُهُم: لا أنامُ على فِراشٍ وقال بعضُهُم: أصومُ ولا أفطِر فَحَمِدَ اللهَ النبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام، وأثنَى عليهِ، ثمَّ قال: «**ما بالُ أقوامٍ قالوا كَذا وكَذا؟! لكِنِّي أُصَلِّي وأنامُ، وأصومُ وأفطِر، وأتزوَّجُ النِّساء، فمَن رغِبَ عن سُنَّتي فليس مِني**»[٢].

قال ابنُ سعدٍ: وأخبَرَنا سعيدُ بنُ منصورٍ، قال: أخبَرَنا أبو عَوانَة، عن عَطَاءِ بنِ السَّائب، عن سعيدِ بنِ جُبَير، قال: قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: إنَّ خَيرَ هذهِ الأمَّةَ كانَ أكثرها نساءً[٣].

قال ابنُ سعدٍ: وأخبَرَنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بن قَيسٍ، قال: نا مَنْدَل، عن أبي رجاءٍ الجَزَري، عن عثمانَ بن خالد، عن محمد بن مسلمٍ، قال: قال شدَّاد بنُ أوس: زَوِّجُونِي؛ فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أوصانِي أن لا ألقَى اللهَ عز وجل عزبًا[٤].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري رقم (٥٠٧٣ ٥٠٧٤) ومسلم رقم (١٤٠٢) والإمام أحمد في المسند ١/ ١٧٥ ١٧٦ ١٨٥ والترمذي رقم (١٠٨٣) والنسائي ٦/ ٥٨.

(٢) أخرجه البخاري بنحوه رقم (٥٠٦٣) ومسلم رقم (١٤٠١) بلفظه والنسائي ٦/ ٦٠ وفي الكبرى ٣/ ٢٦٤ والإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٤١ ٢٥٩ ٢٨٥.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٠٦٩) والإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٣١ والحاكم في المستدرك ٢/ ١٧٣.

(٤) أخرجه ابن سعد كما ذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤٩ وابن أبي شيبة ٣/ ٤٥٣. عن ابن رجاء به. والأثر ضعيف، سواءً على ما قرره الذهبي والحافظ ابن حجر في رجال الإسناد، فإن الأثر ضعيف لضعف رواته ولذا قال عنه الذهبي في الميزان ٥/ ٤٤: منكر. وانظر: اللسان ٤/ ١٣٤ والتهذيب ٩/ ١٢٩.

وأخبَرنا ابنُ الحُصَين، قال: أخبَرنا ابنُ المذهب، قال: أنا أحمدُ بن جَعفَر، قال: حدَّثنا عبدُ اللهِ بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: نا عبدُ الرازق، قال: أنا محمدُ بن راشدٍ، عن مكحول، عن رجلٍ، عن أبي ذرٍّ، قال: دخل على رسولِ اللهِ ﷺ رجل يقالُ له: عكَّافُ بن بِشرٍ التميمي، فقالَ له النبيﷺ: **«يا عكَّاف، هل لكَ مِن زوجَة؟»** قال: لا. قال: **«ولا جَارِية؟»** قال: ولا جارِية. قال: **«وأنتَ موسِرٌ بِخَيرٍ؟»** قال: وأنا مُوسَرٌ. قال: **«أنتَ إذًا من إخوانِ الشياطين، لو كنتَ من النَّصارى كنتَ مِن رُهبانِهم، إن سُنَّتنا النِّكاح، شِرارُكم عُزَّابكم، وأراذِل موتاكم عزابكم أبِالشَّياطين تَمَرَّسُون، ما للشَّيطانِ من سلاحٍ أبلَغُ في الصَّالِحِين من النِّساء»**(١).

أخبرنا ابنُ الحصَين، قال: أنا ابن المذهب، قال: أخبَرنا أحمدُ بنُ جعفر، قال: أنا عبدُ اللهِ بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: نا أيوبُ بنُ النجَّار، عن طيِّبِ بن محمدٍ، عن عطاءِ بن أبي رباح، عن أبي هريرة، قال: لعن رسولُ اللهِ ﷺ مُخَنَّثِي الرجالِ الذين يتشبَّهُون بالنِّساءِ، والمُتَرَجِّلاتِ من النِّساء المتشبِّهات بالرِّجال، والمتبَتِّلِين من الرِّجال الذين يقولُونَ: لا نَتزوَّج، والمتبتِّلاتِ من النِّساءِ اللَّاتي يقُلنَ ذلك(٢).

أخبَرنا محمدُ بن ناصرٍ، قال: أخبَرنا عبدُ القادِر بن محمد، قال: أخبَرنا أبو بَكرٍ الخَيَّاط، قال: أخبَرنا أبو الفتح بن أبي الفَوارِس، قال: أنا أحمدُ بن جعفرٍ الختِلي، قال:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٦/ ١٧١ وعنه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٦٣ وذكره الهيثمي في المجمع ٤/ ٢٥٠ وأخرجه المؤلف في العلل المتناهية بإسناده هذا ٢/ ٦٠٨ وقال: وهذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. وأخرجه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٥٦ عن عطية بن بسر عن عكَّاف بن وَدَاعة الهلالي وقال: لا يتابع عليه. كما نقله المؤلف. وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الديلمي بسند ضعيف قال الحافظ في تعجيل المنفعة ص٢٨٩: ولا يخلو طريق من طرقه من ضعف. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٣٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٨٧ ٢٨٩ والبخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٢ وقال: لا يصح. وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١١١٤). وعلى هذا فالحديث بهذا الإسناد لا يصح. وجاء في الصحيح ما فيه غنية عنه فأخرجه البخاري رقم (٥٨٨٥) و(٥٨٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

نا أحمدُ بن محمدِ بنِ عبد الخالِق، قال: نا أبو بكرٍ المروذي، قال: سمعتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بن حنبل، يقول: ليسَ العزوبة مِن أمرِ الإسلامِ في شَيء، النَّبي عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ تزوَّجَ أربعَ عشرةَ، وماتَ عن تسعٍ[(١)(٢)].

ثم قال: لو كان بِشرُ بن الحارثِ تزوّج كان قد تمَّ أمرُه كلُّه[(٣)].

لو تركَ الناسُ النِّكاحَ لَمْ يَغزوا ولم يَحُجُّوا، ولم يكُن كَذا ولم يكُن كذا، وقد كان النَّبِي عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يصبح ومَا عِندهُم شَيءٌ[(٤)]، وكان يَختارُ النِّكاحَ ويحثُّ عَلَيهِ، ونَهى عن التبتُّل، فمَن رغِب عن فِعلِ النَّبي - عليهِ الصَّلاة والسلام - فهو على غيرِ الحقِّ.

ويعقوبُ عليه السلام في حُزْنِه قد تزوَّج ووُلِد له، والنبي - عليهِ الصَّلاة والسَّلام - قال: «**حُبِّبَ إليَّ النِّساء**»[(٥)].

قلت: فإنَّ إبراهِيم بنَ أدهم يُحكَى عنهُ أنهُ قال: لروعة صاحبِ عيال[(٦)] فما قدِرتُ أن أُتِمَّ الحديثَ حتَّى صاحَ بِي، وقال: وقعنا في بنياتِ الطَّرِيقِ.

---

(١) وهنَّ: عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وميمونة وجويرية وسودة وصفية وزينب رضي الله تعالى عنهن. ولمزيد بيان حول زوجات النبي ﷺ انظر: كتاب أزواج النبي ﷺ ص٢٦ وخلاصة البدر المنير ٢/ ١٧٥ وتلخيص الحبير ٣/ ٢٨٩-٢٩٣.

(٢) أخرجه المروذي في كتاب الورع ص١١٦-١١٩ أو ص٧١-٧٢ بأطول مما ساقه المؤلف.

(٣) انظر: الورع للإمام أحنبل ص٩٤ والآداب الشرعية ٢/ ٢٦٢ والعلماء العزاب ص٣٢.

(٤) ويدل لما ذكره الإمام أحمد حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه رقم (٤١٤٧) قال ابن حجر في الفتح ١١/ ٢٩٣: إسناده صحيح. ويشهد لمثل هذا حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عند مسلم رقم (١١٥٤)وحديثها أيضًا في الصحيحين: البخاري رقم (٢٤٢٧) ومسلم رقم (٢٩٧٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٢٨ ١٩٩ ٢٨٥ والنسائي في الكبرى ٥/ ٢٨٠ والصغرى ٧/ ٦١ والحاكم في المستدرك ٢/ ١٧٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وجَوَّد إسناده العراقي بعد إيراد الغزالي له في الإحياء ٢/ ٣٠ وقوّاه الذهبي في الميزان ٣/ ٢٥٥ وحسنه الحافظ في تلخيص الحبير ٣/ ١١٦ وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم (٣٦٨١).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٢١ والمزي في تهذيب الكمال ٢/ ٣٥ وابن عساكر في تاريخه ٦/ ٣١٥ ٣٣٣.

انظُر عافاكَ اللهُ ما كانَ عليهِ محمَّدٌ ﷺ وأصحابُه.

قال: لَبُكاءُ الصَّبِيِّ بينَ يدَي أبيهِ يطلُبُ منهُ خُبزًا أفضلُ مِن كَذا وَكَذا، أينَ يلحَقُ المتعبِّدُ العزب[١]!

فصل:

وقد لَبَّس إبليسُ على كثيرٍ من الصوفيَّةِ فَمَنعهُم من النِّكاحِ، فقُدَماؤهُم تركُوا ذلك تشاغُلًا بالتَّعبُّدِ، ورأَوا النِّكاحَ شاغِلًا عن طاعةِ اللهِ ﷻ[٢].

وهؤلاءِ إن كانت بِهم حاجةٌ إلى النِّكاح، أو ثَمَّ نوع تشوُّقٍ إليهِ، فقد خاطَرُوا بأبدانِهم وأديانِهم، وإن لم يكُن بِهم حاجةٌ إليهِ فقد فاتَهمُ الفضِيلة.

وفي الصحيحِ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: **وفي بُضعِ أحدِكُم صدقةٌ**. قالوا: يأتِي أحدُنا شهوتَهُ ويُؤجَر؟! قال: **أرأيْتُم لو وضَعَها في حرامٍ أكانَ يأثَم**؟ قالوا نعم. قال: **أفتَحتِسبُون بالشَّرِّ ولا تحسبونَ بالخير**![٣].

ومنهم مَن قال: النِّكاحُ يوجِبُ النَّفَقة، والكَسْبُ صَعبٌ.

وهذِهِ حُجَّةٌ للتَّرَفُّهِ عن تَعبِ الكَسبِ.

وفي الصَّحيحِ من حديثِ أبي هُريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **دينارٌ أنفقتَهُ في سبيلِ اللهِ، ودينارٌ أنفقتَهُ في رقبة ودينارٌ تصدَّقتَ بِهِ، ودينارٌ أنفقتَهُ على أهلِكَ، أفضلُها الدِّينارُ الذي أنفقتَه علَى أهلِكَ**[٤].

---

(١) ومصداقًا لقول الإمام أحمد ما ثبت في الصحيح عند مسلم وغيره رقم (٩٩٤) والإمام أحمد ٥/ ٢٨٤ وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٥٣.

(٢) انظر في بعض أقوالهم وأخبارهم في ذلك: الإحياء ١/ ١٠٣ وقوت القلوب ١/ ٢٥٢ وعوارف المعارف ص١٥١ والطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٤٦.

(٣) أخرجه مسلم رقم (١٠٠٦) و الإمام أحمد ٥/ ١٦٧ ١٦٨ ١٧٨ ٥/ ١٥٤ ١٦٧.

(٤) أخرجه مسلم رقم (٩٩٥) والإمام أحمد ٢/ ٤٧٣ ٤٧٦ والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٥١).

ومنهم مَن قال: النِّكاحُ يوجِبُ المَيلَ إلى الدُّنيا: فَرُوِّينا عن أبي سُلَيمانَ الدَّارَانِي، أَنَّهُ قال: إذا طلَبَ الرجلُ الحديثَ، أو سافَر في طلَبِ المعاشِ، أو تزوَّجَ فقد رَكَن إلى الدُّنيا[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت:** وهذا كلُّه مخالفَةٌ للشَّرعِ، وكيفَ لا يُطلَبُ الحديثُ والملائِكةُ تضعُ أجنحَتَها لطالبِ العلم[2]؟!

وكيف لا يُطلَبُ المعاشُ وقد قال عُمر بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: لأَنْ أموتَ بينَ شعبتي رحلِي أطلُب كفافَ وجهِي أحبُّ إليَّ مِن أن أموتَ غازِيًا في سبيلِ اللهِ![3].

وكيف لا يتزوَّجُ وصاحبُ الشَّرعِ يقول: «**تناكَحُوا**»[4]؟!

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب ١/ ٢٥٢ والغزالي في الإحياء ٣/ ١٠١ والسهروردي في عوارف المعارف ص١٥٢.

(٢) كما في حديث: أبي الدرداء الذي أخرجه أبو داود رقم (٣٦٤١) و(٣٦٤٢) والترمذي رقم (٢٦٨٢) وابن ماجه رقم (٢٢٣). وأحمد ٥/ ١٩٦، والدارمي ١/ ٩٨ قال الحافظ في الفتح ١/ ١٤٧: له شواهد يتقوى بها.

وحديث: صفوان بن عسال المرادي. أخرجه الإمام أحمد ٤/ ٢٣٩ والترمذي رقم (٣٥٣٥) و(٣٥٣٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي ١/ ٩٨ وفي الكبرى ١/ ٩٢ ٩٥ وابن ماجه رقم (٢٢٦) جميعهم من طريق عاصم عن زرّ عن صفوان بن عسال. وهذا سند حسن؛ لما قيل في عاصم. وهو ابن بهدلة ابن أبي النجود. انظر: التقريب ص٢٨٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٤٦٤ وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٤٦٧ عن عمر رضي الله عنه، وكذا أخرجه الخلال في الحث على التجارة رقم (٦٢) (٦٣) ص١٠١ ١٠٥ ومختصرًا أخرجه أبو عبيد في غريبه ٣/ ٢٤٨.

وانظر: الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ٤/ ١١٢.

ولعله يُلحظ القلبُ في الأثر في ذكر المؤلف له؛ فعمر رضي الله عنه لم يفضل على القتل في سبيل الله شيئًا. وانظر: مناقب عمر لابن الجوزي رقم (٢٠٦)

(٤) مرَّ تخريجه قريبًا ص٦٨٤.

فما أرَى هذهِ الأوضاعَ إلَّا علَى خِلافِ الشَّرع.

فأمَّا جماعةٌ مِن مُتأخِّرِي الصُّوفيَّةِ فإنهم تركُوا النِّكاحَ؛ ليُقَالَ: زاهدٌ. والعوامُّ تُعظِّم الصوفيَّ إذا لم تكُن لهُ زوجةٌ، فيقولونَ: ما عَرَف امرأةً قطُّ، وهذهِ رهبانيَّةٌ تخالِفُ شَرعَنا.

وقال أبو حامدٍ الطُّوسِي: ينبَغِي أن لا يَشغلَ المُريدُ نفسَهُ بالتَّزوِيج، فإنه يَشغَلُهُ عن السُّلوك، ويأنسُ بالزوجة، ومن أنِسَ بغيرِ اللهِ، شُغِلَ عن اللهِ تعالى(١).

وإني لأتعجَّبُ مِن كلامهِ، أتراهُ ما علِم أنَّ مَن قَصدَ إعفافَ نفسِهِ، أو وجود ولدٍ، أو إعفافَ زوجتِهِ فإنَّه لم يخرُج عن جادَّةِ السُّلوك؟!

أو يرى الأنسَ الطبيعِي بالزَّوجةِ يُنافِي أنسَ القلوبِ بطاعةِ اللهِ تعالى؟! واللهُ تعالى قد منَّ على الخلقِ بقولهِ: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم: ٢١]، وفي الحديثِ الصَّحيحِ عن جابرٍ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قال لهُ: **هلَّا تزوَّجتَ بِكرًا تُلاعِبُها وتلاعِبك**(٢)! وما كانَ بالذِي يدُلُّهُ علَى ما يقطعُ أُنسَهُ باللهِ تعَالى.

أترى رسولَ اللهِ ﷺ لَمَّا كانَ ينبسِطُ إلى نِسائِهِ ويُسابِق عائشةَ ﷺ(٣)، أكانَ خارِجًا

---

(١) انظر: الإحياء ٣/ ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٠٧٩) و(٥٠٨٠) رقم (٥٢٤٥). وغيرها من المواضع في صحيحه. ومسلم رقم (٧١٥) والترمذي رقم (١١٠٠) وأبو داود رقم (٢٠٤٨) والنسائي ٦/ ٦١ وابن ماجه رقم (١٨٦٠) والإمام أحمد ٣/ ٣٠٨ ٣١٤ ٣٧٤.

(٣) انبساط النبي ﷺ وحديثه إلى زوجاته مشهور معروف من خلقه ﷺ، وقد عقدت كتب الشمائل لذلك أبوابًا. ومن تلك الأحاديث حديث صفية أخرجه البخاري رقم (١٩٣٠) ومسلم رقم (٢١٧٥). وكذا حديث عائشة ﷺ المشهور بحديث أم زرع. أخرجه البخاري رقم (٥١٨٩) ومسلم رقم (٢٤٤٨). وانظر: مختصر الشمائل ص١٣٤-١٤٢

مِن الأُنسِ باللهِ؟! هذهِ كلُّها جَهَالاتٌ بالعِلم!

فصل:

وأعلم أنهُ إذا دامَ تركُ النِّكاحِ بشُبَّانِ الصوفيَّةِ أخرجَهُم إلى ثلاث أنواع:

النَّوعُ الأوَّل: المرضُ بحبسِ الماءِ، فإنَّ الماءَ إذا طالَ احتقانُهُ تصاعَدَ إلى الدِّماغِ منهُ سُمِّيَّه.

قالَ أبو بَكرٍ محمدُ بنُ زكريَّا الرَّازِي: أعرفُ قومًا كانوا كثيري المنِي، فلمَّا منعُوا أنفُسَهُم مِن الجِماعِ لِضربٍ من التَّفلسُفِ بردَت أبدانُهم، وعَسَرت حركاتُهم، ووقعت عليهم الكآبةُ بلا سببٍ، وعَرَضَت لهم أعراضُ الماليخوليا، وقلَّتْ شهواتُهم وهضمهُم.

قال: ورأيتُ رجُلًا تركَ الجِماعَ ففَقَدَ شهوةَ الطعامِ، وصارَ إن أكَلَ القليلَ لم يسْتمرِه وتقيَّأهُ، فلمَّا عادَ إلى عادتِهِ من الجِماعِ سَكنتْ عنهُ هذهِ الأعراضُ سرِيعًا[1].

وأما حديث أنه سابق عائشة: فأخرجه أبو داود رقم (٢٥٧٨) والنسائي في الكبرى ٥/ ٣٠٣ وابن ماجه رقم (١٩٧٩) والإمام أحمد ٣/ ٣٩ ١٢٩ ١٨٢ ... وذكره العراقي في تخريجه للإحياء ٢/ ٤٤ وصحّح إسناده. وكذا صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٢٤٨) وصحيح ابن ماجه رقم (١٦١٠) والأحاديث الصحيحة رقم (١٣١).

قال ابن كثير: وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ويضاحك نساءه يؤانسهم بذلك ويتودد إليهم ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٤٦٧.

(١) وانظر إلى كلام ابن القيم في ذلك وكون الجماع يحفظ به الصحة ونقله لكلام محمد بن زكريا وغيره حول هذا المعنى وبسط القول في مقاصده التي وضع لأجلها. زاد المعاد ٤/ ٢٤٩-٢٧١ أو الطب النبوي ص١٩٤. ومما قال رحمه الله: «وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة؛ فإنه إذا دام احتقان المني أحدث أمراضًا رديئة منها: الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يُبرئ استعماله من ←

النَّوعُ الثاني: الفِرارُ إلى المتروكِ، فإنَّ منهُم خلقًا كثِيرًا صابَروا تَركَ النِّكاح، فاجتمَعَ الماءُ فأقلق فتزوَّجُوا، ولابَسُوا من الدُّنيا أضعافَ ما فرُّوا منهُ، فكانوا كَمَن أطالَ الجُوعَ ثمَّ أكلَ ما تركَ في زمنِ التَّصبُّر.

النَّوعُ الثالث: الانحرافُ إلى صُحبةِ الصِّبيانِ، فإنَّ قومًا منهُم آيسوا أنفُسَهم من النِّكاحِ، فأقْلَقَهُم ما اجتمَع عِندَهُم، فصارُوا يرتاحُون إلى صُحبَة المُرد.

فصل:

وقد لبسَ علَى قومٍ منهُم تزوجوا، وقالُوا: إنَّا لا ننكِحُ شَهوةً، فإن أرادُوا أنَّ الأَغلبَ في طلبِنا النِّكاحَ إرادةُ السُّنة جازَ، وإنْ زَعمُوا أنَّهُ لا شَهوةَ لهُم في نفسِ النكاحِ فمُحالٌ ظاهِرٌ.

فصل:

وقد حمَلَ الجهلُ أقوامًا فجَبُّوا أنفسَهُم(١)، وزَعموا أنَّهم فعلُوا ذلكَ حياءً مِن اللهِ تعالى، وهذهِ غايةُ الحماقَةِ، لأنَّ اللهَ تعالَى شرَّفَ الذَّكر على الأُنثى بهذِهِ الآلةِ(٢)، وخلَقَها لتكونَ سببًا للتَّناسُل، والذي يَجُبُّ نفسَهُ يقولُ بِلِسانِ الحال: الصَّوابُ ضدُّ هذا، ثم قَطْعُهُم الآلةَ لا يُزِيلُ شَهوةَ النِّكاحِ من النفسِ، فما حَصَل مقصودُهُم!

هذه الأمراض كثيرًا فإنه إذا طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سُمْيَّة تُوجب أمراضًا رديئة كما ذكرنا ولذلك تدفعه الطبيعةُ بالاحتلام إذا كثر عندها من غير جماع».

(١) ذكر مثل ذلك الشعراني في طبقاته ٢/ ١٤١.

(٢) لعل ما ذكره المؤلف بعض تفضيل الذكر على الأنثى وإلّا فإن التفضيل ليس بمجرد هذه الآلة فقط؛ إذ الفضيلة في الخَلق والخُلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٢ وأضواء البيان ١/ ١٠٣ وتفسير السعدي ١/ ١٧٧.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك طلب الولد

• أخبرنا المحمَّدان: ابن ناصرٍ وابنُ عبدِ الباقي قالا: أخبرَنا حمدُ بنُ أحمدَ، قال: أنا أبو نُعَيم أحمدُ بنُ عبدِ الله، قال: نا إسحاقُ بن أحمدَ، قال: نا إبراهيمُ بنُ يوسُف، قال: نا أحمدُ بن أبي الحَوارِي، قال: سمعتُ أبا سُلَيمان الدَّارَانِي يقول: الذِي يريدُ الولَدَ أحمقُ، لا لِلدُّنيا ولا لِلآخِرةِ، إن أرادَ أن يأكُلَ أو ينامَ أو يُجامِع نغَّصَ علَيهِ، وإذا أرادَ أن يتعبَّدَ شغَلَه(١).

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وهذا غلَطٌ، وبيانُهُ أنَّه لَمَّا كانَ مرادُ اللهِ تعالى مِن إيجادِ الدُّنيا اتصالَ دوامِها إلى أن ينقَضِيَ أجَلُها، وكانَ الآدميُّ غيرَ مُمتدِّ البَقاءِ فيها إلَّا إلى أمَدٍ يسيرٍ، أخْلَفَ اللهُ تعالَى منهُ مِثلَهُ فحثَّه على تسبُّبِه في ذلك، تارةً مِن حيثُ الطَّبعِ باتقاد نارِ الشَّهوة، وتارةً من بابِ الشَّرعِ بقولهِ تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**تناكحُوا تناسلُوا؛ أباهي بِكُم الأممَ يومَ القيامةَ ولو بالسَّقطِ**»(٢).

وقد طلبَ الأنبياءُ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلام الأولادَ، وتسبَّبَ الصَّالحونَ إلى وجودِهم، ورُبَّ جماعٍ حدَثَ منهُ ولدٌ كالشَّافِعي وأحمد، كان خيرًا مِن عِبادةِ ألفِ سنةٍ.

وقد جاءَ الخَبَر بإثابةِ المباضِع والمنفِقِ على الأولادِ، ومن يموتُ لهُ ولدٌ، ومَن يُخَلِّفُ ولدًا بعدَهُ(٣)، فمَن أعرضَ عن طلَبِ الأولادِ فقد خالفَ المسْنُونَ والأفضَلَ،

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٦٤.

(٢) تقدم قريبًا ص٦٨٤. وذكره بهذ الزيادة «ولو بالسقط» الإمام الشافعي في الأم ٥/ ١٤٤ بلاغًا وأخرج الطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٤١٦ وقال في المجمع ٤/ ٢٥٨: وفيه علي بن الربيع وهو ضعيف. وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢/ ٣٧١ عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه حسان بن الأزرق وهو ضعيف.

(٣) تقدم ذكر فضل المباضعة والإنفاق ومن فضل الصبر على فقد الولد: حديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (١١٩٢) ومسلم ٤/ ٢٠٢٨ وفي الترغيب والترهيب ٣/ ٥٣ أحاديث كثيرة في هذا ←

وإنما يطلُبُ طريقَ الرَّاحَة.

• أخبَرنا عُمَر بن ظَفَر، قال: أخبَرنا جَعفَر بن أحمد بن السَّراج، قال: أنا أبُو القاسِم الأزجي، قال: ثنا ابنُ جهضَم، قال: نا الخَلدِي، قال: سمعتُ الجُنَيدَ يقول: الأولادُ عقوبةُ شهوةِ الحَلالِ، فما ظنُّكُم بعقوبةِ شهوةِ الحَرام[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** وهذا غلَط، فإنَّ تسميةَ المباحِ عُقوبةً لا يحسُن؛ لأنهُ لا يباحُ شيءٌ ثم يكونُ ما يتجدَّد منهُ عقوبةً، ولا يُندَبُ إلى شيءٍ إلَّا وحاصلُهُ مثوبةٌ.

المعنى. وللمؤلف جزء في الحث على طلب الولد انظر: السير ٢١/ ٣٧٥ ومؤلفات ابن الجوزي ص١٢١. وفي فضل من يخلف ولدًا بعده انظر: مثلًا: صحيح البخاري ٥/ ٢٠٠٨ والتمهيد لابن عبد البر ٢٣/ ١٤٢.

(١) أخرج القشيري نحوه في الرسالة ١/ ٣٧٦.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الأسفار والسياحة

قال المصنِّفُ: قد لبَّسَ على خلقٍ كثيرٍ منهم، فأخرجَهم إلى السِّياحةِ لا إلى مكانٍ معروفٍ ولا إلى طلبِ علمٍ، وأكثرُهم يخرُجُ علَى الوحدَةِ، ولا يستصحِبُ زادًا، ويدَّعِي بذلكَ الفعلِ التوكلَ! فكم تفوتُهُ من فريضةٍ وفضيلةٍ، وهو يرى أنهُ في ذلكَ على طاعةٍ، وأنهُ يقرُبُ بذلك مِن الولايةِ، وهو من العُصاةِ المخالِفِين!

وأما السياحة والخروجُ لا إلى مكانٍ مقصودٍ فقَد نَهى رسولُ اللهِ ﷺ عنِ السَّعي في غيرِ أرَبٍ:

● أخبَرنا محمدُ بنُ ناصر، قال: أخبرنا المبارَكِ بن عبدِ الجبار، قال: أنا إبراهيمُ بن عُمر البرمَكِي، قال: أنا بن حيويه، قال: أخبرنا عبيد الله بن عبد الرَّحمن السُّكَّري، قال: سمِعت أبا محمدِ بن قُتَيبة، يقول: حدَّثني محمدُ بن عبيد، عن مُعاويةَ بن عمرو، عن أبي إسحاق، عن سفيانَ عن ابنِ جُرَيجٍ، عن الحسنِ بن مسلم، عن طاووس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا زِمامَ، ولا خِزامَ، ولا رَهبانِيَّة، ولا تبتُّلَ، ولا سِياحةَ في الإسلام**»[1].

قال ابنُ قتيبة: الزِّمامُ: في الأنفِ، والخِزامُ: حلقةٌ من شعرٍ يُجعَلُ في أَحَدِ جانِبَي المِنخَرَين. وأراد ﷺ ما كانَ عبَّادُ بني إسرائيلَ يفعلونَهُ مِن حَرْقِ التَّراقي، وزمِّ الأنوف. والتبتُّلُ: تركُ النِّكاح، والسِّياحةُ: مفارَقَةُ الأمصارِ والذَّهابُ في الأرض[2].

---

(١) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث ١/ ١٧٩ وأبو داود في المراسيل رقم (٢٠٠) وعبد الرزاق في مصنفه ٨/ ٤٤٨ و١١/ ٢٩٢ بإسناد رجاله ثقات وهو مرسل، فسنده مرسل صحيح. انظر: الصحيحة رقم (١٧٨٢).

(٢) انظر: غريب ابن قتيبة ١/ ١٧٩-١٨١.

• وروى أبو داوودَ في سُننِهِ من حديثِ أبي أُمامةَ أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ، ائذن لي في السِّياحةِ! فقال النبي ﷺ: «**إنَّ سياحَةَ أُمَّتي الجهادُ في سبيلِ اللهِ**»(١).

• **قال المصنِّفُ** رحمه الله: وقد ذكرنا فيما تقدَّم من حديثِ عُثمانَ بن مظعون أنه قال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ نفسِي تُحدِّثُني أن أَسِيحَ في الأرض. فقال: «**مهلًا يا عُثمان، فإنَّ سياحةَ أمَّتي الغزوُ في سبيلِ الله والحجُّ والعُمرة**»(٢).

• وقد روَى إسحاقُ بنُ إبراهيم بن هانئ، عن أحمد بن حنبل أنهُ سُئلَ عن الرَّجلِ يسيحُ يتعبَّدُ أحبُّ إليك أو المقامُ في الأمصار؟ قال: ما السِّياحةُ من الإسلامِ

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٤٨٦) والحاكم في المستدرك ٢/ ٨٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وجوَّد إسناده النووي كما في رياض الصالحين ص٣٠٧ وحسنه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود رقم (٢١٧٢).

قال الإمام ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٩٣: وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين كما ثبت في صحيح البخاري رقم (١٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**». انظر: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٢/ ٢٢ واقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٠٥.

وليعلم أن السياحة في الإسلام لها معانٍ متعددة منها: انظر: تفسير الطبري ١١/ ٣٧ وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٩ وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٣.

وانظر: محاسن التأويل ١٦/ ٢٢٥ وتفسير السعدي ص٣٥٣ وحادي الأرواح ص٥٩ ولمزيد بيان في السياحة وأحكامها انظر: أحكام السياحة وآثارها ص٢٧-٤٤ و١٧١-١٩٦.

أما ماذكره المؤلف من الذهاب في الأرض لغير غرض مشروع وترك الملذات المباحة والسير في الأرض لتعذيب النفس مما كان في الأمم السابقة وتابعهم عليه قوم من الصوفية؛ فهذا مخالف لشرعة الإسلام.

ومما يحسن التنبيه عليه ما بليت به أمة الإسلام اليوم من السياحة التي ذاع صيتها وانتشر ذكرها من السفر إلى بلاد الكفر؛ لأجل النـزهة والمتعة أو لغير بلاد الكفر؛ لغرض المجون والخنى والغفلة وغير ذلك. وهذا كله عمل باطل محرم.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص٢٩٠ وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٤/ ٨. وفي إسناده رشدين بن سعد وابن أنعم الإفريقي وكلاهما ضعيف. انظر: التقريب ص٢٠٩ و٣٤٠.

في شَيءٍ، ولا مِن فِعل النبيِّين ولا الصَّالحين[١].

فصل:

وأما الخروجُ على الوحدةِ، فقد نَهى رسولُ اللهِ ﷺ أن يسافِر الرجلُ وحدَه[٢]:

• فأخبَرنا عبدُ الرحمن بن محمد، قال: أنا أحمدُ بن علي بن ثابتٍ، قال: أنا محمدُ بن الطيِّب الصبَّاغ، قال: أخبَرنا أحمد بن سَلمان النجَّاد، قال: نا يحيى بنُ جعفر بن أبي طالبٍ، قال: نا عليُّ بنُ عاصمٍ، قال: نا عبدُ الرحمن بنُ يزيد[٣]، قال: نا عَمرو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الراكبُ شيطانٌ، والراكِبان شيطانانِ، والثلاثة رَكْبٌ**»[٤].

• أخبرنا هِبةُ اللهِ بن محمد، قال: أخبَرنا الحسَنُ بن عِلي، قال: أنا أحمدُ بنُ جعفر، قال: نا عبدُ اللهِ بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: نا أيوبُ بنُ النَّجار، عن

---

(١) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢/ ١٧٦ ونقله شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط ١/ ٢٨٧ والفتاوى ١٠/ ٦٤٣ والفتاوى الكبرى ٤/ ٤٦٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٩١ عن عبد الله بن عمر ﷺ وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ١٠٤ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وأورده الغزالي في الإحياء في آداب السفر ٢/ ١٥١ وقال عنه الحافظ العراقي: أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح. وأخرج أبو داود في المراسيل رقم (٣١١) مثله عن عطاء مرسلًا.

(٣) في (أ): زيد.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٧٨ ومن طريقه أبو داود رقم (٢٦٠٧) والترمذي رقم (١٦٧٤) وقال عنه: حديث حسن صحيح. والنسائي في الكبرى ٥/ ٢٦٦ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٨٦ ٢١٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ١١٢ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد عنده ٢/ ١١٢ من حديث أبي هريرة وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. والحديث حسن إسناده الحافظ في الفتح ٦/ ٥٣ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢٢٧١) وصحيح الترمذي رقم (٣٦٨) وصححه في صحيح الجامع الصغير رقم (٣٥٢٤). وانظر: فتح الباري ٦/ ٥٣-٥٤ وفيض القدير ٤/ ٤٤.

طيِّبِ بن محمدٍ، عن عطاء بن أبي رباحٍ، عن أبي هريرةَ قال: لعن رسولُ اللهِ ﷺ راكبَ الفَلاةِ وحدَهُ[١].

فصل:

وقد يمشُون باللَّيلِ أيضًا على الوحدَةِ، وقد نُهِيَ عن ذلك:

• وأخبَرنا ابنُ الحُصَين، قال: أنَا ابنُ المذهب، قال: أخبَرنا أحمدُ بنُ جعفر، قال: نا عبدُ اللهِ بنُ أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: نا محمدُ بنُ عُبيدٍ، قال: نا عاصِمٌ، عن أبيه، عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما قال: قال النَّبي ﷺ: «**لو يعلمُ الناسُ ما في الوحدَةِ ما سار أحدٌ وحدَه بِلَيلٍ أبدًا**»[٢].

• قال عبدُ اللهِ: وحدَّثني أبي، قال: نا محمدُ بن أبي عَديٍّ، قال: نا محمدُ بن إسحاقَ، عن محمد بن إبراهيم، عن عطاءِ بن يَسارٍ، عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أقِلُّوا الخروجَ إذا هدَأتِ الرِّجْلُ؛ فإنَّ اللهَ ﷻ يبُثُّ في لَيلهِ من خلقِه ما شَاء**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٨٧ ٢٨٩، قال عنه أحمد شاكر رقم (٧٨٤٢): إسناده صحيح. وفي تحقيق الأرنؤوط ١٣/ ٢٤٥ قال: صحيح، دون قوله: وراكب الفلاة وحده. وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٢ والعقيلي في الضعفاء ٢/ ٢٣٢ وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٨٣ من طريق فيه: أبو سعيد المسيب بن شريك وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٩٩٨) والترمذي رقم (١٦٧٣) وابن ماجه رقم (٣٧٦٨) والنسائي في الكبرى ٥/ ٢٦٦ والإمام أحمد ٢/ ٢٣ ٢٤ ٦٠ ٨٦...
ويؤخذ من الحديث الكراهة في سفر الوحدة وعدمها مقيد بالحاجة عند الأمن وحالة المنع مقيدة بالخوف حيث لا ضرورة انظر: الفتح ٦/ ١٣٨ وإرشاد الساري ٥/ ١٣٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٣٠٦ ٣٥٥ وأبو داود رقم (٥١٠٤) والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٢٣٣ وفي عمل اليوم والليلة رقم (٩٤٢) والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٢٣) و(١٢٣٥) والحاكم في المستدرك ١/ ٦١٤ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤٢٥٧) والسلسلة رقم (١٥١٨).

فصل:

وفيهِم مَن جعلَ دأبَهُ السفرَ، والسَّفرُ لا يُرادُ لنفسِهِ، قال النبي ﷺ: «**السَّفرُ قطعةٌ من العذاب، فإذا قَضى أحدُكُم نَهمَتَهُ من سَفَرِهِ فليَعْجَل إلى أهلِهِ**»(١).

وقال المصنِّفُ: فمن جعلَ دأبَهُ السَّفرَ فقد جَمَع بينَ تضييعِ العُمُرِ وتعذِيبِ النَّفس، وكِلاهما مقصودٌ فاسِد:

أنبأنا عبدُ المنعِم بن عبدِ الكريم، قال: نا أبي، قال: سمعتُ محمدَ بنَ الحسَينِ، يقول: سمعتُ أبا الطيِّبِ العكي، يقول: سمعتُ أبا الحسَنِ المصرِيَّ، يقول: سمعتُ أبا حمزةَ الخُرَسانِيَّ يقول: كنتُ قد بقِيتُ محرِمًا في عباءٍ أسافِرُ كلَّ سنةٍ ألفَ فرسَخٍ، تطلُعُ الشمسُ عليَّ و تغرُبُ، كلَّما أحلَلتُ أحرَمتُ(٢).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري رقم (١٨٠٤) و رقم (٣٠٠١) و رقم (٥٤٢٩) ومسلم رقم (١٩٢٧) والإمام مالك ٢/ ٩٨٠ والإمام أحمد ٢/ ٢٣٦ ٤٤٥ ٤٩٦ وابن ماجه رقم (٢٨٨٢) والدارمي ٢/ ٣٧٢.

(٢)أخرجه القشيري في الرسالة ١/ ١٥٨ وعنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ١٥٥. وذكر القشيري في الرسالة ص٢٨٨ بابًا في أحكام السفر ذكر فيه جملة من أخبارهم الغريبة.

ذكر تلبيسه عليهم في دخول الفَلاة بغير زاد

قال المصنِّفُ رحمه الله: قد لَبَّسَ على خلقٍ كثيرٍ منهُم، فأوهَمَهُم أنَّ التوكُّلَ تركُ الزَّادِ، وقد بيَّنَّا فسادَ هذا فيما تقدَّم، إلَّا أنهُ قد شاعَ هذا في جَهَلَةِ القوم، وجاءَ حمقَى القُصَّاصِ يحكُونَ ذلك عنهُم على سبِيلِ المدحِ لهُم، فيتضمَّنُ ذلكَ تحرِيضَ المبتَدِئينَ علَى مثلِ ذلكَ، وبأفعالِ أولئِكَ، ومدحِ هؤلاءِ لهَا فسَدَت الأحوالُ، وخفِيَت على القوم طريقُ الصَّوابِ!

والأخبارُ عنهم بذلكَ كثيرةٌ، وأنا أذكُرُ منها نُبذَةً:

• أنبأنا محمدُ بنُ عبدِ الملك، قال: أنبأنا أبو بَكرٍ الخطيبُ، قال: أنا رِضوانُ بنُ محمد الدينَوَرِي، قال: نا طاهِرُ بن عبدِ الله، قال: نا الفضْلُ بن الفضلِ الكندِي، قال: حدَّثني أبو بكرٍ محمدُ بن عبدِ الواحِد بن جعفرٍ الواسِطِي، قال: نا محمدُ بن التيَّاح، عن عليِّ بنِ سهلٍ البصري، قال: أخبَرني **فتحٌ الموصِلِيُّ**، قال: خرجْتُ حاجًّا، فلمَّا توسطتُ البادِيةَ إذا أنا بغُلامٍ صغيرٍ، فقلتُ: يا عَجَبًا! بادِية بَيداء، وأرضٌ قِفَار، وغلامٌ صغيرٌ!

فأسرعْتُ فلَحِقتُهُ فسلَّمتُ علَيهِ، ثمَّ قلتُ: يا بُنَي إنك غلامٌ صغيرٌ لم تَجرِ عَليكَ الأحكامُ. قال: يا عمّ، قد ماتَ من كانَ أصغرَ سِنًّا منِّي، فقلت: وسِّع خُطاكَ؛ فإنَّ الطريقَ بعيدٌ حتَّى تلحَقَ المنزِلَ. فقال: يا عمّ، عليَّ المشيُ، وعلى اللهِ البلاغُ، أما قَرأتَ قولَ اللهِ تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت: ٦٩]. قلتُ: ما لي لا أرى مَعكَ زادًا ولا راحِلَة؟! فقال: يا عمّ، زادي يقِيني وراحِلَتِي رَجائِي. قلت: سألتُكَ عن الخُبزِ والماءِ. قال: يا عمّ، أخبِرْني لو أنَّ أخًا من إخوانِكَ أو صدِيقًا من أصدِقائِكَ دعاكَ إلى منزِله، كنت تَسْتَحْسِنُ أنْ تحمِلَ معكَ طعامًا فتأكُلَهُ في منزِلِهِ؟ فقلت: أزوِّدُكَ. فقال: إليكَ عنِّي يا بطَّال، هُو يُطعِمُنا ويسقِينا.

قال فتح: فما رَأيتُ صغيرًا أشدَّ توكُّلًا منه[(١)(٢)]!

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: بِمثلِ هذهِ الحكايةِ تَفسُدُ الأمورُ، ويُظَنُّ أنَّ هَذا هُو الصَّواب، ويقولُ الكبيرُ: إذا كان الصغِيرُ قد فعلَ هَذا فأنَا أحقُّ بِفعلِهِ.

وليسَ العَجَبُ من الصَّبِيِّ، بل من الذي لقِيهُ كيفَ لم يُعَرِّفْهُ أن هذا الذِي يفعلُهُ مُنكرٌ! وأن الذي استدعاكَ أمرَكَ بالتزوُّدِ، ومِن مالِهِ تتزوَّد، ولكِن قد مَضَى على هذا كِبارُ القَومِ، فكيف الصِّغار؟!

• أخبَرنا أبو مَنصورٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ الحافِظ، قال: أخبَرنا أبو نُعَيمٍ الأصبَهانِي، قال: سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ بن عليٍّ اليَقْطِيني، يقولُ: حضرتُ **أبا عبدِ الله بن الجلاءِ**، وقيل له: هؤلاءِ الذين يدخُلُونَ البادِيةَ بلا زادٍ ولا عدّة، يزعُمُونَ أنَّهم متوكِّلة، فيمُوتونَ، فقال: هذا فِعلُ رجالِ الحقِّ، فإن مَاتُوا فالدِّيةُ على القاتِلِ[(٣)].

• أخبَرنا ابنُ ناصر، قالَ: أنبأنا أحمدُ بن عليِّ بن خَلَفٍ، قال: أنا أبو عبدِ الرحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا الحسَينِ الفارِسِيَّ يقول: سمعتُ أحمدَ بن عليٍّ يقول: قالَ رجلٌ **لأبي عبدِ الله بن الجلاء**: ما تقولُ في الرَّجلِ يدخُلُ البادِيةَ بلا زادٍ؟ قال: هذا مِن فِعل رجالِ اللهِ. قال: فإن ماتَ؟ قال: الدِّيةُ على القاتِلِ[(٤)].

---

(١) جاء في (أ) و(ت): ولا رأيتُ كبِيرًا أشدَّ زُهدًا منه.

(٢) أخرجه المؤلف من طريق الخطيب ولم أجده في تاريخ الخطيب ولا في غيره مما بين يديه من كتبه. وذكر نحو هذه القصة القشيري في الرسالة ص١٦٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤ والخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٢١٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٨٩.

(٤) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص١٧٨.

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: هذه فتوى جاهلٍ بالشَّرعِ؛ إذ لا خِلافَ بينَ فُقَهاء الإسلام أنهُ لا يجوزُ دخولُ البادِيةِ بغيرِ زادٍ، وأنَّ مَن فَعَلَ ذلك فمات بالجوعِ فإنهُ عاصٍ للهِ تعالى، مستحقٌّ لدخولِ النار.

وكذلكَ إذا تعرَّضَ بما غَالِبهُ العطَب، فإنَّ اللهَ جعلَ النفوسَ وديعةً عندنا، قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقد تكلَّمْنا فيما تقدَّمَ في وجوبِ الاحترازِ مِن المؤذِي، ولَو لم يَكُن للمسافِرِ بِغَيرِ زادٍ إلَّا أنهُ خالَفَ أمرَ اللهِ عز وجل في قولِهِ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٧].

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا أبو سعدِ بن أبي صادقٍ، قال: أنا ابنُ باكويه، قال: سمعَ أبا أحمد الكبير، يقول: سمعتُ **أبا عبدِ اللهِ بن خفيفٍ** يقول: خرجْتُ مِن شِيراز في السَّفْرةِ الثالِثة، فتُهْتُ في البادِيةِ وحدِي، وأصابَنِي من الجوعِ والعَطَشِ ما أسقَطَ مِن أسنانِي ثمانيةً، وانْتَثَر شَعرِي كُلُّهُ[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: هذا قد حكى عن نفسِهِ ما ظاهِرُهُ المدح عَلى ما فَعلَ، والذَّمُّ حاق به.

• أخبَرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أخبَرنا أحمدُ بن عِلي بنِ ثابتٍ، قال: أخبَرنا عبدُ الكرِيم بن هَوزان، قال: سمعتُ أبا عبدِ الرحمن السُّلَمِيَّ يقولُ: سمعتُ محمدَ بن عبد اللهِ الواعظَ، وأخبَرنا أبو بكرِ بن حبيب، قال: أنا أبو سعدِ بن أبي صادقٍ، قال: أنا أبو عبدِ اللهِ بن باكويه واللفظُ له، قال: نا أبو الفضلِ يوسفُ بنُ عليٍّ البَلخِيُّ، قال: حدَّثنا محمدُ بن عبدِ الله بنِ عبدِ العزيزِ، قال: حدَّثنِي خيرًا النَّساج، قال: سمعتُ **أبا حَمزةَ الصُّوفِي** يقول: إني لأستحي من اللهِ تعالى أنْ أدخُلَ البادِيةَ وأنا شبعانٌ، وقد

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٥٢/ ٤١١ وذكره الذهبي في السير ١٦/ ٣٤٣.

اعتقَدتُ التوكُّلَ؛ لئلَّا يكونَ شبْعِي زادًا تزوَّدتُهُ[١].

قال المصنِّف رحمه الله: **قلت**: وقد سبقَ الكلامُ على مثلِ هذا، وأنَّ هؤلاءِ القومَ ظنُّوا أنَّ التوكُّلَ تركُ الأسبابِ، ولو كانَ هكذا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ تزوَّدَ لَمَّا خرجَ إلى الغارِ قد خَرَجَ من التوكُّلِ[٢]، وكذلك مُوسَى لَمَّا خَرجَ لِطلَبِ الخَضرِ، فتزوَّدَ حُوتًا[٣]، وأهلُ الكَهفِ حينَ خرجُوا فاستَصْحَبوا درَاهِم. وإنما خفِي معنَى التوكلِ على هؤلاءِ فجهلوهُ!

وقد اعتذرَ لهُم أبو حامدٍ، فقال: يجوزُ دخولُ المَفَازَةِ بغيرِ زادٍ، بِشَرطَين:

أحدهما: أن يكونَ الإنسانُ قد راضَ نفسَهُ، بِحيثُ يُمكِنُهُ الصَّبرُ عن الطَّعامِ أسبُوعًا ونحوه.

والثاني: أن يُمكِنَهُ التقوُّتُ بالحَشِيشِ، ولا تَخْلُوا البادِيةُ من أن يلقَاهُ آدمِيٌّ بعدَ أسبوعٍ أو ينتهِي إلى حُلَّةٍ أو حَشيشٍ يُزجِي بِهِ وقتَه[٤].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: أقبحُ ما في هذا القولِ أنهُ صدرَ مِن فَقِيهٍ! فإنهُ قد لا يَلقَى أحَدًا، وقد يَضِلُّ، وقد يَمرَضُ فلا يَصلُحُ لهُ الحشِيشُ، ويتعرَّض لِمَن لا يُضَيِّفُهُ، وتفوتُهُ الجماعَةُ قَطعًا، وقد يموتُ فلا يليه أحدٌ.

ثم قد ذكرنا مَا جاءَ في الوحدَةِ وما المُحْوِجُ إلى هِذهِ المِحَن أنْ يعتَمِدَ فِيها عَلى عادةٍ أو لقاءِ شخْصٍ، أو الاجتزاءِ بحشِيشٍ؟! وأيُّ فضيلةٍ في هذهِ الحالةِ حتى يُخَاطِر

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب الفتوة ص٢٤٧ ضمن مجموع مؤلفاته وأبو بكر الخطيب في تاريخه ١/ ٣٩١ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٢٥٦ ومن طريق أخرى أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٢١-٣٢٢.

(٢) تقدم تخريجه ص٦٥٠.

(٣) كما حكاه الله جل وعلا عنه في سورة الكهف الآيات: ٥٩-٦٤.

(٤) انظر: الإحياء ٤/ ٢٦٦. وفيه: يجتزئ به فيحيا مجاهدًا نفسه.

فيها بالنَّفسِ؟! وأين أمرُ الإنسانِ أن يتقوَّتَ بحشيشٍ؟! ومَن فعلَ هذا مِن السَّلفِ؟! وكأنَّ هؤلاءِ القومِ يُجرِّبونَ على اللهِ سُبحانهُ هل يرزُقُهُم في البادِيةِ؟!

ومَن طلبَ الطعامَ في البريَّةِ فقد طلبَ ما لَمْ تَجرِ العادةُ بهِ، ألَا تَرى أنَّ قومَ مُوسى عليه السلام لَمَّا سَألوا مِن بُقُولِها وقِثَّائِها قيلَ لَهُم: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ [البقرة: ٦١]؛ وذلكَ لأنَّ الذي طلبُوهُ في الأمصار.

وهؤلاءِ القومُ على غايةِ **الخطأ في مخالفةِ الشَّرعِ والعقلِ** والعمَلِ بواقعات[١] النفس:

• أخبرنا محمدُ بن ناصر، قال: أخبَرنا المُبارَك بن عبدِ الجبَّار، قال: أخبَرنا عبدُ العزيز بن عليٍّ الأزجِي، قال: أخبرنا إبراهيمُ بن محمد بنِ جعفر السَّاجِي، قال: أخبَرنا أبو بَكرٍ عبدُ العزيز بن جعفر، قال: حدَّثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن محمد الخَلَّال، قال: أخبَرنا الحسَنُ بنُ أحمدَ الكَرمَاني، قال: نا أبو بَكرٍ، قال: نا شَبَابة، قال: نا ورقاءُ، عن عَمرِو بنِ دينارٍ، عن عِكرِمة، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان أهلُ اليمَنِ يحجُّونَ ولا يتزوَّدون، ويقولون: نحنُ مُتوكِّلونَ. فيحُجُّون فيأتونَ إلى مَكَّة فيسألونَ النَّاس، فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾[البقرة: ١٩٧][٢].

• أخبرنا أبو المعمرِ الأنصارِي، قال: أخبَرنا يَحيى بنُ عبدِ الوهَّاب بن منده، قال: أنا أبو طاهر محمدُ بن أحمد بن عبدِ الرحيم، قال: أنا أبو محمد بن حيَّان، قال: نا أبو بكرٍ أحمدُ بن هارون البَردِيجِي، قال: نا عبدُ الله بن الأزهَر، قال: نا أبو أسباط، قال: نا محمدُ بن موسَى الجُرجَاني، قال: سألتُ محمدَ بن كثيرٍ الصنعاني عن الزُّهَّادِ

---

(١) في بعض نسخ دار الكتب المصرية: بموافقات النفس.

(٢)أخرجه البخاري رقم (١٤٥١) وأبو داود رقم (١٧٣٠) والطبري في تفسيره ٢/ ٢٧٩ والبيهقي في السنن ٤/ ٣٣٢ والشعب ٢/ ٧٤ وابن حبان في صحيحه ٦/ ٤٠٩.

الذين لا يتزوَّدون ولا يَنتَعِلون ولا يلبَسُونَ الخِفاف، فقال: سألَتني عن أولادِ الشَّياطين، ولم تسألني عنِ الزُّهاد! فقلت له: فأيُّ شيءٍ الزُّهد؟ قال: التمسُّكُ بالسُّنةِ، والتشبُّهُ بأصحابِ محمد ﷺ(١).

● أخبَرنا محمدُ بن ناصر، قال: أنا أبو الحسَين بن عبدِ الجبَّار، قال: أخبَرنا عبدُ العزيز بن عليٍّ الأزجِي، قال: أنا إبراهيمُ بن محمد السَّاجِي، قال: أنا أبو بَكرٍ عبدُ العزيز بن جعفر، قال: أنا أبو بَكرٍ أحمدُ بن محمد الخَلَّال، قال: أنا أحمدُ بن الحسَين بن حسَّان، أنَّ أبا عبدِ الله أحمدَ بنَ حنبل سُئِل عن الرَّجلِ يدخُلُ المفازَةَ بِغيرِ زادٍ؟ فأنكرَهُ إنكارًا شديدًا، وقال: أُفٍّ أُفٍّ، لا لا -ومدَّ بِها صوتَهُ- إلَّا بِزادٍ ورُفَقَاءَ وقافِلةٍ(٢).

● قال الخَلَّال: وقال أبو بكرٍ المرُّوذِي: جاء رجلٌ إلى أبي عبدِ الله، فقال: رجلٌ يريدُ سفرًا، أيها أحبُّ إليكَ: يحمِلُ معهُ زادًا، أو يتوكَّل؟ فقال له أبو عبدِ الله: يحمِل معهُ زادًا ويتوكَّل(٣).

● قال الخَلَّال: وأخبَرني إبراهيمُ بن الخَلِيل أنَّ أحمدَ بنَ نصرٍ حدَّثهم أنَّ رجُلًا سأَلَ أبا عبدِ الله، أيَخْرُجُ الرَّجلُ إلى مَكَّة مُتوكِّلًا لا يحمل معهُ شيئًا؟ قال: لا يعجبُني، فمِن أين يأكلُ؟! قال: يتوكَّل فيعطِيه الناسُ. قال: فإذا لم يُعطُوهُ! أليسَ يستشرِفُ لهُم حتَّى يُعطُوه؟! لا يُعجِبُني هذا. لم يبلُغنِي أنَّ أحدًا من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ والتابِعينَ رضوانُ اللهِ علَيهِم فَعلَ هذا(٤).

---

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف ونقله محقق كتاب الحث على التجارة للخلال ص١٤١ وقال: إسناده لا بأس به. ولا أدرى على أي شيء بنى هذا الحكم.

(٢) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٣٧ رقم (٩٠).

(٣) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٤٠ تابع لرقم (٩٢).

(٤)أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٤٠ رقم (٩٢).

• قال الخلَّال: وأخبَرنا محمدُ بن عليٍّ السَّمسار، أنَّ محمدَ بنَ موسى بن مشيشٍ حدَّثهم أنَّ أبا عبدِ اللهِ سألهُ رجلٌ فقالَ: أَحُجُّ بلا زاد؟ فقال: لا، اعمل واحترف واخرج؛ النبيُّ ﷺ قد زوَّد أصحابَه. فقال: فهؤلاءِ الذين يغزُونَ ويحُجُّون بلا زادٍ هُم على الخَطأ؟ قال: نعم، هُم على الخطأ(١).

• قال الخلَّال: وأخبَرني محمدُ بنُ أحمد بن جامع الرَّازِيَّ، قال: سمعتُ الحسَين بن الحسن الرَّازِي قال: شهِدتُ أحمدَ بن حنبل جاءهُ رجلٌ من أهلِ خُراسان، فقال له: يا أبا عبدِ الله! معِي دِرهمٌ، أحجُّ بهذا الدرهم؟ فقال له أحمد: اذهب إلى بابِ الكرخِ، فاشتر بهذا الدِّرهم مَنًّا(٢)، واحمل على رأسِك حتَّى يصيرَ عِندكَ ثلاثمائة درهم، فإذا صار عندك ثلاثمائة دِرهمٍ فحُجَّ. قال: يا أبا عبدِ اللهِ، ما ترى مكاسِبَ الناس؟! قال أحمد: انظُر إلى هَذا الخَبيثِ(٣)! يُريدُ أن يُفسِدَ على النَّاس معايِشَهم. قال: يا أبا عبدِ الله، أنا متوكِّل. قال: فتدخُلُ البادِيةَ وحدَكَ، أو معَ الناس؟ قال: لا معَ النَّاس. قال: كذبتَ، ليس أنت متوكِّل، فادخل وحدكَ وإلَّا فأنتَ متوكِّلٌ على جُرُب النَّاس(٤).

---

(١) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٤١ رقم (٩٣).

(٢) المَنُّ: مادة صمغية حلوة تفرزها بعض الأشجار وطل ينـزل من السماء على شجر أو حجر ينعقد ويجف جفاف الصمغ وهو حلو يؤكل. انظر: النهاية في غريب الأثر ٤/ ٣٦٦ والمصباح المنير ص٥٨١.
وفي كلام الإمام أحمد إيجاز واختصار أي: اشتر المنّ واحمل على رأسك وبع وتاجر حتى يصير لديك ثلاثمائة درهم فحج. انظر: الحث على التجارة ص٧١.

(٣) أغلظ الإمام أحمد له القول؛ لأنه زعم زعمًا باطلًا منكرًا وهو شيوع الحرام وانتشاره في أموال الناس وفي ذلك إفساد لمعايشهم وبيعهم وشرائهم حتى يظن الجاهل أن الحلال مفقود وأن السبيل للوصول إليه مسدود. انظر: فيض القدير ٣/ ٤٢٤ والحث على التجارة ص٧١.

(٤) أخرجه الخلال في الحث على التجارة ص١٤٢ رقم (٩٤) وانظر: ما تقدم ص٦٦٢.

سياق ما جرى للصوفية في أسفارِهم وسياحاتهِم من الأفعالِ المخالفَة للشرع

• أخبَرنا أبو مَنصورٍ عبدُ الرحمن بنُ محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ علي بن ثابت، وأخبرَنا محمد بن عبدِ الباقي، قال: أخبرنا حَمَد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نُعَيم الحافظ، قال: ثنا أحمدُ بن محمدِ بن مقسم، قال: حدَّثني أبو بدر الخيَّاط الصُّوفي، قال: سمعتُ أبا حمزةَ يقول: سافرتُ سَفرةً على التوكُّل، فبينما أنا أسير ذاتَ ليلةٍ والنومُ في عَيني، إذ وقعتُ في بِئرٍ، فَرَأيتُني قد حصلتُ فيها، فَلم أقدِر على الخروج لبُعدِ مُرْتَقَاها، فجلستُ فيها، فبينا أنا جالِسٌ إذ وقفَ على رأسها رجُلان، فقال أحدهما لصاحبه: نجوزُ ونترُكُ هذهِ البئر في طريقِ السابِلة والمارة فقال الآخر: فما نصنع؟ قال: فبدرت نفسي أن تقولَ: أنا فِيها، فنُوقِرْتُ[1]: تتوكَّلُ علينا وتشكُو بَلاءَنا إلى سِوانَا.

فسكتُّ، فمَضَيا ثمَّ رَجَعا ومعهما شيءٌ، فجَعَلاهُ على رأسِهَا، غطَّوها بِه فقالَت لِي نَفسِي: أمِنتَ طمَّها ولكِن حصلتَ مسجُونًا فيها. فمكَثْتُ يومِي ولَيلَتِي، فلمَّا كانَ الغدُ ناداني شَيءٌ يهتِفُ بي ولا أراهُ: تمَسَّك بِي شدِيدًا. فمدَدتُ يدِي فوقَعَت عَلَى شَيءٍ خشِنٍ، فتمسَّكْتُ بِهِ، فعَلاها وطَرَحنِي فتأمَّلتُ فوقَ الأرضِ، فإذا هُو سَبعٌ، فلمَّا رأيتُهُ لِحَقَ نفسِي من ذلكَ ما يَلحَقُ من مثله، فهتَفَ بي هاتفٌ: يا أبا حمزة، استَنقَذناكَ منَ البلاءِ بالبلاءِ، وكفيناكَ ما تَخاف بِها تخافُ[2].

---

(١) في (ت): فتوقرت وكذا السير ١٣/ ١٦٧ وفي بقية المصادر لهذا الخبر فنوديت. والـمُناقَرَةُ: نِقارٌ وناقِرَةٌ ونِقْرَةٌ، أَي: كلام فالـمُناقَرَةُ: الـمُنازَعَةُ ومُراجَعَةُ الكلام. فكأن نفسه نازعته وراجعته وقالت له. انظر: كتاب العين ٥/ ١٤٥ واللسان ٥/ ٢٢٩.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٢٠ والخطيب في تاريخه ١/ ٣٩١ وقال الخطيب بعد ذكر الخبر: وذكر لنا أبو نعيم أن الواقع في البئر أبو حمزة البغدادي وكذلك يحكى عن أبي بكر الشبلي.

أخبرَنا محمد بن ناصرٍ، قال: أنا محمدُ بنُ أبي نصر الحُمَيدِي، قال: أخبرَنا أبو بَكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ الأردِستانِي، قال: نا أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ محمدَ بنَ الحسَن المخرمي سمعت ابنَ المالكيِّ يقول: قال أبو حمزة الخرساني: حجَجْت سنةً من السنينَ، فَبَينا أنا أمشِي في الطريقِ وقعتُ في بئرٍ، فنازَعَتنِي نفسِي أن استغيثَ، فقلتُ: لا واللهِ لا أستغِيثُ. فَما استَتْمَمْتُ هذا الخَاطِرِ حتى مرَّ برأسِ البئر رجُلان، فقال أحدُهُما للآخرِ: تعالَ حتى نَسُدَّ هذا البئر في هذا الطريق. فأتَوا بقَصَبٍ وبَارِيَّةٍ[1]، فَهَمْهمتُ، فقلت: إلى مَن هُو أقربُ إليكَ مِنهما. وسكتُّ حتى طمُّوا رأسَ البئرِ، فإذا بشيءٍ قد جَاءَ فكشَفَ عن رأسِ البئرِ ودلَّى رجلَيهِ، وكأنَّه يقولُ في هَمهَمةٍ لهُ: تعلَّق بِي. فتعلَّقتُ بهِ فأخرجَني، فنظَرتُ فإذا هُو سبعٌ، فهَتَفَ بي هاتِفٌ وهو يقولُ: يا أبا حَمزة، أليس ذا أحسن؟ نجَّيناكَ من التَّلفِ بالتَّلفِ[2]!

أخبرنا أبو منصور القزَّاز، قالَ: أنا أحمدُ بن علِيِّ بن ثابتٍ، قال: أنا أبو القاسم رضوانُ بن محمَّد بن الحسن الدِّينَوَرِي، قال: سمعتُ أحمدَ بن محمد بن عبدِ اللهِ النَّيسابورِي، يقول: سمعتُ أبا بكر بن محمد بن أحمد بنِ عبدِ الوهَّاب الحافظَ، يقول: سمعت أبا عبدِ الله محمدَ ابنَ نعيمٍ، يحكِي عن أبِي حَمزَة الصُّوفيِّ الدِّمشقِي أنهُ لَمَّا خرجَ من البئرِ أنشأ يقولُ:

نَهانِي حيائِي مِنكَ أن أكشِفَ الهَوى ** وأغْنَيتَنِي بالقُربِ منكَ عن الكَشفِ
تَراءَيْتَ لِي بالغَيبِ حتَّى كَأنَّما ** تُبشِّرُنِي بالغَيبِ أنَّكَ في الكفِّ
أرَاكَ وبِي مِن هَيْبَتِي لكَ وَحشةٌ ** وتُؤنِسُنِي بالعَطْفِ منكَ وباللُّطفِ
وتُحيِي مُحِبًا أنتَ في الحبِّ حَتفُهُ ** وذا عَجَبٌ كونُ الحياةِ معَ الحَتفِ[3]

(١) البارِيَّةُ: فارسي معرب: وهو الحصير المنسوج. انظر: مختار الصحاح ص ٢٨ واللسان ٤/ ٨٧.
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٧٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ١٥٥ وانظر الذي قبله.
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٧٧ وأبو بكر الخطيب في تاريخه ١/ ٣٩٢ وابن عساكر في تاريخه ٦٦/ ١٥٥ وذكرها الطوسي في اللمع ص٣٢٤ والقشيري في الرسالة ص١٧١.

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** اختلَفُوا في أَبِي حمزَةَ هذا الواقعِ في البئرِ، فقال أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِي: هو أبُو حمزَةَ الخرساني، وكانَ مِن أقران الجُنَيد، وقد ذَكرنا فِي رِوايةٍ أنه دمشقِي.

وقال أبو نُعيمٍ الحافظ: هو أبو حمزَةَ البغدادِي، واسمهُ محمد بن إبراهيم، وذكرهُ الخطيبُ في تاريخِهِ، وذكرَ لهُ هذهِ الحكايَة.

وأَيُّهُم كانَ فإنه مُخطِئ في فعلِهِ، مخالفٌ للشرعِ بِسُكُوتِه، مُعينٌ بصَمتِهِ على نفسِهِ، وقد كان يجب عليهِ أن يصيحَ ويمنعَ مِن طمِّ البئرِ، كما يجب عليه أن يدفعَ عن نفسِهِ من يقصِدُ قتلَهُ.

وقوله: «لا أستغيثُ» كقولِ القائل: لا آكلُ الطَّعام ولا أشرَبُ الماء، وهذا جَهْلٌ مِن فاعلِهِ، ومخالَفَةٌ للحِكمةِ في موضوع الدُّنيا، فإنَّ الله تعالى وضعَ الأشياءَ على الحِكمةِ، فجعلَ للآدمِيِّ يدًا يَدفعُ بها، ولسانًا ينطِق بهِ، وعقلًا يهدِيهِ إلى دفعِ المضار واجتلابِ المصالِح، وجعل الأغذِيةَ والأدوِيةَ لمصلَحة الآدميِّين، فمن أعرضَ عن استعمال ما خُلقَ له وأُرشدَ إليه فقد رفضَ أمرَ الشرعِ وعطَّل حِكمةَ الصانع.

فإن قالَ جاهلٌ: فكيفَ أحترِزُ من القَدر؟

قلنا: وكيفَ لا يُحتَرَزُ مع الأمرِ المقدَّرِ وقد قال الله تعالَى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] ؟! وقد اختفَى رسولُ اللهِ ﷺ في الغار، وقالَ لِسُراقةَ: أخفِ عنا، واستأجَر دليلًا إلى المدينة، ولم يقُل أخرُجُ على التوكُّل، وما زال ببدنِهِ مع الأسبابِ وبِقَلْبِهِ مع المُسَبِّب، وقد أجْمَلنا هذا الأصلَ فيما تقدَّم[1].

---

(١) قدمه المؤلف في مبحث التوكل ٦٤٧.

وقولُ أبي حمزةَ: نوقرتُ[1] في باطِني. هذا مِن حديثِ النَّفسِ الجاهِلَةِ التي قد استقرَّ عندها بالجَهل أنَّ التوكلَ تركُ التمسُّكِ بالأسبابِ؛ لأنَّ الشرعَ لا يطلبُ من الإنسانِ ما نهاهُ عنهُ، وهلَّا نافَرَهُ باطنُه في مدِّ يدِهِ وتعلُّقِهِ بذلكَ وتمسُّكِهِ به، فإنَّ ذلك نقضٌ لما ادَّعاهُ مِن تركِ الأسباب، وأيُّ فرقٍ بين قولِهِ: أنا فِي البئرِ، وبين تمسُّكِهِ بما تدلَّى عليه؟! لا، بل هذا آكدُ؛ لأنَّ الفِعلَ آكدُ من القول، فهلَّا سكَنَ حتَّى يُحمَلَ بلا سببٍ.

فإن قال: هذا بعَثَهُ اللهُ لي!

قلنا: والذي جازَ على البِئرِ مَن بعثَهُ؟ واللسانُ المستَغِيث مَن خلقَهُ؟ فإنَّهُ لو استغاثَ كان مُستعمِلًا للأسبابِ التي خلَقَها اللهُ تعالى للدَّفعِ عنه، فلم يُلَم، وإنما بِسُكُوتِهِ عطَّلَ الأسبابَ، ودفَعَ الحكمَ فصَلُحَ[2] لومهُ، وأمَّا تخلِيصُهُ بأسدٍ، فإنْ صحَّ هذا فقد يتفقُ مثلهُ، ثم لا نُنكِرُ أنَّ اللهَ تعالى يَلطُفُ بعبدِهِ، وإنما نُنكِرُ فعلَهُ المخالِفَ للشَّرعِ.

• أخبرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عِليِّ بنِ ثابتٍ، قال: نا عبدُ العزيزِ بنِ أبي الحسَنِ، قال: سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ اللهِ بنِ جهضمٍ بمكَّةَ يقول: نا الخلدي، قال: قال جُنَيدٌ: قال لِي **محمدُ السَّمِين**: كُنتُ في طريقِ الكوفةِ بقُربِ الصحراء التي بِبَزِيقيا[3] والطريقُ منقطِعٌ، فرأيتُ على الطريقِ جملًا قد سقطَ وماتَ، ورأيتُ عليهِ سبعةً أو ثمانيةً مِن السِّباعِ تَتَناهَشُ، ويحمِلُ بعضُها على بعضٍ، فلمَّا أن

---

(١) وفي (م) و(ت): توقرت. وفي المصادر ونسخ دار الكتب المصرية: نوديت. وقول المؤلف: في باطني. لم ترد هذه الجملة في القصة هنا ولا في مصادرها ولعلها جملة تفسيرية من المؤلف رحمه الله.

(٢) وفي هامش (م): فحسن.

(٣) جاء في تاريخ بغداد ٥/ ٣٤٨: ببريقيا. وفي تحقيق بشار ٣/ ٣١١: بِبَزِيقيا. وبَزِيْقِيا: قرية قرب حلة بني مزيد من أعمال الكوفة. انظر: معجم البلدان ١/ ٤١٢.

رأيتُهُم كأنَّ نفسِي اضطربت، وكانُوا على قارِعَةِ الطريقِ، فقالت لي نفسي: تميلُ يمينًا أو شمالًا ، فأبيتُ عَلَيها إلَّا أن آخذَ على قارِعةِ الطريقِ، فحملتُها على أنْ مَشَيتُ حتى وقَفْتُ عليهِم بالقُربِ منهُم كأحَدِهِم.

ثمَّ رجَعتُ إلى نفسِي لأنظُر كيفَ هِي؟ فإذا الرَّوعُ معي قائمٌ، فأبَيتُ أن أبرَحَ وهذِهِ صِفَتِي، فقعدتُ بينهم ثمَّ نظرتُ بعد قُعُودِي، فإذا الرَّوعُ معي، فأبيتُ أن أبرَحَ وهذِهِ صفتي، فوضعتُ جَنبي ونِمتُ مُضطَجِعًا، فغشانِي النومُ فنمت وأنا على تلك الهَيئة، والسِّباعُ في المكانِ الذي كانوا عَليهِ، فمَضَى بِي وقتٌ وأنا نائم، فاستَيقَظتُ فإذا السِّباعُ قد تفرَّقت ولم يبَق منها شيءٌ، وإذا الذِي كنتُ أجِدهُ قد زالَ، فقُمتُ وأنا على تِلك الهيئةِ فمَشَيتُ[(١)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: هذا الرجلُ قد خالفَ الشَّريعةَ في تعرُّضِهِ بالسِّبَاع[(٢)]، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يتعرَّض لسَبعٍ أو حَيَّةٍ، بل يجبُ عليه أن يفرَّ منه:

- وفي الصحِيحَين أنَّ النبي ﷺ قال: **إذا وقعَ الطاعونُ بأرضٍ وأنتم بها فلا تَقدَمُوا عَليه**[(٣)].
- وقال ﷺ: **فِرّ من المجذُومِ فرارَكَ مِن الأسدِ**[(٤)].

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٣٤٨.

(٢) جميع النسخ هكذا. وفي بعض نسخ دار الكتب المصرية: للسباع.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٦ ومن طريقه أخرجه البخاري رقم (٥٧٣٠)، ومسلم (٢٢١٩)، وأبو داود رقم (٣١٠٣)، والنسائي في الكبرى رقم (٧٥٢١)، والإمام أحمد ١/ ١٩٣، ١٩٤، عن عبد الرحمن بن عوف، وأخرجه البخاري رقم (٥٧٢٨)، ومسلم رقم (٢٢١٨)، والترمذي رقم (١٠٦٥)، والإمام أحمد ٥/ ٢٠٢ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٣، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه. وعن سعد بن أبي وقاص أخرجه مسلم رقم (٢٢١٨)، والإمام أحمد ١/ ١٨٢.

(٤) أخرجه البخاري معلقًا رقم (٥٧٠٧)، وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٤٣ والبغوي في شرح السنة رقم (٣٢٤٧) وقال: هذا حديث صحيح والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ⟵

○ ومرَّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام بِحائِطٍ مائلٍ فأسرَع[١].

قال المصنِّفُ: وهذا الرَّجلُ قد أراد مِن طبعِه أن لَّا ينزَعِجَ، وهذا شَيءٌ ما سلِمَ منهُ موسَى ﷺ، فإنهُ لما رأى الحيَّةَ خافَ وولَّى مُدبرًا.

وإنْ صحَّ ما ذكره وهو بعيدُ الصِّحَّة؛ لأنَّ طِباعَ الآدمِيين تَتَساوى، فَمَن قال: لا أخافُ السَّبعَ بِطبعِي، كذَّبناهُ، كما لو قال: لا أشتَهِي النَّظر إلى المستَحسَن.

فكأنَّه قَهَر نفسَهُ حتى نامَ بينها استسلامًا للهَلاكِ، لِظنِّهِ أنَّ هذا هو التَّوكُّل، وهذا الظَّنُّ خطأٌ؛ لأنَّه لو كانَ هذا التوكُّل ما نُهي عن مُقارَبَة ما يُخافُ شَرُّهُ، ولعلَّ السِّباعَ اشتغلَت عنهُ، فإنهُ قد كان أبو تُرابٍ النَّخْشَبِي مِن كِبارِ القوم، فلَقِيَتهُ السِّباعُ في البرِيَّةِ فنَهَشَتهُ فمات[٢].

(٧٤٠٦)، والأحاديث الصحيحة رقم (٧٨٣). وفي الباب عند مسلم رقم (٢٢٣١) من حديث عمرو بن الشريد الثقفي عن أبيه. وللنظر في معنى الحديث والجمع بينه وبين ما يوهم التعارض معه. انظر: تأويل مختلف الحديث ص١٠٢ وفتح الباري ١٠/ ١٥٨-١٦٣.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٥ وابن عدي في الكامل في الضعفاء ١/ ٢٣١ والعقيلي في الضعفاء ١/ ٦٠ والمصنف في العلل المتناهية ٢/ ٨٩٤. جميعهم من طريق إبراهيم بن إسحاق ويقال له: إبراهيم بن الفضل المخزومي المدني: وقد ضعفه غير واحد من الأئمة. انظر: الميزان ١/ ١٩ وأورد الذهبي الحديث في ترجمته وقال: والخبر منكر.

وقال الخطابي في غريب الحديث ١/ ٦٩٩ مستشهدًا بهذا الحديث: وهذا خلاف قول من يزعم أن التوكل إنما هو في الاستسلام وترك الحذر والتوقي ولا يرى أن للأمور عللًا وأسبابًا قد تعبدنا الله بمراعاتها واستأثر بعلم الغيب فيها.. قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: ليس ينبغي لأحدنا أن يصعد فوق بيت فيتردى منه ثم يقول: هكذا قضي عليَّ! ولكن يحترز ويحتاط فإن أصابه شيء علم أنه من قدر الله تعالى.

(٢) قتل السباع له ذكره: أبو عبد الرحمن السلمي في الطبقات ص١٤٧ وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٤٩ و٢٢٠ والخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠/ ٣٤١ ٣٤٨ والمؤلف في صفة الصفوة ٤/ ١٧٤ والذهبي في السير ١١/ ٥٤٦.

ثم لا نُنكِرُ أنَّ اللهَ تعالى لَطَفَ بهِ ونجَّاهُ بحُسنِ ظنِّهِ فيهِ، غيرَ أنَّا نُبيِّنُ خطأَ فِعلِهِ للعامِّي الذي إذا سمِعَ هذا قال: هذِهِ عزِيمةٌ عظِيمةٌ ويقينٌ قويٌّ، ورُبَّما فضَّلَ حالتَهُ علَى حالةِ موسى عليه السلام إذ هرَبَ منَ الحيَّةِ، وعلى حالةِ نبيِّنا ﷺ إذ مرَّ بِجِدارٍ مائلٍ فهرْوَلَ(١)، وعلى حالةِ أبي بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه إذ سدَّ خروقَ الغارِ اتِّقَاءً للأذَى(٢).

وهيهَاتَ أن تعلُوَ مَرتَبةُ هذا المُخَالِفِ للشَّرعِ على مَرتَبةِ الأنبياءِ والصدِّيقِين بما يُخايِلُ لهُ ظنُّهُ الفاسِد من أنَّ ما فَعَلَهُ هو التوكُّل!

• وقد أخبرنا عنهُ أبو منصورٍ القزاز، قال: أنا أبو بكرٍ الخطِيبُ، قال: أخبرَنا إسماعيلُ بن أحمدَ الجبرِي، قال: نا محمدُ بنُ الحُسَين السُّلَمِي(٣)، قال: سمعتُ محمدَ بن عبدِ الله الفرغَانِي، قال: سمعتُ مؤمِّلًا المغازِلِي يقولُ: كنتُ أصحبُ **محمَّدًا السَّمين**، فسافرتُ معهُ ما بين تكرِيت والموصِل، فبينَا نحنُ في بَرِّية نسيرُ إذ زأرَ السَّبُعُ مِن قريبٍ، فَجَزِعتُ وتغيَّرتُ، وظَهَر ذلكَ علَى صِفَتِي، وهَممتُ أن أُبادِرَ، فَضَبَطني وقال: يا مؤمِّل التوكُّلُ هاهنا لا في المسجِد الجامِع(٤).

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** لا يشكُّ فِي أنَّ التوكُّلَ يظهَرُ أثرُهُ عِند الشَّدائِد ولكِن ليسَ مِن ضَرُورَةِ صحتِهِ الاستِسْلَام للسَّبع فإنه لا يجوز.

• أخبَرنا عُمَر بنُ ظفرٍ، قال: أنا ابنُ السَّرَّاج، قال: أنا ابنُ عبدِ العزيز بن علي الأزجِي، قال: أنا ابنُ جهضمٍ، قال: نا إبراهِيمُ بنُ أحمد بن عليٍّ العطَّار، قال: قال الخوَّاص: حدَّثني بعضُ المشايخ أنه قيل لِعليٍّ الرَّازِي: ما لنا لا نراكَ مع **أبي طالِبٍ**

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) انظر: ما تقدم ٦٥٠.

(٣) في المغربية ومصادر الخبر: بعد السلمي قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادي. وهو الخشاب، وقد سقط من النسخ.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٣٧ والخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٣٤٨.

الجَرْجَانِي؟! فقال: كُنا في موضِعٍ فيهِ سِباعٌ، فلمَّا نَظَر إليَّ ولَيسَ أنامُ طَرَدَني وقال: ليس تَصحَبُني بعد هذا[١].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ **قلت:** لقد تعدَّى هذا الرَّجـل، إذ أرادَ مِن صاحبهِ تغييرَ ما طُبِعَ عليهِ، ولَيسَ ذلِكَ إليهِ، ولا يُطالِبُهُ بمثلِهِ الشَّرعُ، وما قدرَ على هذِهِ الحـالةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينَ هرَب من الحية، فهذا كله مُتَنَاهٍ عن الشَّرع ومبناهُ على الجهل.

• أخبرنا ابنُ ظفر، قال: أخبرنا ابنُ السَّـرَّاج، قال: أنا الأزْجِيُّ، قال: نا ابنُ جهضمٍ، قال: سمعتُ الخلديَّ يقول: سمعتُ إبراهيم الخـوَّاص يقول: سمعتُ **حَسَنًا أخَا سِنانَ** يقول: كنتُ أسلُكُ طريقَ مكَّةَ فَتَدْخُلُ في رِجلِي الشَّـوكَةُ فيَمنَعُـني ما أعتقِدُهُ من التوكُّل أنْ أُخرِجَهَا مِن رِجلِي، فأدلك رِجلي على الأرضِ وأمشِي[٢].

• أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ الباقِي بن أحمد، قال: أنبأنا أبو عِليٍّ الحَسَنُ بنُ محمدِ بنِ الفضلِ الكرْمَانِي، قال: أخبَرنا سَهلُ بنُ عليٍّ الخشَّاب، قال: أخبَرنا عبدُ الله بنُ عليٍّ السرَّاج، قال: سمعتُ أحمدَ بن عليٍّ الوجيهيَّ يقول: حجَّ **الدِّينَوَري**[٣] اثنَتَي عَشَرةَ حَجَّةً حافِيًا مكشُوفَ الرَّأس، وكانَ إذا دَخَل في رِجلهِ شوكٌ يَمسحُ رجلَهُ في الأرضِ ويمشِي ولا يتطاطا إلى الأرضِ من صحَّةِ توكُّلِهِ[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ **قلت:** انظرُوا إلى ما يَصنعُ الجهلُ بأهلِهِ، وليسَ مِن طاعةِ اللهِ تعالَى أن يقطَعَ الإنسانُ تلكَ البادِيةَ حافِيًا؛ لأنَّهُ يؤذِي نفسَهُ غايةَ الأذَى، ولا مكشوفَ الرأس، وأيُّ قُربٍ تحصُلُ بهذا؟! ولولَا وجوبُ كَشفِ الرَّأسِ في مُدَّة

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف. ولعل ابن الجوزي نقله عن كتاب ابن جهضم وهو في عداد المفقود.
(٢) أخرجه القشيري في الرسالة ص ١٦٧ أو ١/ ٤٢٥. وانظر: الذي يليه.
(٣) سماه في اللمع حسن القزاز الدينوري وقد روي عنه عدد من الأخبار. انظر: ص٢٢٣ ٢٦٧.
(٤) أخرجه الطوسي في اللمع ص٢٢٣.

الإحرام لم يكن لكَشْفِهِ معنى[١].

ومَن الذي أمَرَهُ ألَّا يُخرِجَ الشَّوكَ مِن رِجلِهِ؟! وأيُّ طاعَةٍ تَقعُ بهذا؟! ولو أنَّ رِجلَهُ انتفَخَتْ بما يَبقى فِيها مِن الشَّوكِ وتلَفَت كانَ قَد أعانَ على نفسِهِ، وهل دلْكُ الرِّجلِ بالأرضِ إلَّا دفعُ بعضِ الشَّوكِ! فهلَّا دفعَ الباقيَ بالإخراجِ؟!

وأين التوكُّل مِن هذهِ الأفعالِ المخالِفةِ للعقلِ والشَّرعِ؛ لأنَّهما يقتضِيان جلبَ المنافِعِ للنَّفسِ ودفعِ المضارِّ عنهُ! وقد أجازَ الشرعُ لِمن أدركَهُ ضَررٌ فِي إحرامهِ أنْ يَخْرِقَ حُرمَةَ الإحرامِ ويَفدِيَ[٢].

• أخبرَنا أبو مَنصورٍ القزَّاز، قال: أخبرنا أبو بكرٍ الخطيبُ، قال: أخبرنا القَاضِي أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسَنِ الحرشِي وأبو سعيدٍ محمدُ بنُ موسَى الصَّيرَفِي، قالا: أخبَرنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ الأصمّ، قال: سمعتُ العباسَ بنَ محمد الدُّورِيَّ يقول: سمعتُ **أبا عُبَيدٍ** يقول: إنِّي لأتبيَّنُ عقلَ الرَّجُلِ بأن يَدَعَ الشمس ويمشِي في الظِّل[٣].

• أخبرنا القزَّازُ، قال: أنا أبو بكرٍ الخطيبُ، قال: نا عبدُ العزيز بنُ أبي الحسَن القرمِيسِينِي، قال: سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الله بنِ جهضمٍ، قال: سمعتُ أبا بكرٍ الدَّقِّيَّ يقول: حدَّثني **أبو بكرٍ الزَّقاق**، قال: خرجْتُ في وَسَط السَّنةِ إلى مكَّةَ وأنا حَدَث السِّن، فِي وَسطِي نِصفُ جُلٍّ[٤] وعلى كتِفِي نصفُ جُلٍّ، فرمَدَت عَينِي فِي الطَّريقِ،

---

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام في كشف الرأس على وجه التعبد وأن هذا منكر لا يجوز التعبد لله بذلك. الفتاوى ٢٢/ ٥٢٣ والفتاوى الكبرى ١/ ٢١١.

(٢) كما في حديث كعب بن عجرة ﷺ أخرجه البخاري رقم (١٧٢١) و رقم (١٧١٤).

(٣)أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخه ١٢/ ٤١٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٩/ ٨١ وذكره الذهبي في السير ١٠/ ٤٩٩.

(٤) ومعنى الجُلِّ: جُلُّ الدابة كثوب الإنسان يلبسه يقيه البرد والجمع جِلال وأجْلال. انظر: مختار الصحاح ص٤٦ والمصباح ص١٠٥.

فكُنتُ أمسَحُ دمُوعِي بالجُلِّ، فأقرَحَ الجُلُّ الموضِعَ، وكانَ يخرجُ الدَّمُ مَع الدُّموعِ، فمِن شِدَّةِ الإرادةِ وقوَّةِ سُرورِي بِحالِي لم أفرِّق بين الدُّموعِ والدَّم، وذهبَت عينِي فِي تلكَ الحجَّةِ، وكانت الشمسُ إذا أثَّرت فِي يَدي قبَّلتُ يدي ووضعتُهَا علَى عَينِي سُرورًا مِنِّي بالبَلاء[(١)].

أخبَرنا محمدُ بن أبِي القاسِم، قال: أنا حَمَد بنُ أحمد، قال: أنا أبو نُعَيم الحافظ، قال: سمعتُ أبا الفضلِ أحمدَ بنَ أبي عِمرانَ يقولُ: سمعتُ محمدَ بنَ أبِي داودَ الدَّقِّي يقول: سمعتُ أبا بكرِ الزَّقاقَ يقول: كان سببُ ذهابِ بَصَري أنِّي خَرجتُ فِي وسطِ السَّنةِ أريدُ مكَّةَ، وفِي وسَطِي نصفُ جُلٍّ وعلَى كتفي نصفُ جُلٍّ، فَرمدَت إحْدَى عَينَيَّ، فمَسَحتُ الدُّموعَ بالجُلِّ، فقَرحَ المكانَ، فكانتِ الدُّموعُ والدَّمُ يسيلانِ مِن عَينِي[(٢)].

أخبرنا محمدُ بنُ أبِي القَاسِم، قال: أنبأنا أبو محمَّد التَّمِيمِي، قال: أنبأنا أبُو عبدِالرَّحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا بكرٍ الرَّازِيَّ يقول: قلتُ لأبِي بكرٍ الزَقَّاق، وكان بفردِ عينٍ: ما سببُ ذهابِ عينِك؟ قال: كنتُ أدخلُ الباديةَ على التوكُّل، فجعلْتُ على نفسِي أن لا آكُلَ لأهلِ المنازِلِ شَيئًا تورُّعًا، فسالَت إحدَى عَينَيَّ على خَدِّي مِن الجُوعِ[(٣)].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** إذا سمعَ مُبتَدِئٌ بحالةِ هذا الرَّجلِ ظنَّ أنَّ هذِهِ مجاهَدَاتٌ، وقد جَمَعت فنونًا مِن المعاصِي والمخالفات، مِنها:

- خروجُهُ فِي نصفِ السَّنةِ على الوِحدةِ.

---

(١) أخرج الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٢.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٤٤.

(٣) لم أجد من أخرجه غير المؤلف وانظر: ما تقدم في الذي قبله.

○ ومشيُهُ بلا زادٍ.
○ ولباسُهُ الجُلَّ، ومَسحُهُ عينَيهِ بهِ.
○ وظنُّهُ أنَّ ذلكَ يُقَرِّبُهُ إلى اللهِ تعالى، وإنما يُتَقَرَّبُ إلى اللهِ تعالَى بما شَرعهُ، لا بما نهى عنهُ، ولو أنَّ أنسانًا قال: أريدُ أن أضرِبَ نفسِي بِعصًا؛ لأنَّها عصَت أتقرَّبُ بذلكَ إلى اللهِ ﷻ، كانَ عاصِيًا.
○ وسرورُ هذا الرجلِ بهذَا البلاءِ خَطأٌ قبيحٌ؛ لأنَّه إنما يفرحُ بالبلاءِ إذا كانَ بغَيرِ تسبُّبِ الإنسانِ، فلو أنَّ إنسانًا كَسَرَ رِجلَ نفسِهِ ثمَّ فرِحَ بهذِهِ المصِيبةِ كانَ نهايةً في الحماقةِ! ثمَّ تركُهُ السؤالَ وقتَ الاضطِرارِ وحملُهُ علَى النَّفسِ شِدَّةَ المجاعَةِ حتَّى سالت عينُه، ثم يُسمِّي هذا تورُّعًا حماقاتٌ أثمرَهَا الجهلُ والبُعْدُ عن العِلم!

وقد أخبَرنا محمدُ بنُ أبِي القاسِم، قال: ثنا حَمَد بنُ أحمَد، قال: أخبَرنا أبُو نُعَيم الحافظ، قال: ثَنا سُليمانُ بن أحمد، قال: نا محمدُ بنُ العبَّاسِ بن أيوبَ الأصفهانِي، قال: حدَّثنا عبدُ الرَّحمن بن يونُس الرَّقي، قال: نا مُطرِّف بنُ مازِن، عن سُفيانَ الثوريِّ، قال: مَن جاعَ فلم يسأل حتَّى ماتَ دخل النارَ[1].

قال المصنِّفُ ؒ: فانظر إلى كلام الفقهاءِ ما أحسنهُ ووجهُهُ أنَّ اللهَ تعالى قد جعلَ للجَائِعِ مُكنَةَ التسبُّبِ، فإذا عدِمَ الأسبابَ الظاهرةَ فلهُ قُدْرةُ السؤالِ التي هِي كسبُ مثلِهِ في تلكَ الحالِ، فإذا تَركَهُ فقد فرَّطَ في حفظِ نفسِهِ التي هِي وديعةٌ عندهُ؛ فاستحقَّ العقابَ.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٦٦ والمصنف في صفة الصفوة ١/ ٢٨ وقال عقبه: قلت ولا التفات إلى أبي حمزة في حكايته: فجاء أسد فأخرجني.. فإنه إن صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقًا وقد يكون لطفًا من الله تعالى بالعبد الجاهل ولا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به إنما ينكر فعله الذي هو كسبه وهو إعانته على نفسه التي هي وديعة الله تعالى عنده وقد أمر بحفظها.

وقال المصنِّفُ: وقد رُوِيَ لنا فِي ذهابِ عينِ هذا الرجلِ ما هُو أظرفُ ممَّا ذَكرنَا:

فأخبَرنا محمدُ بنُ عبدِ الباقِي بن أحمد، قال: أنا حَمدُ بنُ أحمد الحدَّاد، قال: أخبَرنا أبو نُعيمٍ، قال: سمعتُ أبا أحمد القَلانِسيَّ يقول: قالَ أبو عليٍّ الروذبارِي يحكِي عن أبي بكرٍ الزَقّاق، قال: استضفتُ حيًّا من العَربِ، فرَأَيتُ جاريةً حسناءَ، فنظَرتُ إليها، فقلَعتُ عينِي التي نظرْتُ بها إليها، فقالت: فمثلك من نَظر لله[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: فانظـرُوا إلى جَهلِ هذا المسكِينِ بالشرِيعةِ والتعبُّد؛ لأنَّهُ إن كانَ نظرَ إليـهَا عن غَـيرِ تعمُّدٍ فلا إثمَ عليـهِ، وإن كـانَ تعمَّد فقد أَتى صغِيرةً قد كانَ يكفيهِ منها الندمُ فضمَّ إليها كبِيرةً وهي قلعُ عينِهِ، ولم يتُب مِنها؛ لأنَّه اعتقدَ قلعَهَا قربةً إلى اللهِ سبحانه، ومن اعتقدَ المحظورَ قُربةً فقد انتهى خَطوُهُ إلى الغَايةِ!

ولعلَّهُ سمعَ تلكَ الحكايةَ عن بعضِ بني إسرائيل أنَّهُ نظرَ إلى امرأةٍ فقلَعَ عينهُ، وتلكَ مع بُعدِ صِحَّتِها رُبَّما جازت فِي شَريعتِهِم[2] فأمَّا شريعتُنا فإنها حرَّمت هَذا.

وكأنَّ هؤلاءِ القومِ ابتكرُوا شَريعةً سمَّوهَا بالتصوُّفِ وتركُوا شَريعةَ محمدٍ ﷺ، نعوذُ باللهِ من تلبيسِ إبليسَ!

وقَد رُوِيَ عن بعضِ عابِداتِ الصُّوفِيَّة مثلُ هذا:

أخبرنا أبو بكرِ بن حبيبٍ العامري، قال: أخبرنا أبو سَعيدِ بنُ أبي صادقٍ، قال: أخبَرنا ابنُ باكويه، قال: أخبَرني أبو الحسَنِ عليُّ بنُ أحمدَ البصرِي، غلامُ شَعْوانةَ، قال: أخبرتني شَعْوانةُ أنَّهُ كانَ في جِيرانِها امرأةٌ صالحة، فخَرجَت ذاتَ يومٍ إلى السُّوقِ، فرآهَا بعضُ النَّاس فافتُتِن بها، وتبِعهَا إلى بابِ دارِها، فقالت له المرأة: أيُّ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٤٤.

(٢) ذكر الذهبي نحوها من أنه نظر إليها فعمي. السير ١/ ٥٥٧.

شَيءٍ تريدُ منِّي؟ قال: فُتِنتُ بِكِ. فقالت: ما الذي استَحسنتَ منِّي؟ قال: عينيكِ. فدخَلت: إلى دارِها فقلَعَت عينَها وخرجَت إلى خلفِ البابِ ورَمَت بها إليهِ، وقالت: خُذها، لا باركَ اللهُ فيك(١).

قال المصنِّفُ رحمه الله: فانظرُوا إخواني كيف يتلاعَبُ إبليسُ بالجَهَلةِ، فإنَّ ذلك الرجلَ أتى صغيرةً بالنظر، فأتت هذهِ بكبيرةٍ، ثمَّ ظنَّت أنَّ ما فَعَلتهُ طاعةٌ، ثمَّ قد كانَ ينبغِي أن لا تُكَلِّم رجُلًا.

وقد وُجِدَ من القومِ ضدُّ هذا، كما روي عن ذي النون وغيرِهِ أنهُ قال: لقيتُ امرأةً في البرِّيَّة، فقلت لها! وقالت لي! وقد أنكرت عليهِ امرأةٌ متيقِّظةٌ:

فأخبرنا عبدُ الملك بنُ عبدِ الله الكَرُوخِي، قال: أنبأنا محمَّدُ بن عليِّ بن عمر، قال: أنا أبو الفضلِ محمدُ بن محمدٍ، قال: أخبرَنا أبو سعيدٍ محمدُ بنُ أحمد بن يوسف، قال: حدثني شكرٌ، قال: حدَّثني محمدُ بن يعقوب الفرجي، قال: سمعتُ ذا النون يقول: رأيتُ امرأةً بِنَحو أرضِ البَجَّةِ، فنادَيتُها، فقالَت: وما لِلرِّجالِ أن يكلِّمُوا النِّساءَ! لولا ضعفُ عقلِك رمَيتُك بِشيءٍ(٢).

• أخبرَنا عبدُ الرَّحمن بن محمد، قال: أنا أحمد بنُ عليِّ بن ثابتٍ، قال: نا عبدُ العزيز الأزجِي، قال: نا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الهمداني حدثني عليُّ بنُ إسماعيلَ الطَّلَّاء، قال: حدَّثني محمدُ بن الهيثم، قال: قال لي **أبو جَعفرٍ الحدَّاد**: دخلتُ الباديةَ بعضَ السِّنينَ على التَّوكُّل، فبقِيتُ سبعةَ عشَرَ يومًا لم آكُل فِيها شَيئًا، وضعُفتُ عنِ المشيِ، فبقِيتُ

---

(١) لعل هذا الخبر أخرجه ابن باكويه في كتابه حكايات الصوفية وهذا الكتاب في عداد المفقود ولم أجد من أخرج عنه غير المؤلف.

(٢) ذكر هذا الخبر المؤلف في صفة الصفوة ٤/ ٤٢٩ وجاءت بعض عبارات هذا الأثر فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ذي النون من طريق أخرى. انظر: الحلية ٩/ ٣٤٨.

أَيَّامًا أُخَر لم أذُقْ فيها شَيئًا، فسقطتُ علَى وجهِي وغُشِيَ عليَّ وغلبَ عليَّ من القَملِ شيءٌ ما رأيتُ مثلَهُ ولا سمِعتُ به، فبينَا أنا كذلِكَ إذ مرَّ بِي ركبٌ فرَأَونِي علَى تلكَ الحالِ، فنزلَ أحدُهُم عن رَاحِلَتِهِ فحلَقَ رأسِي ولِحيَتِي، وشقَّ ثوبِي وترَكَنِي في الرَّمضَاء وسارَ، فمرَّ بِي ركبٌ آخَر، فحملُونِي إلى حيِّهِم وأنا مغلُوبٌ، فطرحُونِي ناحيةً، فجاءتنِي امرأةٌ فَحَلبَت على رأسِي، وصبَّت اللَّبنَ فِي حلقِي، ففتَحتُ عينِي قليلًا وقلت لهُم: أقربُ المواضِعِ منكم أين؟ قالُوا: جبل الشراة، فحملُونِي إلى الشراة[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** يُحكَى أنَّ رجُلًا من المجَانِين أنحلَّ مِن السِّلسِلة، فأخذَ سكِّينًا وجعلَ يشرحُ لحمَ نفسِهِ ويقول: أنا ما رأيتُ مثلَ هذا الجنونِ[2]، وإلَّا فانظُروا إلى حالِ هذا المسكِينِ وما فعلَ بنفسِهِ، ثمَّ يعتقدُ هذا قُربةً! نسألُ اللهَ العافِية.

• أخبرنا محمدُ بن ناصر، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليِّ بن خَلَفٍ، قال: أنا أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا بَكرٍ الرَّازِيَّ يقول: سمعتُ أبا الحسَينِ الزّنجاني يقول: سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاص يقول: رأيتُ **شيخًا مِن أهل المعرِفةِ** عرَّج بعدَ سبعةَ عشرَ يومًا على سببٍ فِي البريةِ، فنهاهُ شيخٌ كان مَعَهُ، فأبَى أن يَقبَلَ، فسقَطَ ولم يرتفِع عن حُدُودِ الأسبابِ[3].

قال المصنِّفُ قلت: هذا قد أرادَ منه أن يصبِرِ عن القوتِ أكثرَ مِن هَذا، وليسَ الصَّبر إلى هذا الحدِّ - وإنْ أُطيقَ - بِفضِيلةٍ.

---

(١) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٢ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ١١٤ وذكرها في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢١٦.

(٢) جاء في بعض نسخ دار الكتب المصرية: [لو يُحكَى أنَّ رجُلًا من المجَانِين أنحلَّ مِن السِّلسِلة، فأخذَ سكِّينًا وجعلَ يشرحُ لحمَ نفسِهِ ويقول: أنا ما رأيتُ مثلَ هذا الجنونِ، لَصُدِّقَ على هذا].

(٣) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية ص٢٨٦.

• أخبرنا محمدُ بن أبِي القاسِم، قال: أنبأنا رِزقُ اللهِ بن عبدِ الوهاب، قال: أنا أبو عبدِ الرَّحمن محمدُ بنُ الحسَين، قال: سمعتُ جدِّي إسماعيلَ بنَ نجيدٍ يقول: دخلَ إبراهيمُ الهَرَوِيُّ معَ إبراهيم ستنبه[١] البادية، فقال له ستنبه: اطرَحْ ما مَعَكَ مِن العَلائِق، قال: فطرحْتُها كلَّها وأبقَيتُ دينارًا، فخطَا خُطُواتٍ ثم قال: اِطرَحْ كلَّ ما مَعَك، لا تَشْغَل سِرِّي. قال: فأخرجْتُ الدِّينارَ ودفَعتُهُ إليهِ، فَطَرَحَهُ، ثمَّ خَطا خُطُواتٍ، وقال: اطرَح ما معكَ، قلتُ: ليسَ معي شيء، قال: بَعْدُ سِرِّي مشتغلٌ، فذكرتُ أنَّ معِي دَسْتَجَة[٢] شسوعٍ، فقلت: ليسَ معِي إلَّا هذِهِ. فأخذَهَا فطرَحَها، ثمَّ قال: امشِي. فمَشَينا، فما احتجْتُ إلى شِبعٍ في البادِيةِ إلَّا وجدتُهُ مَطرُوحًا بينَ يدَي، فقال لي: كذا مَن عَامَلَ اللهَ بالصِّدقِ[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ **قلت**: هذهِ الأفعالُ خطأٌ، ورميُ المالِ حرامٌ، والعَجَبُ ممَّن يرمِي ما يملِك، ويأخُذُ ما لا يَدرِي مِن أين هو؟!

• أخبرَنا أبو بكر بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبو سَعيدِ بن أبِي صادقٍ، قال: أنا ابنُ باكويه، قال: سمعتُ نصرَ بنَ أبِي نصرٍ العطَّارَ، يقول: سمعتُ عليَّ بنَ محمَّدٍ المصرِيَّ يقول: سمعت **أبا سعيدٍ الخرَّازَ** يقول: دخلتُ البادِيةَ مرَّةً بغيرِ زادٍ، فأصابَتنِي فاقةٌ فرأيتُ المرحَلَةَ مِن بعيدٍ، فسُررتُ بأنِّي وصَلتُ، ثمَّ فكَّرتُ في نفسِي أنِّي سكنتُ واتكلتُ على غيرِهِ، فآليتُ أنْ لا أدخُلَ المرحَلَةَ إلَّا أن أُحمَلَ إليهَا فحفَرتُ لِنفسِي في الرَّملِ حُفرَةً،

---

(١) في النسخ هكذا وهما رجل واحد وجاء في الرسالة القشيرية: إبراهيم بن دوحة مع إبراهيم بن ستنبة.

(٢) دستج: الدساتج جمع دَسْتَجَة والدَّسْتَجَةُ الحُزْمةُ تعريب دَستْه. انظر: المغرب ١/ ٢٨٧ والقاموس المحيط ص٢٤١. وشُسُوع: جمع شِسْعُ النعل الذي تُشدُّ إلى زمامها. انظر: مختار الصحاح ص٣٥٤ والمصباح المنير ص٣١٢.

(٣) أخرج القشيري في رسالته ص٢١٣ أو ٢/ ٤٥١ وأخرج نحو هذه الحكاية أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٤٣ وفي التدوين في أخبار قزوين ٢/ ١٣٢ أشار إلى اشتهار دخوله البادية على التجريد.

ووارَيتُ جَسَدِي فِيها إلى صَدرِي، فسمعتُ صوتًا في نصفِ الليل عاليًا: يا أهلَ المرحلةِ إنَّ للهِ وليًا حبسَ نفسَهُ في هذا الرَّملِ فالحقوهُ، فجاءَ جماعةٌ فأخرجُونِي وحملُونِي إلى القَريةِ[1].

قال المصنِّفُ ﵀ **قلت**: لقد تنطَّعَ هذا الرَّجلُ على طبعِهِ، فأرادَ منهُ ما لم يوضَع عليهِ؛ لأنَّ فِي طبعِ الآدمِيِّ الهَشَاشةَ إلى ما يُحبُّ، ولا لَومَ على العَطشَانِ إذا هشَّ إلى الماءِ، ولا على الجائعِ إذا هشَّ إلى الطَّعام، وكذلك كل مَن هشَّ إلى محبوبٍ له.

وقد كان النبيُّ ﷺ إذا قدِم مِن سَفَرٍ فلاحَت له المدينةُ، أسرَعَ السَّيرَ حُبًا للوطَنِ[2]، ولَمَّا خرَجَ مِن مَكَّة تلفَّتَ شَوقًا إلَيها[3]، وكان بلالٌ يقول: لعنَ اللهُ عتبةَ عتبةَ وشيبةَ! إذْ أخرجُونا مِن مكَّة، ويقول:

ألا لَيتَ شِعرِي هل أبيتنَّ ليلةً ** بوادٍ وحَولِي إذخرٌ وجَلِيلُ[4]

فنعوذُ باللهِ من الإعراضِ عن العمَلِ بمقتضَى العِلمِ والعقل، ثمَّ حَبْسُهُ لنفسِهِ عن صلاةِ الجَماعةِ قَبِيحُ، وأيُّ شَيءٍ في هذا مِن التَّقرُّبِ إلى الله سبحانهُ، إنما هُو محضُ جَهلٍ!

---

(١) أخرجه القشيري في الرسالة ص١٧١ أو١/ ٤٣٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ١٤٢ وذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري مختصرًا رقم (٤٤٢٢) وبنحوه برقم (١٨٠٢) و أخرجه مسلم رقم (١٣٩٢). وأخرجه البخاري برقم (١٨٨٦) عن أنس ﵁، والترمذي رقم (٣٤٤١) وقال: «حسن صحيح غريب».

(٣) لعل المصنف أراد بذلك حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء، أخرجه الترمذي رقم (٣٩٢٥) وقال: حسن غريب صحيح، والنسائي في الكبرى ٢/ ٤٧٩ رقم (٤٢٥٢) وابن ماجه رقم (٣١٠٨) والدارمي رقم (٢٥١٠)، والإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٠٥ وأخرجه الحاكم ٣/ ٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٣٠٨٢). وصحيح ابن ماجه رقم (٢٥٢٣).

(٤) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ رقم (١٧٩٠) وأخرجه مسلم مختصرًا رقم (١٣٧٦) والنسائي في الكبرى ٤/ ٣٦١ ومالك في الموطأ ٢/ ٨٩٠ وابن أبي شيبة ٥/ ٢٧٥ والإمام أحمد ٦/ ٨٢ ٢٦٠ وابن حبان ٩/ ٤٠ ومسند عائشة لابن أبي داود ١/ ٦٠.

• أنبأنا ابن ناصر، قال: أنبأنا جعفرُ بن أحمدَ بن السَّراج، قال: أنا عبدُ العزيز بنُ عِلي بن أحمد، قال: نا أبو الحسَن علي بن جهضَم، قال: نا أبو بَكرِ بن محمدٍ، قال: كنتُ عند أبِي الخَير التيناتِي، فبسطَنِي بمحادَثَتِهِ لِي بذكر بدايته، إلى أن سألتُهُ عن سبَبِ قطعِ يدِهِ، فقال: يدٌ جَنَت فقُطِعَت. ثم اجتمَعْتُ بهِ معَ جماعةٍ فَسَألُوهُ عن ذلكَ، فقالَ: سافرتُ حتى بلغتُ إسكندريَّة فأقمتُ بها اثنتي عشرَةَ سنةً، وكنتُ قد بنَيتُ بها كُوخًا، فكُنتُ أجِيءُ إليهِ من ليلٍ إلى ليلٍ وأفطِر على ما ينفُضُهُ المرابِطُونَ، وأُزاحِمُ الكِلابَ على قُمامَةِ السُّفَر، وآكُلُ مِن البَرَدِيِّ في الشِّتاءِ، فتوقرت فِي سرِّي: يا أبَا الخَيرِ، تزعُمُ أنكَ لا تُشَارك الخلقَ في أقواتِهم، وتشيرُ إلى التوكُّل وأنتَ في وسط المعلوم جالس؟!

فقلت: إلِهي وسيِّدِي ومولايَ، وعزَّتكَ لا مددتُ يدي إلى شَيءٍ مما تُنبتُهُ الأرضُ حتى تكونَ الموصِلَ إليَّ رزقي مِن حيثُ لا أكونُ أنا فِيهِ، فأقمتُ اثني عشَرَ يومًا أُصلِّي الفرضَ وأتنفَّلُ، ثمَّ عَجَزْتُ عن النَّافِلةِ، فأقمتُ اثني عشر يومًا أصلِّي الفرضَ والسُّنةَ، ثمَّ عَجَزْتُ عن السُّنة، فأقمتُ اثني عشرَ يومًا أصلِّي الفرضَ لا غير، ثمَّ عَجَزْتُ عن القِيامِ، فأقمتُ اثنَى عشَر يومًا أصلِّي جالسًا، ثمَّ عَجَزْتُ عن الجلوسِ فرأيتُ إن طرحتُ نفسِي ذهبَ فَرَضِي، فلَجأتُ إلى اللهِ ﷻ بسِرِّي وقلتُ: إلِهي وسيِّدي، افترضتَ علَيَّ فرضًا تسألُنِي عنهُ، وقسمتَ لي رِزقًا، وضمنتَهُ لي، فتفضَّل عليَّ برزقِي، ولا تؤاخِذنِي بما أعتقِدُهُ معك، فوعِزَّتكَ لأجتهدنَّ أني لا حللتُ عقدًا عقدتُهُ معكَ!

فإذا بينَ يدَيَّ قرصانِ بينهُما شَيءٌ، فكنتُ أجِدُهُ على دايِم وقتي مِن ليلٍ إلى ليلٍ، ثم طُولِبتُ بالمسيرِ إلى الثّغرِ، فسِرتُ حتى دخلتُ «فرما»، فوجدتُ في الجامِعِ قاصًّا يذكُرُ قِصةَ زكريَّا والمنشارَ، وأنَّ اللهَ تعالى أوحَى إليهِ حينَ نُشرَ: لئِن صَعِدَتْ إليَّ منكَ أَنَّةٌ لأمحُونَّكَ من دِيوانِ النبُوَّة، فصَبَرَ حتى قُطِعَ شَطرَين[1].

---

(١) أخرجه الدينوري في المجالسة ١/ ٣٣٢ رقم (٤٠) وابن العديم في بغية الطلب ٨/ ٣٨١٢ من طريق عبد المنعم بن إدريس. قلت: وعبد المنعم بن إدريس كذاب يضع الحديث. كما ذكره غير واحد. انظر: ⟵

فقلتُ: لقد كان زكريَّا صبَّارًا، إلهي وسيدِي، لئِن ابتَلَيتَنِي لأصبرنَّ. وسرتُ حتى دخلتُ أَنْطاكيَة، فرآنِي بعضُ إخوانِي، وعلمَ أنِّي أريدُ الثَّغر، فدفَع إليَّ سَيفًا وتُرسًا وحربةً فدخلتُ الثِّغرَ، وكنتُ حينئذٍ أحتشِمُ من اللهِ تعالى أن أُرى وَراءَ سُورٍ خِيفَةً من العدوِّ، فجعلتُ مقامِي في غابةٍ أكونُ فيها بالنَّهارِ وأخرُجُ باللَّيلِ إلى شط البحرِ، فأغرزُ الحربَةَ علَى السَّاحِل، وأسندُ التُّرسَ إليها محِرابًا، وأتقلَّدُ سيفِي وأصلِّي إلى الغدَاةِ، فإذا صلَّيتُ الصُّبحَ غدوتُ إلى الغابةِ فكنتُ فيها نهارِي أجمع.

فبدوتُ في بعضِ الأيامِ فعثرتُ بشجَرَةٍ، فاستَحسنتُ ثمرَها ونسيتُ عَقدِي مع اللهِ، وقسمِي به أنِّي لا أمدُّ يدِي إلى شَيءٍ مما تُنبت الأرض، فمددتُ يدي فأخذتُ بعضَ الثَّمرةِ، فبينا أنا أمضغُهَا ذكرتُ العقد، فَرميتُ بها مِن فمِي وجعلتُ يدَيَّ على رأسِي فَدارَ بِي فُرسان، وقالوا: قُم، فأخرَجونِي إلى السَّاحل، فإذا أميرٌ وحولهُ خيلٌ ورَجَّالة، وبينَ يدَيهِ جماعةٌ سودان كانُوا يقطعونَ الطريقَ، وقد أَخذَهم، وافترقَت الخَيلُ فِي طَلَبِ مَن هربَ منهم، فوجدُونِي أسْودَ، معِي سيفٌ وتُرسٌ وحربةٌ، فلمَّا قدمتُ إلى الأمِير، فقال: أيش أنت؟

قلتُ: عبدٌ مِن عِبادِ الله!

فقال للسّودان: تعرفونه؟

قالوا: لا.

قال: بلَى هُو رئيسُكُم، وإنَّما تفدُونهُ بأنفُسِكم لأقطعنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم، قدِّمُوهُم، فلَم يزَل يُقدِّمُ رَجلًا رَجلًا ويقطَعُ يدَهُ ورِجلَهُ حتى انتهى إليَّ.

التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ١٣٨ والكامل في الضعفاء ٥/ ٣٣٧ والضعفاء والمتروكين للنسائي ص٧٠ والميزان ٤/ ٤١٩.

فقال: تقدّم، مدَّ يدكَ، فمددُتها فقُطِعت، ثمَّ قال: مدَّ رِجلَكَ، فمددُتَها ورَفعتُ رأسِي إلى السَّماء، فقلت: إلهي وسيِّدِي يدي جَنَتْ ورِجلِي إيش عمِلت؟! فإذا بفَارِسٍ قد وَقَف على الحلقَةِ ورَمَى بنفسِهِ إلى الأرضِ وصاح: إيش تعملون؟! تريدُون أن تنطبِقَ الخضرَاءُ على الغبراء! هذا رجلٌ صالحٌ يُعرَفُ بأبي الخَير، فرمَى الأمير بِنفسِهِ وأخذَ يدِي المقطُوعَة من الأرضِ، فقبَّلَها وتعلَّق بِي يُقبِّلُ صدرِي ويبكِي ويقول: سألتُك باللهِ اجعلني في حلٍّ.

فقلتُ: قد جعلتُكَ في[1] أوَّلِ ما قطعتَها، هذِه يدٌ جَنَتْ فقُطِعَتْ[2].

قال المصنِّفُ رحمه الله: فانظُروا إخوانِي رحمكُم اللهُ إلى عدم العلم كيفَ صنعَ بِهذا الرَّجُل! وقد كانَ مِن أهلِ الخَيرِ، فلو كان عِندَهُ عِلمٌ عَلِمَ أنَّ ما فَعَلَهُ حرامٌ علَيهِ، وليسَ لإبليسَ عَونٌ على العُبَّادِ والزُّهَّاد أكثرُ من الجهل.

• أخبرنا أبو بكرِ بن حبيبٍ، قال: أنا أبو سَعيدِ بنُ أبي صادقٍ، قال: أنا ابنُ باكويه، قال: سمعتُ الحسَينَ بنَ أحمدَ الفارِسِيَّ يقول: سمعتُ محمدَ بن داودٍ الدِّينَوَري يقول: سمعتُ ابنَ حديقٍ يقول: دخَلنَا المصِّيصَة معَ **حاتِمٍ الأصمِّ**، فاعتقَدَ أنهُ لا يأكُلُ فيها شيئًا إلَّا ويفتحُ فمَه ويوضَعُ فيهِ ما يأكل، فقال لأصحابِهِ: افترِقوا.

وجلَسَ فأقامَ تِسعَةَ أيَّامٍ لا يأكُلُ فيها شيئًا، فلمَّا كان يومُ العاشِر جاء إليه إنسانٌ فوَضَعَ بينَ يديهِ شيئًا يؤكَلُ، فقال: كُل. فلَم يُجِبْهُ. فقال له: ثلاثًا فلم يُجبه. فقال: هذا مجنونٌ، فأصلَحَ لُقمَةً وأشارَ بِها إلى فمِه، فلم يفتح فمَه ولَم يُكلِّمهُ، فأخرَجَ مفتاحًا كان في كُمِّهِ وقال: هذا مجنونٌ. ففَتَح فيهِ بالمفتاحِ ودسَّ اللُّقمةَ فِي فمِهِ، فأكل، ثمَّ قال له: إن أحببتَ أن ينفَعَكَ الله بِهِ فأطعِم أولئك، وأشارَ بيدِهِ إلى أصحابه[3].

---

(١) في (ت): في حل من أول..

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٦٦/ ١٦٣-١٦٦ وذكره مختصرًا أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٨ وكذا الذهبي في السير ١٦/ ٢٣.

(٣) أخرجه المؤلف من طريق ابن باكويه، وكتابه في عداد المفقود.

• أنبأنا محمدُ بنُ أبي طاهر البزاز، قال: أنبأنا عِليُّ بنُ المحسِن التنوخِي[1] أنه قال: حدَّثني محمدُ بن هلالِ بنِ عبد الله، قال: حدَّثني القاضِي أحمدُ بنُ سيَّارٍ، قال: حدَّثني رجلٌ من الصُّوفية، قال: صحِبتُ **شيخًا مِن الصوفيَّة** أنا وجماعةٌ في سفرٍ، فجَرَى حديثُ التوكُّل والأرزاقِ وضَعفِ اليقين فيها وقُوَّته، فقال ذلِك الشيخ: عليَّ وعليَّ، -وحلَف بأيمانٍ غليظة- لا ذقتُ مأكولًا أو تَبعث لي بِجامِ فالوذَجٍ حارٍّ، ولا أكلتُهُ إلَّا بعدَ أن تحلف عليَّ.

قال: وكنَّا نمشِي في الصَّحراء، فقال له الجماعة: الآخر جاهل. ومَشى ومَشَينا، فانتَهَينا إلى قريةٍ وقَد مَضَى يومٌ ولَيلتَان لَم يَطعَم فيها شَيئًا، ففَارَقَتهُ الجَماعة غَيرِي، فَطرَح نفسَهُ في مسجدِ القريةِ مُستَسلِمًا للموتِ ضعفًا.

فأقمتُ عَلَيه، فلمَّا كان في ليلةِ اليومِ الرَّابعِ وقدِ انتصَفَ اللَّيلُ، وكادَ الشيَّخُ يتلَف إذا بِبابِ المسجِدِ قد فُتِح، وإذا جَاريةٌ سوداء معَهَا طبقٌ مُغطًّى، فلمَّا رأتنا قالَت: أنتُم غُرَباء أو مِن أهلِ القَرية؟ فقُلنا: غُرباء. فكشفتِ الطّبق، وإذا بجام فالوذَجٍ يفورُ لِحَرارَتِه، فقالت: كُلُوا. فقلتُ: أتأكل؟ فقال: لا أفعَل. فرَفعَت الجارِيةُ يدَها فَصَفعَتهُ صَفعَةً عظيمةً، وقالت: واللهِ إن لم تأكُل لأصفَعَنَّكَ هكَذا إلى أن تأكُل! فقالَ: كُل مَعِي. فأكَلنا حتى نظفنا الجام، فهمَّتِ الجارِيةُ بالانصِرافِ، فقُلتُ لها: مكَانَكِ، خبِّرِينا خَبرَكِ وخبرَ هذا الجَام.

فقالت: نعم، أنا جارِيةٌ لرئِيسِ هذِهِ القريةِ، وهو رجلٌ حادٌّ، طلب مِنَّا منذُ ساعةٍ فالُوذَجًا، فقُمنا نُصلِحُه لهُ، فطالَ الأمرُ عليهِ فاستَعجَلَهُ، فقُلنا: نَعَم. فَعَاد فاستعجَل، فقلنا: نعم. فحلَفَ بالطَّلاقِ لا أكَلَهُ هُو ولا أحدٌ مِمَّن هُو فِي دارِهِ، ولا أحدٌ من أهلِ

---

(١) في المغربية: عن أبيه. وهو الأقرب؛ إذ الخبر مدون في نشوار المحاضرة لوالده والتنوخي القاضي أبو علي المحسن بن علي.

القريةِ، ولا أكَلَه إلَّا رجلٌ غريبٌ، فخَرَجنا نطلُبُ في المساجِدِ رجُلًا غَرِيبًا، فلم نجِد إلى أن انتهَينا إليكُم، ولَو لم يأكُل هذَا الشَّيخ لقتَلْتُه ضَربًا إلى أن يأكُل؛ لئلَّا تُطَلَّقَ سِيِّدَتِي من زوجِها قال: فقال لي الشَّيخ: كيفَ تراهُ إذا أرادَ أن يرزُق[1]؟!

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: **قلت**: ربَّما سمع هذا جاهلٌ فاعتقَدَهُ كرامةً، وما فعلَهُ الرجلُ مِن أقبحِ القبيحِ، فإنهُ يُجرِّبُ على اللهِ ويتألَّى علَيهِ، ويحمِلُ علَى نفسِهِ من الجُوعِ ما لا يجوزُ له، ولا ينكر بأنه لَطَفَ بهِ، إلَّا أنهُ فعل ضدّ الصَّوابِ، وربما كانَ انفاذ ذلكَ ردِيئًا لهُ؛ لأَنَّهُ يعتقِدُ أنهُ قد أُكرِمَ، وأنَّ لهُ منزِلة.

وكذلِكَ حِكاية حاتمِ التي قبلها، فإنَّها إن صحَّت دلَّت علَى جهلٍ بالعلمِ، وفعلٍ لما لا يجوزُ؛ لأنه ظنَّ أنَّ التوكُّل إنما هُو تركُ التسبُّب، فلَو عمِل بمقتضَى واقِعتِهِ لم يمضُغِ الطَّعامَ ولم يبلَعْهُ، ثمَّ أيُّ قُربةٍ في هذا الفِعلِ البارِدِ، وما أظنُّ غالبهُ إلَّا مِن الماليخُولِيا، فإنَّه سببٌ، وهل هذا إلَّا مِن تلاعُبِ إبليسَ بالجهَلَةِ لقلَّةِ عِلمِهِم بالشَّرعِ؟!

● أخبرنا عبدُ الرَّحمن بنُ محمدٍ القزَّاز، قال: أنا أحمدُ بنُ عليِّ بن ثابتٍ، قال: حدَّثنا عليُّ بنُ المحسِن القاضِي، قال: حدَّثني أبو إسحاق إبراهِيم بن أحمد الطَّبَري، قال: قال لي **جعفر الخلدي**: وقفتُ بعرفةَ ستًّا وخَمسينَ وقفةً، منها إحدى وعشرونَ على المذهب، فقلتُ لأبي إسحاق: أيَّ شيءٍ أراد بقوله: على المذهب؟ فقال: يصعَدُ إلى قنطرةِ الياسِريَّة فينفضُ كُمَّيه حتى يُعلَمَ أنَّه ليسَ معهُ زادٌ ولا ماءٌ، ويلُبِّي ويسير[2].

---

(١) أخرجه القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في نشوار المحاضرة ٢/ ١١٢.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٩.

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** وهذا مُخالفةٌ للشرع، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ [البقرة: ١٩٧] ورسولُ اللهِ ﷺ قد تزوَّد، ولا يُمكن أن يُقالَ: إنَّ هذا الآدميَّ لا يحتاجُ إلى شيءٍ في مُدَّةِ أشهرٍ، فإنِ احتاجَ فعطِبَ أثِمَ، وإن سَألَ النَّاسَ أو تعرَّضَ لهُم؛ لم يفِ ذلك بدعوَى التوكُّل، وإنِ ادَّعَى أنهُ يُكرَمُ فيُرزَقُ بلا سَببٍ، فَنظَرُهُ إلى أنَّهُ مُستَحِقٌّ لذلِكَ محِنةٌ! ولو تبعَ أمرَ الشَّرعِ فحمَلَ الزَّادَ كان أصلَحَ لهُ على كلِّ حالٍ.

وأنبأنا أبو زُرعَةَ طاهِرُ بن محمد بنِ طاهرٍ، قال: أخبَرني أبِي عن **بعضِ المتصوِّفةِ**، أنهُ قدِمَ عليهِ مكَّةَ جماعةٌ من المتصوِّفَة، فقال لهم: من صحِبتُم؟ فقالوا: حاجَّ اليمن. فقال: أوَّه أوَّه! التصوُّفُ قد صارَ إلى هذا، والتوكُّل قد ذهب! أنتم ما جِئتُم على الطَّريقةِ والتصوُّف، وإنَّما جِئتُم في مائِدةِ اليمنِ إلى مائِدةِ الحرم.

ثم قال: وحقِّ الأخيار والفتيانِ[١]، لقد كنَّا أربعةَ نفرٍ مصطَحِبينَ في هذهِ الطَّريقِ، نخرُجُ إلى النَّبيِّ ﷺعلى التجريدِ[٢] ونتعاهدُ بيننا أن لا نلتَفِت إلى مخلوقٍ ولا نستندَ إلى

---

(١) هذا حلف بغير الله؛ وهو حرام ومنهي عنه شرعًا، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك**». عن ابن عمر مرفوعًا. أخرجه أبو داود رقم (٣٢٥١) والترمذي رقم (١٥٣٥) وقال: حديث حسن. والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٤، ٥٨، ٦٠، ٦٧، ٨٧، ١٢٥ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٧٨٧)، وفي صحيح سنن الترمذي رقم (١٢٤٢)، وفي إرواء الغليل رقم (٢٥٦١) وقال: صحيح.

وانظر لمزيد بيان في حكم الحلف بغير الله: التمهيد لابن عبد البر ١٤/ ٣٦٦ وانظر: فتح الباري ١١/ ٥٣١ وتيسير العزيز الحميد ص٥٨٩-٥٩٤ والقول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٣٢٣-٤٢٨.

(٢) قوله: على التجريد: أي متجردين عن كل زاد ومتاع في سفرهم ذلك.

وقوله: نخرُجُ إلى النَّبيِّ ﷺ: عنى: قبر النبي ﷺ - وهو هكذا في نسخ دار الكتب المصرية - للسلام عليه. وينبه هنا على أنه لا يجوز شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ كما أوضح ذلك وبينه شيخ الإسلام في العقود الدرية ٢١٩-٢٤٠ والرد على البكري ١/ ١٤٣ والفتاوى ٢٤/ ٣٥٦ و٢٧/ ١٦٥. والكلام هناك يطول حول هذه المسألة.

معلُومٍ، فجِئنا إلى النبي ﷺ ومكَثنا ثلاثةَ أيَّامٍ لم يُفتَح لنا بِشيءٍ، فخَرجَنا حتَّى بلَغنا الجُحفَةَ، ونزَلنا على تِلك البئرِ، ونزل بحذائنا نفرٌ من الأعرابِ، فبعثُوا إلينا بِسَويقٍ، فأخذَ بعضُنا ينظُرُ إلى بعضٍ ويقول: لو كُنَّا من أهل هذا الشأنِ لم يُفتَح لنا بِشيءٍ حتى ندخُل الحرَمَ، فشرِبناهُ على الماءِ، وكان طعامَنا حتى دخَلنا مكَّةَ(١).

قال المصنِّفُ قلت: اسمعوا إخوانِي إلى توكُّل هؤلاءِ، كيفَ منَعَهُم من التزوُّدِ المأمورِ بهِ! وأخرَجَهُم إلى أخذِ صدقاتِ الناس، ثم ظَنُّهُم أنَّ ما فعلوه مرتبةٌ، جهلٌ بمعرِفةِ المراتِبِ!

• قال: ومِن أعجَبِ ما بَلَغنِي عنهم في أسفارِهِم: ما أخبَرنا به محمدُ بن أبي القاسم البغداديُّ، قال: أنا أبو محمَّد التميمِي عن أبي عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي، قال: بلَغَني أنَّ **أبا شُعيبٍ المقفَّع**، وكان حجَّ سبعيَن حَجَّةً راجِلًا، أحرمَ في كلِّ حجَّةٍ من عندِ صخرةِ بيتِ المقدِس، ودخَل بادِيةَ تبوكٍ على التوكُّلِ، فلمَّا كان في حَجَّتِهِ الأخِيرةِ رأى كلبًا في البادِيةِ يلهَثُ عطَشًا، فقال: من يَشتَري سبعين حَجَّةً بشَربَةِ ماءٍ؟ قال: فدفع إليهِ إنسانٌ شَربةَ ماءٍ، فسقى الكلبَ، ثمَّ قال: هذا خيرٌ لِي من حَجِّي؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**في كلِّ ذاتِ كبِدٍ أجرٌ**».(٢)(٣)

• أخبرنا عبدُ الأوَّلِ بن عيسى، قال: أنا أحمدُ بن أبي نصرٍ الكوفانِي، قال: نا أبو محمَّد الحسَنُ بنُ محمد بن فوري الخبوشاني، قال: أنا أبو نصر عبدُ اللهِ بن عليٍّ الطُّوسِي

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف. وأبو زرعة بن طاهر من شيوخ المؤلف، فلعله أخبره من غير كتاب.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٣٦٣)، و رقم (٢٤٦٦)، و رقم (٦٠٠٩) ومسلم رقم (٢٢٤٤) وأبو داود رقم (٢٥٥٠) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٩ والإمام أحمد ٢/ ٣٧٥ ٥١٧ وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ. وأخرجه ابن ماجه رقم (٦٣٨٦) عن سراقة بن مالك بن جعشم وأحمد في المسند ٤/ ١٧٥ و٢/ ٢٢٢ عن عبد الله بن عمرو قال عنه أحمد شاكر رقم (٧٠٧٥): إسناده صحيح.

(٣) لم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من كتب أبي عبد الرحمن السلمي.

المعروفُ بابن السَّرَّاج، قال: سمعتُ الوجيهي يقول: سمعتُ أبا عليّ الروذباريَّ يقول: كنَّا في البادية جماعةً، ومعَنا **أبو الحسَن العطوفي**(١)، فربَّما كانت تلحقنا القافِلة وتظلِمُ علينا الطَّريقُ، وكان أبو الحسَنِ يصعَد تلًا فيصِيحُ صِياحَ الذِّئابِ حتى تسمعَ كلابُ الحيِّ فينبَحُونَ فنمرُّ على بيوتِهم ويحمل إلينا مِن عِندِهم معونة(٢).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **قلت**: وإنما ذكرتُ مثلَ هذهِ الأشياءَ لِيتنَزَّهَ العاقِلُ في مبلغِ علمِ هؤلاءِ، وفهمِهِم للتوكُّلِ وغيرِهِ، ويرى مخالفَتَهُم لأوامرِ الشرعِ(٣).

ولَيتَ شِعرِي! كيف يصنعُ مَن يَخرُجُ منهم ولا شَيءَ معهُ بالوضوءِ والصَّلاة؟! وإن تَخَرَّقَ ثوبُهُ ولا إبرةَ معهُ فكيف يفعلُ؟!

وقد كان بعضُ مشايخِهم يأمرُ المسافِرَ بأخذِ العدَّةِ قبلَ السَّفَر:

أخبرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ الخطيبُ، قال: أنا أبو القاسِم عبدُ الكريم بن هوازِن القُشَيرِي، قال: سمعتُ أبا عبدُ الرَّحمن السُّلَمِي، يقول: سمعتُ أبا العبَّاسِ البغداديَّ، يقول: سمعت الفرغَانيَّ يقول: كانَ إبراهيمُ الخوَّاصَ مُجَرَدًا فِي التوكُّلِ يُدقِّقُ فيه، وكانَ لا تفارِقُهُ إبرَةٌ وخيوطٌ ورَكوةٌ ومِقراضٌ(٤)، فقيل له: يا أبا إسحاق، لِمَ تجمَع هذا وأنتَ تمنعُ من كلِّ شيءٍ؟! فقال: مثلُ هذا لا ينقضُ التوكُّل؛ لأنَّ لله تعالى علَينا فرائِض، والفقيرُ لا يكونُ عليهِ إلَّا ثوبٌ واحدٌ، فربما

---

(١) في (أ): العطوي. ولمثل هذا الاختلاف في النسخ اختلاف من ترجم له.

(٢) أخرجه الطوسي في اللمع ص٢٧٤.

(٣) ولمزيد اطلاع على بعض أخبار الصوفية التي زعموا أنها من التوكل انظر: الرسالة القشيرية ص١٦٢ والتعرُّف لمذهب أهل التصوف ص١٧٧ والمقدمة في التصوف وحقيقته ص٤٨٧-٤٩٠ ضمن مجموعة مؤلفات أبي عبد الرحمن السُلمي والإحياء ٤/ ٧٤ وعوارف المعارف ص٤٥٠.

(٤) الرَّكْوَةُ والرِّكْوة: إناءٌ صغير من جِلْدٍ للـماء والـجمع رِكَاءٌ ورَكَوات. انظر: مختار الصحاح ص١٠٧ واللسان ١٤/ ٣٣٣.

يتخرَّقُ ثوبُهُ، وإن لم يكُن مَعَهُ إبرَةٌ وخيوطٌ تبدُو عورَتُهُ فتفسدُ علَيهِ صلاته، فإذا لم تكُن معهُ رَكْوةٌ تفسُدُ عليه طهارَتُهُ، وإذا رأيتَ الفقيرَ بلا رَكوةٍ ولا إبرةٍ ولا خُيوطٍ؛ فاتَّهِمهُ في صلاتِه[1].

(١)أخرجه أبو عبد الرحمن السُلمي في جوامع آداب الصوفية ص٣٦٣ ضمن مجموع مؤلفاته ومن طريقه القشيري في الرسالة ص١٦٧ والخطيب في تاريخه ٦/ ٨.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من سفر[(١)]

• **قال المصنِّفُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن مذهَبِ القومِ أنَّ المسَافِرِ إذا قدِم مِن سَفَرٍ فدخَل إلى الرِّباطِ وفيه جماعةٌ لم يُسلِّم عليهم حتَّى يدخُلَ الميضأة، فإذا توضَّأَ جاءَ فصلَّى ركعَتَين، ثمَّ سلَّم على الشَّيخ، ثمَّ سلَّم على الباقِين.

وهذا ممَّا ابتدَعهُ متأخِّروهُم على خِلافِ الشَّريعة؛ لأنَّ فقهاءَ الأمصارِ أجمَعوا علَى أنَّ مَن دخَل على قومٍ سُنَّ له أن يسلِّم عليهم[(٢)]، سواءً كان على طهارةٍ أو لم يكُن، إلَّا أن يكُونوا أخذوا هذا مِن مذهَب الأطفالِ، فإنَّه إذا قِيل للطِّفل: ما سلَّمت علينا، يقول: فما غسلتُ وجهِي بعد، أو لعلَّ الأطفالَ علِمُوه من هؤلاء المبتدِعِين.

أخبَرنا ابن الحصَين، قال: أنا أبو علِّي بن المذهب، قال: أنا أبو بكرِ ابن مالك، قال: نا عبدُ اللهِ بنُ أحمد، قال: حدَّثني أبِي، قال: نا عبدُ الرَّزَّاق، قال: نا معمَرٌ، عن همامِ بن منبِّه، قال: نا أبو هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ليسلِّمَ الصغيرُ على الكبِير، والمارُّ على القاعِد، والقليلُ على الكثِير[(٣)]. أخرجَاه في الصَّحيحَين.

• ومِن مذهَب القومِ تغمِيزُ القَادِمِ مِن السَّفر:

أنبأنا أبو زُرعةُ طاهِر بنُ محمد بن طاهِرٍ، عن أبيه، قال: بابُ السُّنة في تغميزِهم

---

(١) انظر في جملة من آدابهم عند القدوم من السفر: عوارف المعارف ص١٢٩-١٣٥.

(٢) ما ذكره المؤلف هو قول المالكية والشافعية والحنابلة وذهب الحنفية وهو رواية عن الإمام أحمد إلى أن الابتداء بالسلام واجب. ولمزيد إيضاح انظر: التاج والإكليل ٤/ ٥٣٩ والمنتقى شرح الموطأ ٧/ ٢٧٩ وأسنى المطالب شرح روضة الطالب ٤/ ١٨٢ وشرح منتهى الإرادات ١/ ٣٨٣ وحاشية الجمل ٥/ ١٨٨ وكشاف القناع ٢/ ١٥٨ والآداب الشرعية ١/ ٣٣٢ والفتاوى الكبرى ٥/ ٣٥٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣١٤ و أبو داود رقم (٥١٩٨) والبغوي في شرح السنة رقم (٣٣٠٣). والحديث مخرج في الصحيحين كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، فأخرجه البخاري رقم (٦٢٣١) ومسلم رقم (٢١٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والترمذي رقم (٢٧٠٤) وقال: حسن صحيح.

القادمَ أوَّلَ ليلَةٍ لتَعَبه. واحتجَّ بحديثِ عمرَ رضي الله عنه قال: دخلتُ على النَّبي ﷺ وغلامٌ له حَبَشيٌّ يغمِزُ ظهرَهُ، فقلت: ما شَأْنُكَ يا رسول الله؟ قال: «**إنَّ الناقة اقتحمَت بي**»[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: تنزَّهوا إخواني في فقهِ هذا المحتج! فإنهُ قد كانَ ينبَغِي أن يقول: باب السُّنةِ في تغميزِ مَن رَمَتْ بهِ ناقَتُهُ، وتكونُ السُّنَّة تغميزَ الظَّهرِ لا القَدَم، ومِن أين له أنهُ كانَ في سَفَر؟ وأنَّه غمزَ أوَّلَ ليلةٍ؟

ثمَّ يجعلُ تغميزَ النبي ﷺ كما اتفقَ لأجل أَلَمِ ظَهرِهِ سُنَّةً، لقد كان تَركُ استخرَاجِ هذا الفِقهِ الدَّقيقِ أحسنَ مِن ذِكرِه.

- ومِن مذهبِهِم عملُ دعوةٍ للقادِمِ:

قال ابنُ طاهر: بابُ اتخاذِهم العتِيرة[2] للقادِمِ، واحتجَّ بحديثِ عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ سافر سفرًا فنذَرت جاريةٌ مِن قُريشٍ إنِ اللهُ تعالى ردَّهُ أن تضرِب في بيتِ عائشةَ رضي الله عنها بدُفٍّ، فلمَّا رجَع قال النبي ﷺ: «**لتضرِب**»[3].

---

(١) صفوة التصوف ص٤١٨. والحديث أخرجه البزار في مسنده ١/ ٤٠٥ رقم (٢٨٢) والطبراني في الأوسط ٨/ ٩٥ وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٩٦ قال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن زيد بن أسلم وقد وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه ابن معين وغيره. قلت وتابعه هشام بن سعد كما عند الطبراني في الصغير ١/ ١٤٨، والمقدسي في الأحاديث المختارة ١/ ١٨٣ رقم (٩١) وقال: إسناده حسن. وحال هشام بن سعد قريب من حال عبد الله بن زيد بن أسلم قال عنه الحافظ في التقريب ص ٥٧٢: صدوق له أوهام. فعلى هذا يكون الحديث حسن بإذن الله. وقوله تقحمت: يريد أنها ندت فلم تضبط وهو عليها ومنه يقال: فلان يتقحم في الأمور إذا كان يدخل فيها بغير تثبت ولا روية. انظر: غريب ابن قتيبة ١/ ٤٥٨ والنهاية ٣/ ٣٨٥ ٤/ ١٨.

(٢) في (أ) و(ت): العشرة. وفي صفة التصوف: السفرة. وهو الأقرب. والسُّفْرةُ بالضم: طعام يتخذ للمسافر ومنه سميت السفرة. انظر: مختار الصحاح ص٣٢٦ والمنجد ص٣٣٧. والعَتِيرةُ: بوزن الذبيحة شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم. انظر: كتاب العين ٢/ ٦٥ والقاموس ص٥٥٩. ولعل المراد هو الاجتماع واتخاذ الطعام لهذا القادم ويكون لقدومه الفرح والرقص والغناء. وهذا باطل مخالف للشرع!

(٣) صفوة التصوف ص٤١٧. والحديث أخرجه أحمد في المسند٥/ ٣٥٣، ٥/ ٣٥٦، وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٢٣٢ وأخرجه الترمذي رقم (٣٦٩٠)، وقال: حسن صحيح غريب. والحديث صححه الألباني ☜

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: قد بيَّنا أنَّ الدُّفَّ مباحٌ[1]، ولما نذَرَت هذهِ المرأةُ مباحًا أمرَها أن تفِيَ، فكيف يُحتجُّ بهذا على الغِناءِ والرَّقصِ عندَ قدومِ المسافِرِ؟!

في صحيح الترمذي رقم (٢٩١٣)، وصحيح الجامع الصغير رقم (١٦٥٤)، والصحيحة رقم (١٦٠٩).

(١) هذه مسألة خلافية في إباحة الضرب بالدف في غير العرس والعيد فمن أهل العلم من أباحه ومنهم من منعه. انظر في هذه المسألة: الإنصاف ٨/ ٣٢٤ وكشاف القناع ٥/ ١٨٣ وأسنى المطالب ٤/ ٣٤٥ وتحفة المحتاج ١٠/ ٢٢٠ وشرح مختصر خليل للخرشي ٧/ ١٩ وحاشية ابن عابدين ٥/ ٤٨٢.

والأظهر عند التحقيق منعه إلّا ما ورد الشرع باستثنائه قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٠٩): وقد يشكل هذا الحديث - حديث بريدة رضي الله عنه - على بعض الناس؛ لأن الضرب بالدف معصية في غير النكاح والعيد والمعصية لايجوز نذرها ولا الوفاء بها.

والذي يبدو لي في ذلك أن نذرها لما كان فرحًا منها بقدومه ﷺ صالحًا سالمًا منتصرًا اغتفر لها السبب الذي نذرته لإظهار فرحها خصوصية له ﷺ دون الناس جميعًا فلا يؤخذ منه جواز الدف في الأفراح كلها؛ لأنه ليس هناك من يفرح به كالفرح به ﷺ ولمنافاة ذلك لعموم الأدلة المحرمة للمعازف والدفوف وغيرها. ولمزيد ايضاح لهذه المسألة انظر: معالم السنن ٤/ ٣٨٢ وفتح الباري ١١/ ٥٨٨.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت

قال المصنِّف: له في ذلك تلبيسانِ:

الأول: أنهُم يقولون: لا نبكِي على هالِكٍ، ومَن بَكَى على هالِكٍ خَرجَ عن طَرِيقةِ أهلِ المعارف.

قال ابنُ عقيلٍ: وهذِهِ دعوَى تزِيدُ على الشَّرعِ، فهِي حديثُ خُرافةٍ، وتخرُج عن العاداتِ والطِّباعِ، فهِي انحرافٌ عن المزاجِ المعتدِل، فينبغي أن يُطلَبَ لها العلاجُ بالأدويةِ المُعدِّلةِ للمزاجِ، فإنَّ اللهَ تعالى أخبَرَ عن نبيٍّ كريمٍ، فقال: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [يوسف: ٨٤] وقال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، وبكَى رسولُ اللهِ ﷺ عندَ موتِ ولدِه، وقال: «**إنَّ العينَ لتدمعُ**»[١]، وقال: «**واكرباه**»[٢]، وقالت فاطمةُ ﵂: واكربَ أبتاهُ. فلم يُنكِر[٣].

وسمع عمرُ بنُ الخطَّابِ ﵁ مُتَمِّمًا يندُبُ أخاه ويقول:

وكُنَّـــا كَنَــدمَانَي جَذِيمــة حِقبــةً ** مِن الدَّهرِ حتَّى قيلَ لن يَتَصــدَّعا[٤]

---

(١) جزء من حديث متفق عليه في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس بن مالك ﵁ أخرجه البخاري رقم (١٣٠٣) ومسلم رقم (٢٣١٥) وأبو داود رقم (٣١٢٦) والإمام أحمد ٣/ ١٩٤.

(٢) قالها رسول الله ﷺ في حديث طويل، أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٥٨ رقم (٢٦٧٦) عن جابر وابن عباس وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٧٣ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٠ وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد المنعم بن إدريس، وهو كذاب وضاع. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٩٥، ٣١٠ وقال: هذا حديث موضوع محال كافأ الله من وضعه وقبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ ولا بالصحابة. وانظر: ما تقدم عن عبد المنعم بن إدريس ص٤٤٥.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٤٦٢) عن أنس، وأخرجه الترمذي بنحوه رقم (٣٧٩) وابن ماجه رقم (١٦٢٩) وأحمد في المسند ٣/ ١٤١.

وقولها: واكرب أبتاه: هذا يدل أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها ولا يقال إنه نوع من النياحة؛ لأن هذا ندبة مباحة ليس فيها ما يشبه نوح الجاهلية من الكذب ونحوه. انظر: الفتح ٨/ ١٤٩ وعمدة القاري ١٨/ ٧٤-٧٥.

(٤) هذا البيت لمتمم بن نويرة يرثي أخاه مالكًا وذكر طرفًا من القصيدة ابن عساكر في تاريخه ١٦/ ٢٥٧.

فقال رضي الله عنه: ليتَني كنتُ أقول الشِّعرَ فأندبُ أخي زيدًا! فقال متمِّمٌ: لَو ماتَ أخي كما مات أخوك ما رَثَيتُهُ. - وكان مالك ماتَ على الكفرِ، وزيدٌ قُتلَ شهِيدًا - فقال عمر: ما عزَّاني أحدٌ بأخِي كمثلِ تَعزِيتِكَ[١].

ثم ما تزال الإبِلُ الغلِيظةُ الأكبادِ تحنُّ إلى مآلِفِها من الأعطانِ والأشخاصِ، وتَرغُو للفصلانِ، وحمام الطَّير ترجِّع[٢].

وكلُّ مأخوذٍ بالبلاءِ، فلابدَّ أن يتضرَّعَ، ومَن لم تُحرِّكهُ المسارُّ والمطرِباتُ، وتُزعِجُهُ المحزِناتُ فهو إلى الجَمادِيَّةِ أقرَبُ منهُ إلى الحيوانية.

وقد أبانَ النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن العيبِ في الخرُوجِ عن سَمتِ الطبعِ، فقال للذِي قال: لم أقبِّل أحدًا مِن وَلدِي. فقال: «**أَأَملِك أنْ نَزَع اللهُ الرَّحمةَ مِن قَلبِكَ**»[٣]. وجعلَ يلتفِتُ إلى مكَّةَ لمَّا خرَج.

---

(١) أخرج هذا الخبر ابن سعد في الطبقات ٣/ ٣٧٨ وبنحوه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن ص٨٨ ومحمد بن إسحاق في تعزية المسلم ص٣٠، ٣١.

(٢) التَّرجِيعُ: تَرْدِيدُ الصوت في الحلق كقراءة أصحاب الألحان ورجَّع الحمام في غِنائه واسترجع كذلك ومنه تَرْجيعُ الأذان وقيل: هو تقاربُ ضُرُوب الحرَكات في الصَّوت. انظر: النهاية ٢/ ٢٠٢ ومختار الصحاح ص٩٩ واللسان ٨/ ١١٥.

(٣) الحديث أخرجه البخاري رقم (٥٩٩٨). ومسلم رقم (٢٣١٧) وابن ماجه رقم (٣٦٦٥) وأحمد في المسند ٦/ ٥٦. وابن حبان في صحيحه ١٢/ ٤٠٧.

والملاحظ أن المؤلف رحمه الله أدخل هذا الحدبث بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين ولفظه: أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدًا منهم. فقال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم لا يرحم**». أخرجه البخاري رقم (٥٩٩٧) ومسلم رقم (٢٣١٨).

فالمطالِبُ بِما يخرُجُ عن الشَّرائِعِ وينبُو عنِ الطِّباعِ جاهلٌ يطالب بجهل، وقد قنعَ الشّرع منا أن لا نلطِم خدًا ولا نخرِق جيبًا[1]، فأمّا دمعةٌ سائِلةٌ وقلبٌ حزِينٌ فلا عَيبَ في ذلك .

التلبيسُ الثَّاني: أنّهم يعملون عندَ موتِ الميّت دعوةً ويُسمُّونها عُرسًا، يُغنُّون فيها ويرقصون ويلعبون، ويقولون: نفرحُ للميِّت إذ وصَلَ إلى ربِّهِ.

والتَّلبِيسُ في هَذا عليهم مِن ثلاثةِ أوجه:

- **أحدُها:** أنَّ المسنُونَ أن يُتَّخذَ لأهلِ الميِّت طعامٌ، لاشتغالِهم بالمصِيبةِ عن إعداد الطَّعام لأنفُسِهم، وليس من السُّنَّة أن يَتَّخِذَهُ أهلُ الميِّتِ ويبعثُونَه إلى غيرِهم.

والأصلُ في اتِّخاذِ الطَّعامِ لأهلِ الميِّتِ: ما أخبرنا به أبو الفتحِ الكرُوخِي، قال: أخبَرنا أبو عامرٍ الأزدِيُّ وأبو بَكرٍ الغُورَجِيُّ، قالا: أخبَرنا الجَرَّاحِي، قال: نا المَحبُوبِي، قال: نا التِّرمِذيُّ، قال: نا أحمَدُ بنُ مَنيعٍ وعليُّ بن حُجرٍ، قالا: حدثنا سُفيانُ بن عيينةَ، عن جَعفَر بنِ خالدٍ، عن أبيه، عن عبدِ الله بن جعفر، قال: لَمَّا جاء نعيُ جعفرٍ قال النبي ﷺ: «**اصنعُوا لأَهلِ جعفرٍ طَعامًا، فإنَّه قد جَاءَهُم ما يُشغِلُهُم**». قال الترمِذي: هذا حديثٌ صحيحٌ[2].

---

(١) كما جاء ذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (١٢٣٢) ومسلم رقم (١٠٣) والإمام أحمد ١/ ٤٥٦.

(٢)أخرجه الترمذي رقم (٩٩٨) وقال: حسن صحيح وأبو داود رقم (٣١٣٢) وابن ماجه رقم (١٦١٠) والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٠٥ وقال محققه الشيخ أحمد شاكر رقم (١٧٥١): إسناده صحيح. والحاكم في المستدرك ١/ ٣٧٢ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وله شاهد عند أحمد ٦/ ٣٧٠ من حديث أسماء بنت عميس. والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢٦٨٦) وصحيح الترمذي رقم (٧٩٦) وصحيح ابن ماجه رقم (١٣٠٦) وأحكام الجنائز ص١٦٧.

• **والثَّانِي**: أنَّهم يفرَحون للميِّت ويقولون: وصلَ إلى ربِّهِ، ولا وجهَ للفَرَحِ؛ لأنَّا لا نَتيقَّنُ أنهُ غُفِرَ له، وما يؤمنُنا أن نفرَحَ لهُ وهو في المعذَّبين! وقد قال عُمرُ بن ذرٍّ لما مات ابنُه: لقَد شَغلَنِي الحزنُ لكَ عنِ الحزنِ عليك[1].

أخبرنا عبدُ الأول، قال: أنا ابنُ المظَفَّر، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: نا الفِربرِي، قال: نا البخاريُّ، قال: نا أَبُو اليمان، قال: أنا شُعيبٌ، عن الزُّهرِي، قال: حدَّثني خارِجةُ بنُ زيدٍ الأنصاريُّ، عن أمِّ العلاءِ، قالت: لَمَّا ماتَ عثمانُ بن مظعونٍ دخل علينا رسولُ الله ﷺ، فقلت: رحمةُ اللهِ عليكَ أبا السَّائب! فشَهادتِي علَيك لقد أكرمَكَ الله. فقال لي النبي ﷺ: «**وما يُدرِيكِ أنَّ اللهَ أكرَمَهُ؟!**»[2].

• **والثالِث**: أنَّهم يرقُصون ويلعبُونَ في تِلك الدَّعوةِ، فيخرُجون بِهذا عن الطِّباعِ السَّلِيمَة التي يؤثِّر عِندَها الفِراق.

ثمَّ إن كان ميتُهُم قد غُفِر لهُ فما الرَّقصُ واللَّعِبُ بِشُكرٍ، وإن كان معذَّبًا فأينَ أثَرُ الحُزن؟!

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص٣٥٦ والعجلوني في معرفة الثقات ٢/ ١٦٥ وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٠٨ - ١٠٩ والبيهقي في الشعب ٧/ ٢٤٦ - ٢٤٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٢٤٣)، و رقم (٢٦٨٧)، و رقم (٣٩٢٩)، و رقم (٧٠٠٣) وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٣٦.

وليعلم أن منهج أهل السنة: أنهم لا يشهدون لأحد معين من أهل القبلة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار لكن يرجون للمحسنين ويخافون على المسيئين. إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة ﷺ. ولمزيد إيضاح لهذه المسألة انظر: أصول السنة ص٥٠ وأصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٦٢ والفصل في الملل ٤/ ٥٢ ومنهاج السنة ٥/ ٢٩٥ وشرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٢٦ ولمعة الاعتقاد ص٣٢ ومؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة ص١١.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التشاغُل بالعلم

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: اعلم أنَّ أوَّل تلبيسِ إبليسَ على النَّاسِ صدُّهُم عن العِلم؛ لأنَّ العلمَ نورٌ، فإذا أطفأَ مصابِيحَهُم خَبَّطَهُم في الظُّلم كيفَ شاء.

وقد دخَلَ على الصُّوفِيَّة في هذا الفنِّ من أبواب:

أحدُها: أنَّه منعَ جُمهورَهُم من العِلم أصلًا، وأراهُم أنه يحتاجُ إلى تَعَبٍ وكَلَفٍ، فحسَّنَ عِندَهم الرَّاحة، فلبِسُوا المُرَقَّع وجَلَسوا علَى بِساطِ البَطَالة.

أخبَرنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ السَّمَرقَندِيُّ، قال: أنا حَمْدُ بنُ أحمد الحدَّاد، قال: أنا أبو نُعيم الأصبَهَانِي، قال: أنا أبو حامِدِ بنُ حيَّان، قال: نا أبو الحسَن البغداديُّ، قال: نا ابنُ صاعِدٍ، قال: سمعتُ الشَّافِعِي يقول: أُسِّسَ التصوُّفُ على الكَسَل(١).

وبيانُ ما قالَهُ الشَّافِعِي رحمةُ اللهِ عليهِ: أنَّ مقصودَ النَّفسِ: إمَّا الرِّئاسَة، وإمَّا استجلابُ الدُّنيا.

والرِّئاسَةُ واستِجلابُ الدُّنيا بالعُلومِ يطولُ ويُتعِبُ البَدَن، وهل يحصل المقصودُ أو لا يحصُل؟!

والصُّوفيَّةُ قد تعجَّلوا الرئاسة - فإنهم يَرَوْنَ بِعينِ الزُّهدِ - واستجلابَ الدُّنيا، فإنَّها إليهِم سريعةٌ.

أخبَرنا عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الخالِق، قال: أنبأنا المبارَكُ بن عبد الجبَّار، قال: أنا أبو الفرَج الطناجيري، قال: نا أبو حفصِ بن شاهِين، قال: ومِن الصُّوفيَّةِ من ذمَّ العُلَماءَ، ورأى أنَّ الاشتِغالَ بالعِلمِ بَطَالةٌ، وقالوا: نحن علومُنا بلا واسطَة. وإنما رأَوا بُعدَ الطَّرِيق

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١٣٦ والمؤلف في صفة الصفوة ١/ ٢٥ وقال: روى أبو نعيم في ترجمة الشافعي رحمة الله عليه أنه قال: التصوف مبني على الكسل ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا وهو أحمق. وقد ذكرت الكلام في التصوف ووسعت القول فيه في كتابي المسمى بـ«تلبيس إبليس».

في طلَبِ العِلم، فقصَّرُوا الثِّيابَ ورَقَّعوا الجِبَاب، وحَملوا الرِّكاءَ وأظهروا الزُّهدَ[١].

والثاني: أنهُ قَنَّعَ قومًا باليَسِيرِ منهُ، فأفاتَهُم الفضلَ الكَثيرَ في كثرتِه، فاقتَنَعوا بأطرافِ الأحاديث، وأوهَمهُم أنَّ علوَّ الإسنادِ والجلوسَ للتَّحدِيثِ كلَّه رياسةٌ ودُنيا، وأنَّ للنَّفس في ذلك لذَّةً!

وكشفُ هذا التَّلبيسِ: أنه ما مِن مقامٍ عالٍ إلَّا ولهُ فضِيلةٌ، وفيهِ مُخاطَرةٌ، فإنَّ الإمارةَ والقَضاءَ والفَتوى كلَّه مُخاطرةٌ، وللنَّفسِ فيهِ لذَّةٌ، ولكِن فضِيلةٌ عظِيمة، والشَّوك في جِوارِ الورد، فينبغِي أن تُطلَبَ الفضائِلُ، ويُتَّقى ما فِي ضِمنِها مِن الآفات.

فأمَّا ما فِي الطَّبعِ من حُبِّ الرِّياسة، فإنه إنَّما وُضِع لِتُجْتَلَبَ هذهِ الفضيلةُ، كما وُضِعَ حبُّ النِّكاحِ ليحصُلَ الولدُ، وبالعلم يَتقَوَّمُ قصدُ العالِمِ، كما قال يزيدُ بن هارون: طلَبنا العلمَ لغيرِ اللهِ، فأبَى اللهُ أن يكون إلَّا له[٢].

ومعناهُ: أنَّه دلَّنا على الإخلاصِ، ومَن طَالَبَ نفسَه بقطعِ ما في طبعِه لم يمكِّنه.

والثالث: أنّه أوهَم قومًا منهُم أنَّ المقصودَ العملُ، وما فهموا أنَّ التَّشاغُلَ بالعلم أوفَى الأعمال، ثمَّ إنَّ العالِمَ وإن قَصُر سيرُ عمَلِه فإنَّه علَى الجادَّةِ، والعابِدُ بغيرِ علمٍ علَى غَيرِ الطريق.

---

(١) اشتهر ابن شاهين بتفسير كبير له لعله ذكره فيه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٢٥٦ قال: أخبرنا معمر قال: كان يقال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله. ومن طريقه الإمام أحمد في الأسامي والكنى ص٦١ وذكره الذهبي في السير ٧/ ١٧
قال الذهبي معلقًا على أثر معمر: يطلبه أولًا والحامل له حب العلم وحب إزالة الجهل عنه ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه ولا صدق النية فإذا علم حاسب نفسه وخاف من وبال قصده فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم. انظر: السير ٧/ ١٧.

والرابع: أنه أرى خلقًا كثيرًا منهم أنَّ العِلم ما اكتَسَبَ من البواطِن، حتى إن أحدَهُم تخايل لهُ وسوَسة، فيقول: حدَّثني قلبِي عن ربِّي!

وكان الشبلي يقول:

إذا طالبُونِي بِعلمِ الوَرَق ** بـرزتُ عليهِم بعلمِ الخِرَق[1]

وقد سمَّوا علومَ الشريعةِ العلمَ الظَّاهِر، وسمَّوا هواجِسَ النفوسِ العلمَ الباطِن، واحتجُّوا بما أخبَرنا به عبدُ الحقِّ بن عبدِ الخالق، قال: أنبأنا المباركُ بنُ عبدِ الجبار، قال: أنا الحسينُ بن عليٍّ الطناجِيري، قال: أخبرنا أبو حفصٍ بن شاهين، قال: نا عليُّ بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسَة العسكرِي، قال: حدَّثني دارِم بنُ قبِيصة بن بهشل الصنعاني، قال: سمعت يحيَى بن الحسَين بن زيدِ بن عليٍّ، قال: سمعتُ يحيَى بنَ عبد الله بنِ الحسين، عن يحيى بنِ زيدِ بنِ عليٍّ، عن أبيهِ، عن جدِّهِ، عنِ الحسنِ بن عليٍّ، عن عليٍّ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**علم الباطِنِ سرٌّ من سرِّ اللهِ ﷻ، وحُكمٌ من حكم الله تعالى، يقذِفه الله ﷻ في قلوب مَن يشاءُ مِن أولِيائِه**»[2].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وهذا حديثٌ لا أَصلَ له عن النَّبي ﷺ، وفي إِسنادِهِ مجاهِيلُ لا يُعرَفون.

---

(١) نقل نحوه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: الفتاوى ١٠/ ٤١١. وقال: وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغِّض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم فى العلم والقرآن والحديث فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره وقد يبغض إليهم حتى الكتاب فلا يحبون الكتاب ولا من معه كتاب ولو كان مصحفًا.. وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب؛ وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم فصارت شياطينهم تهربهم من هذا كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده فى دينه.

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٣٩٢٢) والمصنف في العلل المتناهية ١/ ٨٣ وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وعامة رواته لا يعرفون. وضعفه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٥٤٧٣)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٣٧٢٦) وسلسلة الأحاديث الموضوعة رقم (١٢٢٧) وقال عنه: موضوع.

أنبأنا محمدُ بن ناصرٍ، قال: أنبأنا أبو الفضلِ محمدُ بن علي السهلكِي، قال: أخبَرنا أبو عليٍّ عبدُ الله بن إبراهيم النَّيسَابوري، قال: نا أبُو الحسَن عليّ بن عبدِ الله بن جَهضم، قال: نا أبو الفتح أحمدُ بن الحسن، قال: نا عليُّ بن جعفرٍ، عن أبي موسى، قال: كانَ في ناحِيةِ أبي يزيدَ رجلٌ فقيهٌ عالِمُ تلك الناحية، فَقَصَدَ أبا يزيدَ، وقال له: قد حُكِي لي عنكَ عجائِبُ، فقال له أبو يزيد: وما لَم تَسمَع مِن عَجائبي أكثر. فقال: عِلْمُكَ هذا يا أبا يزيدَ عَن مَنْ؟ ومِنْ مَن؟ ومِن أين؟

فقال أبو يزيدَ: عِلمِي مِن عطاءِ اللهِ تعالى، ومِن حيثُ قال رسولُ الله ﷺ: «مَن عَمِل بما يَعلَم ورَّثهُ اللهُ تعالى عِلمَ ما لَم يَعلَم»[1]، ومِن حيثُ قال: «العِلمُ عِلمَان: علمٌ ظاهِر، وهو حُجَّةُ اللهِ علَى خلقِهِ، وعِلمٌ باطِنٌ، وهو العِلمُ النَّافِع»[2]. وعِلمُك يا شَيخُ، نقلٌ مِن لِسانِ التَّعليم، وعِلمِي مِن اللهِ إلهامٌ مِن عندِه.

فقال لهُ الشَّيخ: عِلمِي عنِ الثِّقات عن رسولِ الله ﷺ عن جَبريلَ عن ربِّهِ ﷻ.

فقال له أبو يزيدَ: يا شَيخ! كان للنبيِّ ﷺ عِلمٌ عنِ اللهِ لم يطَّلِع علَيهِ جبريلُ ولا ميكَائِيل.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٤- ١٥ عن أنس مرفوعًا وأخرجه المصنف في العلل المتناهية ١/ ٧٣ من طريق الديلمي رقم (٤١٩٤). وأورده الغزالي في الإحياء ١/ ٧٧، ٣/ ١٣، ٢٢ وقال عنه العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه، والشوكاني في الفوائد المجموعة ١/ ٢٨٦، وقال: رواه أبو نعيم وهو ضعيف. وذكره الشيخ الألباني في الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم (٤٢٢)، وقال عنه: موضوع.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٨٢ والدارمي في سننه ١/ ١٠٢ عن الحسن مرسلًا. وأخرجه المصنف في العلل المتناهية ١/ ٨٢ رقم (٨٨) عن جابر، وبرقم (٨٩) عن أنس مرفوعًا، وقال: لا يصح. وذكره الألباني في مشكاة المصابيح في كتاب العلم رقم (٢٧٠)، وقال: رواه الدارمي في سننه وإسناده صحيح. وابن عبد البر ١/ ١٩٠ عنه مرفوعًا، وسنده صحيح أيضًا كما قال المنذري، لكنه مرسل من مراسيل الحسن فلا تغتر بمن حسن إسناده. وذكره أيضًا في ضعيف الجامع الصغير رقم (٣٨٨٢) وضعفه. فهو من كلام الحسن أو من كلام بعض السلف كما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٩٤ عن الفضيل بن عياض. ولا يصح مرفوعًا.

قال: نَعم، ولكِن أُرِيد أن يصِحَّ لي عِلمُكَ الذي تقول هو مِن عِندِ اللهِ.

قال: نعم، أُبَيِّنُهُ لكَ قدرَ ما تستقرُّ في قلبِك معرِفتُه.

ثمَّ قال: يا شيخ! علِمتَ أنَّ اللهَ تعالى كلَّمَ موسَى تكلِيمًا، وكلَّم محمدًا ﷺ ورآهُ كِفاحًا، وأنَّ حلمَ[1] الأنبياءِ وحيٌ؟

قال: نعم.

قال: أمَا علِمتَ أنَّ كلامَ الصِّدِّيقينَ والأولياء بالإلهام منه، وفوائِدُهُ مِن قلوبِهم، حتَّى أنطقَهم بالحِكمةِ ونَفعَ بِهم الأمَّةَ؟! وممَّا يؤكِّدُ ما قلتُ، ما أَلْهَمَ اللهُ تعالى أمَّ موسَى أن تُلقِيَ موسَى في التابوتِ فألقَتهُ، وألهَمَ الخضرَ في السَّفِينةِ والغُلامِ والحائِطِ، وقوله لموسى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، وكما قال أبو بكرٍ لعائشةَ رضي الله عنها: أنَّ ابنةَ خارِجَة حامِلةٌ ببنتٍ[2]، وألهَم عمرَ رضي الله عنه فنادى: يا سارِية الجبل[3][4].

أنبأنا ابنُ ناصِر، قال: أنبأنا أبو الفضلِ السهلكِي، قال: سمعتُ أبا عبدِ الله الشِّيرازِي يقول: سمعتُ بكران بنَ أحمدَ القزوِينِي يقول: سمعتُ يوسفَ بنَ الحسَينِ يقول: سمعتُ إبراهيمَ ستنبه يقول: حضرتُ مجلسَ أبِي يزيدَ والناسُ يقولون: فلانٌ لقِي فُلانًا وأخَذَ مِن عِلمِه وكتَبَ منهُ الكثيرَ، وفلانٌ لقِي فُلانًا. فقال أبو يزيدَ: مسَاكِين! أخذُوا عِلمَهُم ميِّتًا عن ميِّتٍ، وأخَذنا عِلمَنا مِن الحَيِّ الذِي لا يموت[5].

---

(١) في (ت): حكم.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٧٥٢ والبيهقي في الكبرى ٦/ ١٦٩ و١٧٨ و٢٥٧ والطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٨٨ واللالكائي في كرامات الأولياء ص١٢٣ وابن عساكر في تاريخه ٣٠/ ٤٢٤ و٦١/ ٢٧٧ ونقله المزي في تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٨٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٢٦٩ وابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٣١ وقال: إسناده جيد حسن. وابن حجر في الإصابة ٣/ ٦ وقال: إسناده حسن. وحسنه الألباني في المشكاة رقم (٥٩٥٤).

(٤) أخرجه أبو الفضل السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١١٣.

(٥) أخرجه أبو الفضل السهلكي في النور من أخبار أبي طيفور ص١٠٠ والقزويني في التدوين في أخبار قزوين ٢/ ٣٥٧ وذكره المناوي في فيض القدير ٣/ ٣٩٦.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: **قلت**: هذا الفقهُ في الحكايةِ الأُولى مِن قِلَّةِ العِلمِ؛ إذ لَو كانَ عالِمًا لعلِمَ أنَّ الإلهامَ للشَّيءِ لا يُنافِي العلمَ، ولا يقتنَعُ بِهِ عنه، ولا يُنْكَرُ أنَّ اللهَ عَجَّلَ يُلهِم الإنسانَ الشَّيءَ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ في الأُمَمِ مُحَدَّثِين، وإن يكُن في أُمَّتِي فعُمَر**»(١).

والمرادُ بالتَّحدِيث: إلهامُ الخير، إلَّا أنَّ هذا المُلْهَمَ لو أُلهِمَ ما يُخالِفُ العلمَ لَم يجُز لهُ أن يعمَل عليه(٢).

وأمَّا الخضرُ فقد قِيل: إنه نبيٌّ(٣)، ولا نُنكِر للأنبياءِ الاطِّلاعَ بالوحيِ على

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٨٩) عن أبي هريرة، و أخرجه مسلم رقم (٢٣٩٨) عن عائشة، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٣٩ عن أبي هريرة و٦/ ٥٥ عن عائشة، وكذا الترمذي رقم (٣٦٣٩) وقال: حديث صحيح. والنسائي في كتاب فضائل الصحابة ١/ ٨ وفي السنن الكبرى ٥/ ٣٩.

(٢) لأنه يكون حينئذ من وساوس الشياطين فالمأمور به إن كان من تقوى الله فهو من إلهام الوحي وإن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان فيكون الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة. انظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ٥٢٩ ودرء التعارض ٨/ ٢٩ والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص١٤٧ ومدارج السالكين ١/ ٤٤.

(٣) المتصفح لكتب الصوفية يجد أن شخصية الخضر عليه السلام حظيت لديهم باعتناء بالغ بحيث أصبح الأخذ عنه ولقياه أمر لا يقبل اللجاج واستفاضت الأخبار عنهم بذلك. وجاء انحرافهم تجاهه عليه السلام من وجوه أهمها:

- اعتقادهم بأن الخضر عليه السلام وليٌّ من أولياء الله، وليس بنبي.
- اعتقادهم أن الخضر عليه السلام مازال حيًا.
- زعمهم أن الولي يجوز له الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عليه السلام عن شريعة موسى عليه السلام كما أنه يمكن للولي أن يصل إلى الدرجات العلى بدون اتباع الرسول ﷺ.

وفي جميع هذه الاعتقادات هم منحرفون عن جادة الصواب مخالفون للأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة. انظر لمزيد إيضاح حول هذه المباحث: لطائف المنن ص١٥١ وروض الرياحين ص٤٧٨ والرسالة القشيرية ص٣٥٧ و٤٠٥ وللرد على مزاعمهم انظر: منهاج السنة ١/ ١٠٤ والرد على المنطقيين ص١٨٥ والنبوات ص٤٣١ والمنار المنيف ص٧٣-٧٦ والتفسير الكبير ٢٢/ ١٤٨ وروح المعاني ١٥/ ٣٢٠ والزهر النضر ص٦٦-٧٠ والتحذير من مختصرات الصابوني ص٦٥ ومظاهر الانحراف العقدية عند الصوفية ٢/ ٥١١-٥٤٢ والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٢٤٨-٢٦٥ ﴿

العواقِب، وليسَ الإلهامُ مِن العِلمِ في شَيءٍ، إنما هو ثَمرةُ العِلم والتَّقوى، فيوفِّقُ صاحِبُهما للخَيرِ ويُلهَمُ الرُّشدَ.

فأمَّا أن نترك العِلم ويُعتَمَدُ على الإلهامِ والخواطِر، فلَيسَ هذا بِشيءٍ! إذ لَولا العِلمُ النقلي ما عَرفنا ما يقَعُ في النَّفسِ من إلهام الخيرِ ووسوسةِ الشَّيطان.

واعلم أنَّ العِلمَ الإلهامِيَّ الملقَى في القُلوبِ لا يكفِي عن العِلم المنقولِ، كما أنَّ العلومَ العقليَّة لا تكفِي عنِ العلومِ الشَّرعيَّة، فإنَّ العقلية كالأغذية، والنقليَّة كالأدوِية، ولا ينوبُ هذا عَن هذا.

وأمَّا قولُه: «أخَذُوا عِلمَهُم ميِّتًا عن ميِّتٍ»، أصلَحُ ما يُنسَبُ إليه هذا القائل أنه ما يَدرِي ما فِي ضِمنِ هذا القولِ، وإلَّا فهذا طعنٌ على الشَّريعة!

أنبأنا ابنُ الحصَين، قال: أنبأنا ابنُ المذهب، قال: أنا أبو حفصِ بنُ شاهِين، قال: مِن الصوفيَّةِ مَن رأى الاشتِغالَ بالعِلم بطالةً، وقالوا: نحنُ علومُنا بلا واسِطَة. قال: ومَا كَان المتقدِّمونَ في التصوُّفِ إلا رُؤوسًا في القرآن والفِقه، ولكن هؤلاءِ أحبُّوا البَطَالة[1]!

وقال أبُو حامِدٍ الطُّوسِيُّ: اِعلم أنَّ ميلَ أهلِ التصوُّفِ إلى العُلُوم الإلهَامِيَّةِ دُونَ التَّعلِيمِيَّة؛ ولذلكَ لم يُحرِّضُوا على دِراسَةِ العِلمِ وتحصيلِ ما صنَّفَهُ المصنِّفُون، بل قالوا: الطريقُ تقديمُ المجاهداتِ بِمحوِ الصِّفات المذمومةِ، وقطعِ العلائِقِ كلِّها، والإقبالُ على الله تعالى بِكنهِ الهِمَّة، وذلك بأن يقطَعَ الإنسانُ همَّهُ عنِ الأهلِ والمالِ والولدِ والعلمِ، ويَخلُو بنفسِهِ في زاوِيةٍ، ويقتصِرُ على الفرائِضِ والرَّواتِبِ، ولا يُفرِّق

و٤٦٥-٤٧٨ وللمؤلف كتاب في شرح حال الخضر - كما ذكر في مؤلفاته ص٢٤١- أفاد منه من جاء بعده كابن القيم في المنار المنيف وغيره.

(١) تقدم ص٧٣٩.

همَّهُ بقراءةِ قُرآنٍ ولا بالتَّأمُّلِ في تفسيره ولا بكتبِ حديثٍ وغيره[(١)]، فلا يزالُ يقول: الله الله! إلى أن ينتهِي إلى حالةٍ يتركُ تحريكَ اللِّسانِ، ثمَّ تمتَحِي عن القلبِ صورةُ اللَّفظ[(٢)].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: عزيز عليَّ أن يصدُرَ هذا الكلامُ مِن فقيهٍ! فإنهُ لا يَخفَى قبحُهُ، كأنَّه على الحقِيقةِ طيٌّ لِبساطِ الشرِيعةِ التي حثَّت على تِلاوَةِ القرآنِ وطلبِ العِلم.

وعلى هذا المذهبِ فقد فاتتِ الفضائلُ عُلماءَ الأمصارِ، فإنَّهم ما سلكُوا هذهِ الطريقَ، وإنَّما تشاغلُوا بالعِلم.

وعلَى ما قد رتَّبَ أبو حامدٍ تخلو النفسُ بوساوِسِها وخيالاتِها، ولا يكونُ عندَها مِن العلمِ ما يطرُدُ ذلك، فيلعبُ بها إبليسُ أيَّ ملعبٍ، ويريها الوسوسةَ في محادثةٍ ومُناجَاة!

ولا نُنكِرُ أنَّه إذا طهُرَ القلبُ أُفِيضَت عليهِ أنوارُ الهُدى، فينظُر بنورِ اللهِ تعالى[(٣)]، إلَّا أنهُ ينبغِي أن يكونَ تطهِيرهُ بمُقتضَى العِلمِ لا بما يُنافِيهِ؛ فإنَّ الجوعَ الشديدَ والسَّهرَ

(١) في (ت): ولا يكتب حديثًا في تفسيره ولا غيره.

(٢) انظر: الإحياء ٣/ ١٩.

(٣) أي: يلْهم الرشد ويوفق للحق والصواب أما ما يروى: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل». فهو حديث ضعيف. أخرجه الترمذي رقم (٣٣٤٦) وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه. والبخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٤ والهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٦٨ وقال: إسناده حسن. والحديث أخرجه المصنف في الموضوعات ٣/ ١٤٥، ١٤٨ وأورد طرق أسانيده المختلفة من أحاديث ابن عمرو وأبي سعيد وأبي أمامة وأبي هريرة وقال عنه: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٠٧) وفي ضعيف الجامع الصغير رقم (١٢٧)، والأحاديث الضعيفة رقم (١٨٢١) وفيها أوضح طرقه وبيّن ضعفها وقال: وجملة القول أن الحديث ضعيف، لا حسن ولا موضوع.

وتضييعَ الزَّمانِ في التخيُّلاتِ أمورٌ يَنهَى الشَّرع عنها، فلا يُستَفادُ مِن صاحِبِ الشَّرعِ شيءٌ بسببٍ قد نهى عنهُ، كما لا تُستَباحُ الرُّخَصُ في سَفَرٍ قد نهى عنه[١].

ثمَّ لا تنافِي بينَ العِلم والرِّياضةِ، بل العلمُ يُعَلِّمُ كيفِيَّةَ الرِّياضة، ويُعينُ على تصحِيحِها، وإنَّما تلاعَبَ الشيطانُ بأقوامٍ، فأبعَدوا العِلمَ وأقبلُوا على الرِّياضَة بما يَنْهَى عنه العلم، والعِلمُ بعيدٌ عنهُم، فتارةً يفعلُونَ الفِعل المنهيَّ عنه، وتارةً يؤثِرونَ ما غيرُهُ أولى، وإنَّما كانَ يُفتِي في هذهِ الحوادِث العلمُ، وقد عزلُوه نعوذ بالله مِن الخذلان!

أنبأنا ابنُ ناصر، عن أبِي عليّ بنِ البنَّاء، قال: كانَ عِندنَا بِسوقِ السِّلاحِ رجلٌ كان يقول: القرآنُ حِجابٌ، والرّسولُ حِجابٌ، وليسَ إلَّا عبدٌ وربٌّ. فافتُتِن جماعةٌ وأهمَلوا العِباداتِ، واختفَى مخافَة القَتل[٢].

أنبأنا محمدُ بن عبد الملك، قال: أنبأنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ، قال: أخبَرنا أبو الحسَن محمدُ بن عبيد الله بنِ محمد الحنائي، قال: نا أحمدُ بن سلمان النجَّاد، قال: نا محمدُ بن عبدِالله بنِ سُلَيمان، قال: نا هِشامُ بن يونُس، قال: نا المحارِبيُّ، عن بكرِ بن خنيسٍ، عن ضِرارِ بن عمرٍو، قال: إنَّ قومًا تركُوا العِلمَ ومجالسةَ أهلِ العِلم، واتَّخذُوا محاريبَ فصامُوا، وصلُّوا حتى بلي جلدُ أحدِهِم على عظمه، وخالفوا السُّنة فهلَكُوا، لا - والذِي لا إلهَ غيرُه - ما عمِلَ عاملٌ قطُّ على جَهْلٍ إلَّا كان ما يُفسِد أكثرَ ممَّا يُصلِح[٣].

---

(١) الترخص في سفر المعصية مسألة خلافية وما ذكره المؤلف هو قول الجمهور ولبسط البيان في ذلك انظر: مواهب الجليل ٣/ ٣٧٧ والأم ١/ ٣٢٠ والمجموع ٤/ ٣٤٤ والمغني ٢/ ١٠١ والإنصاف ٢/ ٣١٦ والهداية مع فتح القدير ٢/ ٤٦ وبدائع الصنائع ١/ ٤٦٧ والبحر الرائق ٢/ ٢٤٣ والفتاوى ٢٤/ ١٠٨ وأحكام السياحة ص٥٥-٦٥.

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٣٦.

(٣) أخرج ابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ٦١٦ عن ضرار بن عمرو عن محمد بن سيرين وأخرج الدارمي في سننه ١/ ١٠٣ قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة: أنه من تعبد بغير علم كان ما يفسد أكثر مما
↵

فصل:

قال المصنِّفُ: وقد فرَّقَ كثيرٌ من الصُّوفيَّةِ بينَ الشَّريعةِ والحقيقة[1]، وهَذا جهلٌ مِن قائلِهِ؛ لأنَّ الشريعةَ كلَّها حقائِقٌ، فإن كانوا يريدون بذلك الرُّخصةَ والعزيمةَ فكِلاهُما شريعة.

وقد أنكَرَ عَليهِم جماعةٌ مِن قُدَمائِهِم في إعراضِهِم عن ظواهِرِ الشَّرع:

• أخبَرَنا أبو بكرِ بن حبيبٍ، قال أنا أبو سَعيدِ بنُ أبي صادِقٍ، قال: أنا ابنُ باكويه، قال: سمعتُ أبا الحسَنِ غُلامَ شعوانةَ بالبصرةِ يقول: سمعتُ أبا الحسَن بن سالمٍ يقول: جاءَ رجلٌ إلى **سهلِ بنِ عبدِ اللهِ** وبيدِهِ مَحبَرَةٌ وكتابٌ، فقال لِسهل: إن أحبَبتَ أن أكتُبَ شَيئًا ينفعُني اللهُ به، فقال: اكتب إن استطعتَ أن تَلقَى اللهَ وبيدِك

يصلح ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ومن جعل دينه غرضًا للخصومة كثر تنقله.
ونحوه أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ١٨٧ عن الحسن البصري.

(١) قال القشيري في الرسالة ص٨٢-٨٣: الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية. ثم قال: فالشريعة تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة قيامٌ بما أمر والحقيقة شهودٌ لما قضى وقدر وأخفى وأظهر.
فالصوفية يعنون بالحقيقة خلاف الشريعة والمطلع على كتبهم يجد أنهم يكررون هذا المصطلح بكثرة وحقيقته أنه لا يبعد كثيرًا عن مصطلح الظاهر والباطن عند الباطنية. فسموا علومَ الشريعةِ العلمَ الظَّاهِر، وسموا هواجِسَ النفوسِ وأماني الشياطين العلمَ الباطِن، وزعموا أنهم يأخذونه عن الله مباشرة بلا واسطة وأن علم الظاهر لا يفيدهم شيئًا. والمطلع على هذا الكتاب الذي بين أيدينا يرى فيه أن المؤلف رحمه الله استنكر عليهم هذا التقسم وأوضح أنه أوقعهم في انحرافات عدة منها:

- ما ذكره من تفسيرهم للقرآن والسنة بأهوائهم وتأويلاتهم.
- استشهادهم بأحاديث وأخبار باطلة؛ لأجل تأييد معتقدهم الفاسد.
- ادعاء التلقي عن الله مباشرة وهذا يؤدي إلى القول بعدم ختم النبوة وهذا انحراف عقدي خطير.

انظر لمزيد بيان: جامع الأصول في الأولياء ص٥٩ وكشف المحجوب ص٤٦٥ وحدائق الحقائق ص٢٢٨ وإيقاظ الهمم في شرح الحكم ١/ ١٥٩ والمعجم الصوفي ص٧٨ وموسوعة مصطلحات التصوف ص٢٩٨-٣٠٠ وفي بيان بطلان زعمهم هذا انظر: إغاثة اللهفان ١/ ١١٩ ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ١/ ١٠٩-١٣٦.

المحبرةُ والكِتابُ فافعل. فقال: يا أبا محمد، أفِدنِي فائدةً. فقال: الدُّنيا كلُّها جهلٌ؛ إلَّا ما كان عِلمًا، والعِلمُ كلُّهُ حُجَّةٌ؛ إلَّا ما كان عَمَلًا، والعملُ موقوفٌ إلَّا ما كان منهُ على السُّنَّة، وتقومُ السُّنةُ على التَّقوى[(١)].

• أخبرنا ابنُ حبيبٍ، قال: أنا ابنُ أبي صادقٍ، قال: نا ابنُ باكويه، قال: نا أبو عبدِ اللهِ الرَّوحانِي، قال: نا أَبُو الحسَنِ بنُ سالمٍ، قال: سمعتُ **سهلَ بنَ عبدِ الله** يقول: احفظوا السَّواد على البَيَاض، فما أحدٌ ترَكَ الظَّاهِر إلا تزَندَق[(٢)].

أخبرَنا عُمَر بنُ ظفرٍ، قال: أنا ابن السَّراج، قال: أنا الأزجِيُّ، قال: نا ابن جَهضَمٍ، قال: حدَّثني فرجُ بن عبدِ الله النَّصيبي، قال: سمعتُ أبا جَعفر المصِّيصِيَّ، يقول: سمعتُ **سهلَ** بنَ عبدِ الله يقول: احفظُوا السَّواد على البياضِ، فما أحدٌ تركَ الظَّاهرَ إلَّا خرجَ إلى الزَّندَقة[(٣)].

• أنبأنا عليُّ بنُ عُبَيدَ الله، قال: أنا عبدُ الله بنُ عطاءٍ الإبراهِيمِي، قال: نا يوسفُ بن محمدٍ الخطيب، قال: نا جعفرُ بنُ محمدٍ الأبهري قال: سمعتُ أبا عِليٍّ القومساني يقول: سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ الله يقول: سمعتُ **الجرَّاحَ بن عبد الله** يقول: ما طريقٌ إلى اللهِ أفضلُ من العلمِ، فإني عدَلت عن طريقِ العلمِ خطوةً فتُهْت في الظُّلُّماتِ أربعينَ صباحًا[(٤)].

• أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ الباقي، قال: أخبَرنا حَمدُ بن أحمد، قال: نا أبو نُعَيمٍ

---

(١) أخرجه القزويني في التدوين في أخبار قزوين ٢/ ٤٦٥ وذكره الذهبي في السير ١٤/ ٣٤٨.

(٢) انظر الذي يليه.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٠٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٥٣ وأشار إليه ابن ماكولا في الإكمال ٧/ ٤٨.

(٤) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

الحافِظ، قال: سمعتُ أبا الفَضلِ الطُّوسِي يقول: سمعتُ غلامَ الدَّقاقِ يقول: سمعتُ أبا سعيدٍ السُّكَّرِي يقول: سمعتُ **أبا سعيدٍ الخرَّاز** يقول: كلُّ باطنٍ يُخالِفُ ظاهِرًا فهو باطِلٌ(١).

• أنبأنا عبدُ المنعِم بن عبدِ الكريم، قال: نا أبي، قال: سمعتُ محمدَ بن عبدِ الله الصوفيَّ يقول: سمعتُ محمدَ بن أحمد النَّجَّار يقول: سمعتُ الدَّقيَّ يقول: سمعتُ **أبا بكرٍ الزَقَّاق** يقول: كنتُ مارًّا في تيهِ بني إسرائيل فخَطَر ببالي أنَّ علمَ الحقِيقةِ مُباينٌ للشَّريعةِ، فهتَفَ بي هاتِفٌ مِن تحتِ شجرةٍ: كلُّ حقيقةٍ لا تتبعُها الشَّريعة فهي كفرٌ(٢).
كفرٌ(٢).

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وقد نبَّهَ الفقِيهُ أبو حامدٍ الغزالِي في بعضِ كتُبِ الإحياءِ فقال: مَن قال: إنَّ الحقيقةَ تخالفُ الشَّريعةَ، أو الباطِنَ يخالفُ الظَّاهِر؛ فهو إلى الكُفرِ أقربُ منه إلى الإيمان(٣).

قال ابن عقِيل: جعلتِ الصَّوفيَّةُ الشَّريعة اسمًا وقالوا: المرادُ منها الحقيقة. قال: وهذا قبيحٌ؛ فإنَّ الشَّريعةَ ما وَضَعهُ الحقُّ لِمصالِح الخلقِ وتعبُّداتِهم، فما الحقيقةُ بعد هذا سِوى واقعٌ في النُّفوسِ من إلقاءِ الشَّياطِين، وكلُّ مَنْ رامَ الحقيقةَ في غيرِ الشَّريعةِ فمغرُورٌ مخدوعٌ!

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٤٧ وأخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص٢٣١ وعنه السهروردي في عوارف المعارف ص٥٢.

(٢) أخرجه القشيري في الرسالة ٢/ ٦٨٠ والبيهقي في الشعب ٢/ ٣٠١ وعنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٨٩.

(٣) الإحياء ١/ ١٠٠.

ذكر تلبيس إبليس على جماعة من القوم في دفنِهِم كتب العلم وإلقائها في الماء

قال المصنِّفُ رحمه الله: قد كانَ جماعةٌ منهم تشاغَلُوا بكتابةِ العلمِ، ثم لبَّسَ عليهم إبليسُ، وقال: المقصودُ العمَلُ! فدَفَنوا كُتُبَهم.

• أخبرنا المحمدان: ابن ناصرٍ، وابن عبدِ الباقي، قالا: أنا حَمدُ بنُ أحمدَ الحدَّاد، قال: أنا أبو نُعيمٍ الأصبَهانِي، قال: نا محمدُ بن الحسَين بن موسى، قال: سمعتُ محمدَ بن جعفرِ بن مطَرٍ يقول: سمعتُ إبراهيمَ بنَ يوسف يقول: رمَى **أحمدُ بن أبي الحوارِي** بِكُتُبِه في البحر، وقال: نِعمَ الدَّليلُ كنتِ! والاشتغالُ بالدَّليلِ بعد الوصولِ محالٌ[١].

• قال محمدُ بنُ الحسَين: وسمعتُ محمدَ بن عبدِ الله الطَّبَري، يقول: سمعتُ يوسفَ بن الحسَين يقول: طلبَ أحمدُ بن أبي الحواري العلمَ منذُ ثلاثِينَ سنةً، فلمَّا بَلَغَ منه الغايةَ حمَل كُتُبَه إلى البحرِ فَفَرَّقها، وقال: يا عِلمُ! لم أفعل بكَ هذا تهاوُنًا ولا استِخفافًا بحقِّك، ولكنِّي كنتُ أطلُبُكَ لأهتدِيَ بكَ إلى ربِّي فلمَّا اهتدَيتُ بك استغنَيتُ عنك[٢].

• أخبَرنا أبو منصور القزَّاز، قال: أنا أبُو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ، قال: قرأتُ في كتابِ عُبَيدِ الله بنِ جعفر بن أحمد بن حمدان، قال: نا أبو يَعلَى عُثمان بن الحسَن الطُّوسِي، قال: نا محمدُ بن القاسِم الأزدِي، قال لنا **مجاهدُ بنُ موسى**، وكان إذا حدَّثَ بشَيءٍ رَمَى بأصلِهِ، إما بغسله، وإما في دجلة، فجاءَ يومًا ومعهُ طبقٌ، فقال: هذا بقي، وما أراكُم تروني بَعدَها. فحدَّثَنا بِهِ، ورَمى به، ثمَّ مات بعدَ ذلك[٣].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٦ وذكره الذهبي في السير ١٢/ ٨٨ وأبو يعلى في الطبقات ١/ ٧٨ وابن مفلح في المقصد الأرشد ١/ ٩٠ والعليمي في المنهج الأحمد ١/ ١٨١ ونقله القنوجي في أبجد العلوم ١/ ٢٥٣.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٦ وذكره الذهبي في السير ١٢/ ٨٨ وأبو يعلى في الطبقات ١/ ٧٨ وابن مفلح في المقصد الأرشد ١/ ٩٠.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ٢٦٥ ونقله الذهبي في السير ١١/ ٤٩٥.

• أخبَرنا القزَّاز، قال: أنا أحمدُ بنُ عليٍّ، قال: حدَّثني محمدُ بن عليٍّ المقرِي، عن أبي عبدِ الله محمدِ بن عبدِ اللهِ الحافظ، قال: أحمدُ بن محمد بن إسماعيل: **أبو الحسَين ابن الخلَّال** كان حَسَنَ الفهمِ لهُ صبرٌ علَى الحدِيث، وأنهُ كانَ يتصوَّف ويرمِي بالحديثِ مدَّةً ثمَّ يرجِعُ فيكتُبُ. ولقَد أخبَرنِي أنهُ رَمَى بجُملَةٍ مِن سَماعَاتِهِ القدِيمةِ فِي دجلة، فأوَّل ما سمع علَى أبِي العبَّاسِ الأصمِّ وطبقته، وكتبَ الكثير[1].

• أنبأنا زاهِرُ بنُ طاهر، قال: أنبأنا أحمدُ بنُ الحسَين البَيهقِي، قال: سمعتُ أبا عَمرو ابن أبِي جعفر يقول: سمعتُ أبا طاهرٍ الجُنَابذيَّ يقول: كان **موسَى بنُ هارُونَ** يقرأُ علَينا، فإذا فَرِغ مِن الجُزءِ رمَى بأصله فِي دجلةَ يقول: قد أدَّيتهُ[2].

• أخبَرنا محمدُ بن ناصر، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليِّ بن خَلَفٍ، قال: أخبَرنا أبُو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا نصرٍ الطُّوسِي يقول: سمعتُ جماعةَ مشايخِ الرَّيِّ يقولون: ورِث **أبو عبدِ الله المقرِئ** عن أبيهِ خمسِينَ ألفَ دينارٍ سِوى الضِّياعِ والعقارِ، فخَرَج عَن جميعِ ذلكَ وأنفَقَها علَى الفُقَراء.

قال: فسألتُ أبا عبدِ الله عن ذلك؟ فقال: أحرَمتُ وأنا غُلامٌ حدَثٌ، وخرَجتُ إلى مكَّةَ على الوحدةِ حينَ لم يَبقَ لِي شَيءٌ أرجِعُ إليه، وكانَ اجتهادِي أن أزهَدَ فِي الكُتُبِ، وما جَمعْتُ مِن الحدِيثِ والعلمِ أشدُّ عَلَيَّ من الخروجِ إلى مكَّة والتقطُّعِ في الأسفارِ والخروجِ عن مُلكِي[3].

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٣٩٠.

(٢) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

(٣) تقدم هذا الأثر عن المؤلف في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الخروج عن الأموال والتجرد عنها، ولم أقف عليه في كتاب اللمع للطوسي. وفيه أخبار نحو هذا ص٢٥٦-٢٥٨. وقد أخرجه عنه أبو عبد الرحمن السُلمي في طبقات الصوفية ص٥١٢.

• أخبَرنا أبو منصُورٍ القزَّاز، قال: أنا أحمدُ بنُ عليٍّ بن ثابتٍ، قال: أنا إسماعيلُ الحيرى، قال: نا محمدُ بن الحسَينِ السُّلَمِي، قال: سمعتُ أبا العبَّاسِ محمدَ بنَ الحسَنِ البغداديَّ، يقول: سمعتُ الشبلي يقول: أعرِفُ مَن لَم يدخُل في هذا الشَّأنِ حتَّى أنفَقَ جميعَ مُلكِهِ، وغَرَّقَ في هذهِ الدّجلةِ سبعينَ قِمَطْرًا[١] مكتُوبًا بِخَطِّهِ، وحفِظَ الموطَّأ وقرَأ بِكذا وكذا قراءةً. يعني: بهِ نفسَه[٢].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: قد سبَقَ القولُ بأنَّ العِلمَ نورٌ، وأنَّ إبليسَ يُحسِّنُ للإنسانِ إطفاءَ النُّورِ؛ لِيتمكَّنَ منهُ في الظُّلمَة، ولا ظُلمةَ كظُلمَةِ الجهلِ.

ولَمَّا خافَ أن يعاوِدَ هُؤلاءِ مُطالَعَةَ شَيءٍ من العلمِ، فربما استدلُّوا علَى مَكايِدِه بذلكَ، حَسَّنَ لهم دفنَ الكتُبِ وإتلافَها، وهذا فعلٌ قبيحٌ محظورٌ، وجَهْلٌ بالمقصودِ بالكُتُبِ.

وبيانُ هذا أنَّ أصلَ العُلومِ القُرآنُ والسُّنَّة، فلمَّا علِمَ الشرعُ أنَّ حفظَهُما يصعُبُ أمَرَ بِكِتابةِ المصحَفِ وكِتابةِ الحديثِ:

- **فأمَّا القُرآن** فإنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا نَزَلت عليهِ آيةٌ دعَا بالكاتبِ فأثبَتَها، وكانوا يكتبُونها في العُسُبِ والحِجارةِ، ثمَّ جَمعَ القرآنَ بعدَهُ في المصحَفِ أبو بكرٍ، ثم نَسخَ مِن ذلكَ عُثمانُ بن عفَّانٍ رضي الله عنه، كلُّ ذلك لِحفظ القُرآن؛ لئلَّا يشُذَّ منهُ شيءٌ[٣].

---

(١) القِمَطْرُ والقِمْطَرَةُ: ما تُصان فيه الكتب، والجمع قَماطِرُ. انظر: لسان العرب ٥/ ١١٧ والمصباح المنير ص٥١٦.

(٢)أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٥٤ والذهبي في السير ١٥/ ٣٦٩.

(٣) بوّب البخاري بابًا في جمع القرآن وذكر الأحاديث في جمع أبي بكر ونسخ عثمان للقرآن رقم (٤٧٠١-٤٧٠٤) وأوضح ذلك وشرحه الخطابي في أعلام الحديث ٣/ ١٨٥١-١٨٦١ وابن حجر في الفتح ٩/ ١٢.

وانظر لمزيد بيان في مسألة جمع القرآن: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٩ فضائل القرآن للنسائي ص٧٩-٨١ وشروط الأئمة لابن منده ص٢٦ ومناهل العرفان ١/ ٢٤٠ والبرهان في علوم القرآن ←

- **وأمَّا السُّنة** فإنَّ النبي ﷺ قَصرَ الناسَ في بِدايةِ الإسلامِ على القُرآنِ، وقال: «**لا تكتبُوا عنِّي سِوى القرآنِ**»(١)، فلمَّا كثُرَت الأحاديث ورأى قِلَّةَ ضبطِهم أذِنَ لهم في الكِتابة:

○ وروَى أبو هُريرة أنَّ رجُلًا شَكَى إلى رسولِ الله ﷺ قِلَّةَ حفظِهِ قال: «**اِستَعِن علَى حِفظِكَ بيمِينِك**». يعني: الكتاب.

○ وروى عنه ﷺ عبدُ الله بنُ عَمرٍو أنهُ قال: «**قيِّدُوا العلمَ**»، فقلت: يا رسولَ الله! وما تقييدُه؟ قال: «**الكِتابة**»(٢).

○ وروَى عنه أيضًا رافِعُ بنُ خديجٍ قال: قلنا: يا رسولَ الله، إنَّا نَسمعُ منكَ أشياءَ أفنَكتبُها؟ قال: «**اُكتُبوا ولا حَرَج**»(٢).

١/ ٢٣٣ والإتقان في علوم القرآن ١/ ١٦٤ والمدخل لدراسة القرآن ص٢٣٦-٢٧٧ وكتاب مناهل العرفان دراسة وتقويم ١/ ٣٤٥.

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٠٠٤) عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٥/ ١٠ وفضائل القرآن رقم (٣٣) والإمام أحمد ٣/ ١٢ ٢١ ٣٩ ٥٦ وابن حبان في صحيحه ١/ ٢٦٥ والدارمي في سننه ١/ ١٣٠ رقم (١٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٤٦٩ والحاكم في المستدرك ١/ ١٨٨ والمصنف في العلل المتناهية ١/ ٨٦ جميعهم من طريق عبد الله بن المؤمل وهو - كما في التقريب ص٣٢٥ - ضعيف الحديث. والحديث مخرج من حديث أنس ﷺ عند: لوين ص٦٧، قال أبو جعفر لوين: هذا لم يكن يرفعه أحد غير هذا الرجل - يعني: عبد الحميد بن سليمان الخزاعي، وهو ضعيف كما في التقريب ص٣٣٣ - إسناده ضعيف والحديث حسن.
والحديث روي موقوفًا أيضًا عن أنس وعمر بن الخطاب وابن عباس. وهو حسن بشواهده وطرقه كما ذكر ذلك العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٢٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٤٤١٠) ٤/ ٢٧٦ وابن عدي في الكامل ١/ ٢٢ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٥١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو مدرك روى عن رافع وعنه بقية ولم أر من ذكره. قلت: والحديث معتمده على أبي مدرك، وهو متروك. انظر: الميزان ٧/ ٤٢٤.

ولِيُعلَم أنَّ الصَّحابةَ رِضوانُ الله عليهم ضَبطَت ألفاظَ رسولِ الله ﷺ وحركاتِهِ وأفعالَه، فاجتمَعتِ الشَّريعةُ مِن رِوايةِ هذا ورِوايةِ هذا، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**بلِّغُوا عنِّي**»[١]، وقال: «**نضَّرَ اللهُ امرًا سمِعَ مقالَتِي فوَعاهَا فأدَّاها كما سمِعها**»[٢].

وتأدِيةُ الحديثِ كما سُمعَ لا يَكادُ يحصُلُ إلَّا مِن الكتابِ؛ لأنَّ الحفظَ خوَّانٌ، وقد كان أحمدُ بن حنبل يُحدِّثُ بالحديثِ، فيُقال له: أملِهِ علَينا. فيقول: لا، بَل مِن الكِتابِ[٣]. قال عليُّ بنُ المدِيني: أمرَني سيِّدي أحمدُ بن حنبل أن لا أُحدِّثَ إلَّا مِن كتاب[٤].

قال المصنِّف: فإذا كانتِ الصحابةُ قد رَوت السُّنةَ وتلقَّفَها التابِعونَ، وسافَر المحدِّثُون وقطعُوا شرقَ الأرضِ وغربَها لتحصِيلِ كلِمةٍ مِن هاهُنا وكلمةٍ مِن هاهُنا، وصحَّحُوا ما صحَّ وزيَّفوا ما لَم يصحَّ، وجرَّحُوا الرُّواةَ وعدَّلُوا، وهذَّبوا السُّنَن وصنَّفوا[٥]، ثمَّ يغسِل ذلكَ فيُضَيِّعُ التعبَ، ولا يعرِفُ حكمَ اللهِ في حادِثَةٍ مثل هذا!

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأخرجه الترمذي رقم (٢٦٦٩) وقال: حسن صحيح. وأحمد في المسند ٢/ ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤ والدارمي في سننه ١/ ١٤٥.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٦٥٦، ٢٦٥٧، ٢٦٥٨) وابن ماجه رقم (٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٦) والإمام أحمد في المسند ١/ ٤٣٧ ٣/ ٢٢٥، ٤/ ٨٠، ٨٢ و٥/ ١٨٣ والدارمي في سننه ١/ ٧٤، ٧٥، ٧٦ والحاكم في المستدرك ١/ ٨٧، ٨٨ وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢١٣٩، ٢١٤٠)، وصحيح ابن ماجه رقم (١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٣)، وتخريج المشكاة رقم (٢٣٠)، وفي الأحاديث الصحيحة رقم (٤٠٤)، والحديث مرويٌّ عن بضعة وعشرين صحابيًا.

(٣) انظر: في كون أحمد لا يحدث إلا من كتاب: الجرح والتعديل ١/ ٢٩٥ و٢/ ٦٩ وحلية الأولياء ٩/ ١٦٥ والجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٢ والتعديل والتجريح ١/ ٣٢٠ وأدب الإملاء والاستملاء ص٤٧ وتهذيب الكمال ١/ ٤٥٢ وتاريخ دمشق ٥/ ٢٧٩ وشرح علل الترمذي ١/ ٤٨١ وفتح المغيث ٢/ ٢٢٨ والسير ١٢/ ٢٨٩ وقال: لأن ذلك أقرب إلى التحري والورع وأبعد عن العجب.

(٤) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٢ والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص٤٧.

(٥) انظر في جهود الأئمة في تدوين السنة والرحلة في طلب الحديث: جامع بيان العلم ١/ ٣٨٨-٣٩٥ والرحلة في طلب الحديث ص٧٧-١٨٣ وتدوين السنة النبوية ص٢٢-٤٣ والسنة ومكانتها ص٧٢ ﴿

فما عُونِدَتِ الشَّريعةُ بمثلِ هذا! وهل لِشرِيعةٍ من الشَّرائِعِ قبلَنا إسنادٌ إلى نبِيِّهم؟ وإنما هذِه خصِّيصةٌ لِهذِهِ الأمَّة[1].

وقد رُوِّينا عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ معَ كونهِ طافَ الشرقَ والغربَ في طلبِ الحديثِ أنهُ قال لابنه: ما كتبتَ عن فلانٍ؟ فذَكَر له أنَّ النبي عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ: كانَ يَخرُجُ يومَ العيدِ مِن طريقٍ ويرجِعُ في أخرَى[2]. فقال الإمامُ أحمدُ: إنَّا لله! سُنَّةٌ من سُنَن رسولِ الله ﷺ لَم تبلُغْني.

قال المصنِّفُ: وهذا قولُه معَ إكثارِهِ وجمعِهِ، فكيفَ بِمن لَم يكتُب؟! وإذا كتَبَ غسَّل!

أَفترَى إذا غُسِّلَتِ الكُتبُ ودُفِنت، علَى مَن يُعتمَد في الفتاوَى والحوادِث؟ على فلانٍ الزَّاهد، وفلانٍ الصُّوفي، أو على الخواطِر فيما يقعُ لها! نعوذُ باللهِ من الضَّلال بعد الهدى.

فصل:

ولا تَخلُو هذهِ الكُتبُ التِي دفنُوها أن يكونَ فيهَا حقٌّ أو باطِلٌ، أو قدِ اختلَطَ الحقُّ بالباطِل:

---

٩٠ وبحوث في تاريخ السنة ص٢١٣-٢٢٩ والحديث والمحدثون ص١٠٨-١٢٧ والسنة قبل التدوين ص١٦٤-١٧٦.

(١) حول أهمية الإسناد وخاصيته بأمة محمد ﷺ انظر: شرف أصحاب الحديث ص٣٩-٤٢ ومقدمة صحيح مسلم ١/ ١٤ والإسناد من الدين ص١٥-٥٥ وعلم الرجال ص١٦-٢١. وقد ذكروا نقولًا مهمة عن الأئمة في ذلك.

(٢) أخرجه البخاري بنحوه رقم (٩٨٦) عن جابر، وأخرجه أبو داود رقم (١١٥٦) عن ابن عمر والترمذي رقم (٥٤١) عن أبي هريرة وابن ماجه رقم (١٢٩٩) عن ابن عمر، ورقم (١٣٠٠)، عن أبي رافع ورقم (١٣٠١) عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٣٨ عن أبي هريرة.

- فإن كان فيها باطلٌ فلا أَلُومُ مَن دفَنَها.

- وإن كانَ قد اختلَطَ الحقُّ بالباطلِ ولَم يُمكِن تمييزُهُ كان عُذرًا في إتلافِها، فإنَّ أقوامًا كتبُوا عن ثِقاتٍ وعن كذَّابين، واختلَطَ الأمرُ عليهم فدفنوا كُتُبَهم، وعلى هذا يُحمَل ما يُروَى مِن دَفنِ الكُتُبِ عن سُفيانَ الثَّورِي(١).

وإن كان فيها الحقُّ والشَّرعُ فلا يَحِلُّ إتلافُها بوجهٍ؛ لكونِها ضابِطةً لِلعلمِ وأموالًا.

ولْيُسْأَل مَن يقصِدُ إتلافَها عن مقصودِه، فإن قال: تشغلُني عن العِبادةِ، قيل له: جوابُكَ مِن ثلاثةِ أوجُهٍ:

أحدُها: أنَّك لو فهِمتَ؛ لَعَلِمتَ أنَّ التشاغُلَ بالعِلمِ أوفَى العِبادات(٢).

والثاني: أنَّ هذهِ اليَقظَةَ التي وقَعت لكَ لا تدُومُ، فكأنِّي بكَ وقَد ندِمتَ على ما فعلتَ بعدَ الفَوات(٣).

واعلم أنَّ القُلوبَ لا تَبقى على صفائِها، بل تَصدَأ فَتحتَاجُ إلى جَلاءٍ، ولَا جَلاءَ كالنَّظَر في كُتُبِ العِلم، وقد كان يوسفُ بنُ أسباطٍ دفَن كتبَه ثمَّ لم يَصبِر عن التَّحديثِ، فحدَّث مِن حفظِه فخلَّط(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٨ و٦٤ ونقله الذهبي في السير ٧/ ٢٦١. وأخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٣٩ قال: كان سفيان يكتب الحديث بالليل في الحائط فإذا أصبح نسخه ثم حكه. قال محققه ١/ ٤٤١: إسناده صحيح.

(٢) انظر في بيان ذلك: شرف أصحاب الحديث ص٨١.

(٣) وانظر فيمن ندم على محو الحديث: تقييد العلم ص٦٠.

(٤) انظر: التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥ والأوسط ٢/ ٢٦٥ ومعرفة الثقات للعجلي ٢/ ٣٧٤ والجرح والتعديل ٩/ ٢١٨ وضعفاء العقيلي ٤/ ٤٥٤.

والثَّالث: أنَّنا نُقَدِّر تمامَ يقظَتِكَ ودوامَهَا والغِنى عن هذِه الكُتبِ، فهلَّا وهَبتها لِمُبتدِئٍ مِن الطلاب لَم يصِل إلى مَقامِك، أو وقفتَها على المنتَفِعِين بِها، فأمَّا إتلافُها فلا يحِلُّ بحالٍ:

○ وقد روى المرُّوذِيُّ عن **أحمَدَ بنِ حنبلٍ** أنهُ سُئلَ عن رجُلٍ أوصَى أن تُدفَنَ كتبُه. فقال: ما يُعجِبُني أن يُدفَن العلمُ(١).

○ وأنبأنا محمدُ بن عبدِ الملكِ ويحيى بنُ عليٍّ، قالا: أنبأنا أحمدُ بنُ عليِّ بن ثابتٍ، قال: أنا عُبيدُ اللهِ بنُ عبدِ العزيزِ البرذعيُّ، قال: أخبَرنا محمدُ بن عُبيدَ الله الشِّخير، قال: نا أبو بَكرٍ محمدُ بنُ أحمد بن النَّحّاس، قال: سمعتُ المروَذيَّ يقول: سمعتُ **أحمَدَ بن حنبلٍ** يقول: لا أعرِف لدَفنِ الكُتبِ معنى(٢).

---

(١) الورع للإمام أحمد بن حنبل ص٨٠.

(٢) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص٦٣ وانظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح ٣/ ٥٦١.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في إنكارهم على من تشاغَل بالعلم

قال المصنِّفُ رحمه الله: لمَّا انقَسم هؤلاءِ بينَ مُتكاسِلٍ عن طلبِ العلمِ وبينَ ظانٍّ أنَّ العلمَ هو ما يقعُ في النُّفوسِ مِن ثمراتِ التَّعبُّدِ، وسمَّوا ذلكَ العلمَ الباطِنَ، نَهَوا عن التَّشَاغُلِ بالعلمِ الظَّاهر:

• أخبَرنا عبدُ الرَّحمن بنُ محمدٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ، قال: أنا عِليُّ بن أبِي عليٍّ البصري، قال: حدَّثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ بن محمدٍ الطَّبَريُّ، قال: سمعتُ جعفرًا الخُلْديَّ يقول: لو تَركَنِي الصوفيَّةُ لَجِئتُكُم بإسنادِ الدنيا، مضيتُ إلى عباسٍ الدُّوريِّ وأنا حَدَثٌ، فكتَبتُ عنهُ مجلِسًا واحدًا وخرَجتُ مِن عندِهِ، فلقِيَنِي بعضُ مَن كُنتُ أصحَبُهُ مِن الصوفيَّة، فقال: إيش هذا معك؟ فأرَيتُهُ إيَّاهُ، فقال: ويحكَ! تَدَعُ عِلمَ الخِرَقِ وتأخُذُ عِلمَ الوَرق! ثمَّ خَرَق الأوراقَ، فدخلَ كلامُهُ في قلبِي، فلَم أعُد إلى عبَّاسٍ[(١)].

• **قال المصنِّفُ** رحمه الله: وبلَغني عن أبي سعيدٍ الكِنديّ، قال: كُنتُ أَنزِلُ رِباطَ الصُّوفيَّةِ وأطلبُ الحديثَ في خِفيةٍ بحيثُ لا يعلمون، فسَقَطتِ الدَّواةُ يومًا مِن كُمِّي، فقال لي بعضُ الصوفيَّة: استُر عورتَك[(٢)].

• أخبرنا محمدُ بن ناصر، قال: أخبَرنا أبُو القاسمِ هِبةُ اللهِ بنُ عبدِ الله الواسِطيّ، قال: أنا أبو بكرٍ الخطيبُ، قال: أنا أبو الفتحِ بنُ أبي الفَوارِس، قال: أخبَرنا الحسَينُ بنُ أحمدَ الصفَّار، قال: كان بِيدِي محبَرَةٌ، فقال لي الشبلي: غيِّب سوادَكَ عنِّي، يكفِيني

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٧ وذكره المؤلف في صيد الخاطر ص٩٧ والذهبي في السير ١٥/ ٥٥٩ وقال: ما ذا إلا صوفي جاهل؛ يمزق الأحاديث النبوية ويحض على أمر مجهول فما أحوجه إلى العلم!

(٢) ذكره المؤلف في صيد الخاطر ص٩٧.

سوادُ قلبي[١].

• أخبَرنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبُو سعيدِ بنُ أبي صادقٍ، قال: أخبَرنا ابن باكويه، قال: سمعتُ عبدَ اللهِ العزَّالَ المذكِّر، قال: سمعتُ عليَّ بنَ مهدِيٍّ يقول: وقفتُ ببغدادَ على حَلقةِ الشبلي، فنَظَر إليَّ ومعِي محبرةٌ، فأنشأ يقول:

تَسَربلتُ للحُزنِ ثوبَ الفَرَقْ ** وهمت البِلادَ لِوجدِ القَلقْ
ففِيكَ هَتكتُ قِناعَ العزاءِ ** وعنكَ نطقتُ لدَى مَن نَطَق
إذا خَاطبونِي بعِلمِ الوَرق ** بَرَزتُ عليهِم بِعلمِ الخِرَق[٢]

• أخبَرنا ابنُ حبيبٍ، قال: أنا ابنُ أبي صادقٍ، قال: نا ابنُ باكويه، قال: سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خفيفٍ يقول: اشتغِلُوا بتعلم شيءٍ، ولا يغُرَّنكُم كلامَ الصُّوفيَّة، فإنِّي كنتُ أُخَبِّئُ محِبرَتِي في جيبِ مِرقَعَتي، والكاغدَ في حَزَّةِ سراويلي، وكنتُ أذهبُ خفيًا إلى أهلِ العلمِ، فإذا عَلِموا خاصَمُونِي، وقالوا: لا تفلح، ثمَّ احتاجُوا إليَّ بعدَ ذلك[٣].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: مِن أكبَر المُعانَدَةِ للهِ عز وجل الصَّدُّ عن سبيلِه، وأوضَحُ سُبلِ اللهِ العلمُ؛ لأنهُ دليلٌ على اللهِ، وبيانٌ لأحكامِ شرعِهِ، وإيضاحٌ لِما يُحِبُّهُ ويكرهُهُ، فالمنعُ منهُ مُعاداةٌ للهِ ولَشرعِهِ، ولكِنَّ النَّاهِينَ عن ذلك ما يفطنون بها فعلوا.

وقد كان الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل يرَى المَحَابِر بأيدِي طَلَبةِ العِلمِ فيقول: هذه سُرُجُ الإسلامِ[٤].

---

(١) ذكر نحو هذا الخبر الغزالي في الإحياء عن الجنيد ٤/ ٢٣٩.

(٢) ذكره المؤلف في صيد الخاطر ص٩٧.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٠٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٤١٤ ونقله الذهبي في السير ١٦/ ٣٤٦.

(٤) ذكره أبو يعلى في طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٩ وابن مفلح في المقصد الأرشد ٢/ ٣١١ والعليمي في المنهج الأحمد ١/ ٤٣٨.

وكان يَحمِلُ المَحبَرة على الكبر، فقال له رجلٌ: إلى مَتَى يا أبا عبدِ الله؟ فقال: المحبَرة إلى المقبَرَة[١].

وقال في قولِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لا تزالُ طائِفةٌ مِن أمَّتي منصورِين لا يضرُّهُم مَن خَذَلُهم حتى تقومَ السَّاعة**»[٢]، فقال: إن لَم يكُونوا أصحابَ الحديثِ فلا أدرِي مَن هُم[٣]. وقال أيضًا: إن لم يكُن أصحابَ الحديثِ الأبدالُ فمَن يكونوا؟!![٤].

وقيل له: إنَّ رجُلًا قال فِي أصحابِ الحديثِ: إنَّهُم قومُ سُوءٍ. فقال أحمد: زِندِيقٌ زِنديقٌ[٥].

---

(١) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية ٢/ ٥٣.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢١٩٢) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه رقم (٦) عن معاوية. وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٤، ٣٥ وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢١٩٢) وفي الصحيحة رقم (٤٠٣). هذا تخريجه باللفظ الذي أورده المؤلف. وإلّا فإن الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة أخرجه البخاري رقم (٣٦٤٠)، رقم (٧٣١١)، ومسلم رقم (١٩٢١). ومن حديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه البخاري رقم (٣٦٤١) وأخرجه مسلم رقم (١٠٣٧) وهو عند مسلم رقم (١٩٢٤) من حديث عقبة بن عامر.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص٢٥ ٢٧ وأبو الفضل الهروي في مشتبه أسامي المحدثين ص٢١ وأبو عبد الله الحاكم في معرفة علوم الحديث ص٢. وحكم الحافظ في الفتح ١٣/ ٢٩٣ على سند الحاكم بالصحة. وروي عن جماعة من السلف أن المراد بهم أهل الحديث، التفصيل في السلسلة الصحيحة رقم(٢٧٠).

انظر للمزيد إكمال المعلم ٦/ ٣٥٠ للقاضي عياض، و شرح صحيح مسلم ١٣/ ٦٧ للنووي.

(٤) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٥٠ عن الإمام أحمد ومثله عن سفيان الثوري وذكره أبو يعلى في الطبقات ١/ ٢٢٠ والسيوطي في مفتاح الجنة ص٦٨. وحديث الأبدال ضعيف جدًا وقد سبق بيان ذلك ص٦٣٧.

(٥) أخرجه أبو عبد الله الحاكم في معرفة علوم الحديث ص٤ وذكره الذهبي في السير ١١/ ٢٩٩. وأخرج اللالكائي في اعتقاد أهل السنة ٣/ ٤٧٧ رقم (٧٣٢) عن بقية قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا محمد، ما تقول في قوم يبغضون حديث نبيهم؟ قال: قلت قوم سوء. قال: ليس من صاحب بدعة تحدثه عن رسول الله بخلاف بدعته إلا أبغض الحديث.

وقال الإمامُ الشَّافِعيُّ: إذا رأيتُ رجُلًا مِن أصحابِ الحديثِ فكأنِّي رأيتُ رجلًا مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ(١).

وقال يوسفُ بنُ أسباط: بِطَلَبةِ الحدِيثِ يدفعُ اللهُ البلاءَ عن أهلِ الأرض.

• أخبَرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ الخطيبُ، قال: نا عبدُ العزيزِ بنُ عليٍّ، قال: نا ابن جَهضَمٍ، قال: نا محمدُ بنُ جعفر، عن أحمدَ بنِ محمدِ بنِ مسروقٍ، قال: رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامَت، والخلقُ مجتمِعون، إذ نَادى منادٍ: الصَّلاةُ جامِعةٌ، فاصطفَّ النَّاس صفوفًا، فأتى مَلكٌ فتأمَّلتُهُ فإذا بَينَ عَينَيهِ مكتوبٌ: جبريلُ أمينُ الله، فقلتُ: فأين النبي ﷺ؟ فقال: مشغولٌ بنَصبِ الموائِد لإخوانهِ الصُّوفِيَّةِ. فقلتُ: فأنا مِن الصُّوفية؟ فقيل: نعم، ولكِن شغلَكَ كثرَةُ الحدِيث(٢).

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: معاذَ الله أن يُنكِرَ جِبريلُ التشاغُلَ بالعلم، وفي إسنادِ هذهِ الحكايةِ ابنُ جهضَم، وكان كذَّابًا، ولعلَّها عملُه، وأمَّا ابنُ مسروق فأخبَرنا القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ الخطيبُ، قال: حدَّثني عليُّ بنُ محمد ابنِ نصرٍ، قال: سمعتُ حمزةَ بنَ يوسف، قال: سمعتُ الدَّارَقطني يقول: أبو العبَّاسِ بنُ مسروق ليسَ بالقوِيِّ، يأتِي بالمعضِلات(٣).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١٠٩ والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ص٣٩١ وذكره الذهبي في السير ١٠/ ٥٩ والسيوطي في مفتاح الجنة ص٥١.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ١٠١.

(٣) سؤالات حمزة ص١٥٨ وأخرجه عنه الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ١٠٢.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في كلامهم في العلم

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنَّ هؤلاءِ القوم لَمَّا تَركُوا العِلمَ وانفرَدُوا بالرِّياضَاتِ على مُقتَضَى آرائِهم لَم يَصبِرُوا عن الكلامِ في العلومِ، فتكلَّمُوا بواقِعاتِهم، فَوقَعتِ الأغالِيطُ القبيحةُ منهم، فتارةً يتكلَّمُونَ في تفسيرِ القرآنِ، وتارةً في الحديثِ، وتارةً في الفقهِ وغير ذلك، ويسوقون العلومَ إلى مُقتضَى عِلمِهم الذي انفرَدُوا بِهِ، واللهُ سبحانهُ لا يُخلِي الزَّمانَ مِن أقوامٍ قُوَّامٍ بشرعِهِ، يردُّونَ على المتخَرِّصينَ ويُبَيِّنون غَلطَ الغالِطِينَ.

ذكرُ نبذٍ مِن كلامِهم في القُرآن[1]:

• أخبَرَنا أبو منصورٍ عبدُ الرَّحمن بنُ محمدٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بن ثابتٍ، قال: أنا أبو القاسمِ عبدُ الواحِد بن محمد بنِ عثمانَ البَجَلِي، قال: سمعتُ جعفرَ بنَ محمد الخُلدِي، قال: حضرتُ شيخَنا **جُنيدًا** وقد سَألهُ ابن كيسانَ عن قولهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] فقال جُنَيدٌ: لا تنسَ العَمَل به[2]. قال: وسألهُ عن قولِه تعالى: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩] فقال له جُنَيدٌ: تركُوا العملَ به، فقال: لا يَفضُضِ اللهُ فاكَ!

قال المصنِّفُ: أمَّا قولُه: لا تَنسَ العملَ به: فتفسيرٌ لا وَجهَ لهُ، والغلطُ فيه ظاهرٌ؛ لأنهُ فسَّرهُ على أنَّه نَهْيٌ، وليسَ كذلكَ إنما هُو خَبَرٌ لا نَهيٌ، وتقديرُهُ: فَما تَنسَى، إذ لَو كانَ نَهيًا كانَ مجزُومًا، فتفسِيرُه على خِلافِ إجماعِ العُلَماءِ[3].

---

(١) لبيان كلام الصوفية ومؤلفاتهم في التفسير انظر: التفسير والمفسرون ٢/ ٣٣٩-٤١٦ واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ١/ ٣٦٦-٤١٢ وابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير ٢/ ٥٩٧-٦٠٥.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٥ ومن طريق أخرى السلمي في تفسيره المسمى حقائق التفسير ٢/ ٢٨٩ في الآية الأولى ونقله في الآية الثانية عن سهل بن عبد الله ١/ ٢٤٧.

(٣) انظر في إيضاح ذلك: تفسير الإمام الطبري ٣٠/ ١٥٤ وتفسير المؤلف ٨/ ٢٢٩.

وكذلك قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]: إنَّما هو من الدَّرسِ الذِي هو التلاوةُ، مِن قوله ﷻ: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، لا مِن درسِ الشيءِ الذي هو إهلاكُه(١).

• أخبَرنا محمدُ بنُ عبدِ الباقي، قال: أنا حَمْدُ بنُ أحمد، قال: نا أبو نُعَيم الحافِظ، قال: سمعتُ أحمدَ بنَ محمد بنِ مقسَمٍ يقول: حضرتُ **أبا بكرٍ الشَّلَبِي**، وسُئِلَ عن قولِه ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، فقال: لِمَن كان اللهُ تعالى قلبَه(٢)!

• أخبرنا عُمرُ بنُ ظفر، قال: أخبَرنا جعفرُ بنُ أحمد، قال: أخبَرنا عبدُ العزيز بنُ عليٍّ، قال: أنا ابنُ جهضمٍ، قال: نا محمدُ بنُ جريرٍ، قال: سمعتُ **أبا العبَّاسِ بنَ عطاءٍ** وسُئلَ عن قولِه: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [طه: ٤٠] قال: نجَّيناكَ مِن الغمِّ بقومِكَ، وفتنَّاكَ بِنا عن مَن سِوانا(٣).

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وهذِه جُرأةٌ عَظِيمةٌ على كلامِ اللهِ ﷻ! ونسبةُ الكليمِ إلى الافتِتانِ بِمحبَّةِ اللهِ سبحانه، وجَعْلُ محبَّتِهِ تَفتُنُ غايةٌ في القَباحَة.

• أخبرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أخبَرنا أحمدُ بنُ عليٍّ الحافِظ، قال: أنا أبو حازمٍ عُمرُ بنُ إبراهيمَ العبدوي، قال: سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبدِ الله الرَّازيَّ، يقول: سمعتُ **أبا العبَّاس بنَ عطاءٍ** يقول في قولِهِ ﷻ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] فقال: الرَّوْح: النظرُ إلى وجهِ الله ﷻ، والرَّيحانُ: الاستماعُ

---

(١) انظر: تفسير الإمام الطبري ٩/ ١٠٧ وهناك من نقل مثل قول الجنيد وعدَّه وجهًا في الآية. انظر: تفسير القرطبي ٧/ ٣١٢.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٧٢. وانظر في بيان معنى الآية: تفسير الطبري ٢٦/ ٤٣٢ وتفسير البغوي ٧/ ٣٦٤ وابن كثير ٤/ ٢٤٥.

(٣) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في تفسيره ١/ ٤٤٤ وينظر المعنى الحق في الآية: تفسير ابن جرير ١٦/ ١٦٣-١٦٧ وابن كثير ٣/ ١٤٩ وتفسير السعدي ص٥٠٥.

لِكلامِهِ، وجنَّةُ نعيمٍ: هو أن لا يُحجَبَ فيها عنِ الله ﷻ[(١)].

• **وقال المصنِّف**: هذا كلامٌ بالواقِعِ على خِلافِ أقوالِ المفسِّرين، وقد جمع **أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي** في تفسير القرآن مِن كلامِهِم الذي أكثرُهُ هَذَيانٌ لا يحلُّ مجلَّدَينِ، سمَّاهُمَا «**حقائقَ التَّفسير**»[(٢)]:

• فقالَ في فاتِحةِ الكتاب عنهُم: إنَّهم قالوا: إنما سُمِّيَت بذلكَ لأنَّها أوائِلُ ما فاتحنَاكَ به مِن خطابِنا، فإن تأدَّبتَ بِذلكَ وإلَّا حُرِمتَ لطائفَ ما بعدُ![(٣)]

---

(١) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٢٩ وذكره السلمي في تفسيره ٢/ ٣٠٣ والقرطبي في تفسيره ١٧/ ٢٣٢؛ ولبيان المعنى الحق انظر: تفسير الطبري ٢٧/ ٢١١ وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٠١ والمؤلف في زاد المسير ٧/ ٢٩٦.

(٢) يعد كتاب أبي عبد الرحمن السلمي أشهر كتاب للصوفية في تفسيرهم جمع فيه جملة من أقوالهم تأولوا فيها الآيات على خلاف الظاهر منها؛ ولذا طعن بعض الأئمة على تفسيره. قال الإمام الذهبي: ألَّف «حقائق التفسير» فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية نسأل الله العافية. تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٤٦ وقال في السير ١٣/ ٤٤٢: فياليته لم يؤلفه! فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية والشطحات البسطامية وتصوف الاتحادية فواحزناه على غربة الإسلام والسنة! قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

وقال السبكي في الطبقات ٤/ ١٤٧: وكتاب «حقائق التفسير» المشار إليه قد كثر الكلام فيه من قِبَل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحالّ للصوفية ينْبُو عنها ظاهر اللفظ.

والذي يظهر أن أبا عبد الرحمن السلمي كغيره من أصحاب التفسير الإشاري قد أتوا في مصنفاتهم بمعانٍ صحيحة أحيانًا وبمعانٍ باطلة في كثير من الأحيان. وهذا ما قرره شيخ الإسلام إذ يقول: فإن الشيخ أبا عبدالرحمن ذكر فى «حقائق التفسير» من الإشارات التي بعضها كلام حسن مستفاد وبعضها مكذوب على قائله مفترى كالمنقول عن جعفر وغيره وبعضها من المنقول الباطل المردود. الفتاوى ٦/ ٣٧٦ أو تفسير سورة النور ص١٦٤. ونحوه ابن جُزي في مقدمة تفسيره ص٨ قال: وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامه في التفسير في كتاب سماه «الحقائق» وقال بعض العلماء: بل هي البواطل وإذا أنصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل. وانظر لمزيد بيان: الفتاوى ١٣/ ٢٤٢ والبرهان ٢/ ١٧٠-١٧١ والإتقان ٤/ ١٩٤-١٩٨ وابن جزي ومنهجه في التفسير ٢/ ٦٠٣-٦٠٥.

(٣) تفسير السلمي المسمى حقائق التفسير ١/ ٢٤. وجاء فيه: حرمت لطائف ما بعده من لطائفه.

وقال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وهذا قبيحٌ؛ لأنهُ لا يختلِفُ المفسِّرونَ أنَّ الفاتحةَ ليست مِن أوَّلِ ما نزلَ.

• وقالَ في قولِ الإنسان: (آمِين): أي: قاصِدُكَ نحوَكَ(١).

قال المصنِّفُ رحمه الله: وهذا قبيحٌ؛ لأنهُ ليس مِن أَمَّ؛ إذ لو كان كذلكَ كانتِ الميمُ مشدَّدَةً.

• وقال في قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٨٥]، قال: قال أبو عثمانَ: غرقَى في الذُّنوبِ. وقال الواسِطِيُّ: غرقَى في رُؤيةِ أفعالِهم. وقال الجُنَيد: أسارى في أسبابِ الدُّنيا، تنقذوهم إلى قطعِ العلائقِ(٢).

قال المصنِّفُ قلت: وإنما الآيةُ على وجهِ الإنكارِ، ومعناها إذا أَسَرتُمُوهم فَدَيتُمُوهُم وإذا حَارَبْتُمُوهم قَتَلتُمُوهم وهؤلاءِ قد فسَّروها على ما يوجِبُ المدح(٣)!

• وقال محمدُ بنُ عليٍّ: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] مِن توبتِهم(٤). وقال النوري: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أي: يقبِضُك بإِيَّاهُ ويَبسطُك لإياه(٥).

• وقال في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، أي: مِن هواجِسِ نفسهِ ووساوِس الشيطان(٦).

---

(١) تفسير السلمي ١/ ٤٥.

(٢) انظر: تفسير السلمي ١/ ٦٢.

(٣) انظر لمزيد إيضاح لمعنى الآية: تفسير الطبري ١/ ٣٩٦-٤٠٠ وأحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٨ وتفسير السعدي ص٥٨.

(٤) تفسير السلمي ١/ ٧٤. ولبيان المعنى الحق في الآية انظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٩٠ وتفسير ابن كثير ١/ ٢٦١ والقرطبي ٣/ ٩١.

(٥) تفسير السلمي ١/ ٧٤ ونقله السهروردي في عوارف المعارف ص٤٦٨. ولبيان المعنى الحق في الآية انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٠١ وتفسير السعدي ص١٠٧.

(٦) تفسير السلمي ١/ ١٠٩.

قال المصنِّفُ: وهذا في غايةِ القُبحِ! لأنَّ لفظَ الآيةِ لفظُ الخَبَر، ومعناهُ الأمر، وتقدُيرها: مَن دَخَل الحَرَم فأمِّنوه. وهؤلاءِ قد فسَّروها علَى الخَبَر، ثمَّ لا يصِحُّ لهم؛ لأنهُ كَم مِن داخلٍ إلى الحرمِ ما أمِنَ الهواجِسَ ولا الوساوِسَ.

• وذكرَ في قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١]: قال أبو ترابٍ: هِي الدَّعاوى الفاسِدة[١].

• ﴿وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] قال سهلٌ: هو القلبُ، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: النفس، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الجوارح[٢].

• وقال في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] قال أبو بكرٍ الورَّاق: الهمَّان لها ويوسفُ ما همَّ بِها.

قلت: وهذا خِلافٌ لِصريحِ القرآن!

• وقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] قال محمدُ بنُ عليٍّ: ما هذا بأهلٍ أن يُدعَى إلى المباشَرَة!

• وقال الزَّنجانِي: الرَّعدُ: صعقاتُ الملائِكة، والبرقُ: زَفَراتُ أفئِدتِهم، والمطرُ: بُكاؤهم[٣].

• وقال في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٤٢] قال الحسَين: لا مَكرَ أبينُ مِن مكرِ الحقِّ بعبادِهِ، حيثَ أوهَمَهُم أنَّ لهم سبيلًا إليهِ بحالٍ، أو للحَدَث اقترانٌ مع القِدم[٤].

---

(١) تفسير السلمي ١/ ١٤٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم للتستري ص٤١ ٤٥. نقلًا عن التفسير والمفسرون ٢/ ٣٦٤ وتفسير السلمي ١/ ١٤٧.

(٣) تفسير السلمي ١/ ٣٢٩ وقال المناوي: ومن بدع المتصوفة.. ثم نقل هذا القول. فيض القدير ٤/ ٥٥.

(٤) تفسير السلمي ١/ ٣٣٩ وفيه: أو للحدث اقترابه مع القدم في وقت.

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: ومَن تأمَّل معنى هذا علِم أنهُ كفرٌ محضٌ؛ لأنهُ يُشيرُ إلى أنهُ كالهُزءِ واللعِب، ولكِن الحسَين هو الحلَّاج، وهذا يلِيقُ بذاك.

• وقال في قولِه: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢] أي: بِعمارَتِك سرَّك بمشاهدتِنا[١].

قال المصنِّفُ: **قلت**: وجميعُ الكِتابِ مِن هذا الجنسِ، ولقد همَمتُ أن أُثبِتَ منه هاهُنا كثيرًا، فرَأيتُ أنَّ الزَّمانَ يضِيع في كتابةِ شيءٍ بين الكفرِ والخطأِ والهذَيان[٢]، وهو من جِنس ما حكَينا عنِ الباطِنيَّةِ، فمَن أراد أن يعرِف جنسَ ما في الكتابِ فهذا أنموذَجُهُ، ومَن أراد الزِّيادةَ فلينظُر في ذلكَ الكتابِ.

• وذكَر أبو نصرٍ السَّرَّاج في كتابِ اللُّمَع، قال: لِلصُّوفية استنباطٌ، منها قوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال الواسِطِي: معناهُ لا أرى نفسي[٣]!

• وقال الشبلي: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ١٨]، فقال: لو اطَّلعتَ على الكُلِّ مِمَّا سِوانا لولَّيتَ منهم فِرارًا إلينا[٤].

قال المصنِّفُ **قلت**: هذا لا يحِلُّ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى إنَّما أرادَ أهلَ الكهف، وهذا السَّراج يُسمِّي هذِه الأقوالَ في كتابِ اللهِ عز وجل مُستَنْبطَات[٥]!

• وقد ذكَرَ أبو حامدٍ الطُّوسِيُّ في ذمِّ المالِ في قوله عز وجل: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال: إنما عنى: الذَّهبَ والفضةَ؛ إذ رُتبَةُ النُّبوَّةِ أجلُّ مِن أن

---

(١) تفسير السلمي ١/ ٣٥٦.

(٢) انظر لبيان الصواب في معاني تلك الآيات: تفسير الطبري وابن كثير والبغوي والشنقيطي والسعدي وغيرها في مواطنها. ولمزيد نظر في نماذج هذا التفسير الصوفي انظر: التفسير والمفسرون ٢/ ٣٥٧ وما بعدها، حيث ذكر نقولًا عن السلمي وغيره من أصحاب التفسير الإشاري.

(٣) انظر: اللمع ص١٥٣.

(٤) اللمع ص١٥٦.

(٥) لمزيد نظر فيما زعم السراج أنه من مستنبطات القوم انظر: اللمع ص١٥٣-١٥٧.

يُخشَى عَلَيها أن تَعبُدَ الآلِهة، قال: وإنما عنى بِعبادتِهِ حبَّهُ والاغترارَ بِهِ[١].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وهذا شَيءٌ لَم يقُلهُ أحدٌ مِن المفسِّرين، وقد قالَ شُعيبٌ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ومعلومٌ أنَّ مَيلَ الأنبياءِ إلى الشِّركِ أمرٌ مُمتَنعٌ؛ لأجلِ العِصمةِ، لا أنَّه مُستَحيلٌ، ثم قد ذَكَر معَ نفسِهِ مَن يُتصَوَّرُ في حقِّهِ الإشراكُ، فَجازَ أن يُدخِلَ نفسَهُ مَعهم، فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ومعلومٌ أنَّ العربَ أولادُهُ، وقد عَبَدَ أكثرُهُم الأصنامَ.

• أخبَرنا عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الخالقِ، قال: أنبأنا المبارَك بنُ عبدِ الجبَّار، قال: أخبَرنا الحسَينُ بن عليٍّ الطَّناجِيري، قال: أنا أبو حَفصِ بنُ شاهين، قال: وقد تَكَلَّمَت طائِفةٌ مِن الصُّوفيَّة في تفسِير القرآن بِما لا يجوزُ، فقالت في قوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فقال: هُم لآياتٌ لي[٢].

فأضافُوا إلى اللهِ تعالى ما جَعَلهُ لأولي الألباب، وهذا تبدِيلٌ للقرآن.

• وقالوا: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ [الأنبياء: ٨١][سبأ: ١٢]، قالُوا: ولِي سُلَيمان!

• وأخبَرنا ابن ناصرٍ، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليٍّ بن خَلَفٍ، قال: نا أبو عبدِ الرحمن السُّلَمِي، قال: قال أبُو حَمزةَ الخُراسانِي، قد يُقطَعُ بأقوامٍ في الجنَّةِ فيقال: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، فَشَغَلهُم عنهُ بالأكلِ والشُّربِ، ولا مَكرَ فوقَ هذا، ولا حسرة أعظَمُ منه[٣].

---

(١) الإحياء ٣/ ٢٣٥.

(٢) اشتهر ابن شاهين بتفسير كبير له لعله ذكره فيه. وانظر: تفسير السلمي في هاتين الآيتين ١/ ١٣٠ و٢/ ١٥٦.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٢٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ١٥٧.

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** انظُروا وفَّقَكُم اللهُ إلى هذِهِ الحماقَةِ، وتسمِيةِ المنعم بِهِ مَكرًا، وإضافةَ المكرِ بِهذا إلى اللهِ ﷻ، وعَلى مُقتَضَى قولِ هَذا أنَّ الأنبياءَ لا يأكُلونَ ولا يَشربونَ، بل يكونونَ مَشغُولِينَ باللهِ ﷻ، فما أجرَأَ هذا الرَّجلَ على مِثلِ هذهِ الألفاظِ القِباحِ!

وهل يجوزُ أن يوصَفَ اللهُ ﷻ بالمكرِ على ما نعقِلهُ مِن مَعنَى المكر! وإنما معنى مكرِهِ وخِداعِهِ أنَّه يُجازِي الماكِرينَ والخادِعينَ(١).

وإني لأتَعجَّبُ مِن هؤلاءِ، وقد كانُوا يتورَّعُونَ في اللُّقمةِ والكلِمةِ، كيفَ انبَسَطُوا في تفسيرِ القرآنِ إلى ما هذا حدُّهُ! وقد أخبَرَنا عليُّ بن عُبَيدِ اللهِ وأحمدُ بن الحسَنِ وعبدُ الرَّحمن بنُ محمدٍ، قالوا: نا عبدُ الصَّمدِ بنُ المأمون، قال: أخبرنا عليُّ بنُ عمر الحربِي، قال: أنا أحمدُ بن الحسن ابن عبدِ الجبار الصُّوفي، قال: نا بِشرُ بنُ الوليد، قال: نا سُهَيل أخو حرملٍ، قال: نا أبو عِمرانَ الجوِينِي، عن جُندُب، قال: قال رسولُ

---

(١) هذا مخالف لمنهج أهل السنة من إثبات صفة المكر لله كما يليق بجلال الله وعظمته، وأن تأويل هذه الصفة بالمجازات هو من تحريف أهل الكلام. والمكر من صفات الله الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة وهي من الصفات التي لا يوصف الله بها وصفًا مطلقًا «فالمكر ينقسم إلى محمود ومذموم فإن حقيقته: إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده فمن المحمود مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاءً لهم بجنس عملهم قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]». إغاثة اللهفان ١/ ٣٨٨ وقال شيخ الإسلام: وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف إلى الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلمًا له وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلًا كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠ – ٥١]. انظر: الفتاوى ٣/ ١٤ ولمزيد بيان انظر: تفسير ابن جرير الطبري ١/ ١٣٣ وغريب الحديث للحربي ١/ ٩٤ والتدمرية ص٢٦ وأعلام الموقعين ٣/ ١٩٠ ومختصر الصواعق ص٢٥٨.

اللهِ ﷺ: «**مَن قال في القرآن بِرأيِهِ فأصابَ فقَد أخطَأَ**»(١).

أخبرنا هِبةُ الله بنُ محمد، قال: أنبأنا الحسَن بن عليٍّ، قال: أنبأنا أبو بَكرِ بنُ حمدان، قال: حدثنا عبدُ اللهِ بنُ أحمد، قال: حدَّثني أبِي، قال: نا وكِيعٌ، عن الثَّوري، عن عبدِ الأعلى، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن قَالَ فِي القرآنِ بِرأيِهِ فليتبوَّأ مقعَدَهُ من النار**»(٢).

وقد رُوِيَت لنا عَن بعضِهِم حكايةٌ فيها يتعلَّقُ بالمكرِ، إنِّي لأقشعرُّ مِن ذِكرِها، لكنِّي أنبِّهُ بِها على قُبحِ ما يتخَايَلُهُ هؤلاءِ الجَهَلة: أنبأنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبو سَعدِ بنُ أبي صادقٍ، قال: نا أبو عبدِ الله بنُ باكويه، قال: أخبَرَني أبو عبدِ الله بن خفيفٍ، قال: سمعتُ رُوَيمًا يقول: استَجمَعَ ليلةً بالشَّام جماعةٌ مِن المشايِخ، فقالوا: ما شَهِدنا مِثلَ هذه اللَّيلةِ وطِيبِها، فتعالوا نتذاكرُ فِي مسألَةٍ لِئلَّا تذهبَ لَيلَتُنا. فقالوا: نتكلَّم في المحبةِ؛ فإنَّها عُمدةُ القوم. فتكلَّم كلُّ واحدٍ مِن حيث هُو، وكان في القومِ

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٦٥٢) عن جندب رضي الله عنه والترمذي رقم (٢٩٥٢) والنسائي في فضائل القرآن ص١٣٥ والطبراني في الكبير ٢/ ١٦٣ والأوسط ٥/ ٢٠٨ والحديث مداره على سهيل بن أبي حزم وهو ضعيف؛ ولذا فالحديث لا يصح وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٥٧٤٨)، وفي مشكاة المصابيح رقم (٢٣٥).

والمراد من الحديث: من قال في القرآن من قبل نفسه بغير علم أما التفسير بالرأى الذي يسنده برهان وعلم فلا شك في جوازه ومثل ذلك ما روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم. انظر: تعليق الترمذي على الحديث في السنن والبيهقي في الشعب بعد روايتها للحديث.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٩٥٠) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى ٥/ ٣٠ ٣١ والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٣٣ ٢٦٩ ٣٢٣ ٣٢٧ والطبراني في الكبير ١٢/ ٣٥ والحديث صححه الترمذي وابن القطان في النكت الظراف ٤/ ٤٢٣. ولا أظن أن هذا التصحيح يستقيم؛ إذ مدار الحديث على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد تُكلم فيه. قال الشيخ أحمد شاكر في المسند رقم (٢٠٦٩) تعليقًا عليه: إسناده ضعيف. كما ضعفه الألباني في تخريج المشكاة رقم (٢٣٤) وضعيف الجامع الصغير رقم (٥٧٤٩). وكذا محققو المسند ٣/ ٤٩٦.

عَمرو بنُ عثمانَ المكِّي، فوقَعَ عليهِ البولُ ولَم يكُن من عادتهِ، فقامَ وخرجَ إلى صَحنِ الدَّار، فإذا لَيلةٌ مُقمِرَةٌ، فوجَدَ قِطعةَ رقٍّ، فأخذَه وحَملهُ إليهم، وقال: يا قَوم اسكُنوا، فإنَّ هذا جوابُكُم، انظُروا ما فِي هذه الرِّسَالة، فإذا فِيها مكتوبٌ: مكَّار، وكلُّكُم تدَّعون حُبَّه، فأحرَم البعضُ وافترَقوا، فما جَمعهُم إلَّا الموسِم[1].

قال المصنِّفُ ﷺ **قلت**: هذه الحكايةُ بعيدةُ الصِّحَّة، وابن خفيفٍ لا يوثَق به، وإن صحَّت فإنَّ شيطانًا ألقى ذلك الرق، وإن كانُوا قد ظنُّوا أنَّها رسالةٌ مِن الله بظُنونِهم الفاسِدة، وقد بيَّنا أنَّ معنى المكرِ منهُ المجازاةُ علَى المكرِ، فأمَّا أن يُقالَ عنه مكَّارٌ ففَوقَ الجهلِ وفوقَ الحماقةِ!

وقد أخبرَنا ابن ظفرٍ، قال: أخبرنا ابنُ السَّراج، قال: أنا الأزجِيُّ، قال: حدَّثنا ابن جهضمٌ، قال: نا الخُلدِيُّ، قال: سمعتُ رُويمًا يقول: إنَّ اللهَ غيَّب أشياءَ في أشياءَ: غيَّب مكرَهُ في علمِه، وغيَّبَ خِداعَهُ في لُطفِه، وغيَّب عقوباتِه في بابِ كراماتِه[2].

قال المصنِّفُ: قلت: وهذا تخليطٌ مِن ذلك الجِنس وجُرأة!

وقد أخبرَنا محمدُ بن ناصرٍ، قال: أنبأنا أبو الفضلِ السَّهلكِي، قال: سمعتُ محمدَ بن إبراهيم يقول: سمعتُ خالِي يقول: قال الحسنُ بنُ علُّويه: خرَجَ أبو يزيدَ لزيارةِ أخٍ له ببَلخ، فلمَّا وصل إلى نَهرِ جِيحُون التقى لهُ حافَّتا النَّهر فقال: سيِّدِي! إيش هذا المكرِ الخفِي؟! وعِزَّتِك ما عبدتكَ لِهذا. ثم رجعَ ولَم يعبُر.

قال السَّهلكِي: وسمعتُ محمدَ بن أحمد المذكِّر يذكر أنَّ أبا يزيدَ قال: من عرَفَ اللهَ ﷻ صار للجنَّةِ ثوابًا، وصارت الجنَّة عليهِ وبالًا[3].

---

(١) أخرج أبو عبد الرحمن السُلمي آثارًا نحو ذلك عن رويم في المحبة. انظر طبقات الصوفية ص١٨٤.

(٢) أخرجه أبو عبد الرحمن السُلمي في طبقات الصوفية ص١٨٢ من طريق محمد بن شاذان عن رويم به.

(٣) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٨٥.

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وهذِهِ جُرأةٌ عظيمةٌ في إضافةِ المكرِ إلى الله عز وجل، وجعلِ الجنة التي هي نهايةُ المطالِب وبالًا! وإذا كانت وَبالًا للعارِفِين، فكيفَ تكون لغَيرِهم؟! وكلُّ هذا مَنبَعُه مِن قلَّةِ العلمِ وسوءِ الفهم.

أخبَرَنا ابن حبيبٍ، قال: أخبَرَنا ابن أبي صادقٍ قال: أنا ابنُ باكويه، قال: نا أبو الفَرَجِ الوَرثانِي، قال: نا أحمدُ بنُ الحسَنِ بنُ محمدٍ، قال: حدَّثني محمدُ بن جعفرٍ الورَّاق، قال: نا أحمدُ بن العبَّاس المهلَّبي، قال: سمعتُ طيفورَ وهو أبو يزيدَ يقول: العارفونَ في زيارةِ الله تعالى فِي الآخِرة على طَبَقتَين: طبقةٌ تَزورُهُ متى شاءت وأنَّى شاءت، وطبقةٌ تزورُهُ مرَّةً واحدةً ثمَّ لا تزورُهُ بعدَها أبدًا. فقيل له: كيفَ ذلك؟ قال: إذا رآهُ العارِفونَ أوَّل مرَّةٍ جعلَ لهُم سُوقًا ما فيها شِراءٌ ولا بَيعٌ إلَّا الصُّور مِن الرِّجالِ والنِّسَاء، فمَن دخلَ منهم السُّوقَ لَم يرجِع إلى زيارةِ اللهِ أبدًا! قال: وقال أبو يزيدَ: في الدُّنيا يخدعُكَ بالسُّوقِ، وفي الآخِرةِ يخدعُكَ بالسُّوق، فأنتَ أبدًا عبدُ السُّوق[1]!

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: تسمِيةُ ثوابِ الجنة خدِيعةً وسببًا للانقِطاعِ عن الله عز وجل جهلٌ قبيحٌ، وإنما يُجعَلُ لهُم السُّوقَ ثوابًا لا خدِيعةً، فإذا أذِنَ لهم فِي أخذِ ما فِي السُّوق ثمَّ عوقِبوا بِمنعِ الزِّيارة صارَت المثوبةُ عُقُوبةً، ومِن أينَ لهُ أنَّ مَن اختارَ شيئًا مِن تلكَ السُّوقِ لم يعُد إلى زيارةِ اللهِ تباركَ وتعالى ولا يراهُ أبدًا؟! نعوذُ باللهِ مِن هذا التخليطِ والتحكُّمِ فِي العِلمِ، والإخبارِ عن هذهِ الغائباتِ التي لا يعلمُها إلَّا نبيٌّ، فمِن أينَ لهُ عِلمُها؟ وكيف يكون كما قال؟!

وأبو هُريرةَ راوِي الحديثِ يقول لسعيدِ بنِ المسيِّب: جمَعنِي اللهُ وإياكَ فِي سُوقِ الجنَّة[2]. أفَتراه طلبَ العُقوبةَ بالبُعدِ عن الله عز وجل؟! لكِن بُعدُ هؤلاءِ عن العِلم

---

(١) لم أجد من أخرجه وفي كتاب النور من أخبار أبي طيفور لأبي الفضل السهلكي أخبار نحو هذا.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٤٩) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٣٣٦) والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٤١ والحديث ضعيف؛ إذ جميع طرقه لا تسلم من مقال. وانظر: ☜

واقتناعِهم بواقِعاتِهم الفاسِدةِ أوجَبَ هذا التخليط.

وليُعلمَ أنَّ الخواطِرِ والواقِعاتِ إنَّما هِي ثمراتٌ، فمَن كان عالِمًا كانت خَواطِرُهُ صحيحةً؛ لأنَّها ثمراتٌ، ومَن كان جاهِلًا فثَمَراتُ الجهلِ كلُّها حَنظَلٌ!

قال المصنِّف: ورأيتُ بخطِّ ابن عقيلٍ: جازَ أبو يزيدَ على مَقابِرِ اليهودِ، فقال: ما هؤلاءِ حتَّى يُعذِّبَهم؟! كفُّ عظامٍ جرَت عليهم القَضَايا[1]، اعفُ عنهم!

قلت: وهذا قِلَّةُ علمٍ، وهو أنَّ قولَه: كفُّ عظامٍ: احتِقارٌ للآدمِيِّ، فإنَّ المؤمِن إذا ماتَ كان كف عظامٍ. وقوله: جرَت عليهم القَضَايا: علَى فِرعونَ. وقوله: اعفُ عنهم: جهلٌ بالشَّريعةِ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ أخبَرَ أنهُ لا يغفِرُ لِمن ماتَ كافرًا[2]، فلَو قُبلَت شَفاعةٌ في كافرٍ؛ لَقُبِلَ سؤالُ إبراهِيم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهِ في أبيهِ[3]، ومحمدٍ ﷺ في أمِّهِ[4]، ولو قُبل ذلك لكان في علم الله، فنعوذُ باللهِ مِن قِلَّةِ العلم!

أنبأنا أبو الوقتِ عبدُ الأوَّلِ بنُ عِيسى، قال: أخبَرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن أبى نصرٍ الكوفاني، قال: أنا أبو محمدٍ الحسَنُ بن محمد بن فورِي الحبوشانى، قال: نا أبو نصرٍ عبدُ الله بن عليٍّ الطُّوسِي المعروفُ بالسَّراجِ، قال: كان ابنُ سالمٍ يقول: جازَ أبو يزيدَ بمقبَرةِ اليهود، فقال: معذُورِين! ومرَّ بِمقبَرةِ المسلمين، فقال: مغرُورِين[5]!

سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٧٢٢). قلت: هناك أدلة غير ما ذكر تثبت أن في الجنة سوقًا كما أخرج مسلم في صحيحه عن أنس ﷺ رقم (٢٨٣٣).

(١) يعني: جرت عليهم الأقدار.

(٢) كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. ومن السورة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

(٣) كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٤) كما في صحيح مسلم رقم (٩٧٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه الطوسي في اللمع ص٤٧٣.

وفسَّرهُ السَّراجُ فقال: كأنَّهُ لَمَّا نظَر إلى ما سَبق لهُم مِن الشَّقاوةِ مِن غيرِ فعلٍ كان مَوجُودًا في الأزل، وإنَّ اللهَ ﷻ جعلَ نصيبَهُم السخطَ فذلِك عُذرٌ.

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: وتفسيرُ السَّراجِ قبيحٌ؛ لأنَّهُ يوجِبُ أن لا يعاقَب فِرعونُ ولا غيرُه.

ومِن كلامِهِم في الحديثِ وغيرِه:

• أخبرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرٍ الخطيبُ، قال: أنا الأزهرِيُّ، قال: أنا أحمدُ بن إبراهيم بنِ الحسن، قال: نا أحمدُ بن مروان المالِكِيُّ، قال: نا عبدُ الله بنُ أحمد بن حنبل، قال: جاءَ **أبو ترابٍ النَّخشَبِيُّ** إلى أبِي، فجعلَ أبي يقول: فلانٌ ضعيفٌ، وفلانٌ ثقةٌ. فقال أبو ترابٍ: يا شيخ، لا تَغْتَبِ العُلماءَ! فالتفتَ أبي إليه وقال له: ويحَكَ! هذهِ نصيحةٌ، ليس هذا غِيبة[(1)].

• أنبأنا يحيى بنُ عليٍّ المدير، قال: أنبأنا أحمدُ بن عليِّ بنِ ثابتٍ، قال: أنا رِضوانُ ابنُ محمد بنِ الحسنِ الدِّينَوَري، قال: سمعتُ أحمدَ بنَ محمد بن عبدِ الله النَّيسابورِيَّ يقول: سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمدٍ البخاريَّ يقول: سمعتُ محمدَ بنَ الفضلِ العبَّاسيَّ يقول: كنَّا عند عبد الرحمن بن أبي حاتمٍ وهو يقرأُ عَلَينا كتابَ «الجرحِ والتَّعديلِ»، فدخلَ عليهِ **يوسفُ ابن الحسَين الرَّازي**، فقال: يا أبا محمد! ما هذا الذي تقرأُه على الناس؟ فقال: كتابٌ صنَّفْتُهُ في الجرحِ والتعديلِ. فقال: وما الجرحُ والتعديلُ؟ فقال: أظهِرُ أحوالَ أهلِ العلمِ، مَن كان منهُم ثقةً أو غيرَ ثقةٍ. فقال لهُ يوسف بنُ الحسين: استحيَيتُ لكَ يا أبَا محمَّد، كم مِن هؤلاءِ القَومِ قد حطُّوا

---

(١) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٦ وفي الكفاية في علم الرواية ص٤٥ وأبو بكر ابن نقطة في التقييد ص١١٦.

وعقد الترمذي في العلل بابًا في وجوب الكلام في الجرح والتعديل انظر: شرح علل الترمذي ١/ ٣٤٨.

رواحِلَهُم في الجنَّة منذُ مائةِ سنةٍ ومائتَي سنةٍ، وأنتَ تذكُرُهم وتغتابُهم على أديمِ الأرضِ! فبكَى عبدُ الرحمن، وقال: يا أبا يعقوب، لو سمِعتُ هذه الكلمةَ قبلَ تصنِيفِي هذا الكتاب لم أصنِّفْهُ[1].

قلت: عفَا اللهُ عن ابنِ أَبِي حاتمٍ، فإنَّهُ لو كان فقِيهًا لردَّ عليهِ كما ردَّ الإمامُ أحمد علَى أَبِي تراب.

ولولا الجرحُ والتعديلُ مِن أين كان يُعرَفُ الصَّحيحُ من الباطلِ؟! ثم كونُ القومِ في الجنَّةِ لا يمنعُ أن نذكُرَهُم بما فيهم، وتسميةُ ذلكَ غِيبةً حديثُ سوءٍ[2]، ثمَّ مَن لا يدرِي الجرحَ والتعديلَ ما هُوَ كيفَ يُذْكَر كلامُه؟! وينبغِي ليوسُفَ أن يشتَغِلَ بالعجائِبِ التي تُحكَى عنهُ عن مثلِ هذا.

• أخبَرنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبو سعدِ بنُ أبِي صادقٍ، قال: أنا ابن باكويه، قال: سمعت عبدَ الله بنَ يزيد[3] الأردبيلي يقول: سمعتُ **أبا العبَّاس بنَ عطاءٍ** يقول: مَن عرفَ اللهَ أمسَكَ عن رفعِ حوائِجِه إليهِ؛ لِمَا علِم أنهُ العالِمُ بأحوالِهِ[4].

---

(١) أخرجه الخطيب في الكفاية في علم الرواية ص٣٨، والذهبي في التذكرة ٣/ ٨٣١ والسير ١١/ ٩٥ و١٣/ ٢٦٨. وقال: أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة وإلّا فكلام الناقد الورع في الضعفاء من النصح لدين الله والذبِّ عن السنة. انظر: الكفاية ص٣٨-٤٦ و الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٠١ للخطيب البغدادي.

(٢) جاء في النسخ: حديث نسوي والمثبت من بعض نسخ دار الكتب المصرية. والمعنى: نِسْوِيٌّ في النِّسْبَةُ إلى النساء. والنَّسْوَةُ بالفتح: التَّرْكُ للعَمَلِ. أو أنها من النِّسْيُ: وهو ما نُسي وما سقط في منازل المُرتحلين من رُذال أَمتعتهم. فكأن تسمية الجرح والتعديل غيبة كلام ساقط لا قيمة له. انظر: القاموس المحيط ص١٧٢٥ ومختار الصحاح ص٦٨٨ والمصباح المنير ص٧٠٧.

وانظر في بيان أن الجرح والتعديل ليس بغيبة: قول ابن الأثير في جامع الأصول ١/ ١٣٠ والحافظ في لسان الميزان ١/ ٣ والإمام النووى في رياض الصالحين باب (٢٥٦): ما يباح من الغيبة. وهناك نصوص كثيرة عن الأئمة تبين جواز هذا، بل وجوبه للحاجة. انظر في ذلك: دراسات في الجرح والتعديل ص٥٧-٦٣.

(٣) في (م): زيد.

(٤) لم أجد من أخرجه غير المؤلف. ولابن باكويه كتاب في أخبار الصوفية في عداد المفقود يقرب أن يكون فيه.

قال المصنِّفُ: **قلت**: هذا سدٌّ لِبابِ السُّؤال والدُّعاء، وهو جهلٌ بالعلم[١].

• أخبَرنا محمدُ بن عبدِ الملكِ بن خيرون، قال: أنا أحمدُ بنُ الحسَنِ الشَّاهِد، قال: قُرِيء على محمد بنِ الحسن الأهوازِي[٢] وأنا أسمعُ، سمعت أبا بكرٍ الدنف الصوفِي يقول: سمعتُ **الشبليَّ** وقد سَألهُ شابٌّ يا أبا بكرٍ! لِمَ تقول: اللهُ، ولا تقول: لا الهَ إلَّا اللهُ؟ فقال الشبليُّ: أستحِي أن أوجِّهَ إثباتًا بعدَ نفيٍ. فقال الشابُّ: أريد حجةً أقوى مِن هذا. فقال: أخشَى أن أوخَذَ في كلِمةِ الجُحودِ ولا أصِلُ إلى كلمةِ الإقرارِ[٣]!

قال المصنِّفُ رحمه الله: انظروا إلى هذا العِلم الدَّقيقِ! فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يأمُرُ بقولِ: «لا إلهَ إلَّا الله» ويحُثُّ عليها[٤]، وفي الصَّحيحَين عنهُ أنهُ كان يقولُ فِي دُبُرِ كلِّ

---

(١) ترك الدعاء بحجة أن الله يعلم حاجة العبد قبل أن يسأل وأنه لو شاء لأعطاه مسألته بغير سؤال هذه الحجة باطلة؛ إذ فيها منافاة للإيمان بالقدر وتعطيل للأسباب وترك لعبادة عظيمة هي الدعاء بها يرفع البلاء ويرد القضاء ويستجلب الخير. كما أن فيه منافاة لفعله ﷺ وما أمر به أصحابه من التضرع إلى الله والتوجه إليه والآيات في كتاب الله شاهدٌ على ذلك إذ دعاء الأنبياء والصالحين في كتاب الله مما لا يخفى. وما يحتج به بعض الصوفية من قول إبراهيم عليه السلام **«حسبي من سؤالي علمه بحالي»**، فهذا حديث باطل لا أصل له قال شيخ الإسلام: ومن هؤلاء من يحتج بما يروى عن الخليل أنه لما ألقي فى النار قال له جبرئيل: هل لك من حاجة. فقال: **«أما إليك فلا»**. قال: سل. قال: **«حسبي من سؤالي علمه بحالي...»** فكلام باطل خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء من دعائهم لله ومسألتهم إياه وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة. الفتاوى ٨/ ٥٣٩ وانظر لمزيد بيان: سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٢٨ والإيمان بالقضاء والقدر ص١٤٤-١٤٧.

(٢) في (أ): الأزهري.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٦١.

(٤) ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٣٢٩٣)، و رقم (٦٤٠٣). ومسلم رقم (٢٦٩١، ٢٦٩٣). ومالك في الموطأ ١/ ٢٠٩ وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٢، ٣٦٠، ٣٧٣، ٣٧٥ والترمذي رقم (٣٤٦٨).

صلاةٍ: «لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له»(١)، وكان يقولُ إذا قام لِصلاةِ اللَّيلِ: «لا إلهَ إلَّا أنتَ»(٢)، وذَكَر الثوابَ العظِيمِ لِمن يقول: «لا إلهَ إلَّا الله»(٣).

فانظُرُوا إلى هذا التَّعاطِي على الشَّريعةِ واختيارِ ما لَم تَخترْه!

● أخبَرَنا محمدُ بنُ عبدِ الباقِي، قال: أنبأنا أبو عليٍّ الحسَنُ بن محمد بنِ الفضلِ، قال: أنا سهلُ بنُ عليٍّ الخشَّاب، قال: أنا عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ السَّراج، قال: بلَغَنِي أنَّ أبا الحسَين النورِي شهِدُوا عليه أنه سمعَ أذانَ المؤذِّنَ فقال: طعنةٌ وسُمُّ الموت. وسمعَ نِباحَ الكلبِ فقال: لبَّيكَ وسَعدَيكَ، فقيل له في ذلك فقال: إنَّ المؤذِّنَ أغارُ عَلَيه أن يَذكُرَ اللهَ وهُو غافلٌ، ويأخُذُ عليه الأُجرَةَ، ولولاها ما أذَّنَ؛ فلذلكَ قلتُ: طعنة! والكلبُ يذكُرُ اللهَ ﷻ بِلا رياءٍ، فإنه قد قال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤](٤)(٥).

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٨٤٤)، من حديث المغيرة بن شعبة و رقم (٦٣٣٠)، و رقم (٦٤٧٣)، ورقم (٦٦١٥)، ورقم (٧٢٩٢). ومسلم رقم (٥٩٣) وأبو داود رقم (١٥٠٥، ١٥٠٦). والنسائي ٣/ ٧٠. وأحمد في المسند ٤/ ٢٥١.

(٢) كما في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس ﭭ، فأخرجه البخاري رقم (١١٢٠)، رقم (٦٣١٧)، ورقم (٧٣٨٥)، و(٧٤٤٢)، و(٧٤٩٩). ومسلم رقم (٧٦٩) ومالك في الموطأ ١/ ٢١٥، ٢١٦ وأبو داود رقم (٧٧١) والترمذي رقم (٣٤١٨) وابن ماجه رقم (١٣٥٥).

(٣) كما تقدم في حديث أبي هريرة ﵁ والأحاديث في فضل «لا إله إلا الله» لا تكاد تحصر. وانظر: فضل التهليل وثوابه الجزيل ص٢٩-٨٢. حيث ذكر قريبًا من خمسين نصًا في فضلها.

(٤) اختلف أهل التفسير في كيفية هذا التسبيح فقيل: هو تسبيح بلسان الحال أي: بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة وقيل: إنه تسبيح حقيقي وهو الحق؛ لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ومن تتبع الأحاديث والآثار رأى فيها ما يشهد لذلك كتسبيح الطعام وتسبيح الحصا في كفه ﷺ. كما أدرك عمومه في الحيوانات والجمادات والنباتات. انظر لمزيد إيضاح: تفسير الطبري ١٥/ ٩٢-٩٣ وابن كثير ٣/ ٤٣ وأضواء البيان ٣/ ٣٣٩ ٤/ ٢٣١ ٥/ ٥٥٢ ٧/ ٥٤١ والتسهيل لابن جزي ص١٧٢ وروح المعاني ١٥/ ٨٣-٨٦.

(٥) أخرجه الطوسي في اللمع ص٤٩٢.

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: انظروا إخواني -عَصَمنا اللهُ وإيَّاكُم مِن الزَّللِ- إلى هذا الفِقهِ الدَّقِيق والاستنباطِ الطريف!

• أخبَرَنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبو سعدِ بنُ أبي صادقٍ، قال: أنا ابنُ باكويه، قال: أنا أبو يعقوبِ الخرَّاط، قال: أنا **النورِي** أنهُ رأى رجُلًا قابضًا على لِحيةِ نفسِه، قال: فقلتُ لهُ: نَحِّ يدَكَ عن لِحيةِ اللهِ. فرُفِعَ ذلك إلى الخَلِيفةِ، فطُلِبتُ وأُخِذتُ، فلمَّا أُدخِلتُ عليه، قال: بلَغَنِي أنهُ نبحَ كلبٌ فقلتَ: لبَّيكَ، ونادَى المؤذِّنُ فقلتَ: اخسأ! قلتُ: نَعَم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ فقلتُ: لبيكَ؛ لأنهُ ذكرَ اللهِ، فأمَّا المؤذِّن فكان يذكُر اللهَ وهو متلوِّثٌ بالمعاصِي غافِلٌ عنِ الله تعالى، قال: وقولُكَ للرَّجُل: نَحِّ يدَكَ عن لِحيةِ الله! قلت: نَعم، أَلَيسَ العبدُ للهِ، ولِحيَتُهُ للهِ، وكلُّ ما فِي الدُّنيا والآخرةِ له[١]؟!

قال المصنِّفُ قلت: عدمُ العلم أوقعَ هؤلاءِ في التخبيطِ، وما الذِي أحوَجَهُ إلى أن يُوهِمَ أنَّ صفةَ المُلكِ صفةٌ للذَّات[٢].

• أخبَرَنا ابن حبيبٍ، قال: أنا ابنُ أَبِي صادقٍ، قال: أنا ابنُ باكويهِ، قال: سمعتُ أحمدَ بن محمد بنِ عبدِ العزيز، قال: سمعتُ **الشبلِيَّ** يقول وقد سُئِلَ عن المعرِفةِ، فقال: ويحَكَ! ما عَرفَ اللهَ مَن قال: الله، واللهِ لو عَرفُوهُ ما قالوهُ.

---

(١) انظر سابقه. وانظر في مثل هذه الشطحات وتأويلها: تأويل الشطح للشعراني ص٤٤.

(٢) ما يضاف إلى الله تعالى نوعان: أعيان وصفات:

فالصفات إذا أضيفت إليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب وغيرها دلت الإضافة على أنها إضافة وصف قائم به فهي من إضافة الصفة إلى الموصوف.

أما الأعيان: إذا أضيفت إلى الله تعالى: فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة.. فهذه إضافة عامة مشتركة. وإما أن تضاف لمعنى يختص به المُضاف عن غيره مثل بيت الله وناقة الله.. فهذه تقتضى التشريف والعناية وأنها امتازت عن غيرها من **الأعيان** بما يناسب السياق.

انظر: الفتاوى ٦/ ١٤٤ والقواعد الكلية ص٢١٩.

قال ابنُ باكويه: وسمعتُ أبا القاسِم أحمدَ بنَ يوسف البردانِيَّ يقول: سمعتُ الشبليَّ يقول يومًا لرَجُلٍ سألهُ: ما اسمك؟ قال: آدم، قال: ويلك! أتدرِي ما صَنَع آدمُ؟! باعَ ربَّهُ بلُقمةٍ. ثمَّ كان يقولُ: سبحانَ مَن عَذَرنِي بالسَّوداءِ(١).

قال ابنُ باكويه: وسمعتُ بكرانَ بنَ أحمد الحبلي يقول: كان للشلَبي جلِيسٌ، فأعلَمَهُ أنهُ يريدُ التوبةَ، فقال: بع مالَكَ، واقضِ دَينَك، وطلِّق امرَأتَك. ففَعَل، فقال: أيتِم أولادَكَ بأَن تؤَيِّسْهُم مِن التَّعلُّقِ بكَ؛ ليعدُّوكَ في الموتى. فقال: قد فعلتُ. فجاءَ بكسرٍ قد جَمعها، فقال: اطرَحهَا بَينَ يديِ الفُقَراءِ، وكُل معَهُم(٢).

• أنبأنا أبو المظفِّر عبدُ المنعِم بن عبدِ الكريم، قال: نا أبِي، قال: سمعتُ بعضَ الفقراءِ يقول: سمعتُ **أبا الحسَن الخرقَاني** يقول: لا إلهَ إلَّا اللهُ مِن داخِلِ القلبِ، محمدٌ رسولُ اللهِ مِن القُرطِ(٣).

• أخبَرنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبو سَعَد بنُ أبي صادقٍ، قال: نا ابن باكويه، قال: نا أحمدُ بنُ محمد الخُلْقَاني، قال: رأَى **الشبليُّ** في الحمَّامِ غلامًا شابًا بلا مِئزَرٍ، فقال له: يا غلام! ألا تُغَطِّي؟ فقال له: اسكُت يا بطَّال! إن كنتَ على الحقِّ فلا تشهد إلا الحقَّ، وإن كنتَ على الباطلِ فلا ترى إلَّا الباطلَ؛ لأنَّ الحقَّ مشتغِلٌ بالحقِّ، والباطِلُ مشتغِلٌ بالباطِلِ(٤).

---

(١) السوداء: مرض عقلي كالماليخوليا.

(٢) هذه العبارة نقلها المؤلف من كتاب ابن باكويه، وكتابه لم يقع في يدي وقد يكون في عداد المفقود وجاء قريبًا من هذه العبارة في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٤ عن الشبلي: يقول: ما أحد يعرف الله قيل: وكيف؟ قال: لو عرفوه لما اشتغلوا عنه بسواه. وكذا ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٦٢.

(٣) أخرجه القشيري في الرسالة القشيرية ص٢٥٩ أو ٢/ ٥١٨.

(٤) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

• أنبأنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أبي طاهرٍ، قال: أنبأنا عليُّ بنُ الحسَن التنوخِي، عن أبيه، قال: حدثني أبو القاسمِ عبدُ الرَّحيم بنُ جعفرٍ السِّريافي الفقيه، قال: حضرتُ بِشيرازَ عند قاضِيها أبي سعيدٍ بشرِ بنِ الحسَنِ الدَّاودي - وقد ارتفعَ إليه **صوفيٌّ وصوفيَّة** - قال: وأمرُ الصوفيِّينَ هناك مفرطٌ جدًا، حتى يُقال إن عددَهم ألوفٌ، فاسْتَعْدَتِ المرأةُ على زوجِها إلى القاضِي، فلمَّا حضَرا قالت له: أيُّها القاضِي، إنَّ هذا زوجِي، ويريد أن يطلِّقَني، وليس له ذلك، فإن رأيتَ أن تمنعه. قال: فأخَذَ أبو سعيدٍ يعجبني مِن هذا الكلامِ وينبِّهني على مذاهِب الصوفيَّة، ثم قال لها: كيف ليس له ذلك؟ قالت: لأنه تزوَّج بِي ومعناهُ قائمٌ فيَّ، والآنَ هو يذكُر أنَّ معناهُ قد انقضَى منِّي، وأنا معنَايَ قائِمٌ فيهِ ما انقَضَى، فيجِبُ عليهِ أن يصبِرَ حتى ينقضِيَ معنَايَ منهُ كما انقَضَى معناهُ مني! فقال لي أبو سعيدٍ: كيف ترى هذا الفقه؟ ثمَّ أصلَحَ بينَهُما وخرجَا من غيرِ طلاقٍ[1].

• وقد ذكرَ أبو حامدٍ الطُّوسيُّ في كتابِ الإحياء أنَّ بعضَهم قال: لِلرُّبوبيَّةِ سرٌّ لو أُظهِرَ لبطلَت النبوَّةُ، ولِلنُّبوَّةِ سرٌّ لو كُشِفَ لبطلَ العلم، ولِلعُلَماءِ باللهِ سرٌّ لو أظهرُوهُ لبطلَتِ الأحكامُ[2].

قال المصنِّفُ: **قلت**: فانظُروا إخواني إلى هذا التخلِيطِ القبيحِ والادِّعاءِ على الشريعةِ أنَّ ظاهرَها يُخالِفُ باطنَها.

• وقال أبو حامدٍ: ضاعَ لبعضِ الصُّوفيَّةِ ولدٌ صغيرٌ، فقيل له: لَو سألتَ اللهَ أن يرُدَّهُ علَيك! فقال: اعتراضِي عليهِ فيما يقضِي أشدُّ عليَّ مِن ذهابِ ولدِي[3].

---

(١) أخرجه القاضي أبو علي التنوخي في نشوار المحاضرة ٢/ ٢٠٣.

(٢) الإحياء ١/ ١٠٠.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٥٠.

قال المصنِّفُ قلت: لقد طالَ تعجُّبي مِن أبي حامدٍ كيفَ يحكِي هذهِ الأشياءَ في معرضِ الاستحسانِ، والرِّضا عن قائِلِها، وهو يدرِي أنَّ الدُّعاءَ والسؤالَ ليس باعتراضٍ!

• وقال أحمدُ الغزالي: دخلَ يهودِيٌّ إلى أبي سعيدِ بنِ أبي الخيرِ الصوفيِّ، فقال له: أريدُ أن أسلِمَ على يدِك، فقال: لا تُرِدْ! فاجتمعَ الناسُ، وقالوا: يا شيخ! تمنعهُ من الإسلامِ؟! قال له: تريد أن تسلم بلا بد. قال: نعم. قال له: برِئتَ مِن نفسِكَ ومالِك؟ قال: نعم، قال: هذا الإسلامُ عندي، احمِلُوهُ الآن إلى الشَّيخِ أبي حامدٍ، حتى يُعَلِّمهُ لا لا المنافقين. يعني: لا إلهَ إلَّا الله[1].

قال المصنِّفُ: وهذا الكلامُ أظهرُ عَيبًا مِن أن يُعابَ، فإنهُ في غايةِ القبحِ!

• ومِمَّا يُقارِبُ هذهِ الحكاية في دفعِ مَن أرادَ الإسلام: ما أخبَرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أخبَرنا أبو بكرِ بنُ ثابتٍ، أخبرني محمدُ ابنُ أحمدَ بنِ يعقوب، قال: أنا محمدُ بن نُعَيمٍ الضبِّيُّ، قال: سمعتُ أبا عليٍّ الحسَينَ بنَ محمد ابن أحمد الماسَرْجِسِي يحكِي عن جدِّهِ وغيرِه مِن أهلِ بيتِهِ، قال: كان الحسَن والحسَينُ ابنا عِيسَى بنِ ماسَرْجِس أخوينِ تُركِيان[2]، فتحيَّر الناسُ مِن حُسنِهما وبزَّتِهما، فاتفقا على أن يُسْلِمَا، فقَصَدا حفصَ بنَ عبدِ الرحمن لِيُسلِما على يدِهِ، فقال لهما حفص: أنتما مِن أجلِّ النَّصارَى، وعبدُ الله بنُ المبارَك خارِجٌ في هذهِ السَّنة إلى الحجِّ، وإذا أسلَمْتُما على يدِهِ كان ذلكَ أعظمَ عند المسلِمين، فإنه شيخُ أهلِ المشرقِ والمغربِ. فانصَرَفا، فمرِضَ الحسَينُ وماتَ على نَصرانِيَّتِه قبل قُدومِ ابنِ المبارك، فلمَّا قدِمَ أسلَم الحسَن[3].

---

(١) نقل هذه القصة المؤلف رحمه الله في المنتظم ٩/ ٢٦١.

(٢) في (ت): ومصادر هذا الخبر: أخوين يركبان فيتحير.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٢ والمزي في تهذيب الكمال ٦/ ٢٩٧ وذكره الذهبي في السير ١٢/ ٢٨ وقال: يبعد أن يأمرهما حفص بتأخير الإسلام؛ فإنه رجل عالم فإن صح ذلك فموت الحسين مريدًا للإسلام منتظرًا قدوم ابن المبارك ليسلم نافع له.

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: وهذهِ المحنةُ إنما جَلَبَها الجهلُ، فليُعرف قدرُ العلمِ؛ لأنهُ لو كان عندَ حفصٍ علمٌ لقالَ: أسلِما الآن، ولا يجوزُ تأخيرُ ذلك، وأعجبُ مِن هذا أبو سعيدٍ، الذي قال لليهودِي: لا تُرِد الإسلام!

• وذَكَر أبو نَصرٍ السَّراج في كتابِ اللُّمَع -لمع المتصوِّفة-، قال: كان سهلُ بن عبدِ الله إذا مرِض أحدٌ من أصحابِهِ يقول له: إذا أردتَ أن تشتكِي فقل: أَوَّهْ! فهو اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ تعالى، يستريحُ إليه المؤمنُ، ولا تقُل: أخخ! فإنه اسمٌ مِن أسماء الشيطان.[1]

قال المصنِّفُ: فهذهِ نبذةٌ من كلامِ القومِ وفقهِهم، نبَّهت على قِلَّةِ علمِهم وسوءِ فَهمِهم وكثرةِ خطئِهم.

• وقد سمعتُ أبا عبدِ الله حسَينَ بنَ عليٍّ المقرئ، يقول: سمعت أبا محمدٍ عبدَ الله ابنَ عطاءٍ الهَرَويَّ، يقول: سمعتُ عبدَ الرحمنِ بنَ محمد بن المظفَّر يقول: سمعتُ أبا عبدِ الرحمن محمدَ بن الحسين، يقول: سمعتُ عبدَ الله بنَ الحسَين السَّلامِي، يقول: سمعتُ عليَّ بن محمد المصريَّ، يقول: سمعتُ أيوبَ بن سُليمان، يقول: سمعتُ محمدَ بن محمد بنِ إدريسَ الشافعي، يقول: سمعتُ أبي يقول: صحِبتُ الصوفيَّة عَشْرَ[2] سِنين، ما استفدتُ منهم إلَّا هذَين الحرفَين: الوقتُ سَيفٌ، وأفضل العِصمَةِ أن لا تقدِر[3].

---

(١) أخرجه الطوسي في اللمع ص٢٧١. وهذا كله باطل؛ فإن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا تثبت إلّا بدليل صحيح. وقد جاء في خبر منكر عن مجاهد أنه قال: لا تسموا بأسماء فيها: أوه أوه؛ فإن أوه شيطان. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ١٣١ ولسان الميزان ٢/ ١١١.

(٢) في (أ) و(ت): عشرين سنة.

(٣) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب كلام الشافعي في التصوف ص١٨٤ ضمن مجموع مؤلفاته وعنه البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ٢٠٨ وذكره ابن القيم في الجواب الكافي ص١٠٩ وفي المدارج ٣/ ١٢٩.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الشطح[(١)] والدعاوى

قال المصنِّفُ رحمه الله: اعلم أنَّ العِلمَ يورثُ الخوفَ واحتقارَ النَّفسِ وطولَ الصَّمتِ، وإذا اعتبَرتَ عُلماءَ السَّلفِ رأيتَ الخوفَ غالبًا عليهم والدعاوى بعيدةً عنهم، كما قال أبو بكرٍ: ليتَنِي كنتُ شعرةً في صدرِ مؤمِن[(٢)].

وقال عُمر عند موتِهِ: الويلُ لِعُمر إن لَمْ يُغفَر له[(٣)].

وقال ابنُ مسعودٍ: ليتَنِي إذا مُتُّ لا أُبعثُ[(٤)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ليتنِي كنتُ نَسيًا مَنسِيًا[(٥)].

---

(١) اشتهر بين المُتصوِّفة الشَّطْح والشَّطَحاتُ: وهي في اصطلاحهم عبارةٌ عن كلمات تَصْدُر منهم في حالة الغَيْبوبةِ وغَلَبَةِ شُهودِ الحَقِّ تعالى عليهم بحيث لا يَشْعُرون حينئذٍ بغيرِ الحَقِّ. وقيل: الشَّطْح: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب. ونقل عن بعض أهل اللغة أنه قال: لم أَقِفْ على لِفظِ الشَّطَحَات فيما رأَيْتُ من كُتُبِ اللُّغَة كأَنَّها عامِّيَّة وتُستعمل في اصطلاح التَّصوُّف. انظر: اصطلاح الصوفية لابن عربي ضمن رسائله ص٥٣٠ واللمع للطوسي ص٤٢٢ والتعريفات ص١٦٧ وتاج العروس ٦/ ٥٠٧ وموسوعة مصطلحات التصوف ص٤٩٧.
وقد ذكر عبد الوهاب الشعراني في كتابه تأويل الشطح (الفتح في تأويل ما صدر عن الكُمَّل من الشطح) جملة من شطحات الصوفية مما ذكر المؤلف هنا وغيرها وأوّلها بتأويلات لا تصح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص١٠٨ وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١/ ٢٧١ و٣/ ١٥٧ والمؤلف في صفة الصفوة ١/ ٢٥١ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٩٥ وابن القيم في الجواب الكافي ص٢٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٩٨ والطبراني في الأوسط ١/ ١٨١-١٨٣ قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٧٦: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٣٥٩-٣٦١ والإمام أحمد في الزهد ص١١٨ و١٢٥ وابن أبي الدنيا في المحتضرين ص٥٦.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٠٥ وابن أبي الدنيا في المتمنين ص٣٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣/ ١٦٧ ونقله المؤلف في صيد الخاطر ص٣٨٨ والمدهش ص٤٢٤.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٤٧٦) وفي خلق أفعال العباد ص٥٦ والإمام أحمد ١/ ٢٧٦ ٣٤٩ وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٣٠٧ و٤٤٧ وابن سعد في الطبقات ٨/ ٧٤ والطبراني في الكبير ١٠/ ٣٢١ وابن حبان ١٦/ ٤١.

وقال سُفيانُ الثوريُّ لحمَّادِ بنِ سلَمة عند الموت: أترجُو أن يُغفرَ لمِثلي[١].

وإنما صدَرَ مثلُ هذا عن هؤلاءِ السَّادةِ؛ لِقوَّةِ علمِهم بالله ﷻ، وقوةُ العلمِ بهِ تورثُ الخوفَ والخشيةَ، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]، وقال ﷺ: «**أنا أعرَفُكُم باللهِ وأشدُّكُم لهُ خَشيَةً**»[٢].

ولَمَّا بعُد عن العلمِ أقوامٌ من المتصوِّفة لاحظوا أعمالَهم، واتَّفقَ لبعضِهم مِن اللُّطفِ ما يشبهُ الكرامات، فانبسطوا بالدَّعاوى:

• أخبَرنا محمدُ بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا أبو الفضلِ محمدُ بن عليٍّ السهلكِي، قال: سمعتُ أبا عبدِ الله محمدَ بن عبدِ الله الشيرازِي يقول: نا أبو بكرٍ عُمرُ بن يمن، قال: نا أبو عَمرو الرَّهاوي، قال: نا أحمدُ بن محمد الجزَري، قال: سمعتُ أبا موسى الدَّيبليَّ يقول: سمعتُ **أبا يزيدَ البسطامِيَّ** يقول: ودِدتُ أن قَد قامتِ القِيامَةُ حتى أنصِبَ خَيمَتِي على جهنَّم. فسأله رجلٌ منَّا: ولِمَ ذاكَ يا أبا يزيد؟ فقال: إنِّي أعلَمُ أنَّ جهنَّم إذا رأتنِي تخمد؛ فأكونُ رحمةً للخَلقِ[٣].

• أخبرنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ العامِريُّ، قال: أنا أبو سَعدِ بنُ أبي صادِقٍ، قال: نا ابنُ باكويه، قال: أخبرنا إبراهيمُ بنُ محمد، قال: أخبَرني الحسَنُ بن علويه، قال: أخبَرني طيفورُ بن عِيسى، قال: أخبَرني أبو موسى الدَّيبلي، قال: سمعتُ أبا يزيدَ يقول: إذا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٥١ وذكره المزي في تهذيب الكمال ٧/ ٢٦٦ والمصنف في صفة الصفوة ٣/ ١٥١ والذهبي في السير ٧/ ٤٤٩ والمناوي في فيض القدير ٤/ ٤٩٢.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٧٥٠)، ورقم (٦٨٧١) وأخرجه مسلم رقم (٢٣٥٦) والنسائي في الكبرى ٦/ ٦٧ والإمام أحمد في المسند ٦/ ٤٥ ١٨١ وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٢٥٦ رقم (٢٠٢١) وأبو يعلى في مسنده ٨/ ٣١٠. ونحوه أخرج البخاري وغيره عن أنس رقم (٥٠٦٣).

(٣) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٤٧.

كان يومُ القيامةِ، وأُدخِلَ أهلُ الجنةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النارَ، فأسألُهُ أن يُدخِلَني إلى النَّار. فقيل له: لِمَ؟ قال: حتى تعلمَ الخلائِقُ أنَّ بِرَّهُ ولُطفَهُ فِي النارِ معَ أولِيائِه(١).

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: هذا الكلامُ مِن أقبحِ الأقوالِ؛ لأنهُ يتضمَّنُ تحقيرَ ما عَظَّمَ اللهُ عز وجل أمرَه مِن النار، فإنهُ عز وجل بالَغَ في وصفِها فقال: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ**﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**﴾ [الفرقان: ١٢] إلى غيرِ ذلك من الآيات.

وقد أخبَرنا عبدُ الأوَّل، قال: أنا ابن المظفَّر، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: نا الفِرَبرِيُّ، قال: نا البُخارِيُّ، قال: نا إسماعيلُ، قال: نا مالِك، عن أبِي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**نارُكم هذهِ ما يوقِدُ بنو آدم جُزءٌ مِن سَبعينَ جُزءًا مِن حرِّ جهنم**». قالوا: واللهِ إن كانت لَكَافِيةٌ يا رسولَ الله. قال: «**فإنَّها فُضِّلَت علَيها بِتِسعةٍ وسِتين جُزءًا، كُلُّهُنَّ مثلُ حرِّها**»(٢). أخرجَاهُ في الصَّحيحَين.

وفي أفرادِ مُسلم مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يؤتَى بِجهنَّم يومئذٍ ولها سبعون ألفَ زِمامٍ، مع كلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها**»(٣).

أخبَرنا محمدُ بن ناصرٍ، قال: أنا جعفرُ بن أحمد، قال: أنا أبو عليٍّ التمِيمِي، قال: أنا أبو بكرِ بنُ مالكٍ، قال: نا عبدُ الله بن أحمد، قال: حدثني أبِي، قال: نا بَهزُ بنُ أسَدٍ،

---

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف. وفي كتاب النور من أخبار أبي طيفور لأبي الفضل السهلكي أخبار نحو ذلك.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٢٦٥) عن أبي هريرة. ومسلم رقم (٢٨٤٣) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩٤ وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٤، ٢٧٨ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٥٠٣.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٨٤٢) عن ابن مسعود. وأخرجه الترمذي رقم (٢٥٣٧) والحاكم في المستدرك ٤/ ٦٣٧.

قال: نا جعفرُ بنُ سُلَيمانَ، قال: نا عِليُّ بنُ زيدٍ، عن مطرِّفٍ، عن كعبٍ، قال: قال عُمرُ بن الخطاب: يا كَعب خوِّفنا! قلت: يا أميرَ المؤمنين، اعمل عمَلَ رجُلٍ لو وافيتَ القيامةَ بِعملِ سبعين نَبيًا لازدَرَأتَ عملَكَ مِمَّا تَرى. فاطرقَ عمرُ مليًا، ثم أفاق، قال: زِدنا يا كعب! قلت: يا أميرَ المؤمنين، لو فُتِحَ مِن جهنَّمَ قدرُ مِنخَرِ ثَورٍ بالمشرِقِ ورجُلٌ بالمغرِبِ لَغلَى دِماغُهُ حتى يسِيلَ مِن حرِّها. فأطرق عُمرُ ملِيًا، ثم أفاق، فقال: زِدنا يا كَعب! قلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ جهنَّم لتزفُرُ يومَ القِيامةِ زَفرةً لا يبقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُصطَفَى إلَّاخرَّ جَاثيًا على رُكبَتَيهِ ويقول: ربِّ نفسِي نفسِي، لا أسأَلُكَ اليومَ غيرَ نفسِي[1].

أخبرنا محمدُ بن عبدِ الباقي بن أحمد، قال: أخبَرنا حمدُ بن أحمدَ الحدَّاد، قال: حدَّثنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ، قال: نا أبي، قال: نا أحمدُ بن محمدِ بن الحسَن البغداديّ، قال: نا إبراهيمُ بن عبدِ الله بنِ الجنَيدِ، قال: نا عُبَيدُ الله بن محمد بن عائشة، قال: نا سالِمٌ الخوَّاص، عن فُراتِ بن السائِبِ، عن زاذان، قال: سمعتُ كعبَ الأحبار يقول: إذا كان يومُ القيامةِ جَمَع اللهُ الأوَّلِين والآخِرين فِي صعيدٍ واحدٍ، ونزلَت الملائكةُ فصارت صفوفًا، ويقول: يا جبريل ائتني بجهنم. فيأتِي بِها جبريلُ، فتُقادُ بِسبعِين ألفَ زِمامٍ حتى إذا كانت مِن الخلائِقِ على قدرِ مائةِ عام، زَفَرَت زفرةً طارت لَها أفئِدةُ الخلائِق، ثمَّ زفرت ثانيةً فلا يبقى ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسلٌ إلَّا جثَى لِرُكبَتَيهِ، ثم تزفُر الثالثةُ فتبلُغ القلوبُ الحناجِر، وتذهَلُ العقولُ، فيفزعُ كلُّ امرِئٍ إلى عملِهِ حتى إنَّ إبراهيمَ الخليلَ يقول: بِخلَّتي لا أسأَلُكَ إلَّا نفسِي. ويقول موسى: بِمناجَاتِي لا

---

(١) أخرجه الصنعاني في تفسيره ٢/ ٣٦٣ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٥٠/ ١٦٦ وأخرجه الإمام أحمد في الزهد ص١٢١ وأبو نعيم في الحلية ٥/ ٣٦٨. جميعهم من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. كما قال الحافظ في التقريب ص٤٠١. وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص٧٥ عن عمر بن الخطاب مرسلا. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٩ و٥٤ مختصرًا بإسنادين: الاول ضعيف، والثاني مرسل.

أسأُلكَ إلَّا نفسِي. وإنَّ عِيسى ليقول: بِما أكرمتنِي لا أسألُك إلَّا نفسِي، لا أسألكَ اليوم مريمَ التي وَلَدتنِي»[١].

قال المصنِّف: وقد روينا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا جبريلُ! مالي أرى ميكائيلَ لا يضحَكُ؟! فقال: ما ضَحِكَ ميكائيلُ منذُ خُلِقت النار! وما جَفَت لِي عينٌ مُنذُ خُلِقت جهنَّم؛ مَخافة أن أعصِيَ اللهَ فيجعَلَني فيها**»[٢].

وبكَى عبدُ اللهِ بن رواحةَ يومًا فقالت امرأته: ما لَكَ تبكي؟! قال: أنبِئتُ أنِّي واردٌ ولَم أُنبأ أنِّي صادر[٣]!

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت:** فإذا كانت هذِه حالةُ الملائِكةِ والأنبِياءِ والصحَّابة، وهُم المطهَّرُون مِن الأدناسِ، وهذا انزِعاجُهُم لأجلِ النارِ، فكيفَ هانَت عِند هذا المدَّعِي؟! ثمَّ إنهُ يقطعُ لِنفسِهِ بما لا يدرِي بِهِ من الوَلايةِ والنَّجاةِ، وهل قُطِعَ بالنَّجاةِ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/ ٣٧٢ و٨/ ٢٧٩ ونقله السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٣٩. وهذا الأثر بهذا الإسناد لا يصح؛ كما علمت من حال رجاله.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٢٤ من حديث أنس رضي الله عنه والهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٨٥ وقال: رواه أحمد من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة. وجود إسناده العراقي في تخريجه على الإحياء ٤/ ١٨١ وذكر الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٦٦٤) أنه حسن لغيره. أما محقق المسند ٢١/ ٥٥ فقد ضعفه وعدَّ تجويد العراقي لإسناده تساهلًا. وروي مثل هذا الخبر في حق إسرافيل أخرجه البيهقي في الشعب ١/ ٥٢١ مرسلًا. أما حديث جبريل: فقد أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص٢٧. وعن أبي عمران الجوني: أنه بلغه أن جبريل أتى النبي ﷺ وهو يبكي.. مرسلا. أخرجه الإمام في الزهد كما في الدر المنثور ١/ ٢٢٩ والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٥٢١ والحديث مرسل من كلا الطريقين كما ترى.

(٣) أخرجه وكيع في الزهد ١/ ٢٦٠ والإمام أحمد في الزهد ص٢٠٠، والحاكم في المستدرك ٤/ ٦٣١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: فيه إرسال، جميعهم من طريق قيس بن أبي حازم. ولكن الأثر مخرج من طرق أخرى لا إرسال فيها: فأخرجه ابن المبارك في الزهد ص١٠٤ والطبري في تفسيره ١٦/ ١١٠ وأبو نعيم في الحلية ١/ ١١٨. وهذه الروايات يشد بعضها بعضًا.

إلَّا لقومٍ مخصُوصِينَ مِن الصحابةِ[١]، وقد قال النبي ﷺ: «مَن قال: إنِّي في الجنَّة. فهو في النار»[٢]، وهذا محمدُ بن واسعٍ يقول عند موتِهِ: يا إخوتاهُ! أتدرُون أين يُذهَبُ بِي؟! يُذهَبُ بِي -والله الذي لا إلهَ إلَّا هو- إلى النَّار أو يعفو عنِّي[٣].

قال المصنِّفُ: وهذا إن صحَّ عن هذا المدَّعِي فهو غايةٌ مِن تلبيسِ إبليسَ.

• وقد كان ابنُ عقيلٍ يقول: قد حُكِي عن أَبِي يزيد أنه قال: وما النَّار؟! واللهِ لئِن رأيتُها لأطفئنَّها بِطَرَفِ مرقَعَتِي، أو نحو هذا.

قال: ومَن قال هذا كائِنٌ مِن كان فهو زِنديقٌ يجبُ قتلُه، فإنَّ الإهوانَ للشَّيءِ ثَمرةُ الجحد؛ لأنَّ مَن يُؤمِن بالجنِّ يقشعِرُّ في الظُّلمَةِ، ومَن لا يؤمن لا يَنْزعِج، وربَّما قال: يا جنُّ خُذُوني، ومثلُ هذا القائل ينبغي أن يقرَّبَ إلى وجههِ شمعةٌ، فإذا انزعَجَ قيل له: هذهِ جَذوةٌ مِن نار.

• أنبأنا محمدُ بن ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضلِ السهلكِي، قال: سمعت أبا عبدِ الله الشيرازيَّ يقول: نا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدٍ، قال: سمعتُ الحسَنَ بن علويه يقول: سمعتُ طيفورَ الصَّغير يقول: سمعتُ عمِّي خادمَ أبي يزيد يقول: سمعتُ **أبا يزيدَ** يقول: سُبحاني سُبحاني ما أعظمَ شأنِي! ثم قال: حسبِي مِن نفسِي حسبِي[٤].

---

(١) من مثل العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم.

(٢) أخرجه علي بن الجعد في مسنده ص٤٥٩ وكذا الذهبي في السير ١٨/ ٣٣٢ وقال: هذا مرسل غريب. وأخرجه الخلال في السنة رقم (١٠٢٩) والسهمي في تاريخ جرجان ص٢٨ عن الحسن كذلك، فهومنقطع. وأخرجه ابن عدي في الكامل ٤/ ١٠٠ عن أنس ﷺ وفيه ضرار بن عمرو قال عنه ابن عدي: منكر الحديث.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص١٤١ و١٥٠ وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٤٨ والبيهقي في الزهد الكبير ص٢٠٣ وذكره المؤلف في صفة الصفوة ٣/ ٢٧١ والذهبي في السير ٦/ ١٢١.

(٤) أخرجه الطوسي في اللمع ص٤٧٢ ونقله الذهبي في السير ١٣/ ٨٨ وفي الميزان ٣/ ٤٧٤ وقال الذهبي: وجاء عنه- يعني: أبي يزيد- أشياء مشكلة لا مساغ لها الشأن في ثبوتها عنه أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو فيطوى ولا يحتج بها؛ إذ ظاهرها إلحاد مثل سبحاني وما في الجبة إلا الله..

قلت: هذا إن صحَّ عنه فربَّما يكونُ الرَّاوي لَم يفهم؛ لأنه يُحتَمل أن يكونَ قد ذكرَ تمجيدَ الحقِّ نفسَهُ، فقال فيه: «سبحاني» حكايةً عن اللهِ تعالى، لا عَن نفسِه.

وقد تأوَّلَهُ الجنَيدُ بِشيءٍ إن لَم يرجِع إلى ما قُلتُه فليسَ بِشَيء: فأنبأنا ابنُ ناصر، قال: أنبأنا السهلكِي، قال: أنا محمدُ بنُ القاسِم الفارسِي، قال: سمعتُ الحسَنَ بن عليِّ بن يحيى المذكِّر يقول: سمعتُ جعفرَ الخلدِي يقول: قِيل للجُنَيدِ: إنَّ أبا يزيدَ يقول: سُبحاني سُبحاني أنا ربِّي الأعلى! فقال الجنَيد: إنَّ الرجُلَ مستهلِكٌ فِي شهودِ الجلالِ فَنطَق بما استَهلَكَه، أذهَلَهُ الحقُّ عن رؤيتِهِ إيَّاهُ فلَم يشهَد إلا الحقَّ فَنعَتَه[١].

قال المصنِّفُ: قلت: وهذا مِن الخُرافاتِ!

وقد أخبرنا محمدُ بن عبدِ الباقي بن أحمد، قال: أنبأنا الحسَن بن محمد بنِ الفضل الكرمانِي، قال: أنا سَهلُ بن عليٍّ الخشَّاب، وأنبأنا أبو الوقتِ عبدُ الأول، قال: أخبرَنا أحمد ابن أبي نصرٍ الكوفاني، قال: أنا الحسنُ بن محمد بن فورِي، قال: أنا عبدُ الله بن عليٍّ السَّراج، قال: سمعتُ أحمدَ بنَ سالمٍ البصريَّ بالبصرةِ يقول في مجلسِهِ يومًا: فرعونُ لَم يقُل ما قال أبو يزيد؛ لأنَّ فرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، والربُّ يُسمَّى به المخلوقُ، يقال: ربُّ الدار، وقال أبو يزيد: سُبحانِي سُبحانِي! وسُبحانَ لا يجوز إلَّا لله. فقلتُ له: قد صحَّ عِندكَ هذا عن أبي يزيد؟ فقال: قد قال ذلك. فقلت: يُحتمل أن يكونَ لِهذا الكلامِ مقدِّماتٌ: يَحْكِي بأن الله يقول: سبحاني؛ لأنَّا لو سَمعنا رجُلًا يقول: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤] علِمنا أنه يقرأ[٢].

---

(١) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص٨٩ و١٣٣. وانظر: تأويل الجنيد لها في اللمع ص٤٦٨.

(٢) أخرجه الطوسي في اللمع ص٤٧٢ بأطول مما ساق المؤلف، وبسط القول فيه. وقول أبي يزيد أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٠١.

وقَد سألتُ جماعةً مِن أهل بسطَامَ مِن بيتِ أبي يزيدَ عن هذا، فقالوا: لا نعرف هذا!

• أنبأنا ابنُ ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضلِ السهلكِي، قال: سمعتُ أبا عبدِ الله الشِّيرازِيَّ يقول: سمعتُ عامرَ بن أحمد، قال: سمعتُ الكتاني يقول: حدثني أبو موسى الديبِلي، قال: سمعتُ أبا يزيدَ يقول: كنتُ أطوفُ حولَ البيتِ أطلُبهُ، فلمَّا وصلتُ إليهِ رأيتُ البيتَ يطوفُ حولِي[١].

• قال الشيرازِيُّ: وحدَّثنا إبراهيمُ بن محمد، قال: سمعتُ الحسَن بن علويه، يقول: سمعتُ طيفورَ الصغير، يقول: سمعتُ أبا يزيد يقول: حَجَجْتُ أوَّل حَجَّةٍ فرَأيتُ البيتَ، وحَجَجتُ الثانيةَ فرأيتُ صاحِبَ البيتِ ولم أرَ البيت، وحججتُ الثالثةَ فلَم أرَ البيتَ ولا صاحِبَ البيتِ[٢].

• قال الشِّيرازي: وسمعتُ محمدَ بن دادويه يقول: سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ سهلٍ، يقول: سمعتُ أبا موسى الديبلي، يقول: سمعتُ أبا يزيدَ وسُئِلَ عن اللوحِ المحفوظِ، فقال: أنا اللَّوحُ المحفوظ[٣].

قال الشِّيرازِي: وسمعتُ مظفرَ بنَ عيسى المراغِي، يقول: سمعتُ شنبذينَ[٤] يقول: سمعتُ أبَا موسى الديبِلي يقول: قلت لأبي يزيد: إنَّ ثلاثةً قلوبُهم على قلبِ جبرِيل. قال: أنا أولئكَ الثلاثة، فقلت: كيفَ؟ قال: قلبِي واحِد، وهمِّي واحِدٌ،

(١) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٠٠ و١٣٩. ويقول اليافعي في نشر المحاسن ص٣٣: وأعظم من ذلك وأفضل طواف الكعبة المعظمة بكثير منهم وكل ذلك مشهور مذكور بالأسانيد الصحيحات.

(٢) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٠٢ وبعض هذه الأقوال نقلها الذهبي في السير كما مر عند قوله: «سبحاني.. » ١٣/ ٨٨.

(٣) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٠٣ و١٤٥.

(٤) في (م) و(ت): سيرين.

ورُوحِي واحِد. قلت: وبلَغَني أنَّ واحِدًا قلبُه على قلبِ إسرافيل. قال: وأنا ذلك الواحد، ومثِلي مثلُ بحرٍ مصطلِمٍ لا أوَّل لهُ ولا آخر.

قال السهلكِي: وقرأ رجلٌ عندَ أبي يزيد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]. فقال أبو يزيد: وحياته! إنَّ بطشِي أشدُّ مِن بطشِهِ! وقيل لأبي يزيد: بلَغَنا أنَّك مِن السبعةِ. قال: أنا كلُّ السبعة! وقيل له: إنَّ الخلقَ كلَّهُم تحت لواءِ محمد ﷺ[1]. فقال: واللهِ إنَّ لوائِي أعظمُ مِن لواءِ محمد، لوائِي مِن نورٍ تحتهُ الجنُّ والأنسُ كلُّهُم معَ النبيِّين.

وقال أبو يزيد: سبحاني سبحاني، ما أعظم سلطانِي، ليس مِثلي في السَّماءِ يوجدُ، ولا لِمثلي صفةٌ في الأرضِ تُعرَفُ، أنا هُو وهو أنا وهُو هُو[2].

• أخبرنا المحمدان ابنُ ناصر وابنُ عبدِ الباقي، قالا: أخبَرنا حَمدُ بن أحمد، قال: أنا أبُو نُعَيم الحافظ، قال: نا أحمدُ بن أبِي عمران، قال: نا منصورُ بنُ عبدِ الله، قال: سمعتُ أبا عِمران موسى بنَ عيسى، قال: سمعتُ أبي يقول: قيل لأبِي يزيد: إنَّك مِن الأبدال السَّبعةِ الذين هُم أوتادُ الأرض، فقال: أنا كلُّ السَّبعة[3].

• أنبأنا ابن ناصرٍ، قال: أنبأنا أبو الفضلِ السهلكِي، قال: سمعتُ أبا الحسَن محمدَ بنَ القاسِم الفارسيَّ، قال: سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بن محمد بن إسماعيل البخاريّ، يقول:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٨١ والترمذي رقم (٣١٤٨) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والطيالسي رقم (٢٧١١) والحديث له شاهد عند البخاري رقم (٤٧١٢) ومسلم رقم (١٩٤).

(٢) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٢٨ و١٤٣ وذكره ابن عطاء في لطائف المنن ١/ ١٢٥. وحديث ثلاثة قلوب وفي رواية خمس على قلب جبريل.. وواحد على قلب إسرافيل.. هو من خبر طويل أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٨ والديلمي في الفردوس ١/ ١٨٧ رقم (٧٠٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٣٠٣ ونقله السيوطي في الدر المنثور ١/ ٧٦٥ والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٥. وهو من حديث الأبدال وقد تقدم بيان بطلانه ص٦٣٧.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٧ والسهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٤٣.

سمعت أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمد الحافِظ الجرجانِي، يقول: سمعتُ الحسَن بنَ علي بن سلَّامٍ يقول: دخَلَ أبو يزيدَ مدينةً فتبعَهُ منها خلقٌ كثيرٌ، فالتَفَتَ إليهم، فقال: إنِّي أنا اللهُ لا إلهَ إلَّا أنا فاعبدوني. فقالوا: جُنَّ أبو يزيدَ، فتركوه(١).

• قال الفارسيُّ: وسمعتُ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ محمد النَّيسابوريَّ يقول: سمعت أبا بكرٍ أحمد بن إسرائيل، قال: سمعت خالِي عليَّ بن الحسَن، يقول: سمعتُ الحسَن بن علي بن حيويه، يقول: سمعتُ عمِّي وهُو أبو عِمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد، قال: سمعت أبي، يقول: قال أبو يزيد: رُفِعَ بِي مرةً حتى قُمتُ بين يديه، فقال: يا أبا يزيد! إنَّ خَلقِي يحبُّونَ أن يروك! قلت: يا عزِيزِي! فأنا لا أحبُّ أن يَروني، فقال: يا أبا يزيد! إنِّي أريدُ أن أريكَهُم. فقلت: يا عزِيزِي! إن كانُوا يُحِبُّون أن يَروِني وأنتَ تريدُ ذلك، فأنا لا أقدِر على مخالفتِكَ، زَيِّنِّي بوحدانِيَّتِكَ، وألبِسْنِي ربَّانِيَّتِكَ، وارفَعنِي إلى أَحَدِيَّتك، حتى إذا رآني خلقُك قالوا: رأينَاكَ، فتكونَ أنت ذاك، ولا أكونُ أنا هُناك، فَفَعل بِي ذاك، وأقامَني وزيَّنَني ورَفَعَني، ثم قال: اخرُج إلى خَلقِي. فخَطَوتُ مِن عِندهِ خُطوةً إلى الخلقِ خارجًا، فلمَّا كان من الخطوةِ الثانيةِ غُشِيَ عليَّ، فنادى: ردُّوا حَبيبِي؛ فإنهُ لا يَصبِر عنِّي ساعةً(٢).

• أنبأنا ابن ناصرٍ، قال: أنبأنا السهلكِي، قال: سمعتُ محمدَ بن إبراهيم الواعظ، يقول: سمعتُ محمدَ بن محمد الفقيه، يقول: سمعتُ أحمدَ بن محمد الصوفيَّ، يقول: سمعتُ أبا موسَى، يقول: حُكِي عن أبي يزيدَ أنه قال: أرادَ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام أن يرَى الله تعالى، وأنا ما أردتُ أن أرى اللهَ تعالى، هو أراد أن يراني(٣).

---

(١) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٥٧.

(٢) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٤٩ والطوسي في اللمع ص٤٦١.

(٣) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٨٥.

• أخبَرنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ البغداديُّ، قال: أخبرنا أبو سَعد بنُ أبي صادقٍ الحيري، قال: نا أبو عبدِ الله بن باكويه، قال: نا أبو الطيِّب بن الفرخان، قال: سمعتُ الجنَيدَ بنَ محمد يقول: دخلَ عليَّ أمس رجلٌ مِن أهل بَسطام، فَذَكر أنهُ سمِع أبا يزيدَ البسطامِيَّ يقول: اللهمَّ إن كان فِي سابِقِ علمِكَ أنَّك تعذِّبُ أحدًا مِن خلقِكَ بالنَّارِ فعظِّم خلقِي، حتى لا تَسَع معِي غيرِي[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: أمَّا ما تقدَّم مِن دعاوِيه فما يَخفى قُبحُها، وأمَّا هذا القولُ فخطأٌ مِن ثلاثةِ أوجه:

أحدُها: أنهُ قال: إن كان فِي سابِقِ علمِك. وقد علِمنا قطعًا أنه لابُدَّ مِن تعذِيبِ خلقٍ بالنَّار، وقد سمَّى الله عز وجل منهم جماعةً، كفِرعونَ وأبِي لهَبٍ، فكيف يجوزُ أن يُقال بعد القطعِ واليقينِ: (إن كان)!

والثاني: قولُه: فعظِّم خلقِي. فلو قال: لأدفَعَ عن المؤمِنين! ولكنه قال: حتى لا تَسَع غيرِي. فأشفَقَ على الكفَّارِ أيضًا، وهذا تعاطٍ على رحمةِ الله عز وجل.

والثالث: أنه لا يخلُو أن يكونَ جاهِلًا بِقدرِ هذه النار، أو واثِقًا مِن نفسِهِ بالصَّبر، وكِلا الأمرَينِ معدومٌ عندَه.

• أنبأنا عبد الأول بن عيسى قال: أنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني قال: أنا أبو محمد الحسين بن محمد بن فوري الحبوشاني قال: أنا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي السراج بكتابه المسمى بـ«اللمع» قال: حكي عن أبي يزيد قال: أول ما صِرْتُ إلى وحدانيته صرت طَيرًا جسمه من الأحدية وجناحاه من الدَّيمومية فلم أَزَلْ أطيرُ في هواء الكَيفية عشر سنين حتى صرتُ إلى هواء مثل ذلك مائةَ ألف ألف مرة فلم أزل

(١) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٤٨.

أطيرُ إلى أن صرتُ في مَيدان الأزلية فرأيت فيها شجرة الأحدية. ثم وَصَفَ أرضها وأصلها وفَرْعها وأغصانها وثمارها ثم قال: فطرت فعلمتُ أن ذلك خُدْعة.

قال السراج: وذُكر عن أبي يزيد قال: أشرفتُ على ميدان الليْسية فما زلت أطير فيه، حتى صرت من ليس في ليس ثم أشرفت على التضيع وهو ميدان التوحيد فلم أزل أطير بلا ليس في التضيع حتى ضعت في الضياع ضياعًا وضعت فضعت بليس في ليس في ضياعة التضيع ثم أشرفت على التوحيد عن غيبوبة الخلق عن العارف وغيبوبة العارف عن الخلق.

قال السراج: وقوله: (ليس بليس) هو ذلك كله عنه والتضيع هو أنه ضاع في فنائه[(١)].

قال المصنف قلت: أجود ما يقال أن هذا ماليخوليا!

- قال أبو نصر الطوسي في كتابه اللمع: قال الشبلي: لو كان أبو يزيد عندنا لأسلم على يد بعض صبياننا[(٢)].
- أخبرنا أبو بكر بن حبيب قال: أنا أبو سعد بن أبي صادق قال: أنا ابن باكويه قال: أنا أبو الحسن الحنظلي قال: أخبرني أحمد بن سعدان قال: أخبرني أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: إلهي! كل حكم تحكم به عليَّ قد رضيته. فأصابه وجع الضرس فنادى: إلهي لو لم تعافني منه فتهودت أو تنصرت[(٣)].
- أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد قال: أنا أبو بكر أحمد بن علي بن

(١) أخرجه الطوسي في اللمع ص٤٦٤-٤٦٨ وأخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١٤٩-١٥٠.
(٢) اللمع ص٤٦٩.
(٣) أخرجه أبو عبد الرحمن السُلمي في جوامع آداب الصوفية ص ٣٧٢ ضمن مجموع مؤلفاته من طريق محمد بن عبد الله عن يوسف بن الحسين عن أحمد بن أبي الحواري به.

ثابت قال: أنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة النيسابوري قال: سمعت أبا الربيع محمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد الصوفي يقول: كان سمنون يشطح وينشد:

ضاعف عليَّ بجهدك البَلْوى ** وابلغ بجهدي غايةَ الشَّكْوَى
واجْهَد وبالغ في مُهَاجرتي ** واجهر بها في السِّرِّ والنَّجْوَى
فإذا بلغتَ الجَهد فيَّ فلم ** تترك لنفسك غاية القُصْوَى
فانظر فهل حالٌ بيَ انقلبت ** عما تُحِبُّ بحالة أُخرى؟

قال: فعُوقِبتُ على ذلك بقطر البَول فرأى في منامه كأنه يشكو حالَهُ إلى بعض المُتَقَدِّمين من الصَّالحين وقال له: عليك بدُعاء الكَتاتيب! فكان بعد ذلك يطوف على الكَتاتيب وبيدِه قارورةٌ يقطر فيها بَوله ويقول للصِّبيان: ادعوا لعَمِّكم المُبتلَى بلسانه[١].

• أخبَرنا عبدُ الرحمن، قال: نا أحمدُ بن عليٍّ، قال: سمعتُ أبا نُعَيمٍ الحافظ يقول: سَمَّى سمنون نفسَه الكذَّابَ بِسببِ أَبياتِهِ التي قال فيها:

وَلَيسَ لِي فِي سِواكَ حَظٌّ ** فَكَيفَ مَا شِئتَ فامتحنِّي

فحُصِرَ بَولُه مِن ساعته[٢].

قال المصنِّفُ رحمه الله **قلت**: إنه ليقشعرُّ جِلدِي مِن هذهِ الأشعار، أتراهُ على مَن يتقاوَى؟! وإنَّما هذهِ ثَمرةُ الجهلِ باللهِ عز وجل، ولَو عَرفهُ لَم يَسأل إلَّا العافِية.

---

(١) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٥.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٠٩ والخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٤.

• أخبَرنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبو سَعدِ بنُ أبي صادقٍ، قال: أنا ابنُ باكويه، قال: نا أبو يعقوب الخرَّاط، قال: قال **أبو الحسَين النورِي**: سألتُ سمنُونَ عن المحبَّة، فقال: عن محبةِ اللهِ إياكَ تسأل، أو عن محَبتِك الله؟ فقلت: عن محبةِ اللهِ إيَّاي. فقال: لا تطيقُ الملائِكةُ أن يسمعوا ذلك، فكيفَ أنت؟! ثمَّ قال: واللهِ لقد تكلَّمتُ أمس معَ الخضرِ في هذه المسألةِ، وكانتِ الملائكةُ يستَحسِنونَ قولي، واللهُ ﷻ يسمعُ كلامِي فلم يَعِب عليَّ، ولو عابَ عليَّ لأخرَسَنِي[١].

قال المصنِّفُ: قلت: لولا أنَّ هذا الرجلَ قد نُسِبَ إلى التغيُّر؛ لَكانَ ينبغِي أن يُردَّ عليه: وأينَ الخضر[٢]؟! ومِن أين له أنَّ الملائكةَ تَستَحسِنُ قوله؟! وكَم مِن كلامٍ معيبٍ لَم يُعاجَلْ صاحبُهُ بالعقوبة!

• أخبَرنا أبو بكرِ بنُ حبيبٍ، قال: أنا أبو سَعد بنُ أبي صادقٍ، قال: أنا ابن باكويه، قال: سمعتُ محمدَ بنَ داود الجوزجَاني، يقول: سمعتُ أبا العبَّاسِ بنَ عطاءٍ يقول: كنتُ أردُّ هذه الكرامات حتى حدَّثني الثِّقة عن أبي الحسَين النورِي وسألتُه فقال: كذا كان، قال: كُنَّا في سُمَيرِيَّةٍ[٣] في دجلة، فقالوا لأبي الحسَين: أخرِج لنا مِن دجلةَ سَمكةً فيها ثلاثةُ أرطالٍ وثلاثُ أواقٍ، فحرَّكَ شَفَتيهِ، فإذا سَمكَةٌ فيها ثلاثةُ

---

(١) لم أجد هذا القول له وله كلام في المحبة، منه: ما أخرجه البيهقي في الشعب ١/ ٣٨٨ قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي الحافظ يقول: سئل سمنون عن المحبة؟ فقال: صفاء الود مع دوام الذكر.

(٢) التحقيق أنه ميت. وللمؤلف رسالة في ذلك سماها الروض النضر في حال الخضر مخطوط. قال ابن حجر في الفتح ١/ ٢٢١: وغاية الخضر أن يكون كواحد من أنبياء بني إسرائيل وموسى أفضلهم وإن قلنا: إن الخضر ليس بنبي بل ولي، فالنبي أفضل من الولي وهو أمر مقطوع به عقلًا ونقلًا والصائر إلى خلافه كافر؛ لأنه أمر معلوم من الشرع بالضرورة. وانظر لمزيد بيان: الزهر النضر في حال الخضر ص٦٦ والخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة ص١٨.

(٣) السُّمَيْرِيَّة: ضَرْبٌ من السُّفُن.. انظر: اللسان ٤/ ٣٧٦ وتاج العروس ١٢/ ٨٤.

أرطالٍ وثلاثُ أواقٍ قد ظَهَرت مِن الماء حتَّى وقَعت فِي السُّمَيرِية. فقيل لأبِي الحسَين: سألناكَ باللهِ إلَّا أخبَرتنا، بِم دعوت. فقال: قلتُ: وعِزَّتِك لئِن لَمَ تُخرِج لي مِن الماءِ حُوتًا فيها ثلاثةُ أرطالٍ وثلاثُ أواقٍ لأغرِقنَّ نفسي في دجلة[١].

أخبَرنا أبو منصورٍ القزَّاز، قال: أنا أبو بكرِ بنُ ثابت، قال: أخبَرني عبدُ الصمد بنُ محمد الخطِيب، قال: نا الحسَنُ بن الحسَين الهمَذاني، قال: سمعتُ جعفرًا الخُلدِيَّ يقول: سمعتُ الجنَيدَ يقولُ: سمعتُ النوريَّ يقول: كنتُ بالرَّقةِ، فجاءنِي المريدون الذين كانوا بها وقالوا: نَخْرُج ونصطادُ السَّمك. فقالوا لي: يا أبا الحسَين! هات معَ عبادتِكَ واجتهادِكَ وما أنتَ عليهِ من الاجتهادِ سمكةً يكونُ فيها ثلاثةُ أرطالٍ لا تزيدُ ولا تنقُص. فقلت لمولاي: إن لم تُخرِج لي السَّاعةَ سمكةً فيها ما ذكرُوا لأرمِينَّ بنفسِي في الفُرات. فأخرجت سَمَكةً، فوزنتُها فإذا فيها ثلاثةُ أرطالٍ لا زيادةَ ولا نُقصان، قال الجنَيد: فقلت له: يا أبا الحسَين لو لَم تَخرُج كنتَ ترمِي بنفسِكَ؟ قال: نعم[٢].

أخبرنا أبو بكر بن حبيب قال: نا أبو سعد بن أبى صادق قال: نا ابن باكويه قال: نا أبو يعقوب الخرَّاط قال: نا أبو الحسين النُّوري قال: كان في نفسي من هذه الآياتِ[٣] شيءٌ، فأخذتُ من الصبيان قصبةً وقمتُ بين زورَقَيْن وقلتُ: وعزَّتك لئْن لم تُخْرِجْ لي سمكةً فيها ثلاثةُ أرطالٍ لأغرقنَّ نفسي. قال: فخرجت سمكة فيها ثلاثة أرطال. قال: فبلغ ذلك الجُنيد فقال: كان حُكمُه أن تخرُج له أفعى تلدغه[٤].

(١) انظر الذي يليه.

(٢) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ١٣٢.

(٣) يعني: الكرامات.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٥١ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٢.

• أخبرنا ابن حبيب قال: أنا ابن أبي صادق قال: أنا ابن باكويه قال: سمعت الحسين بن أحمد الفارسي، يقول: سمعت الرقي، يقول: سمعت علي بن محمد بن أبان، يقول: سمعت **أبا سعيد الخَرَّاز** يقول: أكبرُ ذَنْبي إليه معرفتي إياه[(١)]!

قال المصنِّف رحمه الله: **قلت**: هذا إن حُمِلَ على معنى: أنِّي لما عرفتُهُ لم أعمل بمقتضى معرفَتِه فعظم ذَنْبي كما يعظُمُ جُرْمُ من علمَ وعصى وإلا فهو قبيحٌ.

• أخبرنا بن حبيب قال: أنا بن أبى صادق قال: أنا بن باكويه قال: حدثني أحمد الخلقاني قال: سمعتُ **الشِّبْلي**، يقول: أَحَبَّكَ الخلقُ لنعمائِك وأنا أُحِبُّكَ لبلائِك[(٢)].

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني قال: أخبرنا سهل بن علي الخشاب. وأخبرنا أبو الوقت قال: أخبرنا أحمد بن أبي نصر قال: أنا الحسن بن محمد بن فوري قال: أخبرنا عبد الله بن علي السراج قال: سمعت أبا عبد اللهِ أحمد بن محمد الهَمَذاني يقول: دخلتُ على الشِّبْلي فلما قمتُ لأخرُج كان يقولُ لي ولمنْ معي إلى أن خَرَجنا من الدَّار: مُرُّوا أنا معكم حيثُما كُنتُم أنتم في رعايتي وكلاءَتي[(٣)].

• أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنا أبو عبد الله الحميدي قال: أنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني قال: نا أبو عبد الرحمن السُلمي قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: دخل قوم على الشِّبْلي في مرضه الذي ماتَ فيه فقالوا: كيف تَجِدُكَ يا أبا بكرٍ؟ فأنْشأَ يقول:

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٩/ ٢٣٩.
(٢) ذكره المؤلف في صفة الصفوة ٢/ ٤٥٨.
(٣) أخرجه الطوسي في اللمع ص٤٧٨.

إنَّ سُلْطانَ حُبِّهِ ** قَالَ لا أقْبَلُ الرِّشَا
فَسَلُوهُ فَدَيْتُهُ ** لِمَ بِقَتْلِي تَحَرَّشَا[(١)]

• قال ابن عقيل: وقد حُكِيَ عن الشبلي أنَّه قال: إنَّ الله ﷻ قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] والله لا رَضِيَ محمد ﷺ وفي النَّار من أُمَّتِه أحد. ثم قال: إنَّ محمدًا يشفعُ في أُمَّتِه[(٢)] وأنا أشفعُ بعدَهُ في النار حتى لا يبقى فيها أحد.

قال ابن عقيل: والدَّعوى الأولى على النبي ﷺ كاذبة؛ فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجَّار كيفَ وقد لعن في الخمرِ عشرةً[(٣)]؟ فدَعْوى أنهُ لا يرضى بتعذيبِ الله الله ﷻ للفُجَّارِ دَعوى باطلة وإقدامٌ على جهلٍ بحُكم الشرع.

ودعواهُ بأنه من أهلِ الشَّفاعةِ في الكُلِّ وأنه يَزيدُ على محمد ﷺ، كفرٌ؛ لأنَّ الإنسان متى قطعَ لنفسه بأنه من أهل الجنَّة كان من أهلِ النار فكيفَ وهو يشهَدُ بأنَّه على مقامٍ يزيدُ على المقامِ المحمود، وهو الشَّفاعَةُ!

---

(١) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٥ وأبو محمد السرَّاج في مصارع العشاق ١/ ٣٠٦ من طريق محمد بن أحمد الأردستاني به ونقله ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٧٧. والقشيري في الرسالة ص٣٠٦.

(٢) كما في أحاديث الشفاعة. وللنظر في أحاديث الشفاعة وأنواعها: من شفاعته ﷺ لأهل الموقف ليقضى بينهم وهي الشفاعة العظمى وشفاعته ﷺ لأمته في دخول الجنة وشفاعته لأهل الكبائر وشفاعته ﷺ لأناس يدخلون الجنة بغير حساب وشفاعته بخروج الموحدين من النار.. انظر: كتاب الشفاعة ص١٧-١٣٤.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (١٢٩٥) وابن ماجه رقم (٣٣٨١) والطبراني في الأوسط ٢/ ٩٣. من حديث أنس، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس عند الإمام أحمد ١/ ٣١٦ والحاكم في المستدرك ٤/ ١٤٥ وصححه ووافقه الذهبي. وآخر من حديث ابن عمر رواه أبو داود رقم (٣٦٧٤) وابن ماجه رقم (٣٣٨٠) وأحمد ٢/ ٢٥و٧١. والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣١٢١). وحسنه في صحيح الترمذي رقم (١٠٤١).

قال ابن عقيلٍ: والذي يُمْكِنُني في حقِّ أهل البدع لساني وقَلْبي ولو اتَّسَعَتْ قُدرَتي للسيفِ لرَوَيْتُ الثَّرى من دِماءِ خلق!

• أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: نا أبو طاهر محمد بن علي العلاف قال سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول سمعت **أبا عبد الله الغلفي** صاحب أبي العباس بن عطاء يقول: قرأْتُ القرآنَ فما رأيتُ الله ﷻ ذكرَ عبدًا فأَثْنى عليه حتى ابْتَلاه، فسألتُ الله تعالى أنْ يبتَلِيَني فما مضتِ الأيامُ والليالي حتى خَرَجَ من داري نيِّفٌ وعشرونَ ما رجعَ منهم أحد. قال: وذَهَبَ مالُه، وذَهَبَ عقلُهُ، وذَهَبَ ولدُه وأهلُه، فمكَثَ بحُكْم الغلَبَةِ[١] سبعَ سنينَ أو نحوها، وكانَ أَوَّلُ شيءٍ قال بعد صحوِه من غَلَبَتِه:

حَقًّا أقُولُ لقَدْ كَلَّفْتَني شَطَطًا ** حَمْلي هَواكَ وصَبْري إنَّ ذا عَجَبُ[٢][٣]

قال المصنف: قلت: قلَّةُ علم هذا الرجل أثمرَ أن سأَلَ البلاء وفي سؤالِ البلاءِ معنى التَّقاوي وذاك من أقبحِ القبيح!

والشَّطَطُ: الجَوْرُ ولا يجوز أن يُنْسَبَ إلى الله تعالى، وأحسَنُ ما حُمِلَ عليه حالُه أن يكونَ قال هذا البيتَ في زمانِ التَّغيُّر.

• أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال: أنا محمد بن الحسين السُّلَميّ قال: سمعت **أبا الحسن علي بن إبراهيم الحُصْري** يقولُ: دعوني وبَلائي! ألستُم أولادَ آدمَ الذي خلقه بيده، ونَفَخَ فيه من روحِه، وأسجَدَ له ملائِكَته،

---

(١) الغلبة: المراد هنا المغلوب على عقله وهي بمعنى: الغيبة. انظر: الكفاية في علم الرواية ص٥٢.

(٢) في (م) (أ): إن ذا لعجب. وفي مصارع العشاق: ... ذانِ تعجيب.

(٣) أخرجه أبو محمد جعفر السرَّاج في مصارع العشاق ١/ ١٧٣. بأطول مما ساقه المؤلف.

أمره فخالف، إذا كان أَوَّلُ الدَّنِّ دَرْدِيّ[١] كيفَ يكونُ آخرُهُ؟ قال: وقال الحُصْري: كنتُ زمانًا إذا قرأتُ القرآنَ لا أستعيذُ من الشيطان حتى يَحْضُرَ كلامَ الحَقِّ[٢].

قال المصنف رحمه الله: أما القول الأول: فانبساط على الأنبياء وجرأة قبيحة وسوء أدب! وأما الثاني: فمخالفٌ لما أمرَ الله عز وجل بهِ فإِنَّهُ قال: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٩٨].

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: نا هناد بن إبراهيم النسفي قال: نا محمد بن الحسين السُلمي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدِّيَنَوري يقول: قد نَقَضوا أركان التصوُّف وهدموا سبيلَها وغَيَّروا معانِيَها بأسامِيَ أَحْدَثوها: سَمَّوا الطمع زيادة، وسوءَ الأدب إخلاصًا، والخروج عن الحقِّ شَطْحًا، والتلذُّذَ بالمذموم طيبةً، وسوء الخلق صَوْلةً، والبخْلَ جلادةً، واتِّباعَ الهوى ابتلاءً، والرجوع إلى الدُّنيا وصولًا، والسؤال عملًا، وبَذَاءَ اللسان ملامةً[٣] وما هذا طريق القوم[٤]!

---

(١) في (م)، درى. وفي باقي النسخ: دَرْدِيّ. والأصح: درديًا.
الدَّنُّ: وعاء ضخم للزيت وللخمر ونحوهما. انظر: كتاب العين ٨/ ٩ والمعجم الوسيط ١/ ٢٩٩.
الدُّرْدِيّ: أصْله ما يَرْكُدُ في أسْفلِ كُلِّ مائعٍ كالأشْرِبة والأدْهَان. ودُرْدِيُّ الزيت وغيره ما يبقى في أسفله. انظر: النهاية في الغريب ٢/ ٢٤٧ ومختار الصحاح ص٢١٨.

(٢) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية ص٤٩٠ و٤٩٢ و الشعراني في الطبقات ١/ ٢١١ ذكر الجزء الأخير منه.

(٣) جاء في طبقات الشعراني: وبذاءة اللسان سلامة ولعل المثبت هو الصواب؛ إشارة إلى الملامية: الذين يظهرون من القبائح ومن الأعمال السيئة ما يسقطون به جاههم عند الناس. وسيأتي بيان مذهبهم عند المؤلف ص٨١٥.

(٤) نقله عنه القشيري في الرسالة ص ٤١٣ أو ١/ ١٨٩ والشعراني في طبقاته ١/ ٢٠٩.

وقال ابن عقيل: عبَّرَت الصوفيةُ عن الحرام بعباراتٍ غَيَّروا لها الأسماء مع حصول المعنى فقالوا في الاجتماع على الطيبةِ والغناءِ والخنكرةِ[١]: أوقاتٌ، وقالوا في المُردان: شهود وفي المعشوقةِ: أخْتٌ، وفي المُحِبَّة: مريدة وفي الرقص والطَّرَب: وَجْدٌ، وفي مناخ اللعب والبطالةِ: رِباطٌ. وهذا التغيير للأسماء لا يباح.

(١) الخنكرة: هي من كلام العامة؛ إذ لاوجود لها - فيما رأيت - في كتب المعاجم وهي بمعنى: تلحين القصائد وأخذ الأموال بها ويدل لهذا المعنى قصة ذكرها صاحب كتاب الأغاني فيها الخنكرة تفيد هذا المعنى. انظر: الأغاني ٥/ ١٩٩.

سياق جملة مروية عن الصوفية من الأفعال المنكرة

قال المصنفُ: قد سبقَ ذِكْرُ أفعالٍ كثيرةٍ لهم كلُّها منكر، وإنَّما نذكُرُها هنا من أُمَّهاتِ الأفعالِ وعجائِبِها:

● أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ الباقي بن أحمد، قالَ: أنبأَنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكراماني، قال: أخبرنا أبو الحسن سهلُ بن علي الخشاب، قال: أخبرنَا أبو نصرٍ عبد الله بن علي السراح، قال: ذُكر عن **أبي الكرنبي** – وكان أستاذ الجنيد – أنه أصابته جنابة وعليه مرقعةٌ ثخينة، فجاءَ إلى شاطئِ دجلةَ والبردُ شديدٌ فحَرَنَتْ[1] نفسُه عن الدخولِ في الماءِ؛ لشدةِ البردِ فطرحَ نفسَه في الماءِ مع المرقعةِ ولم يزل يغوصُ ثم خرج وقال: اعتقدتُ أن لا أنزعَها عن بدني حتى تجفَّ عليَّ فلم تجفَّ عليه شهرًا[2].

أخبرنَا عبدالرحمن بن محمدٍ القزاز، قال: نا أحمدُ بن علي بن ثابت، قال: ثنا عبد العزيز بن علي، قال: ثنا علي بن عبد الله الهمذاني، قال لنا الخلدي، قال: حدثني جنيد، قال: سمعتُ أبا جعفر بن الكرنبي، يقول: أصبت ليلةً جنابةً فاحتَجْتُ أن أغتسلَ وكانَت ليلةً باردةً فوجدتُ في نفسي تأخرًا وتقصيرًا وحدَّثتني نفسي لو تركتَ حتى تصبحَ ويُسَخَّنَ لك الماءُ، أو تدخُلَ حمامًا، وإلا أعنت على نفسكَ، فقلت: واعجبًا! أنا أُعامِلُ الله تعالى في طولِ عمري يجبُ لهُ عليَّ حقٌّ لا أجدُ

---

(١) حرنت: حَرَنَ يَحْرُنُ حُرُونًا يقال: حَرَنَت الناقةُ قامت فلم تَبْرَحْ، وحَرُن بالمكان حُرونة إذا لزمه فلم يُفَارِقْه. انظر: العين ٣/ ٢٠٩ وغريب الحربي ٢/ ٤٤٦ واللسان ١٣/ ١١٠.

(٢) أخرجه الطوسي في اللمع ص١٩٨ وذكره السهروردي في عوارف المعارف ص٢٦٩.

المسارعةَ إليهِ، وأجدُ الوقوفَ والتباطؤ والتأَخُّرَ، آلَيْتُ لا اغتَسلتُ إلا في نهرٍ وآلَيْتُ لا اغتَسلتُ إلا في مُرقَعتي هذه وآلَيْتُ لا نزعتُها وآلَيْتُ لا عصرتُها، وآلَيْتُ لا جففتُها في شمسٍ، أو كما قال[1].

قال المصنف قلتُ: قد سبقَ في ذكرِ المرقعاتِ وصفُ هذه المَرقعةِ التي لابن الكرنبي وأنَّه وزَنَ أحد كمَّيها فكان فيه أحدَ عشرَ رطلًا[2]، وإنما ذَكر هذا للناسِ ليُبَيِّنَ أنهُ فعَلَ الحسنَ الجميل، وحكوه عنه لتَبْيين فضله وذلك جهلٌ محْضٌ؛ لأن هذا الرجلَ عصى الله ﷻ بما فعلَ، وإنما يُعْجِبُ هذا الفعلُ العوامَّ الحمقى لا العلماء.

ولا يجوزُ لأحدٍ أن يُعاقبَ نفْسَه فقد جمعَ هذا المسكينُ لنفسِه فنونًا من التعذيبِ: إلقاؤها في الماءِ الباردِ، وكونُهُ في مرقَّعةٍ لا يُمْكنهُ الحركةُ فيها كما يريدُ ولعلَّهُ قد بقيَ من مَغَابنِهِ ما لم يصِلْ إليهِ الماءُ لكثافةِ هذه المُرَقَّعةِ، وبقائِها عليه مبتَلَّةً شهرًا وذلك يمنعُهُ لذَّةَ النومِ وكُلُّ هذا الفعلِ خطأٌ وأثم.

• أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنَا حمدُ بن أحمد، قالا: أنبأَنَا أحمدُ بن عبد الله الأصبهاني، قال: كانَت أمُّ علي زوجةُ أحمد بن خضرويه قد أحلَّتْ زوجَهَا أحمد من صَدَاقِها على أن يزورَ بها **أبا يزيد البسطامي** فحمَلَها إليهِ فدخَلَتْ عليهِ وقَعَدَتْ بينَ يدَيْهِ مُسْفِرَةً عن وجهِها فلما خَرَجَتْ قالَ لها أحمدُ: رأيتُ منكِ عجبًا، أَسْفَرْتِ عن وجهِك بينَ يدي أبي يزيد. فقالتْ: لأني لَمَّا نظرتُ إليه فقدتُ حظوظَ نفسي، وكُلَّمَا نظرتُ إليك رجعتْ إليَّ حظوظَ نفسي. فلَّما أرادَ أحمدُ الخروجَ من عندِ أبي يزيد قال له: أوصني! قال: تعلم الفُتُوَّةَ من زوجتك[3]!

---

(١) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣.

(٢) ذكرها المؤلف في ذكر تلبيس إبليس عليهم في اللباس. وفي المحقق ٣/ ١١٣٩. وخبرها أخرجه الخطيب في تاريخه ١٤/ ٤١٣ والطوسي في اللمع ص١٩٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٤٢ وذكره الذهبي في السير ١١/ ٤٨٨.

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أنبأنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أنبأنا ابن باكويه، قال: سمعت أبا بكر الفازي - و«فاز» قرية بطوس - قال: سمعت أبا بكر السباك، قال: سمعت يوسفَ بنِ الحسينِ يقول: كانَ بينَ **أَحمَدَ بنِ أَبي الحَواريّ وبينَ أَبي سُليمانَ** عَقْدٌ أَنْ لا يخالِفَهُ في شيءٍ يأْمُرُهُ بهِ فجاءَهُ يومًا وهو في مجلسِه يتكلَّمُ، فقالَ: إِنَّ التنُّورَ قد سَجَّرْناهُ، فما تأْمُرُنا؟ فما أجابَهُ. فأعادَ مرَّةً أَو مرَّتينِ. فقالَ لهُ في الثالثةِ: اذْهَبْ واقْعُدْ فيهِ. ففعَلَ ذلك. فقالَ أبو سُليمان: الْحَقوهُ؛ فإِنَّ بيني وبينَه عقدًا أَنْ لا يُخالِفَني في شيءٍ آمُرُهُ بهِ. فقامَ وقاموا معهُ، فجاؤوا إِلى التنُّورِ فوجدوهُ قاعدًا في وسطِه، ولم يُصبه شيء فأَخَذَ بيدِه، وأقامَه منه، فما أَصابَهُ خَدْشٌ(١).

قال المصنِّفُ رحمه الله: قلت: هذه الحكايةُ بعيدةُ الصحةِ ولو صَحَّتْ، كانَ دخولُهُ في النارَ معصيةً، وفي الصحيحين من حديث عليٍّ رضي الله عنه قالَ: بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، واستعمَلَ عليهمْ رَجُلًا مِن الأنصارِ، فلمَّا خَرجوا؛ وَجَدَ عليهِم في شيءٍ، فقالَ لهُم: أَليسَ قد أَمَرَكُم رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تُطيعوني؟ قالوا: بلى. قالَ: اجْمَعوا حَطَبًا، فجَمَعوا، ثم دعا بنارٍ، فأَضْرَمَها فيه، ثم قالَ: عزمتُ عليكُم لَتَدْخُلُنَّها. قالَ: فهمَّ القومُ أَن يدخُلوها، فقالَ لهُم شابٌّ مِنهم: إِنَّما فرَرْتُم إِلى رسولِ اللهِ ﷺ مِن النارِ، فلا تَعْجَلوا حتى تَلْقَوُا النبيَّ ﷺ، فإِنْ أَمَرَكُم أن تدْخُلوا فادْخُلوها. فرَجَعوا إِلى النبيِّ ﷺ، فأَخبروهُ، فقالَ لهُم رسولُ اللهِ ﷺ: «**لو دَخَلْتُموها ما خَرَجْتُم منها أَبدًا، إِنَّما الطاعةُ في المعروفِ**»(٢).

---

(١) ذكر القصة القشيري في الرسالة ص٢٠٢ أو ٢/ ٤٣٥ والذهبي في تاريخ الإسلام وفيات ٢٤١-٢٥٠ ص٥٥ وفي السير ١٢/ ٩٣ ووصفها بأنها حكاية منكرة. ونقلها ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٨.

(٢) الحديث أخرجه البخاري رقم (٤٣٤٠) و رقم (٧١٤٥) و رقم (٧٢٥٧) ومسلم رقم (١٨٤٠) وأبو داود رقم (٢٦٢٥) والنسائي ٧/ ١٥٩ وفي الكبرى ٤/ ٤٣٤ وأحمد في المسند ١/ ٨٢، ٩٤، ١٢٤ وأبو داود الطيالسي في مسنده رقم (١٠٩) وابن حبان ١٠/ ٤٢٩.

• أخبَرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قالَ: أنا أحمد بن عليٍّ بنْ ثَابتْ، قالَ: نا أبو نعيم الحافِظ، قالَ: أخْبرني الحسَن بن جَعفر بن علي، قالَ: نا عبيد الله بنُ إبراهيمَ الجَزَريُّ، قالَ: قالَ: أَبو الخيرِ الدَّيْلَمِي: كنتُ جالسًا عندَ خيرٍ النَّسَّاجِ، فأَتتهُ امرأَةٌ، وقالتْ: أَعْطِني المنديلَ الذي دَفعْتُهُ إِليكَ. قالَ: نَعم. فدَفَعهُ إِليها. فقالتْ: كم الأُجرة؟ فقالَ: درهمانِ. قالتْ: مَا معيَ الساعةَ شيءٌ، وأَنا قد تردَّدْتُ إِليك مرارًا، فلم أَرَكَ، آتيكَ بهما غدًا إِنْ شاءَ الله. فقال لها: خيرٌ إِنْ أَتيْتِني بهما فلم تَريني فارْمي بهما في دِجْلَةَ؛ فإِنِّي إذا رجعتُ أخذتُهما. فقالتِ المرأَةُ: كيفَ تأْخُذُها مِن دجْلَةَ؟ فقالَ لها خيرٌ: هذا التفتيشُ فضولٌ منكِ، افْعَلي ما أَمرتُكِ. قالتْ: إِنْ شاءَ الله. فمرَّتِ المرأَةُ.

قال أبو الخير: فجئتُ مِن الغدِ، وكانَ خيرٌ غائبًا، وإذا المرأَةُ قد جاءَتْ ومعها خِرْقَةٌ فيها درهَمانِ، فلم تَر خيرًا فقعدت ساعة ثم قامت ورَمَتِ الخرقة وغاصت في دِجْلَةَ وإذا بسرطانٍ قد تعلَّقتْ بالخرقةِ وغاصتْ، وبعدَ ساعةٍ جاءَ خيرٌ، وفتحَ بابَ حانوتِه، وجلسَ على الشَّطِّ فإذا بسَرطانٍ خرجَتْ من الماءِ تسعى نحوَهُ، والخِرْقَةُ على ظهرِها، فلمَّا قَرُبَتْ مِن الشيخِ؛ أَخذَها، فقلتُ له: رأيتُ كذا وكذا! فقال: أُحِبُّ أَن لا تبوحَ بهِ في حياتي. فأَجبْتُه إلى ذلك[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله: قلت: صحَّةُ مثلِ هذا تبعُدُ، ولو صحَّ لم يخرُجَ هذا الفعل مِن مخالفةِ الشرعِ؛ لأنَّ الشرعَ قد أَمَرَ بحِفْظِ المالِ، وهذا إضاعةٌ، وفي الصحيحِ أَنَّ النبيَّ ﷺ: نهى عن إضاعةِ المالِ[2]، ولا التفات إلى قولِ من يقول هذا كرامةٌ؛ لأن الله عز وجل لا يُكْرِمُ مُخالفًا لشرعِه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٠٨ والخطيب في تاريخ بغداد ٢/ ٤٨.

(٢) تقدم تخرجه ص٦٠٤.

• أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت أبا الفرج الورثاني، يقول: سمعت عليَّ بن عبدِ الرحيمِ يقول: دخلتُ على النُّوريِّ ذات يوم فرأَيْتُ رجليهِ مُنْتَفِخَتَيْنِ، فسأَلْتُه عن أمرِه، فقال: طالَبَتْني نفسي بأَكلِ التمر، فجعلتُ أَدافِعُها، فتأْبى عليَّ، فخرجتُ، فاشتريتُ، فلمَّا أن أَكلتُ؛ قلت لها: قومي، حتى تصلِّي. فأَبَتْ عليَّ، فقلتُ للهِ عليَّ إِنْ قعدتُ إِلى الأرضِ أربعينَ يومًا إلا في التشهُّدِ، فما قعدتُ[1]!

قال المصنف: **قلت**: مَن يسمع هذا مِن الجهَّالِ يقولُ: ما أَحسنَ هذه المجاهَدَةَ! ولا يَدْري أَنَّ هذه الفعال لا تَحِلُّ؛ لأَنَّهُ حملٌ على النفسِ ما لا يجوزُ، ومنعُها حَقَّها مِن الراحةِ.

• وقد حكى أَبو حامدٍ الغَزَاليُّ في كتاب الإحياء قال: كانَ بعضُ الشيوخِ في بدايةِ إِرادتِه يكسَلُ عن القيامِ، فأَلْزَمَ نفسَهَ القيامَ على رأسِهِ طولَ الليلِ؛ لتَسْمَحَ بالقيامِ عن طوعٍ!

قالَ: وعالَجَ بعضُهُم حُبَّ المالِ بأَنْ باعَ جميعَ ما لَهُ، ورماهُ في البحرِ؛ إذ خافَ مِن تفرِقتِهِ على الناسِ رعونَةَ الجودِ، ورياءَ البَذْلِ.

قال: وكانَ بعضُهُم يستأْجِرُ مَن يشتُمُهُ على ملأٍ مِن الناسِ لِيُعَوِّدَ نفسَهُ الحِلْمَ! قالَ: وكانَ آخَرُ يركبُ البحرَ في الشتاءِ عندَ اضْطِرابِ الموجِ؛ ليصيرَ شُجاعًا[2].

قالَ المصنِّفُ رحمه الله: أعجَبُ مِن جميعِ هؤلاءِ عندي أبو حامدٍ؛ كيفَ حكى هذهِ الأشياءَ ولمْ يُنْكِرْها؟! وكيفَ يُنْكِرُها وقد أتى بها في مَعْرِضِ التعليمِ للمُريدين؟!

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٥١ وأبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ١٣٢.

(٢) انظر: الإحياء ٣/ ٦٢.

فقالَ قبْلَ أنْ يورِدَ هذه الحكاياتِ: ينبغي للشيخِ أَنْ يَنْظُرَ حالةَ المبتدئِ:

- فإِنْ رأَى معهُ مالًا فاضلًا عنْ قدرِ حاجتِه؛ أَخَذَهُ، فصرفَهُ في الخيرِ، وفرَّغَ قلبَهُ منهُ حتى لا يلتفِتَ إِليهِ.
- وإِنْ رأَى الكبر قد غَلَبَ عليهِ؛ أَمَرَهُ أَنْ يخرُجَ إِلى السوقِ وللكَدِّية[1] والسؤال، ويكلِّفَهُ المواظبَةَ على ذلك.
- فإِن رأَى الغالبَ عليهِ البطالةَ استَخْدَمَه في تعَهد بيتِ الماءِ، وتنظيفِه، وكَنْسِ المواضعِ القذرةِ، ومُلازمةِ المطبخِ، ومواضعِ الدُّخانِ.
- وإِنْ رأَى شَرَهَ الطعامِ غالبًا عليهِ؛ أَلزمَهُ الصومَ.
- وإِنْ رآهُ عَزَبًا ولم يكْسِرْ شهوتَهُ الصوم؛ أَمَرَهُ أَنْ يُفْطِرَ ليلةً على الماءِ دونَ الخُبْزِ، وليلةً على الخُبْزِ دونَ الماءِ، ومنعَهُ اللحمَ رأْسًا[2].

قالَ المصنف قلتُ: وإِنِّي لأعجَّبُ مِن أبي حامدٍ كيف يأْمُرُ بهذه الأشياءِ التي تُخالِفُ الشريعةَ؟!

وكيفَ يُحِلُّ لأحدٍ أن يقومَ على رأسِه طولَ الليلِ، فيعكِسَ الدماء إِلى وجهِهِ، ويورثُهُ ذلك مَرضًا قبيحًا.

وكيفَ يُحِلُّ رميَ المالِ في البحرِ، وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن إِضاعةِ المالِ!

وهل يَحِلُّ سَبُّ مسلمٍ بلا سببٍ؟ وهل يجوزُ للمسلمِ أَنْ يستأْجِرَ على ذلك؟!

---

(١) الكَدِّية: من الكَدِّ: وهو الشدّة فـي العَملِ وطَلَبُ الكسب. انظر: مختار الصحاح ص٢٣٥ واللسان ٣/ ٣٧٧.

(٢) انظر: الإحياء ٣/ ٦١-٦٢.

وكيفَ يجوزُ ركوبُ البحرِ زمانَ اضطرابِهِ، وذلك زمانٌ قد سَقَطَ فيهِ الخطابُ بأداءِ الحَجِّ[١].

وكيفَ يحلُّ السؤالُ لِمَن يقْدِرُ أَن يكْتَسِبَ؟!

فما أرخَصَ ما باعَ أَبو حامدٍ الفِقْهَ بالتَّصَوُّف!

• أنبأنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضل السهلكي، قال: أنا أبو علي عبد الله بن إبراهيم النيسابوري، قال: أنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم، قال: أنا أبو صالح الدَّامَغانيِّ عن الحَسَنِ بنِ عليٍّ الدَّامَغانيِّ، قالَ: كانَ رجلٌ مِن أَهلِ بِسْطام لا ينقطعُ عن مجلسِ أَبي يزيدَ ولا يفارِقُهُ، فقالَ لهُ ذاتَ يومٍ: يا أُستاذُ أَنا منذُ ثلاثينَ سنةً أَصومُ الدهرَ، وأَقومُ الليلَ، وقد تركتُ الشهواتِ، وليس أَجدُ في قلبي مِن هذا الذي تذكُرُهُ شيئًا أَلبَتَّة! فقالَ لهُ أبو يزيدَ: لو صُمْتَ ثلاثَمائة سنةٍ، وقُمْتَ ثلاثَمائة سنةٍ، وأَنْتَ على ما أَراكَ؛ لا تجدُ مِن هذا العلمِ ذَرَّةً.

قال: ولِمَ يا أُستاذُ؟ قالَ: لأَنَّكَ محجوبٌ بنفسِكَ. فقالَ لهُ: أَفلهذا دواءٌ حتى ينكشِفَ هذا الحجابُ؟ قالَ: نعم، ولكنَّكَ لا تَقْبَل ولا تعمل. قال: بلى، أقبلُ وأعملُ ما تقولُ. قالَ أبو يزيدَ: اذْهَبِ الساعةَ إلى الحَجَّام احلُق لحيَتَكَ ورأْسَكَ، وانْزَعْ عنكَ هذا اللباسَ، واتّزر بعباءةٍ، وعلِّقْ في عُنُقِكَ مِخلاةً[٢]، واملأها جَوْزًا، واجمَعْ حولَك صِبيانًا، وقُلْ بأَعلى صوتِك: يا صبيانُ، مَن صفَعَني صفعةً أعطيتُهُ

---

(١) وهذا ماقرره فقهاء الإسلام فإذا كان الغالب على البحر الهلاك لم يجب عليه السعي إلى الحج إجماعًا. انظر في بيان هذه المسألة: الإنصاف للمرداوي ٣/ ٤٠٦ والفروع ٣/ ١٧٣ والمبدع ٣/ ٩٧ وشرح العمدة ٢/ ١٥٩ وكشاف القناع ٢/ ٣٩١ والأم ٢/ ١٢٠ وإعانة الطالبين ٢/ ٢٨٣ والإقناع للشربيني ١/ ٢٥٢ والمجموع ٧/ ٥١-٥٣ والمهذب ١/ ١٩٧ وروضة الطالبين ٣/ ٨ وشرح فتح القدير ٢/ ٤١٨.

(٢) المِخْلاةُ: ما يُجعل فيه الخَلَى وهو الرطب من الحشيش. انظر: مختار الصحاح ص ٧٩ واللسان ١٤/ ٢٤٣.

جوزةً، وادْخُلْ إلى سوقِكَ الذي تُعَظَّمُ فيهِ! وينظر إليك كل من عرفك على هذه الحال.

فقالَ: يا أبا يزيدَ سُبحانَ اللهِ، تقولُ لي مثلَ هذا، ويَحْسُنُ أَنْ أَفعَلَ مثل هذا؟! فقال أبو يزيد: قولُكَ: سُبحانَ اللهِ شِرْكٌ! قالَ: وكيفَ؟ قالَ أبو يزيد: لأَنَّكَ عَظَّمْتَ نفسكَ، فسَبَّحْتَها! فقالَ: يا أَبا يزيدَ، هذا ليس أَقْدِرُ عليهِ، ولا أَفعَلُهُ، ولكنْ دُلَّني على غيرِهِ حتى أَفعَلَهُ. فقالَ له أبو يزيدَ: ابتدئ بهذا قبل كُلِّ شيءٍ حتى يُسْقِطَ جاهَكَ، وتُذِلَّ نفسَكَ، ثم بعدَ ذلك أُعَرِّفُكَ ما يصلُحُ لك. قالَ: لا أُطيقُ هذا. قالَ: إِنَّكَ لا تقبلُ[1].

قالَ المصنِّفُ رحمه الله **قلتُ**: ليس في شرْعِنا -بحمدِ اللهِ- مِن هذا شيءٌ، بل فيهِ تحريمُ ذلك، والمنعُ منهُ، وقد قالَ نبيُّنا عليه الصلاة والسلام: «**ليس للمؤمنِ أن يُذِلَّ نفسَهُ**»[2]، وقدْ فاتَتِ الجمعةُ حذيفةَ، فلقي الناسَ راجعينَ، فاسْتَتَرَ؛ لئلَّا يُرَى بعينِ التقصير في قصد الصلاةِ[3]! وهلْ طالَبَ الشرعُ أَحدًا بمحْوِ أَثرِ النفسِ؟! وقدْ قالَ

---

(١) أخرجه السهلكي في النور من كلمات أبي طيفور ص١١٢ وذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب ٢/ ٧٤-٧٥ والغزالي في الإحياء ٤/ ٣٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٢٥٤) وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه رقم (٤٠١٦)، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٠٥ وابن حبان في الثقات ٨/ ٤٨١ وابن عدي في الكامل في الرجال ٥/ ٥٤ و٦/ ٣٠٥، جميعهم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. والحديث ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (٦١٣) وفي صحيح الجامع رقم (٧٦٧٤) وفي صحيح ابن ماجه رقم (٣٢٤٣) وقال: حسن. وفي صحيح الترمذي رقم (١٨٣٨) وقال: صحيح.

(٣) روي مثل هذا عن عمر في قصة إخراج الرسول ﷺ للمنافقين من المسجد فيما رواه الطبراني في الأوسط ١/ ٢٤٢ وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٣٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي وهو ضعيف. وأخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ١٦١ أيضًا عن أنس رضي الله عنه. وقال عنه في المجمع ٨/ ٢٧: وفيه جماعة لم أعرفهم. ونحوه أخرج عبد الرزاق ٣/ ٢٣٢ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه. وما روي عن حذيفة فهو ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٢٣٢.

ﷺ: «مَنْ أتى شيئًا من هذه القاذوراتِ فَلْيَسْتَتِرْ بسترِ الله»[(١)].

كُلُّ هذا للإبقاءِ على جاهِ النفسِ، ولو أَمَرَ بهلولُ الصبيانَ أَنْ يَصْفَعوهُ؛ كانَ قبيحًا! فنعوذُ باللهِ مِن هذه العقولِ الناقصةِ التي تُطالِبُ المبتدئَ بما لا يرضاهُ الشرعُ فينْفُرُ.

• وقدْ حكى أبو حامدٍ في كتاب الإحياءِ عن يحيى بن مُعاذٍ أنه قالَ: قلتُ لأبي يزيدَ: هلَّا سأَلتَ الله تعالى المعرفةَ؟! فقالَ: عَزَّتْ عليهِ أَنْ يُعَرِّفه سواهُ[(٢)].

قالَ المصنف رحمه الله: **قلتُ**: هذا إِقرارٌ بالجهلِ، وإِنْ كانَ يُشيرُ إِلى معرفةِ الله تعالى في الجُملةِ، فإِنَّهُ موجودٌ وموصوفٌ بصفاتٍ، فهذا لا يسَعُ أَحدًا مِنَ المسلمينَ جَهْلُهُ، وإِنْ تخايَلَ لهُ أَنَّ معرفتَهُ هي اطِّلاعٌ على حقيقةِ ذاتِه وكُنْهِهَا؛ فهذا جهْلٌ بهِ.

• وحكى أبو حامدٍ: أَنَّ أَبا تُرابٍ **النَّخْشَبِيَّ** قالَ لمريدٍ لهُ: لو رأَيْتَ أَبا يزيدَ مرةً واحدةً كانَ أَنْفَعَ لكَ مِن رؤيَةِ الله سبعينَ مرةً[(٣)]!

قالَ المصنف رحمه الله: **قلتُ**: وهذا فوقَ الجُنونِ بدَرَجاتٍ!

• وحكى أبو حامدٍ عن ابنِ الكُرَنبي أَنَّه قالَ: نَزَلْتُ في محلَّةٍ، فعُرِفْتُ فيها بالصلاحِ، فتَشتت قلبي، فدخلْتُ الحَمَّامَ، وعيَّنْتُ على ثيابٍ فاخرةٍ، فسرقتُها،

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٢٥ مرسلًا. وقال الشافعي في الأم ٦/ ١٤٥: هذا حديث منقطع. وقال في موضع آخر في الأم ٦/ ١٣٨: حديث معروف عندنا، وهو غير متصل الإسناد فيما أعرف. ولعل مرادهما بذلك من حديث مالك. كما أشار إليه الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/ ٥٧ وإلا فالحديث قد روي مسندًا عن ابن عمر رضي الله عنهما، كما في المستدرك ٤/ ٢٤٤، و٤/ ٣٨٣ ومرسلًا عن عبد الله بن دينار كما في مصنف عبد الرزاق ٧/ ٣١٩ و٣٢٣ وذكر الحديث الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١٤٨)، والأحاديث الصحيحة رقم (٦٦٣) وقال: صحيح.

(٢) انظر: الإحياء ٤/ ٣٥٦.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٥٦ وقوت القلوب ٢/ ٧٠.

فلبستُها، ثم لبستُ مرقَّعتي فوقها، فخرجتُ فجعلتُ أَمشي قليلًا قليلًا، فلَحِقوني، فنـزعوا مرقَّعَتي، فأخذوا الثيابَ، وصَفَعوني، وأوجعوني ضربًا فصِرْتُ بعدَ ذلك أُعْرَفُ بلصِّ الحَمَّامِ! فسَكَنَتْ نَفْسي[1].

قالَ أَبو حامدٍ: فهكذا كانوا يُرَوِّضُونَ أنفسَهم حتى يُخَلِّصهُم الله مِن النظرِ إلى النفس[2]!

قالَ: وأربابُ الأحوالِ ربَّما عالَجوا أَنفُسَهُم بما لا يُفْتي بِهِ الفقيهُ؛ مهما رأَوْا صلاحَ قلوبِهم ثم يتدارَكونَ ما فرَّطَ من صورة التقصيرِ، كما فَعَلَ هذا في الحَمَّامِ[3].

قالَ المصنف رحمه الله: **قلتُ**: سُبحانَ مَن أَخْرَجَ أَبا حامدٍ مِن دائرةِ الفقهِ بتصنيفهِ كتابَ الإحياءِ! فَلَيْتَهُ لم يَحْكِ فيهِ مثلَ هذا الذي لا يَحِلُّ والعَجيب أَنَّه يَحْكيهِ ويستحْسِنُهُ، ويُسمِّي أَصحابَهُ أَربابَ أحوال، وأَيُّ حالٍ أَقبحُ منْ حالِ مَنْ خَالف الشرعَ ورأى المصلحَةَ في المنهي عنهُ؟! وكيفَ يجوزُ أَنْ يُطْلَبَ صلاحُ القلوبِ بفعلِ المعاصي؟! أَوَقد عُدِمَ في الشريعةِ ما يصلحُ بِه القلبُ حتى يستعملَ ما لا يَحِلُّ فيها؟!

وهذا مِن جنسِ ما يفعلُهُ الجهلَةُ مِن قطعِ مَن لا يجبُ قطْعُهُ، وقتْلِ منْ لا يجوزُ قتْلُهُ، ويُسَمُّونَه سياسةً، ومضمونُ ذلكَ أَنَّ الشريعةَ ما تفي بالسياسةِ!

وكيفَ يحِلُّ للمُسلمِ أَنْ يُعَرِّضَ نفسهُ لأنْ يُقالَ عنهُ: سارِقٌ؟! وهل يجوزُ أَنْ يَقْصِدَ وَهَنَ دينِه، أومَحْوَ جاهه عندَ شُهداءِ الله في الأرض؟! ولو أَنَّ رجلًا وقفَ مع امرأَتِهِ في طريقٍ يُكَلِّمُها ويلمسُها؛ لِيقَالَ عنهُ: هذا فاسقٌ، كانَ عاصيًا بذلك.

---

(١) الإحياء ٤/ ٣٥٨ وأشار إليها أيضًا في ٣/ ٢٨٨ وذكرها أبو طالب المكي في قوت القلوب ٢/ ٧٤ وعزاها إلى مجهول.

(٢) الإحياء ٤/ ٣٥٨.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٨٨. وفيه: مهما رأَوْا إصلاحَ قلوبِهم فيه.

ثم كيفَ يجوزُ التصرُّفُ في مالِ الغيرِ بغيرِ إِذْنِهِ؟! ثم في نصِّ مذهبِ أَحمدَ والشافعيِّ: أَنَّ مَن سرقَ مِن الحَمَّامِ ثيابًا عليها حافِظٌ، وجَبَ عليه قطعُ يدِهِ[١]، ثمَّ مَن أَربابُ الأحوالِ حتى يَعْمَلوا بواقعاتِهم؟!

كَلَّا واللهِ، لنا شريعةٌ لو رامَ أَبو بكرٍ الصِّدِّيقُ أَنْ يَخْرُجَ عنها إِلى العملِ بِرأْيِهِ؛ لم يُقْبَلْ منهُ، فعَجَبي مِن هذا الفقيهِ المُستَلب عن الفقهِ بالتصوُّفِ أَكثرَ مِن تعجبي من هذا المُتسلبِ للثياب!

• أَخبرنَا أَبو بكْر بن حَبيب، قالَ: نا أَبو سَعْد بن أَبي صَادِق، قالَ: نا بن باكويه، قالَ: سَمِعتُ محمد بن أَحمدَ النَّجَّارِ، يقولُ: كانَ **عليُّ بنُ بابَوَيْهِ** مِن صوفيةِ الري، فاشترى يومًا قطعةً مِن لحمٍ، فأَحبَّ أَن يحْمِلَهُ إِلى البيتِ، فاسْتَحْيا مِن أَهلِ السُّوقِ، فعلَّقَ اللحمَ في عُنُقِهِ، وحَمَلهُ إِلى بيتِه[٢].

قالَ المصنف: قلتُ: واعجَبًا مِن قوم طالَبوا أَنْفُسَهُم بمحوِ أَثرِ الطبعِ، وذلك أَمرٌ لا يُمكِنُ، ولا هُو مرادُ الشرعِ، وقدْ رُكِّزَ في الطِّباعِ أَنَّ الإِنسانَ لا يُحِبُّ أَنْ يُرى إِلا متجَمِّلًا في ثيابِه، وأَنه يَستَحْيي مِن العُرْيِ وكشفِ الرأْسِ، والشرعُ لا يُنكِرُ عليهِ هذا.

وما فعَلَهُ هذا الرجلُ مِن الإِهانةِ لنفسِه بينَ الناسِ أَمرٌ قبيحٌ في الشرعِ والعقلِ، فهو إِسقاطُ مروءةٍ لا رياضةٌ، كما لو حَمَلَ نعليهِ على رأْسِهِ، وقد جاء في الحديث: «**الأَكلُ في السُّوق دَنَاءةٌ**»[٣]، وإِنَّ الله سبحانه قد أَكرمَ الآدَمِيَّ، وجَعَلَ لكثيرٍ مِن

---

(١) انظر في أقول الفقهاء في هذه المسألة: الإنصاف للمرداوي ١٠/ ٢٧٢ والمبدع ٩/ ١٢٨-١٢٩ والمغني ٩/ ١٠٠ والمهذب ٢/ ٢٧٩ وروضة الطالبين ١٠/ ١٤١

(٢) أخرج نحوها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٤٠٨.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٧٩٧٧) وابن عدي في الكامل ٥/ ١٠ عن أبي أمامة ﷺ وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٥ وقال: وفيه عمر بن موسى ابن وجيه وهو ضعيف. انظر: التقريب ص١٤٠. وأخرجه عن أبي هريرة ﷺ ابن عدي في الكامل ٢/ ٨٠ ٦/ ١٣٨ والذهبي في السير ١٦/ ٥٤٢ وقال ⟵

الناسِ مَن يخْدِمُهُ، فليسَ مِن الدينِ إذلالُ الرجلِ نفسَهُ بينَ الناس.

وقد تسمَّى قومٌ مِن الصوفيةِ بالملامَتيَّةِ[١] فاقْتَحَموا الذنوبَ، وقالوا: مقصودُنا أَنْ نَسْقُطَ مِن أَعْيُنِ الناسِ، فنسلَمَ مِن آفاتِ الجاهِ. وهؤلاءِ مثَلُهُم كَمَثَلِ رجُلٍ زنى بامرأَةٍ، فأَحْبَلَها، فقيلَ لهُ: لِمَ لمْ تعْزِلْ؟ فقالَ: بلَغَني أَنَّ العزلَ مكروهٌ! فقيلَ لهُ: وما بَلَغَكَ أَنَّ الزنا حرامٌ؟!

وهؤلاءِ الجَهَلَةُ أَسقطوا جاهَهُم عندَ اللهِ سبحانَه، ونَسَوا أَنَّ المسلمينَ شُهداءُ اللهِ في الأرضِ[٢].

● أخبرنا ابن حبيب، قالَ: نا ابن أبي صادق، قالَ: نا ابن با كويه، قالَ: سمعتُ أبا أحمد الصغير، يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف، يقول: سمعت المدني يقول: خرجتُ مرةً مِن بغداد إلى نهر الياسرية، وكان في ذلك النهر رجلٌ يميلُ إلى أصحابنا، فَبَيْنَا أنا أمشي على شاطئ النهر رأيتُ مرقعة مطروحة ونعلًا وخريقة فجمعتها، وقلتُ: هذه لفقيرٍ، ومشيتُ قليلًا فسمعت همهمةً وتخبطًا في الماء، فنظرتُ فإذا بأبي

بعده: روي في ذلك آثار ولا يثبت منها شيء. وبيَّن ضعفه أيضًا الحافظ في لسان الميزان ٣/ ٤٤٦ والألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٢٢٩٠).

(١) في (م)، وفي (ت): بالملامية.

الملامتية أو الملامية: طائفة شيخها: عبدالله بن منازل واتفقت الطائفة على أن من أطلع الناس على حاله مع الله فقد دنس طريقته إلا لحجة أو حاجة أو ضرورة. ولهم طريقة معروفة من حيث العمل: في إسقاط أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وذلك بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية إذ اقتحموا الفواحش لأجل إسقاط أنفسهم من أعين الناس زعموا. انظر: مدارج السالكين ٢/ ٤٦١ وإغاثة اللهفان ١/ ١١٨ وإحياء علوم الدين ٣/ ٢٨٨ وشرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٧١ ومصرع التصوف ص٢١١.

(٢) كما في حديث أنس بن مالك ﷺ في البخاري رقم (١٣٦٧) ومسلم رقم (٩٤٩).

الحسين النوري قد طرح نفسه في الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كُلَّ بلاء، فلما رأيته علمتُ أَنَّ الثيابَ له، فنـزلت إليه فنظر إِلَيَّ، وقال: يا أبا الحسن، أما ترى ما يعمل بي؟ قد أماتني موتات ويقول لي: ما لكَ منَّا إِلا الذكر الذي لسائر الناس. وأخذ يبكي ويقول: ترى ما يفعل بي؟ فما زلتُ أرْفُقُ به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل.

فأقمنا عنده إلى العصر، ثم خرجنا إلى المسجد، فلما كان وقت المغرب رأيتُ الناسَ يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا: السباعُ تدخل القريةَ بالليل.

وكان حوالي القرية أَجَمَةٌ عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين، فلما سمع النوري هذا الحديث قام فرمى بنفسه في الأجمة على أصول القصب المقطوع ويقول: أين أنت يا سبع؟ فما شَكَكْنَا أَنَّ الأسدَ قد افترسه أو قد هلك في أصول القصب، فلما كان قريب الصبح، جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه، فأخذنا بالمنقاش ما قدرنا عليه فبقي أربعين يومًا لا يمشي على رجليه.

فسألته: أي شيء كان ذلك الحال؟ قال : ذكروا السبع فوجدتُ في نفسي فزعًا، فقلتُ: لأطْرَحَنَّكِ إلى ما تَفْزَعِينَ منه[1].

قالَ المصنف: **قلتُ**: لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع في الماء والطين، وكيف يجوز للإنسان أن يلقي نفسه في ماء وطين؟ وهل هذا إلا فعال المجانين؟!

(١) أخرج نحو هذا القصة ودخول أبي الحسن النوري إلى أجمة قصب. الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ١٣٥ وذكرها الغزالي في الإحياء ٢/ ٢٩١ و٤/ ٣٠٧.

وأين الهيبة والتعظيم من قوله: ترى ما يفعل بي؟ وما وجه هذا الانبساط؟ وينبغي أنْ تجفَّ الألسنُ في أفواهِهَا هَيْبَةً، ثمَّ الذي يُرِيدُ غير الذِّكْرِ؟

ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع.

وهل يجوز في الشرع أن يلقي الإنسان نفسه إلى سَبُع؟ أترى أراد منها أن يغير ما طُبِعَتْ عليه من خوفِ السباع؟ ليس هذا في طَوْقِها ولا طَلَبَهُ الشرعُ منها. ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول، فأجابه بأجود جواب.

• أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب، قال: نا علي بن أبي صادق، قال: أخبرنا ابن باكويه، قال: أخبرنا أبو يعقوب الخراط، قال: أخبرنا أبو أحمد المغازلي، قال: رأيت النوري وقد جعل رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول: من الخَلْقِ أوحَشْتَنِي، ومن النفس والمال والدنيا أفقرتني. ويقول: ما معك إلا علم وذكر. قال: فقلتُ له: إن رضيتَ وإلا فانطحْ برأسك الحائط[1].

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني، قال: أخبرنا سهل بن علي الخشاب، قال: نا عبد الله بن علي السراج، قال: سمعت أبا عمرو بن علوان يقول: حمل أبو الحسين النُّوريُّ ثلاثمائةِ دينارٍ ثَمَنَ عقارٍ بيعَ لهُ، وجَلَسَ على قنطرةٍ وجَعَلَ يَرْمي واحدًا واحدًا منها إلى الماءِ، ويقولُ: حبيبي تريد أن تَخْدَعني منك بمثلِ هذا!

قال السَّرَّاجُ: فقالَ بعضُ الناسِ: لو أَنْفَقَها في سبيلِ الله كانَ خيرًا لهُ! فقلتُ: إِنْ عَلِمَ أن تلكَ الدَّنانيرُ تشغلُهُ عن اللهِ طرفةَ عينٍ؛ كانَ الواجبُ أَنْ يرمِيَها في الماءِ دفعةً واحدةً، حتى يكونَ أَسرع لِخلاصهِ مِن فتْنَتِها؛ كما قالَ الله ﷻ: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣][1]

قال المصنف قلتُ: لقد أبانَ هؤلاءِ القومُ عن جهلٍ بالشرعِ، وعدَمِ عقلٍ، وقد بيَّنَّا فيما تقدَّمَ أَنَّ الشرعَ أَمَرَ بحفْظِ المالِ، وأَنْ لا يُسَلَّمَ إلا إِلى رشيدٍ، وجَعَلَهُ قِوامًا للآدميِّ، والعقلُ يشهدُ بأَنَّهُ إِنَّما خُلِقَ للمصالحِ فإذا رمى بِهِ الإنسانُ؛ فقد أَفسدَ ما هُو سببُ صلاحِه، وجَهِلَ حِكْمَةَ الواضعِ ، واعتذارُ السرَّاجِ لهُ أَقبَحُ مِن فعُلِهِ؛ لأَنَّه إِنْ كانَ خافَ فتنة؛ فينبغي أَنْ يرمِيَهُ إلى فقيرٍ ويتخلَّصَ.

ومِن جهلِ هؤلاءِ حملُهُم تفسيرَ القرآنِ على آرائهم الفاسدة؛ لأَنَّه يحتجُّ بمسحِ السوقِ والأعناقِ، ويظنُّ بذلك جوازَ الفسادِ، والفسادُ لا يجوزُ في شريعةٍ وإنَّما مَسَحَ بيدِه عليها، وقالَ: أَنْت في سبيلِ اللهِ. وقد سبق بيان هذا[2].

• قالَ: أبو نصرٍ السَّرَّاجُ في كتاب اللُّمع[3]: قالَ **أبو جعفرٍ الدَّرَّاجُ**: خرج أُستاذي يومًا يتطهَّرُ، فأَخذتُ كِنْفَهُ، ففتَّشْتُهُ، فوجدتُ فيهِ شيئًا، مِن الفضَّةِ مِقدارَ

(١)أخرجه الطوسي في اللمع ص ٤٩٣ وأشار إليه ص٢٥٧.

(٢) في المحقق ٣/ ١٢٣٧. وقد اختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان ﷺ بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها: وما ذكره المؤلف أحد الأقوال في الآية. وقال بعضهم: معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها من قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه. وهذا القول مروي عن: قتادة والحسن والسدي. وقال آخرون: بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبًا لها. وهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن جرير الطبري عقب قول ابن عباس رضي الله عنهما: وهو أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله ﷺ لم يكن - إن شاء الله - ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالًا من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. وقال ابن كثير: وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبًا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله ﷻ ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل. انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٦ وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٥ وزاد المسير ٧/ ١٣٠.

(٣) اللمع ص٢٥٨ وذكرها السهروردي في عوارف المعارف ص٣٧٥.

أَربعةِ دراهمَ، وكانَ ليلًا، وباتَ لم يأْكُلْ شيئًا، فلمَّا رجَعَ قلتُ لهُ: في كِنْفِكَ كذا ونحنُ جِياعٌ. فقال: أَخذتَهُ؟ رُدَّهُ. ثم قالَ لي بعدَ ذلك: خُذْهُ واشْتَرِي بهِ شيئًا. فقلتُ: بحقِّ معبودِكَ ما أَمْرُ هذه القطع؟ فقالَ: لم يَرْزُقْني الله مِن الدُّنيا شيئًا غيرَها، فأَردتُ أَنْ أُوصِيَ أَنْ تُدْفَنَ معي، فإِذا كانَ يومُ القيامَةِ؛ ردَدْتُها إلى اللهِ، وأقول هذا الذي أَعطيْتَني مِن الدنيا!

• أخبرنا ابن حبيب، قال: نا ابن أبي صادق، قال: نا ابن باكويه، قال: نا عبد الواحد بن بكر، قال: سمعت أبا بكر الجوال، سمعت أبا عبد الله الحُصْري، يقول: مكثَ أَبو جعفرٍ الحدَّادُ عشرينَ سنةً يعملُ كُلَّ يومٍ بدينارٍ، وينفقُهُ على الفُقراءِ، ويصومُ، ويخرُجُ بينَ العشاءَيْنِ، فيتصدَّقُ مِن الأبوابِ ما يُفطِرُ عليهِ[١].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: لو علمَ هذا الرجلُ أَنَّ المسأَلَةَ والصدقة لا تجوزُ لِمَن يقْدِرُ على الاكتسابِ لم يَفْعَلْ، ولو قدَّرْنا جوازَها، فأَيْنَ أَنَفَةُ النفوسِ مِن ذُلِّ الطلبِ؟!

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: أنا إسماعيل، قال: أنا معمر، عن عبد الله بن مسلم أخي الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزالُ المسأَلَةُ بأَحدِكُم حتى يَلْقى الله عز وجل وليسَ على وجهه مُزْعَةُ لحمٍ**»[٢].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ١١٣ وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٢ وأخرج نحوه السُلمي أيضًا في كتاب الفتوة ص٢٨٣ وكتاب جوامع آداب الصوفية ص٣٥٩ وهما ضمن مجموع مؤلفاته.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٥، ٨٨ والبخاري رقم (١٤٧٤) ومسلم رقم (١٠٤٠). وأخرجه النسائي ٥/ ٩٤ وفي الكبرى ٢/ ٥٠.

قال أحمد: وحدثني حفص بن غِياث، عن هشام، عن أبيه، عن الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لأنْ يحمل الرجلُ حبلًا فيحْتَطِبَ، ثم يَجيءَ فيضعَهُ في السوقِ، فيبيعَهُ ثم يَسْتَغْنِيَ بِهِ، فيُنْفِقَهُ على نفسِه، خيرٌ لهُ مِن أَنْ يسأَلَ الناسَ: أَعطَوْهُ أَو منعوهُ**»[1]. انفرد بإخراج هذا الحديث البخاري واتفقا على الذي قبله.

وفي حديث عبد الله بنِ عَمْرو عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قالَ: «**لا تَحِلُّ الصدقةُ لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّةٍ سوي**»[2].

والمِرَّةُ: القُوَّةُ، وأَصلُها مِن شدَّةِ فتْلِ الحبلِ، يقالُ: أَمرَرْتُ الحبلَ إِذا أَحْكَمْتُ فتْلَهُ، فمعنى المِرَّة في الحديثِ: شدَّةُ أَسْرِ الخَلْقِ[3]، وصحَّةُ البدَنِ التي يكونُ معها

والمزْعة: بضم الميم وحكى كسرها وسكون الزاي بعدها: القطعة من اللَّحم وهذا يحتمل: أن يكون المراد أنه يأتي ذليلًا ساقطًا لا قدر له ولا جاه. أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه ويكون عظمًا إمَّا لمشاكلة العقوبة في مواضع الجناية من الأعضاء؛ لكونه أذل وجهه بالسؤال وإمَّا أن يكون ذلك علامةً له وشعارًا يعرف به. والأخير هو الصحيح؛ إذ إنه حمل للفظ على ظاهره. انظر: أعلام الحديث للخطابي ٢/ ٨٠٢ ومشارق الأنوار ١/ ٣٧٨ وفتح الباري ٣/ ٣٣٩.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٦٤، ١٦٧ والبخاري رقم (١٤٧١) رقم (٢٠٧٥) ورقم (٢٣٧٣) وابن ماجه رقم (١٨٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود رقم (١٦٣٤) والترمذي رقم (٦٥٢) وقال: هذا حديث حسن. وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٣٢٩ والدارمي ١/ ٤٧٢ والإمام أحمد في المسند ٢/ ١٦٤، ١٩٢، ورقم (٦٥٣٠، ٦٧٩٨)، وقال عنه محقق المسند العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، ثم كتب فيه تحقيقًا نفيسًا، فليراجع، وقد ثبت الحديث بهذا اللفظ أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ بإسناد صحيح على شرط الشيخين رواه أحمد رقم (٨٨٩٥، ٩٠٤٩) والنسائي ١/ ٣٦٣. وابن ماجه ١/ ٢٨٩. وذكره الألباني في إرواء الغليل رقم (٨٧٧)، وصحيح الجامع الصغير رقم (٧١٢٨)، وصحيح أبي داود رقم (١٤٣٩)، وصحيح الترمذي رقم (٥٢٧)، وتخريج المشكاة رقم (١٤٤٤) وقال: صحيح.

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨]. أي: خلقهم. يقال: رجل مأسور ومأْطور: شديدُ عَقْد المفاصِل والأَوصال، ويقال: فلانٌ شديدُ أَسْرِ الخَلْقِ إذا كان معصوب الخَلْق غيرَ مُسْترخٍ. انظر: مختار الصحاح ص ٧ واللسان ٤/ ١٩.

احتمالُ الكَدِّ والتعبِ[١].

قالَ الشافعيُّ رحمه الله: لا تَحِلُّ الصدقةُ لَمن يجدُ قوَّةً يقدرُ بها على الكَسْبِ[٢].

• أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أنبأنا أبو سعد الماليني، قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمي، قال: سمعت أبا الحَسَنِ يونُس بنِ أَبي بكرٍ **الشبْليَّ**، يقول: قامَ أَبي ليلةً، فتركَ فَرْدَ رِجْلٍ على السَّطْحِ، والآخر على النادر[٣] فسمعته يقول: لئنْ أَطْرَفْتِ لأرمينَّ بكِ إِلى الدَّارِ، فما زالَ على تلكَ الحالِ، فلما أَصبَح؛ قالَ لي: يا بُنيَّ! ما سمعتُ الليلةَ ذاكِرًا للهِ عز وجل إلا ديكًا يُساوي دانَقَيْنِ[٤].

قال المصنِّفُ رحمه الله: **قلت**: هذا الرجلُ قد جمع بينَ شيئينِ لا يجوزانِ:

أحداهما: مخاطرتُه بنفسِه، فلو غَلبَه النومُ، فوقعَ؛ كانَ مُعينًا على نفسِه، ولاشكَّ لو رمى نفسهِ كانَ قد أَتى معصيةً عظيمةً، فتعرُّضُهُ للوقوعِ معصيةٌ.

والثَّاني: أَنَّهُ منعَ نفسَه حَظَّها مِن النومِ، وقد قالَ ﷺ: «**إِنَّ لِجَسَدِكَ عليكَ حقًا**»[٥]،

---

(١) انظر في كلام المؤلف في معنى المِرَّة: معالم السنن للخطابي ٢/ ٥٤. فهو كأنه منقول منه.

(٢) انظر: الأم ٢/ ٧٣ قال الخطابي: قد اختلف الناس في جواز الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب فقال الشافعي: لا تحل له الصدقة وكذلك قال إسحاق بن راهويه وأبو عبيد وقال أصحاب الرأي: يجوز له الصدقة إذا لم يملك مائتي درهم فصاعدا. معالم السنن ٢/ ٥٤ وانظر: عون المعبود ٥/ ٣٠.

(٣) النادر: الظاهر من الشيء ومراده ما ظهر من سطح الدار. انظر: النهاية ١/ ٤٠٣ والقاموس المحيط ص٢١٢.

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٥٣.

(٥) أخرجه البخاري رقم (١٩٧٥)، و رقم (١٩٧٧)، و رقم (١١٥٣)، و رقم (٥١٩٩)، و رقم (٦١٣٤) ومسلم رقم (١١٥٩) وأبو داود بنحوه رقم (٢٤٣٢) والنسائي ٤/ ٢١١، ٢١٥ وفي الكبرى ٢/ ١٢٨ ١٧٦ والإمام أحمد في المسند ٢/ ١٩٤، ١٩٨، ١٩٩ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وقالَ: «**إِذا نعِسَ أَحدُكُم فليَرْقُدْ**»[١]، ومرَّ بحبلٍ قد مَدَّتْهُ زينبُ، فإذا فَتَرَتْ أَمسكَتْ أَمسكَتْ بهِ، فأَمَرَ بحلِّهِ، وقالَ: «**لِيُصَلِّ أَحدكم نشاطَهُ، فإذا كَسِلَ أَو فتَرَ فلْيَقْعُدْ**»[٢]، وقد سبقت هذه الأحاديث في كتابنا هذا[٣].

● أخبرنَا محمد بن ناصر، قالَ: أخبرنا أبو عبد الله الحميدي، قالَ: أخبرنا أبو بكر أردستاني، قالَ: أنا أبو عبد الرحمن السلمي، قالَ: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: كنَّا نصحب أبا الحسن بن أبي بكر الشبلي ونحنُ أحداث، فأضافنا ليلةً فقلنا: بشرطِ لا تُدْخِل علينا أبوكَ، فقال: لا يدخل. فدخلنا داره، فلما أكلنا إذا نحن بالشبلي وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة - ثمان شموع -، فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه، فقال: يا سادتي عُدُّوني فيما بينكم طَسْتَ شمع، ثم قالَ: أين غلامي أبو العباس؟ فتقدمت إليه فقال غَنِّنِي الصوتَ الذي كنت تغني به:

وَلَمَّا بَلَغَ الحِيرَةَ ** حادي جَمَلي حَارا
فقلتُ احطُطْ بها رحلي ** ولا تحفِلْ بمن سَارا

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج[٤].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﷺ رقم (٢١٢) ومسلم رقم (٧٨٦) وأبو داود رقم (١٣١٠) والترمذي رقم (٣٥٥) والنسائي ١/ ٩٩، ١٠٠. وابن ماجه رقم (١٣٧٠) ومالك ١/ ١١٨ وأحمد في المسند ٦/ ٢٠٢.

(٢) أخرجه عن أنس بن مالك. البخاري رقم (١١٥٠) ومسلم رقم (٧٨٤) وأبو داود رقم (١٣١٢) والنسائي ٣/ ٢١٨ وفي الكبرى ١/ ٤١٢ وابن ماجه رقم (١٣١٧) والإمام أحمد ٣/ ١٠١ وابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٢٠٠ وابن حبان في صحيحه ٦/ ٢٣٩.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص١٧٣-١٧٤.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٧١.

● أخبرنا ابن ناصر، قالَ: نا هبة الله بن عبد الله الواسطي، قال: أنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ، قالَ: أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، قال: أخبرنا الحُسين بن أَحمد بن عبد الرحمن الصَّفَّار قال: خَرَجَ الشِّبليُّ يومَ عيدٍ وقد حَلَقَ أشفارَ عينيهِ وحاجبيهِ، وتعصَّبَ بعصابةٍ، وهو يقولُ:

للنَّـــــاسِ فِطْـــــرٌ وعِيـــــدُ ** إِنِّي فَريـــــدٌ وَحيـــــدُ[1]

● أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: نا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنا التنوخي، قال: أنا أبو الحَسَنِ عليُّ بنُ مُحمد بن أَبي صابرٍ الدَّلَّال قالَ، وقفتُ على الشِّبْليِّ في قُبَّةِ الشُّعَراءِ في جامعِ المنصورِ، والناسُ مجتَمعونَ عليهِ، فوقفَ عليهِ في الحَلقةِ غُلامٌ لم يكنْ ببغدادَ في ذلك الوقتِ أَحسنُ وجهًا منهُ، يُعْرَفُ بابنِ مُسلمٍ، فقالَ لهُ: تَنَحَّ. فلم يَبْرَحْ، فقالَ لهُ الثانيةَ: تَنَحَّ يا شيطانُ عنَّا. فلم يَبْرَحْ. فقالَ لهُ: في الثالثةِ: تَنَحَّ وإلا والله خَرَقْتُ كُلَّ ما عليكَ، وكانتْ عليهِ ثيابٌ في غايةِ الحُسْنِ تساوي جملةً كثيرةً، فانصرَفَ الفتى، فقالَ الشِّبْليُّ:

طَرَحُـــوا اللَّحْـــمَ لِلْبُـــزاةِ ** عَـــلى ذِرْوَتَيْ عَـــدَنْ
ثُـــمَّ لامـــوا البُـــزَاةَ إِذْ ** خَلَعُـــوا فـــيهُمُ الرَّسَـــنْ
لَـــوْ أَرادُوا صَـــلَاحنا ** سَـــتَروا وَجْهَـــكَ الحَسَـــنْ[2]

قالَ ابنُ عقيلٍ: مَن قالَ هذا فقد أَخطأَ طريقَ الشرعِ؛ لأنَّه يقولُ: ما خَلَقَ الله ﷻ هذه الأَشياء إلا للافتتان، وليس كذلك، إِنَّما خَلَقَهَا للاعتبارِ والامتحانِ، فإِنَّ الشمسَ خُلِقَتْ لتُضيءَ لا لِتُعْبَدَ.

---

(١) ذكره القشيري في الرسالة بنحوه ص ٦٠

(٢) أخرجه التنوخي في نشوار المحاضرة ٧/٤٨ وعنه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٩٥ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٧٣.

• أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت أبا نصر النيسابوري، يقول: سمعت أَحمَدَ بنِ محمدٍ النَّهاوَنْدِيِّ يقول: ماتَ للشِّبْلِيِّ ابنٌ كانَ اسمُه عليًا فجزَّتْ أُمُّهُ شعْرَها عليهِ، وكانَ للشِّبْلِيِّ لحيةٌ كبيرةٌ، فأَمَرَ بحَلْقِ الجميع، فقيلَ لهُ: يا أُستاذُ! ما حَمَلَكَ على هذا؟ فقالَ: جَزَّتْ هذه شَعْرَها على مفقودٍ، أَلا أَحْلِقُ أَنا لِحْيَتي على موجودٍ(١)!

• أنبأنا علي بن عبيد الله والمبارك بن أحمد الأنصاري، قالا: أنا أبو غالب أحمد بن عبيد الله المعير، قال: أنا الحسن بن علي بن غالب الحربي، قال: سمعت أبا طالب محمد بن أحمد بن المهلوس العلوي الزاهد، يقول: كنت ليلة عند الشبلي فلما كان السحر قال: أريد المزيّن. وكان من النهار فحلق رأسه وأصلح وجهه والفقراء قد غسلوا مرقعاتهم فجاء المزين، فقال: احلق لحيتي. فحلقها فبكى الفقراء فأخذ سوادًا وطلى وجهه وأخذ كساءً ما اتزر به وطرحه على كتفيه ميزرًا ومشى إلى الجامع والفقراء معه فلما رآه الناس اجتمعوا إليه وسألوه الدعاء فدعا لهم وأنشد:

شربت بكأس الحب في المهد شربة ** حلاوتها حتى القيامة في حلقي

فلمّا عاد إلى البيت قلنا: يا سيدي، إيش هذا؟ قال: كنت جالسًا فقالت نفسي: البس المرقعة وتعمم بالفوطة والفقراء حولك يراك الناس ويقولون: الشبلي وأصحابه فقلت: ذا تقولين؟! وعزة سيدي لا خرجت إلا بزي المجانين(٢).

قال المصنف: قلت: قد كان يكفيه في صرف ذلك الخاطر أن يخرج وحده بثياب

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٧٠ وذكر نحوًا منها القشيري في الرسالة ص٢٥٨ وأشار إليه المؤلف في صفة الصفوة ١/ ٣٠.

(٢) ذكره نحوه القشيري في الرسالة ص٢٥٨.

لا ينظر إليها فالذي فعله من منكرات الشرع فليت عمر بن الخطاب رأى مثل هذا!

• أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني، قال: أنا سهل بن علي الخشاب، قال: أنا عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ السَّرَّاجِ قالَ: ربَّما كانَ الشِّبْليُّ يلبَسُ ثيابًا مُثَمَّنَةً، ثم ينـزِعُها، ويضعُها فوقَ النارِ!

قالَ: وذُكِرَ عنه أَنَّه أَخَذَ قطعةَ عنبرٍ، فوَضَعَها على النارِ وكان يُبَخِّرُ بها ذَنَبَ الحمار(١)!

قالَ: وقالَ بعضهم: دخلتُ عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر وهو يحرقه بالنار.

قالَ السَّرَّاجُ: إنما أَحْرَقَ بالنار لأنه كان يَشْغَلُ قلبه عن ذِكْرِ الله تعالى.

قالَ المصنف رحمه الله **قلتُ**: اعتذارُ السَّرَّاجُ عنه أعجب من فعله!

قالَ السَّرَّاج: وحُكِيَ عنهُ أَنَّه باعَ عِقارًا، ففرَّقَ ثمَنَهُ، وكانَ لهُ عِيالٌ، فلم يَدْفَعْ إِليهِم شيئًا.

وسَمعَ قارئًا يقرأُ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨]فقالَ: ليْتَني كنتُ واحدًا منهُم!

قالَ المصنف رحمه الله **قلتُ**: هذا الرجلُ ظنَّ أَنَّ الذي يُكَلِّمَهُمْ، هو الله تعالى، والله لا يكلِّمَهُم ثم لو كلَّمَهُم كلامَ إِهانةٍ؛ فأَيُّ شيءٍ في هذا حتى يُطْلَبَ؟

• قالَ السَّرَّاجُ: وقالَ الشِّبْليُّ يومًا في مجلسِهِ: إِنَّ لله عِبادًا، لو بَزَقوا على جَهَنَّمَ لأطفؤوها(٢).

قالَ المصنف رحمه الله **قلتُ**: وهذا مِن جنسِ ما ذكرنا عن أبي يزيدَ، وكلاهُما مِن

(١) أخرجه أبو نصر الطوسي في اللمع ص٤٨٣ وأشار إليه المؤلف في صفة الصفوة ١/ ٢٩.
(٢) ما نقله المؤلف عن الشبلي مما أورده السراج في اللمع انظر: ص٤٨٣-٤٩١.

إِناءٍ واحدٍ.

• أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم، قال: أنا أبي قال: سمعت أبا علي الدَّقَّاقِ يقول: بَلَغَني أَنَّ الشِّبْلِيَّ اكْتَحَلَ بكذا وكذا مِن الملحِ؛ ليعتادَ السَّهَرَ ولا يأْخُذهُ النومُ[1].

• وذكر أبو نصر السراج في كتاب لمع الصوفية قال: قال الشبلي: كنت في بدايتي إذ غلبني النوم أكتحل بالملح، فإذا زاد عليَّ الأمر أحميت الميل فأكتحل به

قالَ المصنف رحمه الله: **قلت**: وهذا فِعْلٌ قبيحٌ، لا يَحِلُّ مثله، وهو سَبَبٌ العمى ولا يَحِلُّ لمسلم أَنْ يُؤذِيَ نفسَهُ ولا يجوزُ إدامَةُ السَّهَرِ؛ لأَنَّ فيه إِسقاطَ حَقِّ النفسِ، والظَّاهرُ أَنَّ دوامَ السهرِ والتقلُّل أَخرَجَهم إِلى هذه الأقوالِ والأفعالِ.

• أنبأنا عبد المنعم، قالَ: أنا أبي قال: حُكي عن أبي عبد الله الرازي قال: كساني رجل صوفًا ورأيت على رأس الشِّبْلِيِّ قَلَنْسُوة تليق بذلك الصوف فتمنيتها في نفسي، فلما قام الشِّبْلِيُّ من مجلسه التفتَ إليَّ فتبعته، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفتُ إِلَيَّ فلما دخل داره دخلت فقال: انزع الصوف. فنـزعته فَلَفَّهُ وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما[2].

قال المصنف رحمه الله: **قلتُ**: وقد حكى أَبو حامدٍ الغَزَاليُّ أن الشِّبْلِيَّ أَخذَ خمسينَ دينارًا فرَماها في دِجْلَةَ، وقالَ: ما أَعَزَّكِ أَحدٌ إِلا أَذَلَّهُ الله[3]!

وأَنا أَتعَجَّبُ مِن أَبي حامدٍ أَكثَر مِن تَعَجُّبي مِن الشِّبْلِيّ؛ لأَنَّهُ ذكرَ ذلك على وجْهِ

(١) نقله ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٥٧ والشعراني في طبقاته ١/ ١٠٤.
(٢) أخرجه القشيري في الرسالة ص٢٣٥ أو ٢/ ٤٨٥.
(٣) الإحياء ٣/ ٢٥.

المدْحِ لا على وجْهِ الإنكارِ، فأَينَ أثَرُ الفقهِ؟!

• أخبرنا عمر بن ظفر، قال: أنا ابن السراج، قال: أنا الأزجي، قال: أنا ابن جهضم، قال: حدثني أحمد بن حسينُ[١] بن عبدِ الله القَزْوينيُّ، قال: حَدَّثني مَن كانَ مُجالسًا لِبنانَ أنَّهُ قالَ: تَعذَّرَ عليَّ ما أقتاته ولحِقَني ضرورةٌ، فرأَيْتُ قطعةَ ذهبٍ مطروحة في الطريقِ، فأَرَدْتُ أَخْذَها، فقلتُ: لُقَطَةٌ فتركتُها، ثم ذكرتُ الحديثَ الذي يُروى: «**لو أَنَّ الدُّنيا كانتْ دَمًا لكانَ قوتُ المسلمِ منها حَلالًا**»[٢]. فأَخذتُها، وتركتُها في فَمي، ومشيتُ غيرَ بعيدٍ، فإِذا بحَلَقةٍ فيها صبيان، وأَحدُهُم يتكلَّمُ عليهِم، فقالَ لهُ واحدٌ: متى يَجِدُ العبدُ حقيقةَ الصِّدْقِ؟ فقالَ: إِذا رمى القِطْعَةَ مِن الشِّدْقِ. فأَخرَجْتُها مِن فمي، ورميْتُها[٣].

قال المصنف رحمه الله: لا تختَلِفُ الفقهاءُ أَنَّ رميَهُ إِياها لا يحِلُّ، والعَجَبُ أَنَّهُ رماها بقولِ صبيٍّ لا يَدْري ما قالَ!

• وقد حكى أَبو حامدٍ، أَنَّ شقيقًا البَلْخِيَّ جاءَ إِلى **أَبي هاشم الزاهدِ** وفي طَرَفِ كسائِهِ شيءٌ مصرورٌ، فقالَ لهُ: أَيُّ شيءٍ معكَ؟ قالَ: لَوزاتٌ دَفَعَها إِليَّ أَخٌ لي. وقالَ: أُحِبُّ أَنْ تُفْطِرَ عليها. فقالَ: يا شقيقُ! وأَنتَ تُحَدِّثُ نفسَكَ أَن تبقى إِلى الليلِ،

---

(١) في المغربية: حسين. لا ذكر لأحمد.

(٢) هذا الخبر موضوع، انظر السخاوي في المقاصد الحسنة رقم (٨٩٨) وقال: لكن معناه صحيح فإن الله لم يحرم على المؤمن ما يضطر إليه من غير معصية. وذكره السيوطي في الدرر المنتثرة رقم (٣٤٥) وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عنه فأجاب: الحمد لله، ليس هذا من كلام النبي ولا يعرف عنه بإسناد ولكن المؤمن لا بد أن يتيح الله له من الرزق ما يغنيه ويمتنع فى الشرع أن يحرم على المؤمن ما لا بد منه فإن الله لم يوجب على المؤمنين ما لا يستطيعونه ولا حرم عليهم ما يضطرون إليه من غير معصية منهم. الفتاوى ١٨/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٣) ذكر نحوها عن بنان القشيري في رسالته ص١٧٠.

لا كَلَّمْتُكَ أَبدًا. فأَغْلَقَ البابَ في وجهي، ودَخَلَ(١).

قال المصنف رحمه الله: **قلتُ**: انْظُروا إلى هذا الفقهِ الدقيقِ، كيفَ هَجَرَ مسلمًا على فعلٍ جائزٍ، بل مندوبٍ؛ لأَنَّ الإنسانَ مأْمورٌ أَنْ يعدَّ لنفسهِ ما يُفْطِرُ عليه، واستعدادُ الشيءِ قبلَ مجيءِ وقتِه حَزْمٌ؛ ولذلك قالَ الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقد ادَّخَر رسولُ الله ﷺ لأزواجِهِ قوتَ سنةٍ(٢)، وجاءَ عُمَرُ رضي الله عنه بنصفِ مالِه وادَّخَرَ الباقي، ولم يُنْكَرْ عليهِ(٣)، فالجهْلُ بالعلمِ أَفسدَ هؤلاءِ الزُّهَّادِ!

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، قال: أنا أبو العباس أحمد بنِ إسحاقَ العُمانيِّ، قالَ: رأيْتُ **بالهندِ شيخًا**، قد أَتى عليه مائة سنةٍ وقد غمض إحدى عينَيْه وكانَ يُلَقبُ بالصابرِ، فقلتُ لهُ: يا صابِرُ! ما بَلَغَ مِن صبرِكَ؟ قالَ: إنِّي هويتُ النَّظَرَ إلى زينةِ الدُّنيا، فلم أُحِبَّ أَنْ أَشْتَفِيَ منها، فغمضتُ عَيْني منذُ ثمانينَ سنةً، فلم أَفْتَحْها!

وقد حكى لنا عن آخر، أنه قيَّر أحد عينيه وقال: النظر إلى الدنيا بعينين إسراف. ونحن نسأل الله سلامة العقول.

• وقد حكى يوسُفُ بنُ أَيُّوبَ الهَمْذانيُّ عن شيخِهِ **عبدِ اللهِ الجَوْنيّ** أَنه كانَ يقولُ: هذه الدولةُ ما أَخرجْتُها مِن المِحْرابِ، بل مِن موضعِ الخلاءِ! وقالَ: إني كنتُ أَخدِمُ في الخلاءِ، فبينا أَنا يومًا أَكْنِسُهُ وأُنَظِّفُهُ، قالتْ لي نفْسي: أَذْهَبْتَ عُمُرَكَ في هذا!

---

(١) الإحياء ٤/ ٤٥٤ وذكره عبد الحق الإشبيلي في العاقبة في ذكر الموت ص٦٨.

(٢) الحديث عن عمر رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٥٣٥٧) ومسلم رقم (١٧١٥) والنسائي ٧/ ١٣٢ وفي الكبرى ٤/ ٦٥ و٥/ ٣٧٧ و٦/ ٤٨٤ وأبو داود رقم (٢٩٦٣) و(٢٩٦٥) والترمذي رقم (١٧١٩) والإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٥ ٤٨.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (١٦٧٧) والترمذي رقم (٣٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والدارمي ١/ ٤٨٠ والحاكم في المستدرك١/ ٥٧٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

فقلتُ: أَنتِ تأْنفينَ مِن خدمةِ عبادِ الله! فوَسَّعْتُ رأْسَ البئرِ، ورميتُ نفسي فيها، وجعلتُ أُدْخِلُ النجاسةَ في فَمي، فجاؤوا، وأَخْرَجوني، وغَسَّلوني[(١)(٢)].

قال المصنف: **قلتُ:** انْظُروا إلى هذا المسكينِ كيفَ اعْتَقَدَ جمعَ الأصحابِ حوله دولةً، واعْتَقَدَ أَنَّ تلكَ الدولةَ إِنَّما حَصَلَتْ بإلقاءِ نفسهِ في النجاسةِ، وإدخالِها في فيهِ، وأنه قد نالَ بذلك فضيلةً أُثيبَ عليها بكثرةِ الأصحابِ! وهذا الذي فعلَهُ معصيةٌ توجِبُ العقوبَةَ وفي الجُملةِ لمَّا فقَدَ هؤلاءِ العلمَ كَثُرَ تخبطُهُم.

● أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان، يقول: سمعت محمد بن عليٍّ الكَتَّانيَّ، يقول: دَخَلَ **الحُسينُ بنُ منصورٍ** مكَّةَ في ابتداءِ أَمرِهِ، فجَهِدْنا حتى أَخَذْنا مرَّقَعَتَهُ، قال السوسي: أَخَذْنا منها قملةً، فوزنَّاها فإِذا فيها نصفُ دانِقٍ من كثرةِ رياضتِهِ! وشدَّةِ مجاهدَتِه[(٣)]!

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: **قلتُ:** انْظُروا إلى هذا الجاهلِ بالنظافةِ التي حَثَّ عليها الشرعُ، وأَباحَ حَلْقَ الشعرِ المحظورِ على المُحْرِمِ؛ لأجلِ تأَذِّيهِ بالقَمْلِ، وجبر الحلق بالفديةِ[(٤)]، وأَجْهَلُ مِن هذا مَن اعْتَقَدَ مثل هذا رياضةً!

---

(١) ذكر نحو هذة القصة: الشعراني في طبقاته ٢/ ١٤٣ وفي الأنوار القدسية ٢/ ٤٤ وأشار إلى ارتيادهم المزابل وارتياحهم لها اليافعي في نشر المحاسن ص٢٧٠ و٢٨٠.

(٢) ذكره نحوه القشيري في الرسالة ص١٨٧.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ١١٨ وذكره الذهبي في السير ١٤/ ٣١٧. وقال تعليقًا عليه: ابن شاذان متهم وقد سمعنا بكثرة القمل أما كبر القمل فما وقع؛ ولو كان يقع لتداوله الناس.

(٤) كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[البقرة: ١٩٦]. كذا حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لعلك آذاك هوامك؟**» قال: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك بشاة**». أخرجه البخاري رقم (١٧١٩) وهذا لفظه ومسلم رقم (١٢٠١).

• أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا عبيد الله بن عمر بن شاهين، قال: حدثني أبي قال: أنا أحمد بن كامل، قال: أنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثني محمد بن سعد الأدمي عن أبيه عن أبي سليمان الداراني، قال: حدثني من رأى **جماعة من الصوفية** قد حلقوا لحاهم فقيل لهم: ما هذا؟! قالوا: إنها نبتت على ضلالة(١).

• وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع، قال: بلغني عن بعضهم أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس(٢).

• وقال السراج: وقال المزين الكبير: كنت مع إبراهيم الخواص في بعض أسفاره فإذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لأقتلها فمنعني ذلك وقال لي: دعها كل شيء مفتقر إلينا ولسنا نفتقر إلى شيء(٣).

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أنا ابن باكويه، قال: سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول: كان عندنا **فقير صوفي** في الجامع فجاع مرة جوعًا شديدًا فقال: يا رب إما أَنْ تطعمني وإما أن ترميني بشرف المسجد. فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحتِ رجله آجُرَّة فجرى دمه وكان يمسح الدم ويقول: إيش تبالي بقتل العالم(٤).

قلت: قتل الله هذا ولا أحياه في مقابلة هذا الاستنباط، هَلَّا قام إلى الكسب أو إلى الكدية.

• أخبرنا علي بن أحمد بن الحسن الموحد، قال: أنا أبو سعد عبد الرحمن بن

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ٣٦٦ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ٢١٣. نقلاه عن قاص قال للناس احلقوا لحاكم..

(٢) اللمع ص٢٢٠.

(٣) اللمع ص٢٥٠.

(٤) لم أجد من أخرجه.

ميمون المتولي، قال: أنا عبد الكريم بن هوازن، قال: سمعت **أبا علي الدقاق**، يقول: من لم يكن له لسان إلا انبساط فهو في محبته متهم، قال: صلى بعضهم في مسجد دمشق فسرق نعله، فقال: إن رددت نعلي وإلا كسرت هذه القناديل أجمع. فدخل رجل، فقال: هذه النعل فلا تكسر القناديل(١).

قال: أخبرنا ابن حبيب، قال: أنا ابن صادق، قال: أنبأنا ابن باكويه، قال: أنا أبو الفضل العطار، قال: أنا يحيى بن سليمان السجزي قال: أخبرني غلام خليل قال: رأيت فقيرًا يعدو ويلتفت ويقول: أُشْهِدُكُمْ على الله هو ذا يقتلني، وسقط ميتاً(٢).

فصل:

وفي الصوفيةِ قَوْمٌ يسمون الملامتية اقْتَحَموا الذنوبَ، وقالوا: مقصودُنا أَنْ نَسْقُطَ مِن أَعينِ الناسِ، فنسْلَمَ مِن آفات الحياة، وهؤلاءِ قد أَسقَطوا جاهَهُم عندَ اللهِ لمخالفةِ شرعهِ:

• أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن علي السهلكي، قال: في القوم طبقة تسمى الملامتية يُظْهِرونَ للخلق من أَنْفُسِهِم أَقبحَ ما هُم فيهِ، ويكْتُمونَ أَحسنَ ما هُم عليهِ! فهم عند الله من أهل الولاية وعند الناس من أهل الآفات(٣).

قال المصنف: **قلت**: هذا من أَقبحِ الأشياءِ! قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أتى شيئًا**

---

(١) ذكره القشيري في الرسالة ص٣٢٤.

(٢) لم أجد من أخرجه.

(٣) وقريبًا من هذا الوصف لها قال الإمام الذهبي في السير ١٣/ ٥٠ وابن القيم في الإغاثة ١/ ١١٨ وفي المدارج ٣/ ١٧٧.

من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»[١]، وقال في حَقِّ ماعزٍ: «هلَّا سَتَرْتَهُ بثوبِكَ يا هذا»[٢]، وجازَ عليه بعضُ الصحابةِ وهو يكلم صفيَّةَ زوجته فقالَ: «إِنَّها صفِيَّةُ»[٣]، فعلمَ الناسُ التجافِيَ عن ما يوجِبُ سوءَ الظَّنِّ، فإِنَّ المؤمنينَ شُهَداءُ اللهِ في الأرْضِ.

وخَرَجَ حُذَيْفَةُ إِلى الجمُعَةِ، ففاتَتْهُ، فرأَى الناسَ يرجعون، فاسْتَتَرَ؛ لئلَّا يسوءَ ظَنُّ الناسِ بِهِ[٤]، وقال أبو بكر الصديق لرجلٍ قال له: إِنِّي لمستُ امرأةً وقَبَّلتها. فقال: فقال: تُبْ إلى الله ولا تُحَدِّثْ أحدًا[٥]. وقال بعض الصحابة لرجلٍ قال: إِنِّي فعلْتُ كذا مِن الذنوبِ، فقالَ: لقد سَتَرَكَ اللهُ لو سَتَرْتَ نفسك[٦].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: هؤلاءِ القوم تزحزحوا عن الشريعةِ وجعلوا لنفوسهم

---

(١) تقدم تخريجه ص٨١٢.

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٤٣٧٧) والنسائي في الكبرى ٤/ ٣٠٥-٣٠٧ وأحمد في المسند ٥/ ٢١٧ والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٦٣ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص. وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٢١ مرسلًا من حديث سعيد بن المسيب بلاغًا وذكره الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٣٨٠)، وفي صحيح الجامع الصغير رقم (٧٨٦٧) وقال: صحيح.

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار ٧/ ٤٦٦: وفي هذا الحديث من الفقه أن ستر المسلم على نفسه ما وقع فيه من الكبائر الموجبة للحدود والتوبة منها والندم عليها والإقلاع عنها أولى به من الاقرار بذلك على نفسه؛ ألا ترى أن أبا بكر أشار بذلك على الرجل الذي اعترف عنده بالزنا؟ وكذلك فعل عمر رضي الله عنه.

(٣) حديث صفية رضي الله عنها أخرجه البخاري رقم (٢٠٣٥)، ورقم (٢٠٣٨)، ورقم (٢٠٣٩)، ورقم (٣٢٨١)، ورقم (٦٢١٩)، ورقم (٧١٧١) ومسلم رقم (٢١٧٥) وأبو داود رقم (٢٤٧٠) والنسائي في الكبرى ٢/ ٢٦٣ وابن ماجه رقم (١٧٧٩) وأحمد في المسند ٦/ ٣٣٧.

(٤) تقدم هذا الأثر عن حذيفة رضي الله عنه ص٨١١.

(٥) أخرجه الترمذي بطوله رقم (٣١١٥) عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري وقال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٦٦ والبخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٢٢٠. وأصل الحديث في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فرواه البخاري رقم (٥٠٣) ومسلم رقم (٢٧٦٣).

(٦) انظر: الحديث السابق وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

طريقة تخالفها وأرادوا قَطْعَ ما جُبِلَتْ النفوسُ عليهِ والشرعُ لم يطالب بذلك.

فصل:

وقد انْدَسَّ في الصوفيةِ أَهلُ الإِباحةِ، فتشبَّهوا بهم؛ حِفْظًا لدمائِهم، وهُم ينقَسِمونَ قسمين:

القسمُ الأوَّلُ: كفَّارٌ، فمنهُم قومٌ لا يُقِرُّونَ باللهِ ﷻ، ومنهُم مَن يُقِرُّ بِهِ ويجْحَدُ النبوَّاتَ، ويرى أَنَّ ما جاءَ بِهِ الأنبياءُ مُحالٌ.

وهؤلاءِ لَمَّا أَرادوا إمراح أَنْفُسِهم في شَهَوتِها لم يَجِدوا شيئًا يَحْقِنونَ بهِ دماءَهُم ويستتِرونَ بهِ، وينالونَ فيهِ أَغراضَ النُّفوسِ كمذهبِ التصوُّفِ، فدَخلوا فيهِ ظاهرًا، وهُم في الباطنِ كَفَرَةٌ، وليس لهؤلاءِ إلا السيفُ.

والقسم الثاني: يُقِرُّونَ بالإسلامِ؛ إلا أَنَّهُم ينقسمون قسمين:

القسم الأول: مُقَلِّدونَ في أَفعالِهم لأشياخهم مِن غيرِ اتِّباعِ دليلٍ ولا شبهة، فهُم يفعَلُونَ ما يأْمُرونَهم بِهِ وما رأَوْهُم عليهِ.

والقسم الثاني: قومٌ عَرَضَتْ لهُم شبهاتٌ، فعَمِلوا بمقتضاها.

والأصلُ الذي نَشَأَتْ منهُ شبهاتُهُم أَنَّهُم لما همُّوا بالنَّظَرِ في مذاهِبِ الناسِ؛ لَبَّسَ عليهِم إبليسُ، فأَراهُم أَنَّ الشُّبهَةَ تعارض الحُجَجَ وأَنَّ التمييزَ يَعْسُرُ، وأَنَّ المقصودَ أَجَلُّ مِن أن يُنالَ بالعلمِ، وإِنَّما الظَّفَرُ بِهِ رزْقٌ يُساقُ إلى العبدِ، لا بالطَّلَبِ، فسَدَّ عليهِم بابَ النجاةِ الذي هُو طَلَبُ العلمِ، فصاروا يُبْغِضونَ اسمَ العلمِ؛ كما يُبْغِضُ الرافضيُّ اسمَ أَبي بكرٍ وعُمَر.

ويقولونَ: العلمُ حِجابٌ، والعُلماءُ محجوبونَ عن المقصودِ بالعلمِ! فإِنْ أَنْكَرَ عليهِم عالمٌ؛ قالوا لأتباعِهم: هذا مُوافِقٌ لنا في الباطِنِ، وإِنَّما يُظْهِرُ ضِدَّ ما نحنُ فيهِ

للعوامِّ الضِّعافِ العقولِ. فإنْ جَدَّ في خِلافِهِم؛ قالوا: هذا أَبْلَهُ مُقيَّدٌ بقيودِ الشريعةِ، محجوبٌ عن المقصودِ.

ثم عَمِلوا على شُبُهاتٍ وقَعَتْ لهُم، ولو فَطِنوا لَعَلِموا أَنَّ عمَلَهُم بمقتضى شُبُهاتهم عِلْمٌ، فقدْ بطَلَ إنكارُهُم العلمَ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وأَنا أَذْكُرُ شبهاتِهم، وأَكشِفُها إن شاءَ اللهُ تعالى:

الشبهة الأولى: أَنَّهُم قالوا: إذا كانتِ الأمورُ مُقَدَّرةً في القِدَم، وأنَّ أَقوامًا خُصُّوا بالسعادةِ، وأَقوامًا بالشَّقاوةِ، والسعيدُ لا يشقى، والشقِيُّ لا يَسْعَدُ، والأعمالُ لا تُرادُ لِذاتِها، بل لاجْتِلابِ السعادةِ ودَفْعِ الشقاوةِ، وقد سَبَقَنا وجودُ الأعمالِ، فلا وجْهَ لإجهادِ النفسِ في عَمَلٍ، ولا لكفِّها عن ملذوذٍ؛ لأنَّ المكتوبَ في القَدَرِ واقعٌ لا محالةَ[1].

وجواب هذه الشبهة أَنْ يُقالَ لهم: هذا ردٌّ لجميعِ الشرائعِ، وإبطالٌ لأحكامِ جميعِ الكُتُبِ، وتَبْكيتٌ للأنبياءِ كُلِّهِم فيما جاؤوا بِهِ؛ لأَنَّهُ إذا قالَ في القُرآنِ ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢] قالَ القائلُ: لماذا؟ إنْ كُنْتُ سعيدًا؛ فسأَصير إلى السعادةِ! وإنْ كنتُ شقيًّا؛ فما ينفعني إقامةُ الصلاةِ؟ وكذلك إذا قالَ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ قال: لماذا أَمْنَعُ نفسي مَلْذُوذَها، والسعادةُ والشقاوةُ مَقْضِيَّتانِ؟ وكذا لفرعَوْنَ أَنْ يقولَ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينَ قالَ لهُ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] مثلَ هذا الكلامِ.

ثم يترقَّى إلى الخالِقِ، فيقولُ: ما فائِدةُ إِرسالِكَ الرُّسُلَ وسَيَجْري ما قدَّرْتَهُ؟

وما يُفْضِي إلى ردِّ الكُتُبِ وتجهيلِ الرُّسُلِ محالٌ باطلٌ، وهذا هو الذي رده الرسول ﷺ على أَصحابِهِ حينَ قالوا: ألا نَتَّكِلُ؟ فقالَ: «**اعْمَلوا؛ فكُلٌّ مُيَسَّرٌ**».

---

(١) وهذا قولهم في القضاء والقدر وقد تقدم بيانه ص٥٥٦.

واعْلَمْ أَنَّ للآدميِّ كسبًا هو اختيارُهُ، فعليهِ يقعُ الثوابُ والعقابُ، فإذا خالَفَ بَان لنا أَنَّ اللهَ ﷻ قضى في السابقِ بأنه يخالِف، وإِنَّما يعاقِبُهُ على خلافِهِ لا على قضائِهِ، ولهذا يُقْتَلُ القاتلُ، ولا يُعْتَذَرُ لهُ بالقدَرِ.

وإِنَّما ردَّهُم الرسولُ عن مُلاحظةِ القَدَرِ إلى العَمَلِ؛ لأَنَّ الأمرَ والنهيَ حالٌ ظاهرٌ، والمقدَّرُ مِن ذلك أَمرٌ باطنٌ، وليسَ لنا أَنْ نَتْرُكَ ما عَرَفْناهُ من التكليفِ لما لا نعلَمُهُ مِن المَقْضِيِّ.

وقولُهُ ﷺ: «**فكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»: إشارةٌ إلى أَسبابِ القَدَرِ، فإِنَّهُ مَن قُضِيَ لهُ بالعلمِ يُسِّرَ لهُ طَلَبُهُ وحُبُّهُ وفَهْمُهُ، ومَن حُكِمَ لهُ بالجَهْلِ نُزِعَ حُبُّ العلمِ مِن قلبِهِ، وكذلك مَنْ قضي له بولدٍ يُسِّرَ له النكاح، ومَن لم يُقْضَ لهُ لم يُيَسَّرْ لهُ.

الشُّبْهَةُ الثانيةُ: أَنَّهُم قالوا: إِنَّ اللهَ ﷻ مُسْتَغْنٍ عن أَعمالِنا، غيرُ متأَثِّرٍ بها معصيةً كانت أَو طاعة، فلا ينْبَغي أَن نُتْعِبَ أَنفسَنا في غيرِ فائدةٍ.

وجواب هذه الشبهة أَنْ نُجيبَ أَولًا بالجوابِ الأَوَّلِ، ونقولَ: هذا ردٌّ على الشرعِ فيما أَمرَ بهِ، فكأَنَّا قُلنا للرسلِ أو للمُرْسِلِ: لا فائدةَ فيما أَمَرْتَنا بهِ!

ثم نتكلَّم على الشبهةِ، فنقول: مَن يتوهَّمُ أَنَّ اللهَ جلَّ وعلا ينتَفعُ بطاعةٍ أو يستضرُّ بمعصيةٍ أَو يَنالُ بذلك غَرضًا فما عَرَفَ اللهَ جلَّ جلالُه؛ [1] لأَنَّه مقدَّسٌ عن الأغراضِ والأعراضِ[2]، من انتفاعٍ أَو ضرَرٍ، وإِنَّما نَفْعُ الأعمالِ يَعودُ إِلى أَنفُسِنا؛ كما

(١) كما أشار إلى ذلك الحديث القدسي فيما رواه أبو ذر ؓ عند الإمام مسلم رقم (٢٥٧٧).

(٢) الأغراض: جمع غرض، والغرض في اصطلاح علماء الكلام هو: ما لأجله يصدر الفعل من الفاعل وعند بعضهم: الغرض: هو الأمر الباعث للفاعل على الفعل وهو المحرك الأول وبه يصير الفاعل فاعلًا. ولما كان لفظ الغرض قد يوحي بأن الفاعل لغرض يعود عليه من ذلك الفعل منفعة وأنه يصير الفاعل بسببه فاعلًا بمعنى أنه ينتفع به فإن الأشاعرة منعوا أن يكون له تعالى الغرض في أفعاله.

قالَ ﷻ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾[العنكبوت: ٦]، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١٨].

وإنَّما يأْمُرُ الطبيبُ المريضَ بالحِمْيَةِ لمصلحةِ المريضِ، لا لمصلحةِ الطبيب، وكما أَنَّ للبدنِ مصالحَ مِن الأغذيةِ ومضارَّ، فللنفسِ مصالح ومضارّ من العلمِ والجهلِ، والاعتقادِ والعَمَلِ، فالشرعُ كالطبيبِ، فهو أَعرَفُ بما يأْمُرُ بهِ مِن المصالحِ. هذا مذهب مَنْ عَلَّلَ، وأكثرُ العلماء قالوا: أفعاله لا تعلل[١].

أما المعتزلة فعندهم: الغرض بمعنى: الغاية التي يفعل لها وهم يوجبون أن يكون فعله تعالى معلّلًا بالأغراض.

والحق هو ما نهج عليه السلف من عدم إطلاق الغرض في حقه تعالى والتقيد بالألفاظ التي ورد بها الشرع كلفظ الحكمة والرحمة والإرادة ونحو ذلك مما جاء به النص؛ ولذلك لا تجد أحدًا منهم استعمل هذه الكلمة في حقه تعالى؛ لأنها قد توهم النقص. انظر من كتب أهل الكلام: شرح العقائد العضدية ٢/ ٢٠٤ والمغني في أبواب العدل والتوحيد ١٤/ ٤٤. ولمزيد ايضاح انظر: منهاج السنة النبوية ١/ ٤٥٥ و٢/ ٣١٤ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ص٢٦-٢٨.

أما الأعراض: فهو جمع عرض، والعرض: ما قام بغيره ويقابل الجوهر والذات فالجسم جوهر واللون عرض. فهو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي: محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به.

والعرض العام: ما يصدق على أنواع كثيرة كالبياض للثلج والقطن. انظر: التعريفات ص١٩٢ والمعجم الفلسفي ٢/ ٦٨-٧٠.

والعرض يعتبر من الألفاظ المجملة التي لا يجوز إطلاق لفظها في حق الله تعالى أما معناها فيستفصل منه فإن أراد القائل حقًا قبل وأن أراد باطلًا رد. انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢١٥ و٦/ ١١٢ والجواب الصحيح ٥/ ٤٤.

(١) قد وقع الخلاف في مسألة تعليل أفعال الله على أقوال: بعد النظر فيها والتأمل يلاحظ أنها تنتهي إلى قولين:

أحدهما: نفاة الحكمة، وهؤلاء يقولون: خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة. وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم. وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو قول الأشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة القياس في الفقه الظاهرية كابن حزم و أمثاله.

⇐

وجواب آخر: إذا كان غنيًا عن أعمالنا فهو غني عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته، فكذلك وجوب طاعته، فينبغي أن ننظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره .

الشُّبْهَةُ الثالثةُ: قالوا: قد ثَبَتَ سَعَةُ رحمةِ اللهِ ﷻ، وهيَ لا تعْجَزُ عنَّا، فلا وجْهَ لِحرمانِ نفوسِنا من مُرادِها.

والجواب كالجوابِ الأولِ؛ لأنَّ هذا القولَ يتضمَّنُ اطِّراحَ ما جاءَت بهِ الرُّسُلُ مِن الوعيدِ، وتهوينَ ما شدَّدَتْ في التحذيرِ منهُ وبالَغَتْ في ذكْرِ عقابِهِ.

وممَّا يكشفُ التلبيسَ في هذا أَنَّ اللهَ ﷻ كما وصَفَ نفسَهُ بالرحمةِ وصَفَها بشدةِ العقابِ، ونحنُ نرى الأنبياءَ والأولياءَ يُبْتَلَوْنَ بالأمراضِ والجوعِ ويُؤاخَذونَ بالزَّلَلِ.

كيفَ وقد خافَهُ مَن قد قُطِعَ لهُ بالنجاةِ! فالخليلُ يقولُ يومَ القيامةِ: نفسي نفسي. والكليمُ يقولُ: نفسي نفسي[1].وهذا عُمَرُ ﷺ يقولُ: الويلُ لعُمَرَ إِنْ لم يُغْفَرْ لهُ[2].

والثاني: قول الجمهور الذين يثبتون الحكمة وهؤلاء على أقوال: أشهرها قول المعتزلة الذين يثبتون حكمة تعود إلى العباد ولا تعود إلى الرب، وقول جمهور السلف الذين يثبتون حكمة تعود إلى الرب تعالى.

ويلاحظ أن من نفى الحكمة والتعليل -كالأشاعرة- دفعه ذلك إلى الميل إلى الجبر وإثبات الكسب والقدرة غير المؤثرة للعبد. ومن أثبت حكمة تعود إلى العباد، جعلوا هذه الحكمة لا تتم إلا بأن يكون العباد هم الخالقين لأفعالهم وهذا قول المعتزلة.

أما أهل السنة فلم يلزمهم لازم من هذه اللوازم الباطلة؛ ولذلك جاء مذهبهم وسطًا في باب القدر.

ولمعرفة المزيد في مسألة تعليل أفعال الله انظر: دقائق التفسير ٢/ ١٠٩ والدرء ٤/ ١٢ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٢١٤ ومنهاج السنة ١/ ١٤٢ والفتاوى ٨/ ٨٤ وشرح النونية ١/ ٦٦. وموقف شيخ الإسلام من الأشاعرة ٣/ ١٣١٠.

(١) وهذا في حديث الشفاعة المخرج في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ في البخاري رقم (٣٣٤٠) و(٤٧١٢) ومسلم رقم (١٩٤).

(٢) تقدم تخريجه ص٧٨٤.

واعْلَمْ أَن مَن رَجَا الرحمةَ تعرَّضَ لأسبابِها، ومن أسبابِها التوبةُ مِن الزَّلَلِ؛ كما أَنَّ مَن رَجَا أَنْ يَحْصِدَ زَرَعَ، وقد قالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، يعني: أَن الرجاءَ بهؤلاءِ يليقُ، وأَمَّا المُصِرُّون على الذُّنوبِ وهم يَرْجونَ الرحمةَ؛ فرجاؤهُم بعيدٌ(١)!

وقد قالَ عليه الصلاة والسلام: «**الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ مَنْ أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**»(٢).

قالَ معروفٌ الكَرْخِيُّ: رجاؤكَ لرحمةِ مَن لا تُطِيعُهُ خذلانٌ وحُمْقٌ(٣).

واعلم أنه ليس في أفعال الحق سبحانه ما يوجب أن يؤمن عقابه إنما في أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته، وكما لا يَحسن اليأس لما يظهرُ من لُطْفِهِ في خلقه لا يَحسن الطمع لما يبدو من أَخَذَاتِه وانتقامه فإنَّ مَنْ قطع أشرفَ عضوٍ بربعِ دينار لا يؤمن أن

---

(١) انظر لمزيد بيان في تفسير هذه الآية: تفسير الطبري ٢/ ٣٥٥ وتفسير السعدي ص٩٨ ومما قال رحمه الله: «فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله؛ لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة وأما الرجاء المقارن للكسل وعدم القيام بالأسباب فهذا عجز وتمن وغرور وهو دال على ضعف همة صاحبه ونقص عقله بمنـزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح ووجود الغلة بلا بذر وسقي ونحو ذلك».

(٢) حديث شداد بن أوس ﷺ أخرجه الترمذي: رقم (٢٥) رقم (٢٤٥٩) وقال: حديث حسن. وابن ماجه رقم (٤٢٦٠) والإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٤ والحاكم في المستدرك ١/ ٥٧ وقال: صحيح على شرط البخاري. وتعقبه الذهبي فقال: لا والله، أبو بكر واهٍ. وأخرجه في موضع آخر بالسند نفسه ٤/ ٢٥١ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. جميعهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم الغساني قال الذهبي عنه في المغني: ضعيف عندهم. ٢/ ٧٧٤ وكذا ابن حجر في التقريب ص٦٢٣؛ ولذا ضعف الحديث الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٤٣٦)، وضعيف ابن ماجه رقم (٩٣٠)، وضعيف الجامع رقم (٤٣٠٥)، وتخريج المشكاة رقم (٥٢٨٩).

(٣) هذا القول لمعروف أخرجه السلمي ص٨٩ وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٦٧ والمؤلف في مناقب معروف ص١٢٣. ولفظه: طلب الجنة بلا عمل: ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب: نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع: جهل وحمق.

يكون عقابه غدًا هكذا.

الشبهة الرابع: أَنَّ قومًا منهُم وقعَ لهُم أَنَّ المرادَ رياضةُ النفوسِ؛ ليتَخَلَّصَ مِن أَكدارِها الرَدِيَّة، فلما راضُوها مدَّةً، ثم رأَوا تعذُّرَ الصفاءِ؛ قالوا: ما لَنا نُتْعِبُ أَنْفُسَنا في أَمرٍ لا يَحْصُلُ لبشرٍ؟! فتَرَكوا العمَلَ.

وكَشف هذا التلبيس: أَنَّهُم ظنُّوا أَنَّ المرادَ قَلْعُ ما في البواطنِ مِن الصفاتِ البشريةِ؛ مثلُ قمْع الشهوةِ، والغَضَبِ، وغيرِ ذلك.

وليسَ هذا مرادَ الشرعِ، ولا يُتَصَوَّرُ إزالةُ ما في الطبعِ بالرياضةِ؛ وإِنَّما خُلِقَتِ الشهواتُ لفائدةٍ، إِذ لولا شهوةُ الطعامِ هَلَكَ الإِنسانُ، ولولا شهوةُ النكاحِ انقَطَعَ النَّسْلُ، ولولا الغَضَبُ لمْ يَدْفَعِ الإِنسانُ عن نفسِهِ ما يؤذيهِ، وكذلك حُبُّ المالِ مَركوزٌ في الطِّباعِ؛ لأَنَّه يوصِلُ إِلى الشَّهواتِ[1].

وإِنَّما المرادُ مِن الرياضةِ: كَفُّ النفسِ عمَّا يؤذي مِن جميعِ ذلك، ورَدُّها إِلى الاعتدالِ فيهِ.

وقد مَدَحَ الله ﷻ مَن نهى النَّفْسَ عنِ الهوى، وإِنَّما ينهى عمَّا يطلُبُهُ، ولو كانَ طلَبُهُ قد زالَ عن طَبْعِها ما احْتاجَ الإِنسانُ إِلى نَهْيِها.

وقد قالَ الله ﷻ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وما قالَ: والفاقِدينَ الغَيْظَ، والكَظْمُ: رَدُّ الغيظِ. يُقالُ: كَظَمَ البعيرُ على جِرَّتِهِ، إِذا ردَّها في حَلْقِه. فمَدَحَ مَن ردَّ النفسَ عن العملِ بمقتضى هَيَجانِ الغيظِ.

فمَنِ ادَّعى أَنَّ الرياضةَ تُغَيِّرُ الطِّباعَ ادَّعى المُحالَ، وإِنَّما المقصودُ بالرياضةِ كَسْرُ

---

(١) في (أ): وكذلك حب العلم ولولا ذلك لذهب العلم وتعطل الناس في أديانهم وفسد أحوال الناس.

شِدَّةِ الشهوةِ والغَضَبِ، لا إِزالَةُ أَصْلِها.

والمُرْتَاضُ كالطبيبِ العاقلِ عندَ حُضورِ الطعامِ؛ يتناولُ ما يُصْلِحُهُ، ويكفُّ عمَّا يؤذيهِ، وعادمُ الرياضةِ كالصبيِّ الجاهلِ؛ يأْكُلُ ما يشتهي، ولا يُبالي بما جنى.

الشبهةُ الخامسةُ: أَنَّ قومًا منهم داموا على الرياضة مدة، فرأَوْا أَنَّهُم قد تجوهروا، فقالوا: لا نبالي الآن ما عملنا، وإِنَّما الأوامر والنواهي رسومٌ للعوام، ولو تجوهروا سقطت عنهم.

قالوا: وحاصل النبوة ترجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولسنا نحن من العوام فندخل في حَجْرِ التكليف لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة[1].

وهؤلاءِ رأَوْا أَنَّ مِن أثر تجوهرهم ارتفاع الحَمِيَّة عنهم، حتى قالوا: إِنَّ رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبي فلم يقشعر جلده، فإن اقشعر فهو ملتفت إلى حظ نفسه لم يكْمُلْ بعد إذ لو كمل لماتت نفسه فسموا الغيرة نفسًا، وسموا ذهابَ الحمية الذي هو وصفُ المخانيثِ كمال الإيمان.

وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن الرَّاونديَّة كانوا يَسْتَحِلُّونَ الحُرمات، فيدعو

(١) وقد سئل شيخ الإسلام عن حال هؤلاء كما ذكر المؤلف بنصه فأوضح أنهم أكفر أهل الأرض ثم قال: ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة كالصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة كالفواحش والظلم والخمر والميسر والزنا وغير ذلك أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة كالخبز واللحم والنكاح فهو كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل وإن أضمر ذلك كان زنديقًا منافقًا لا يستتاب عند أكثر العلماء، بل يقتل بلا استتابة إذا ظهر ذلك منه. ومن هؤلاء من يستحل بعض الفواحش: كاستحلال مؤاخاة النساء الأجانب والخلو بهن زعمًا منه أنه يحصل لهن البركة بما يفعله معهن وإن كان محرمًا في الشريعة وكذلك من يستحل ذلك من المردان ويزعم أن التمتع بالنظر إليهم ومباشرتهم هو طريق لبعض السالكين حتى يترقى من محبة المخلوق إلى محبة الخالق.. فهؤلاء كلهم كفار باتفاق المسلمين. انظر: الفتاوى ١١/ ٤٠١-٤٠٦.

الرجل منهم الجماعة إلى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته[١].

وكشف هذه الشبهة: أنه ما دامت الأشباح قائمة فلا سبيل إلى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد، فإن هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد، فأقل شيء يحركه كالمدرة تقع في الماء الذي تحته حمأة.

وما مثل الطبع إلا كالماء يجري بسفينة النفس، والعقل مَرْدٌ[٢]، ولو أن المَرَّادَ مد عشرين فرسخًا ثم أهمل، عادت السفينة تنحدر.

ومن ادعى تغيير طبعه كذب، ومن قال: إني لا أنظر إلى المتحسنة بشهوة. لم يصدق؛ كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تَغَيَّرُوا! فأين تأثير العقل والهوى يقودهم؟!

وقد رأينا أقوامًا منهم يصافحون امرأة وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصافح امرأة[٣]، وبلغنا عن جماعةٍ منهم أنهم يُؤَاخُون النساء ويخلون بهنَّ ثم يَدَّعُون السلامة وقد رأوا أنهم سلموا من الفاحشة وهيهات! فأين السلامة من إثمِ

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٢٩.

(٢) جاء في النسخ: مراد ويظهر أنها مرد والـمَرْدُ: السُّوْقُ الشديدُ والـمُرْدِيُّ: خَشَبة يدفع بها الـمَلَّاحُ السفـينةَ، والـمَرْدُ: دفعُها بـ الـمُرْدِيُّ، والفعل يَمْرُد وللمبالغة مرَّاد فمراده أن العقل هو من يدفع السفينة. انظر: اللسان ٣/ ٤٠٢ والقاموس المحيط ص٤٠٧.

(٣) يدل لما ذكره المؤلف حديث عائشة ﵂ في البخاري رقم (٢٧١٣) (٤٨٩١) (٥٢٨٨) (٧٢١٤) في مبايعة النبي ﷺ للنساء ومسلم رقم (١٨٦٦) وأبو داود رقم (٢٩٤١) والترمذي رقم (٣٣٠٦) والنسائي في الكبرى ٥/ ٣٩٣ وابن ماجه رقم (٢٨٧٥) والإمام أحمد ٦/ ١١٤ ١٥٣ ٢٧٠.
وأخرج الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢١٣ عن عبد الله بن عمرو ﵄، وبرقم (٦٩٩٨) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح. ولفظه: كان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء في البيعة. وانظر صحيح الجامع رقم (٢٥١٣). ويشهد له ماتقدم من حديث عائشة ﵂.

الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه؟ وأين الخلاص من جولان الفكر الرديء؟!

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو خلا عَظْمان نَخِران لَهَمَّ أحدهما بالآخرِ[١]. يشير إلى الشيخ والعجوز.

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنا الحسين بن علي الطناجيري، قال: أنا أبو حفص بن شاهين، قال: ومن الصوفية قوم أباحوا الفروج بادعاء الأخوة، فيقول أحدهما للمرأة: تؤاخيني على ترك الاعتراض فيما بيننا[٢].

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: وقد روى أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي في كتاب «رياضة النفوس»[٣] قال: رُوي لنا أن سهل بن علي المروذي كان يقول لامرأة أخيه وهي معه في الدار: استتري مني زمنًا، ثم قال لها: كوني كيف شئت.

قال الترمذي: وكان ذلك منه حين وجد شهوته ميتة.

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: أما موت الشهوة فلا يتصور مع حياة الآدمي وإنما تَضْعُفُ، والإنسانُ قد لا يقدر على الجماع، ولكنه يشتهي اللمسَ والنظر ثم نُقَدِّر أَنَّ جميع ذلك ارتفع عنه، أليس نهي الشرع عن النظر باق وهو عام!

وقد أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: قيل لأبي القاسم النصراباذي: إن بعض الناس يجالس

---

(١) لم أهتد إلى معرفة من أخرجه.

(٢) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

(٣) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٩٣٨ وسماه رياضة النفس وكذا الكتاني في الرسالة المستطرفة ص١٦٦. وقد بحثت عن هذا الكتاب له فلم أجده ووجدت له مؤلفًا باسم طبائع النفوس لم أجد فيه هذا الخبر.

النسوان ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن. فقال: ما دامتِ الأشباحُ قائمة فإنَّ الأمرَ والنهي باقٍ، والتحليل والتحريم مُخَاطَبٌ به ولن يجترئ على الشبهات إلا مَنْ هو يعرض للمحرمات[1].

قال المصنف: وقد ذكرنا عن أبي عليٍّ الرُّوذْباريُّ أَنَّه سُئِلَ عمَّن يقولُ: قد وَصَلْتُ[2]، فقالَ: قد وَصَلَ، ولكنْ إلى سَقَر[3]!

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أنا أبو نعيم الحافظ، وأخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت أبا بكر الرازي، يقول: سمعت أبا محمد الجريري، يقول: سمعت أبا القاسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة، فقال الرجل: أهلُ المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله ﷻ، فقال الجنيد: هذا قولُ قومٍ تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرقُ ويزني أحسنُ حالًا من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أُنْقِصْ من أعمال البر ذرة إلا أَنْ يُحَالَ بي دونها، لأنه أوكد في معرفتي وأقوى في حالي[4].

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أنا حمد بن أحمد، قال: أنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: سمعت علي بن عبد الله الحمصي، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الخياط، يقول: سمعت أبا محمد المرتعش، يقول: سمعت أبا الحسين النوري

---

(١) أخرجه السلمي في الطبقات ص٤٨٧ وعنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧/ ١٠٧.

(٢) في (ت): إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال.

(٣) تقدم هذا القول ص٥٧١.

(٤) أخرجه السُلمي في طبقات الصوفية ص١٥٨-١٥٩ وعنه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٧٨ وذكر بعضه شيخ الإسلام في الفتاوى ٢/ ٩٥.

يقول: مَنْ رأيته يَدَّعِي مع الله ﷻ حالةً تُخْرِجُهُ عن حَدِّ عِلْمٍ شرعي فلا تَقْرَبَنَّهُ، ومن رأيته يدعي حالة باطنة لا يَدُلُّ عليها ويَشْهَدُ لها حِفْظٌ ظاهر فاتَّهِمْهُ على دينه[١].

الشبهةُ السادسةُ: أَنّ أَقوامًا بالَغوا في الرياضةِ، فرأَوْا ما يُشْبِهُ نوعَ كرامةٍ، أو مناماتٍ صحت، أَو فُتحَت عليهِم كلماتٌ لطيفةٌ أَثْمَرَها الفكرُ والخلوةُ، فاعْتَقَدوا أَنَّهُم قد وَصَلوا إلى المقصودِ فرفضوا الأوامر والنواهي وقالوا: إنما هي أدوات للوصول إلى المقصود وقد وَصَلْنا، فما يضرُّنا شيءٌ، ومَن وَصَلَ إلى الكعبةِ انقطَعَ عنه السَّيْرِ! فتركوا الأعمالَ، إلا أَنَّهُم يُزَيِّنونَ ظواهِرَهُم بالمُرَقَّعَةِ والسجَّادةِ[٢] والرَّقصِ والوَجْدِ، ويتكلَّمونَ بعباراتِ الصوفيةِ في المعرفةِ والوَجْدِ والشوقِ.

وجوابهم هو جواب الذين قبلهم.

قال ابنُ عقيلٍ: اعْلَمْ أَنَّ الناسَ شَرَدوا على اللهِ ﷻ وبَعُدوا عن وضعِ الشرعِ إلى أَوضاعِهِم المُخْتَرَعَةِ.

فمنهُم: مَن عَبَدَ سواهُ؛ تعظيمًا لهُ عن العبادةِ، وجَعَلوا تلكَ وسائلَ على زعمِهِمْ.

---

(١) أخرجه أبو نعيم مطولًا في الحلية ١٠/ ٢٥٢ وعنه المؤلف هنا مقتصرًا على محل الشاهد. ولعل من تمام الفائدة أن أنقل ما ذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٤١٨ إذ قال رحمه الله: «ومن هؤلاء من يظن أن الاستمساك بالشريعة أمرًا ونهيًا إنما يجب عليه ما لم يحصل له من المعرفة أو الحال فاذا حصل له لم يجب عليه حينئذ الاستمساك بالشريعة النبوية بل له حينئذ أن يمشي مع الحقيقة الكونية القدرية أو يفعل بمقتضى ذوقه ووجده وكشفه ورأيه من غير اعتصام بالكتاب والسنة وهؤلاء منهم من يعاقب بسلب حاله حتى يصير منقوصًا عاجزًا محرومًا ومنهم من يعاقب بسلب الطاعة حتى يصير فاسقًا ومنهم من يعاقب بسلب الإيمان حتى يصير مرتدًا منافقًا أو كافرًا مُلَعَّنًا».

(٢) ليعلم أن رسول الله ﷺ ما كان يصلي على سجادة بل كان يصلي إمامًا بجميع المسلمين يصلي على ما يصلون عليه ويقعد على ما يقعدون عليه لم يكن متميزًا عنهم بشيء يقعد عليه لا سجادة ولا غيره ولكن يسجد أحيانًا على الخُمْرة؛ لأن المسجد لم يكن مفروشًا بل كانوا يصلون على الرمل والحصى وكان أكثر الأوقات يسجد على الأرض حتى يبين الطين في جبهته ﷺ. انظر: الفتاوى ٢١/ ١١٦.

ومنهم: مَن وحَّد؛ إلا أنه أَسقطَ العباداتِ، وقالَ: هذه أَشياءُ نُصِبَتْ للعوامِّ لعَدَمِ المعارفِ!

وهذا نوعُ شركٍ؛ فإنَّ الله ﷻ لما علمَ أَنَّ معرفَتَهُ ذاتُ قَفْرٍ بعيدٍ وجَوٍّ عالٍ، وبعيدٌ أَنْ يَتَّقي مَن لم يَعْرِفْ خوفَ النارِ؛ لأنَّ الخَلْقَ قد عَرَفوا قَدْرَ لذعِها، وقال لأهل المعارف: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨، ٣٠].

وعلم أن المتَعَبُّدَات أَكْثَرُها تقتضي الأُنس بالأمثالِ وَوَضْعَ الجهاتِ والأمكنة والأبنية والحجارة للأنساك والاستقبال، وأبان عن حقائق الإيمان به فقال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ [الحج: ٣٧]؛ فَعُلِمَ أَنَّ المعوَّلَ على المقاصِدِ، ولا يكفي مجرَّدُ المعارفِ مِن غيرِ امتِثالٍ، كما عَوَّلَ عليهِ الملحدةُ الباطنيةُ، وشُطَّاحُ الصوفيةِ[(١)].

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، قال : أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيرازَ رجلًا يعرف بابن خفيف البغدادي شيخِ الصوفية هناك يجتمعون إليه فيتكلمُ على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فَارِهٌ[(٢)] فَهِمٌ حاذق، فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب.

---

(١) وكلام الأئمة عن هؤلاء يصعب حصره ومزاعمهم هذه منسوجة من اعتقادات الباطنية، وقد سئل شيخ الإسلام عن مثل هؤلاء فأجاب رحمه الله بقوله: «أما من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية ومن شابههم من الملاحدة المتنسبين إلى علم أو زهد أو تصوف أو تزهد يقول أحدهم: إن العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة فإذا حصلت زال عنه التكليف ومن قال هذا فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جار على كل بالغ عاقل إلى أن يموت». الفتاوى ١١/ ٥٣٩. وانظر لمزيد بيان: درء التعارض ٣/ ٢٧٠-٢٧٤ والاستقامة ١/ ٤١٨.

(٢) الفارِهُ: الحاذِقُ بالشيء. انظر: مختار الصحاح ص٢١٠ واللسان ١٣/ ٥٢٢.

قال: فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات - وهنَّ خَلْقٌ كثير - ولم يختلط بمأتمهن غَيْرُهُنَّ، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواصُّ أصحابه - وهم عدد كثير - إلى الدار، وأخذ يعزي المرأة بكلام الصوفية إلى أَنْ قالت: قد تعزيتُ. فقال لها: هاهنا غير. فقالت: لا غير. قال: فما معنى إلزام النفوس آفات الهموم، وتعذيبها بعذاب الغموم، ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار، وتصفوَ الأرواح ويقع الإخلافات وتنـزل البركات؟

قال: فقلن النساء: إذا شئت. قال: فاختلطت جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم، فلما كان سحر خرجوا.

قال المحسن : قوله: هاهنا غير، أي: هاهنا غير موافق في المذهبِ، فقالت: لا غير، أي: ليس مخالف.

وقوله: نترك الامتزاج، كناية عن الممازجة في الوطء.

وقوله: لتلتقي الأنوار، عندهم أَنَّ في كل جسم نورًا إلهيًا.

وقوله: الإخلافات: أي يكونُ لَكُنَّ خَلفٌ ممن مات أو غاب من أزواجكن.

قال المحسن: وهذا عندي عظيم، ولولا أَنَّ جماعةً أخبروني يبعدون عندي من الكذب ما حكيته؛ لِعِظَمِهِ عندي، واستبعادِ مِثْلِهِ أَنْ يجريَ في دار الإِسلام[1].

قال: وبلغني أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عَضُدَ الدولةِ، فقبض على جماعةٍ منهم

---

(١) أخرجه أبو علي التنوخي في نشوار المحاضرة ٢/ ٢٠٤-٢٠٥ وأشار إلى مثل هذا المؤلف في المنتظم ٧/ ١١٢ وانظر: البداية والنهاية ١١/ ٢٢٩.

وضربهم بالسياط وشَرَّدَ جموعهم فكفوا[١].

فصل:

قال المصنف: ولَمَّا قلَّ علمُ الصوفيةِ بالشرعِ، فصدَرَ منهُم مِن الأفعالِ والأقوالِ ما لا يَحِلُّ، مثل ما ذكرنا ثمَّ تشبَّهَ بِهِم مَن ليسَ منهُم، وتسمَّى باسمِهِم، وصَدَرَ عنهُ مثلُ ما قدْ حَكَيْنا، وكانَ العاقلُ الصالحُ منهُم نادرًا؛ ذَمَّهُم خَلْقٌ مِن العُلماءِ، وعابوهُم، حتى عابَهُم مشائِخُهُمْ:

• أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنا المبارك بن عبدالجبار، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجي، قال: أخبرنا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، قال: أنا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، قال: أخبرنا إسحاق ابن سيار النصيبي، قال لنا عبد الملك بن زياد النصيبي، قال: كنا عند **مالك** فذكرت له صوفيين في بلادنا، فقلتُ لهُ: يلبسونَ فواخِرَ ثيابِ اليَمَنِ، ويفعلونَ كذا! فقالَ لي: ويْحَكَ! ومُسْلِمين هُم؟! قالَ: فضَحِكَ حتى اسْتَلْقى. قالَ: فقالَ لي بعضُ جُلسائِهِ: يا هذا! ما رَأَيْنا أَعظمَ فتنةً على هذا الشيخِ منكَ، ما رأَيْناهُ ضاحكًا قطُّ[٢].

• أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: أنا محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثني أبو الحسين بن القباب، قال: أنا محمد بن أبي يحيى، قال: أنا يُونسُ بن عبد الأعلى،

---

(١) نشوار المحاضرة ٢/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في الحث على التجارة ص١٤٥ رقم (٩٧) وذكر نحو هذا الأثر عن الإمام مالك القاضي عياض في ترتيب المدارك ٢/ ٥٤.

قالَ: سمعتُ **الشافعيَّ**، يقولُ: لو أَنَّ رجُلًا تصوَّفَ لم يأتِي الظُّهْرُ حتى يصيرَ أَحمَقَ[١].

أخبرنا أحمد بن منصور الهمذاني، قال: أنا أحمد بن سعد العجلي، قال: أخبرنا ينجير بن منصور إجازة، قال: أخبرنا جعفر بن محمد الأبهري، قال: أنا ابن روزبة، قال: أنا مرسل بن علي بن عبد الغفار، قال: أنا محمد بن الضحاك، قال: أنا يونس، قال: سمعت الشافعي رحمة الله عليه يقول: لو أن رجلًا عاقلًا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق[٢].

قال المصنف: وقد رواه أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد الحافظ في كتاب فضائل الشافعي[٣] قال: أخبرني أبو الحسين بن محمد بن أبي حسان الزيادي، قال: أنا الحسين ابن محمد بن الضحاك، قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: سمعت الشافعي يقول: لو أن عاقلًا تصوف من بكرة ما أتى عليه الظهر حتى يصير أحمق[٤].

قال أبو الحسين: وسمعت علي بن الحسين الضبعي يقول: سمعت موسى بن محمد الديلمي، يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: سمعت الشافعي يقول: ما أَحدٌ لَزِمَ الصوفيةَ أَربعينَ يومًا فعادَ إليهِ عَقْلُهُ أبدًا[٥]!

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٤٢.

(٢) انظر: سابقه.

(٣) أشار إلى هذا الكتاب ابن عساكر في تاريخه ٥١/ ٤٣٨ وأفاد أنه يقع في عشر مجلدات.

(٤) هذه الآثار نقلها المؤلف من كتاب أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي في فضائل الشافعي ولا أعلمه مطبوعًا. وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٤٢.

(٥) انظر: سابقه.

• قال ابن الجنيد: وأخبرني أسامة بن علي الغازي، قال: أخبرنا محمد بن الربيع بن بلال، قال: سمعت حرملة بن يحيى، قال: كان **الشافعي** إذا رأى الصوفية يقول:

ودَعُوا الذينَ إذا أَتَوْكَ تَنَسَّكُوا ** وإِذا خَلَوْا كانوا ذِئَابَ حِقَافِ[١]

• أخبرنا المحمدان: ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أنا حمد بن أحمد، قال: أنا أبو نعيم الحافظ، قال: أنا محمد بن جعفر، قال: أنا عبد الله بن محمد بن يعقوب، قال: أنا أبو حاتم، قال: أنا أحمد بن أبي الحواري، قال: قال **أبو سليمان**: ما رأيت صوفيًا فيه خير إلا واحدًا عبد الله بن مرزوق. قال: وأنا أرق لهم[٢].

• قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن علي، قال: أنا أحمد بن علي بن أبي الصغير، قال: سمعت **يونس بن عبد الأعلى** يقول: ما رأيت في الصوفية عاقلًا إلا إدريس الخولاني[٣].

• أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أحمد بن محمد، يقول: سمعت أبا جعفر أحمد بن إسماعيل بن عاصم، يقول: سمعت سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، يقول: سمعت أبي، يقول: سمعت **ابن وهب**، يقول: ما رأيت صوفيًا قط إلا أحمق، إلا إدريس بن يحيى الخولاني. قال السلمي: هو مصري من قدماء مشايخهم قبل ذي النون[٤].

• قال السلمي: وسمعت أبا عبد الله الرازي، يقول: سمعت أبا سهل حفيد يونس بن عبد الأعلى، يقول: سمعت **يونس بن عبد الأعلى** يقول: صحبت الصوفية

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١٥٤. وقد تقدم ص٦٨٢.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٦٥.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣١٩ وذكره الذهبي في السير ١٠/ ١٦٦.

(٤) لم أجده من طريق السلمي ويشهد له الذي قبله.

ثلاثين سنة، ما رأيت فيهم عاقلًا إلا سَلْم الخواص[١].

• أخبرنا حمد بن منصور الهمذاني، قال: أنا أبو علي أحمد بن سعد بن علي الصوفي إجازة، قال: أخبرنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن إسماعيل الأبهري، قال: أنا ابن روزبة، قال: أنا أبو الحسن صالح بن وصيف العتكي، قال: أنا أبو نغيا عبد العزيز بن محمد، قال: قال: أنا أحمد بن أبي الحواري، قال: أنا وكيع، قالَ: سمعتُ سفيانَ، يقولُ: سمعتُ **عاصمًا** يقولُ: ما زِلْنا نعرفُ الصوفيَّةَ بالحُمْقِ، إلا أنَّهُم يتسترونَ بالحديثِ[٢].

• قال ابن روزبة: وحدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفتح البغدادي، قال: أنا أحمد بن زكريا، قال: سمعت علي بن خشرم، يقول: قال لي **وكيع**: لمَ تركتَ حديثَ هشيم؟ قلت: صحبت قومًا من الصوفية وكنت بهم معجبًا. فقالوا: إنْ لم تَمْحُ حديثَ هشيم قاطعناك. فأطعتهم، قال: إن فيهم حمقًا.

• قال ابن روزبة: وحدثنا أبو عبد الرحمن طالب بن واصل السمرقندي، قال: أنا محمد بن نصير، قال: أنا **يحيى بن يحيى** قال: مخالفة الصوفية عندي من طاعة الله.

• قال ابن رزوبة: وحدثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن نصر القنطري، قال: نا أبي، قال: نا عبد الخالق بن منصور، قال: حدثوني عن يحيى بن يحيى، قالَ: الخوارجُ أَحبُّ إِليَّ مِن الصوفيةِ.

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أنا أبو عبد الله ابن باكويه، قال: أنا محمد بن داود السماني، قال: حدثني عبد الله بن سهل الرازي،

---

(١) لم أجده فيما لدي من كتب أبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) ما ذكر المؤلف من الآثار من طريق ابن روزبة لم أتمكن من معرفة مظانها. وقد علمت في ترجمته ما بُلي به من الوضع والكذب.

قال: سمعت يحيى بن معاذ، يقول: اجْتَنِبْ صحْبَةَ ثلاثةِ أَصنافٍ مِن الناسِ: العُلماءِ الغافِلِينَ، والفقراءِ المُداهِنِينَ، والمُتصَوِّفةِ الجاهِلِينَ منهم[١].

قال المصنف: وقد ذَكَرْنا في أَوَّلِ رَدِّنا على الصوفيَّةِ مِن هذا الكتابِ[٢] أَنَّ الفُقهاءَ أَنكروا بمصرَ على ذي النُّونِ ما كانَ يتكَلَّمُ بِهِ، وبِبِسْطام على أَبي يزيدَ، وأَخرجوا أَبا سُلَيمانَ الدَّارانيَّ، وهَرَب مِن أَيديهم أَحمدُ بنُ أَبي الحَوَاريّ وسَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ؛ وذلك لأَنَّ السَّلَفَ كانوا يُنَفِّرونَ مِن أَدْنى بدعةٍ، ويَهْجُرونَ عليها؛ تمسُّكًا بالسنةِ.

ولقد حدَّثَني أَبو الفتحِ بنُ السَّامَرِيِّ قال: جَلَسَ الفُقهاءُ في بعضِ الأربطةِ للعزاءِ بفقيهٍ ماتَ، فأَقْبَلَ الشيخُ أَبو الخطَّابِ الكلوذاني الفقيهُ متكئًا على يدي، حتى وقَفَ ببابِ الرِّباطِ، وقال: يَعِزُّ عليَّ لو رآني أَصحابنا القُدَماء وأَنا أَدخُلُ هذا الرباطَ.

قال المصنف رحمه الله: **قلتُ**: على هذا كانَ أَشياخُنا، فأَمَّا في زمانِنا فقد اصْطَلَحَ الذئبُ والغنمُ!

قالَ ابنُ عقيلٍ: ونقلت من خطبه[٣]، قال: أَنا أَذُمُّ الصوفيةَ لوجوهٍ يُوجِبُ الشرعُ ذم من فعلها، منها:

○ أَنَّهُم اتَّخَذوا مَناخَ البطالةِ وهي الأربطةُ، فانْقَطَعوا إِليها عن الجماعاتِ في المساجِدِ، فلا هيَ مساجِدُ، ولا بيوتٌ، ولا خاناتٌ، وصمدوا فيها للبطالةِ عن أَعمالِ المعاشِ.

○ وندبوا أَنفُسَهُم ندب البهائِم: للأكلِ، والشربِ، والرقصِ، والغناءِ، وعَوَّلوا

---

(١) نقل نحوه عن التستري المناوي في فيض القدير ٦/ ٤٠٥.

(٢) أشار المؤلف إلى ما قدمه وفصله عنهم في ذلك. انظر: تلبيس إبليس ص٢١٨-٢١٩.

(٣) في (أ): من خطه.

على الترقيعِ المعتمدِ بهِ التحسينُ؛ تلميعًا والمشاوذ[(١)] بألوانٍ مخصوصةٍ، أوقعَ في نفوسِ العوامِّ والنِّسوَةِ من تلميح السقلاطون[(٢)] بألوان الحرير.

○ واستمالوا النِّسوةَ والمُرْدانَ بتَصَنُّعِ الصُّوَرِ واللباسِ، فما دَخَلوا بيتًا فيهِ نِسوةٌ فخَرَجوا؛ إلا عن إفسادِ قلوبِ نسوةٍ على أزواجِهِنَّ.

○ ثم يقبَلونَ الطعامَ والنَّفقاتِ مِن الظَّلَمَةِ، والفُجَّارِ، وغاصبي الأموالِ؛ كالعمداء والأجناد وأربابِ المُكوسِ.

○ ويستصْحِبونَ المُردانَ بخلوتهم في الجُموعِ وضوءِ الشموع.

○ ويُخالِطونَ النِّسوةَ الأجانِبَ، يَنْصِبونَ لذلك حُجَّةَ إلباسِهِنَّ الخِرْقَةَ ويستحلون -بل يوجبون- اقْتِسامَ ثيابٍ من طرب فسقط ثوبه، ويُسَمُّونَ الطَّرَبَ وجْدًا، والدعوةَ وقتًا، والغناء قولًا، واقْتِسامَ الثيابِ حُكمًا.

○ ولا يَخْرُجونَ عن بيتٍ دُعوا إليهِ إلا عن إلزامِ دعوةٍ أُخرى يقولونَ: أنَّها وَجَبَت. واعْتِقادُ ذلك كفرٌ، وفعْلُهُ فسوقٌ.

○ ويعتَقِدونَ أَنَّ الغناءَ بالقُضْبانِ قُربةٌ.

وقدْ سَمِعْنا منهُم أَنَّ الدُّعاءَ عندَ حَدْوِ الحادي وعندَ حُضورِ المخدَّةِ مُجابٌ؛ اعتقادًا منهم أَنَّهُ قُربةٌ. وهذا كفرٌ أَيضًا؛ لأنَّ مَن اعتقدَ الحرامَ أو المكروهَ قُربةً؛ كانَ بهذا الاعتقادِ كافرًا، والناسُ بينَ تحريمِه وكراهتِهِ[(٣)].

---

(١) المَشاوِذُ: العمائمُ الواحد مِشْوَذٌ والميم زائدةٌ. انظر: النهاية ٤/ ٣٣٥ واللسان ٣/ ٤٩٧.

(٢) السَّقْلاطُون: نوْعٌ من الثِّياب وسقلاطون: من أعمال الروم يتخذ فيها الثياب المنقشة. انظر: لسان العرب ٧/ ٣٢٠ والمغرب ١/ ٤٠٢.

(٣) ومن اعتقد البدع التي ليست واجبة ولا مستحبة قربة وطاعة وطريقًا إلى الله وجعلها من تمام الدين ومما يؤمر به التائب والزاهد والعابد فهو ضال خارج عن سبيل الرحمن متبع لخطوات الشياطين. الفتاوى ٢١/ ١١٦-١١٧.

○ وإن علوا إلى مرتبة شيخوخةٍ قيل: الشيخ لا يعترض عليه، فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانخراطه في سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحًا وفي الأفعال المعلوم كونها في الشريعة فسقًا، فإنْ قبَّلَ أَمرد؛ قيلَ: رحمةٌ! وإنْ خلا بأَجنبيَّةٍ؛ قيلَ: بنية، وقد لَبِسَتِ الخرقةَ وإنْ قسَّم ثوبًا على غيرِ أَربابِه مِن غيرِ رضا مالكِه؛ قيلَ: حُكْمُ الخِرْقةِ[١].

وليس لنا شيخٌ نُسَلِّمُ إليهِ حالَه، إذ ليس لنا شيخٌ غيرُ داخلٍ في التكليفِ، وأن المجانينَ والصبيانَ يُضْرَبُ على أيديهم، وكذلك البهائم، والضرب بدل من الخطاب، ولو كانَ لنا شيخٌ يسلَّمُ إليهِ حالُه؛ لكانَ ذلك الشيخُ أَبا بكرٍ الصديقَ ﷺ، وقَد قال: إنْ اعْوَجَجْتُ فَقَوِّموني[٢]، ولم يَقُلْ: فسَلِّموا إِليَّ؟!

ثم انْظُرْ إلى الرسولِ ﷺ كيفَ اعْتَرَضوا عليهِ[٣]، وهذا عمر يقول: ما بالنا نَقْصُرُ وقد أَمِنَّا[٤]؟ وآخر يقولُ: تنهانا عن الوصالِ وتُواصِلُ[٥]؟! وآخر يقول: أَمَرْتَنا

---

(١) وقد قدم المؤلف في الخرقة والحكم في تقسيمها إيضاحًا لما ذكر هنا. ص٦٠٦- ٦١١.

(٢) هذا جزء من خطبة لأبي بكر الصديق ﷺ أخرجه معمر بن راشد في الجامع ١١/ ٣٣٦ ضمن المصنف لعبد الرزاق والهيثمي في المجمع ٥/ ١٨٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عيسى بن سليمان وهو ضعيف وعيسى بن عطية لم أعرفه.

(٣) ليس المراد الاعتراض على الحكم أو مخالفته إنما المراد الاستفهام والتبين لكون الأمر مشكلًا أو غريبًا عليهم فحصل السؤال أو التعجب.

(٤) الحديث أخرجه مسلم بطوله رقم (٦٨٦) عن يعلى بن أمية، وأخرجه أبو داود رقم (١١٩٩) والترمذي رقم (٣٠٣٤) والنسائي في السنن الكبرى ١/ ٥٨٣ وابن ماجه رقم (١٠٦٥) والدارمي ١/ ٤٢٣.

(٥) يشير المؤلف إلى حديث: نهي رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، أخرجه البخاري رقم (١٩٦٥) عن أبي هريرة ﷺ، وأخرج نحوه عن عدد من الصحابة: فعن أنس رقم (١٩٦١)، وعن ابن عمر رقم (١٩٦٢)، وعن أبي سعيد رقم (١٩٦٣)، و(١٩٧٦)، وعن عائشة رقم (١٩٦٤)، وعن أبي هريرة رقم (١٩٦٦)، و(٦٨٥١) وغيرهم. ومسلم في رقم (١١٠٢) عن ابن عمر، ورقم (١١٠٣) عن أبي هريرة، ⇐

بالفسخ ولم تفسخ(١)!

ثم إِنَّ الله تعالى تقولُ لهُ الملائكَةُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، ويقول موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[الأعراف: ١٥٥].

وإِنَّما هذه الكلمةُ جَعَلَها المتصوفةُ ترفيهًا لقلوبِ المتقدِّمينَ، وسلطنةً سَلَكُوها على الأتباعِ والمُريدينَ؛ كما قالَ تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[الزخرف: ٥٤].

ولعلَّ هذه الكلمةَ من القائلينَ منهُم بأَنَّ العبدَ إِذا عَرَفَ لم يَضُرَّهُ ما فَعَلَ، وهذه نهايةُ الزندقةِ؛ لأنَّ الفُقَهاءَ أَجمعوا على أَنَّهُ لا حالةَ ينتهي إِليها العارفُ إِلا ويَضيقُ عليهِ التكليفُ؛ كأَحوالِ الأنبياءِ يُضايَقونَ في الصغائِرِ(٢).

وأبو داود رقم (٢٣٦٠) والترمذي رقم (٧٧٨) والنسائي في الكبرى ٢/ ٢٤١ وأحمد في المسند ٢/ ٢٣١، ٢٣٧،... وغيرهم.

(١) مراد المؤلف فسخ من أهلَّ بالحج إلى عمرة ثم الإتيان بالحج لكي يصير متمتعًا ولفظ المؤلف لم أجده وإنما معناه ما أخرجه البخاري رقم (١٥٦٦) عن ابن عمر عن حفصة ﵂ زوج النبي ﷺ وكذا أخرجه البخاري رقم (١٧٢٥) و(٥٩١٦) ومسلم رقم (١٢٢٩) وأبو داود رقم (١٨٠٦) والنسائي ٥/ ١٣٦ وابن ماجه رقم (٣٠٤٦) والإمام أحمد ٦/ ٢٨٣ ٢٨٥ ومالك في الموطأ ١/ ٣٩٤ والشافعي في مسنده ص١٩٦.

(٢) مسألة جواز وقوع الصغائر من الأنبياء: قال قوم: بوجوب عصمة الأنبياء من الصغائر وهم طوائف من أهل البدع والكلام والشيعة وكثير من المعتزلة وبعض الأشعرية وغيرهم وهؤلاء فروا من شيء ووقعوا فيما هو أعظم منه في تحريف كلام الله عن مواضعه.

أما السلف قاطبة من القرون الثلاثة الذين هم خير قرون الأمة وأهل الحديث والتفسير وجمهور الفقهاء والصوفية وكثير من أهل الكلام كجمهور الأشعرية وغيرهم وعموم المؤمنين فعلى ما دل عليه الكتاب والسنة من جواز وقوع الصغائر من الأنبياء ويدل على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقوله ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] بعد أن قال لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] مع أنه عوقب بإخراجه

⇐

فاللهَ اللهَ في الإصغاءِ إلى هؤلاءِ الفُرَّغِ الخالينَ مِن الإثباتِ! وإنَّما هُم زنادقةٌ، جَمَعوا بينَ مدارِعِ[1] العُمَّالِ: مُرَقَّعاتٍ وصوفٍ، وبينَ أعمالِ الخُلَعاءِ الملحدةِ: أكلٍ وركضٍ وسماعٍ وإهمالٍ لأحكامِ الشرعِ.

ولم تتجاسَرِ الزنادقةُ أنْ تَرْفُضَ الشريعةَ حتى جاءَتِ المتصوِّفَةُ، فجاؤوا بوَضْعِ أَهلِ الخلاعَةِ.

فأَوَّلُ ما وَضَعوا أَسماءً، فقالوا: حقيقةٌ وشريعةٌ! وهذا قبيحٌ؛ لأنَّ الشريعةَ ما ما وَضَعَهُ الحقُّ لمصالحِ الخَلْقِ، فما الحقيقةُ بعدَها سوى واقع في النفوسِ مِن إلقاءِ الشياطينِ، وكُلُّ مَن رامَ الحقيقةَ في غيرِ الشريعةِ فمغرورٌ مخدوعٌ.

وإنْ سَمِعوا أَحدًا يروي حديثًا قالوا: مساكينُ، أَخذوا علمَهُمْ ميتًا عن ميتٍ، وأَخَذْنا علْمَنا عن الحيِّ الذي لا يموتُ، فمَن قالَ: حَدَّثَني أَبي عن جدِّي؛ قلتُ: حَدَّثَني قلبي عن ربِّي[2]!

من الجنة وهذه نصوص لا ترد إلا بنوع من تحريف الكلم عن مواضعه. وإنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعًا لدرجاتهم بالتوبة وتبليغًا لهم إلى محبته وفرحة بهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويفرح بتوبة التائب أشد فرح فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية فإن العبد تكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدره الله له من العمل أو البلاء. انظر: الرد على البكري ١/ ٣٠٦ والفتاوى ٢٠/ ٨٨.

(١) الدُّرّاعةُ والـمِدْرَعُ: ضرب من الثياب التي تُلْبَس، وقيل: جُبَّة مشقوقة الـمُقَدَّم. انظر: اللسان ٨/ ٨٢ والقاموس المحيط ص٩٢٣.

(٢) وكل من قال: أنا لا آخذ عن الموتى وإنما آخذ عن الحي الذي لا يموت أو قال: أنا آخذ عن قلبي عن ربي أو نحوه فكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع. انظر: إغاثة اللهفان ١/ ١٢٣ ومدارج السالكين ١/ ٤٠ والفتح ١/ ٢٢٢.

فمَلَكوا بهذه الخرافاتِ قلوبَ الأغمارِ[١]، وأُنْفِقَتْ عليهم لأجْلِها الأموالُ؛ لأنَّ الفقهاءَ كالأطِّباءِ، والنفقةُ في ثمَنِ الدَّواءِ صعبةٌ والنفقةُ على هؤلاءِ كالنفقةِ على المغنياتِ.

وبغضهم للفقهاءِ أكبرُ الزَّندقةِ؛ لأنَّ الفُقهاءِ يَحْصُرونَهُم بفتاويهم عن ضلالهِم وفِسْقِهِم، والحَقُّ ثقيلٌ كما تثقُلُ الزَّكاةُ، وتخف أجور المُغَنِّياتِ، وإِعطاء الشُّعراءِ على المدائحِ!

وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث، وقد أبدلوا إزالةَ العقل بالخمر بشيء سموه السماع والوجد، والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام.

كفى اللهُ الشريعةَ شرَّ هذه الطائفةِ الجامعةِ بينَ دَهْمَثَةٍ[٢] في اللبسِ، وطيبةٍ في العيشِ، وخِداعٍ بألفاظٍ معسولَةٍ، ليس تحتَها سوى إِهمالِ التكليفِ، وهُجْرانِ الشرعِ؛ ولذلك خَفُّوا على القُلوبِ، ولا دِلالةَ على أَنَّهُم أرَبابُ باطلٍ أَوضحُ مِن محبَّةِ طِباعِ أَربَابِ الدُّنيا لهُم؛ كمحبَّتِهِم أَربَابَ اللهْوِ والمُغنِّياتِ.

قال ابن عقيل: فإن قال قائل: هم أَربَابُ نظافة ومحاريب وحُسْنِ أَخلاقٍ. قال: فقلت: لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوبَ أمثالكم لم يَدُمْ لهم عَيْشٌ، والذي وصفتهم به رهبانية النصرانية، ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقتهم طريقة الفُكَاهَةِ والخداع، وهل يُخْدَعُ الناسُ إلا بطريقةٍ أو لسان؟! فإذا لم يكن للقوم قدم في العلم ولا طريقة فَبِماذا يجتذبون قلوبَ أرباب الأموال.

---

(١) الأَغْمارُ جمع غُمْر، بالضم: وهو الـجاهل الغِرُّ الذي لـم يُجرِّب الأُمور. انظر: الغريب لأبي عبيد ١/ ٢٤٩ واللسان ٥/ ٣٢.

(٢) الدُّهْمُوث: الكريم. ولعل المراد هنا أنهم يلبسون ملابس فاخرة كريمة فالكريم من الشيء أفخره وأفضله. انظر: اللسان ٢/ ١٤٩ ومعجم متن اللغة ٢/ ٤٦٦.

واعلمْ أنَّ حمل التكليف صعب، ولا أسهلَ على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة، ولا أصعب عليهم من حَجْرٍ ومَنْعٍ صدر عن أوامر الشرع ونواهيه.

وما على الشريعةِ أَضَرُّ مِن المتكلِّمينَ والمتصَوِّفينَ، فهؤلاءِ يُفْسِدونَ العقائِدَ بتوهيماتِ شُبُهاتِ العقولِ، وهؤلاءِ يُفسِدونَ الأعمالَ، ويهدِمونَ قوانينَ الأديانِ، يُحِبُّونَ البطالاتِ وسماعَ الأصواتِ.

وما كانَ السَّلَفُ كذلك، بل كانوا في بابِ العقائِدِ عَبيدَ تسليمٍ، وفي البابِ الآخرِ أَربابَ جَدٍّ.

فنصيحَتي إِلى إِخواني أَنْ لا يقْرَعَ أَفكارَ قلوبِهِم كلامُ المتكلِّمينَ، ولا تَصْغَي مسامعهم إِلى خُرافاتِ المتصوِّفينَ، بل الشُّغْلُ بالمعاشِ أَولى مِن بطالةِ الصوفيَّةِ، والوقوفُ على الظَّواهِرِ أَحْسَنُ مِن تَوَغُّلِ المُنْتَحِلَةِ[1].

وقد خَبَرْتُ طريقةَ الفريقينِ، فغايةُ هؤلاءِ الشكُّ، وغايةُ هؤلاءِ الشَّطْحُ!

قالَ ابنُ عقيلٍ: والمتكَلِّمونَ عندي خيرٌ مِن الصوفيَّةِ؛ لأنَّ المتكلِّمينَ قد يُزيلونَ الشَّكَّ[2]، والمتصوفة يوهِمونَ التشبيهَ، وأَكثرُ كلامِهِم يُشيرُ إِلى إِسقاطِ السِّفارة والنبوَّاتِ.

---

(١) جاء في الدرء ٨/ ٦٦: المنتحلة للكلام.

(٢) جاء في الدرء ٨/ ٦٦: لأن المتكلمين مرادهم مع التحقيق مزيد الشكوك في بعض الأشخاص.
وعلى ما ذكر المؤلف عن ابن عقيل رحمه الله: أن المتكلِّمينَ قد يُزيلونَ الشَّكَّ. فهذا كلام لايستقيم؛ إذ إن قلوب المتكلمين أنفسهم مليئة بالشك كما اعترفوا بذلك في آخر حياتهم وأكثر الناس شكًا هم أهل الكلام فكيف يزيلون الشك عن غيرهم؟ يقول إمامهم الرازي: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. انظر لمزيد بيان: مختصر الصواعق ١/ ١٦٦ ٢/ ٦٦٥ ٧٤٢ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٢٨ والنبوات ص١١٧ والعقود الدرية ص٩٠.

وإذا قالوا عن أَصحابِ الحديثِ: أَخَذوا علْمَهُم ميتًا عن ميتٍ؛ فقد طَعَنوا طعنًا في النبوَّاتِ، وعوَّلوا على القواطعِ، ومتى أُزْرِيَ على طريقٍ؛ سَقَطَ الأَخْذُ بهِ.

ومَن قالَ: حدَّثني قلبي عن ربِّي؛ فقد صرَّحَ بالغنى عن الرسولِ، ومَن صرَّحَ بذلك فقد كَفَرَ.

فهذه كلمةٌ مدسوسةٌ في الشريعةِ، تحتَها هذه الزندقةُ، ومَن رَأَيْناهُ يُزْري على النقلِ عَلِمْنا أَنَّهُ قد عَطَّلَ أَمْرَ الشريعة، وما يُؤْمِنُ هذا القائلُ: «حَدَّثني قلبي عن ربِّي» أَنْ يكونَ ذلك مِن إِلقاءِ الشيطانِ؛ فقدْ قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وهذا الظاهرُ؛ لأَنَّهُ تركَ الدليلَ المعصومَ، وعَوَّلَ على ما يُلْقى في قلبِهِ الذي لم تَثْبُتْ حراستُهُ مِن الوساوِسِ وهؤلاء يسمون ما يعتريهم خاطرًا.

قالَ: والخوارِجُ على الشريعةِ كثيرٌ، إلا أَنَّ الله ﷻ يؤيِّدُها بالنَّقَلَةِ حِفْظًا لأصلِها، وبالفُقَهاءِ حفظًا لمعناها، وهُم سلاطينُ العُلماءِ، لا يَتْرُكونَ لكَذَّابٍ رأْسًا يرتَفعُ.

قالَ ابنُ عقيلٍ : والناسُ يقولونَ: إِذا أَحَبَّ الله خرابَ بيتٍ تاجرٍ عاشَرَ الصوفيَّةَ. قال: وأَنا أَقولُ: وخَرابَ دينِهِ؛ لأَنَّ الصوفيةَ قد أَجازوا لُبْسَ النساءِ الخرق مِن الرجالِ الأَجانبِ، فإِذا حَضَروا السماعَ والطَّرَبَ؛ فربَّما جرى في خلال ذلك مغازلاتٌ واستحلى بعض الأَشخاصِ بعضًا، فصارَتِ الدعوةُ عُرسًا للشخصينِ، فلا يخرجُ القوم إِلا وقدْ تَعَلَّقَ قلب بشخصٍ، ومالَ طبعٌ إِلى طبعٍ، وتتغيَّرُ المرأَةُ على زوجِها، فإِنْ طابَتْ نفسُ الزوجِ سُمِّيَ بالدَّيُّوثِ، وإِنْ حَبَسَها طلبَتِ الفُرقةَ إِلى مَن تلبسُ منهُ المرَقَّعةَ، والاختلاطَ بمَن لا يُضَيِّقُ الخِناقَ، ولا يَحْجُرُ على الطِّباعِ.

ويُقالُ: تابَتْ فلانةٌ، وأَلبسَها الشيخُ الخِرْقَةَ، وصارتْ مِن بناتِه، ولم يَقْنَعوا بأَنْ يقولوا: هذا لَعِبٌ وخَطَأ. حتى قالوا: هذا مِن مقاماتِ الرجالِ.

ومرت على هذه السِّنونُ، وبَرَدَ حُكْمُ الكتابِ والسُنَّةِ في القُلوبِ.

قال المصنف: هذا كُلُّهُ كلام ابن عقيلٍ رحمه الله تعالى فلقد كانَ ناقِدًا مُجيدًا مُتَلمِّحًا فقيها[١].

أنشدنا علي بن عبيد الله الزاغوني، قال: أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبري، قالا: أَنْشَدَنا أَبو بكرٍ العَنبَرِيُّ لنفسهِ في الصوفيَّةِ:

تَأَمَّلْتُ أَخْتَبِرِ المُدَّعين ** بينَ المَوالي وبَيْنَ العَبيد
فألفَيْتُ أَكْثَرَهُمْ كَالسَّرابِ ** يَرُوقُكَ مَنْظَرُهُ مِنْ بَعِيد
فنَادَيْتُ يا قَوْمِ مَن تَعْبُدونَ ** فكُلٌّ أشارَ بقَدْرِ الوُجود
فبَعضٌ أَشارَ إِلى نَفْسِهِ ** وأَقْسَمَ ما فَوْقَها مِن مَزيد
وبعضٌ إلى خِرْقَةٍ رُقِّعَتْ ** وبعْضٌ إلى رَكْوَةٍ مِن جُلود

(١) وقد نقل شيخ الإسلام جملة من كلام ابن عقيل المتقدم ثم قال تعقيبًا عليه: ولابن عقيل من هذا الجنس في تعظيم الشرع وذم من يخالفه من أهل النظر والكلام وأهل الإرادة والعبادة كلام كثير من هذا الجنس كما قد تكلم في ذلك طوائف من أهل العلم والدين لكن من غلب عليه طريق النظر والكلام كان ذمه لمنحرفة العباد أكثر من ذمه لمنحرفة أهل الكلام ومن غلب عليه طريقة أهل الإرادة والعبادة كان ذمه لمنحرفة أهل الكلام والنظر أكثر من ذمه لمنحرفة أهل التصوف ومثل أبي بكر ابن فورك وابن عقيل وأبي بكر الطرطوشي وأبي عبد الله المازري وأبي الفرج ابن الجوزي وإن كانوا يذمون من بدع أهل الكلام والفلسفة ما يذمون فذمهم لما يذمونه من بدع أهل التصوف والتأله أعظم... درء التعارض ٨/ ٦٨.

وآخَــــرُ يَعْبُـــدُ أَهْـــواءَهُ ** ومــا عَابِــدٌ لِلْهَــوَى بالرَّشِــيْد
ومُجتَهِـــدٌ وقتـــه ريـــه ** فـإن فـات بـات[1] بليـل عنيـد
وذُو كَلَــفٍ باسْـتِماعِ السَّـماعِ ** بـينَ البَسـيطِ وبـينَ النَّشـيد
يَـئِنُّ إذا مَـا مضـت رَنَّـةٌ ** ويَـزْأَرُ مِنهـا زَئِـيرَ الأُسـود
يُخَـرِّقُ خُلْقانَـهُ عامِـدًا ** لِيَعْتَـاضَ مِنْهَـا بِثَـوْبٍ جَدِيـد
ويَرْمِـي بهَيْكَلِـهِ في السَّـعِيْرِ ** لِقَلْـعِ الثَّرِيْـدِ وبَلْـعِ العَصِـيْد
فَيَـا لَلرِّجَـالِ أَلا تَعْجَبُـونَ ** لِشَـيطانِ إِخْوانِنـا ذا المَرِيـد
يُخَـبِّطُهُم بِفُنُـونِ الجُنُـونِ ** ومـا لَلْمَجَـانينِ غـيرُ القُيُـود
وأُقْسِـمُ مـا عَرَفـوا ذا الجَـلالِ ** ولا أثبتـوه بِغَـيْرِ الجُحُـود
ولَـوْلا الوَفَـاءُ لأَهْـلِ الوَفَـاءِ ** سَـلَقْتُهُمُ بِلسَـانٍ حَدِيْـد
فَـمَا لي يُطَـالِبُني بالوِصَـالِ ** مَـنْ لَـيْسَ يعْلَـمُ مـا في الصُّـدُود
أَضِـنُّ بِـوُدِّي ويَسْـخُو بِـهِ ** وقَـدْ كُنْـتُ أَسْـخُو بِـهِ لِلـوَدُود
ولكِـنْ إذا لم أَجِـدْ صـاحِبًا ** يَسُـرُّ صَدِيقِي ويَشْجِي حَسُـودي
عَطَفْـتُ بِـوُدِّيَ مِنِّـي إِليـه ** فغابَـت نحوسِي وآتـت[2] سـعود
فَـمَا بـالُ قَـوْمِي عَـلى جَهْلِهِـمْ ** بِعِـزِّ الفَرِيـدِ وأُنْـسِ الوَحِيْـد
إذا أَبْـصَرُوني بَكَـوْا رَحْمَـةً ** ونِـيرانُ أَحْقـادِهِمْ في وَقُـود[3]
لأَنِّي بَعُـدْتُ عَـنِ المُـدَّعينَ ** ولو صَدَقُوا كنْتُ غَيرَ البَعيد[4]

---

(١) في (أ): (فإن مات بات بليل).
(٢) في (ت): أومضت.
(٣) في (أ): وقودي.
(٤) أشار إلى هذه الأبيات المؤلف في المنتظم ١٥/ ١٤٨.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار الصيرفي، قال: أنا أبو عبد الله محمد بن علي الصُّوري، قال: أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التُّجِيبي، قال: أنشدنا الحسين[1] بن علي بن سيَّار:

رأيتُ قومًا عليهِمُ سِمَة ** الخير بحمل الركاء مبتهلهْ
اعتزلوا الناس في جوامعهمْ ** سألتُ عنهم فقيل مُتَّكِلَهْ
صوفية للقضاء صابرة ** ساكنة تحت حكمه نَزَلهْ
فقلتُ إذْ ذاكَ هؤلاء هم النَّـ ** ـاسُ ومن دون هؤلاء رَذَلَهْ
فلم أزل خادمًا لهم زمنًا ** حتى تبينتُ أنهم سَفِلَهْ
إنْ أكلوا كان أَكْلُهُمْ سَرَفًا ** أو لَبِسوا كان شُهْرةً مُثْلَهْ
سل شيخهم والكبير مختبرًا ** عن فَرْضِهِ لا تَخَالُهُ عَقِلَهْ
واسأله عن وصف شادن غَنِجٍ ** مُدَلَّلٍ لا تراهُ قد جَهِلَهْ
عِلْمُهُمُ بينَهُمْ إذا جلسوا ** علم رَعاع الرَّعاع والرَّذَلَهْ
الوقت والحال والحقيقة ** والبرهان والعكس عندهم مسلهْ
قد لبسوا الصوفَ كي يروا ** صلحا وهم شِرارُ الذياب والحثلهْ
وجانبوا الكسبَ والمعاش لكي ** يستأصلوا الناسَ شُرَّهًا أَكَلَهْ
وليس من عِفَّةٍ ولا دَعَةٍ ** لكن لتعجيلِ راحة العطلهْ
فقل لمن مال باختداعِهِمُ ** إليهمُ تبْ فإنَّهُمْ بَطَلَهْ
واستغفر الله من كلامِهِمُ ** ولا تعاوِدْ لعِشْرَةِ الجَهَلَهْ

---

(١) في (أ)، وفي (ت): الحسن.

قال الصَّوريُّ: وأَنْشَدَني بعضُ شيوخِنا[(١)]:

أهــلُ التَّصَــوُّفِ قَــدْ مَضَــوْا ** صــارَ التصــوفُ مَخْرَقَــهْ[(٢)]
صــارَ التَّصَــوُّفُ صَــيْحَةً ** وتَوَاجُــدًا ومُطْبَقَــهْ[(٣)]
كَــذَبَتْكَ[(٤)] نَفْسُــكَ لــيس ذا ** سَــنَنَ الطَّرِيــقِ المُلْحِقَــهْ
حتــى تكــون بعــينِ مَــنْ ** مِنْــهُ العيــون المُحْدِقَــهْ
تجــري عليــك صُرُوفُــهُ ** وهُمُــومُ سِرِّكَ مُطْرِقَــهْ[(٥)]

أَنشدَنا محمد بن ناصر، قال: أنشدنا أبو زكريا التِّبريزي، لأبي العلاء المعري:

زعمــوا بــأَنَّهُمُ صَــفَوْا لمليكهم ** كذبوكَ ما صافوا ولكـن صـافوا[(٦)]
شجر الخـلاف[(٧)] قلـوبهم ويـح لهـم ** غرضي خلاف الحق لا الصَّفصاف[(٨)]

---

(١) نقل هذه الأبيات أبو طالب المكي في قوت القلوب ٢/ ١٠٩٩.

(٢) في (م)، وفي (ت): محرقة.

(٣) رجلٌ مُطْبَق عليه: أي مُغْمًى عليه وقيل: هو المُطبَق عليه حُمقًا وقيل: هو الذي أموره مُطْبَقَةٌ عليه: أي مُغَشَّاة. انظر: النهاية ٣/ ١١٤ واللسان ١٠/ ٢١٤.

(٤) في (أ): كذبت.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ١٠٨. من طريق أخرى عن بعض أهل الأدب. ثم ساق بعضها، وأورد بعدها أبياتًا أخرى من جنس ما أورد المؤلف.

(٦) جمع صائف: بمعنى عدلوا عن الحق إلى البطل يقال: صافَ شَرُّه يصُوفُ صَوْفاً: عَدَلَ وصافَ السهْمُ عن الهَدَفِ يَصُوفُ ويَصِيفُ: عدل عنه. انظر: النهاية ٣/ ٦٧ واللسان العرب ٩/ ٢٠٠.

(٧) الـخِلافُ: الصَّفْصَافُ، وهو بأَرض العرب كثـير، ويسمى السَّوْجَرَ وهو شجر عِظام، وأَصنافُه كثـيرة. انظر: اللسان العرب ٩/ ٩٧. والمقصود شَجَرَ الخلاف هنا: أي وقع بين القوم اختلاف في الأمر يقال: اشْتَجَرَ القوم وتَشَاجَرُوا تنازعوا واخْتَلَفوا والمُشَاجَرةُ المنازعة. انظر: النهاية ٢/ ٤٤٦ ومختار الصحاح ص ١٣٩.

(٨) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

ومراد الشاعر: أن الخلاف والاختلاف شَجَرَ بين القوم ووقعوا بالباطل وما خالف الحق. لا الصفصاف الذي هو الشجر ويسمى شجر الخلاف.

أنشدنا ابن ناصر، قال أنشدنا أبو زكريا، قال: أنشدَنا أَبو إِسحاقَ الشِّيرازيُّ الفقيهُ لبعضِهم:

أرى جيـلَ التَّصَـوُّفِ شَرَّ جِيـلِ ** فقـلْ لهُـمُ وأهْـوِنْ بـالحُلولِ
أقـالَ اللهُ حـين عَشِـقْتُمُوهُ ** كُلُوا أَكْلَ البهائمِ وارْقُصُوا لي[1]

(١) هذان البيتان بلفظ مقارب منسوبان لأبي النجيب شداد بن إبراهيم الملقب بالطاهر الجزري. ت٤٠١هـ. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤١٩٣ ومعجم الأدباء ١١/ ٢٧٠.

الباب الحادي عشر

في ذكرِ تلْبيس إبليس على المبتدئين بما يشبِه الكَرامات(١)

(١) الكرامة: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا وما كان مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة. «فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين ولكن كثيرًا من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعها الأمر الخارق للعادة». شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٤٦.

«ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة». العقيدة الواسطية ص١٩٨.

وقد خالف أهل السنة في هذا الباب طوائف، منها:

المعتزلة: إذ قالوا لاتخرق العادة إلا لنبي وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الأولياء. «وقول المعتزلة في إنكار الكرامة ظاهر البطلان؛ فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات وقولهم لو صحت لأشبهت بالمعجزة فيؤدي إلى التباس النبي بالولي وذلك لا يجوز وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة وهذا لا يقع ولو ادعى النبوة لم يكن وليًا بل كان متنبئًا كذابًا». شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٥٢.

الأشاعرة وغيرهم من أهل الكلام: إذ أثبتوا خوارق العادات وجعلوا خرق العادة جائزًا مطلقًا وكل ما خرق لنبي من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين بل ومن السحرة والكهان لكن الفرق أن هذه تقترن بها دعوة النبوة وهو التحدي.

والحق الذي لا مرية فيه إثبات الكرامات لأولياء الله دون غيرهم أما ما يكون للسحرة والكهان فليس من ذلك في شيء فالأولياء حصلت لهم الكرامة بالإيمان والتقوى والسحرة والكهان حصلت لهم تلك الخوارق باتباعهم ما نهى الله عنه ورسوله ومتابعتهم لأوليائهم من الشياطين.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن بعض الناس يعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة وأن الله تعالى لم يكرم عبدًا بكرامةٍ أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].. فإذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علمًا وقدرةً لا تضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك أنفع له فإنه إن اقترن به ↵

قالَ المصنف رحمه الله: قد بيَّنَّا فيما تقدَّمَ أَنَّ إِبليسَ إِنَّما يتمكَّنُ مِن الإِنسانِ على قَدْرِ قلّةِ العلمِ، فكُلَّما قَلَّ عِلْمُ الإِنسانِ كَثُرَ تمكُّنُ إِبليسَ منهُ، وكُلَّما كَثُرَ العِلْمُ قَلَّ تَمَكُّنُهُ منهُ.

ومِن العُبَّادِ مَن يرى ضَوءًا أَو نورًا في السَّماءِ، فإِنْ كانَ في رمضانَ قالَ: رأَيْتُ ليلةَ القَدْرِ، وإِنْ كانَ في غيرِه قالَ: قدْ فُتِحَتْ لي أَبوابُ السَّماء. وقد يتَّفِقُ الشيءُ الذي يطلُبُهُ، فيظُنُّ ذلك كرامةً، وربَّما كانَ كرامةً وربَّما كانَ اتِّفاقًا، وربَّما كانَ اختِبارًا، ورُبَّما كانَ مِن خِدَعِ إِبليسَ، والعاقِلُ لا يُساكِنُ شيئًا مِن هذا، ولو كانَ كرامةً.

وقد ذكرنا في باب الزهاد عنْ مالكِ بنْ دينارٍ وحَبيبٍ العَجَميِّ أَنَّهُما قالا: إِنَّ الشيطانَ لَيَلْعَبُ بالقُرَّاءِ كما يلعَبُ الصبيانُ بالجَوْزِ[1].

وقالَ المصنف رحمه الله **قلتُ**: ولقدْ اسْتَغْوى بعضَ ضُعَفاءِ الزُّهَّادِ بأَنْ أَراهُ ما يُشبِهُ الكرامةَ، حتى ادَّعى النبوةَ:

فَروىَ عبد الوهاب بن نجدة الحَوْطي قال: حدثنا محمد بن مبارك، قال: نا الوليد بن مسلم، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَسَّانَ قالَ: كانَ الحارِثُ الكَذَّابُ مِن أَهلِ

الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة فإن الخارق قد يكون مع الدين وقد يكون مع عدمه أو فساده أو نقصه فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٤٨-٧٧٥. ولمزيد بيان في مسألة الكرامات انظر غير ما ذكر: النبوات ص١٥-٣٤ والفتاوى ١٣/ ٩٠-٩١ وقطف الثمر ص١٠٦ ومقدمة محقق كتاب كرامات أولياء الله ضمن شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٩/ ١٥-٤١ ومن كتب أهل الكلام: شرح الأصول الخمسة ص٥٦٨ والإرشاد ص٢٦٦ والتمهيد ص١٢١ والمواقف ص٣٣٩ وشرح المقاصد ٥/ ١١. و للنظر: فيما يدعيه الصوفية من كرامات انظر: نشر المحاسن الغالية. إذ الكتاب شيد لهذا.

(١) ذكرهما المؤلف ص٢١٠ وفي المحقق ٢/ ٩١٥. وقد أوضح المؤلف هناك أن المراد بالقراء: الزهاد. والأثر عن مالك بن دينار أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٧٥. وعن حبيب العجمي أخرجه أبو نعيم أيضًا في الحلية ٦/ ١٥٢ وعنه المزي في تهذيب الكمال ٥/ ٣٩٢ وذكره المؤلف في صفة الصفوة ٣/ ٣١٧ وابن الملقن في طبقات الأولياء ص١٨٢.

دمشقَ، وكانَ مَوْلى لأبي الجُلَّاسِ، وكانَ لهُ أَبٌ بالغُوطَةِ تَعَرَّضَ لهُ إبليسُ، وكانَ مُتَعَبِّدًا زاهِدًا، لو لبسَ جُبَّةً مِن ذهبٍ لرأَيْتَ عليهِ زهادةً، وكانَ إذا أَخَذَ في التحميدِ لم يسمع السامِعونَ إلى كلامٍ أَحسنَ مِن كلامِهِ.

قالَ: فكَتَبَ إلى أَبيهِ: يا أَبتاهُ! أَعْجِلْ عليَّ فإنِّي قد رأَيْتُ أَشياءَ أَتَخَوَّفُ أَنْ تكونَ الشَّيطان. قالَ: فزَادَهُ أَبوهُ غَيًّا، فكتبَ إليهِ: يا بُنَيَّ أَقبِلْ على ما أُمِرْتَ بهِ، إنَّ الله يقولُ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢] ولستَ بأَفَّاكٍ ولا أَثيمٍ، فامْضِ لما أُمِرْتَ به.

وكانَ يَجيءُ إلى أَهلِ المسجِدِ رجلًا رجلًا، فيذاكِرُهُم أَمْرَهُ، ويأْخُذُ عليهِم العهدَ والميثاقَ إنْ هو رأَى ما يَرْضَى قَبِلَ، وإلا كَتَمَ عليهِ.

وكانَ يُريهمُ الأعاجيبَ: كانَ يأْتي إلى رُخامَةٍ في المسجِدِ، فيَنْقُرُها بيدِه، فتُسَبِّحُ، وكانَ يُطْعِمُهُم فاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ، ويقولُ: اخْرُجوا حتى أُريكُمُ الملائكَةَ، فيُخْرِجُهُم إلى دَيرِ المُرَّانِ، فيُريهم رجالًا على خَيْلٍ.

فتَبِعَهُ بَشَرٌ كثيرٌ، وفشا الأمْرُ، وكَثُرَ أَصحابُهُ، حتى وصَلَ الأمر إلى القاسمِ بن مُخَيْمِرَةَ، فقالَ لهُ: إنِّي نبيٌّ. فقالَ القاسِمُ: كَذَبْتَ يا عَدُوَّ الله!

فقالَ لهُ أَبو إدريسَ: بئسَ ما صَنَعْتَ إذْ لم تَلِينَ لهُ حتى تأْخُذَهُ، الآنَ يَفِرُّ.

وقامَ مِن مَجْلِسِهِ حتى دَخَلَ على عبدِ الملكِ، فأَعْلَمَهُ بأَمْرِهِ، فبَعَثَ عبدُ الملكِ في طَلَبِهِ، فلم يقْدرْ عليهِ، وخَرَجَ عبدُ الملكِ حتى نزَلَ الصِنَّبْرة، فاتَّهَمَ عامَّةَ عسكرِهِ بالحارثِ أَنْ يكونوا يَرَوْنَ رأْيَهُ.

وخَرَجَ الحارثُ حتى أَتى بيتَ المقدِسِ، فاخْتَفى، وكانَ أَصحابُهُ يَخْرُجونَ يلتَمِسونَ الرجالَ، يُدْخلونَهُم عليهِ.

وكانَ رجُلٌ مِن أَهلِ البصرةِ قد أَتى بيتَ المقدِسِ، فدخلَ على الحارثِ، فأَخذَ في التحميدِ، ثم أَخْبَرَهُ بأَمرِهِ، وأَنَّهُ نبيٌّ مبعوثٌ مُرْسَلٌ! فقالَ لهُ: إِنَّ كلامَكَ لَحَسَنٌ، ولكنْ في هذا نَظَرٌ. قال: فانظر.

فخَرَجَ البَصْرِيُّ، ثم عادَ إِليهِ فردَّ عليهِ كلامَهُ، فقال: إِنَّ كلامَكَ لَحَسَنٌ، وقد وقَعَ في قَلبي، وقد آمنْتُ بكَ، وهذا الدينُ المستقيمُ.

فأَمَرَ أَنْ لا يُحْجَبَ فأَقبلَ البصريُّ يتردَّدُ إِليهِ، ويعرِفُ مَداخِلَهُ ومَخارِجَهُ، وأَينَ يهْرُبُ! حتى صارَ مِن أَخَصِّ الناسِ بهِ ثم قالَ لهُ: ائْذَنْ لي أمشي. فقالَ: إِلى أَينَ؟ قالَ: إِلى البصرةِ، أَكونُ أَوَّلَ داعٍ لكَ بها. قال: فأَذِنَ لهُ، فخَرَجَ مُسرعًا إِلى عبدِ الملكِ وهو بالصنبرة، فلَمَّا دَنا من سُرادِقِهِ صاحَ: النَّصيحَةَ النصيحةَ. فقالَ أَهلُ العَسْكَرِ: وما نصيحَتُك؟ قالَ: نصيحةٌ لأميرِ المؤمنينَ.

قال: حتى دنا من أمير المؤمنين، فأَمَرَ عبدُ الملكِ أَنْ يَأْذَنوا لهُ فدَخَل وعندَهُ أَصحابُه. قال: فصاحَ: النصيحَةَ. قالَ: وما نصيحَتُكَ؟ قالَ: أَخْلِني، لا يَكُنْ عندَك أَحَدٌ. فأُخْرِجَ مَن في البيتِ، ثم قالَ: أدنني. قالَ: ادْنُ. فدَنا وعبدُ الملكِ على السَّريرِ. قال: ما عندَكَ؟ قالَ: الحارِثُ.

فلَمَّا ذَكَرَ الحارِثَ طَرَحَ عبدُ الملكِ نفسَهُ مِن السريرِ ثم قالَ: أَينَ هُو؟ قالَ: يا أَميرَ المؤمِنينَ! هُو بِبَيْتِ المقدسِ، قد عرفتُ مداخِلَهُ ومخارِجَهُ. فقصَّ عليهِ قصَّتَهُ، وكيفَ صنَعَ بهِ.

فقالَ: أنتَ صاحِبُهُ، وأَنتَ أَميرُ بيتِ المقدسِ، وأَميرُنا هاهُنا، فمُرْني بما شئتَ. قالَ: يا أميرَ المؤمنينَ! ابْعَثْ معيَ قومًا لا يَفْهَمونَ الكلامَ، فأَمَرَ أَربعينَ رجلًا مِن فَرْغَانَةَ، فقالَ: انْطَلِقوا معَ هذا، فما أَمَرَكُم بهِ مِن شيءٍ؛ فأَطيعوهُ.

قالَ: وكَتَبَ إلى صاحِبِ بيتِ المقدسِ إنَّ فلانًا الأميرُ عليكَ حتى يَخْرُجَ، فأَطِعْهُ فيما أَمَرَكَ بِهِ.

فلمّا قَدِمَ بيتَ المقدِسِ أَعطاهُ الكتابَ، فقالَ: مُرْني بما شِئْتَ. فقالَ: اجْمَعْ لي كُلَّ شمعةٍ تَقْدِرُ عليها ببيتِ المقدسِ، وادْفَعْ كُلَّ شمعةٍ إلى رجلٍ، وَرَتِّبْهُمْ على أَزِقَّةِ بيتِ المقدسِ وزواياها، فإذا قُلتُ: أَسْرِجوا. فأَسْرِجوا جميعًا.

فرَتَّبَهُمْ في أَزِقَّةِ بيتِ المقدسِ وزواياها بالشَّمعِ، وتقدَّمَ البصريُّ وحده إلى منـزلِ الحارثِ، فأَتى البابَ، فقالَ للحاجِبِ: اسْتَأْذِنْ لي على نبيِّ الله! قالَ: في هذه الساعةِ ما يؤذَنُ عليهِ حتى يُصْبِحَ. قالَ: أَعْلِمْهُ أَنِّي رجعْتُ شوقًا إليهِ قبلَ أَنْ أَصِلَ! فدَخَلَ عليهِ، فأَعْلَمَهُ كلامه، فأَمَرَهُ بفتحِ البابِ.

قالَ: ثم صاحَ البصريُّ: أَسْرجوا الشَّمعَ فأُسْرِجَتْ حتى كانَتْ كأَنَّها النهارُ. ثم قالَ: مَن مَرَّ بكُم فاضْبِطوهُ. ودَخَلَ هُو إلى الموضِعِ الذي يعرِفُهُ، فطَلَبَهُ، فلم يَجِدْهُ، فقالَ: أَصحابُه: هيهاتَ، تُريدونَ أن تقتلوا نبيَّ الله، قد رُفِعَ إلى السَّماءِ.

قالَ: فَطَلَبَهُ في شقٍّ قد هَيَّأَهُ سَرَبًا، فأَدْخَلَ البصريُّ يدَهُ في ذلك السَّرَبِ، فإذا هو بثوبِهِ؛ فاجْتَرَّهُ، فأَخْرَجَهُ إلى خارجٍ، ثم قالَ للفَرْغانِيِّينَ: اظْبُطوهُ. فرَبطُوهُ، فبينما هُم يَسيرونَ بهِ على البريدِ؛ إذ قالَ: أَتقتلونَ رجلًا أَنْ يقولَ ربِّيَ الله؟! فقالَ: أهل فرغَانَة أُولئكَ العَجَم: هذا كرامَتُنا، فهاتِ كرامَتَكَ أَنتَ!

فسار بهِ حتى أَتى بهِ عبدَ الملكِ، فلمّا سَمِعَ بِهِ أَمَرَ بخشبةٍ، فنُصِبَتْ، فصَلَبَهُ، وأَمَرَ بحَرْبَةٍ، وأَمَـرَ رجلًا فطَعَنَهُ، فأَصَابَ ضِلْعًا مِن أَضْلاعِهِ فانكَفَأَتِ الحربةُ فجَعَلَ الناسُ يصيحونَ: الأنبياءُ لا يجوزُ فيهِم السلاحُ.

فلَمَّا رأَى ذلك رجلٌ مِن المسلمينَ تناوَلَ الحَرْبَةَ، ثم أَقبل يتجسس، حتى وافى بينَ ضِلْعَيْنِ، فطَعَنَهُ بها، فأَنْفَذَه، فقَتَلَهُ[1].

قالَ الوليدُ: بَلَغني أَنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ دَخَلَ على عبدِ الملكِ فقالَ: لو حَضَرْتُكَ ما أَمرتُكَ بقتلِهِ. قالَ: ولِمَ؟ قالَ: إِنَّما كانَ بِهِ المذهبُ[2]، فلو جَوَّعْتَهُ؛ ذَهَبَ عنهُ!

وروى أبو الربيع[3] عن شيخ أدرك القدماء قال: لما حُمِلَ الحارثُ على البريد وجُعِلَتْ في عنقه جامعة من حديد فجمعت يداه إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلا هذه الآيات: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ [سبأ: ٥٠]. فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض، فوثب الحرسُ الذين كانوا معه فأعادوها عليه.

ثم ساروا به، فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده إلى الأرض فأعادوها عليه، فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالًا من أهل الفقه والعلم أن يَعِظُوه ويُخَوِّفُوه اللهَ ويعلموه أَنَّ هذا من الشيطان، فأبى أن يقبل منهم فصلب، وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت، فتكلم الناس وقالوا: ما ينبغي لمثل هذا أن يُقْتَلَ، ثم أتاه حَرَسِيٌّ برمحٍ دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه.

وسمعت مَنْ قال: قال عبد الملك للذي ضربه بالحربة فانثنت: أذكرتَ الله حين

---

(١) أخرجه المؤلف في المنتظم ٦/ ٢٠٤ وذكره ابن حجر في لسان الميزان ٢/ ١٥١ وأشار إليه في الفتح ٦/ ٦١٧.

(٢) لعله: نَوْعٌ من الماليخُولْيَا. وهو مرض يحدث من غلبة السَّوْداء يختلط معه الذهن والسَّوْداء: أحد الأخلاط الأربعة التي زعم الأقدمون أن الجسم مهيأ عليها بها قوامه ومنها صلاحه وفساده وهي: الصفراء والدم والبلغم والسوداء. انظر: المصباح المنير ص٦٥٨ والمعجم الوسيط ١/ ٤٦١.

(٣)انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١١/ ٤٣١.

طَعَنْتَهُ؟ قال: نسيت. قال: فاذكرِ الله ثم اطعنه. فذكر الله ﷻ ثم طعنه فأنفذها.

فصل:

وكم قد اغْتَرَّ أقوامٌ بما يُشْبِهُ الكراماتِ:

• أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم، قال: أنا أحمد بن يونس، قال: أنا أبو شهاب، عن حسن بن عمرو قال: قال فَرْقَدٌ: يا أَبا عِمْرانَ! أَصبحْتُ اليومَ وأَنا مُهْتَمٌّ بضريبَتي، وهي ستَّةُ دراهِمَ، وقد أَهلَّ الهلالُ، وليست عندي، فدعوتُ، فبينا أَنا أَمشي على شطِّ الفُراتِ إذا أَنا بستَّةِ دراهِمَ، فأَخذتُها فوزنْتُها، فإذا هي ستَّةٌ لا تزيدُ ولا تنقُصُ. فقال: تَصَدَّقْ بها، فإنَّها ليستْ لكَ[1].

قال المصنف رحمه الله: **قلتُ**: أَبو عِمْران هو إبراهيمُ النَّخَعِيُّ فقيهُ أَهلِ الكوفةِ.

فانْظُروا إلى كلامِ الفُقَهاءِ، وبُعْدِ الاغترارِ عنهُم، وكيفَ أَخبَرَهُ أَنَّها لُقَطَةٌ، ولم يلْتَفِتْ إلى ما يُشْبِهُ الكرامةَ، وإنَّما لم يأْمُرْهُ بتعريفِها لأنَّ مذهبَ الكوفيِّينَ أَنَّهُ لا يجبُ التعريفُ لِما دونَ الدينارِ[2]، وكأَنَّهُ إنَّما أَمَرَهُ بالتصدُّقِ بها؛ لئلا يُظَنَّ أَنَّهُ قد أُكْرِمَ بأَخْذِها وإنفاقِها.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٦/ ٢٧٨ ومن طريق الإمام أحمد أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٤٦.

(٢) هذه إحدى الروايات في مذهب أهل الكوفة، وفي تقرير هذا المذهب وأدلته والروايات فيه انظر: المبسوط للسرخسي ١١/ ٤، وقال ابن قدامة في المغني ٦/ ٧: ولا نعلم خلافًا بين أهل العلم في إباحة أخذ اليسير والانتفاع به وقد روي ذلك عن عمر وعلي وابن عمر وعائشة وبه قال عطاء وجابر بن زيد وطاوس والنخعي ويحيى بن أبي كثير ومالك والشافعي وأصحاب الرأي. وليس عن أحمد، وأكثر من ذكرنا تحديد اليسير الذي يباح.

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن الجهم، قال: أنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: أنا هشيم، قال مغيرة: أخبرنا عن إبراهيم في الرجل يجتهد في العبادة فيرى الضوء ونحو ذلك قال: ما أراه إلا من الشيطان لو كان خيرًا لأوثر أهل بدرٍ(١).

• أخبرنا عمر بن ظفر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أنا عبد العزيز ابن علي الأزجي، قال: أنا علي بن عبد الله بن جهضم، قال: أنا الخلدي، قال: سمعت ابن مسروق يقول: سمعت عبد الله الخياط، يقول: قال **إبراهيم الخُرسانيّ**: احْتَجْتُ يومًا إلى الوُضوءِ، فإذا أنا بكوزٍ مِن جوهَرٍ، وسِواكٍ مِن فضَّةٍ، رأْسُهُ أَلينُ مِن الخَزِّ، فاسْتَكْتُ بالسواكِ، وتوضَّأْتُ بالماءِ، وتركتُها، وانصرفتُ(٢).

قال المصنف رحمه الله: وفي هذه الحكايةِ مَن لا يُوثَقُ بروايتِه، فإنْ صحَّتْ دلَّتْ على قلَّةِ علم هذا الرجلِ، إذ لو كانَ يفْهَمُ الفقهَ عَلِمَ أَنَّ استعمالَ السواكِ الفضَّةِ لا يجوزُ(٣)، ولكنْ قلَّ عِلْمُهُ فاسْتَعْمَلَهُ، وظن أَنَّهُ كرامةٌ، والله تعالى لا يُكْرِمُ بما يَمْنَعُ مِن استعمالِهِ شرعه؛ إلا أن يكون أَظْهَرَ لهُ ذلك على سبيلِ الامتحانِ.

---

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

(٢) ذكره المؤلف عن عبد الله الخياط عن إبراهيم الخرساني في صفة الصفوة ٤/ ١٣٣.

(٣) اتفق الفقهاء على المنع من استعمال الفضة في آنية الشرب لورود النص في ذلك، وألحق كثير منهم سائر أنواع الاستعمال بالشرب، وسائر الآلات بالآنية، ولم يستثن أكثر الفقهاء من ذلك شيئًا سوى استعمالها للحاجة في حالات معينة، أو التختم بها، للنصوص الواردة، وقاس بعضهم على هذا بعض أنواع التحلي، ولم يذكر أحد من الفقهاء - فيما اطلعت عليه - استثناء السواك بسواك الفضة من تحريم استعمالها. انظر: المجموع ٤/ ٣٣٣، والمغني ٢/ ٣٢٥، والمحلى لابن حزم ١/ ٢٠٩، على أن السواك بما يجرح الفم ويضره ممنوع استعماله عند الفقهاء من أي شيء كان. مواهب الجليل ١/ ٢٦٦، والمجموع ٣/ ٣٣٦، والمغني ١/ ٧١، والفروع ١/ ١٢٨.

• وذكر محمد بن الفضل الهَمْذَاني المؤرخ قال: حدثني أبي، قال: كان الشَّرْمقاني المقرئ يقرأ على ابن العلاف، وكان يأوي إلى مسجد بدرب الزعفراني، فاتفق أَنَّ ابنَ العلاف رآه ذاتَ يومٍ في وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ من أوراق الخس ما يرمي به أصحابه، وجعل يأكله فَشَقَّ ذلك عليه، وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله.

فتقدم إلى غلام بالمضي إلى المسجد الذي يأوى إليه الشَّرْمقاني وأَنْ يعملَ لبابِهِ مفتاحًا من غير أن يعلمه ففعل، وتقدم إليه أَنْ يحملَ في كل يوم ثلاثة أرطال خبزًا سميدًا[١] ومعها دجاجة وحلوى سكرًا، ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام.

فأتى الشَّرْمقاني في أول يوم فرأى ذلك في القبلة مطروحًا ورأى البابَ مغلقًا فتعجب، وقال في نفسه: هذا من الجنة ويجب كتمانه وأَنْ لا أحدث به، فإنَّ مِن شرطِ الكرامة كتمانها، وأنشدني:

مَـنْ أطلعـوه عـلى سِرٍّ فبـاحَ بـه ** لم يَـأْمَنُوه عـلى الأسرارِ مـا عاشـا

فلما اسْتَوَتْ حاله وأَخْصَبَ جسمه، سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به، وقَصَدَ المزح معه، فأخذ يُوَرِّي ولا يُصَرِّحُ، ويكَنِّي ولا يُفْصِحْ، ولم يزل ابن العلَّاف يستخبره حتى أخبره أَنَّ الذي يجده في المسجد كرامة نزلت من الجنة؛ إِذْ لا طريقَ لمخلوقٍ عليه.

فقال له ابن العلاف: يجب أن تدعو لابن المسلمة؛ فإنه هو الذي فعل ذلك. فَنَغَّصَ عليه عَيْشَهُ بإخبارِهِ وبانت عليه شواهدُ الانكسار[٢].

---

(١) جاء في المنتظم للمؤلف ٨/ ٢١٣: خبزًا سميذًا بالذال المعجمة. والسَّمِيذ: لغة في السَّمِيد وهو لباب الدقيق. انظر: القاموس المحيط ص٤٢٥ والمعجم الوسيط ١/ ٤٤٧.

(٢) ذكر هذه القصة المؤلف في المنتظم ٨/ ٢١٢ وابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٨٤ والذهبي في معرفة القراء الكبار ١/ ٤١٢ وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٥/ ٦٥.

فصل:

قال المصنف رحمه الله: ولَمَّا عَلِمَ العُقلاءُ شدَّةِ تلبيسِ إبليسَ؛ حَذَّروا مِن أَشياءَ ظاهِرُها الكرامةُ، وخافوا أَنْ يكونَ مِن تلبيسِهِ:

• أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت منصور بن خلف المغربي، يقول: سمعت أبا الطَّيِّبِ الزيني، يقول: سمعتُ زَهْرونَ يقولُ: كَلَّمَني الطيرُ، وذاكَ أَنِّي كنتُ في الباديةِ، فتهتُ، فرأَيْتُ طائرًا أبيضَ، فقالَ لي: يا زهرون! أَنتَ تائِهٌ؟ فقلتُ: غُرَّ غيري أَنتَ شيطان. فقال لي: أَنتِ تائِهٌ؟ فقلتُ: يا شيطانُ! غُرَّ غَيْري. فوَثَبَ في الثالثةِ، وصارَ على كَتِفي، وقال: ما أَنا بشيطانٍ، أَنتَ تائِهٌ، أُرْسِلْتُ إِليكَ. ثم غابَ[1].

• أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي التوزي، قال: أنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: أنا أبو علي ابن صفوان، قال: أنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي حاتم، قال: حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثتني زُلْفى قالتْ: قلتُ لرابِعَةَ: يا عمَّةُ لم لا تأْذَنينَ للناس يدخُلونَ عليكِ؟ قالَتْ: وما أَرْجو مِن الناسِ: إِنْ أَتَوْني حَكَوْا عنِّي ما لم أَفعَلْ[2].

قال القرشي: وزادني غَيرُ ابن أبي حاتم، أنها قالت : بلغني أَنَّهُم يقولونَ: إِنِّي أَجِدُ الدراهِمَ تحتَ مُصَلَّايَ، ويُطبَخُ لي القدرُ بغيرِ نارٍ، ولو رأَيْتُ مثلَ هذه فَزِعْتُ منهُ.

---

(١) ذكر أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي في كتابه «رياض النفوس» زهرون بن حسون في طبقات عباد إفريقية وساق له جملة من الأخبار قريبًا مما ذكر المؤلف هنا. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٣٨٦٨.

(٢) ذكر الذهبي في السير ٨/ ٢٤٢ شيئًا من مثل هذا وأوضح أنه لا يصح. وساق المؤلف بعضًا من أخبارها في صفة الصفوة ٤/ ٣١ وقال في آخرها: اقتصرت هاهنا على هذا القدر من أخبار رابعة؛ لأني قد أفردت لها كتابًا جمعت فيه كلامها وأخبارها. وانظر: المنتظم ٧/ ٣٢٨.

قالَتْ: فقلتُ لها: إنَّ الناسَ يُكْثِرونَ فيكِ القولَ، يقولونَ: إنَّ رابعةَ تصيبُ في منزِلِها الطعامَ والشرابَ، وهل تجِدينَ شيئًا؟ قالتْ: يا ابنةَ أخي! لو وجدتُ في منزلي شيئًا ما مَسَسْتُهُ، ولا وَضَعْتُ يدي عليهِ.

قال القرشي وحدثني محمد بن إدريس، قال: قال محمد بن عمرو: وحدثتني زُلْفى عن رابِعَةَ أنَّها أَصْبَحَتْ يومًا صائمةً في يوم باردٍ؛ قالتْ: فنازَعَتْني نفسي إلى شيءٍ مِن السُّخْنِ أُفْطِرُ عليهِ، وكانَ عندي شحْمٌ، فقلتُ: لو كانَ معه بصلٌ أَو كُرَّاثٌ عالَجْتُهُ، فإذا عُصفورٌ قد جاءَ، فَسَقَطَ على المِثْعَبِ في مِنقارِهِ بَصَلَةٌ، فلمَّا رأَيْتُه أَضربْتُ عمَّا أَردْتُ، وخِفْتُ أَنْ يكونَ هذا مِن الشيطانِ[1].

• أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أنا أبو بكر ومحمد بن علي الخياط، قالا: أنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أنا ابن صفوان، قال: أنا أبو بكر القرشي، قال: أنا محمد بن الحسين، قال: حدثني محمد بن يزيد، قال: كانوا يَرَوْنَ لِوُهَيبٍ أَنَّهُ مِن أَهلِ الجنَّةِ، فإذا أُخْبِرَ بها اشتدَّ بكاؤهُ، وقالَ: قد خَشيتُ أَنْ يكونَ هذا مِن الشيطانِ[2].

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب الصوفي، قال: أنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أنا ابن باكويه، قال: سمعت الحسين بن أحمد الفارسي، يقول: سمعت محمد بن داود الدينوري، قال: سمعت أبا بكر الرافعي، يقول: سمعت أبا عثمان النَّيْسَابوري يقول: خرجنا جماعة مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور، فجلسنا فتكلم الشيخُ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا بأيِّل قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ فأبكاه ذلك بكاءً شديدًا، فلما سكن سألناه، فقلنا: يا أستاذ تكلمت علينا

(١) نقل نحوه اللالكائي في كرامات الأولياء ص٢٢٨. باب: سياق ما روي من كرامات رابعة العدوية.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ١٤١ ونقله المزي في تهذيب الكمال ٣١/ ١٧٢ وذكر نحوًا من ذلك اللالكائي في كرامات الأولياء ص١٧٧.

وطابتْ قلوبنا، فلما جاء هذا الوحشُ وبركَ بين يديك أزعجكَ وأبكاكَ؟ فقال: نعم. رأيتُ اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم فوقع في قلبي لو أنَّ شاةً ذبحتها فدَعَوْتُكُم عليها، فما تَحَكَّمَ هذا الخاطرُ حتى جاء هذا الوحش فبركَ بين يدي فَخُيِّلَ لي أني مثل فرعون الذي سأل رَبَّهُ أَنْ يُجْرِي له النيلَ فأجراه قلت: فما يُؤَمِّنُنِي أنْ يكون اللهُ تعالى يُعطيني كُلَّ حَظٍّ لي في الدنيا وأبقى في الآخرةِ فقيرًا لا شيءَ لي! فهذا الذي أزعجني[1].

فصل:

وقد لَبَّسَ إِبليسُ على قومٍ من المتأَخِّرينَ، فوَضعوا حكاياتٍ في كَراماتِ الأولياءِ؛ لِيُشيدوا بزعْمِهِمْ أَمْرَ القومِ، والحقُّ لا يحتاجُ إلى تشييدٍ بباطلٍ، فكَشَفَ الله سبحانه أَمْرَهُم بُعلماءِ النَّقْلِ:

● أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ، قال: أنا عبيد الله بن محمد الفقيه، قال: أنا أحمد بن عبد الله بن الحسن الآدمي، قال: حدثني أبي، قال: قال سَهْل بن عبدِ الله: قال عمر بن واصل: -كذا في الرواية والصواب قال: عمر بن واصل- قال سَهْل بن عبدِ الله: صَحِبْتُ رجلًا مِن الأولياءِ في طريقِ مكَّةَ، فنالَتْهُ فاقةٌ ثلاثةَ أَيامٍ، فعَدَلَ إِلى مسجدٍ في أَصلِ جبلٍ، وإِذا فيهِ بئرٌ عليها بكرٌ وحبلٌ ودَلْوٌ ومطهرةٌ عندَ البئرِ وشجرةُ رُمَّانٍ، ليس فيها حِمْلٌ، فأَقام في المسجدِ إِلى المغربِ، فلمَّا دَخَلَ الوقتُ؛ إِذا هو بأَربَعينَ رجلًا عليهِمُ المُسوحُ، وفي أَرْجُلِهِم نِعالُ الخُوصِ، فدَخَلوا المسجِدَ، وسلَّموا، فأَذَّنَ أَحَدُهُم، وأَقامَ الصلاةَ، وتقدَّمَ، فصلَّى بهِم، فلمَّا فَرَغَ مِن صلاتِه تقدَّمَ إِلى الشجرةِ، فإِذا فيها أَربعونَ رُمَّانةً غَضَّةً طريَّةً، فأَخَذَ كلُّ واحدٍ منهُم رُمَّانةً، وانصرَفَ.

---

(١) ذكره المؤلف في صفة الصفوة ٤/ ١٢١.

قال: وبِتُّ على فاقَتي، فلمَّا كانَ في الوقتِ الذي أَخذوا فيهِ الرُّمَّانُ؛ أَقْبَلوا أَجمعين، فلمَّا صَلَّوا وأَخَذوا الرُّمانَ؛ قلتُ: يا قومِ! أَنا أَخوكُم في الإِسلامِ، وبي فاقةٌ شديدةٌ، فلا كَلَّمتُموني، ولا واسَيْتُموني! فقالَ رئيسُهُم: إِنَّا لا نُكَلِّمُ محجوبًا بما مَعَهُ، فامْضِ، واطرحه وراءَ هذا الجبلِ في الوادي، وارْجِعْ إِلينا، حتى تنالَ ما ننالُ. قالَ: فرَقَيْتُ الجبلَ، ولم تَسْمَحْ نفسي برمْيِ ما معي، فدَفَنْتُهُ، ورجعتُ فقالَ لي: رَمَيْتَ؟ قلتُ: نعم. قالَ: فرأَيْتَ شيئًا؟ قلتُ: لا. قال: فما رَمَيْتَ به إِذنْ! فارْجِعْ فارمِ بهِ في الوادي. ففعلتُ: فإِذا قد غشيني مثلَ الدَّرْعِ نورُ الولايةِ، فرجعتُ، فإِذا في الشجرةِ رمَّانةٌ، فأَكلْتُها، واسْتَقْلَلْتُ بها مِن الجوعِ والعَطَشِ، ولم أَلْبَثْ دونَ المضيِّ إِلى مكَّةَ، فإِذا أَنا بهم بينَ زمزَمَ والمقامِ، فأَقْبَلوا عليَّ بأَجْمَعِهِم يسأَلوني عن حالي، فقلتُ: قد غُنيتُ عنكُم، وعن كلامِكُم آخِرًا؛ كما أَغْناكُم الله به عن كلامي أَولًا، فما فيَّ لغيرِ اللهِ موضعٌ»[(١)].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **قلت**: عمر بن واصِل: ضعَّفه ابنُ أَبي حاتمٍ[(٢)]، والآدميُّ وأَبوهُ مجهولان. ويدلُّ على أَنَّها حكايةٌ مصنوعةٌ قولهُم: «اطْرَحْ ما معكَ»؛ لأنَّ الأولياءَ لا يَأمرون بمخالفةِ الشَّرعَ، والشرعُ قد نهى عن إِضاعةِ المالِ.

وقولُهُ: «غَشِيَنى نورُ الولايةِ» حديثٌ فارغٌ، ومثلُ هذه الحكايةِ لا يَغْتَرُّ بها مَن شمَّ ريحَ العلمِ، وإنما يغترُّ بها الجُهَّالُ!

● أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو الفضل السهكي، قال: سمعت محمد بن علي الواعظ، قال: وفيما أفادني بعض الصُّوفِيَّة حاكيًا عن الجنيد قال: قال أبو موسى الديبلي: دخلت على أبي يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لي: تعالَ. ثم

---

(١) لم أجد من أخرجه غير المؤلف.

(٢) الجرح والتعديل ٦/ ١٤٠.

قال: إن رجلًا سألني عن الحياء فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء فدار دورانًا حتى صار كذا كما ترى وذابَ.

قال الجنيد: وقال أحمد بن خضرويه: وبقي منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذتُ منه فَصًّا فكلما تكلمتُ بكلام القوم أو سمعتُ من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شيء(١).

قال المصنف رحمه الله: **قلت**: وهذه من المخالفة القبيحة التي وضعوها، ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئًا؛ كان الإضراب عن ذكرها أولى.

• أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، قال: أنا أبو حنيفة البغدادي، قال: أنا عبد العزيز البغدادي، قالَ: كنتُ أَنظُرُ في حكاياتِ الصوفيَّةِ، فصَعِدْتُ يومًا إلى السَّطْحِ، فسمعتُ قائلًا يقولُ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]. فالتَفَتُّ، فلمْ أَرَ أحدًا، فطَرَحْتُ نفسي مِن السطحِ، فوقفْتُ في الهواءِ(٢)!

قال المصنف رحمه الله: **قلتُ**: هذا محالٌ، لا يشكُّ فيهِ عاقلٌ، ولو قدَّرْنا صحَّتَهُ فإِنَّ طَرْحَ نفسهِ مِن السطحِ حرامٌ، وظنَّهُ أَنَّ التولي يكون لمن فَعَلَ المنهيَّ عنهُ سوء فهم.

فصل:

وقد اندَسَّ في الصوفيةِ وتشبه بهم أَقوامٌ، شَطَحوا في ادعاءِ الكراماتِ، وأَظْهَروا للعوامِّ مخاريقَ صادوا بها قُلوبَهُم:

---

(١) أخرجه السهلكي في النور من أخبار أبي طيفور ص١٤٢.

(٢) لم أجد من أخرجه غير المؤلف ولابن باكويه كتاب في أخبار الصالحين - في عداد المفقود - يقرب أن يكون أخرجه فيه.

• وقد رُوِّينا عن **الحلَّاج** أنَّهُ كانَ يدفِنُ شيئًا مِن الخُبْزِ والحَلوى في موضعٍ مِن البريَّةِ، ويُطْلِعُ بعضَ أصحابِهِ على ذلك، فإذا أَصْبَحَ ؛ قالَ صاحبه: إنْ رأَيْت أَنْ نَخْرُجَ على وجهِ السياحَةِ. فيقومُ ويمشي معَهُ، فإذا جاؤوا إلى ذلك الموضع؛ قالَ لهُ صاحِبُهُ اشتهيت الآن كذا وكذا، فيتْرُكُهُم الحلَّاجُ، ويَنْزَوي عنهُم إلى ذلك المكانِ، فيُصَلِّي ركعتينِ، ويأْتيهِم بذلك(١)!

وكانَ يَمُدُّ يدهُ إلى الهواءِ، فيأخذ دراهم فقالَ لهُ بعضُ الحاضِرينَ يومًا: هذه دراهِمُ معروفةٌ، ولكنْ أُؤمِنُ بكَ إذا أَعطيْتَني درهمًا عليهِ اسمُكَ واسمُ أَبيكَ(٢)!

وما زالَ يُمَخْرِقُ إلى وقتِ صَلْبِهِ.

وأخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي، قال: قال لنا أبو عمر بن حَيْويه: لمَّا أُخْرِجَ حُسينٌ الحلَّاجُ ليقتل؛ مضيتُ في جُملةِ الناسِ، فلم أَزلْ أُزاحِمُ حتى رأَيْتُهُ، فقالَ لأصحابِهِ: لا يَهُولَنَّكُمْ هذا، فإنِّي عائدٌ إليكُم بعدَ ثلاثينَ يومًا! ثم قتل(٣).

قال المصنف: وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب(٤) شيئًا من اعتقاد الحلَّاجِ وتخليطِهِ،

---

(١) نقل مثل ذلك الذهبي في السير ١٤/ ٣٢٠. والتنوخي في نشوار المحاضرة ١/ ١٠٨-١١٣.

(٢) ذكر مثل ذلك ابن الأثير في الكامل ٧/ ٤.

(٣) أخرجه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ١٣١ وعنه المؤلف في المنتظم ٦/ ١٦٤ وذكره الذهبي في السير ١٤/ ٣٤٦ وقال بعدها: فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذاب حتى عند قتله.

(٤) انظر ما قدمه المؤلف ص٢٢٤ وفي المحقق ٣/ ١٠٢٥. وحول اتفاق علماء ذلك الوقت على قتل الحلاج انظر: الكامل في التاريخ ٧/ ٥ والفتاوى ٢/ ٤٨٣ ٣٥/ ١٠٨ والاستقامة ١/ ١٦٦ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ١٣٢-١٤٤: والأئمة إجماعهم على قتله وأنه قتل كافرًا وكان كافرًا ممخرقًا مموهًا مشعبذًا.

وتخليطِهِ، وبيَّنَّا أَنَّهُ قُتِلَ بقول فُقهاءِ العصر(١). وقد كانَ في المتأَخِّرينَ مَن يطَّلي بدُهْنِ الطَّلْقِ(٢)، ويقعُدُ في التنُّور، ويُظْهِرُ أَنَّ هذا كرامةٌ!

• قال ابن عقيل: وكان ابن الشباش وأبوه قبله له طيورٌ سوابقٌ وأصدقاء في جميع البلاد، فينـزلُ به قومٌ فيرفع طائرًا في الحال إلى قريتهم يخبر من له هناك بنـزولهم ويستعلمه عن أحوالهم وما تَجَدَّدَ هناك قبل مجيئهم إليه فيكتب ذلك إليه الحوادث فيحدث القوم بأحوالهم حديثَ مَنْ هو عندهم ثم يقول قد تجدد الساعة كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رُسْتَاقهم(٣) فيجدون الأمر على ما قال ويتكرر هذا فيصير عندهم كالقطعي على أنه يعلم الغيب.

قال: ومما فعل أنه أخذ عصفورًا وجعل في رجله بلفكًا وشد في البلفك كتابًا لطيفًا وشد في رجل حمامة بلفكًا وشد في طرف البلفك كتابًا أكبر من ذلك وجعلها

(١) وللمؤلف كتابٌ أسماه: «القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاج» وسمّاه شيخ الإسلام في الفتاوى ٣٥/ ١٠٩: «رفع اللجاج في أخبار الحلاج» وأسماه الذهبي: «القاطع بمحال المحاج بحال الحلاج». انظر: السير ١٤/ ٣٤٦ وتاريخ الإسلام وفيات ٣٥١-٣٨٠ ص٢٥٢ ومؤلفات ابن الجوزي ص١٦٩.

(٢) الطَّلْق: حجر الفتيلة: وهو شيء يشبه البردي يقال له الطلق لا تحرقه النار يوضع في الدهن ثم يشعل بالنار فيقد كما تقد الفتيلة فإذا اشتعل الدهن بقي على ما كان لم يتغير شيء من صفته وكذلك أبدًا كلما وضع في الدهن واشتعل وإذا ألقي في النار المتأججة لا تحرقه وينسج منه مناديل غلظ للخِوَان ـ الذي يؤكل عليه ـ فإذا اتسخت وأريد غسلها ألقيت في النار فيحترق ما عليها من الدرن وتخلص وتطلع نقية كأن لم يكن بها درن قط. هذا ما ذكره ياقوت عند ذكره لبعض المعادن في بلدة بَذَخْشَان: في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك. انظر: معجم البلدان ١/ ٣٦٠ واللباب في تهذيب الأنساب ١/ ١٣٠ وأقرب الموارد ١/ ٧١٣.

(٣) الرُّسْتَاقُ والرُّزْتَاق والرُّزْدَاق: واحد، فارسي معرب ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم والجمع الرَّسَاتِيقُ وقال بعضهم: الرُّستاق مولد وصوابه رُزْدَاق. انظر: القاموس المحيط ص١١٤٤ والمصباح ص٢٢٦.

بين يديه وجعل العصفور بيد غلام له في سطح داره والحمامة بيد آخر، وبعث طائرين برقعتين إلى قريتين معروفتين له بهما الأصحاب المتدبين لهذه الأسباب فلمَّا تكامل مجلسه بمن يدخل عليه قال: يا بارش - يوهم أنه يخاطب شيطانًا اسمه بارش - خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد في إصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فَيُسَرِّحُ غلامه المترصد لكلامه العصفور الذي في يده فيرتفع الكتاب بحضرة الجماعة نحو السماء يرونه عيانًا من غير أن تدرك عيونهم البلفك فإذا ارتفع الكتاب نحو السطح جبذه غلامه فقيد العصفور وقطع البلفك؛ حتى لا يرى ويرسل طائرًا إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ويتحقق هذا في القلوب ولا يبقى شك.

قال ابن عقيل: وإِنَّما ذكرت هذا لِيُعْلَمَ أَنَّه قد ارْتَفَعَ القومُ إِلى التلاعُبِ بالأديانِ، فأَيُّ بقاءٍ للشريعةِ معَ هذه الحال[1]؟!

قال المصنف: قلت: وابن الشَّبَّاش كان يكنى أبا عبد الله، الشَّبَّاش هو أبوه وكان يكنى أبا الحسن، واسم الشَّبَّاش: علي بن الحسين بن محمد البغدادي توفي بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشَّبَّاش وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة[2].

وكانت مذاهبهم تَخْفَى على الناس، إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الإمامية والغلاة الباطنيَّة.

وقد ذكرتُ في «التاريخِ» عن ابن الشَّبَّاش أَنَّ بعض أصحابه انكشفت له

---

(١) هذا الخبر مما نقله المؤلف من خط أبي الوفاء بن عقيل كما صرَّح بذلك في المنتظم ٨/ ١٥٣.

(٢) انظر: المنتظم ٨/ ١٥٢ وذكره ياقوت الحموي وسمَّاه ابن الشباس وذكر أنه: جاء إلى أهل صَيْمَرة وهي بالبصرة على نهر معقل. فادعى عندهم أنه إله فاستخف عقولهم بترهات فانقادوا له وعبدوه. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٣٩.

نارجياته[١]، ففارقه وبيَّن للناس أمره فكان مما حدث به عنه أنه قال: حضرنا يوما عنده وأخرج جَدْيًا مشويًا فلمَّا أكلناه أمر برد عظامه إلى التنور، فردت وترك على التنور طبقًا، ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديًا حيًا يرعى حشيشًا ولم نر للنار أثرًا ولا للرماد خبرًا.

قال: فتلطفتُ حتى عرفت وذلك أني وجدت ذلك التَّنور يفضي إلى سِرْدَاب وبينهما طَبَق حديد بلَوْلَب، فإذا أراد إزالة النَّار عنه فَرَكَهُ فينـزل إليه ويترك مكانه طبقًا آخر مثله[٢].

وقال المصنف رحمه الله: وقد رأينا في زماننا مَنْ يشير إلى الملائكة ويقول: هؤلاء ضيف مكرمون. يُوهِمُ أنَّ الملائكةَ قد حضرت ويقول لهم: تقدموا إليَّ.

وأخذ رجلٌ في زماننا إبريقًا جديدًا فترك فيه عسلًا فَتَشَبَّثَ الخزف بطعم العسل، واستصحبَ الإبريقَ في سفره، فكان إذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طَعْمَ العسل.

وما في هؤلاء مَنْ يَعرفُ اللهَ عز وجل ولا يخافُه، نعوذ بالله من الخذلان!

---

(١) النِّيرَجُ: أُخَذٌ تُشْبِه السِّحْرَ، ولـيست بحقـيقته، ولا كالسِّحْر، إنما هو تشبـيه وتلبـيس. وريحٌ نَـيْرَجٌ ونَوْرَجٌ: عاصِفٌ. وامرأَةٌ نَـيْرَجٌ: داهية مُنْكَرَة. انظر: العين ٦/ ١٠٦ واللسان ٢/ ٣٧٦ والمعجم الوسيط ٢/ ٩٦٧.

(٢) هكذا ذكره المؤلف في المنتظم ٩/ ١٢٢.

الباب الثاني عشر
في ذكر تلبيس إبليس على العوام

قال المصنف رحمه الله: قد بيَّنَّا أنَّ تلبيس إِبليسَ يَقْوى على مقدار قُوَّةِ الجهلِ، وقد افْتَنَّ فيما فَتَن به العوامَّ، وحَصْرُ ما فتَنَهُم به ولبَّسَ عليهِم فيهِ لا يمكِنُ ذِكْرُهُ؛ لكَثْرَتِه، وإِنَّما نذكُرُ مِن الأمَّهاتِ ما نستدل بِهِ على جنسِهِ، واللهُ الموفِّقُ:

• فمِنْ ذلك أَنَّهُ يأْتي إِلى العامِّيِّ، فيحمِلُهُ على التفكُّرِ في ذاتِ اللهِ عز وجل وصفاتِه، فيتشكَّكُ، وقد أَخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن ذلكَ:

أخبرنا ابن الحصين، قال: أنبأنا ابن المذهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**تَسْأَلُون حتى يقال: هذا الله خَلَقَنَا، فمن خلق الله؟**». قال: فقال أبو هريرة: فوالله إني لجالسٌ يومًا إذْ قالَ لي رجلٌ من أهل العراق: هذا الله خلقنا فمن خلق الله؟ قال أبو هريرة: فجعلتُ أصبعي في أذني ثم صحتُ: صدق اللهُ ورسولُه، اللهُ الواحدُ الصمدُ لم يلدْ ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحدًا[1].

أخبرنا عبد الله بن علي المقري، قال: أنبأنا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط، قال: أنبأنا الحسين بن عمر العلاف، قال: أنبأنا أبو حفص ابن شاهين، قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بلفظه في المسند ٢/ ٣٨٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه، والدارمي في الرد على الجهمية ص٩ واللالكائي في اعتقاد أهل السنة رقم (١٩٥) عن أبي عوانة بهذا الإسناد وهذا إسناد حسن لما علمت من حال عمر بن سلمة. وهو متابع بها في صحيح مسلم رقم (١٣٥) وبها أخرجه أبو داود رقم (٤٧٢٢) والنسائي رقم (٦٦١) وفي الكبرى ٦/ ١٦٩. وللحديث طرق أخرى صحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه منها: ما أخرجه البخاري رقم (٣٢٧٦) ومسلم رقم (١٣٤).

حدثني يحيى بن صاعد، قال: حدثنا الحسن بن عرفه، قال: حدثني عمار بن محمد، عن سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيطانَ يأْتي أَحَدَكُم، فيقولُ: مَن خَلَقَكَ؟ فيقولُ: الله فيقولُ: مَن خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ؟ فيقولُ: الله فيقولُ: مَن خَلَقَ اللهَ؟! فإِذا وجَدَ أَحدُكُم شيئًا مِن ذلك، فلْيَقُلْ: آمنتُ باللهِ ورسلِهِ**»[1].

قال المصنف رحمه الله: **قُلْتُ**: وإِنَّما وقَعَتْ هذه المحنةُ؛ لغَلَبَةِ الحسِّ، وهو أَنَّهُ ما رأى شيئًا إِلا مفعولًا، فلْيَقُلْ لهذا العامِّيِّ: أَلستَ تعلمُ أَنَّهُ خَلَقَ الزمانَ لا في زمانٍ، والمكانَ لا في مكانٍ، فإِذا كانت هذه الأرضُ وما فيها لا في مكانٍ، ولا تحتَها شيءٌ، وحِسُّكَ ينْفُرُ مِن هذا؛ لأَنَّهُ ما أَلِفَ شيئًا إِلا في مكانٍ، فلا يُطْلَبُ بالحسِّ من لا يُعْرَفُ بالحسِّ، وشاوِرْ عقلَكَ، فإِنَّهُ سليمُ المشاور[2].

- وتارةً يُلَبِّسُ إِبْليسُ على العوامِّ عندَ سماعِ صفاتِ الله عز وجل، فيَحْمِلونها على مقتضى الحِسِّ، فيعتقدونَ التشبيهَ.
- وتارةً يُلَبِّسُ عليهِم مِن جهةِ العصبيَّةِ للمذاهِبِ، فترى العامِّيَّ يُلاعنُ ويُقاتِلُ في أَمرٍ ما يعرِفُ حقيقتَهُ.

فمنهُم من يَخُصُّ بعصبِيَّتِهِ أَبا بكرٍ، ومنهُم من يَخُصُّ عليًّا رضي الله عنه، وكم قد جرى في هذا مِن الحروبِ!

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٦٢٤) ورقم (٦٢٦) والإمام أحمد في المسند٢/ ٣٣١، ورقم ٦/ ٢٥٧ وأخرجه ابن حبان رقم (١٥٠). ومسلم (١٣٤) وأبو داود رقم (٤٧٢١). وانظر: العلل للدار قطني ٨/ ٣٢٢. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٢ ٣٣ وقال عنه: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله ثقات.

(٢) في (ت): سليم المشاورة.

وقد جرى في هذا بينَ أَهلِ الكَرْخِ وأَهلِ بابِ البصرةِ على مر[1] السنينَ مِن القتلِ وإِحراقِ المحالِّ ما يطولُ ذِكْرُهُ. وترى كثيرًا ممَّنَ يُخاصِمُ في هذا يَلْبَسُ الحريرَ، ويشربُ الخمرَ، ويقتلُ النفسَ، وأَبو بكرٍ وعليٌّ بريئانِ منهُم.

• وقد يُحِسُّ العاميُّ من نفسهِ نوعَ فهمٍ، فيُسَوِّلُ لهُ إِبليسُ مخاصمةَ ربِّهِ، فمنهُم مَن يقولُ: كيفَ قضى وعاقَبَ؟ ومنهُمْ مَن يقولُ: لِمَ ضيَّقَ رِزْقَ المُتَّقي وأَوْسَعَ على العاصي؟

• ومنهُم من يشكُرُ على النِّعَمِ، فإِذا جاءَ البلاءُ اعْتَرَضَ وكَفَرَ.

• ومنهُم من يقول: أي حكمة في هدم الأجسام بعد بنائها؟

• ومنهم من يستبعدُ البعثَ.

• ومنهُم مَن يَخْتَلُّ عليه مقصود، أَو يُبْتَلى ببلاءٍ فيكْفُرُ، ويقولُ: أَنا ما أُريدُ أُصَلِّي. وربما غَلَبَ فاجرٌ مؤمنًا، فقَتَلَهُ، أَو ضَرَبَهُ، فيقولُ العوامُّ: قد غَلَبَ الصليبُ، ولماذا نُصَلِّي إِذا كانَ الأمرُ كذا؟!

وكلُّ هذه الآفاتِ تمكَّنَ بها إِبليسُ؛ لِبُعْدِهِم عن العلمِ والعُلماءِ، فلو أَنَّهُم اسْتَفْهَموا أَهلَ العلمِ لأخبروهُم أَنَّ الله ﷻ حكيمٌ ومالكٌ، فلا يَبْقَى مع هذا اعتراضٌ.

فصل:

• **قال المصنف** رحمه الله: ومِن العوامِّ مَن يرضى عن عَقْلِ نفسِهِ، فلا يُبالي بمُخالَفَةِ العُلماءِ، فمتى خالَفَتْ فتواهُم غَرَضَهُ أَخذَ يردُّ عليهِم، ويقدَحُ فيهِم.

وقد كانَ ابنُ عقيلٍ يقولُ: قد عِشْتُ هذه السنينَ، فلو أَدْخَلْتُ يدي في صنعةِ صانعٍ لقالَ: أَفْسَدْتَها عليَّ. فلو قلتُ: أَنا رجلٌ عالمٌ لقالَ: باركَ الله لك في عِلْمِكَ،

---

(١) في (ت): مر.

ليس هذا مِنْ شُغْلِكَ! هذا وشُغْلَهُ أَمرٌ حِسِّيٌّ، لو تعاطَيْتُه فهمْتُه، وما أنا فيهِ مِن الأمورِ أمرٌ عقليٌّ، فإذا أَفتَيْتُهُ لم يَقْبَلْ!

فصل:

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قلت:** ومن تلبيسِهِ عليهِم تقديمُهُم المتزهِّدينَ على العُلماءِ، فلو رَأَوْا جُبَّةَ صوفٍ على أجهلِ الناسِ عَظَّموهُ، خُصوصًا إذا طأْطَأَ رأْسَهُ، وتخشَّعَ، ويقولون: أَينَ هذا مِن فلانٍ العالِمِ؟ ذاكَ طالبُ الدُّنيا! وهذا زاهدٌ لا يأْكُلُ عِنَبَةً ولا رطبةً، ولا يتزوَّجُ قَطُّ؛ جَهْلًا منهُم بفَضْلِ العلمِ على الزهدِ، وإيثارًا للمُتَزهِّدينَ على شريعةِ محمد ﷺ.

ومِن نعمَةِ اللهِ ﷻ على هؤلاءِ أَنَّهُم لم يُدْركوا رسولَ اللهِ ﷺ، إذ لو رأَوْهُ يُكْثِرُ التزويجَ، ويصطفي السَّبَايا، ويأْكُلُ لحمَ الدَّجاجِ[1]، ويُحِبُّ الحَلوى والعَسَلَ[2]؛ لم يَعْظُم في صُدورِهِم! وقدحُهُم في العُلماءِ بتناوُلِ المباحاتِ، مِن أقبحِ الجهلِ.

فصل:

قالَ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأكثرُ ميلِهِم إلى الغُرباءِ، فهُم يُؤثِرونَهم على أَهلِ بلدِهِمْ مِمَّنْ قد خَبَروا أَمْرَهُ، وعَرَفوا عقيدَتَهُ، فيَميلونَ إلى الغريبِ، ولعلَّهُ مِن الباطنيَّةِ، وإنَّما يَنْبَغي تسليمُ النفوسِ إلى مَن قد خُبِرَت معرفتُهُ، قالَ الله ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا

---

(١) كما أخرجه البخاري رقم (٥٥١٧ ٥٥١٨) وأخرجه مسلم مطولًا رقم (١٦٤٩) والإمام أحمد ٤/ ٤٠٦ والترمذي رقم (١٨٢٦) والنسائي ٧/ ٢٠٦ وفي الكبرى ٣/ ١٦٢ والدارمي ٢/ ١٤٠ وابن حبان في صحيحه ١٢/ ٦٠.

(٢) هذا ثابت في الصحيحين وغيرهما، أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: رقم (٥٤٣١) ومسلم رقم (١٤٧٤) وأبو داود رقم (٣٧١٥) والترمذي رقم (١٨٣١) وابن ماجه رقم (٣٣٢٣) والإمام أحمد ٦/ ٥٩ والدارمي ٢/ ١٤٦.

﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء: ٦]، ومَنَّ الله سبحانَه في إرسال محمدٍ ﷺ إلى الخلقِ بأنَّهم يعرِفون حالَهُ، فقالَ ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقالَ: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٦] [الأنعام: ٢٠].

فصل:

وقد يَخرُجُ بالعوامِّ تعظيمُ المُتزَهِّدينَ إلى قَبولِ دعاويهم وإنْ حَرَّفوا الشريعَةَ، وخَرَجوا عن حُدودِها، فترى المُتَنَمِّسَ[1] يقولُ للعامِّيِّ: أَنتَ فعلتَ بالأمسِ كذا، وسَيَجْري عليكَ غدًا كذا، فيُصَدِّقُهُ، ويقولُ: هذا يتكلَّمُ على الخاطِرِ. ولا يعلَمُ أَنَّ ادِّعاءَ علم الغيبِ كُفْرٌ. ثم يَرَوْنَ مِن هؤلاءِ المُتَنَمِّسينَ أُمورًا لا تَحِلُّ: كمؤاخاةِ النساءِ، والخَلْوَةِ بهِنَّ، ولا يُنْكِرونَ ذلك تسليمًا لهُم أَحوالَهُم.

فصل:

- **قالَ المصنف** رَحِمَهُ اللهُ: ومِنْ تَلبيسِ إبليس على العَوامِّ: إطلاقُهُم أَنْفُسَهُم في المعاصي، فإذا وُبِّخوا تَكَلَّموا كلامَ الزنادقةِ:
  - فمنهُم مَن يقولُ: لا أَتركُ نَقْدًا لنسيئةٍ!

ولو فَهِموا عَلِموا أَنَّ هذا ليسَ بنَقْدٍ؛ لأَنَّهُ مُحَرَّمٌ واجب الترك وإنَّما يُخَيَّرُ بينَ النقدِ والنسيئةِ المُباحَين، فمثَلُهم كمَثَلِ محمومٍ جاهلٍ يأْكُلُ العسلَ، وإذا عُوتِبَ قالَ: الشهوةُ نقدٌ، والعافيةُ نسيئةٌ.

ثم لو آمنوا لعَلِموا أَنَّ تلكَ النسيئةَ وعدٌ صادقٌ لا يُخْلَفُ، ولو عَمِلوا عَمَلَ التُّجَّارِ الذينَ يُخاطِرونَ بكثيرٍ مِن المالِ لِمَا يرجُونَهُ مِن الربحِ القليلِ لعَلِموا أَنَّ ما

---

(١) التَّنْمِيسُ: التَّلْبِيسُ وقد نَمَّسَ عليه الأَمْرَ إذا لَبَّسَه ونَامَسَهُ مُنَامَسَةً ونِمَاسًا: سَارَّهُ. انظر: القاموس المحيط ص٧٤٧ وتاج العروس ١٦/ ٥٨٢.

تركوهُ قليلٌ، وما يَرْجونَهُ كثيرٌ ولو أَنَّهُم ميَّزوا بينَ ما آثَروا وما أَفاتوا أَنفُسَهُم لَرَأَوْا تعجيلَ ما تَعَجَّلُوا إذ فاتَهُمُ الربحُ الدائِمُ وأَوقَعَهُم في العذابِ الذي هُو الخسرانُ المبينُ الذي لا يُتَلافَى.

○ ومنهُم مَن يقولُ: الربُّ كريمٌ، والعفوُ واسعٌ، والرجاءُ مِن الدِّينِ. فيُسَمُّونَ تَمَنِّيَهم واغتِرارَهُم رجاءً، وهذا الذي أَهْلَكَ عامَّةَ المُذْنِبينَ.

قالَ أَبو عَمْرو بن العلاءِ: بَلَغَني أَنَّ الفرَزْدَقَ جلسَ إِلى قومٍ يتذاكرون رحمَةَ اللهِ، فكانَ أَوْسَعَهُم في الرجاءِ صَدْرًا. فقالوا لهُ: فلِمَ تقْذِفُ المُحْصَناتِ؟ فقالَ: أَخْبِروني لو أَذنَبْتُ إِلى والديَّ ما أَذنَبْتُهُ إِلى ربِّي ﷻ أَتُراهُما كان يَطيبانِ نفسًا يَقْذِفاني في تَنُّورٍ مملوءٍ جَمْرًا؟ قالوا: لا، بل كانا يرحَمانِك. قالَ: فإِنِّي أَوْثَقُ برحْمَةِ ربِّي منهُما[1]!

قال المصنف قلتُ: وهذا هو الجهْلُ المحْضُ؛ لأَنَّ رحمَةَ الله تعالى ليستْ برقَّةِ طبعٍ، ولو كانتْ كذلك لما ذُبِحَ عُصفورٌ، ولا أُميتَ طِفلٌ، ولا دخل أَحدٌ إِلى جهَنَّمَ.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: وجدت بخط محمد بن نصر بن أحمد بن مالك، يقول: حدثني أبو بكر محمد بن الفضل البزاز، قال: أنا بكر بن أحمد بن فرج بن عبد الرحيم، قال: أنا عَبَّاد، قالَ: قال الأصمَعِيُّ: كنتُ مع أَبي نُوَاسٍ بمكَّةَ، فإِذا أَنا بغُلامٍ أَمرد يستَلِمُ الحَجَرَ، فقالَ لي أَبو نُواسٍ: واللهِ لا أَبْرَحُ حتى أُقَبِّلَهُ عندَ الحَجَرِ، فقلتُ: ويْلَكَ! اتَّقِ اللهَ ﷻ، فإِنَّكَ في بلدٍ حرامٍ، وعندَ بيتِه. فقالَ: ما منهُ بدٌّ. ثم دَنَا من الحَجَرِ وجاء الغلام يستَلِمُهُ فبَادَرَ أَبو نُواسٍ فوضَعَ خَدَّهُ على خدِّ الغُلامِ، وقبَّلَهُ والله وأَنا أَرى، فقلتُ: ويلكَ! في حَرَمِ الله ﷻ. فقالَ: دَعْ ذا عنكَ، فإِنَّ ربِّي رحيمٌ. ثم أَنشأ يقولُ:

---

(١) أخرج نحوه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص١٠١ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٩/ ٢٦٦ والحافظ في لسان الميزان ٦/ ١٩٨.

وعَاشِــقانِ الْتَــفَّ[١] خَــدَّاهُمَا ** عنــدَ اسْــتِلامِ الحَجَــرِ الأَسْــوَدِ
فاشــتفيا[٢] مِــنْ غَــيْرِ أَنْ يَــأْثَمَا ** كــأَنَّما كانَــا عــلى مَوْعِــدِ[٣]

قال المصنف رحمه الله **قلتُ:** انْظُر إلى هذه الجُرأَةِ التي نَظَرَ فيها إلى الرحمةِ، ونَسي شدَّةَ العقابِ بانتهاكِ تلكَ الحُرمةِ.

وقد ذكرنا في أول كتابنا هذا أن رجلًا زنى بامرأة في الكعبة فَمُسِخَا حجرين[٤].

وقد دخلوا على أبي نُوَاسٍ في مرض موته فقالوا لهُ: تب إلى اللهِ عز وجل، فقالَ: إياي تُخَوِّفون! حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبيٍّ شفاعة وإني اختبأتُ شفاعتي لأهلِ الكبائر من أمتي**»[٥]. أفترى لا أكونُ منهم[٦]؟!

(١) في (م): التفت.
(٢) في (ت): فارتشفا.
(٣) أخرجه أبو محمد السرَّاج في مصارع العشاق ١/ ٨٤، وانظر: تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٩-٤٤٠ وغيرها فقد أطال الخطيب في ذكر أخباره في ذلك ومثله ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٤٣٢.
(٤) ذكره المؤلف ص٧٨ وفي المحقق ٢/ ٣٧٢. وهو ضعيف. انظر: الميزان ٣/ ٥٥٦ و٤/ ٣٠٤ والتقريب ص٤٧٩. والأثر أخرجه: هشام الكلبي في كتاب الأصنام ص٩ وانظر ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/ ٢١٥. ولمزيد نظر في هذا الخبر انظر: الفتح ٣/ ١٥٠-١٥١.
(٥) الحديث بهذا الإسناد لايصح؛ إذ فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف كما قال الحافظ في التقريب ص٥٩٩.
أما قوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». أخرجه أبو داود رقم (٤٧٣٩) والترمذي رقم (٢٤٣٥) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأحمد في المسند ٣/ ٢١٣ والحاكم في المستدرك ١/ ٦٩ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذا اللفظ. وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٩٨٣)، وصحيح الجامع الصغير رقم (٣٧١٤)، وفي تخريج مشكاة المصابيح رقم (٥٥٩٨) وقال: صحيح.
أما قوله «**لكل نبي شفاعة**»أخرجه الخطيب في تاريخه ١/ ٣٩٦ وأوضح الخطيب ضعفها. وشهد له ما أخرجه البخاري رقم (٥٩٤٥) و(٧٠٣٦) ومسلم رقم (١٩٨).
(٦) أخرج هذه القصة لأبي نواس الخطيب في تاريخ بغداد ١/ ٣٩٦. ثم قال: لم يرو عن محمد بن إبراهيم هذا إلا إسماعيل بن علي الخزاعي وإسماعيل غير ثقة. وأخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٩-٤١٠ وانظر أيضًا: لسان الميزان ٥/ ٢٣.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وخطأُ هذا الرجل من وجهين:

أحدهما: أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى العقاب.

والثاني: أنه نسي أن الرحمة إنما تكون لتائب كما قال عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وهذا التَّلبيس هو الذي يهلك عامة العوام، وقد كشفناه في ذكر أهل الإِباحة[١].

فصل:

• ومِنَ العَوامِّ من يقولُ: هؤلاءِ العُلماءُ ما يُحافِظونَ على الحُدودِ، فُلانٌ يفعَلُ كذا، وفلانٌ يفعَلُ كذا، فأَمْري أَنا قريبٌ!

وكَشف هذا التلبيس أَنَّ الجاهِلَ والعالِمَ في بابِ التكليفِ سواءٌ، فغَلَبَةُ الهوى للعالِمِ لا يكونُ عُذرًا للجاهِلِ.

فصل:

• ومنهم من يقولُ: ما قَدْرُ ذنبي حتى أُعاقَبَ! ومَنْ أَنا حتى أُؤاخَذَ، وذنبي لا يضرُّهُ، وطاعَتي لا تنفعُهُ، وعفوُهُ أَعظمُ مِن جُرْمي؛ كما قالَ قائِلُهُم:

مَنْ أَنا عِنْدَ اللهِ حَتَّى إذا ** أَذْنَبْتُ لا يَغْفِرُ لي ذَنْبي[٢]

وهذه حماقةٌ عظيمةٌ! كأَنَّهُم اعْتَقَدوا أَنَّهُ لا يؤاخِذُ إلا ضِدًّا أَو نِدًّا ثم أما عَلِموا أَنَّه بالمخالَفَةِ قد صاروا في مقامِ مُعانِدٍ.

وسَمِعَ ابنُ عقيلٍ رحمه الله رجلًا يقولُ: ومَن أنا حتى يعاقِبَني اللهُ؟! فقالَ لهُ: أَنتَ الذي لو أَماتَ اللهُ جميعَ الخلائِقِ وبقيتَ أَنتَ لكانَ قولُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خِطابًا لكَ.

---

(١) انظر: ما قدمه المؤلف ص٧٣٥.

(٢) هذا البيت ذكره الثعلبي في يتيمة الدهر ٥/ ٢٨ ونسبه إلى أبي القاسم علي بن محمد البهدلي الأيلي.

فصل:

• ومنهُم مَن يقولُ: سأَتوبُ وأَصْلُحُ.

وكم ساكَنَ الأملَ مِن أَبلَه، فاخْتَطَفَهُ الموتُ قبلَهُ! وليس مِن الحزمِ تعجيلُ الخطأ وانتظارُ الصوابِ، وربَّما لم تتهيَّأ التوبةُ، وربما لم تَصِحَّ، وربما لم تُقْبَلَ، ثم لو قُبِلَتْ بَقِيَ الحياءُ مِن الجنايةِ أَبدًا، فمَرارةُ خاطِرِ المعصيةِ حتى تَذْهَبَ أَسهَلُ مِن مُعاناةِ التوبةِ حتى تُقْبَلَ.

فصل:

• ومنهُم مَن يتوبُ، ثم ينقُضُ، فيَلَجُ عليهِ إِبليسُ بالمكائِدِ؛ لعلمِهِ بضَعْفِ عَزْمِهِ.

أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي، قال: أنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري، قال: أنا عبيد الله بن عثمان، قال: أنا علي بن محمد المصري، قال: أنا يوسف بن يزيد القراطيسي، قال: أنا نعيم بن حماد، قال: أنا المبارك بن فضالة[(١)] عنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قالَ: إِذا نظرَ إِليكَ الشيطانُ، فرآكَ مداومًا على طاعةِ الله تعالى فبغاكَ وبغاكَ[(٢)]، فرآكَ مداومًا في طاعة الله؛ مَلَّكَ ورَفَضَكَ، إِذا كنت مرَّةً هكذا ومرَّةً هكذا طمِعَ فيكَ[(٣)].

فصل:

• ومن تلبيسِهِ عليهِمْ أَنْ يكونَ لأحدِهِمْ نسبٌ، فيغترّ بنسبِه، فهذا يقول: أَنا مِن أَولادِ أَبي بكرٍ، وهذا يقولُ: أَنا مِن أَولادِ عليٍّ، وهذا يقولُ: أَنا قريبُ النسبِ من فُلانٍ العالمِ أَو مِن فُلانٍ الزاهِد.

---

(١) جاء في (أ): أخبرنا ابن المبارك عن فضالة وصوابه كما في الزهد لابن المبارك: ابن المبارك عن المبارك ابن فضالة عن الحسن فسقط من سند المؤلف ابن المبارك وفي نسخة (أ) سقط [المبارك] وقال: عن فضالة وهو المبارك بن فضالة.

(٢) جاء في (م) و(ت): فنعاكَ ونعاكَ. وهو مخالف لما في مصادر الخبر.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص٧ رقم (٢٠).

وهؤلاءِ يَبْنونَ على أَمْرينِ:

أحدُهما: أَنَّ مَن أَحبَّ إِنسانًا أَحبَّ أَولادَهُ وأَهلَهُ.

والثّاني: أَنَّ هؤلاءِ لهُم شفاعةٌ، وأَحَقُّ مَن شفعوا فيهِ أَولادُهُم وأَهلُهُم!

وكِلا الأمرينِ غَلَطٌ:

أَمَّا المحبةُ: فليستْ محبَّةُ اللهِ تعالى كمحبَّةِ الآدميِّينَ، وإِنَّما يُحِبُّ مَن أَطاعَهُ، فإِنَّ أَهلَ الكتابِ مِن أَولادِ يعقوبَ عليه السلام، ولم ينتَفِعوا بآبائِهم ولو كانت محبةُ الأبِ تسري لسرى البغض أيضًا.

وأَمَّا الشفاعَةُ: فقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ولَمَّا أَرادَ نوحٌ عليه السلام حَمْلَ ابنِه في السفينةِ قيلَ لهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، ولم يشْفَعْ إِبراهيمُ في أَبيهِ ولا نبيُّنا في أُمِّهِ[١]، وقد قال ﷺ لفاطمةَ رضي الله عنها: «**لا أُغْني عنكِ مِن اللهِ شيئًا**»[٢].

ومَن ظنَّ أَنَّهُ ينْجو بنجاةِ أَبيهِ؛ كانَ كمَنْ ظنَّ أَنَّهُ يشبعُ بأَكلِ أَبيهِ!

فصل:

• ومن تلبيسِهِ عليهِمْ أَنْ يَعْتَمِدَ أَحدُهُم على خَلَّةِ خيرٍ، ولا يُبالي ما فعَلَ بعدَها:

فمنهُم من يقولُ: أَنا مِن أَهل السنَّةِ، وأَهلُ السنَّةِ على خيرٍ، ثم لا يَتَحاشى عن المعاصي.

---

(١) انظر: ما سبق ص٧٧٤.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٧٥٣)، ورقم (٣٥٢٧)، ورقم (٤٧٧١) ومسلم رقم (٢٠٦) والنسائي ٦/ ٢٤٨ وفي الكبرى ٤/ ١٠٨ والترمذي رقم (٣١٨٥) وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٣، ٣٥٠، ٣٩٩.

وكَشف هذا التلبيس أَنْ يُقالَ لهُ: الاعتقادُ فرضٌ، والكَفُّ عنِ المعاصي فَرْضٌ، ولا يَكْفي أَحدُهُما عن صاحِبِهِ.

وكذلك تقول الروافِضُ: نحنُ يَدْفَعُ عنا موالاة أهلِ البيتِ(١). وكذَبوا فأَنَّهُ إِنَّما يدفَعُ التَّقوى.

ومنهم من يقول: أنا ألازمُ الجماعةَ وأفعلُ الخيرَ وهذا يدفعُ عني.

وجوابه كجواب الأول.

فصل:

• **قال المصنف** رحمه الله: ومِن هذا الفنِّ تلبيسُهُ على العيَّارينَ(٢) في أَخذِ أَموالِ الناسِ، فإِنَّهُم تسمَّوا بالفِتْيانِ، وقالوا: الفتى لا يَزْني، ولا يكذِبُ، ويحفظُ الحُرم ولا يهتِكُ ستْرَ امرأَةٍ، ومع هذا لا يتحاشَوْنَ مِن أَخْذِ أَموالِ الناسِ، ويَنْسَوْنَ تَقَلِّي الأكبادِ على الأموالِ. ويُسَمُّونَ طريقَتَهْم الفُتُوَّةَ، وربما حَلَفَ أَحدُهُم بحقِّ الفُتُوَّة(٣)، فلم

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة أنهم: «يتولون جميع المؤمنين ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعًا ويتولون السابقين والأولين كلهم ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم». منهاج السنة النبوية ٢/ ٧١.

وبهذا يفارق أهل السنة النواصب الذين يبغضون عليًا وأصحابه. والروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ إلّا نفرًا قليلًا زاعمين أن النصوص التي جاءت في فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم وينتحلون مذهب أهل البيت كذبًا وافتراءً ويكذبون على أهل البيت كذبًا لا يحصيه إلّا الله فظاهر مذهبهم محبة أهل البيت وباطنه الطعن في نقلة هذا الدين المفضي إلى الطعن في الرسالة. انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٣ و١٣/ ٢٦٣ ومنهاج السنة ٥/ ٤٤ وشرح العقيدة الواسطية ص١٩٢.

(٢) رجل عَيّار: إذا كان كثير التَّطْواف والحركة ذكِيًّا وقيل: العَيَّار من الرجال: الذي يخلي نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها وقيل: الذي يتردد بلا عمل وقال الخطابي: يقال: عار الرجل إذا انهمك في الخلاعة. انظر: غريب الخطابي ١/ ٤٨٠ والمغرب ٢/ ٩٢ واللسان ٤/ ٦٢٣.

(٣) الحلف بغير الله لا يجوز. وقد تقدم بيان ذلك ص٤٥١ وانظر: التوسل والوسيلة ص٥١ والروح ص٧٨.

يأْكُلْ ولم يشْرَبْ. ويجعلونَ إِلباسَ السراويلِ للداخِلِ في مذهبِهِم كإِلباسِ الصوفيَّةِ للمُريدِ المُرَقَّعَةَ[(١)].

وربما سمع أَحدُ هؤلاءِ عن ابنتِهِ أَو أُخْتِهِ كلمةً لا تصلح، وربَّما كانتْ متخرِّصة، فقَتَلَها، ويدَّعونَ أَنَّ هذا فتوةٌ. وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب:

أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الأنصاري، قال: أنا أبو يعقوب، قال: سمعت إبراهيم بن إسماعيل الخلال، قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان قال: سمعت أحمد بن الحسن بن عبد ربه يقول: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم! فقلت: من أبو الهيثم؟ فقال: أبو الهيثم الحداد، لما مدّت يداي للعقابين[(٢)]

(١) الفَتَى في اللغة: الشاب والفَتَاةُ: الشابة وقد فَتِي بالكسر فَتَاءً بالفتح والمد فهو فَتِيُّ السن بين الفَتَاءِ والفتَى أيضًا السخي الكريم يقال: هو فَتِيّ بَيِّنُ الفُتُوَّة وقد تَفَتَّى وتَفَاتَى والجمع فِتْيَانٌ وفِتْيَةٌ. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٢٨٩ ومختار الصحاح ص ٢٠٦.

واسم الفتوة لم يجئ في القرآن ولا في السنة ولا في لسان الصحابة وإنما استعمله من بعدهم في مكارم الأخلاق وهذا موجود فى كلام كثير من المشائخ وأمثال تلك الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة؛ لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الأسماء كلفظ الإحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والخير، ونحو ذلك من الأسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني سواء سميت فتوة أو لم تسم.

أما ما أحدثه أولئك العيارون من الفتوة التي يلبس فيها الرجل لغيره سراويل ويسقيه ماء وملحًا فهذا لا أصل له ولم يفعلها أحد من السلف لا علي ولا غيره والإسناد الذي يذكرونه فى الفتوة إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ إسناد مظلم عامة رجاله مجاهيل لا يعرفون وليس لهم ذكر عند أهل العلم.

وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ولا يسقى ملحًا ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم وتأدبوا بهم واستفادوا منهم وتخرجوا على أيديهم وصحبوا من صحبوه منهم وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة.

انظر: الفتاوى ١١/ ٨٢-٩١ ومنهاج السنة ٨/ ٤٧ والمدارج ٢/ ٣٤٠-٣٥٤ والمنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٠٦.

(٢) العقابان: عودان ينصبان مغروزين في الأرض يمد بينهما المضروب أو المصلوب. انظر: المغرب ١/ ٤٣٠.

وأُخْرِجَتِ السياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا أبو الهيثم العَيَّارُ اللصُّ الطَّرَّارُ[١] مكتوبٌ في ديوان أمير المؤمنين ضُرِبْتُ ثمانيةَ عشر ألف سوطٍ بالتفاريق، وصبرتُ في ذلك على طاعةِ الشيطان؛ لأجلِ الدُّنيا، فاصبرْ أنتَ في طاعة الرحمنِ؛ لأجلِ الدِّين[٢].

قال المصنف رحمه الله **قلت**: أبو الهيثم هذا يقال له: خالدٌ الحدَّادُ، كان يُضْرَبُ المَثَلُ بصبره.

وقال له المتوكلُ: ما بَلَغَ من جَلَدِكَ؟ قالَ: املأ لي جِرابًا عقارِبَ ثم أدخل يدي فيه، وإنه ليؤلمني ما يؤلمكَ، وأجدُ لآخرِ سوطٍ من الألم ما أجدُ لأولِ سوطٍ، ولو وُضِعتْ في فمي خرقةٌ وأنا أُضْرَبُ لاحترقت؛ من حرارة ما يخرج من جوفي، ولكنني وطَّنْتُ نفسي على الصبر. فقال له الفتح: ويحك مع هذا اللسان والعقل؛ ما يدعوكَ إلى ما أنت فيه من الباطل. فقالَ: أحب الرئاسة. فقال المتوكل: نحن خليدية[٣] وقال الفتح: أنا خليدي.

وقال رجل لخالد: يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب؟ فقال: بلى يؤلمنا، ولكنْ معنا عزيمةُ صبرٍ ليست لكم.

وقالَ داود بن علي: لما قدم خالد، اشتهيت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالسًا غير متمكن؛ لذهاب لحم أليتيه من الضرب، وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون:

---

(١) الطَّرَّار: هو الذي يَشُقُّ كُمَّ الرَّجُل ويَسُلُّ ما فيه من الطَّرِّ: القَطْع والشَّق. انظر: النهاية ٣/ ١١٨ واللسان ٤/ ٤٩٩.

(٢) أخرجه المؤلف في مناقب الإمام أحمد ص٣٣٣ وذكره المؤلف في صفة الصفوة ٢/ ٣٥١ والمزي في تهذيب الكمال ١/ ٤٦١ وابن عساكر في تاريخه ٥/ ٣١٣.

(٣) نسبة إلى خالد على غير قياس فكأنهم انتسبوا إليه لعظم صنيعه ومقصده في نفوسهم.

ضرب فلان، وفعل بفلان، فقال لهم: لم تتحدثون عن غيركم؟ افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم[(١)].

قال المصنف رحمه الله تعالى: **قلتُ**: فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعبُ بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم لَيَحْصُلَ لهم الذِكْرُ، ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر، والعجب أنهم يظنون حالهم مرتبةً وفضيلةً مع ارتكاب العظائم!

فصل:

• ومِن العوامِّ مَن يعتمدُ على نافلةٍ ويضيِّعُ فرائِضَ مثل: أَنْ يَحْضُرَ المسجدَ قبلَ الأذانِ، ويتنفَّلَ، فإذا صلَّى مأمومًا يسابقُ الإمامَ، ومنهُم من لا يَحْضُرُ في أَوقاتِ الفرائِضِ، ويُزاحِمُ ليلةَ الرغائِبِ[(٢)].

---

(١) جميع ما ذكر المؤلف من خبر خالد الحداد انظر فيه: المنتظم ١١/ ٤٢-٤٣.

(٢) عنى: ليلة صلاة الرغائب وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ابتدعت بعد القرن الرابع وهي صلاة لا أصل لها كما قال الحافظ في فتح الباري ١١/ ٥٥ وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم ٨/ ٢٠: «هذه الصلاة المبتدعة التي تسمى الرغائب قاتل الله واضعها ومخترعها فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة وفيها منكرات ظاهرة وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة في تقبيحها وتضليل مصليها ومبتدعها ودلائل قبحها وبطلانها وتضلل فاعلها أكثر من أن تحصر. والله أعلم»

ولا يعلم عن أحد من الأئمة أنه صححها إلا ابن الصلاح؛ ولذلك عد من المآخذ عليه. قال الحافظ الذهبي في السير ٢٣/ ١٤٣: «وله - ابن الصلاح - مسألة ليست من قواعده شذ فيها وهي صلاة الرغائب قواها ونصرها مع أن حديثها باطل بلا تردد».

قال شيخ الإسلام: «صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين لم يسنها رسول الله ولا أحد من خلفائه ولا استحبها أحد من أئمة الدين كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة والثورى والأوزاعى والليث وغيرهم والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث». الفتاوى ٢٣/ ١٣٢-١٣٥.

وانظر: لمزيد إيضاح حول هذه الصلاة وبيان بطلانها: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٩٣ ولسان الميزان ٤/ ٢٥٥ ونقد المنقول ص٨٢ والباعث على إنكار البدع ص٢٥ وكشف الخفاء ٢/ ٣٦ ٥٦٣ والمصنوع ص٤٢٦ وقواعد التحديث ص١٥٧.

فصل:

• ومنهُم مَن يتعبَّدُ ويبكي وهُو مصرٌّ على الفواحِشِ، لا يترُكُها، فإنْ قيلَ لهُ!

قالَ: سيئةٌ وحسنةٌ، والله غفورٌ رحيمٌ!

وجُمْهورُهُم يتعبَّدُ برأْيِهِ، فيُفْسِدُ أَكثَرَ ممَّا يُصْلحُ.

ورأَيتُ رجلًا منهُم حَفِظَ القرآنَ وتزهَّدَ، ثم جَبَّ نفسَهُ، وهذا مِن أفحَشِ الفواحِشِ!

فصل:

• وقد لبَّسَ إِبليسُ على خَلْقٍ كثيرٍ مِن العوامِّ، يحضُرونَ مجالِسَ الذِّكْرِ، ويبكونَ، ويكتفونَ بذلكَ؛ ظنًّا منهُم أَنَّ المقصودَ الحضورُ والبكاءُ؛ لأنَّهم يسمَعونَ فضلَ الحضورِ في مجلسِ الذِّكْرِ، ولو عَلِموا أَنَّ المقصودَ إِنَّما هُو العملُ، وإِذا لم يُعْمَلْ بما سمع كَان زيادةً في الحُجَّةِ.

وإِنِّي لأعْرِفُ خَلْقًا يحضُرونَ المجلسَ منذُ سنينَ، ويبكونَ ويخْشَعونَ، ولا يتغيَّرُ أَحدُهُم عمَّا قد اعْتادَهُ مِن المُعامَلَةِ بالرِّبا، والغِشّ في البَيْعِ، والجهلِ بأَركانِ الصلاةِ، والغِيبةِ للمسلمينَ، والعُقوقِ للوالِدَيْنِ!

وهؤلاءِ قدْ لبَّسَ عليهِمْ إِبليسُ، فأَراهُم أَنَّ حُضورَ المجلسِ والبكاءَ يدفعُ ما يُلابِسُ مِن الذُّنوبِ. وأرى بعضَهُم أَنَّ مجالَسَة العُلماءِ والصالِحين تَدْفَعُ عنهم. وشَغَلَ آخَرينَ بالتسويفِ بالتوبةِ، فطالَ مَطالُهُم، وأَقامَ قومًا منهُم للتفرُّجِ فيما يَسْمعونَهُ، وأَهْمَلوا العمَلَ بهِ.

فصل:

- وقد لبَّسَ إبليسُ على أصحاب الأموالِ مِن أَربعةِ أَوجهٍ:

أَحدُها: مِن جهةِ كَسْبها، فلا يُبالونَ كيفَ حُصِّلَتْ، وقد فشا الرِّبا في أَكثرِ معامَلاتِهِم، وأَنِسوا بِهِ، حتى إنَّ جُمهورَ معاملاتِهِم خارجةٌ عن الإِجماعِ.

وقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليأتِيَنَّ على الناسِ زمان لا يبالي المرءُ بما أخذ المالَ بحلالٍ أوحرام**»[1].

والثاني: مِن جِهَةِ البُخْلِ بها:

- فمنهُم مَن لا يُخْرِجُ الزكاةَ أَصلًا؛ اتِّكالًا على العَفْوِ.
- ومنهُم مَن يُخْرِجُ بعضَها، ثم يغلِبُهُ البُخْلُ، فيظن أَنَّ المُخْرَجَ يَدْفَعُ عنهُ.
- ومنهُم مَن يحتالُ لإِسقاطِها؛ مثلَ أَنْ يَهَبَ المالَ قبلَ الحَوْلِ، ثم يستردَّهُ!
- ومنهُم مَن يحتالُ بإِعطاءِ الفقيرِ ثوبًا يُقَوِّمُهُ عليهِ عشرة دنانيرَ، وهو يُساوي دينارَيْنِ، ويظنُّ ذلك الجاهِلُ أَنَّهُ قد تَخَلَّصَ.
- ومنهُم مَن يُخْرِجُ الرديءَ مكانَ الجيِّدِ.
- ومنهُم مَن يُعطي الزَّكاةَ مَن يستَخْدِمُهُ طولَ السنةِ، فهي على الحقيقةِ أَجرُهُ.
- ومنهُم مَن يُخْرِجُ الزكاةَ كما ينبغي، فيقولُ لهُ إِبليسُ: ما بقيَ عليكَ حق! فيمنَعُهُ أَنْ يَتَنَفَّلَ بصدقةٍ حُبًّا للمالِ، فيفوتُهُ أَجْرُ المتصدِّقينَ، ويكونُ المالُ رِزْقَ غيرِه.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد، قال: أنا أبو القاسم

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٨٣) ورقم (٢٠٥٩) وفي التاريخ ٣/ ١٨١ والنسائي ٧/ ٢٤٣ وفي الكبرى ٤/ ٣ وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٥، ٤٥٢ والدارمي في سننه ٢/ ٢٤٦.

المروزي، قال: أنا العلا بن مسلمة، قال: أنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم القرشي عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أولُ ما ضُرِبَ الدرهمُ أخذه إبليسُ فقَبَّلَهُ ووضعه على عينيه وعلى سرته وقال: بك أطغي وبك أكفر، رضيتُ من ابنِ آدمَ بحُبِّهِ الدنيا من أن يَعْبُدَني[1].

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنا عاصم بن الحسن، قال: أنا ابن بشران، قال: أنا ابن صفوان، قال: أنا أبو بكر القرشي، قال: أخبرني سعيد بن يحيى القرشي، قال: أنا أبي عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: إن الشَّيطان يريد الإِنسان بكل ريدة[2]، ريدة[2]، فإذا أعياه اضطجع في ماله فمنعه أن ينفق منه شيئًا[3].

والثالثُ: مِن حيثُ التكبُّرُ بالأموالِ: فإِنَّ الغنيَّ يرى نفسَهُ خيرًا مِن الفقيرِ، وهذا جهلٌ؛ لأنَّ الفضلَ بفضائلِ النفسِ اللازمةِ لها لا بجمع حجارةٍ خارجةٍ عنها، كما قالَ الشاعِرُ:

غِنَى النَّفْسِ لِمَنْ يَعْقِلُ خَيْرٌ مِن غِنَى المالِ ** وفَضْلُ النَّاسِ في الأنفسِ لَيْسَ الفَضْلُ في الحالِ[4]

والرابعُ: في إنفاقِها، فمنهُم مَن يُنْفِقُها على وجْهِ التبذيرِ والإِسرافِ:

○ **تارةً في البنيانِ الزائدِ على قدرِ الحاجةِ، وتزويقِ الحيطانِ، وزخرفةِ البيوتِ، وعَمَلِ الصُّوَرِ.**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٢٨ وأورده المؤلف في صفة الصفوة ١/ ٧٥٧. وهذا الأثر لا يصح.

(٢) رِيدَة: أي بكُل مَطْلب ومُرَاد يُقالُ: أَرَاد يُريد إِرَادَة والرِّيدة الاسمُ من الإِرَادَة. انظر: النهاية ٢/ ٢٨٨ واللسان ٣/ ١٩١.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص١٩٣. وكذا ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار ١/ ٣٠٧.

(٤) هذان البيتان لأبي فراس الحمداني كما هو في ديوانه ص٢٢٠ وذكره في يتيمة الدهر ١/ ٨٣.

○ وتارةً في اللِّباسِ الخارِجِ بصاحِبِهِ إلى الكِبْرِ والخُيَلاءِ.

○ وتارةً في المطاعِمِ الخارجةِ إلى السَّرَفِ.

وهذه الأفعالُ لا يَسْلَمُ صاحِبُها من فعلٍ محرَّمٍ، أو مكروهٍ، وهو مسؤولٌ عن جميعِ ذلك.

أخبرنا المحمدان ابن عبد الملك وابن ناصر، قالا: أخبرنا أحمد بن الحسن بن خيرون، قال: قرئ على أبي عبد الله أحمد بن عبد الله المحاملي وأنا أسمع، أخبركم محمد بن عبد الله بن عبدويه، قال: أنا الحسين بن داود البلخي، قال: أنا شقيق بن إبراهيم البلخي، قال: أنا أبو هاشم الأبلي عن أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «يا ابنَ آدَمَ! لا تزولُ قدماكَ يومَ القيامَةِ بينَ يديِ الله ﷻ حتى تُسأَلَ عن أَربَعٍ: عُمرِك فيما أَفنَيْتَهُ؟ وجَسَدِكَ فيما أَبْلَيْتَهُ؟ ومالِك مِن أَيْنَ اكتَسَبْتَهُ؟ وأَينَ أَنْفَقْتَهُ؟»(١).

○ ومنهُم مَن يُنفِقُ في بناءِ المساجِدِ والقناطِرِ؛ إلا أَنه يقصدُ الرياءَ، والسُّمعَةَ، وبقاءَ الذِّكرِ، فيكتُبُ اسمَهُ على ما بَنى، ولو كانَ عمَلُهُ لله ﷻ لاكتفى بعلمِهِ سبحانَه، ولو كُلِّفَ أَنْ يَبْنِيَ حائطًا مِن غيرِ أَنْ يكتُبَ اسمَهُ عليهِ؛ لم يفْعَلْ!

---

(١) الحديث بهذا السند لا يصح لضعف بعض رجاله. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٧٣ والذهبي في السير ٩/ ٣١٥ وقال: فيه أبو هاشم هو كثير: واه، وأخرجه المؤلف في العلل المتناهية ٢/ ٩١٧ وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ والحمل فيه على الحسين البلخي قال أبو بكر: ليس بثقة حديثه موضوع. وللحديث بهذا المتن طرق أخرى ترفعه إلى الصحة: أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه الدارمي ١/ ١٤٤، وانظر السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٦) للألباني رحمه الله.

○ ومن هذا الجنسِ إخراجُهم الشمعَ في رمضانَ في الأتوارِ[١] طلبًا للسُّمعَةِ، ومساجِدُهم طوالَ السنةِ مظلمةٌ؛ لأنَّ إخراجَهُم قليلًا مِن دُهْنٍ كلَّ ليلةٍ لا يؤثِّرُ من المدحِ ما يؤثِّرُ إخراج شمعةٍ في رمضانَ، ولقد كانَ إغناءُ الفقراءِ بثمَنِ ما يوقدون من الشمعِ أَولى وربما خرجت الأضواء الكثيرة إلى السَّرف الممنوع منه، غير أن الرياء يعمل عمله.

وقد كان أحمد بن حنبل يخرج إلى المسجد وفي يده سراج فيضعها ويصلي[٢].

○ ومنهُم مَن إذا تصدَّقَ أَعطى الفقيرَ والناسُ يرَوْنَهُ، فيجمَعُ بينَ قصدِهِ مَدْحَهم، وبينَ إذلالِ الفقيرِ.

○ وفيهِم مَن يجعَلُ معهُ الدَّنانيرَ الخفافَ، فيكونُ في الدينارِ قيراطينِ ونحوُ ذلك، وربَّما كانت رديئةً، فيتصدقون بها بينَ الجمعِ مكشوفةً ليُقالَ: قد أَعطى فلانٌ دينارًا.

وبالعكسِ مِن هذا، كانَ جماعة من الصالحين يجعلونَ في القِرطاسِ الصغيرِ دينارًا ثقيلًا، يزيدُ وزنُه على دينارٍ، فربما كان وزنُه دينارًا ونصفًا، ويُسَلِّمونَه إلى الفقيرِ في سرٍّ، فإذا رأَى القرطاس صغيرًا ظَنَّهُ قطعةً، فإذا لمسَهُ وجدَ تدويرَ دينارٍ، ففَرِحَ، فإذا فتَحُه ظَنَّهُ قليلَ الوزنِ، فإذا رآه ثقيلًا ظَنَّهُ يُقارِبُ الدينارَ، فإذا وَزَنَهُ فرآهُ زائدًا على الدِّينارِ اشتدّ فرحُهُ، فالثوابُ للمُعطي يتضاعَفُ عندَ كُلِّ مرتبةٍ.

○ ومنهُم مَن يتصدَّقُ على الأجانِبِ، ويترُكُ برَّ الأقارِبِ، وهو أَولى.

---

(١) التَّوْرُ من الأواني: إناء معروف تذكره العرب تشرب فيه وقد يتوضَّأُ منه، والجمع أتوار. انظر: لسان العرب ٤/ ٩٦ والمصباح ص٧٨.

(٢) ذكر نحو هذا عن الإمام أحمد الذهبي في السير ١١/ ٣٢٤ وابن مفلح في المقصد الأرشد ٢/ ٢٩٩.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا القطيعي، قال: أنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أنا يزيد، قال: أنا هشام، عن حفصة، عن سلمان بنِ عامرٍ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**الصدقةَ على المِسكينِ صدَقةٌ، والصدقةُ على ذي الرحم اثنتانِ: صدقةٌ، وصِلَةٌ**»(١).

ومنهُم من يعلَمُ فضيلةَ التصدُّقِ على القرابةِ؛ إلا أَنه يكونَ بينَهُما عداوةٌ دنيويةٌ، فيمتَنعُ عن مواساتِه معَ علمِهِ بفَقْرِهِ، ولو واساهُ كانَ لهُ أَجرُ الصدقةِ، والقرابةِ، ومُجاهدةِ الهوى.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أنا أبو معاوية، قال: أنا الحجاج، عن الزهري، عن حكيم بن بشير، عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أفضلَ الصَّدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشحِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧، ١٨، ٢١٤ والنسائي ٥/ ٩٢ وفي الكبرى ٢/ ٤٩ والترمذي رقم (٦٥٨) وقال عنه: حديث حسن. وأخرجه ابن ماجه رقم (١٨٤٤) والحاكم في المستدرك ١/ ٤٠٧ وقال: صحيح ووافقه الذهبي. وصحيح الألباني في مشكاة المصابيح رقم (١٩٣٩). وصحيح الجامع الصغير رقم (٣٧٥٢). وصحيح النسائي رقم (٢٤٢٠). وصحيح الترمذي رقم (٥٣١). وصحيح ابن ماجه رقم (١٤٩٤). وفي الباب عن زينب زوجة عبد الله بن مسعود ﵁ عند البخاري رقم (١٤٦٦) ومسلم رقم (١٠٠٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤١٦ والطبراني في الكبير رقم (٣٩٢٣) ٤/ ١٣٩ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٣٦ وقال عنه: رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه الحجاج بن أرطاة وفيه كلام. وورياه أيضًا عن حكيم بن حزام. قال الهيثمي: وسنده حسن. فأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٠٢ والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٢٠٢ رقم (٣١٢٦). ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٠٦ وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. كما ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١١٢١) وصححه.

قال المصنف رحمه الله **قلتُ**: وإنما فُضِّلَتْ هذه الصدقة لمخالفةِ الهوى، فإنَّ مَنْ تصدق على ذي قرابة يحبه فقد أنفق على هواه.

○ ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله في النفقة.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أنا ابن المذهب، قال: أنا أحمد بن جعفر، قال: أنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أنا روح، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الصَّدقة عن ظهر غنى، وابدأ بِمَنْ تعولُ**».

قال: أنا أحمد وحدثنا يحيى عن ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تصدَّقوا**». فقال رجلٌ: عندي دينارٌ. قال: «**تَصَدَّقْ به على نَفْسِك**». قال: عندي دينارٌ آخرُ. قال: «**تَصَدَّقْ به على زَوْجَتك**»، قال: عندي دينارٌ آخرُ. قال: «**تَصَدَّقْ به على ولدِك**»، قال: عندي دينارٌ آخرُ قال: «**تَصَدَّقْ به على خادِمِك**»، قال: عندي دينارٌ آخرُ. قال: «**أنتَ أَبْصَرُ**»[(١)(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٥١، ٤٧١ وبرقم (٧٤١٣، ١٠٠٨٨) وقال محققه: إسناده صحيح. وأبو داود رقم (١٦٩١). والنسائي ٥/ ٦٢ وفي الكبرى ٢/ ٣٤ و٥/ ٣٧٥ والبخاري في الأدب المفرد ص٧٨ والحاكم في المستدرك ١/ ٤١٥ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٤٨٣). وصحيح النسائي رقم (٢٣٧٥). وتخريج المشكاة رقم (١٩٤٠). وفي الباب عن جابر رضي الله عنه عند مسلم رقم (٩٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٣٠، ٣٤٦ والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ٣/ ١١٥ ونسبه إلى الإمام أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح. وللحديث شاهد في الصحيح وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (١٣٦٠) و(٥٠٤١) وعند مسلم من حديث حكيم بن حزام رقم (١٠٣٤). وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٥، ٤٠٢.

○ ومنهُم مَن ينفِقُ في الحَجِّ، ويُلَبِّسُ عليهِ إبليسُ بأنَّ الحجَّ قربةٌ، وإنَّما مرادُهُ الرياءُ أو الفُرْجَةُ أو مدحُ الناسِ.

قالَ رجلٌ لِبِشْرٍ الحافي(١): أَعددتُ أَلفي درهمٍ للحَجِّ. فقالَ: أَحَجَجْتَ؟ قالَ: نعم. قالَ: اقضِ دينَ مَدينٍ. قالَ: ما تَميلُ نفسي إلا إلى الحَجِّ! قالَ: مُرادُكَ أَن تركَبَ وتجيءَ، ويُقالَ حاجِّيٌّ.

○ ومنهُم مَن يُنْفِقُ على الأوقاتِ والرقصِ، ويرمي الثياب على المغني، ويُلَبِّسُ عليهِ إبليسُ بأنَّكَ تجمَعُ الفقراءَ وتُطعِمُهُم، وقد بيَّنَّا أنَّ ذلك مما يوجِبُ فسادَ القُلوبِ والإنفاق على ما يوجب الفساد فساد.

○ ومنهُم مَن إذا جَهَّزَ ابْنَتَهُ صاغَ لها دِسْتَ الفضةِ، ويرى الأمرَ في ذلك قريبًا، وربما كانت لهُ خَتْمَةٌ، فقدم مجامِرِ الفضةِ، ويحضُرُ هناكَ قومٌ من العلماءِ، فلا هو يستَعْظِمُ ما فعلَ، ولا هُم يُنْكِرونَ اتِّباعًا للعادةِ.

○ ومنهُم مَن يجورُ في وصيَّتِهِ، ويؤذي الوارثَ، ويرى أَنَّهُ مالُه؛ يتصرَّفُ فيهِ كما يشاءَ، وينسى أَنَّهُ بالمَرَضِ قد تعلَّقَتْ حقوقُ الوارِثينَ بهِ.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال: أنا أبو الحسين محمد بن أحمد الآنبوسي، قال: أنبأنا عمر بن أحمد بن شاهين، قال: أنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: أنا الحسن بن علي، قال: أنا إسماعيل بن عيسى، قال: أنا المسيب - يعني: ابن شريك- عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حاف عند الوصية قُذِفَ في الوباءِ والوباء وادٍ في جهنم**»(٢).

---

(١) أخرج نحوه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٣٩ وذكره المؤلف في صفة الصفوة ٢/ ٣٣٣.

(٢) هذا الحديث بهذا الإسناد لا يصح وذكره، ولم أجده بهذا اللفظ مسندًا إلى أبي أمامة كما أشار المصنف رحمه الله، وأحسن ما ورد في هذا الباب ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٧٨ عن أبي هريرة وهو في ⇐

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنا عاصم، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: أنا ابن صفوان، قال: أنا أبو بكر القرشي، قال: أخبرني سعيد بن يحيى القرشي، قال: أنا أبي، عن الأعمش، عن خيثمة قال: إن الشَّيطان يقولُ ما غَلَبَني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاثٍ: آمُرُهُ بأخذِ المال من غير حقه، وبإنفاقه في غير حقه، ومنعه من حقه[1].

فصل:

- وقد لبَّسَ إبليسُ على الفقراءِ:

○ فمنهُم مَن يُظْهِرُ الفقرَ وهو غَنيٌّ، فإِنْ أَضافَ إِلى هذا السؤالَ والأَخْذَ مِن الناسِ؛ فإِنما يستكْثِرُ مِن نارِ جهنَّمَ.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أنا ابن المذهب، قال: أنا أحمد بن جعفر، قال: أنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أنا محمد بن فضيل، قال: أنا عمارة عن أبي زرعة عن أَبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سأَلَ الناسَ أَموالَهم تكثرًا؛ فإِنَّما يسأَلُ جمرًا، فليَسْتَقِلَّ منهُ أَو ليستكثرْ**»[2].

سنن ابن ماجه رقم (٢٧٠٤) وأخرجه مختصرًا أبو داود رقم (٢٨٦٧) والترمذي (٢١١٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ومدار الحديث على شهر بن حوشب، وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة ووثقه آخرون. انظر: تهذيب الكمال ١٢/ ٥٧٨ والتقريب ص٢٦٩. والحديث ذكره الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه رقم (٥٩١)، وفي تخريج مشكاة المصابيح رقم (٣٠٧٥) وقال: ضعيف.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ١٦٦ موقوفًا على خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي من رواية الأعمش عنه، والأعمش مع أنه ثقة حافظ، إلا أنه يدلس، وقد عنعنه ولم يصرح بالسماع، وخيثمة ثقة كان يرسل. وقد أخرجه ابن المبارك بنحوه في الزهد ص١٩٢، وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٤٥ وقال: إسناده حسن، وذكره السيوطي في جمع الجوامع رقم (٢٦٣٩، ١٦١٢٨) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف مرسلًا وقال: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٠٤١) وابن ماجه رقم (٣٨٣٨) وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٣١، وابن حبان في صحيحه ٨/ ١٨٦. جميعهم من طرق عن ابن فضيل به.

قال المصنف رحمه الله: **قلتُ:** وإنْ لم يقبلْ هذا الرجلُ مِن الناسِ شيئًا، وكانَ مقصودُهُ بإظهارِ الفقرِ أَنْ يُقالَ: رجلٌ زاهدٌ؛ فقد راءى.

وإنْ كَتَمَ نعمَةَ اللهِ تعالى عندَه فظهر عليهِ الفقرُ؛ لئلَّا يُنْفِقَ، ففي ضمن بُخْلِهُ الشكوى مِن اللهِ.

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا بَاذَّ الهيئة فقال: «**هَلْ لك من مال؟**» قال: نعم. قال: «**فَلْتُرَ نعمةُ الله عليك**»[(١)].

وإنْ كانَ فقيرًا محقًّا، فالمُسْتَحَبُّ لهُ كِتْمانُ الفقرِ، وإظهارُ التجمُّلِ، فقد كانَ في السَّلَفِ مَن يحْمِلُ مفتاحًا يوهِمُ أَنَّ لهُ دارًا، وما يبيتُ إلا في المساجِدِ[(٢)].

○ ومِن تلبيسِ إبليس على الفقيرِ أَنَّه يرى نفسَهُ خيرًا من الغنيِّ إذ قد زَهِدَ فيما رَغِبَ ذلك فيه!

وهذا غَلَطٌ، وإنَّ الخَيْرِيَّةَ ليست بالوجودِ والعدمِ، وإنَّما هي بأَمرٍ وراءَ ذلك.

فصل:

• وقد لبَّسَ إبليسُ على جمهورِ العوامِّ بالجَرَيانِ مع العاداتِ، وذلك مِن أَكبرِ أَسبابِ هلاكِهِم، فمِن ذلك:

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٠٦٣) والنسائي ٨/ ١٩٦ وفي الكبرى ٥/ ٤٥٩ والترمذي رقم (٢٠٠٦) وقال: حديث حسن. وأحمد في المسند ٣/ ٤٧٣، ٤٧٤ و٤/ ١٣٧ والحاكم في المستدرك ٤/ ١٨١ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٤٢٨)، وصحيح النسائي رقم (٤٨٢٠، ٤٨٨٨)، وصحيح الترمذي رقم (١٦٣٢)، وللحديث شاهد أخرجه الترمذي رقم (٢٨١٩). وفي صحيح سنن الترمذي للألباني رقم (٢٢٦٠) وقال عنه: حسن صحيح.

(٢) المبيت في المسجد روي عن جملة من السلف وكرهه آخرون والتحقيق أنه إنما وقعت الرخصة في بعض ذلك لذوي الحاجة مثل ما كان أهل الصفة وابن عمر كان يبيت في المسجد زمان رسول الله ﷺ وهو أعزب. انظر فيما روي عن السلف في ذلك والتحقيق في المسألة: سنن البيهقي الكبرى ٢/ ٤٤٥ باب: المسلم يبيت في المسجد والفتاوى ٢٢/ ١٩٦ والفتاوى الكبرى ١/ ١٥٦ ١٥٨ وعمدة القاري ٤/ ١٩٨.

○ أَنَّهُم يُقَلِّدونَ الآباءَ والأسلافَ في اعتقادِهِم جريًا على ما نَشَؤُوا عليهِ مِن العادةِ ، فترى الرجُلَ يعيشُ خمسينَ سنةً على ما كانَ عليهِ أَبوهُ، ولا ينظرُ: على صوابٍ كان أَم على خَطَأ.

○ ومِن هذا تقليدُ اليهودِ والنَّصارى والجاهليةِ، وكذلك المسلمونَ يَجْرونَ في صلاتِهِم وعباداتِهِم مع العادةِ، فترى الرجُلَ يعيشُ سنينَ يُصَلِّي على صورةِ ما يرى الناسَ يصلُّون، ولعلَّهُ لا يُقيمُ الفاتحةَ، ولا يَدْري ما الواجباتُ؟ ولا يَسْهُلُ عليهِ تعرف ذلك؛ إهوانًا بالدينِ، ولو أَنَّهُ أَرادَ تجارةً لَسَأَلَ قبلَ السفر عمَّا يُنْفِقُ في ذلك البلدِ.

ثم ترى أَحدَهُم يركعُ قبلَ الإمامِ، ويسجُدُ قبلَ الإمامِ ولا يعلمُ أنه إذا ركع قبله فقد خالفه في ركنٍ، فإذا رفع قبله فقد خالفه في ركنين، فبطلت صلاته[1].

وقال المصنف: وقد رأَيتُ جماعةً يسلِّمونَ عندَ تسليمِ الإمامِ، وقد بقيَ عليهِم من التشهُّدِ الواجبِ شيءٌ. وذاك أمر لا يحمله الإمامُ فتكون صلاتهم باطلة[2].

---

(١) اتفق عامة الفقهاء على تحريم مسابقة الإمام بأي فعل من أفعال الصلاة، قال شيخ الإسلام: «أما مسابقة الإمام فحرام باتفاق الأئمة، لا يجوز لأحد أن يركع قبل إمامه، ولا يرفع قبله ولا يسجد قبله» مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٣٦، وانظر: حاشية ابن عابدين ١/ ٤٧٠، ومختصر خليل ص ٣٣، والأم ١/ ١٥٧، والمغني ١/ ١٢٦، وقد نص فقهاء الشافعية والحنابلة على بطلان صلاة من سبق الإمام بركنين إذا كان متعمدًا، أما إن كان جاهلًا فصلاته صحيحة لكنه لا يعتد بتلك الركعة؛ لأنه لم يتابع الإمام في معظمها. انظر: المجموع للنووي ٤/ ١١٨، والمغني ١/ ٥٢٧.

(٢) قال فقهاء الحنابلة: الأولى أن يشرع المأموم في أفعال الصلاة بعد شروع إمامه من غير تخلف، وذلك لما أخرجه البخاري رقم (٣٧١) و(٦٥٦) ومسلم رقم (٤١٤). من حديث: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا**» إذ الفاء للتعقيب، فلو سبق الإمام المأموم بالقراءة وركع الإمام تبعه المأموم وقطع القراءة; لأنها في حقه مستحبة والمتابعة واجبة، ولا تعارض بين واجب ومستحب، بخلاف التشهد إذا سبق به الإمام وسلم فلا يتابعه المأموم بل يتمه إذا سلم إمامه ثم يسلم لعموم الأوامر بالتشهد. انظر: كشاف القناع ١/ ٤٦٥، ٤٦٦.

وربَّما ترك فريضةً، وزادَ في نافلةٍ.

وربَّما أَهمَلَ غَسْلَ بعضِ العُضْوِ كالعَقِبَ.

وربما كانَ في يدِهِ خاتمٌ قد حَصَرَ الإِصبعَ فلا يُديرُه وقتَ الوضوءِ، ولا يصلُ الماءُ إلى ما تحتَهُ، فلا يصحُّ الوضوءُ.

وأَمَّا بيعُهُم وشراؤهم فأَكثرُ عقودِهِم فاسدةٌ، وهم لا يتعرَّفونَ حُكْمَ الشرعِ فيها، ولا يخفُّ على أكثرهم أَنْ يُقَلِّدَ فقيهًا في رُخصة؛ استثقالًا مِنهُم للدُّخولِ تحتَ حُكْمِ الشريعةِ.

وقلَّ أَن يبيعوا شيئًا إِلا وفيهِ غِشٌّ وتغطية عيبٍ.

والجَلَّاءُ يغطي بالجِلاءِ عيوبَ الذهبِ الرديء حتى أن المرأة تضعُ الغَزْل في الأنداء ليثقل وزنه.

○ ومِن جَرَيانِهِم مع العادةِ أَنَّ أَحدَهُم يتوانى في صلاتِه المفترضةِ في رمضانَ، ويُفْطِرُ على الحرامِ، ويغتابُ الناسَ وربما قتل ولو ضُرِبَ بالخشبِ لم يفطر؛ لأنَّ في العادة استبشاعُ الفطر.

○ ومنهم من يدخلُ في الرِّبا[1] بالاستئجار فيقول: معي عشرون دينارًا لا أملكُ غيرها فإن أنفقتها ذهبتْ، فأنا أستأجر بها دارًا وآكل أجرة الدَّار ظنًا منه أن هذا الأمرَ قريب.

ونقل بعض فقهاء الحنابلة: أنه إذا سبق إمام بالسلام قبل أن يكمل مأموم دعاء التشهد; أتمه إن كان يسيرًا ثم سلم وإن كان كثيرًا تابعه بالسلام ولا يشتغل بإتمام ذلك نقله أبو داود. انظر: مطالب أولي النهى ١/ ٦٢٩.

(١) لعله أراد المحرم فإن في العلماء - سيما المتقدمين منهم - من يطلق الربا على كل بيع محرم. انظر في بيان ذلك: الربا والمعاملات المصرفية ص٤٤ والجامع في أصول الربا ص٦٢-٦٣.

○ ومنهُم من يرهَنُ الدارَ على شيءٍ، ويؤدِّي الربَا، ويقولُ: هذا موضعُ ضرورةٍ، وكذب وربما كانت لهُ دارٌ أُخرى، وفي بيتِه آلاتٌ لو باعَها؛ لاستغنى عن الرهنِ والاستئجارِ، ولكنَّهُ يخافُ على جاهِهِ أَنْ يُقالَ: قد باعَ دارَهُ أو أنه يستعمل الخزف مكان الصُّفْر[(١)].

○ ومِمَّا جَرَوا فيهِ على العاداتِ اعتمادُهُم على قولِ الكاهِنِ والمنجِّم والعرَّافِ، وقد شاعَ ذلك بينَ الناسِ، واستمرَّتْ بِهِ عاداتُ الأكابرِ، فقلَّ أَن ترى أَحدًا منهُم يسافِرُ أَو يقطع قميصًا أو يحتَجِمُ؛ إلا سأَلَ المنجِّمَ، وعَمِلَ بقولِه، وقلَّ أن تخلو دورُهُم مِن تقويمٍ[(٢)]، وكم مِن دارٍ لهُم ليس فيها مصحفٌ.

---

(١) الـخَزَفُ: ما عُمِلَ من الطين وشُويَ بالنار فصار فَخّارًا. والصُّفْرُ: نحاس يعمل منه الأواني. وقد يأتي في كلام العرب الصُّفْر بمعنى الذهب، فإمَّا أَن يكون عُنى به الدنانـير لأَنها صُفْر، وإمَّا أَن يكون سمى بالصُّفْر الذي تُعْمل منه الآنـية لـما بـينهما من الـمشابهة. انظر: مختار الصحاح ص١٥٣ واللسان ٤/ ٤٦١ و٩/ ٦٧.

(٢) التقويم: هو حساب الزمن بالسنين والشهور والأيام والمراد هنا تقاويم المنجمين. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٧٦٨ وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٩١-١٩٢ وأبجد العلوم ٢/ ٥٥٣ وكشف الظنون ٢/ ١٩٣٠ والرد على المنطقين ص٢٦٤.

ومما ينبه عليه هنا أن التنجيم دخل في زماننا هذا في كثير من الأمور حتى ما حسمه الشرع من الرؤية للهلال فى شهر الصوم أو فى غيره فصار من الناس من يصغي إلى ما يقوله بعض جهال أهل الحساب: من أن الهلال يرى أو لا يرى ويبني على ذلك إما في باطنه وإما فى باطنه وظاهره وفيهم من لا يقبل قول المنجم لا فى الباطن ولا فى الظاهر لكن فى قلبه حسيكة من ذلك وشبهة قوية لثقته به علمًا أن الشريعة لم تلتفت إلى ذلك لا سيما إن كان قد عرف شيئًا من حساب النيرين فإنا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن العمل فى رؤية هلال الصوم أو الحج أو غير ذلك من الاحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب أنه يرى أو لا يرى لا يجوز والنصوص المستفيضة عن النبى ﷺ بذلك كثيرة وقد أجمع المسلمون عليه ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلًا. انظر: الفتاوى ٢٥/ ١٣١-١٣٢ كما أنه يحسن بمن يتعاطى علم الحساب والتنجيم ويرى فيه الغنية عن الرؤية الشرعية أن يقرأ ما كتبه شيخ الإسلام عليه رحمة الله في الفتاوي ٢٥/ ١٢٦-٢٠١.

وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عن الكُهَّانِ؛ فقالَ: «**ليسوا بشيءٍ**». فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إِنَّهُم يُحَدِّثونَ أَحيانًا بالشيءِ يكونُ حقًّا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**تلكَ الكلمةُ مِن الحَقِّ يَخْطَفُها الجِنِّيُّ، فيَقُرُّها في أُذُنِ وليِّه قَرَّ الدجاجةِ، فيَخْلِطونَ فيها أَكثرَ مِن مائةِ كذبةٍ**»(١).

وفي صحيح مسلم عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قالَ: «**مَن أَتى عَرَّافًا فسأَلَهُ عن شيءٍ لم تُقْبَلْ لهُ صلاةٌ أَربعينَ ليلةً**»(٢).

وروى أَبو داودَ مِن حديثِ أَبي هُريرةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**مَن أَتى كاهنًا، فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ على محمدٍ ﷺ**»(٣).

○ ومِن جَرَيانِهم مع العاداتِ كثرةُ الأيمانِ الحانثةِ التي أَكثرُها ظِهارٌ وهُم لا يعْلَمونَ، فأَكثرُ قولِهم في الأيمانِ: حرامٌ عليَّ إِنْ بعتُ!

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٢١٣) ورقم (٥٧٦٢)، ورقم (٧٥٦١)، وأخرجه مسلم رقم (٢٢٢٨) وأحمد في المسند ٦/ ٨٧. وابن حبان في صحيحه ١٣/ ٥٠٦.
والمعنى: أن الجني إذا ألقى الكلمة لوليه تسامع بها الشياطين فيتناقلوها كما إذا صوتت الدجاجة فسمعها الدجاج فجاوبتها. وقيل غير ذلك انظر: مشارق الأنوار ٢/ ١٧٧ ولسان العرب ٥/ ٨٤ والفتح ١٠/ ٢١٩ والديباج على مسلم ٥/ ٢٤٦.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٢٣٠)، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ٦٨، ٥/ ٢٣٦. وأخرجه عن عمر بن الخطاب ﷺ الطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ٧٦. وأخرجه عن ابن عمر ﷺ الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ١٠٧ وأوردهما الهيثمي في المجمع ٥/ ١١٧-١١٨ وعزاهما للطبراني في الأوسط وحكم على الأول: بأن فيه من لم يعرفه وعلى الثاني: بأن رجاله ثقات.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٣٩٠٤) عن أبي هريرة ﷺ والترمذي رقم (١٣٥) وقال عنه: صحيح، لا يعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن ابن تميمة الهمجي عن أبي هريرة. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ١/ ١٣٥ وابن ماجه رقم (٦٣٩) والإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠٨، ٤٢٩، ٤٧٦ والحاكم في المستدرك ١/ ٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا. وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٣٠٤)، وانظر لمزيد إيضاح في تخريجه: التحقيق لمسند الإمام أحمد ١٥/ ١٦٤-١٦٦.

○ وعاداتِهم لبسُ الحريرِ، والتختُّمُ بالذهبِ، وربَّما تورَّعَ أَحدُهُم عن لبسِ الحريرِ، ثم لَبِسَهُ في وقتٍ، كالخطيبِ يومَ الجمعةِ.

○ ومِن عاداتِهم إِهمالُ إِنكارِ المنكَرِ، حتى إِنَّ الرجلَ يرى أَخاهُ أَو قريبَهُ يشربُ الخمرَ، ويلْبَسُ الحريرَ، ولا يُنْكِرُ عليهِ، ولا يغير، بل يخالِطُهُ مخالطةَ حبيبٍ.

○ ومِن عاداتِهم أَنْ يبنِيَ الرجلُ على بابِ دارِهِ دكةً يُضَيِّقُ بها طريقَ المارَّةِ، وقد يجتَمِعُ على بابِهِ ماءُ مطرٍ، ويكثُرُ، فيجبُ عليهِ إِزالتُه، فلا يفعل وقد يرش باب داره رشًا كثيرًا فلو زلقَ زالقٌ فيه وجب عليه الضمان وأثم؛ لكونه سببًا لأذى المسلم.

وكذلك إذا رمى على باب الدار كسارة الخزف والعظام فتأذى به مسلم أثم، وإن جرح به وجب عليه الضمان.

○ ومن جريانهم على العاداتِ دخولُ الحمَّامِ بلا مِئْزَرٍ، وفيهِم مَن إذا دخَلَ بمئْزَرٍ حل شدَّه ورمى به على فَخِذَيه، فيُرى جوانِبُ أَلْيَتَيْهِ، ويسلِّمُ نفسَهُ إِلى المدَلِّكِ، فيرى بعضَ عورَتِه، ويمسُّها بيدِهِ؛ لأنَّ العورةَ من الرُّكبةِ إِلى السُّرَّةِ[1]، ثم ينظرُ هو إلى عوراتِ الناسِ، فلا يكادُ يغضُّ ولا يُنْكِرُ.

○ ومن عادتِهم تركُ القيامِ بحقِّ الزوجةِ، وربما اضْطَرُّوها إِلى أَنْ تُسْقِطَ مهْرَها، ويظنُّ الزوجُ أَنَّهُ قد تخلَّصَ مما قد أَسْقَطَتْهُ عنهُ.

وقد يميلُ الرجلُ إِلى إِحدى زوجتَيْهِ عن الأخرى، فيجورُ في القِسْمِ، متهاونًا بذلك؛ ظانًّا أَنَّ الأمرَ فيه قريبٌ.

---

(١) ذكر هذا التحديد للعورة أكثر فقهاء المذاهب، إلا أن الحنفية لم يجعلوا السرة من العورة، ويرى الشافعية والحنابلة في المذهب أن الركبة والسرة ليستا من العورة في الرجل وإنما العورة ما بينهما فقط، والرواية الأخرى عند الحنابلة: أنها الفرجان، ويرى المالكية في المشهور عندهم أن عورة الرجل بالنسبة للرجل ما بين السرة والركبة. انظر: بدائع الصنائع ٥/ ١٢٤، شرح خليل للخرشي ١/ ٢٤٧، مغني المحتاج ٤/ ٢١٢، المغني ٧/ ٨١ ولمزيد بيان انظر: أحكام العورة والنظر ص٣٥-٤٣.

أنبأنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أنا أحمد بن جعفر، قال: أنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أنا يزيد، قال: أنا همام بن يحيى عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**مَن كانتْ لهُ امرأَتانِ يَميلُ لإِحْداهُما على الأخرى جاءَ يومَ القيامَةِ يجُرُّ أحد شِقَّيْهِ ساقطًا أَو مائلًا**». شكَّ يزيد[1].

○ ومن عاداتِهم إِثباتُ الفَلْسِ عند الحاكمِ، ويعتقدُ الذي قد حُكِمَ لهُ بالفَلْسِ أَنَّهُ قد سقطت عنهُ بذلك الحقوقُ، وقد يُوسِرُ فلا يُؤدِّي حقًا.

وفيهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس إلا وقد جمع مالًا من أموال المعاملين، فاختار أنه ينفقه في مدة استتاره، وعنده الأمر في ذلك قريب.

○ وممَّا جَرَوا فيهِ على العاداتِ أَنَّ الرجلَ يُسْتَأْجَرُ ليعْمَلَ طولَ النهارِ، فيضيِّعُ كثيرًا مِن الزمانِ: إِمَّا بالتثبُّطِ في العملِ، أَو بالبطالةِ، أَو بإِصلاحِ آلاتِ العمَلِ، مثلَ أَنْ يَحِدَّ النجَّارُ الفأْسَ، والشقَّاقُ المنشارَ، ومثلُ هذا جنايةٌ؛ إِلا أَنْ يكونَ ذلك يسيرًا، قدْ جَرَتِ العادةُ بمثلِهِ[2].

وقد يترك أَكثرُهُم الصلاةَ ويقولُ: أَنا في إِجارةِ رجلٍ، ولا يَدْري أَنَّ أَوقاتَ الصلاةِ لا تدخُلُ في عَقْدِ الإِجارةِ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٩٥، ٣٤٧، ٤٧١ عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي المسند المحقق رقم (٧٩٢٣، ٨٥٤٩، ١٠٠٩٢) وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح. وأخرجه أبو داود رقم (٢١٣٣) والترمذي رقم (١١٤١) والنسائي ٧/ ٦٣. وفي الكبرى ٥/ ٢٨٠ وابن ماجه رقم (١٩٦٩) والحاكم في المستدرك ٢/ ١٨٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٠١٧)، وصحيح أبي داود رقم (١٨٦٧)، وغيره من صحيح السنن وقال: صحيح.

(٢) جاء في (أ): فينبغي للصانع الناصح أن يفعل ذلك قبل مجيئه للشغل.

وقلَّةُ نُصْحِهِمْ في أَعمالِهم كثيرةٌ.

○ ومِمَّا جَرَوا فيهِ على العاداتِ دَفْنُ الميتِ في التابوتِ، وهذا فِعْلٌ مكروهٌ(١).

والمغالاة في الكفن وإنما ينبغي أَن يكونَ وسطًا(٢).

ويدفنونَ معهُ جُملةً مِن الثيابِ، وهذا حرامٌ؛ لأَنَّهُ إِضاعةٌ للمالِ.

ويُقيمونَ النَّوْحَ على الميتِ، وفي صحيح مسلم أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**النائحة إِذا لم تَتُبْ قبلَ موتِها تقام يوم القيامةِ وعليها سِرْبالٌ مِن قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِن جَرَبٍ**»(٣).

---

(١) اتفق الفقهاء على كراهة التابوت لدفن الرجل من غير حاجة، وقد ذكر ذلك فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، انظر: رد المحتار ٢/ ٢٣٤، والبيان والتحصيل ٢/ ٢٧٥، والمهذب والمجموع ٥/ ٢٥٦، والمغني ٣/ ٤٣٥.
وقد نقل بعض الفقهاء الإجماع على هذا الحكم، فنقل النووي عن العبدري قوله: لا أعلم فيه خلافًا، يعني: لا خلاف فيه بين المسلمين كافة، وقال النووي: كراهة التابوت مذهبنا ومذهب العلماء كافة، وأظنه إجماعًا. المجموع ٥/ ٢٥٢، وكذلك نقل الإجماع ابن عابدين في حاشيته ٢/ ٢٣٤ وكذا ذكره الشربيني في مغني المحتاج ٢/ ٥٣، والرملي في نهاية المحتاج ٣/ ٣٠.
وقد استثنى بعض الفقهاء صورًا يجوز الدفن فيها في التابوت، كما لو تعذر اجتماع الميت في غيره، وذلك فيما لو تهرى الميت بسبب حريق أو نحوه بحيث لا يضبطه إلا التابوت، وكذا لو كان الميت يدفن في أرض كثيرة السباع النباشة، وكان لا يعصمه منها إلا التابوت. انظر: المجموع ٥/ ٢٥٨، ومغني المحتاج ٢/ ٥٤.

(٢) استحب فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة تحسين الكفن؛ لما روى جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه**». رواه مسلم رقم (٩٤٣) قالوا: والمراد بتحسين الكفن: بياضه ونظافته، وسوغه وكثافته، لا كونه ثمينًا، كما كره عامة أصحاب المذاهب المغالاة في الكفن؛ لأنه من المباهاة وهو ممنوع فيه، وقد روى علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سلبًا سريعًا**». رواه أبو داود رقم (٣١٥٤) قال النووي في المجموع ٥/ ١٥٥: «رواه أبو داود بإسناد حسن ولم يضعفه». وحكم عليه الألباني ﵀ بالضعف. انظر: حاشية ابن عابدين ٢/ ٢٠٢، والمنتقى شرح الموطأ ٢/ ٧، والمجموع ٥/ ١٥٥، وشرح منتهى الإيرادات ١/ ٣٥٦، والمحلى ٣/ ٣٣٥ وخلاصة البدر المنير ١/ ٢٥٧ وضعيف أبي داود رقم (٦٨٩) وضعيف المشكاة رقم (١٦٣٩).

(٣) أخرجه مسلم رقم (٩٣٤) وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٤٢، ٣٤٣ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٤١٢.

ومن عادتِهم اللَّطْمُ، وتخريقُ الثيابِ، خصوصًا النساءَ.

وفي الصحيحين عن النبيِّ ﷺ قال: «**ليسَ مِنَّا مَن شقَّ الجيوبَ، ولطمَ الخُدودَ، ودَعَا بدعوى الجاهِلِيَّةِ**»(١).

وربما رأَوُا المُصابَ قد شقَّ ثوبَهُ، فلا يُنْكِروا عليهِ، لا بل ربَّما أَنْكَروا عليه تَرْكَ شَقِّ الثوبِ، وقالوا: ما أَثَّرَتْ عندَهُ المصيبةُ!

○ ومِن عاداتِهم القبيحة أنهم يلبسون بعد الموت أدْوَنَ الثيابِ ويبقون على هذا شهرًا أو سنة، وربما لم يناموا هذه المدة في سطح، وربما صعد النساء السطح إذا نام الناس فتبين أنهم فعلوا ذلك للناس لا للحزن.

○ ومِن عادتِهم زيارةُ المقابرِ في ليلةِ النِّصْفِ مِن شعبانَ(٢)، وإيقادُ النيرانِ

---

(١) حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (١٢٩٤)، ورقم (١٢٩٧، ١٢٩٨)، ورقم (٣٥١٩) ومسلم رقم (١٠٣) والترمذي رقم (٩٩٩) وقال: حسن صحيح. وأخرجه النسائي ٤/ ١٩، ٢٠، ٢١ وفي الكبرى ١/ ٦١٢ وابن ماجه رقم (١٥٨٤) وأحمد في المسند ١/ ٣٨٦، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٦٥.

(٢) لا يصح في تخصيص ليلة النصف من شعبان صلاة معينة أو دعاء أو ذكر أو زيارة مقبرة أوغير ذلك خبر عن رسول الله ﷺ وما جاء من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع رافع رأسه إلى السماء فقال لي: «**أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟**» قلت: ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال: «**إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب**». وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٢٣٨ والترمذي رقم (٧٣٩) وابن ماجه رقم (١٣٨٩) قال أبو عيسى الترمذي في السنن ٣/ ١١٦: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج وسمعت محمدًا - يعني: البخاري - يضعف هذا الحديث وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير.

قلت: فهو ضعيف؛ لانقطاعه كما أبان البخاري ولضعف الحجاج بن أرطاة. وانظر لمزيد بيان: العلل المتناهية ٢/ ٥٥٦-٥٦٢ إذ ساق الأحاديث في فضل هذه الليلة وبين ضعفها. والعلل للدارقطني ٦/ ٥٠-٥١ و٣٢٣ والمنار المنيف ص٩٨ والفتاوى ٢٢/ ٢٣٤.

عندَها[١]، وأَخذُ ترابِ القبرِ المعظَّمِ[٢].

قالَ ابنُ عقيلٍ: لَمَّا صَعُبَتِ التكاليفُ على الجُهَّالِ والطَّغامِ عَدَلوا عن أَوضاعِ الشَّرْعِ إلى تعظيمِ أَوضاعٍ وضعوها لأنفُسِهِم، فسَهُلَت عليهِم، إِذ لم يدْخُلوا بها تحتَ أمرِ غيرِهِم.

قالَ: وهم كُفَّارٌ عندي بهذه الأوضاعِ، مثلَ تعظيمِ القُبورِ، وإكرامِها بما نهي الشرعُ عنهُ: مِن إيقادِ النيرانِ، وتقبيلِها، وتخليقها[٣]، وخطابِ الموتى بالحوائجِ وكَتْبِ الرقاعِ فيها: يا مولاي، افعل بي كذا وكذا! وأَخذِ التربة تبرُّكًا، وإفاضةِ الطيبِ على القُبورِ، وشدِّ الرحالِ إليها، وإلقاءِ الخِرَقِ على الشَّجَرِ اقتداءً بمَن عَبَدَ اللَّاتَ والعُزَّى. ولا تَجِدُ من هؤلاءِ مَن يُحَقِّقُ في زكاةٍ، فيسأَلُ عن حُكْمٍ يلزمُهُ، والويلُ عندَهُم لمَن لم يُقَبِّلْ مشهَدَ الكفِّ[٤]، ولم يتمسَّحْ بآجُرَّةِ مسجدِ المأمونيَّةِ يومَ الأربعاءِ. ولم يَقُلِ الحمَّالون على جنازته: الصديق أبو بكر أو محمد وعلي، ولم يكن معها نياحةٌ، أو لم يعقد على ابنه أزَجًا بالجصِّ والآجُرِّ، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يُرِقْ ماءَ الورد

---

(١) كما جاء النهي في حديث أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢٢٩ و٢٨٧ و٣٢٤ و٣٣٧ وأبو داود رقم (٣٢٣٦) والترمذي رقم (٣٢٠) وقال: حديث حسن. والنسائي في السنن ٤/ ٩٤ وفي الكبرى ١/ ٦٥٧ والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٠ وقال الحاكم: أبو صالح هذا ليس بالسمان المحتج به إنما هو باذان ولم يحتج به الشيخان لكنه حديث متداول فيما بين الأئمة ووجدت له متابعًا من حديث سفيان الثوري في متن الحديث فخرجته. وانظر لمزيد بحث في بدع القبور: إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٩-٢٥٤ والفتاوى ٢٤/ ٣١٨ وإعلام الموقعين ٤/ ١٨١.

(٢) لا أدري ما مراد المؤلف رحمه الله بالقبر المعظم وإن كانت بعض المصادر تطلق هذا الوصف على قبر المصطفى ﷺ وأيًّا كان المراد قبر المصطفى أو غيره فإن هذا من البدع المنهي عنها. انظر: الفتاوى ٢٧/ ٢٦٣ والفتاوى الكبرى ١/ ٣٤٩ و٢/ ٢٠٥.

(٣) الخَلُوقُ: ضرب من الطيب قال ابن الأثير: وهو طيبٌ معروف مُركب يُتَّخذ من الزَّعْفَرَان وغيره من أنْواع الطِّيب وتَغْلب عليه الحُمرة والصُّفْرة. انظر: النهاية ٢/ ٧١ ومختار الصحاح ص٧٨.

(٤) ذكر هذا المشهد المؤلف في المنتظم ٨/ ٢٨٦ وصاحب بغية الطلب في تأريخ حلب ٨/ ٣٧٢١.

على القبر ويدفن معه ثيابه[١].

فصل:

فأمَّا تلبيسُ إِبليسَ على النساءِ فكثيرٌ جدًا، وقد أَفردتُ كتابًا للنِّساءِ[٢]، ذكرتُ فيهِ ما يتعلَّقُ بهنَّ مِن جميعِ العباداتِ وغيرِها، وأَنا أَذكُرُ هاهُنا كلماتٍ مِن تلبيسِ إِبليسَ عليهِنَّ:

○ فمِن ذلك أَنَّ المرأَةَ تطهُرُ من الحيضِ بعد الزوالِ، فتغتَسِلُ بعد العصرِ، فتصَلِّي العصرَ وحدَها، وقد وَجَبَتْ عليها الظُّهْرُ، وهي لا تعلمُ[٣].

○ وفيهِنَّ مَن تُؤَخِّرُ الغُسْلَ يومينِ، وتحتجُ بغَسْلِ ثيابِها ودخول الحمامِ!

○ وقد تؤخِّرُ غُسْلَ الجنابةِ في الليلِ إِلى أَنْ تَطْلُعَ الشمسُ، فإِذا دَخَلَتِ الحَمَّامَ لم تستترْ بمئزَرٍ، وتقولُ: ما يدخل إِليَّ إِلا القَيِّمَةُ، وربما قالت: أَنا وأُخْتي وأُمِّي وجاريَتي، فممَّنْ أَستَتِرُ؟!

وهذا كلُّهُ حرامٌ؛ فإِن تأخير الغسل من غير عذر لا يجوز، ولا يحلُّ للمرأَةِ أَنْ تنظُرَ مِن المرأَةِ ما بينَ سُرَّتِها ورُكْبَتِها، وإِن كانتِ ابنتَها أَو أُمَّها، إِلا أَنْ تكونَ البنتُ

---

(١) نقل كلام ابن عقيل المتقدم ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٣ إذ قال: ورأيت لأبي الوفاء بن عقيل في ذلك - يعني: في بدع القبور - فصلًا حسنًا فذكرته بلفظه. وانظر في أدلة تلك البدع التي ذكرها ابن عقيل: إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٢-٢٢٧.

(٢) وهو كتاب أحكام النِّساء وهو مطبوع بتحقيق الدكتور محمد بن علي المحمَّدي.

(٣) وذلك لأن وقت الظهر يبدأ من زوال الشمس، فإذا طهرت الحائض بعد هذا الوقت فقد وجبت عليها صلاة الظهر، ووجب عليها المبادرة إلى الغسل والصلاة. وهذه مسألة واضحة وهي محل وفاق عند الفقهاء. ويدل لذلك حديث عائشة ﵂: أن فاطمة بنت أبي حبيش كانت تستحاض فسألت النبي ﷺ فقال: «**ذلك عرق وليست بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغتسلي وصلي**» رواه البخاري رقم (٣٠٠) ومسلم رقم (٣٣٣).

صغيرةً، فإذا بَلَغت سبعَ سنينَ اسْتَتَرَتْ واسْتُتِرَ منها[١].

○ وقد تُصَلِّي المرأَةُ قاعدةً، وهي تقدِرُ على القيامِ، فالصلاةُ حينئذٍ باطلةٌ[٢].

○ وقد تحتجُّ بنجاسةٍ في ثوبِها من بَوْلِ طِفْلها، وهي تقدرُ على غَسْلِهِ، وعلى غيره، ولو أَرادتِ الخروجَ لتهيَّأَتْ واستعارَتْ، وإِنَّما هانَ عندَها أَمرُ الصلاةِ.

○ وقد لا تعرِفُ مِن واجباتِ الصلاةِ شيئًا، ولا تسأَلُ.

○ وقد ينكَشِفُ مِن الحُرَّةِ ما يُبْطِلُ صلاتَها، وتستهينُ به.

○ وقد تستهينُ المرأَةُ بإِسقاطِ الحَبَلِ، ولا تَدْري أَنَّها إِذا أَسْقَطَتْ ما قد نُفِخَ فيهِ الروحُ؛ فقد قتَلَتْ مسلمًا[٣].

---

(١) ذهب الفقهاء إلى أن عورة المرأة بالنسبة للمرأة هي كعورة الرجل إلى الرجل أي: ما بين السرة والركبة ولذا يجوز لها النظر إلى جميع بدنها عدا ما بين هذين العضوين وذلك لوجود المجانسة، وانعدام الشهوة غالبًا ولكن يحرم ذلك مع الشهوة وخوف الفتنة وقال السرخسي من فقهاء الحنفية: وقد قال بعض الناس: نظر المرأة إلى المرأة كنظر الرجل إلى ذوات محارمه حتى لا يباح لها النظر إلى ظهرها. وهذا هو الصحيح؛ إذ إن عورة المرأة أمام المرأة كعورتها أمام محارمها. انظر لمزيد إيضاح: بدائع الصنائع ٥/ ١٢٥ وشرح خليل للخرشي ١/ ٢٤٧، ومغني المحتاج ٤/ ٢١٤، والمغني ٧/ ٨١ والمبسوط ١٠/ ١٤٨ وأحكام العورة والنظر ص٣٨٥.

(٢) وذلك لأنها تركت القيام مع قدرتها عليه، وقد اتفق العلماء على هذا الحكم؛ لأن القيام مع القدرة ركن لا تصح الصلاة المفروضة بدونه. انظر: المبسوط ١/ ٢٠٩، والمدونة ١/ ١٧٤، والأم ١/ ١٠٠، والمغني ٢/ ٢٩، والمحلى ٢/ ١٠٤. ويدل لذلك ما أخرجه البخاري رقم (١٠٦٦) من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «**صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى جنب**».

(٣) يكون نفخ الروح في الجنين بعد مائة وعشرين يومًا كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه ابن مسعود مرفوعًا: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح**». ولا يعلم خلاف بين الفقهاء في تحريم إسقاط الحمل بعد نفخ الروح. فقد نصوا على أنه إذا نفخت في الجنين الروح حرم إسقاطه إجماعًا. وقالوا إنه قتل له بلا خلاف. انظر: البحر الرائق ٨/ ٢٣٣، والشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ٢/ ٢٦٧، ونهاية المحتاج ٨/ ٤١٦، والمغني ٧/ ٨١٥، والمحلى ١١/ ٢٩.

ثم تستهينُ بالكَفَّارةِ الواجبةِ عليها عند ذلك الفعل، فإنه يجب عليها أن تتوبَ وتؤدي ديَّته إلى ورثته وهي غُرَّةُ عبدٍ أو أَمَةٍ قيمتها نصفُ عُشْرِ دِيَةِ أبيهِ أو عُشر دِيَةِ الأم، ولا ترث الأُمُّ من ذلك شيئًا، ثم تعتق رقبةً، فإن لم تجد صامت شهرين متتابعين(١).

○ وقد تُسيءُ المرأةُ عِشْرَتها مع الزوجِ، وربَّما كلَّمَتْهُ بالمكروهِ، وتقولُ: هذا أَبو أَوَلادي، وما بينَنا هذا، وتخْرُجُ بغيرِ إذْنِهِ، وتقولُ: ما خَرجْتُ في معصيةٍ! ولا تعلمُ أَنَّ خُروجَها بغيرِ إِذْنِه معصيةٌ، ثم نفسُ خروجِها لا يُؤْمَنُ منهُ فتنَةٌ.

○ وفيهنَّ مَن تُلازِمُ المقابرَ، وتحدُّ لا على زوجٍ، وقد صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**لا يَحِلُّ لامرأَةٍ تُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أَنْ تَحِدَّ على ميتٍ إلا على زوجٍ أَربعةَ أَشهرٍ وعشرًا**»(٢).

○ وقد يَدْعوها زوجُها إلى فراشه فتأبى، وتظنُّ هذا الخلافَ ليسَ بمعصية.

والذي يؤخذ من إطلاق الفقهاء في تحريم ذلك بعد نفخ الروح أنه يشمل ما لو كان في بقائه خطر على حياة الأم وما لو لم يكن كذلك. وصرح ابن عابدين بذلك فقال: لو كان الجنين حيًا ويخشى على حياة الأم من بقائه فإنه لا يجوز تسقيطه؛ لأن موت الأم به موهوم فلا يجوز قتل آدمي لأمر موهوم. انظر: حاشية ابن عابدين ١/ ٦٠٢. ويرى بعض الفقهاء المعاصرين خلاف ذلك، حيث نصوا على أن الحفاظ على حياة الأم أولى بالاعتبار؛ لأنها الأصل وحياتها ثابتة بيقين، علمًا بأن بقاء الجنين سيترتب عليه موت الأم وموت الجنين. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٢/ ٥٧.

(١) يدل لذلك ما أخرجه البخاي رقم (٦٥١٠) في قصة عمر في السقط، وهذا الحديث أصل في إثبات دية الجنين وأن الواجب فيه غرة إما عبد وإما أمة؛ وذلك إذا ألقته ميتًا بسبب الجناية. انظر: الأم ٦/ ١٣٨ والفتح ١٢/ ٢٥٠ وعمدة القاري ٢٤/ ٦٧.

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٢٨٠، ١٢٨١)، عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ، ورقم (٥٣٣٤)، ورقم (٥٣٣٩)، ورقم (٥٣٤٥) ومسلم رقم (١٤٨٦) وأبو داود رقم (٢٢٩٩) وأخرجه الترمذي رقم (١١٩٥) والنسائي ٦/ ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣ وأحمد في المسند ٦/ ٣٢٥، ٣٢٦، ٤٢٦ ومالك في الموطأ ٢/ ٥٩٦.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا أبو علي بن المذهب، قال: أنا أبو بكر بن مالك، قال: أنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أنا وكيع، قال: أنا الأعمش عن أبي حازم عن أَبي هُريرةَ ﷺ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا دَعا الرجلُ امرأَتَهُ إلى فراشه، فأَبَتْ، فباتَتْ وهو عليها ساخِطٌ؛ لَعَنَتْها الملائكةُ حتى تُصْبِحَ**»(١).

قال المصنف: أَخرجاهُ في الصحيحينِ.

○ وقد تُفَرِّطُ المرأَةُ في ملكِ زوجِها، ولا يَحِلُّ لها أَنْ تُخْرِجَ مِن بيتِه شيئًا إلا أَنْ يأْذَنَ، أَو تعْلَمَ برضاهُ.

○ وقد تُعطي مَن يلعب لها بالحصى، ومن يَسْحَرُ، وتسمي ذلك العطف، وكلُّ هذا حرامٌ(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٣٩، ٤٨٠ والبخاري رقم (٣٢٣٧)، ورقم (٥١٩٣، ٥١٩٤) ومسلم رقم (١٤٣٦) وأبو داود رقم (٢١٤١) والنسائي في السنن الكبرى ١/ ١١٠.

(٢) الضرب أو اللعب بالحصى هو ضرب من التَّكَهُّنِ. انظر: غريب ابن سلام ٢/ ٤٦ وغريب ابن قتيبة ١/ ٤٠٣ واللسان ١٠/ ٢١٥.

والسِّحْرُ عَمَلٌ تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه كل ذلك الأَمر كينونة للسحر ومن السحر: الأُخْذَةُ التي تأْخُذُ العينَ حتي يُظَنَّ أَن الأَمْرَ كما يُرَى وليس الأَصل على ما يُرى ومنه ما يكون للقلب سواء عن البغض إلى الحب أو عن الغضب إلى الرضا أو عكس ذلك وهذا يسمى العطف ومنه ما يكون للجسم فيصرف من الصحة إلى المرض.. وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه وَدَقَّ فهو سِحْرٌ. انظر: تهذيب اللغة ٤/ ٢٩٠ ولسان العرب ٤/ ٣٤٨ والسحر حقيقته وحكمه ص١١-١٥.

وكل ماذكره المؤلف من ضرب الحصى والسحر هو من أمر الجاهلية المنهي عنه قال شيخ الإسلام بعد ذكره أزلام أهل الجاهلية: فهذه الأنواع التى تدخل فى ذلك مثل الضرب بالحصى والشعير واللوح والخشب والورق المكتوب عليه حروف أبجد أو أبيات من الشعر أو نحو ذلك مما يطلب به الخيرة فيما يفعله الرجل ويتركه ينهى عنها؛ لأنها من باب الاستقسام بالأزلام وإنما يسن له استخارة الخالق واستشارة المخلوق والاستدلال بالأدلة الشرعية التى تبين ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه وينهى عنه. انظر: الفتاوى ٢٣/ ٦٧ /٣٥/ ١٩٤ والفتح ٤/ ٤٢٧.

○ وقد تستجيزُ ثَقْبَ آذانِ الأطفالِ، وهو حرامٌ[(١)].

○ فإنْ أفلَحَتْ، وحَضَرَتْ مجلسَ الواعظِ؛ فربَّما لبستْ خِرْقَةً مِن يدِ الشيخِ الصوفيِّ، وصافحته، وصارتْ مِن بناتِ المنبرِ، فخَرَجَتْ إلى عجائِبَ.

وجمهور العلماء من السلف والخلف على أن تعلم السحر وتعليمه والعمل به كفرٌ. وأن حد الساحر القتل، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢]. وانظر: لمزيد بيان في معنى السحر وحقيقته وأنواعه وأحكامه: الأم ١/ ٢٥٦ والمحلى ١١/ ٣٩٤ والمغني ٩/ ٣٤ والفتح ١٠/ ٢٢٢ وشرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٤ وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٥-١٤٩ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٣١٥-٣٣٢ ونيل الأوطار ٧/ ٣٦٣ والسحر حقيقته وحكمه ص١٦-٦٢.

(١) اختلف الفقهاء في حكم ثقب أذن الجارية لأجل الزينة وتعليق القرط فيها، ولهم في ذلك قولان:

الأول: الجواز، وهو الذي ذكره فقهاء الحنفية، كما في الفتاوى الهندية ٥/ ٣٥٧، وحاشية ابن عابدين ٥/ ٢٧١، والمالكية، كما في شرح الزرقاني على خليل ٤/ ٢١٠، والخرشي ٤/ ١٤٨، وهو قول عند الشافعية، وذكر البجيرمي في حاشيته على الخطيب ٤/ ٣٤٨: أنه المعتمد، وهو الصحيح من مذهب الحنابلة، كما في الفروع ١/ ١٣٥، والآداب الشرعية ٣/ ٣٤٠، وكشاف القناع ١/ ٨٢.

والثاني: التحريم، وذكره فقهاء الشافعية، كما في مغني المحتاج ٤/ ٢٩٦، وإعانة الطالبين ٤/ ١٧٦، وهو قول لبعض فقهاء الحنابلة، كما ذكر المؤلف هنا، ونقله عنه ابن مفلح في الفروع ١/ ١٣٥، وفي الآداب الشرعية ٣/ ٣٤٠.

والذي يظهر رجحانه من هذين القولين هو الجواز؛ لأن هذا الفعل كان موجودًا في عهد النبي ﷺ ولم ينقل عنه في حديث صحيح إنكار ذلك، ولأن الألم فيه خفيف، وهو يعود بالنفع والمصلحة للأنثى لحاجتها إلى الزينة والتحلي. وهذا هو اختيار ابن القيم كما في تحفة المودود ص ١٢٥.

أما الصبي فقد اختلف في حكم ثقب أذنه على قولين أيضًا:

الأول: التحريم، وهو قول المالكية، كما في شرح زروق ٢/ ٣٩٧، والشافعية، كما في حاشية البجيرمي على الخطيب ٤/ ٣٤٨، وإعانة الطالبين ٤/ ١٧٦، وهو قول عند الحنابلة، كما في الفروع ١/ ١٣٥، والإنصاف ١/ ١٢٥.

والثاني: الكراهة، وهو المذهب عند الحنابلة، كما في الفروع ١/ ١٣٥، والآداب الشرعية ٣/ ٣٤٠ والإنصاف ١/ ١٢٥، وكشاف القناع ١/ ٨٢.

والظاهر أن القول الأول وهو التحريم هو الراجح؛ وذلك لأن في ذلك الفعل إيلامًا للجسد، ولا مصلحة للصبي فيه دينية ولا دنيوية، ولأنه قد يؤدي إلى تشبه أحد الجنسين بالآخر. والله أعلم.

وينبغي أَنْ نَكُفَّ عَنانَ العلم؛ اقتصارًا على هذه النُّبذةِ، فإنَّ هذا الأمرَ يطولُ، ولو بَسَطْنا النُّبَذَ المذكورة في هذا الكتابِ، أَو شَيَّدْنا ردَّنا على مَن رَدَدْنا عليهِ بالأحاديثِ والحكايات لاجتمعت مُجلَّداتٌ وإنَّما ذكَرْنا اليسيرَ لِيَدُلَّ على الكثيرِ.

وقد اقْتَنَعْنا في ذِكْرِ فاحِشِ القبيحِ مِن أَفعالِ الغالِطينَ بنفسِ حكايتِه دونَ تعاطي ردِّهِ؛ لأنَّ الأمرَ فيهِ ظاهِرٌ.

والله يعصِمُنا مِن الزَّلَلِ، ويُوَفِّقُنا لصالحِ القولِ والعَمَلِ بمنِّهِ وكرمِه.

الباب الثالث عشر
في ذكر تلْبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: كم قد خَطَرَ على قلبِ يهوديٍّ ونصرانيٍّ حُبُّ الإِسلامِ، فلا يزالُ إبليسُ يثبِّطُهُ ويقولُ: لا تَعْجَلْ، وتمهَّلْ في النَّظَرِ، فيسوِّفُهُ، حتى يموتَ على كُفْرِهِ.

وكذلك يُسَوِّفُ العاصي بالتوبةِ، فيعجِّلُ لهُ غَرَضَهُ مِن الشهواتِ، ويُمَنِّيهِ الإِنابَةَ، كما قالَ الشاعرُ:

تُعَجِّلُ الذَّنْبَ لِما يَشْتَهي ** ويأمَلُ التَّوْبَةَ مِن قابِلِ[1]

وكمْ عازمٍ على الجدِّ سوَّفَهُ، وكم ساعٍ إلى مقام فضيلةٍ ثبَّطَهُ.

فلربَّما عَزَمَ الفقيهُ على إعادةِ دَرْسِهِ، فقالَ: اسْتَرِحْ ساعةً. أَو انْتَبَهَ العابدُ في الليلِ ليُصلِّي فقالَ لهُ: عليكَ وَقْتٌ.

ولا يزالُ يُحبِّبُ الكَسَلَ، ويسَوِّفُ بالعَمَلِ، ويُسْنِدُ الأمرَ إلى طولِ الأملِ.

فينبغي للحازمِ أَنْ يَعْمَلَ على الحزمِ، والحَزْمُ بدار الوقتِ، وتركُ التسويفِ والإعراضُ عن الأمَلِ، فإِنَّ المُخَوّف لا يؤمَنُ، والفواتَ قد يُبْعَثُ[2].

وسبب كلِّ تقصيرٍ في خيرٍ، أَو مَيْلٍ إلى شرٍّ طُولُ الأمَلِ، فالإنسانُ لا يزالُ يُحدِّثُ نفسَهُ بالنُّزوعِ عن الشرِّ، والإِقبالِ على الخيرِ؛ إلا أَنَّه يَعِدُ نفسَهُ بذلك.

---

(١) ذكره ابن عساكر بسنده قال: كتب الرضا إلى المأمون وساق هذا البيت في جملة أبيات غيره. انظر: تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٣٣ و٥٦/ ٢٣٨.

(٢) في بعض نسخة دار الكتب المصرية: والفوات لا يبعث.

ولا ريبَ أَنَّه مَن أَمَّلَ أَنْ يمسي سار بالنهارِ سيرًا فاترًا، ومَن أَمَّلَ أَنْ يُصْبِحَ عَمِلَ بالليل عملًا ضعيفًا، ومَن صوَّرَ الموتَ عاجِلًا جدَّ.

وقد قالَ ﷺ: «صَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ»(١).

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: أُنذِرُكُمْ سوفَ؛ فإِنَّها أَكبرُ جنودِ إِبليسَ(٢).

ومَثَلُ العامِلِ على الحزْمِ والمساكِنِ لطولِ الأَملِ كَمَثَلِ قومٍ كانوا في سَفَرٍ، فدَخَلوا قريةً، فمضى الحازِمُ، فاشترى ما يصلُحُ لتمامِ سفرِهِ، وجلسَ متأَهِّبًا للرحيلِ.

وقالَ المُفَرِّطُ: سأَتأَهَّبُ، فرُبَّما أَقَمْنا شَهْرًا، فضُرِبَ بوقُ الرحيلِ في الحالِ، فاغْتَبَطَ المُحْتَرِزُ، واغتبَن الآسفُ المُفَرِّطُ!

فهذا مَثَلُ الناسِ في الدُّنيا، فمنهُم المستعدُّ المتيقِظُ، فإِذا جاءَ مَلَكُ الموت لم يندَمْ، ومنهُم المغرورُ المُسَوِّفُ يتجرَّعُ مريرَ الندمِ وقتَ الرحلةِ.

وإِذا كانَ في الطَّبْعِ حب التواني وطول الأمل، ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطَّبْعِ؛ صَعُبَتِ المجاهَدَةُ، إلا أَنَّهُ من انْتبَه لنفسِهِ علم أَنَّهُ في صفِّ حربٍ، وأَنَّ عدوَّهُ لا يفتُرُ عنهُ، فإِنْ فتر في الظاهِرِ أبطن لهُ مكيدةً، وأَقامَ لهُ كَمِينًا.

ونحنُ نسأَلُ الله ﷻ السلامةَ مِن كيدِ العَدُوِّ، وفِتَنِ الدنيا، وشَرِّ النفوسِ، إِنَّهُ قريبٌ مجيبٌ!

تم آخر الكتاب المعروف بتلبيس إبليس.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٥/ ٤١٢ وابن ماجه رقم (٤١٧١) وأورده البخاري في التاريخ الكبير ٦/ ٢١٦ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦/ ١٤٦ وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ٢٢٧: هذا إسناد ضعيف. وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير رقم (٣٦٧٠)، وفي السلسلة الصحيحة رقم (١٩١٤)، وقال بعد سياق شواهد المتصلة والموقوفة: وبالجملة فالحديث قوي بهذه الشواهد.

(٢) أخرج مثل ذلك الخطيب في اقتضاء العلم العمل ص١١٣-١١٤ ونحوه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٨٨.

فهـرس الموضوعات